أزمة الأمة العربية وثورة اليمن



دكتور

عبد الرحمن البيضاني

نائب رئيس مجلس قيادة الثورة اليمنية

أزمة الأمة العربية
وثورة اليمن

مراسلات المؤلف
صندوق بريد ٥٧١ المعادى - القاهرة
جمهورية مصر العربية

اهداءات ٢٠٠١
ربان / حمدى عبد المنعم غالى
الإسكندرية

الغلاف : تصميم المؤلف وتنفيذ الفنان مصطفى حسين
وتم الطبع بمطابع المكتب المصرى الحديث - القاهرة
فى أول يناير سنة ١٩٨٤

أزمة الأمة العربية وثورة اليمن

دكتور
عبد الرحمن البيضاني
نائب رئيس مجلس قيادة الثورة اليمنية

المؤلف :
دبلوم التجارة وليسانس الحقوق ودبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي ودبلوم الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة ودبلوم العلوم الاقتصادية والسياسية ودكتوراه في الاقتصاد السياسي من جامعة بون بألمانيا الغربية ..

نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية اليمنية ونائب رئيس الجمهورية ووزير الاقتصاد والخارجية سابقاً ومؤسس البنك اليمني للإنشاء والتعمير ..

نـــداء

إلى ..

الذين يشدّون الرحال إلى الحقيقة ..

شدّوا رحالكم معي ..

في رحلة شاقة ..

عبدالرحمن البيضاني

أول يناير ١٩٨٤



بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

صدق الله العظيم

تمهيد

يتساءل قارىء : لماذا أتحدث عن الأمة العربية عندما أتحدث عن ثورة اليمن ؟

شغلنى هذا السؤال منذ فجر شبابى ، عندما بدأت أبحث عن جذور المأساة فى اليمن ، فهزنى صراخى الذى انطلق من أعماقى ، عندما اقتربت يدى من جراحى العربية .

الجراح العربية التى فجرت النزيف الدموى فى اليمن .

لم أدرك ، فى فجر شبابى ، إن دماء اليمن التى خضبت أرضها قد أخذت تنزف من شرايينها منذ أن تمزق القلب العربى ، وانقطعت علاقته بالعقل القومى ، حتى فقد الوعى ، وملكة الإدراك ، ونعمة الألم ، وقدرة الحركة .

ثم تجرد من غريزة الدفاع . وخيال المستقبل .

فقد التمييز بين ما يسر وما يضر . وضاع العرب وتاهت اليمن .

أو تاهت اليمن فى ضياع العرب .

لم أدرك ، فى فجر شبابى ، أن القلب العربى المسلم الذى عرفناه ، قد أصبح حطاما لذكرى قلب كان يبعث فينا الحياة ، يرفعنا متوجين على رؤوس العمالقة ، منفردين وحدنا على قمة التاريخ .

تفرقنا بعد الخلفاء الراشدين ، وأمجاد المؤمنين الفاتحين ، واختلفنا من بعد أن جاءتنا البينات ، وتمزقنا شيعة وخوارج ، أمويين وعباسيين ، هاشميين وعلويين ، زيديين وإماميين ، سنيين متخاصمين ، عرب وعثمانيين ، سادة وقحطانيين .

ألوان صارخة من صراعات دموية ، خلقتها بواعث شخصية ، تسترت فى شعارات دينية ، ومزايدات سياسية ، وصراعات إقليمية ، وعصبيات جاهلية .

فسقطت الأمة العربية والإسلامية فى حفرة النار التى حذرنا الله منها ، حفرة التفرق والإختلاف ، التى زادتها إشتعالا شعارات جاهلية جديدة ، تزيفت بمسميات عصرية : لم تخرج عن كونها لا تزال جاهلية ، فظهر اليمين واليسار ، ويمين اليمين ويسار اليمين ، ويمين اليسار ويسار اليسار ، والانحياز وعدم الانحياز .

وضاعت المصلحة العربية والإسلامية ما بين حفرة وحفرة .

فهل تنجو اليمن من هذا الحريق ، وهى جزء من الأمة العربية ، حطها سيل التاريخ القاسى فى نفس الطريق ؟

هل تفلت اليمن من الجغرافيا القومية ، التى أوقفتها على باب المندب ، القصبة الهوائية للأمة العربية ، والشريان التاجى فى خريطة الشرق السياسية ؟

هل تهرب اليمن من خريطة الأطماع الأجنبية ، التى عاصرت سقوط الشخصية العربية الإسلامية والقومية ؟ .

لماذا تفرقنا واختلفنا ؟ .

أين منا أمة من المفلحين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؟

كيف قطعنا حبل الله ؟ .

وماهو المعروف الذى جهلناه ؟ .

والخير الذى فقدناه ؟ .

والمنكر الذى نحياه ؟ .

أسئلة حائرة ، حاولت الإجابة عليها فى هذا الكتاب ، الذى لم أضع له فهرسا مفصلا ولا عناوين محددة ، حتى لا يتعجل أحدنا فيقرأ بعض النتائج منفصلة عن مقدماتها ، فيأخذ منها موقفا مسبقا .

أردت أن أعيب الكتاب ، وكان ورائى باعث يترك كل قارىء يعيش مع أحداثه ، ينظر إليها من زوايا أكثر بعدا ، ينزل بها إلى أغوار أكثر عمقا ، فتنمو معه أفكار أخرى ، أجدى نفعا ، وأعظم قدرة على إنقاذ المصير العربى من الأزمة العربية .

هذا الكتاب يتضمن ما أمكننى جمعه من حقائق ، وما توصلت إليه من حلول ، واثقا كل الثقة فى أن عددا من المفكرين سوف يهتدون إلى خير منها .

سواء فى هذا الجيل عندما يشعر بالحريق .

أو الأجيال القادمة عندما تصحو من بين الرماد .

فتبحث عن أمل ضائع ..

مدخل

يتفق المصلحون على أن الطريق الأمثل للإصلاح هو الطريق الأسهل وصولا إليه .

وهو لا يكون طريقا سهلا إلا إذا انبثق من طاقات الشعوب المتطلعة إلى التطور نحو المستقبل الأفضل .

قضية لا يختلف عليها عقلاء .

يؤكدها علم الإجتماع الذى يدلنا على الإرتباط العضوى بين أحوال الشعوب وطاقاتها القابلة للتطور ، التى لا تنتظر من المصلحين سوى قيامهم بتجنيد قدراتهم الذهنية الخلاقة ، وهم يرسمون المستقبل الأفضل الذى يرجونه لشعوبهم ، ثم قيامهم بتنظيم الطاقات الوطنية المتهيئة للتطور لدفعها إلى تحقيق الحد الأقصى الممكن من الغايات المستهدفة ، فى إطار من الظروف المحلية ونطاق من الظروف الخارجية التى تؤثر فيها وتتأثر بها .

هذا الطريق السهل لا يختلف عليه أحد .

لكنه عندما يفطن المصلحون إلى استحالة تحقيق الإصلاح باختيار الطريق السهل فإنهم يلجأون إلى علم التاريخ ، حتى يدلهم على جذور العقبات التى تحول دون التطور نحو الأفضل .

وعندما يتعرفون على جذور هذه العقبات فإنهم يبدأون العمل الشاق من أجل اقتلاعها من جذورها التاريخية ، لأنها تكون قد تمكنت من صياغة التركيب الإجتماعى المناقض للإصلاح ، وفرضت النظام السياسى الذى يعتمد على التخلف ، وتسللت إلى التكوين النفسى للشعب الذى يحلم بالمستقبل الأفضل بينما يخاف من العمل على تحقيقه .

كانت هذه الحياة حياة اليمن .

ومع ذلك ..

أسرف بعض المعلقين فى عتابى لاختيارى طريق الثورة الشاق ، وكأننى كان فى وسعى أن أدعو إلى اختيار الطريق السهل .

هؤلاء العاتبون معذرون لأنهم لا يعرفون أننى أمضيت أكثر من عشرة أعوام حاولت فيها ، كغيرى ، إصلاح اليمن من خلال نفس النظام الإمامى ، ولما فشلت لجأت إلى علم التاريخ فدلنى على جذور العقبات التى تحول دون تطور اليمن نحو الأفضل .

تلك العقبات التى لم يكن لها فى تاريخ الشعوب مثيل أو شبيه ، وهى تغوص بجذورها الشرسة إلى أعماق ألف ومائة عام من عمر اليمن ، هى من عمر الأمة العربية الإسلامية كل الزمن .

لم يسمح التطور الحضارى العالمى بأن ينتظر شعب اليمن وحده ، دون سائر شعوب الأرض ، مئات أخرى من السنين حتى تكتمل لديه عناصر التطور بالقدر المثالى الذى يرجح اختيار الطريق السهل الذى يحقق الإصلاح ، فاعتمدت فى الدعوة إلى الثورة على إلحاح الجماهير وإصرارها على التغيير ، وكانت هذه الدعوة تضع فى اعتبارها احتمال تعرضها لمفاجآت لم يكن من المستطاع تقديرها أو حسابها بين جماهير مسلحة ، تدفعها ظروفها المتخلفة إلى الثورة بينما تشدها نفس هذه الظروف إلى الثورة المضادة .

لم يكن هناك مفر من قبول هذه المجازفة بعد أن أخذنا دروسا قاسية ممن سبقونا إلى محاولة إصلاح اليمن مع إحتفاظهم بنفس العقبات التى تحول دونه ، عندما كانوا يتصورون أن لهم مصالح شخصية حقيقية من وراء استمرار الحفاظ على الامتيازات السلالية والطبقية والمذهبية ، فحافظوا عليها حتى سقطت رؤوسهم بين أنياب النظام الإمامى المتخلف ، الذى تصوروا أنهم قادرون على تحقيق الإصلاح على نفس ركائزه الإجتماعية والسياسية ، المناقضة لكل إصلاح ، الرافضة لكل تطور .

حاول زعماء الإصلاح فى اليمن سنة ١٩٤٨ بزعامة الإمام الثائر عبد الله بن الوزير أن يفرضوا الإصلاح من خلال نظام الحكم الإمامى فسقطت رأس الإمام الثائر ورؤوس الكثيرين من أهله مع معظم من اشتركوا معه من زعماء اليمن المصلحين .

فى سنة ١٩٥٥ حاول المصلح اليمنى المقدم أحمد يحيى الثلايا مع الأميرين سيف الإسلام عبد لله وسيف الإسلام العباس أخوة الإمام الحاكم أن يصلحوا اليمن فى ظل هذا النظام الإمامى فقطع الإمام رؤوسهم مع غيرهم من دعاة الإصلاح فى اليمن .

فى سنة ١٩٥٩ حاول المصلح اليمنى الشيخ حسين بن ناصر الأحمر وابنه الشيخ حميد ومن كان معهما من المصلحين إصلاح اليمن فى ظل نفس النظام فسقطت رؤوسهم دون أن ينجزوا شيئا .

حتى سنة ١٩٦٠ كنت أحاول ، مع المصلحين إصلاح اليمن تحت راية البدر ولى العهد فصفعه والده الإمام أحمد على مرأى ومسمع من المصلحين ، ثم سجن بعضهم وذبح أكثرهم ، وهرب من احتفظ بهم القدر لمحاولة أخرى . وأحمد الله أننى كنت أحدهم .

فى أقل من ربع قرن ، قبل الثورة ، سقطت المئات من رؤوس المصلحين من رجال اليمن من جميع السلالات والطبقات والمذاهب وأصحاب الإمتيازات ولم يتحقق أى إصلاح .

خلال ألف ومائة عام لا نكاد نعثر على إمام واحد مات على فراشه موتا طبيعيا حيث كان المتنافسون المتطلعون إلى منصب الإمامة يقتل بعضهم بعضا باسم الإصلاح ، ولم يكن للشعب اليمنى سوى أن يقدم رؤوس أبنائه ومصلحيه على مذبح الصراع المستمر

على العرش حتى لم يعد فى سيرة اليمن أى جديد ، وأصبح شبح الموت لا يفارق شعبها ، وأصبح فى كل بيت مأتم وبكل أسرة أرملة ، ومع كل أرملة أيتام ؛ ولم يعد للأئمة الحاكمين من عمل سوى حبك الإغلال وصك القيود ، ودبغ السياط ، وصقل السيوف ، وإقامة السجون ، ثم ملء التاريخ بما تضيق به الإنسانية ، وتقشعر منه الأبدان .

كانت هذه الحياة حياة اليمن .

شفاؤها أمراض ، حريتها سجون ، أمنها مذابح ، خيرها ذل ، يقينها شك ، أملها يأس ، نعيمها شقاء .

أحياؤها يحاولون الحياة . يعيشون فى بيوت كأنها مقابر . يحيون فيها أمواتا ينتظرون ساعة الحشر . حرمهم الائمة من الدنيا فأصبحوا يستعجلون الآخرة . لا يحسون بلوعة الفراق لأنهم لا يشعرون بلذة الوجود .

كانت هذه الحياة حياة اليمن .

نشيدها حزين ، ولحنها أنين .

وشعبها يتمزق فيتشتت فى متاهات الأرض ، ثم يلتقى فيلتئم فى نعوش وجنائز ومقابر .

لم يكن هناك مفر من اختيار الطريق الصعب فناديت بالثورة الجذرية .

وعندما نبشنا قبرنا وظهرنا من بين التراب لم يكد أحد يتعرف علينا ، وكاد أشقاؤنا يستنكرون بعثنا قبل يوم القيامة .

ولعل ظروف المفاجأة التى عاصرت صحوة الموتى ، مع سرعة تداعى الأحداث ، قد أسهمت فى إسدال الستائر الكثيفة على النوايا الطيبة التى كانت تملأ قلوبنا وقلوب جيراننا واشقائنا ، فضلا عن مضاعفات الأزمة العربية التاريخية التى توارثناها جيلا من بعد جيل ، حتى أغرت الأطماع الأجنبية فتسللت إلى عروق هذه الأجيال ومزقت الجسد العربى ، فأصبح أشلاء متباعدة متناقضة ، إذا اشتكى منها عضو لا تتداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، وإنما بالتظاهر بالأسى ، والأسف ، مع إخفاء البهجة والسرور بما يحل به من نكبات وينهش فى عظامه من خراب .

هكذا كانت دعوتى إلى الثورة الجذرية بين أنياب المأساة اليمنية ومخالب الأزمة العربية .

اخترنا الطريق الصعب الذى لم يكن أمامنا غيره .

ومع ذلك ..

حتى كتابة هذه السطور يسألنى أصحاب النوايا الطيبة : لماذا اخترت الدعوة إلى هذا الطريق الصعب ؟

جوابى على هذا السؤال لا يزال هو بعينه تاريخ اليمن .

هو بذاته قصة الأمة العربية منذ أن بدأت أزمتها التاريخية .

وفى مؤتمر صحفى فى جدة منشور يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٧٥ فى المجلة السعودية (إقرأ) أجبت على نفس هذا السؤال بقولى :

(عندما أكون فى القبر المظلم لا أرى شيئا ، ولا زالت فى عروقى نبضة ضعيفة ، وأمل باهت فى إمكانية الحياة ، سأسعى بأية وسيلة إلى أن أطل برأسى لأرى النور .

وليس فى وسعى وأنا فى غياهب الظلام أن اختار الوسيلة المثلى حيث لا توجد فى القبر وسائل أخرى متعددة . ستفرض الوسيلة الوحيدة المتاحة نفسها على اختيارى .

وحين استطيع أن أطل برأسى وترى عيناى النور فلن أخسر شيئا إذا فقأتهما يد القدر وأعادتنى إلى القبر لأننى فى القبر لا أحتاج إلى عين .

أما إذا استطعت البقاء فوق الأرض وفقدت عيناى ومعهما بصرى فقد استطيع الحياة ببصيرتى .

ويظل هذا على أى حال هو الاختيار الأكثر عقلا .

هذا ما جرى فى اليمن .

سرنا فى الطريق الوحيد الذى لم نجد غيره .

وكنا عارفين بأشواكه ، مقدرين مخاطره .

لكننا كنا نعرف ما هو أكثر من ذلك .

كنا نعرف ما هو أخطر من هذه الأشواك والمخاطر .

كنا نعرف أنه ما لجرح بميت إيلام .

لقد استخدمنا حقنا فى رفض الموت البطىء .

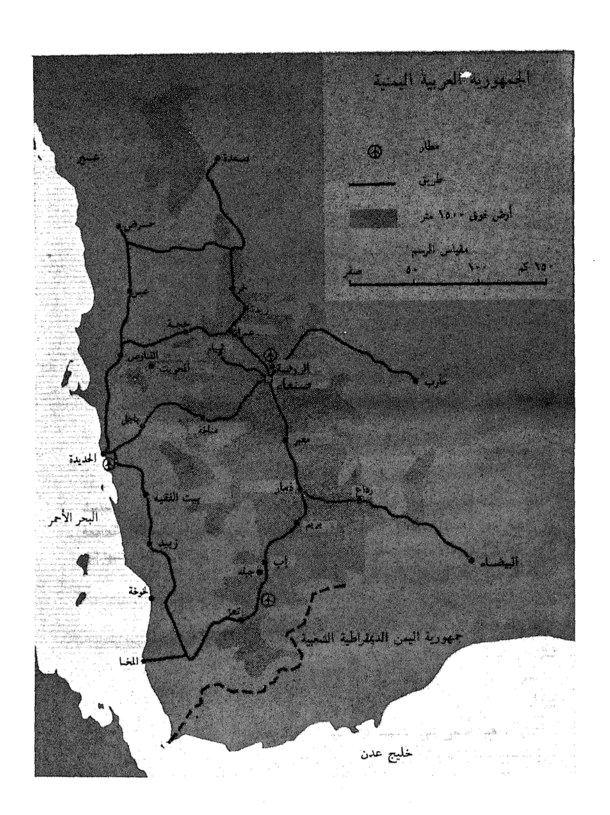
ورفضنا التسكع الممل على هامش الدنيا .

وسلكنا الطريق الطويل الذى لم يكن له أمامنا من بديل .

ويستطيع الحكماء أن يطلقوا الحكمة من بعيد ، لكنهم عندما تحرقهم المأساة يرحبون بالخطب الجلل) .

ولقد رحبنا بالخطب الجلل ..

وصولا إلى المستقبل الأفضل ..



الجمهورية العربية اليمنية
مطار
طريق
أرض فوق ١٥٠٠ متر
مقياس الرسم
١٥٠ كم
١٠٠
٥٠
صفر
صعدة
حجة
المحويت
صنعاء
مأرب
الحديدة
بيت الفقيه
البحر الأحمر
زبيد
إب
جبلة
البيضاء
الخوخة
تعز
المخا
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
خليج عدن

مساء ٢٤ يولية ١٩٦٢

فى بيت محمد أنور السادات رئيس مجلس الأمة ..

تبادلنا التهانى باطلاق الصاروخ الظافر والقاهر ..

وفجأة ..

تقلصت أعصاب صلاح نصر رئيس المخابرات العامة ..

وقال :

يا أخ عبد الرحمن يجب أن تصرف النظر عن ثورة اليمن ، وأن توقف كتاباتك عنها فى مجلة روز اليوسف ، وأحاديثك من إذاعة صوت العرب .

قلت :

وما سبب هذا القرار المفاجىء ؟

قال :

لقد عرفت المخابرات الأمريكية جميع التفاصيل عن خطة الثورة من خلال حديث جرى بين أحد مصادرها وبين القاض عبد الله الاريانى الذى يعالج فى مستشفى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، وكانت هذه التفاصيل قد وصلت إليه من تعز فى رسالة كتبها إليه شقيقه القاضى عبد الرحمن الاريانى .

قلت :

هل تقول أن المخابرات الامريكية قد عرفت جميع التفاصيل ؟

قال :

نعم .. عرفت جميع التفاصيل ..

قلت :

إذن .. هذا أدعى إلى الاستمرار وليس إلى التوقف .

لأن المخابرات الأمريكية لن تصدق قيام ثورة فى اليمن على نحو هذه التفاصيل .

لماذا لا نستمر حتى تصلنا معلومات عن ردود فعل المخابرات الأمريكية ؟ لا سيما أن عيوننا اليمنية مطلعة على معلومات وتحركات الإمام أحمد وولى عهده البدر وشقيق الإمام الأمير سيف الإسلام الحسن وأنصارهم كما نتابع تحركات تنظيمى بريطانيا

وأمريكا اللذين يعمل كل منهما على انتزاع العرش من أسرة حميد الدين .. وهم جميعا يقرأون منشوراتى فى روز اليوسف واذاعاتى من صوت العرب ، ويتوقعون الانفجار بين لحظة وأخرى ، ولم يتخذوا حتى الان أى إجراء وقائى أو مضاد .

ومن جانبى سألفت نظر الثوار فى اليمن كى يتوقفوا عن اعطاء معلومات أخرى للقاضى عبد الرحمن الاريانى ، وأن يعطوه بدلا منها معلومات مضللة كى تصل عن نفس الطريق إلى المخابرات الأمريكية ، ومع ذلك فإننى لا افترض أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تبكى على رجال تنظيمها إذا سبقناهم من أجل النهضة باليمن لأنها لا تعارض التغيير فى اليمن فى الوقت الذى يعلن فيه الرئيس كنيدى أنه يؤيد يقظة الشعوب النامية .

وعلينا أن نضع فى اعتبارنا أننا قد شجعنا الكثير من الأنصار فى اليمن ، وأننا إذا توقفنا فجأة مع احتمال وصول هذه المعلومات إلى الإمام لكان ذلك معناه أننا نسلم رقاب هؤلاء إلى سيوف الجلاد .

قال صلاح نصر :

لماذا لا نتوقف مؤقتا حتى نتأكد من عدم وجود ردود فعل أمريكية بعد أن عرفت أمريكا جميع التفاصيل ؟

قلت :

لماذا نترك الساحة لبريطانيا وأمريكا لتقيم إحداهما أسرة إمامية أخرى لا تلبث أن تنقلب على الشعب ؟

لماذا نتوقف أثناء السباق مع الزمن ؟

إننا إذا فعلنا ذلك فإن خسارتنا تصبح خسارة مؤكدة لأننا نتوقف بينما يستمر غيرنا فى السباق .

أما إذا بقينا فى حلبة السباق ثم أجبرتنا ظروف محتملة على التوقف فإن خسارتنا عندئذ تعتبر خسارة محتملة .

والاختيار التاريخى هو الآن :

هل نختار الخسارة المؤكدة .. فنتوقف ؟

أو نختار الخسارة المحتملة .. فنستمر ؟

أضفت :

إن الأسلحة والذخيرة التى أخذناها منكم لن تذهب هدرا ، ولن يدفنها الثوار ليأكلها الصدأ فى صحراء اليمن ، وأننى وإن كنت لا أعرف لماذا لم يتحرك الثوار فى تعز فجر الأمس فأننى أعرف أنهم سوف يتحركون غدا أو بعد غد ، وأعرف أننا لن يطول بنا الانتظار .

ياسادتى :
دعونا نستمر .. ونحن على مقربة من تغيير التاريخ ..
وافقنى أنور السادات ..
وأيدنى جمال عبد الناصر ..
وتراجع صلاح نصر ..
فسبقنا تنظيمات الأسر الامامية المتنافسة ..
وتغيير التاريخ ..
سقط الحكم الامامى العنصرى فى اليمن ..
بعد ألف ومائة عام ..
رغم الأزمة العربية الطاحنة ..
ولهذا قصة ..
ابدأها من أولها ..
بتفاصيلها ..

عبد الرحمن البيضانى

شهادة للتاريخ
وتحية لشهداء مصر على أرض اليمن

إن الثورة قد غيرت كافة أوجه الحياة فى بلادنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها ، ونقلت شعبنا من مرحلة كاد يوشك فيها على الهلاك ، إلى مرحلة العيش والتفاعل مع معطيات العصر الحضارية .

ففى عهد النظام الإمامى كان يعيش حالة من العزلة والانغلاق ويخضع لسلطة فردية كهنوتية ، وتعمدت هذه السلطة أن تبقى شعبنا أسيرا لحياة القرون الوسطى فلا تعليم ، ولا مستشفيات ولا طرق ولا وسائل للاتصال بالعالم الخارجى ولا مؤسسات سياسية ولا أجهزة إدارية .

ولهذا الأسلوب كان شعبنا يعانى من كافة صور التخلف والقهر والعوز وبالتالى فقد جاءت الثورة بمثابة عملية إنقاذ للشعب اليمنى من الهلاك الذى كان سيئول اليه لو استمر الحكم الإمامى .

ونحن لا ننسى دور مصر فى انجاح ثورة اليمن عام ١٩٦٢ .. ودورها البارز فى مسيرة الثورة اليمنية حتى الان .. فالمعلمون والمهندسون والأطباء ومعظم الأيدى التى تبنى وتعمر هنا فى اليمن هى أيد مصرية .

الأهرام ٩ أكتوبر ١٩٨٣

العقيد على عبد الله صالح

رئيس الجمهورية العربية اليمنية

الأخ العزيز الدكتور عبد الرحمن البيضانى الأكرم

بعد التحية

بلغنى أنك مهتم بكتابة مذكراتك عن الثورة اليمنية .

وأتمنى لك التوفيق والنجاح ليكونا اتماما لجهودك السابقة والتى بذلت فيها روحك لخدمة الشعب الذى عبدته دائما بعد الله

وتقبل تحياتى وشكرا

١٨ ابريل ١٩٨٣

اخوكم

توقيع

الفريق حسن العمرى

(عضو مجلس قيادة الثورة اليمنية)

من الوثيقة رقم (١)

من خرج فى طلب العلم فهو
فى سبيل الله حتى يرجع

حديث شريف

الهجرة فى طلب العلم

الفصل الأول



الشيخ عبد ربه أحمد عبد الله البيضانى - والد المؤلف



ولد أبى ، عبد ربه أحمد عبد الله البيضانى ، فى قبيلة مراد وأمضى طفولته فى مدينة البيضاء شرق اليمن .

كان يصغى ، كغيره من أطفال اليمن ، إلى قصص وروايات التجار الذين يجوبون الأرض بين مصر والشام من جهة ، وفارس والهند وجنوب شرق اسيا من جهة أخرى ، وهم عادة يحطون الرحال فى عدن وحضرموت وبعض بلاد جنوب وشرق اليمن .

أجمعت القصص والروايات على ازدهار العلوم وارتقاء مستوى المعيشة فى تلك الدول ، وبصفة خاصة فى مصر حيث الأزهر الشريف منارة الحضارة الإسلامية وقلعة الانتفاضات السياسية .

كان أبى دائم الحوار مع عمه بعد أن مات والده وأكمل حفظ القران قبيل التاسعة من عمره .

وكانت اسئلته لا تخرج عن أسباب النهضة التى سمع عنها خلف البحر (يقصد مصر) وأسباب التخلف فى وطنه (يقصد اليمن) . وهل يتقن المصريون فى طلب الرزق وسائل لا يعرفها شعب اليمن ، أو ان أرض اليمن أقل من بقاع الأرض ؟ .

كان يحاول أن يعرف أسباب ضعف اليمن وعجزها وانهيار مجدها الذى عرفه فى القران الكريم ، وقرأه فيما وصل إلى يده من كتب التاريخ ، ووقر فى أذنه من أحاديث الرواه .

وكان يسخر من نفسه ومن أبناء جيله الذين لا يفخرون إلا بماضيهم . ينثرون عليه نوافح الزهور ، وعرائس الأفكار والأشعار ، ولا يغنمون من حاضرهم بغير أنياب الوحوش ومواكب البؤس .. والحزن والألم والحسرة .

رحل مع إحدى القوافل إلى عدن ثم وصل إلى مصر مع زملاء من اليمن يطلبون العلم فى الأزهر الشريف . وكان ذلك سنة ١٣٢١ هجرية ، ١٩٠٢ ميلادية ، وكان عمره قد أكمل التاسعة .

انقطع للدراسة فى الأزهر حتى حصل على شهادة الأهلية الأزهرية سنة ١٣٢٩ هجرية ، ١٩١٠ ميلادية تحت رقم مسلسل ٦٩٢ ، بينما زاول بعض زملائه من اليمنيين أعمالا تجارية بين مصر وعدن إلى جانب الدراسة التى تركوها فيما بعد ، عندما راجت تجارتهم حتى أصبحوا فى ذلك الوقت من كبار رجال التجارة فى مصر ، وكان من بينهم الشيخ سالم عمر باجنيد والشيخان سالم وسعيد بازرعه .

أما الذين واصلوا الدراسة فى الأزهر فكان من بينهم الشيخ أحمد بن سلم والشيخ على حريبى والسيد محمد الأهدل شيخ رواق اليمن بالازهر فيما بعد .

ثم حصل أبى على الشهادة العالمية للغرباء عام ١٣٣٤ هجرية ، ١٩١٥ ميلادية تحت رقم مسلسل ٣ وكان قد تعرف فى الأزهر على زميل مصرى صادقه طوال سنوات الدراسة فتزوج من شقيقته فى ١١ يونية سنة ١٩١٧ وهى أبنة أحد علماء الأزهر ، ثم كان مولدى يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٢٦ بالقاهرة .

كان مولدى منعطفا حاسما فى مسار الامال الكبار التى كان تراود خيال أبى .

فبعد أن كان قد تهيأ للعودة إلى اليمن ليعمل هناك حاكما شرعيا فى أحد الآقاليم اليمنية تنفيذا لأمر صدر اليه من الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن فى ذلك الوقت ، بدأ يشفق على نفسه إذا ما عاد بى إلى اليمن طفلا لا يجد كغيره من أطفال اليمن مكانا يتلقى فيه العلم فى وطنه .

تمهل فى سفره إلى اليمن واعتذر للإمام يحيى واشتغل محاميا شرعيا ، وكانت شهادة العالمية للغرباء تعطى صاحبها الحق فى مزاولة مهنة المحاماة أمام المحاكم الشرعية ، دون أن تكسبه الحق فى تولى منصب القضاء الشرعى الذى كان وقفا على المصريين الذين يحصلون على نفس هذه الشهادة العالمية بغير لفظ (الغرباء) . (الوثيقة رقم ٢) .

أفرغ أبى كل طاقته فى تلقينى الكثير من ألوان المعرفة ، إلى جانب ماورد فى مناهج الدراسة النظامية فى المدرسة ، وكان قد ألحقنى بمدرسة التجارة المتوسطة بالظاهر رغبة فى أن أحصل على أسرع شهادة ولو متوسطة أعود بها معه إلى اليمن حيث كان صادق الولاء للإمام يحيى ، الذى طرد الآتراك من شمال اليمن وواصل الجهاد لطرد الانجليز من جنوبها .

كان أبى يملأ فراغ الوقت ، عندما يجد ثمة فراغ ، بالحديث عن اليمن ، عن ماضيها السعيد وحاضرها البائس ، ويلوم أبناء اليمن الذين تركوا أمجادهم تنهار فوق رؤوسهم ، وفى سمعهم وبصرهم ، عبر السنين العجاف ، ولم يصنعوا غير الاستسلام للضياع ، حتى أصبح تقليدا يمنيا مستمرا ، وتراثا تاريخيا متأصلا فى نفسية المواطن اليمنى وشخصيته ، على مر السنين والعصور . ولعل أبى كان يسخر من نفسه ومن أبناء وطنه عندما كان يردد على مسامعى أن أهل اليمن ربما لم يسمعوا عن قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أو أنهم إذا كانوا قد سمعوه فإنهم لم يفهموه ، أو أنهم لم يشاءوا أن يفهموه حتى لا يثقلون على أنفسهم بمشقة التفكير فى التغيير .

كانت عادة اليمنيين الأصدقاء فى القاهرة أن يلتقوا يوميا على طعام الافطار فى بيت كبيرهم وشيخهم السيد حسن البار فى العباسية ، الذى كان عميدا للهاشميين فى مصر ممن كانوا من أصل يمنى . والهاشميون هم الذين ينتسبون إلى بنى هاشم من سلالة الرسول

ﷺ وكان السيد حسن البار زوج شقيقة زميلهم الشيخ سالم عمر باجنيد الذى أصبح من كبار التجار فى مصر ، بل كان أكبر من يستورد البن الصافى من اليمن والصابون النابلسى من الشام .

بعد تناول الافطار ينصرف كل منهم إلى عمله .

وكان هؤلاء الأصدقاء يقضون جميع أمسيات رمضان فى نفس هذا المكان بعد صلاة التراويح ، يقرأون القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة كما وردت فى صحيح البخارى . وكان أبى من أحرص الملتزمين بحضور اجتماعات الافطار صباح كل يوم واجتماعات القران والبخارى فى أمسيات رمضان . ولعله كان أكثرهم تخصصا فى الفقه الإسلامى وفهما لأسرار اللغة العربية ، أو كان الوحيد من بينهم الذى تخرج من الازهر ونال شهادة العالمية للغرباء ، متفوقا فى البلاغة والبيان ، ممسكا بأسرار اللغة العربية إلى جانب العلوم الإسلامية ، فكان هو الذى يتصدى من بينهم لتلاوة صحيح بخارى وشرح الأحاديث النبوية الشريفة ، وكان يعقب ذلك حوار بين الحاضرين يشدهم إلى الحديث عن اليمن وأحوال اليمن ، ولذلك كان حريصا على أن يصحبنى معه إلى هذه الجلسات الدينية اليمنية .

تعلمت الكثير مما سمعت فى هذه الجلسات .

سمعت السيد حسن البار صاحب الدار وعميد الهاشميين اليمنيين المقيمين فى مصر ، فى مناسبة وغير مناسبة ، يقول أنه قد ورد عن النبىﷺأن الناس جميعهم سواء وأنه (لا فرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى) وكان يحلو له أن يتلو ، ضمن ما يتلو ، الاية الكريمة (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) .

لعله كان يستشعر حرجا من لقب السيد الذى يسبق اسمه ، أو كان يشفق على نفسه من عمادة الهاشميين اليمنيين فى مصر ، وكان يطلب من أبى أن يشرح معنى التقوى التى ترجح عند الله فضل المسلم على المسلم .

كان الرجل مثالا عظيما للتقوى ، ونموذجا فريدا للصلاح ، وكان قدوة حسنة فى التواضع .

جعلت أعشق الرجل ، وأخذت أفخر بأهل البيت وأهتف من أعماقى لسلالة النبى ، غاضبا أشد الغضب على عائشة بنت أبى بكر وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهم من الذين جاهدوا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وظاهروا عليه معاوية بن أبى سفيان وزرعوا أول بذرة للخلاف والصراع بين المسلمين .

كان حنين العودة إلى الوطن يسيطر على مشاعر الحاضرين عندما يصلون إلى الحديث عن اليمن ، ويتبادلون الأخبار التى تصل عنها أو منها ، وكانوا يتسابقون إلى ذكر أمجادها التاريخية وماضيها العريق .

عرفت منهم أن اليمن كانت أول بلد فى العالم يشيد على أرضه العمارات ذات العشرين طابقا التى كان يشيدها المهندسون والعمال اليمنيون منذ الاف السنين ، على نحو ما تغنى به المؤرخ الهمدانى ، وأنه عندما توافدت على الرسول الكريم مواكب الشعب اليمنى تعلن إيمانها بالله قال رسول الله (الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن هم أرق قلوبا وألين أفئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية) .

عرفت من أبى ورفاقه أن رجال اليمن كانوا فى طليعة الجيوش الإسلامية التى عمرت الأرض بعدئذ بالإيمان والعدالة والمساواة ، وأن الأغلبية الساحقة من جيوش عمرو بن العاص التى فتحت مصر كانت من رجال اليمن ، وكذلك أغلبية جيوش معاوية التى فتحت الشام ، وأغلبية جيوش عبد الرحمن الداخل التى فتحت المغرب ، وأن الجيوش اليمنية قد واصلت نشر الإسلام حتى وصلت فى عهد عبد الملك بن مروان وبنيه الأربعة إلى أسبانيا وجنوب فرنسا غربا ، ثم إلى الهند وتخوم الصين شرقا ، وأنه كان من بين القادة اليمنيين المشهورين أمير الأندلس السمح بن مالك الخولانى فاتح قرطبة ومؤسس الإمارة فيها سنة ٩٨ هجرية ، وعبد الرحمن الغافقى العكى اليمانى بطل الفتح الإسلامى فى أسبانيا سنة ١١٢ هجرية ، كما تشهد على ذلك قلعة همدان فى قرطبة وقلعة خولان فى غرناطة وقلعة يحصب فى اشبيلية .

عرفت أيضا أن القبائل التى تسكن مصر فى محافظات الشرقية والبحيرة والصعيد والاسكندرية كلها من القبائل اليمنية ، وإنه لا تزال أسماء بعض العائلات المصرية تحمل أصلها اليمنى أمثال عائلات عبس ، وخولان ، وعامر ، وبنى مر ، وجهينة ، وعلام ، وعبيد ، وسالم .

كان ذلك بعض حديثهم عن أمجاد اليمن وماضيها العريق ، وكانوا يطربون له ، وينتشون منه ، ثم لا يملكون أنفسهم من الحسرة وهم يرثون حاضرها البائس المظلم ، وينعون مستقبلها الأسود الكئيب .

وأذكر أن حديثهم عن حاضرها البائس المظلم كان يتصدر الحديث كله ، وهم كغيرهم من أبناء اليمن الذين عرفوا الحياة خارج أسوارها لا يستطيعون أن يمسكوا أنفسهم عن ذكر ذلك الحاضر البائس المظلم .

كنت استغرب كل ماأسمعه عن اليمن ، وكنت استوعب كل ما يقال عنها . وكان الجميع يتبارون فى وصف ما يسود فيها من ألوان التخلف والظلم والطغيان .

كان أبى يقول أن أرضنا ليست أقل من بقاع الأرض ، وعقولنا ليست قاصرة عن عامة العقول ، وكان يتساءل عن سبب ضعفنا وعجزنا وفقرنا وانهيار مجدنا ، هل كان أجدادنا خيرا منا ؟ فأصبحنا لا نفخر إلا بالماضى ، ننثر عليه نوافح الزهور ، وعرائس الأفكار والأشعار ، ثم لا نغنم من الحاضر بغير أنياب الوحوش ومواكب الحزن والآلم والحسرة ؟ .

كان أبى يتساءل لماذا تخون الدنيا ويقبح الوجود الجميل ؟ ولماذا يصمت الروض الغرد وينزوى الشعب الأصيل ، فإذا بنا وليس لنا حاضر نسعد به ، ولامستقبل نتمناه ، ولاحلم ولا أمل ولارجاء .

هل تحامل على مجدنا عدل القدر ؟ أم تواطأ على بلدنا ظلم البشر ؟ أم تقاعسنا حيث يجد الناس وتواكلنا حيث تنهض الأمم ؟ .

كان أبى يحلم باللحظة التى نستطيع فيها أن ننفض عن أنفسنا غبار الزمن ، ونصحو من غفوة الدهر ، كى يضحى تثاؤبنا زئيرا ، ويأسنا بأسا ، فتصبح امالنا حقائق .

وعندئذ .. تتذهب الشمس .. تتغير طلعتها ويتبدل غروبها .

وهى تطلع فى اليمن ، ولا يحفل بطلوعها انسان ، وتغرب ولا يأتى غروبها بغير الظلمة واليأس والحرمان .

كنت التقط هذه الكلمات بالذات ولا أنساها .

كانت تنزل على قلبى كالصواعق .

أصابتنى بجرح أدمى خيالى ، لكنه زرع فى أعماقى كل امالى .

خيالى كان محصورا فى العودة إلى وطنى كما غرس أبى فى نفسى ، أما امالى فكانت لا نهائية .. وهى تصور لى مكانتى عندما أتم تعليمى فى مصر وأعود إلى اليمن ، واشترك مع أبناء وطنى فى العمل على استعادة أمجادنا التاريخية ونحن نضع معا حجر الأساس فى بناء نهضتنا الحضارية .

تعلمت كثيرا فى هذه الجلسات اليمنية الدينية اللغوية ، وكان أبى أثناء عودتنا إلى بيتنا كل ليلة يسألنى عما عرفت عن اليمن وحفظت من الايات والأحاديث ، وما تعلمت من الشرح وما تلاه من حوار ، وكان يتوقع أن أتلو عليه ما سمعت ، كله . لا ينقص منه شىء .

وأغلب ظنى ان اندماجى مع سيرة النبى ﷺ وشوقى لمتابعة سيرة اليمن قد غرسا عندى منذ نعومة أظافرى عادة التركيز المستغرق عند الاستماع ، الذى يغوص فى ذاكرتى ، حتى صرت قليل النسيان .

مع ذلك .. كان أبى عظيم الحسرة لأننى كنت قد بلغت الثانية عشر من عمرى ولم أحفظ القرآن كله كما يفعل غيرى من أبناء عمرى سواء فى اليمن أو في مصر ، وكان أبى قد حفظ القران كله ولم يكن قد بلغ التاسعة من عمره ، وكان لا يزال فى اليمن .

اتجه أبى إلى استكمال ثقافتى الدينية واللغوية .

أما الثقافة الدينية فكان يتولاها بنفسه سواء فى البيت أو فى الجلسات الدينية الرمضانية عند السيد حسن البار ، وأما الثقافة اللغوية فقد اتفق مع صديقه وزميله من الأزهر الشيخ

أحمد عيادة على أن يستأجرا مدرسا أزهريا ، يقوم بتعليمى مع صديقى وزميلى خالد ابن الشيخ أحمد عياده ، منهاجا لغويا شاملاً يفوق منهاج اللغة العربية فى المدرسة التى كنا ندرس فيها .

هذا المدرس الأزهرى كان خفيف الظل ، وكانت له جاذبية خاصة تصهر خيال التلاميذ فى روحانية الدرس ، فتجعل الدروس المعقدة تنساب فى يسر وتتدفق فى رفق ، متجهة فى سهولة إلى عقولهم التى تكون قد تهيأت لاستيعابها منذ أول لقاء معها .

زميلى خالد أصبح الان الدكتور خالد أحمد عياده من كبار أطباء العيون فى مصر ، كما وصل والده إلى منصب رئيس المحكمة العليا الشرعية .

وذات يوم .. توفى أبى فجأة أثناء تناول الافطار كعادته مع أصدقائه فى بيت السيد حسن البار ، فحمله أصدقاؤه إلى بيتنا فى حدائق القبة . وكنا نستعد فى ذلك اليوم لاستقبال خالى وصديق أبى الحميم وزميله فى الأزهر بمناسبة وصوله منقولا للعمل فى القاهرة .

وكان أبى قبل أن يترك بيتنا فى ذلك الصباح قد أشرف بنفسه على إعداد حديقة البيت ، وذبح الكبش الذى كان قد أعده لوليمة الاحتفال بقدوم خالى .

وصلت إلى باب بيتنا سيارة السيد حسن البار ونزل منها أصدقاء أبى اليمنيون فتصورت أنه قد دعاهم لقضاء ذلك اليوم فى حديقة بيتنا ، إنتظارا لوصول خالى الذى كان أيضا صديقهم وزميلهم فإذا بهم يحملون أبى بين أحضانهم .

لم أفهم ماجرى ..

ناديت على أبى ولم يرد ..

مسكت ذراعه فسقط منى ..

لم أفق من الصدمة ولم أدرك أنه مات إلا عندما دق أذنى بكاء أصدقائه ، ورأيت دموعهم تغسل خدودهم ، فهو رفيق رحلتهم من اليمن وأديب هجرتهم فى مصر ، الذى عاش معهم ، ومات بينهم ، وحملوه بين أحضانهم .

كان ذلك صباح ١٣ يناير سنة ١٩٤٠ وكنت اناهز الرابعة عشرة من عمرى .

مات الآب الذى كان يعلمنى ، ويثقفنى ، وينتظرنى ، حتى أعود معه إلى اليمن .

مات الداعية الذى دعانى إلى أن أهب حياتى من أجل اليمن ، الذى زرع فى قلبى الإصرار على المشاركة فى النهوض بها ، الذى استمر طوال عمرى ومنذ نعومة إدراكى يشعرنى بأنه غريب فى مصر ، رغم ما يحيطه من مشاعر الود وأواصر الحب وعظيم الفضل وبالغ الكرم ، وغير ذلك من خصائص الشعب المصرى الأصيل .

كانت أمي وأسرتها المصرية تقدر ما يجول بخاطر أبى ويسيطر على وجدانه ويصوغ تصرفاته ، ويضبط إيقاع حركاته وسكناته ، وهو أن أعود معه إلى اليمن عندما أكمل دراستى ، وكانت أمي سعيدة بالسفر معه إلى حيث يشاء ، فهو الزوج الذى عاشت معه ثلاثة وعشرين عاما ، قضتها على أفضل ما تكون العشرة الزوجية .

لا غرو إذن .. إن هى استمرت فى شحن مشاعرى وخيالى واءمالى بالعودة إلى اليمن ، حتى بعد أن مات أبى ، وكانت تعتبر ذلك تجسيدا منها لترحمها عليه ، وتعبيرا عن وفائها له ، وإعلانا عن إقتناعها به ، وكانت ترى صورتها فيه .

وهو الرجل الذى رعى الله فيها .



بدأت أتدبر حالى ..

ماذا أفعل بعد موت أبى ..

أخذت أتذكر كلماته الكبار عن اليمن ، وأحاديث أصدقائه اليمنين عن أحوالها ، وكيف يعانى أهلها من التخلف والإرهاب والظلم والطغيان ، خلف جدران سجن كبير له أسوار عالية يسمونها حدود اليمن .

لماذا كان أبى يحلم بالعودة إلى هذا السجن الكبير ؟ ولماذا أراد أن يقودنى معه إلى خلف قضبانه العالية ؟ .

هل ضاقت به الدنيا فى مصر ؟

لم تضق بل اتسعت له على مصراعيها فكان أبى ناجحا فى مهنة المحاماه ، أعطاه الله الفصاحة والبيان والحجة ، وكان مجدا فى طلب الرزق ومشى فى مناكبها وأعطاه الله من رزقه ، كما لم يعط الكثيرين من المحامين الشرعيين .

إذن ..

لم ينذر نفسه للعودة إلى وطنه لاهثا وراء رزق ، أو ساعيا وراء جاه .

وإنما نذر حياته كلها للعودة إلى خلف قضبان ذلك السجن الكبير ، الذى كان يسميه الوطن الغالى ، ليس ليعيش فيه سجينا مكبلا بأغلال التخلف وقيود الخرافات كغيره من أبناء وطنه ، وإنما من أجل أن يشترك مع المصلحين اليمنيين فى الدعوة إلى تحطيم هذه القضبان ، وتحرير الشخصية اليمنية وميلاد المستقبل الأفضل .

تذكرت وصفه لذكاء وقدرة الشعب اليمنى وطاقاته الخلاقة ، التى تستطيع أن تستعيد أمجاده التاريخية ، وهو صانع أول حضارة اعترف بها العالم وتحدث عنها القران الكريم .

أخذت أتأمل وصف أبى لذكاء الشعب اليمنى وطاقاته الخلاقة بينما كان ، كما اعترف أبى وزملاء أبى وأجمع الرواه ، مستسلما لشريعة الغاب ، راقدا تحت أطلال التاريخ ، يبتسم لسيوف الطغاه ويهتف بحياة الجلادين .

فإذا كان الشعب اليمنى ذكيا ذا طاقة خلاقة ، كما قال أبى فلماذا يركع تحت أقدام السفاحين ويرضى بدفن عقول أبنائه فى مقابر الكتب الصفراء التى تقدس الحكام وتفرض الجمود فتحطم عقارب الزمن ؟ .

لم أكن قد سألت أبى عن أسباب التخلف فى اليمن ، ولم أسمع شيئا عن أمر هذه الأسباب أثناء الاجتماعات الدينية الرمضانية ، وفاتنى أن أعرف منه ومن أصدقائه كيف يتفق وصف الشعب اليمنى بالذكاء والطاقة الخلاقة مع استسلام نفس هذا الشعب للحياة على ذلك النحو المتخلف ، الذى كاد أن ينفرد به من بين شعوب الأرض .

هل هو الافراط فى حب الوطن قد أملى على أبى أن ينسب الذكاء والطاقة الخلاقة إلى أهل بلده .

لعلى أخطأت فى حقه عندما سألت نفسى هذا السؤال ، لأن حب الوطن ليس فيه افراط قط ، فالوطنية مشاعر لا نهائية .

ربما أسهب أبى في مدح صفات الشعب اليمنى إثارة للروح المعنوية التى ينبغى أن تسود مشاعر اليمنيين حتى تنطلق الدعوة إلى حياة يمنية أفضل .

مهما كان الأمر ، وجدت نفسى بعد موت أبي في حيرة من أمرى ، وجدت نفسى وحيدا فى التفكير والتأمل والتساؤل ، وكان لزاما علّى أن أبحث بنفسى عن جواب سؤالى .

ساقنى تساؤلى إلى البحث هل الإنسان مجبر أم مخير ؟ فإذا كان الله قد أجبر الإنسان اليمنى على النوم فى سباة الحياة المتخلفة ، إذن لا أمل فى إيقاظه من هذا التخلف . أما إذا كان الإنسان اليمنى ، كأى إنسان ، مخيرا يستطيع أن يختار ما يشاء من أشكال وأنماط حياته فعندئذ يمكن إيقاظ الشعب اليمنى ليبحث بإرادته عن أشكال وأنماط حياة أفضل ، بعد تبصيره بخطئه عندما رضى بحياته المتخلفة ، وتشبث بها دون سواها ، وكأنه اختارها دون غيرها .

وجدت نفسى شغوفا متطلعا إلى معرفة ما إذا كان الإنسان مجبرا أم مخيرا .

كان التوصل إلى إجابة هذا السؤال يمثل عندى حاجزا نفسيا توقفت عنده كل امالى وأحلامى ، إذ كيف يأمل الإنسان فى أمر لا يمكن عقلا أن يحققه ، طالما قد فرض الله عليه غيره .

كان الأقرب إلى عقلى أن الإنسان مجبر وليس له أن يختار ما يريد وهذا ما يفسر وصف أبى للشعب اليمنى بالذكاء والقدرة الخلاقة مع استسلام نفس هذا الشعب لإنهيار مجده ، وتحوله إلى قصة تتسلى عليها الأمم ، ويتندر بها الظرفاء ، وتسخر منها الضمائر .

انشغلت عن الدراسة في المدرسة وأخذت أتردد يوميا على دار الكتب المصرية فى باب الخلق بالقاهرة وأخذت أقرأ فى أمهات كتب العلماء الذين بحثوا مسألة الجبر والاختيار . أمضيت سنتين ذاهبا كل يوم إلى دار الكتب متشبثا بسؤالى ، عائد منها كل يوم بغير جواب . لأن علماء المسلمين مختلفون .

ومهما كان الحال لقد استفدت كثيرا من هذه القراءات والأبحاث الفلسفية والإجتهادات الفقهية بفضل ما تلقيت عن أبى وزملائه فى الأجتماعات الدينية ، وما تعلمت من المدرس الأزهرى المفرط فى قدرته على شد انتباه التلاميذ .

بينما كنت أفكر فى هذه الأمور ، متأملا أسرار الكون ، مشتاقا إلى فهم ألغاز الحياة ، حياة الإنسان ، حياة الأمم والشعوب ، مستغرقا فى تصور ماذا كان قبل الحياة ، وماذا يكون بعد الموت ، إذا بعينى تقع على دودة حرير كانت تتسلق على غصن يتدلى من أغصان شجرة التوت التى زرعها أبى فى حديقة بيتنا .

تذكرت أن هذه الدودة كانت بيضة قبل أن تكون دودة ، وأنها سوف تنسج من حولها شرنقة الحرير كى تستقر فيها أياما معلومات ، ثم تخرج منها فى هيئة أخرى ، إذ تخرج منها فراشة تطير بجناحيها بعد أن كانت دودة تزحف على أقدامها .

وهى حين تخرج فى هيئتها الجديدة فإنها تترك من ورائها وفى شرنقتها جثتها التى شكلت هيئتها السابقة عندما كانت دودة .

نحن البشر نشاهد هذه الأطوار ونتأملها ، ونكاد لا نستخلص منها الدرس المفيد والموعظة الحسنة ، ولا نروى عنها الحجة الدامغة والبرهان القاطع .

إننا البشر نشهد أن بيضة دودة الحرير ذات شكل مستدير وحجم صغير .

ونشهد أنها تتحول إلى دودة تمشى على الأرض .

ثم نشهد أنها بعد ذلك تصبح فراشة تطير فى الهواء .

ونشهد أيضا أنها تترك جثتها ترقد فى قبرها الذى يسمونه شرنقة الحرير .

ثم لانستطيع أن نشهد ما كان من أمرها قبل ذلك ، ولا ما يكون من مصيرها بعد ذلك .

تقف عقولنا عند هذه الحدود ، لا تتجاوزها أو تقفز من فوقها .

لا نعلم من أمر الفراشة شيئا عندما تتحول إلى هيئة أخرى ، لا نعرفها لأننا لا نشاهدها ، يسمونها موتا وقد تكون فى الحقيقة طورا آخر من أطوار خلقها .

لماذا نبحث عن أصل الإنسان قبل أن يولد ونختلف على مصيره بعد أن يموت ؟

لماذا لا نتصور عندما يدفن أحدنا فى قبره أنه ينتقل إلى طور أخر من أطوار خلقه ؟ شأنه فى ذلك شأن دودة الحرير حين تدفن نفسها فى قبرها الذى يسمونه شرنقة ثم تخرج منه فراشة تناسقت فى ألوانها .

لماذا نجهد أنفسنا ونجهد عقولنا ، تائهين لاهثين ونحن نبحث عن حقائق لا تدركها عقولنا ، ليس عجزا منها ولا قصورا فيها ، وإنما لأنها بحكم كونها عقولا مخلوقة فإنها ذات طاقات محدودة ، لا تسطيع أن تتجاوزها أو تقفز من فوقها ، لأن الذى خلقها قد رسم لها حدودها ، حتى لا يفسد نظام الكون عندما يستوى الناظم بالمنظوم ، أو يختل كيان الخلق عندما يستوى الخالق بالمخلوق .

إذن ، لا علينا إذا لم تصل عقولنا المخلوقة إلى ما كان قبل الخلق الذى نعرف هيئته ، وماذا يكون بعد الخلق الذى لا ندرك أسراره . فنحن البشر المخلوق لا نحيط بشىء علما إلا بما شاء الخالق أن نحيط به من الحقائق .

ومن هذه الحقائق أننا ، ونحن على هيئة الخلق التى نعرفها ، مطالبون باتباع ما أمر به الخالق والامتناع عما نهى عنه .

ونحن لا نتبع ولا نتمنع إلا إذا أتاح لنا الخالق قدرة الاتباع وقدرة الامتناع ، ثم أتاح لنا إرادة اختيار القدرة التى تتبع والقدرة التى تمتنع .

لذلك خلق الله فى الإنسان القدرة والإرادة لقصد أراده الله سبحانه وتعالى ، ليكونا موضع التكليف ومناط الجزاء ، وشرطا لنسبة الأفعال إلى الإنسان المكلف .

لكنه عندما يختار الإنسان فإنه لا يخرج عن دائرة علم الله الذى سبق أن خلقه .

إذن .. الإنسان لا بد أن يكون مخيرا .

وإن الله لا يمكن أن يكون قد فرض على شعب اليمن الفقر والتخلف والحياه تحت الظلم والطغيان والجبروت .

لابد حيئذ ، من أن تكون هذه الظروف اليمنية المتخلفة قد اختارها وأرادها شعب اليمن جيلا من بعد جيل ، فى نطاق علم الله الذى منذ الأزل يعلم أن شعب اليمن سوف يختار هذه الظروف بعينها ، طوال زمن لا نزال نجهل مداه ، ولا نعرف منتهاه ، بينما يد' الله قبل أن يخلق شعب اليمن .

عندما وصل ، عقلى الصغير ، إلى هذه الحقيقة البديهية ارتاح فؤادى وأطم قلبى على شعب اليمن ، وكانت البشرى التى شرحت صدرى لمستقبل اليمن ، لأننى امنت بأن شعب اليمن الذكى ذا الطاقة الخلاقه يمكنه أن يخطو إلى النهضة والحضارة عندما يختار ويريد النهضة والحضارة .

وهو لا يختار ويريد هذه النهضة والحضارة إلا إذا بصره المصلحون بأحواله القاسية التى يعيشها ، مقارنة بأحوال الأمم الأخرى التى أزدهرت ونهضت وتطورت ، وأطلعه المصلحون على تحليل الأسباب التى أوجدت هذه الأحوال القاسية وفرضتها عليه فاستسلم لها ، ثم لا تقف رسالة المصلحين عند هذا الحد ، بل يجب أن تتعداه إلى طرح مضمون الفجر الجديد ، فجر النهضة والحضارة .

والنهضة والحضارة ليست كلمات تلقى إلقاء عابرا فى معرض الحديث عن سيرة الأمم ، وإنما هى مناهج لمقومات جديدة تنبثق من ظروف كل أمة من بعد أن تستفيد ، قدر ما تستطيع مما وصل إليه العلم وبلغه التطور .

زاد يقينى واعتقادى أن دراستى فى مدرسة التجارة المتوسطة لا تمكننى من الاشتراك مع المصلحين من أبناء وطنى ، لأن إصلاح اليمن ، كغير اليمن ، يحتاج إلى دراسات مستفيضة فى العلوم التاريخية والنفسية والفلسفية إلى جانب دراسات متخصصة فى العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وشىء من ذلك لا يمكن تحصيله فى مدرسة التجارة المتوسطة التى كنت قد تركتها منذ سنتين أو يزيد .

كان لا بد من السعى إلى الالتحاق بالجامعة المصرية ، وبكلية الحقوق بالذات ، الأمر الذى يشرط أن يسبقه التحاقى بمدرسة ثانوية كى أحصل منها بعد أربع سنوات على شهادة الثقافة العامة ، وبعد سنة أخرى أحصل على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة الان) . وبغير ذلك لا يمكن أن التحق بالجامعة المصرية أو بغيرها من الجامعات .

كنت فى عجلة من أمرى ولم أطق الانتظار خمس سنوات أخرى حتى ألتحق بالجامعة المصرية فأخذت أبحث عن وسيلة أختصر بها هذه السنوات الخمس .

نصحنى أحد الأصدقاء بأننى فى وسعى أن أتقدم فى نفس تلك السنة لأداء الامتحان للحصول على شهادة الثقافة العامة نظام الأربع سنوات ، أى أن أؤدى الامتحان فى جميع مناهج ومواد سنوات الدراسة الثانوية فى امتحان واحد ، واضعا فى الاعتبار أن نسبة النجاح فى هذا النظام المعروف بنظام الأربع سنوات لا تتعدى نصف فى الآلف ، لا سيما بالنسبة إلى الطلاب الذين يدرسون مناهج السنوات الأربع فى منازلهم ، والذين لم يسبق لهم أن التحقوا بمدرسة ثانوية قط .

وهو نظام لا يزال معمولا به فى مصر حتى الان بالنسبة إلى شهادة الاعدادية وحدها .

فرحت بهذه النصيحة وسجلت اسمى فى إدارة الامتحانات العامة كطالب (من منازلهم) وكان ذلك فى شهر مارس سنة ١٩٤٥ أى قبل موعد الامتحان بما يقل عن أربعة أشهر ، وكنت قد قررت نهائيا ترك الدراسة فى مدرسة التجارة المتوسطة بعد أن وصلت فيها إلى السنة الثالثة قبل أن أعكف على القراءة فى دار الكتب المصرية .

علم خالى بهذا الخبر وكان ناظرا لإحدى المدارس الثانوية ، فظن أننى قد ضيعت نفسى فى هذا القرار كما ضيعت وقتى فى دار الكتب ، وأنه من المستحيل على مثلى الذى لم يدرس فى أية مدرسة ثانوية أن يستوعب مناهج وعلوم السنوات الأربع فى أربعة أشهر ، وفى البيت وبغير مدرسين ولا معمل للكيمياء .

صممت على رأيى فأمسك بعصاته وهم بضربى ، فهو خالى وزميل أبى رحمه الله وولى أمرى فضلا عن كونه ناظرا لمدرسة ثانوية يعرف أكثر منى نتائج هذه المجازفة .

كان مصرا على إعادتى إلى مدرسة التجارة المتوسطة وأن أتفرغ كلية للدراسة فيها كى أحصل منها على دبلوم التجارة بعد سنة واحدة حيث كنت فى السنة الثالثة .

أبديت اصرارى على عدم إضاعة سنة من عمرى للحصول على شهادة متوسطة لا أسعى اليها ، ولا ينشرح صدرى لها ، وأظهرت عزمى على ألا اضيع يوما واحدا يمكن أن يقربنى من الالتحاق بالجامعة وبكلية الحقوق بالذات .

تدخلت أمى وكانت تصدقنى مثلما كانت تصدق أبى ، كانت تعتبرنى رسالتها فى حياتها وذكراها بعد موتها ، فلم تقتصد جهدا من أجلى إلا بذلته ، ولا طريقا إلى تحقيق حلمى إلا ذللته . كانت لا تنام عندما أسهر متصفحا كتاب لعلى أطلب حاجة تساعدنى على عناء السهر ، فلا يضيع وقتى فيما لا يحسن أن يضيع فيه .

لكن خالى أكبر منها سنا ، وأكثر منها علما .

وهى أدرى منه بإصرارى وأعرف منه بعزيمتى .

هى التى سهرت معى وشاهدت حيرتى عندما كنت ، ابكر كل يوم ذاهبا مع كتاب إلى دار الكتب ، ثم أمسى عائدا منها مع كتاب اخر غير الذى رأتنى أسهر على قراءته فى كل ليلة سابقة .

هى التى غاصت فى أعماقى ، وذابت فى مشاعرى ، وأحصت خلجات صدرى ، ونبضات فؤادى .

أخذت تسوق الحجة تلو الحجة حتى اقنعت خالى ليتركنى وشأنى مع دراسة الثقافة نظام الأربع سنوات ، واسترسلت حتى اقنعتنى بألا أترك السنة الثالثة بمدرسة التجارة المتوسطة التى ، أمام عزيمتى وإصرارى ، لن تستغرق وقتا يشغلنى عن الاعتكاف للدراسة الثانوية ، ولعل الله يوفقنى فى هاتين الدراستين المختلفتين أعظم الاختلاف .

اقتنعت برأى أمى ، ارضاء لخالى ، شديد الحرص على حصولى على شهادة التجارة المتوسطة ، قدر حرصه على مستقبل ابنه الذى أصبح فيما بعد اللواء محمد رفعت وهبة مساعد وزير الحربية وقائد سلاح الإشارة بالقوات المسلحة المصرية ثم وكيل أول وزارة المواصلات .

بدأت أتقبل التحدى وأنزل إلى ميدان الصراع ، جمعت كتب المدارس الثانوية من أولها إلى اخرها ، طفت بأصدقائى الذين كانوا يتأهبون لأداء امتحان الثقافة العامة نظام السنة الواحدة حيث كانوا من طلبة المدارس الثانوية المنتظمين .

وجعلت استرق السمع عندما كان بعضهم يتلقى دروسا خصوصية فى المواد الرياضية ، التى لم يكن من السهل على المرء أن يستوعبها من مجرد قراءة مناهجها ومجلداتها ، بغير شرح من مدرس ولا تمرين فى مدرسة .

كنت شديد الحرص على تثبيت فؤاد أمى فلا أنتقص شيئا من ثقتها فى عزيمتى واطمئنانها إلى إصرارى ، ولذلك لم أطلب منها أن تستأجر مدرسا يعيننى على هذه الدراسة التى وصفها خالى بأن النجاح فيها ضرب من ضروب الخيال ، ووصمنى بأننى تركت حقيقة النجاح الممكن وتعلقت بوهم الأمل المستحيل .

أخذت ألتزم الذهاب يوميا إلى مدرسة التجارة ، وبدأ القلق على مستقبلى يملأ صدرى والإشفاق على نفسى يعتصر قلبى ، لأن وقت المدرسة كان يضيع سدى وينقضى هباء ، دون أن أظفر بأى جديد سوى ألوان متزايدة من شغب الطلاب ودرجات متناقصة فى اهتمام المدرسين .

ذهبت إلى ناظر مدرسة التجارة المتوسطة الأستاذ مصطفى حسن وأطلعته على ما يثبت تسجيل اسمى ضمن الطلبة المتقدمين لامتحان شهادة الثقافة نظام الأربع سنوات ، وشرحت له أسباب قلقى من ضياع وقتى بالمدرسة بينما كنت فى سباق رهيب

مع الزمن ، وتحدى حاسم مع النفس ، وعزم أكيد على تخطى العقبات ، وتحقيق ما يدينه خالى مقتنعا بأنه المستحيل ويتشبث به خيالى معتقدا أنه الممكن ، لأنه الحلم والأمل والرجاء .

وطلبت من الأستاذ الناظر أن يعفينى من نسبة الحضور إلى المدرسة فأعفانى منها بعد أن شد على يدى ، ودعى الله أن يوفقنى فيما عزمت عليه ، وإن لم يستطع إخفاء حيرته من أمرى وإعجابه بعزيمتى وصدق مشاعرى .

وفقنى الله إلى النجاح فى مدرسة التجارة المتوسطة وانتقلت إلى السنة الرابعة ، سنة الحصول على الدبلوم ، وعندما ظهرت نتيجة امتحان الثقافة العامة كنت والحمد لله من الناجحين.

كانت فرحة أمى ليس لها حد ، ودهشة خالى ليس لها وصف . أما أنا فقد حمدت الله جلت قدرته ، وبدأت أشعر بأننى أسير فى الطريق الصحيح ، طريق العودة النافعة إلى اليمن .

فى السنة التالية (١٩٤٦) حصلت على دبلوم التجارة المتوسطة وشهادة التوجيهية فى نفس الوقت ، فالتحقت بكلية الحقوق .



لم أجد علوم كلية الحقوق تشغل وقتى كله ، ولم تتضمن أية دراسات عن الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ، وهى العلوم المكملة للحد الأدنى لثقافة من يسعى إلى إصلاح الشعوب ، فالتحقت فى نفس الوقت بالجامعة الأمريكية بالقاهرة لدراسة الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع .

كان الدكتور بادو أستاذ الفلسفة فى هذه الجامعة من أكثر الذين شدوا انتباهى وملكوا ناصية أذنى ، وهم يثرون عقلى بألوان متعددة من العلوم والمعارف ، ولا زلت أذكره عندما ينسى نفسه ويندمج بكل حواسه ، وهو يشرح فلسفة أفلاطون ومدينته الفاضله وهرمه المعكوس وبقية أفكاره السياسية .

كان اليمنيون المقيمون فى مصر قليلين ، لم يتجاوزوا أصدقاء أبى وأولادهم ، ثم وصل إلى القاهرة فى نفس ذلك العام (١٩٤٦) أربعة طلاب من اليمن أرسلهم الأمير سيف الإسلام أحمد ولى العهد ، فى ذلك الوقت وهم حسين الحبيشى[١] وعلى عبده سيف وعبد العزيز الفتيح[٢] ومحمد عبد الله عبده ، أرسلهم ولى العهد إلى مصر ليدرسوا فى المدارس الثانوية .

وكانت الجامعةالعربية قد تأسست واشتركت فيها اليمن وأصبح لها مندوب فى القاهرة ، فأرسل أصدقاء والدى رسالة إلى سيف الإسلام أحمد ولى العهد بواسطة مندوب اليمن لدى الجامعة العربية ، ينصحون له أن يضمنى إلى أفراد البعثة التعليمية الأربعة ، وكنت فى ذلك الوقت قد التحقت بكلية الحقوق ، ولم يرد على هذه الرسالة لا بالموافقة ولا بالرفض .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨ قام الانقلاب المعروف بانقلاب عبد الله الوزير ، ثم سمعت عن فشل هذا الانقلاب وإعدام معظم القائمين عليه ، أما الباقون فقد سجن أكثرهم وهرب أقلهم . وكنت قد انتقلت إلى السنة الثانية بكلية الحقوق .

كان الأستاذ زكى محمد غانم يعمل مدرسا أول للغة العربية فى عدن ومندوبا لوزارة المعارف (التربية والتعليم) المصرية ، ووقع اختياره على ثلاثة طلاب يمنيين متفوقين كانوا يدرسون فى المدرسة التى يلقى فيها دروسه فى عدن ، فأوصى الوزارة المصرية

---

(١) حاليا المستشار القانونى لرئاسة الجمهورية .
(٢) وزير الزراعة فى وقت لاحق بعد قيام الثورة .

بطلبهم إلى القاهرة لالحاقهم بالمدارس الثانوية المصرية . وصلوا إلى القاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ وهم محمد قائد سيف[١] وعبد الغنى على[٢] ومحمد أنعم[٣] واستقبلهم السيد على إسماعيل المؤيد مندوب اليمن لدى الجامعة العربية . ثم توطدت علاقتى الشخصية بهم جميعا وكنت عظيم الإعجاب بميولهم الوطنية حتى نشأت علاقة خاصة بين محمد قائد سيف وبينى لكثرة حديثه عن اليمن وإصراره على الالتحاق بالكلية الحربية المصرية .

وكانت تدرس فى مدارس لبنان بعثة تعليمية يمنية تبلغ نحو أربعين طالبا أو يزيد فأشار القاضى محمد عبد الله العمرى رحمه الله وكيل وزارة الخارجية اليمنية على الإمام أن ينقل هذه البعثة إلى مصر ووافق الإمام ، وكان القاضى محمد عبد الله العمرى من أقرب المقربين إلى الإمام أحمد فقد قتل والده القاضى عبد الله العمرى مع الإمام يحيى والد الإمام أحمد فى نفس سيارته عند قيام الانقلاب فى تلك السنة .

عند وصول هؤلاء الطلبة اليمنيين إلى القاهرة فى مارس ١٩٤٩ أرسلهم القاضى العمرى إلى بنى سويف للدراسة فى الجو الريفى بعيدا عن جو القاهرة السياسى .

وكان من أشهر الطلبة اليمنيين من أعضاء هذه البعثة محسن أحمد العينى[٤] وعبد الله الكرشمى[٥] وحسن مكى[٦] وعبد الله جزيلان[٧] وعبد اللطيف ضيف الله[٨] ومحمد الأهنومى[٩] وعلى سيف الخولانى[١٠] وعبد الرحيم عبد الله[١١] ومحمد جبارى[١٢] ومحمد عبد العزيز سلام[١٣] ومحسن السرى[١٤] ومحمد الرعدى ويحيى جغمان[١٥] .

على أثر وصول هذه البعثة التعليمية إلى مصر أصدر الإمام أحمد امام اليمن الذى انتصر على انقلاب عبد الله الوزير قبل ذلك بنحو شهرين قرار بضمى إلى هذه البعثة ثم ضم إليها الطلاب الثلاثة الذين كانوا قد وصلوا من عدن فى ديسمبر ١٩٤٨ (محمد قائد سيف وعبد الغنى على ومحمد أنعم) .

---

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير شئون رئاسة الجمهورية .
(٢) وزير الخزانة عند قيام الثورة .
(٣) وزير التربية والتعليم فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(٤) رئيس الوزراء فى وقت لاحق بعد قيام الثورة .
(٥) وزير الأشغال عند قيام الثورة .
(٦) رئيس الوزراء فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(٧) عضو مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس وزراء فى وقت لاحق .
(٨) عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس المجلس التنفيذى فى وقت لاحق .
(٩) وزير الداخلية فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(١٠) وزير الشئون الاجتماعية ثم رئيس الأركان العامة فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(١١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الطيران .
(١٢) وزير الاقتصاد فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(١٣) وزير الخارجية فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(١٤) وزير الاقتصاد فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(١٥) وزير الخارجية فى وقت لاحق لقيام الثورة .

وكان السيد يحيى المضواحى يتولى إدارة هذه البعثة التعليمية متفانيا فى تلبية حاجاتهم معرضا نفسه لغضب الإمام كلما طالب بالمزيد من الاهتمام بشئونهم .

التحق أفراد هذه البعثة فى مراحل دراسية مختلفة بالمدرسة الثانوية فى بنى سويف ، بينما شدتنى شخصية السيد على إسماعيل المؤيد حيث كان عذب اللسان ، خالص النية ، صادق النصح ، عظيم الحرص على مستقبل اليمن ومصلحة الطلبة الذين كان يسهر على تدبير شئونهم فوق أعبائه كممثل للحكومة اليمنية لدى الجامعة العربية ، علاوة على واجباته الأخرى التى كان أثقلها على النفس تكليفه برعاية شئون اليمنيين الذين كانوا يفدون إلى مصر للزيارة أو للمعالجة ، وكان هؤلاء يطلبون منه ما لا يطيق .

كان يعاونه فى أعماله الإدارية إبن عمه السيد عبد الله المؤيد وهو ذو خلق عظيم ، ولما كثرت الأعباء الملقاه على ممثل اليمن السيد على إسماعيل المؤيد ، وكنت الطالب اليمنى الوحيد الذى يدرس فى الجامعة المصرية علاوة على درايتى باللغة الإنجليزية ، طلب منى أن أتردد فى وقت فراغى على مقره الرسمى فى حدائق القبة وكان قريبا من بيتى ، وكلفنى بأعمال الترجمة وإعداد المذكرات ومرافقة الوفود اليمنية الرسمية عند زياراتها لمصر .

اعتقدت فى ذلك الوقت أن الإمام أحمد قد فتح صفحة جديدة ومشرقة فى تاريخ اليمن ، وظننت أنه قد استوعب الدرس المستفاد من انقلاب عبد الله الوزير الذى اشترك فيه أحرار اليمن .

إزداد يقينى أن الإمام أحمد يتجه فعلا إلى الإصلاح عندما لاحظت كثرة الوفود اليمنية الرسمية التى كانت تصل إلى مصر ، وكثرة الزوار والمرضى اليمنيين الذين كانوا ينشدون الراحة ويلتمسون العلاج فى القاهرة على نفقة الحكومة اليمنية ، وهم يعودون إلى اليمن بأفكار جديدة .

تأصل فى نفسى الاعتقاد أن الإمام يتجه فعلا إلى الإصلاح لأن التخلف الرهيب الذى ساد اليمن منذ عدة قرون كان قد احتمى وتعمقت جذوره خلف أسوار العزلة التى فرضها الإئمة السابقون على شعب اليمن ، فإذا سمح الإمام بفتح ثغرة فى أسوار هذه العزلة فإن أضواء الحضارة سوف تصل إلى شعب اليمن أراد الإمام أو لم يرد .

وكانت الأخبار التى وصلتنى والمعلومات التى عرفتها عن الإمام أحمد تجمع على أنه رجل حاد الذكاء ، حاضر البديهة ، واسع الحيلة وعظيم الدهاء . رجل على هذه الصفات لا يمكن أن يسمح بفتح ثغرة فى أسوار العزلة اليمنية إلا إذا كان قد امن هو الاخر بحتمية الاصلاح فى اليمن ، وأنه من حدة ذكائه وحاضر بديهته وسعة حيلته وعظيم دهائه قد اختار ، راغبا أو مكرها ، أن يتولى بنفسه قيادة الإصلاح على النحو الذى يتفق مع نيته ولا يمس سلطانه ، وبالسرعة التى تسمح بها ظروفه الشخصية قبل أن تفرض الظروف اليمنية والعصرية أن يقوم غيره بهذا الإصلاح .

كان يقينى أن أى قدر من الإصلاح يتم على يد الإمام أحمد وفى عهده يمكن أن يكون بمثابة الخطوة الأولى على طريق الإصلاح فى اليمن ، وبمثابة حجر الأساس فى بناء صرح النهضة اليمنية الكبرى ، وكنت أذكر المثل الصينى الذى يقول (مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة) .

غمرتنى البهجة عندما قرر الإمام أحمد ضمى إلى بعثة الطلبة اليمنيين فى مصر ، وازدادت هذه البهجة عندما قرر السيد على إسماعيل المؤيد أن أعاونه فى عمله وأن أشترك بصفة خاصة فى تدبير شئون الطلبة اليمنيين .

أما فرحتى باللقاء المستمر مع إخوانى أبناء اليمن من الطلبة وأعضاء الوفود الرسمية والزوار والمرضى فقد كانت أجل من كل وصف ، وأسمى من كل تعبير . وإن شئت قلت إننى عاجز عن وصفها بما أتاح الله لى من معرفة باللغة العربية .

أكملت دراسة الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع فى الجامعة الأمريكية ، ثم حصلت سنة ١٩٥٠ على ليسانس كلية الحقوق بدرجة شرف فأقام السيد على إسماعيل المؤيد مأدبة عشاء فى مقره الرسمى احتفالا بأول خريج يمنى يتخرج من الجامعة علاوة على حصوله على مرتبة الشرف .

كان يزور القاهرة فى ذلك اليوم وفد رسمى برئاسة السيد على بن ابراهيم أمير الجيش اليمنى ومعه القاضى أحمد الجرافى وغيره ، وأذكر أننى كنت معهم فى زيارة رسمية لكلية الشرطة بالقاهرة حيث أمضينا اليوم كله فى ضيافة مديرها ، ثم توجهنا معا إلى مقر السيد على إسماعيل المؤيد ، وكان معنا عدد من أساتذة كلية الشرطة فوجدنا فى إنتظارنا فى حفل العشاء أصدقاء أبى الذين نصحوا الإمام بأن يضمنى إلى بعثة الطلبة اليمنيين فى مصر ، وكان السيد على إسماعيل المؤيد قد دعاهم إلى ذلك الحفل بعد أن أبرق إلى الإمام أحمد بأننى قد أتممت دراستى فى كلية الحقوق ، وكان الإمام أحمد يتابع نشاطى الذى كان راضيا عنه كل الرضا ، مطمئنا إليه كل الإطمئنان .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ
جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا
مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ

قرآن كريم

فى البلدة الطيبة

الفصل الثانى

١

وصلتنى برقية من الإمام أحمد تأمر بوصولى إلى اليمن لمقابلته ، فوصلت فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٠ إلى مدينة تعز حيث كان الإمام قد اتخذها عاصمة ثانية لليمن ، مبتعدا عن صنعاء التى كانت مسرحا لانقلاب عبد الله الوزير (١٩٤٨) والتى كان الإمام أحمد قد أذن للقبائل بنهبها كسلاح من أسلحته فى إجهاض الانقلاب ، وعقاب من عقوباته لأهل صنعاء .

وعندما وصلت إلى تعز قبلت ترابها الغالى ، وكانت قد تحركت أشجانى والتهبت مشاعرى نحو الوطن الخالد الذى انتسب إليه وأراه لأول مرة فى حياتى ، وكان عمرى عندئذ أربعة وعشرين عاما .

هالنى ما رأيت فى وطنى الحبيب .

رأيت التخلف الرهيب فى أبشع صوره .

أثناء إقامتى فى دار الضيافة فى تعز أخذت اراجع تقريرا مطولا عن كيفية تطوير البلاد ، بناء على معلوماتى السابقة عن اليمن ، كى أقدمه إلى الإمام أحمد عند تشرفى بمقابلته .

وعندما التقيت بالإمام أحمد فى دار الناصر بتعز بحضور خاصة جلسائه ومن بينهم السيد أحمد زبارة[١] والسيد عبد الله عبد الكريم زوجى إبنتيه والسيد حمود الوشلى والقاضى أحمد الحضرانى هممت بفتح حقيبة أوراقى لالتقط منها التقرير الذى سهرت على مراجعته ، فإذا بالإمام يقف فجأة وينهى المقابلة ويدخل الغرفة المجاورة وأخذ الحاضرون ينصرفون .

علمت فيما بعد أننى عندما بدأت أفتح حقيبتى ظن الإمام أننى سأخرج منها سلاحا ، فندمت على ما فعلت حيث كان من الواجب أن أترك الحقيبة خارج غرفة اللقاء مع الإمام وأن أحمل تقريرى فى يدى .

كان عذرى أننى أجهل تقاليد اللقاء مع جلالته .

---

(١) حاليا مفتى الجمهورية

أمضيت فى دار الضيافة نحو شهرين تأكدت خلالهما أن التقرير الذى كنت قد أعددته تنقصه الأمور الكثيرة ، لأن أسباب وجذور التخلف فى اليمن ضاربة فى أعماق المجتمع اليمنى ، وأن المعلومات التى سبق أن جمعتها عن اليمن لا تعدو أن تكون قشرة على سطح الحقيقة المرة .

غير أننى أثناء إقامتى فى تعز إلتقيت بالإمام أحمد عدة مرات ، وكنت أزداد يقينا ، فى كل مرة ، أنه المصلح الذى تنتظره اليمن . كان واضحا وصريحا عندما يتحدث عن الإصلاح ، وكانت كلماته توحى بأنه يبحث عن الوسيلة ، ويفتش عن البرنامج ، وينتظر الرأى السديد .

أمر الإمام بتعيينى سكرتيرا أولا للسفارة اليمنية بالقاهرة ونائبا للسيد على المؤيد فى تمثيل اليمن لدى الجامعة العربية ، وطلب منى موافاته من القاهرة بأفكارى عن إصلاح اليمن .

فى طريقى إلى القاهرة توقفت الطائرة اليمنية بضعة أيام فى أسمرة لإصلاحها من عطب أصابها فى الطريق ، وتجمع الصحفيون واليمنيون فى الفندق الذى كنت أقيم فيه يسألوننى عن مستقبل التطور فى اليمن ، باعتبارى أول خريج يمنى جامعى ، فعقدت أول مؤتمر صحفى فى حياتى شهده كبار الزملاء اليمنيين الموجودين فى أسمرة وعلى رأسهم فى ذلك الوقت القاضى عبد الله الحجرى والعميد غالب الجرموزى .



من اليمين إلى اليسار : أحد علماء الأزهر ، القاضى عبد الله الحجرى رئيس هيئة الأمر بالمعروف ، الأستاذ عبد الله طاهر مدير اللاسلكى ، المؤلف ، العميد غالب الجرموزى مدير الطيران (عام ١٩٥١) .

فى هذا المؤتمر أشدت كثيرا باتجاه الإمام أحمد نحو الإصلاح ، وأنه طلب منى تزويده بالبرامج الإصلاحية التى تتفق مع ظروف اليمن ، وأضفت قائلا أننى سأعكف على دراسة وإعداد هذه البرامج على ضوء الظروف التى رأيتها فى اليمن .

وعندما وصلت إلى القاهرة بدأت فى دراسة خطة لتطوير اليمن .

وجدت أن الإصلاح ينبغى أن يعتمد على حلول إقتصادية ذات طابع إسلامى حتى يمكن أن يتقبل المجتمع اليمنى هذه الحلول ولا يعارضها الإمام .

تبينت أن ثقافتى التى حصلت عليها من كلية الحقوق والجامعة الأمريكية لا تؤهلنى لاختيار هذه الحلول بعد ما رأيت فى اليمن .

فقررت أن أزيد عليها دراسات فى العلوم الاقتصادية والإسلامية فحصلت من جامعة القاهرة على دبلوم الدراسات العليا فى الاقتصاد السياسى سنة ١٩٥٢ ثم دبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الإسلامية من نفس الجامعة سنة ١٩٥٣ .

أثناء عملى سكريترا أولا للسفارة اليمنية ومندوبا مساعدا للسيد على إسماعيل المؤيد لدى الجامعة العربية قمت بتمثيل اليمن فى جميع لجانها ، وكنت رئيسا للجنة الشئون القانونية التى صاغت أول اتفاقية عربية لتبادل تسليم المجرمين ، وكنت مقررا للجنة الشئون الاجتماعية التى صاغت أول توصيات للتكافل الاجتماعى .

اشتركت فى الوفد اليمنى لدى حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية التى نظمتها الأمم المتحدة فى دمشق (٨ - ٢٠ ديسمبر ١٩٥٢) وكان معى القاضى إسماعيل الجرافى حيث ألقيت فى هذه الحلقة بحثين علميين أحدهما عن (الصلة بين التنمية الاقتصادية والحاجة إلى التكافل الاجتماعى) والثانى عن (التشريع الإسلامى المقارن وتمويل التكافل الاجتماعى) .

فاز هذان البحثان بجائزتين ماليتين من الأمم المتحدة وقامت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بطبعهما فى مجلد عن تلك الحلقة .

كما كنت مقررا للجنة الشئون الإدارية التى كان يرأسها مندوب العراق الأستاذ عبد القادر الكيلانى التى شكلها مجلس الجامعة لإعادة تنظيم الأمانة العامة للجامعة . كانت علاقاتى الشخصية قد توطدت مع جميع مندوبى الدول العربية ، وبعد قيام الثورة المصرية فى ٢٣ يولية ١٩٥٢ دعانى الإمام أحمد إلى اليمن وأطلعنى على رغبته فى إيجاد علاقات قوية وخاصة مع رجال الثورة المصرية ، وكان فى ذلك الوقت غير مطمئن إلى نوايا أخيه سيف الإسلام الحسن الذى كان الرجل المفضل لدى المتزمتين المتشبثين بالماضى وتقاليده وكان ينتقد أى تصرف إصلاحى يمكن أن يقبله الإمام ، وكان يعتقد أنه يستطيع بذلك أن يكسب المزيد من الشعبية .

أراد الإمام أحمد أن ينشىء علاقة خاصة برجال الثورة المصرية كى يظهر أمام الشعب اليمنى بأنه راغب فى الإصلاح متطلع إليه عامل عليه ، كما كان يسعى إلى أن تشمل هذه العلاقة الخاصة تأييد مصر لإبنه سيف الإسلام البدر الذى كان الإمام أحمد يحلم بأن يعلنه وليا للعهد ويسعى سرا إلى جمع الأنصار من حوله .

وكنت من أنصار الشاب سيف الإسلام البدر الذى كان يتحدث عن الإصلاح بغير تحفظ .

عدت إلى القاهرة وتوجهت إلى مقر مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة حيث استقبلنى المقدم أركان حرب كمال عبد الحميد ، وكان مديرا للشئون العربية لمجلس قيادة الثورة وسكرتيرا عاما لوزارة الحربية(ويعمل الان مستشارا عسكريا للحكومة الكويتية) .

أطلعت المقدم كمال عبد الحميد على رغبة الإمام أحمد فاستمهلنى ثلاثة أيام حتى يعرض الأمر على (البكباشى) جمال عبد الناصر ، وبعد ثلاثة أيام أخبرنى بترحيب قيادة الثوة المصرية بتوطيد علاقتها مع الإمام أحمد وإبنه سيف الإسلام البدر .

وبحسب تخطيط الإمام أحمد سافرت إلى اليمن ومعى المقدم كمال عبد الحميد لمقابلة الإمام والبدر وكان ذلك فى يناير ١٩٥٣ .



المؤلف مع المقدم كمال عبد الحميد ، أول مبعوث عسكرى مصرى يصل إلى اليمن بناء على طلب الإمام أحمد بعد قيام الثورة المصرية (يناير ١٩٥٣) .

وتمت اللقاءات المرسومة التى نجحت إلى أبعد حد فى خلق ثقة متبادلة بين الإمام والبدر من جهة وقادة الثورة المصرية من جهة أخرى ، وأشهد أن المقدم كمال عبد الحميد كان فى قمة الحكمة والبيان حين أقنع الإمام بأنه من صميم صالحه الشخصى أن يرعى إبنه البدر وهو يتصدر مشروعات النهضة فى اليمن ، الأمر الذى يزيده شعبية ويعتبر فى نفس الوقت رصيدا شخصيا وتاريخيا للإمام .

أثناء إجتماع مغلق لدى الإمام حضرته مع البدر والمقدم كمال عبد الحميد ، اقترحت أن يطلب الإمام من مصر بعثة من المدربين العسكريين المصريين لتدريب الجيش اليمني في تعز ، يكون نواة للقوة العسكرية التي يمكن أن يعتمد عليها البدر إذا ما فرض عليه الصراع من جانب عمه سيف الإسلام الحسن ، الذي كان في ذلك الوقت يجمع من حوله الكثيرين من رجال الدين والقبائل .

وافق الإمام أحمد على هذا الاقتراح وطلب من المقدم كمال عبد الحميد أن يحمل هذا الرجاء إلى القادة في مصر .

عاد المقدم كمال عبد الحميد إلى مصر وتأخرت في تعز لأبحث مع البدر خطوات مسيرته نحو ولاية العهد ، وكان أبرز رجال الجيش اليمني في تعز المقدم أحمد يحيى الثلايا ، وكانت تجمعني به صداقة تسودها الصراحة وعدم التحفظ فشرحت له نوايا الإمام أحمد الذي وافق على تدريب الجيش على أيدي ضباط مصريين ، كما شرحت له مدى إستعداد البدر للإصلاح بصفة عامة مؤكدا أنه المرشح الصالح لولاية العهد ، والرجل الذي ينبغي على كل اليمنيين المتطلعين إلى النهضة أن يقفوا معه .

إتفقت مع المقدم أحمد يحيى الثلايا معلم الجيش اليمني في تعز على أن نقوم سويا بزيارة البدر ليبلغه تأييده له ، بعد أن اتفقت مع البدر على موعد ذلك اللقاء .

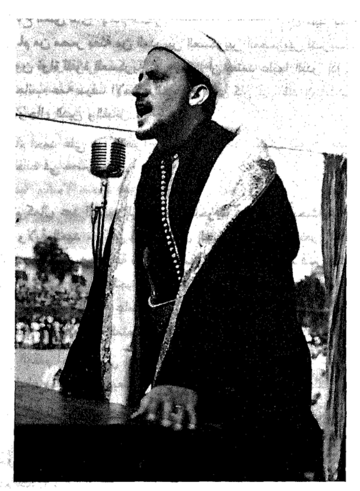
أثناء الاجتماع مع البدر أبدى المقدم أحمد يحيى الثلايا رغبته في أن يتأكد من أن الإمام يبارك تأييد الجيش للبدر حتى يطمئن على أن الإمام لن يغضب من ذلك ، فذهبت إلى الإمام أحمد وأبلغته رأي المقدم الثلايا فأعجب به وطلب مني أن أعود إليه في اليوم التالي ومعي المقدم الثلايا .

وعندما التقى الإمام مع المقدم الثلايا بحضوري وضع الإمام يده على كتف المقدم وباركه وتمنى له التوفيق ، ووعده بالاستجابة إلى طلباته سواء أكانت شخصية أو تتعلق بأفراد الجيش .

لم يطلب المقدم الثلايا أي مطلب شخصي ، وإنما تمنى أن يتم فعلا تدريب الجيش على أسلحة حديثة ، وعلى أيدي الضباط المصريين كما فهم مني .

قال الإمام للمقدم الثلايا أنه في إنتظار وصول الضباط المصريين إلى تعز ، وطلب منه أن يبدأ منذ ذلك الوقت باختيار الأفراد الصالحين لتلقي مثل هذا التدريب ، لا سيما أنه قد طلب من مصر بعض الأسلحة الحديثة كنماذج يتم التدريب عليها .

فرح المقدم أحمد يحيى الثلايا بهذا الخبر وكأنه يفرح لأول مرة في حياته ، أو كأنه لم يسمع طوال عمره عن خبر أسعد إلى قلبه من ذلك الخبر ، وهو تدريب الجيش اليمني على الأسلحة الحديثة وإيجاد نظام عسكري عصري في اليمن ، وهو المنطلق الأول والأساسي لنهضة اليمن ، تلك النهضة التي كانت كل أحلام المقدم أحمد يحيى الثلايا ، وكان لا يحلم بغيرها .



المؤلف يلقى كلمة يشيد فيها بموافقة الإمام على تدريب الجيش اليمنى على الأنظمة العسكرية الحديثة ، وذلك فى أحد الإحتفالات الشعبية بمناسبة أحد الأعياد بحضور الإمام أحمد (فبراير ١٩٥٣)

أمر الإمام بترقيتى إلى رتبة مستشار للسفارة اليمنية بالقاهرة إلى جانب عملى فى السفارة وتمثيلى لليمن لدى الجامعة العربية مع السيد على المؤيد ، كما أمر الإمام بأن أتولى الإشراف العام على جميع الطلبة اليمنيين فى مصر ، وكان بعضهم قد التحق بالجامعة وبعضهم لا يزال فى المدرسة الثانوية ، وكان مقرهم قد انتقل من بنى سويف إلى حلوان إحدى ضواحى القاهرة .

لاحظت أن العلاقات بين الإمام وممثله فى القاهرة السيد على المؤيد قد أخذ يشوبها نوع من الفتور ، وبدأت البرقيات الرمزية التى كنا نتلقاها من الإمام تحمل على السيد على المؤيد حملة نكراء ، ولم تخلو فى كثير من الأحيان من الألفاظ الجارحة .

لم أستطع أن أعرف على وجه اليقين أسباب ذلك الفتور ، سوى أن بعض الطامعين فى منصبه ، وكان من بينهم السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب الذى حل محله فى العام التالى مباشرة ، ينقلون عنه إلى الإمام أقوالا لم يقلها ، ويبالغون للإمام فى وصف

أفعال لم يفعلها ، ولعل الإمام قد صدقهم عندما كان السيد على المؤيد لا يقصر فى إرسال مقترحات الإصلاح التى كان يتلقاها من يمنيين ومصريين وغيرهم من الناصحين ، الذين كانوا يكتبون إلى الإمام بأصدق النصح وأحسن القول .

ربما استمع الإمام إلى شكوى المرضى اليمنيين الذين لم يشفهم علاج القاهرة فحملوا عشوائيا على السيد على المؤيد ، وكأنه المسئول عن العلاج والشفاء وكان من بين هؤلاء على وجه اليقين القاضى أحمد الحلالى رئيس الديوان الملكى نفسه . أو لعل الإمام استمع إلى نقد الزوار اليمنيين الذين كانوا يترددون على القاهرة ويستنفذون ميزانية السفارة ، وعندما يضطرون إلى العودة إلى اليمن لا يبخلون على السيد على المؤيد بالنقد اللاذع لدى الإمام ، إلى الحد الذى تجود به قرائحهم ويصل إليه خيالهم .

وأغلب الظن أن الإمام كان قد استمع إلى كل أولئك وهؤلاء وبدأ يكيد لممثله فى مصر السيد على المؤيد الذى كان كثيرا ما يزورنى فى بيتى القريب من مقره ، وكان يصحب معه ، فى كثير من الأحيان الطالب اليمنى محمد قائد سيف الذى كان على وشك التخرج من الكلية الحربية ، وكان أول من تخرج من بعدى من الطلبة اليمنيين فى مصر أو خارج مصر .

كان الحماس للعمل الذى عهدته فى السيد على المؤيد قد أخذ يتناقص يوما بعد يوم وكان يكلفنى بالقيام بمعظم الأعمال التى كان من المفروض أن يقوم بها بنفسه .

كان من المقرر أن يمثل السيد على المؤيد الحكومة اليمنية فى مؤتمر وزراء المال والاقتصاد العرب فى مدينة شتوره بلبنان (٢٠ يوليه - ١٠ أغسطس ١٩٥٣) وإذا ببرقية تصل من الإمام يأمر فيها بأن أقوم بتمثيل الحكومة اليمنية بدلا من السيد على المؤيد .



المؤلف مع الأستاذ رشيد كرامى وزير الاقتصاد اللبنانى أثناء إنعقاد مؤتمر المال والاقتصاد العربى (أغسطس ١٩٥٣)

سافرت إلى لبنان وانتخبنى أعضاء المؤتمر مقررا ، فاشتركت بدور فى أعمال المؤتمر ، وعلى سبيل المثال قمت بالتوفيق بين سوريا والعراق فى صياغة مواد اتفاقية السوق العربية المشتركة بالقدر الذى يحمى منتجات الحرير الصناعى السورى خفيف الوزن أمام المنتجات الأجنبية ، وفى نفس الوقت لا يحول دون رواج الحرير الصناعى العراقى ثقيل الوزن فى الأسواق العربية ، وكانت الصناعة العراقية فى ذلك الوقت لا تزال فى أول الطريق .

كما قمت بدور أساسى فى مناقشات وصياغة أول اتفاقية للوحدة الاقتصادية العربية على النحو المسجل فى محاضر جلسات ذلك المؤتمر .

انتفعت كثيرا من تمثيل اليمن فى مثل هذه المؤتمرات وجلسات اللجان المتخصصة فى الجامعة العربية . عرفت الكثير عن أحوال الشعوب والحكومات العربية وأبعاد الأزمة العربية والمشاعر السائدة بين هذه الحكومات ، ولم أكن أحفل كثيرا بهذه المعرفة إلا بالقدر الذى تنظر به كل حكومة من هذه الحكومات إلى اليمن ، والقدر الذى يعيننى على تصور مستوى الشعب اليمنى من المستويات الحضارية التى يعيشها أبناء الشعوب العربية الأخرى ، ثم القدر الذى يساعدنى على التعرف على وسائل النهوض بشعب اليمن .



من اليمين القاضى اسماعيل الجرافى فالمجتهد الإسلامى الشيخ محمد أبو زهرة فأحد علماء الأزهر ثم المؤلف (حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية – دمشق فى ديسمبر ١٩٥٢) .

٢

أثارنى ما كان مندوبو الدول العربية يتندرون به عندما يذكرون السيد حسين الكبسى مندوب اليمن السابق لدى الجامعة فى عهد الإمام يحيى ، الذى كان يلتزم الصمت المطبق طوال جلسات الجامعة بأمر من الإمام يحيى حتى لا يورط اليمن بأية كلمة ، وكان لا يستطيع أن يحرك شفتيه أو ينطق بحرف إلا خارج تلك الجلسات . كان مندوبو الدول العربية يصفون كل من يسكت عن الكلام بأنه كبسى ، أو بأنه مندوب اليمن . ولا يزال يتندر العرب بذلك حتى الان .

أقلقنى الإمام أحمد عندما كان يلتزم الصمت ولا يعلق على اقتراحاتى واقتراحات غيرى الاصلاحية ، سواء بالقبول أو بالرفض ، وإنما كان يحيلها إلى القاضى محمد عبد الله العمرى الذى كان مرهف الحس متعمقا فى فهم نفسية الإمام أحمد ، وكان يعلم نواياه الحقيقية التى لا يصرح بها لأحد ، فكانت هذه الاقتراحات تستقر فى أحد ملفات وزارة الخارجية ولا ترى النور بعد ذلك أبدا .

عندماأكملت تقريرا شاملا عن خلاصة ما توصلت إليه من مقترحات إصلاحية ، مستفيدا من كل ما تلقاه السيد على المؤيد من أفكار الخيرين من أهل الذكر ، نصحنى بأن أتوجه إلى اليمن كى أسلم ذلك التقرير إلى يد الإمام أحمد .

لم يتضمن التقرير أى مساس بنظام الحكم ، ولا انتقاص من سلطات الإمام ، كما لم يتضمن آية اقتراحات أخرى سياسية ولا اجتماعية ، وإنما أنصب فقط على وسائل تحقيق النهضة الاقتصادية لأننى ، كنت ولا زلت ، أعرف أن تغيير الأوضاع الاقتصادية فى اليمن أو فى غيرها يؤدى حتما إلى تغيير جذرى فى الظروف الاجتماعية والسياسية بصفة تدريجية، وكنت أرجو التدريج اجتماعيا وسياسيا .

سافرت إلى اليمن فى أول ديسمبر ١٩٥٣ ، وفى اليوم التالى لوصولى إلى تعز أشعرت الإمام أحمد بأننى أعددت تقريرا اصلاحيا شاملا راجيا تسليمه إليه بنفسى .

قابلنى الإمام بابتسامة عريضة كما عودنى كلما رآنى ، وكان قد منحنى لقب (قاضى) وهو اللقب الذى كان يلى فى اليمن منزلة (السيد) الذى لا يمكن منحه لأحد لأنه كان محصورا فيمن يدعون الانتساب إلى سلالة الرسول ﷺ ووقفا عليهم دون سواهم .

وقبل أن أقدم له التقرير أبلغنى بأنه أصدر قرارا بتشكيل محكمة سماها محكمة الأجانب عيننى رئيسا لها ، وعضوها الأيمن القاضى يحيى السياغى حاكم تعز ، وعضوها الأيسر القاضى محمد الحداد من أعضاء الديوان الملكى .

وكان المطلوب محاكمة طبيب أسنان هولندى وزوجته المتهمين بالاعتداء على الإمام أحمد والحاج محمد الروضى مدير مستشفى تعز .

كان الإمام يزور مستشفى تعز فسمع مشادة بين مدير المستشفى وطبيب أسنان هولندى . فتدخل الإمام فى المشادة وضرب الهولندى وزوجته الطبيبة التى كانت تقف جواره ، فصاح الهولندى فى وجه الإمام ، فاعتبر الإمام أن صياح الهولندى اعتداء عليه ، فأمر جنوده بضرب الطبيب وزوجته اللذين كادا يموتان من قسوة الضرب ، فحاولا الدفاع عن نفسيهما فلمست أيديهما صدر الإمام وعمامته التى سقطت على الأرض بين أقدام الطبيب وزوجته وجنود الإمام .

خشى الإمام من الفضيحة إذا ماغادر الطبيب اليمن فأمر بتشكيل محكمة عليا لمحاكمته هو وزوجته .

عقدت المحكمة فى مبنى وزارة الخارجية وتقدم المدعى العام يطالب المحكمة بإعدام الطبيب وزوجته بتهمة محاولة اغتيال الإمام .

اتسع التحقيق فشمل مدير المستشفى وبعض موظفى الخارجية .

ثم استقر رأى المحكمة على براءة المتهمين الهولنديين ، وعزل مدير المستشفى وعزل الاستاذ على رجاء سكرتير وزارة الخارجية الذى ثبتت إدانته بتزوير عقد العمل بعد أن وقع عليه الطبيب ، مما كان السبب الأصلى فى المشادة ، أما ما حدث للإمام الذى ما كان له أن يتدخل فى تلك المشادة فقد اعتبرته المحكمة دفاعا عن النفس من جانب الهولنديين ، فاكتفت المحكمة بإبعاد الهولنديين من اليمن على نفقتيهما .

رفعت الحكم قبل إذاعته إلى الإمام للتصديق عليه . ولما قرأته بنت حجر (السيدة المقربة من الإمام والتى تبينت فيما بعد أنها كانت تحكم اليمن باسمه) تألمت من عزل مدير المستشفى الذى كان يطيع أوامرها ، ويسهل لها الإقامة فى المستشفى هربا من أسوار القصر الملكى ، فأعادت الحكم إلى بصفتى رئيس المحكمة بعد أن أشرت عليه بخطها قائلة (يلزم إعدام الهولندى) .

لم أجد وسيلة للوصول إلى الإمام غير تأجيل النطق بالحكم والاعتكاف فى دار الضيافة ، حتى نشرت صحف عدن أن الإمام يضغط على المحكمة لتحكم بما يراه الإمام . ولما طال اعتكافى وانطلقت الإشاعات وصلنى أمر من الإمام يلزمنى بوجوب أن أحذف بعض العبارات من الحكم ، فذهبت لمقابلته وأقنعته بأنه ليس من صالح اليمن أن تعطى للطبيب الهولندى وزوجته فرصة للتشهير بنظام الحكم فى اليمن ، كما أنه ليس من صالح الإمام شخصيا أن نهيىء بإرادتنا مناخا خصبا للصحافة الأجنبية تخلق منه قصة دولية تدين الإمام . واقترحت عليه أن يعفو عنهما ويتركهما يرحلان سالمين متعهدا من جانبى بمحاولة إقناع عضوى المحكمة بحذف ما يمس مدير المستشفى وسكرتير وزارة الخارجية . وافق الإمام ، واتفق أعضاء المحكمة وقمت بإعلان الحكم على هذا النحو الذى نشر فى الصحف فى حينه .

ولم أجد المناخ مناسبا لتقديم تقريري الاقتصادي إلى الإمام وكنت قد أكتفيت بإبلاغه بأن مصر سوف ترسل إلى اليمن ما طلبه الإمام من المقدم كمال عبد الحميد ، وأن المدربين المصريين قد تم أختيارهم فعلا بعد أن قام البدر بزيارة القاهرة قبل ذلك بوقت قريب ، وطلبت من الإمام البدء في اختيار أفراد الجيش اليمني الذين يختارهم بنفسه للتدريب ، حتى يكونوا نواة الجيش اليمني الحديث الذي يستطيع أن يتصدى لأطماع شقيقه الحسن ، ويدعم إبنه البدر .

قدمت تقريري الاقتصادي للبدر الذي رحب به أعظم ترحيب ، وقال أنه سوف يعمل على تنفيذه تدريجيا كلما سمحت ظروف الإمام النفسية ، ففهمت أن الإمام لا يزال يستوحش الإصلاح الاقتصادي ويخشى من نتائجه ، ولعله كان اسيرا للماضي وظروفه الموضوعية ، أو لعله كان يخشى من نقد المتزمتين اليمنيين من رجال الدين أو من القبائل ، الذين كان الأمام عادة ما ينسب إليهم أمام زائريه أسباب تريثه في الموافقة على المشروعات الإصلاحية .

لكنني كنت عظيم الأمل في البدر الذي لم يترك أية مناسبة دون أن يستغلها في التأكيد على أنه يتمنى أن يكون رائد الإصلاح في اليمن ، وأنه لا يتأخر عن أقناع والده الإمام بالإصلاح كلما استطاع إلى ذلك سبيلا .

أثناء وجودي في تعز تحدثت كثيرا مع المقدم أحمد يحيى الثلايا وأخبرته عن قرب وصول البعثة العسكرية المصرية إلى اليمن ، كما أطلعته على صعوبة تقبل الإمام للإصلاح ، وعلى حسن ظني في شخصية البدر واستعداده غير المتحفظ لقيادة الإصلاح في اليمن عندما تنتقل السلطة إليه ولم يكن هناك مرشح أخر يمكن أن يتولى الإمامة ، ويكون إماما صالحا حتى نبدأ في الدعوة له والعمل من أجله .

لم يكن في ساحة المرشحين للإمامة سوى البدر وبعض أعمامه كسيف الإسلام الحسن وسيف الإسلام عبد الله ، وكان الحسن مرفوضا بكل المقاييس ، وبصفة قاطعة ، لدى جميع الأحرار والمصلحين والمفكرين ، وكان عبد الله غامضا ، يوحي إلى مستمعيه أحيانا بميوله الإصلاحية ويوحي إليهم في أغلب الأحيان بتمسكه بتقاليد الإمامة المتحفظة .

ولعله كان يتطلع إلى الجمع بين أنصار الحسن المتحفظين وأنصار البدر المصلحين .

مثل هذا الرجل لا يجوز الاطمئنان إلى سياسته لأنه يستحيل التعرف على نيته .

فلم يكن معنا سوى البدر ، ولم يعد أمامنا سوى انتظاره حتى يتقلد السلطة ، والعمل معه حتى تتعمق جذور شعبيته بين أصحاب الحل والعقد ، وهم ليسوا دائما المتزمتين من رجال الدين وشيوخ القبائل وأصحاب المصالح الخاصة في استمرار التخلف ، وإنما هم القوة التي تستطيع أن تفرض رأيها ، هذه القوة التي تعتمد أحيانا على بعض هؤلاء عندما يكتشفون حقائق المأساة التي فرضتها الظروف المتخلفة الضاربة في أعماق المجتمع ، وغالبا ما تعتمد على الشباب المثقف أو رجال القوات المسلحة ، أو مزيجا من أولئك

وهؤلاء إذا ما كان فى وسعهم أن يفرضوا رأيهم . وهم يستطيعون ذلك عندما يكون المجتمع قد فتح ثغرة فى جدران التخلف حتى تتسلل من خلالها عناصر مثقفة ومصلحة من الشباب وعناصر مثقفة ومدربة من أفراد القوات المسلحة إلى بنيان المجتمع المتخلف .

هذا ماكان يجرى فعلا فى اليمن .

الطلبة اليمنيون فى مصر هم العناصر المثقفة المصلحة ، وسوف تصل إلى اليمن البعثة العسكرية المصرية لتدريب وتنظيم الجيش ، مما يؤدى إلى ميلاد العناصر المثقفة والمدربة بين صفوف القوات المسلحة .

من أولئك وهؤلاء والمستنيرين من رجال الدين وشيوخ القبائل يكتمل نصاب أهل الحل والعقد الذين يفرضون الإصلاح . قلت للمقدم أحمد يحيى الثلايا أن إصلاح الظروف الموضوعية السائدة فى اليمن يحتاج إلى وقت وصبر ، وما دمنا قد اتفقنا مع البدر الذى يتجه إلى الإصلاح فإن احتياجنا إلى الوقت والصبر ينطلق من هدف واضح ومحدد . اقتنع المقدم الثلايا باستمرار العمل من أجل البدر مهما رفض الإمام أية مشروعات للإصلاح الاقتصادى ، ويكفينا من الإمام أن نستمر فى تدريب الجيش وتسليحه تحت سمعه وبصره دون عقبات من جانبه ، طالما كان يسعى إلى تنصيب البدر وليا للعهد ، وفى سبيل ذلك يبارك علاقات البدر الخاصة مع قادة الثورة المصرية قدر ما يبارك احتضان الطلبة فى مصر وتدريب الجيش فى اليمن .

عدت إلى القاهرة وزارنى ، كعادته فى كل أسبوع ، الطالب اليمنى محمد قائد سيف وكان قد تخرج من الكلية الحربية مع زميله أمين زباره .

أذكر أننى منذ أن التقيت بمحمد قائد سيف عندما وصل من عدن للدراسة فى المدرسة الثانوية فى القاهرة سنة ١٩٤٨ وجدت فى أعماقه ثورة عارمة على كل أوضاع اليمن ، كنا نلتقى مرة على الأقل فى كل اسبوع نمضى معا يوما كاملا نتأمل فيه أحوال اليمن ، وكنت أنصحه دائما بالهدوء والصمت حتى يستكمل دراسته .

وكان مصمما على الالتحاق بالكلية الحربية ، والتحق بها وذات مرة دعى بعض أصدقائه من الذين كانوا لا يزالون فى المدرسة الثانوية إلى مقابلته فى حديقة الأندلس ، وكان من بينهم محمد الأهنومى وعبد الله جزيلان ومحمد الوجيه وحسين السقاف ونصحهم بأن يلحقوا به فى الكلية الحربية ، قائلا أنه فى وسع اليمن أن تستقدم أطباء ومهندسين ومدرسين وقانونيين وغيرهم من الخارج ، لكنها لا تستطيع أن توظف من الخارج ضباطا وقادة لقواتها المسلحة .

إستغرقت فى تأمل هذه الذكريات عندما زارنى محمد قائد سيف بعد أن عدت من اليمن وتخرج من الكلية الحربية وأصبح الملازم محمد قائد سيف . حكيت له كل ما جرى فى اليمن ، كعادتى معه .

لم أكن أعهده يخالفنى فى الرأى ، لكنه فى هذه المرة عارضنى بشدة مؤكدا أنه ليس هناك أقل أمل فى البدر بقدر ما ليس هناك أقل أمل فى والده الإمام .

قلت له أن السياسة فن بلوغ الممكن وليست تكسير الرأس على صخرة المستحيل .

وأضفت أننا لو تخلينا عن البدر فإننا سوف نخسر البدر والإمام معا ، فى وقت ليس معنا فيه مرشح آخر يتمتع بمثل ظروف البدر الخاصة ، التى تجعله محل ثقة الإمام والمثقفين ومن سوف ندربهم وننظمهم من أفراد القوات المسلحة .

اقتنع الملازم محمد قائد سيف بوجهة نظرى وسافر إلى اليمن ومعه الملازم أمين زبارة ، وكان ذلك فى ربيع ١٩٥٤ .

عندما وصلا إلى صنعاء لم يكلفهم أحد بأى عمل ، بل كان المسئولون اليمنيون ينظرون إليهما نظرة شك ، فهما أول من تخرج من الكلية الحربية فى مصر وبعد سنتين من قيام الثورة المصرية التى ملأت الدنيا بالحماس والأفكار الثورية .

أمضيا على هذا النحو المتجمد دون عمل قرابة أشهر ثلاثة ، بعدها عاد الملازم أمين زبارة إلى مصر لأنه لم يطق البقاء على هذه الصورة فى اليمن .

استطاع الملازم محمد قائد سيف أن يحصل على موافقة وزير الخارجية سيف الإسلام عبد الله لتدريب فصيلة واحدة على الأنظمة والأساليب الحديثة التى تعلمها فى مصر على أن تكون نموذجا يمكن تقييمه بعد ستة أشهر .

أثناء ذلك وصل الإمام أحمد إلى صنعاء لزيارتها لأول مرة بعد انقلاب عبد الله الوزير سنة ١٩٤٨ ، وكانت هذه الزيارة حدثا تاريخيا بالنسبة إلى أهل صنعاء الذين كانوا يعانون من الكساد بعد أن نقل الأمام أحمد العاصمة بصفة فعلية إلى تعز . أنهالت الهدايا على الأمام أحمد من كل حدب وصوب ، وكان شيوخ القبائل يسوقون إليه الهدايا قادمين من أقصى الشمال وأقصى الشرق .

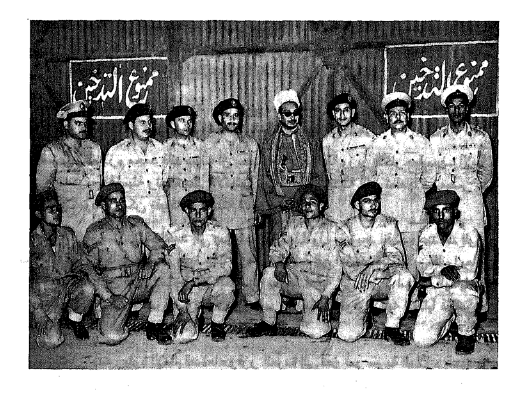
وعندما انتهت زيارة الإمام لصنعاء وقرر العودة إلى تعز أمر سرية الملازم محمد قائد سيف التى كان قد بدأ فى تدريبها ، بأن تقوم بحراسة هدايا الأمام وهى فى طرقها إلى تعز .

وصلت هذه السرية إلى تعز تحرس هدايا الإمام ثم توقف تدريبها ، وكانت قد وصلت قبل ذلك بعثة التدريب العسكرية المصرية وبقيت فترة بغير عمل تنتظر إذن الإمام .

كانت البعثة العسكرية المصرية برئاسة أحد الضباط المصريين الأحرار الرائد كمال أبو الفتوح(محافظ القليوبية فيما بعد) وعضوية النقيب محمد أحمد لبيب (محافظ الفيوم فيما بعد) والنقيب يوسف عفيفى (محافظ البحر الأحمر فيما بعد وأحد أبطال حرب أكتوبر ١٩٧٣ حيث كان قائدا لإحدى الفرق ثم قائدا للجيش الثانى) والنقيب سعد رؤوف (السفير بوزارة الخارجية المصرية فيما بعد) .

كما وصلت إلى تعز بعثة مصرية من ضباط الشرطة لتدريب وتنظيم الشرطة اليمنية وكانت تتكون من الرائد عبد الله الحامد والنقيب مصطفى الهمشرى (مدير أمن الاسماعيلية فيما بعد) .

قرر الإمام أحمد بناء على توصية البدر تعيين الملازم محمد قائد سيف ضابطا للاتصال بينه وبين البعثتين العسكريتين المصريتين ، مع تكليفه بالاشتراك مع المقدم أحمد يحيى الثلايا قائد الجيش فى تعز باستلام هدية الأسلحة والذخيرة التى وصلت من مصر مع الضباط المصريين .



الأمير (السابق) البدر يتوسط أعضاء البعثة العسكرية وبعثة الشرطة قبل سفرهم إلى اليمن (عام ١٩٥٤) .

كانت هذه الهدية عبارة عن أربعة مدافع هاون ، وستة مدافع رشاشة ثقيلة ، وأثنى عشر رشاش بورسعيد ، وعشرين بندقية صناعة مصرية ، وأربعين قنبلة يدوية ، وعشر صناديق ذخيرة لهذه الأسلحة ، تم نقلها جميعا إلى مخازن قصر صالة بتعز .

أمر الإمام أحمد أمير الجيش فى تعز السيد محمد الحوثى بأن يشترك مع المقدم أحمد يحيى الثلايا فى اختيار مائتى جندى وتسليمهم للبعثتين العسكريتين كى يبدأ التدريب على الأنظمة والأسلحة الحديثة .

أبلغ رئيس البعثة العسكرية الرائد كمال أبو الفتوح الملازم محمد قائد سيف ضابط الاتصال اليمنى والمشرف على شئون التدريب بأن مصر مستعدة لتزويد الجنود اليمنيين بالملابس العسكرية الحديثة حتى ينتظم التدريب وتكتمل صورة النظام على النحو المألوف عسكريا ، إلى جانب استعداد مصر لتقديم وجبات غذائية لهؤلاء الجنود كى يصمدوا ويتحملوا التدريبات العسكرية الشاقة .

تحمس الملازم محمد قائد سيف لهذا العرض الذى لن يكلف اليمن شيئا ، وأسرع بكتابة تقرير إلى الإمام يقترح عليه توجيه الشكر للبعثة العسكرية المصرية .

غير أن الإمام ، بعد بضعة أيام ، أرسل سكرتيره الخاص القاضى عبد الملك العمرى كى يبلغ محمد قائد سيف بأن الجنود اليمنيين لن يوافقوا على تغيير الزى الذى تعودوا عليه ، وأنهم لن يقبلوا إستبدال الرداء الوطنى بالبنطلون الأجنبى .

استمر تدريب الجنود اليمنيين نحو خمسة وأربعين يوما وإذا بهم ينصرفون عنه ويذهب كل منهم إلى طريق بناء على تعليمات الإمام الذى جمعهم بعد ذلك وفرقهم على ثكنات الجيش .

حزن المقدم أحمد يحيى الثلايا أشد الحزن من تصرف الإمام الذى ضرب بكل وعوده عرض الحائط .

ويأس الملازم محمد قائد سيف من جدوى الإستمرار فى تأييد البدر ، وكتب رسالة يبلغنى فيها بما حدث ويذكرنى بما قال لى فى القاهرة عن البدر ويطلب رأيى فنصحته بمواصلة تأييد البدر كحل وحيد ليس له فى ذلك الوقت أى بديل ، وأعدت عليه ما سبق أن قلته له .

زرت الرئيس جمال عبد الناصر وأبلغته بإستحالة إصلاح اليمن بغير الإستناد على قوة عسكرية ، واستحالة بناء قوة عسكرية فى ظل النظام الإمامى الذى يعتمد على تمزيق الشعب وتكليف القبائل بأن يضرب بعضها بعضا حتى ينفرد بالسلطة الكهنوتية بإسم وراثة النبى ﷺ نصحنى الرئيس عبد الناصر بزيارة (البكباشى) محمد أنور السادات سكرتير عام المؤتمر الإسلامى حتى يتولى متابعة شئون اليمن معى وإبداء النصائح التى تمهد إلى إصلاح اليمن ، ففهمت من كلمات الرئيس أنه يتحاشى الحديث فى أمور تناهض نظام الحكم فى اليمن . وأنه كلف بذلك أنور السادات حتى إذا نجحت ثورة اليمن كانت رصيداً لمصر وإذا فشلت فإن السادات يتحمل مسئولية فشلها وحده فلم يكن يتولى فى ذلك الوقت منصبا حكوميا رسميا غير عضويته فى مجلس قيادة الثورة وبذلك لا تتحمل مصر رسميا ما يترتب على مثل ذلك الفشل .



من اليمين إلى اليسار : المؤلف ، السيد يحيى الوادعى ، السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب ، القاضى إسماعيل الجرافى يصافح الرئيس السابق محمد نجيب ثم السيد حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة المصرية ووزير شئون رئاسة الجمهورية .



في شتاء ١٩٥٤ كان نفوذ سيف الإسلام عبد الله قد أخذ في الازدياد ، حتى كان الإمام لا يرد له طلبا ولا يرفض منه نصيحة ، حيث كان أقل خطرا عليه من أخيه الحسن ، وأكثر إقناعا له من إبنه البدر .

نصح الإمام بخطورة نشاطي بين الطلبة اليمنيين في مصر ، وكان قد عزل السيد علي إسماعيل المؤيد من منصبه في القاهرة ، وعين السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب مكانه ، مع استمراري في العمل مستشارا ، وبقاء السيد يحيى الوادعي مستشارا ثانيا ، والقاضي إسماعيل الجرافي سكرتيرا أولا .

أثناء عودتنا من قصر عابدين بعد تقديم أوراق إعتماد السفير الجديد إلى الرئيس محمد نجيب ، أبلغني السيد عبد الرحمن أبو طالب بأن الإمام يأمرني بأن أتوقف عن الإشراف على البعثة التعليمية . وأن أكتفي بتمثيل اليمن لدى جامعة الدول العربية .

كانت جريرتي التي بلغت إلى الإمام أنني بدأت أنصح الطلبة أن ينتخبوا من بينهم مجلسا يتولى حل مشاكلهم الشخصية حتى أتفرغ لشئونهم الدراسية والإدارية مع مدير البعثة الشهم السيد يحيى المضواحي ومساعده الاستاذ علي الأنسي .

وكان سبب هذا الإتجاه أن وقتي كان يضيع في حل مشاكلهم الشخصية ، وصداقتي كانت تهتز مع الطالب الذي لا يعجبه الرأي المنصف .

كانت أحداث الشغب تتكرر فيما بينهم ، وكان بعضهم يشهر السكين في وجه البعض الآخر كما كان يحدث عادة بين علي سيف الخولاني وعبد الله جزيلان .

ولعله من الأمور العادية الطبيعية أن يحدث اختلاف عندما يسكن عدد كبير من الشباب في بيت واحد ، ولمدة طويلة ، لا سيما إذا كانوا طلبة شرقيين ومغتربين ، وإن كان استخدام السكاكين أمرا لا يجوز مهما كان الاختلاف في الرأي والغربة في الدار والحرارة في الانفعال .

طعنني أنصار سيف الإسلام عبد الله النجم اللامع في ذلك الوقت وزعموا لدى الإمام إنني أنشر بين الطلبة روح القيادة الجماعية ، وأن هذه المجالس الطلابية في مصر لن تلبث أن تصبح دعوة إلى إقامة مجالس نيابية في اليمن ، عندما يعود إليها هؤلاء الطلاب يحملون شهاداتهم الجامعية من مصر الثورة .

أغلب الظن أن سيف الإسلام عبد الله ، وكان كثير التردد على القاهرة ، قد عرف شيئا عن ولائى للبدر وسمع كثيرا عن نشاطى بين الطلبة اليمنين مؤيدا البدر ، الذى كان قبل ذلك قد اختار طالبين يمنيين متفوقين لمرافقته وإدارة مكتبه ، حتى يكسب ثقة الطلبة وغيرهم من رجال اليمن الذين كانوا يرجون الإصلاح .

هذان الطالبان اليمنيان هما محسن العينى ومحمد الرعدى . وأذكر أننى اشفقت عليهما عندما تركا الدراسة والتحقا بحاشية البدر وهيئة مكتبه ، فخشيت على مستقبلهما الدراسى الذى كان من اللازم أن يكون ركيزتهما الأساسية قبل تفرغهما للعمل السياسى . وأحمد الله أنهما أكملا دراستيهما فيما بعد عندما تركا العمل مع البدر .

فى ٢٠ يناير ١٩٥٥ ذهبت بناء على توجيه الرئيس عبد الناصر لزيارة السيد محمد أنور السادات فى مكتبه بالمؤتمر الإسلامى وكان قد تولى منصب سكرتيره العام فى أول يناير ١٩٥٥ فأكد لى مدى تأييد الرئيس عبد الناصر لأفكارى الإصلاحية فى اليمن وأنه قد كلفه بمتابعة الاتصال بى لهذا السبب . وكان السادات واسع الاطلاع على الشئون العربية الإسلامية .

رأيت فيه فيلسوفا ومعلما وليس فقط ضابطا وثائرا . كنت فى كل مرة أزوره فى مكتبه لا أخرج من لديه إلا ومعى كتاب ينصحنى بقراءته . وعندما كنت أستأذنه للانصراف كان يستبقينى ساعة بعد أخرى مستأنفا الحديث الذى ليست له نهاية ، يسمعنى وأسمعه ونحن نتحدث عن الكثير من تاريخ العرب والكثير من أحوال المسلمين ، ومستقبل الأمة العربية .

زرته فى ذلك اليوم لينقل إلى الرئيس عبد الناصر ما وصلت إليه جبهة البدر ، وضعف البدر الذى سكت على تجميد البعثة العسكرية المصرية فى دار الضيافة بتعز بغير عمل ولا أمل ، أطلعته على رسالة جديدة وصلتنى من الملازم محمد قائد سيف ، رسالة ينفطر لها القلب ، وينشق لها الصدر ، ويذهب معها العقل . وإذا بأنور السادات يبتسم ، وينكر علىّ قلقى وغضبى وضعف حيلتى ، ويسألنى عن البديل إذا كنت قد فكرت فى أى بديل .

لم يكن هناك بديل .. طالما كنا نبحث عن إمام يسمح بالإصلاح عندما يتولى الحكم ، على أن يكون من الذين يفضلهم الإمام أحمد لعله يتجاوب تدريجيا مع أى قدر من الإصلاح .

كانت هذه الشروط تنطبق على البدر وحده ، دون غيره . وما علينا سوى الصبر وتكرار المحاولة والإصرار على السير فى الطريق الذى يصل إلى الهدف النهائى ، وهو الإصلاح الذى تعهد به البدر .

عدت إلى بيتى فوجدت رسالة من السفير السيد عبد الرحمن أبو طالب يبلغنى بأن الإمام أحمد قرر نقلى للعمل قائما بأعمال السفارة اليمنية فى بون بألمانيا الغربية ، بدعوى أن الإمام قد أراد أن يتفرغ السيد حسن بن على بن ابراهيم لأعماله كسفير فى لندن وكان يجمع بين السفارتين اليمنيتين فى لندن وبون .

لم يكن من الصعب أن أفهم مراد الإمام ، وأنه قد استجاب لمن نصحوه بإبعادى عن محيط الطلبة اليمنيين فى مصر ، ولم يصدق أننى كنت من أصدق الناصحين له ولإبنه البدر . بل كنت التمس له الاعذار عندما ينفر من الإصلاح وسيرة الإصلاح ، معتقدا أن الإنسان عدو لما يجهل ، وأن الإمام لم يخرج من اليمن طيلة حياته حتى ذلك التاريخ ، فلم يعرف عن حياة الشعوب الأخرى إلا من المجلات والصحف والإذاعات الأجنبية ، وكان الكثير منها يذيع وينشر أخبارا وصور مرفوضة على كل المذاهب الإسلامية ، فظن أن هذه هى ما يسمونه بالحضارة العصرية ، ولم يكن يعرف إلا ما تركه الأولون الذين سبقوه إلى حكم اليمن ، وأحكموا الحصار حولها .

كنت أعتقد أن من واجب المتطلعين إلى الإصلاح أن يبدأوا بإصلاح نظرة الإمام إلى الإصلاح ، لأنه لوأقتنع به فإنه يكون أعظم من يفرضه فى اليمن ، فشخصيته مهابة فى سائر البلاد ، وكلمته مستجابة لدى سائر اليمنيين ، فإذا ما فرض الإصلاح فإنه يتحقق بغير عناء ولا دماء .

نقلنى الإمام من مصر ليبعدنى عن الطلبة وعن مصر ، ظنا منه أنه إذا نفانى فى ألمانيا توقفت صلاتى ولقاءاتى مع الطلبة اليمنيين والمسئولين المصريين . هكذا صور له المغرضون ، الغاضبون منى ، الطامعون فيه ، المتحفزون للانقضاض عليه ، وعلى إبنه وولى عهده .

سافرت إلى ألمانيا فى ٣ فبراير ١٩٥٥ وفى منتصف مارس ١٩٥٥ وصل السيد محمد أنور السادات إلى مدينة فرانكفورت بالمانيا الغربية فى طريق عودته إلى القاهرة بعد زيارات شملت العديد من الدول .

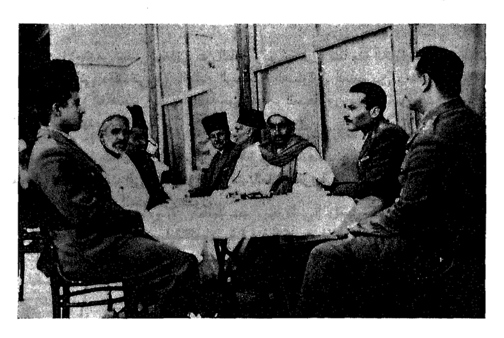
التقيت به فى مقر القنصلية المصرية فى فرانكفوت فقص على قصة مثيرة .



من اليمين : المؤلف ثم السيد أنور السادات وأحد الصحفيين الألمان فى دار القنصلية المصرية فى فرانكفورت (مارس ١٩٥٥) .

ذلك أنه أثناء زيارته لليمن خلال شهر فبراير ١٩٥٥ ، أى قبل حوالى شهر من تلك المقابلة ، وبعد أن زار الإمام أقام له سيف الإسلام عبد الله حفل تكريم بمناسبة زيارته لليمن ، وكانت فى دار الضيافة فى تعز ، وحضر الحفل المقدم أحمد يحيى الثلايا والملازم محمد قائد سيف وجلس بجوار سيف الإسلام عبد الله ، الذى كان يجلس على يساره رئيس البعثة العسكرية المصرية الرائد كمال أبو الفتوح ، وكان الشيخ جازم الحروى مدير التشريفات يشرف على ترتيبات الحفل وراحة الضيوف .

عند انتهاء حفل العشاء توجه السيد محمد أنور السادات إلى غرفة نومه وإذا بمدير مكتبه النقيب حسن نائل الذى صاحبه فى تلك الزيارة يقترب من سريره ومعه الملازم محمد قائد سيف الذى أصر على مقابلته ، وسلمه تقريرا خطيا عن أحوال اليمن والعذاب النفسى الذى تعانيه البعثة العسكرية المصرية وأنه لا فائده من مجاملة الإمام ولا مستقبل لليمن فى ظل البدر .



من اليمين : النقيب كمال أبو الفتوح رئيس البعثة العسكرية المصرية ، أحد أعضاء البعثة ، القاضى عبد الرحمن الاريانى .

من اليسار : الملازم محمد قائد سيف ، الأستاذ أحمد محمد نعمان والمقدم أحمد يحيى الثلايا (فبراير ١٩٥٥) .



السيد محمد أنور السادات يصافح الملازم محمد قائد سيف (فبراير ١٩٥٥)

كان ذلك التقرير بخط محمد قائد سيف وتوقيعه ، وبعد أن قرأه السادات سلمه محمد قائد سيف تقريرا آخر منسوبا للأستاذ أحمد محمد نعمان ، الذى كان يقيم فى نفس دار الضيافة فى ذلك الوقت ، لكنه لم يكن بخط الاستاذ نعمان ولا بتوقيعه ، وهو تحفظ طبيعى من الأستاذ نعمان عندما خرج من سجن حجه بعد حبس مظلم استمر نحو سبع سنوات .

كانت رسالة الاستاذ نعمان تنحصر فى شرح أحوال اليمن وبعض أمور أخرى لا تتعلق بمستقبلها .

سلمنى السادات رسالة خطية من محمد قائد سيف يشرح فيها ما جرى بينه وبين السادات ويطلب منى الاطلاع على التقرير الشامل الذى سلمه إليه (الوثيقة رقم ٣) .

حكى لى السادات أن الإمام قد طلب منه إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر رغبته فى سحب البعثة العسكرية المصرية من اليمن زاعما أنه حريص على راحة أعضائها الذين قد وصلوا إلى حالة نفسية مرهقة .

وأكمل السادات تلك القصة بقوله أن سيف الإسلام عبد الله حاول أمامه وبكل جهده ، أن يقدم نفسه كداعية إصلاح يسعى إلى توطيد أقوى العلاقات مع مصر .

ثم علق السادات على هذه القصة قائلا أنه يشم رائحة انقلاب فى اليمن .

قلت للسادات أن المنطق الوطنى والقومى يقتضى عدم تأييد أى انقلاب يستهدف الإنقضاض على الإمام فى تلك الأيام .

شرحت تفاصيل وجهة نظرى وكيف أن الحد الأدنى للعناصر والمقومات اللازمة لنجاح الإصلاح فى اليمن لم تكتمل حتى تلك اللحظة ، وإن أى انقلاب يمكن أن يقوم على تلك الصورة فى اليمن لن يزيد عن كونه صراعا على السلطة وحادثا عرضيا محصورا فى مكانه .

كان ذلك فى نفس الوقت هو رأى السادات ، وكان كل منا يقول رأيه للآخر كما تعودنا فى الحديث عن اليمن وأزمة الأمة العربية .

بعد هذا اللقاء بنحو إسبوعين وقع انقلاب المقدم أحمد يحيى الثلايا يوم الخميس ٣١ مارس سنة ١٩٥٥ ، الذى اشترك فيه الملازم محمد قائد سيف ، وأعلن رجال الانقلاب أن سيف الإسلام عبد الله قد تولى الحكم خلفا للإمام أحمد الذى تنازل لأخيه عبد الله عن منصب الإمامة .

تألمت أشد الألم لأننى كنت واثقا فى أن مثل ذلك الانقلاب لا بد أن يفشل ، وعندئذ تخسر القوى الوطنية المقدم أحمد يحيى الثلايا والملازم محمد قائد سيف من صفوفها المتقدمة المتطلعة إلى الإصلاح .

خشيت أن يتورط غيرهم من عناصر القوى الوطنية فتزيد خسارة الوطن ، ولم يكن فى استطاعتى وأنا بعيد عن اليمن أن أقدم نصحا لأحد .

لم تؤيد مصر الانقلاب وكذلك البعثة العسكرية المصرية التى كانت لا تزال فى تعز لم تحرك ساكنا ، والتزمت الصمت المطبق كما تقتضيه الحكمة فى مثل تلك الظروف .

فى مساء يوم الاثنين ٤ أبريل ١٩٥٥ أذاعت وكالات الأنباء خبر انتصار الإمام أحمد والقبض على أخيه سيف الإسلام عبد الله بعد أن عاش الانقلاب أربعة أيام فقط ثم سقط فى اليوم الخامس .

وفى صباح يوم الخميس ٧ أبريل ١٩٥٥ وصلتنى برقية من الإمام يطلب فيها وصولى إلى تعز ، ولم يساورنى أى قلق من مضمون البرقية ، لأنه بالرغم من معرفة الإمام بمدى صداقتى بالمقدم أحمد يحيى الثلايا فإنه كان يعرف موقفى الثابت من سيف الإسلام عبد الله .

توجهت إلى تعز بعد أن التقيت بالسيد محمد أنور السادات فى القاهرة . ودرسنا الموقف على ضوء هذه التطورات المرتجلة والحزينة .

وقبل أن انصرف من بيته قدمت له التعزية فى وفاة المقدم أحمد يحيى الثلايا والملازم محمد قائد سيف .

لقد ارتكبا خطأ دون أدنى شك ولم يستمعا لما نصحتهما به ، لكنهما كانا فوق كل ذلك من العناصر الوطنية التى وهبت حياتها لليمن دون أن تفكر فى أية مصلحة ذاتية ، بل دون أن تفكر حتى فى سلامتها الشخصية .

كانت المفاجأة الكبرى التى هزتنى من كل أعماقى وانشرح لها صدرى أنه أخبرنى قبل انصرافى بأن محمد قائد سيف قد هرب ، وقد وصل فعلا إلى عدن .

حمدت الله أعظم الحمد لنجاة أحدهما محمد قائد سيف وقرأت الفاتحة على روح الآخر الشهيد أحمد يحيى الثلايا . وأرسلت إلى عدن رسولا إلى محمد قائد سيف أعرض عليه اللجوء إلى القاهرة وكان السادات قد وافق على ذلك .

استأنفت سفرى إلى اليمن وكان السيد حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة المصرية قد سبقنى إليها على رأس وفد مصرى لتهنئة الإمام أحمد ، وربما كان وصوله إلى اليمن على نحو تلك السرعة سببا فى إقدام الإمام على الإسراع بإعدام أخويه سيف الإسلام عبد الله وسيف الإسلام العباس ، خشية أن ترجو مصر لهما الرحمة فتتشفع لهما لدى الإمام الذى كان قد أعدم قبلهما معظم الذين اشتركوا فى الإنقلاب معهما .



من اليمين : السيد محمد الحوثى أمير الجيش ، السيد حسين الشافعى والأمير (السابق) البدر . (أبريل ١٩٥٥)

بعد وصولي إلى تعز ذهبت لمقابلة اللإمام فوجدته وكأنه استرد شبابه ونشاطه ، واستشهد بي أمام الحاضرين عن كيف كان كريما مع الثلايا وكيف أحضرته معي ، ذات يوم ، لمقابلته فأقسم الولاء له وللبدر .

انتهت المقابلة ولم أعرف لماذا طلب حضوري من ألمانيا ، ثم علمت من البدر أن الإمام كان ينوي تشكيل محكمة لمحاكمة المتمردين ومن بينهم أخويه عبد الله والعباس ، وأنه طلبني لأكون أحد أعضائها ثم صرف النظر عن هذه الفكرة وأمر بإعدامهم .

حمدت الله على نجاتي من ذلك الموقف الحرج .

أثناء وجودي في تعز عرفت حقيقة ما جرى ، عرفت كيف تطورت الأمور حتى قام الانقلاب وكيف تصرف القائمون عليه حتى فشل .

خرج بعض الجنود من تعز ليجمعوا الحطب من قرية الحوبان بالقرب من هذه المدينة ، فقطعوا أشجار المواطنين من شدة حاجتهم إليها . ولم تكن حاجتهم تلك مبررا لقطع أشجار المواطنين ، فتصدى لهم عدد من الزراع وتطور النزاع ، حتى تحول إلى قتال فيما بين الزراع والجنود . احتاج الجنود إلى مزيد من السلاح فعادوا ثائرين إلى ثكناتهم في تعز وكان المقدم أحمد يحيى الثلايا ومعه عدد من الضباط يتأهبون لاستغلال أية فرصة لهم كي ينقضوا على الإمام ، فوجد الثلايا ومن كان معه من الضباط أن الفرصة قد لاحت لهم ، فأقنعوا الجنود الثائرين بأن شدة حاجتهم وبؤسهم ليس للزراع ذنب في خلقهما وإنما هما من نتائج فساد حكم الإمام أحمد الذي لابد أن يعاقبهم على ما فعلوه مع أولئك الزراع . وبعد أن أقنعوهم أخذوهم إلى حيث حاصروا الإمام بعد أن زودوهم بالأسلحة من ثكنات الجيش .

وفي رسالة محمد قائد سيف ، الذي اشترك في ذلك الانقلاب ثم هرب إلى عدن عندما تأكد من فشله (الوثيقة رقم ٤) ، يقول أنه قبل قيام هذا الانقلاب باسبوع التقى بالأستاذ أحمد محمد نعمان في دار الضيافة بتعز بتكليف من المقدم أحمد يحيى الثلايا ، لسؤال الأستاذ نعمان عما إذا كان الأحرار اليمنيون في داخل اليمن وخارجها مرتبطين بالبدر ، أو أنهم غير مرتبطين به ، فأجاب الأستاذ نعمان بأنه تلقى أخيرا رسالة من عدن من الأستاذ عبد الله عبد الوهاب نعمان (المعروف بلقب الفضول) يقول فيه أن الأحرار في الخارج لا يراهنون على جواد خاسر ، فاستوضحه محمد قائد سيف عن ذلك الجواد الخاسر فأجاب الأستاذ نعمان بأنه البدر ، ثم وجه سؤالا إلى محمد قائد سيف ليعرف ما إذا كان الجيش قد ارتبط بسيف الإسلام عبد الله أو لم يرتبط .

عاد محمد قائد سيف إلى المقدم أحمد يحيى الثلايا وأبلغه رأى نعمان ممثلا للأحرار وهو أنهم غير مرتبطين بالبدر وأنهم يعتبرونه جوادا خاسرا ، كما أبلغ الثلايا بسؤال الأستاذ نعمان عن سيف الإسلام عبد الله فكلفه الثلايا بأن يعود إلى الأستاذ نعمان ويبلغه أن الجيش لم يرتبط بأحد .

ذهب محمد قائد سيف إلى الأستاذ نعمان وأبلغه رأى الثلايا الذي يفيد بأن الجيش لم يرتبط بأحد لا بالبدر ولا بعبد الله فإذا بالأستاذ نعمان يكاد يصرعه الخوف ، ولعله تأهب

فورا للهرب إلى عدن ، فلما استوضحه محمد قائد سيف عن سبب ذلك الذعر أخبره بأنه قد تورط صباح ذلك اليوم وأرسل رسالة ولاء لسيف الإسلام عبد الله ، الذى كان يزاول أعماله فى ذلك الوقت فى تعز ، وقد كتب الأستاذ نعمان تلك الرسالة معتقدا أن سؤال محمد قائد سيف عما إذا كان الأحرار مرتبطين بالبدر يعنى أن الجيش لا يؤيد البدر ، فكتب رسالة تأييده للأمير عبد الله .

يستطرد محمد قائد سيف وهو يصف أحداث الإنقلاب قائلا أنه وزملاءه قادوا الجيش إلى مقر الإمام وحاصروه وأطلقوا النار على بيته من عدة جوانب وأحكموا عزل الإمام داخل بيته بصفة تامة . وقرر الضباط وعلى رأسهم المقدم يحيى الثلايا إحضار العلماء وأهل الحل والعقد الموجودين فى تعز إلى ثكنات الجيش لمحاكمة الإمام وإصدار حكم شرعى بإعدامه ، ثم النظر فيما يحسن اتخاذه بعد ذلك .

أثناء المناقشات بين العلماء وأهل الحل والعقد تحدث القاضى يحيى السياغى حاكم تعز (وعضو اليمين فى محكمة الأجانب التى كنت رئيسا لها) وأسهب فى شرح مبررات إعدام الإمام واقترح حضور الأمير عبد الله إلى ثكنات الجيش ليحضر الاجتماع ، وافق المجتمعون وتوجه أمير الجيش السابق السيد محمد الحوثى والأمير الحسن بن على (ابن شقيق الإمام) والقاضى محمد عبد الله الشامى إلى القصر وأحضروا معهم الأمير سيف الإسلام عبد الله .

وعندما نوقشت مسألة تنازل الإمام أحمد عن العرش لأخيه الأمير عبد الله قال القاضى محمد عبد الله الشامى أن تنازل الإمام عن العرش أمر لا تقبله عقول القبائل ، وإن الأفضل من ذلك أن ينوب الأمير عبد الله عن الإمام فى أعماله .

أيد الأستاذ أحمد نعمان هذا الاقتراح وأضاف عليه أن يعلن الإمام حل الوزارة السابقة التى عجزت عن صنع أى شيء ، وأن يسند رئاسة الوزارة الجديدة للأمير عبد الله الذى يتولى اختيار وزرائه ، على أن يبقى الإمام أحمد رمزا للإمامه ، فوافق الأمير عبد الله على اقتراح الأستاذ أحمد نعمان وتساءل الأمير عن مصير ولاية العهد فأجاب الأستاذ نعمان بإنه يحسن تأجيل البت فى هذه المسألة إلى حين الإنتهاء من معالجة المشكلة العاجلة ، وهنا صاح الملازم محمد قائد سيف فى وجه الأستاذ نعمان طالبا منه السكوت حتى يترك غيره يتكلم إذ أن الجيش يعرف رأيه من قبل وصاح أيضا المقدم الثلايا قائلا (ليس غير التنازل أو الرصاص) .

عاد القاضى يحيى السياغى حاكم تعز الشرعى إلى الاسهاب فى شرح مبررات إقصاء الإمام نهائيا وخلعه تماما ومبايعة الأمير عبد الله كطلب الجيش وهذا ما يريده المقدم الثلايا ، فوافق عليه كما رحب به ومن كان معه من الضباط وسأل عن كيفية إعلان ذلك شرعا .

بعد مناقشة اتفق الحاضرون على إرسال وفد إلى الإمام يطلب منه التنازل لأخيه عبد الله .

ذهب الوفد إلى الإمام وكان يتكون من القاضى يحيى السباغى والقاضى محمد عبد الله الشامى والأمير الحسن بن على ، وبعد حوار قصد منه الإمام أن يتعرف على حقيقة وقوة ما يدور حوله ، وافق على التنازل فقام القاضى السياغى بكتابة وثيقة التنازل . ولعل الإمام هو الذى أملى على السياغى صيغة التنازل التى اختار الفاظها لأنها استخدمت الفاظ التنازل وأحتوت فى نفس الوقت على مضمون التوكيل .

وقع الإمام وثيقة التنازل لأخيه عبد الله وعاد الوفد إلى حيث اجتمع أهل الحل وأهل العقد ، ثم عزفت الموسيقى السلام الملكى وتقدم الحاضرون لمبايعة الإمام الجديد أمير المؤمنين الإمام عبد الله .

كان سيف الإسلام الحسن فى أمريكا فأظهر تأييده لأخيه عبد الله لأنه يعتقد أنه خير من البدر .

وكان البدر فى الحديدة وبدأ يفكر فى مستقبل ولاية عهده .

أراد الأمير عبد الله أن يتفادى الصدام مع الأمير البدر فقرر أن يرسل إليه وفدا يطلب منه البيعة أو إلقاء القبض عليه . فتطوع الأستاذ نعمان لرئاسة هذا الوفد وسافر إلى مدينة الحديدة والتقى بالبدر ، وبدلا من أن يطلب منه البيعة لعبد الله اتفق معه على العمل ضده ، ثم سافر مع البدر إلى مدينة حجة وهى المدينة الحصينة التى سبق أن توجه إليها والده الإمام أحمد عندما قام انقلاب ١٩٤٨ .

نصح الأستاذ نعمان الأمير البدر بأن يغدق على القبائل بالمال ويوزع عليهم السلاح الذى كان فى متناول يده .

تعاقبت الساعات والإمام الجديد عبد الله ملتزما مقعده فى وزارة الخارجية فى تعز لا يحرك ساكنا ، بينما أخذ الإمام أحمد الماكر يواصل تحصين مقر إقامته فى بيته (العرضى) وتخزين الطعام والماء وترحيل النساء إلى قصر صالة فى تعز .

وقامت نساء الإمام بأحد الأدوار الحاسمة فى إجهاض الانقلاب حيث قمن بقص شعورهن ، وإرساله فى العديد من الرسائل إلى شيوخ القبائل ، لا سيما المجاورة لتعز ، يستنجدن بهم لحماية شرف نساء الإمام بنات رسول الله .

فعلت هذه الرسائل فعل السحر لدى شيوخ القبائل ، حيث أثارت نخوتهم القبلية وهيجت حبهم لأهل البيت ، فاندفعوا بقبائلهم لنجدة الإمام وإنقاذ بنات رسول الله .

إستطاع الإمام أحمد أن يشترى ولاء الشاويش المحجانى وحفنة الجنود الذين كان معهم المدفع العتيق الثقيل الوحيد فى تعز ، والذى كان منصوبا فوق جبل صبر المطل على المدينة والمشرف على بيت الإمام وثكنات الجيش . كما استطاع أن يرسل من قام بتفجير ماسورة المياة التى تغذى منطقة بيت الإمام وثكنات الجيش بالماء ، ثم بدأ الإمام فى توزيع الطعام والماء على الجنود الذين كانوا يحاصرونه ، ولم يبخل على من توسم فيهم قبول المال فأغدق عليهم بالذهب والفضة ، وهم يوجهون بنادقهم إلى صدره .

. كان المقدم أحمد يحيى الثلايا ومن معه من الضباط حيارى يلاحظون ما كان يجرى حولهم دون أن يقوموا بأى رد فعل من جانبهم ، ولعلهم كانوا مقتنعين بنصيحة الرائد كمال أبو الفتوح رئيس البعثة العسكرية المصرية التى كانت لا تزال فى تعز ، بعدم المساس بحياة الإمام أحمد .

غير أنه بعد أن أدرك المقدم الثلايا خطر الموت يقترب من صدره وافق على رأى الملازم محمد قائد سيف بضرورة إعدام الإمام أحمد ، لكنه اشترط أن يحصل على الأمر بذلك من الإمام الجديد عبد الله ، الذى رفض المساس بشخص أخيه الإمام أحمد مكتفيا بتنازله .

ظل الإمام أحمد يعمل بكل طاقته على استرداد ثقة جنود الانقلاب وشراء ولائهم ، وعندما عرف عن وصول طلائع القبائل التى هبت لنصرته أصدر أمره إلى الشاويش المحجانى المرابط مع المدفع العتيق والوحيد فى جبل صبر بأن يطلق قذائف مدفعه على ثكنات الجيش ، ولا جناح عليه إن هو أصاب الإمام أحمد نفسه ، حيث كانت ثكنات الجيش شديدة القرب من بيت الإمام ، وكانت المسافة بينهما وبين ذلك المدفع الثقيل تزيد على ثلاثة آلاف متر .

أزهلت مجازفة الإمام أحمد جنود الإنقلاب عندما أصابت قذائف المدفع ثكنات الجيش وحدها ، دون غيرها ، فانضم معظمهم إليه ، وعندئذ خرج الإمام أحمد من فناء بيته راكبا فوق حصانه ، شاهرا سيفه واتجه إلى مبنى وزارة الخارجية وأمر بالقبض على الإمام الجديد عبد الله وجميع من كانوا معه فى مبنى الوزارة .

تمكن الإمام أحمد من استخدام جنود الإنقلاب فى القبض على الإمام الجديد والضباط حسين الجنانى ومحمد الصعر وحسين الغفارى وعلى حمود السمه وقائد معصار وأحمد الدفعى وعبد الرحمن باكر والعلماء السيد محمد حسين عبد القادر شرف الدين والقاضى يحيى السباغى والقاضى حمود السباغى والمشايخ على حسن المطرى والجدرى وغيرهم .

ثم أرسل الإمام طائرة خاصة إلى صنعاء لإحضار أخيه العباس الذى كان قد تورط فى تأييد أخيه الأمير عبد الله ، وعندما وصل إلى تعز دعاه الإمام مع أخيه عبد الله إلى تناول طعام الغذاء معه ، وبعد انتهاء حفل الغذاء أمرهما الإمام بالسفر إلى مدينة حجة على أن يكون كل منهما فى سيارة خاصة مع جنود الإمام .

وبمجرد وصولهما إلى مدينة حجة استقبلهما نائب حجة الذى نفذ فيهما أمر الإمام بقطع رأسيهما على الفور .

أعدم الإمام من قبض عليهما من الضباط والعلماء والمشايخ ، وكان المقدم أحمد يحيى الثلايا والملازم محمد قائد سيف قد تمكنا من الهرب .

وكما اختلف الثلايا ومحمد قائد سيف فى خطة الانقلاب اختلفا فى خطة الهروب .

ففي مساء اليوم الخامس للانقلاب ، عندما تأكد فشل الانقلاب ، رأى محمد قائد سيف أن يهربا معا إلى عدن عن طريق الحوبان لأنه طريق غير ممهد وغير مأهول بالسكان .

رفض الثلايا رأى محمد قائد سيف واختار الهروب إلى عدن عن طريق صاله (طريق السيارات بين تعز وعدن) وهو طريق مأهول بالسكان مزدحم بالسيارات .

تفرق كل منهما إلى طريق .

وكان ذلك مساء يوم الاثنين ٤ أبريل ١٩٥٥ .

شاءت الأقدار أن يقبض الأهالى على المقدم أحمد يحيى الثلايا صباح الأربعاء ٥ أبريل ١٩٥٥ وهو فى طريق صاله متجها إلى عدن ، وسلموه فى نفس اليوم إلى الإمام الذى أخرجه على الفور لقطع رأسه فى الميدان حيث وجه إليه الإمام كلاما قاسيا معاتبا إياه أمام الناس لغدره بعد أن كان لا يرد له طلبا ، وكان يعطيه المرتب الذى يفوق كل أمثاله ، وكان لا يتوقف عن مساعدته كلما شعر بأنه فى حاجة إلى أى غال أو رخيص . فرد عليه الثلايا قائلا أنه كان سعيدا حقا فى حياته الشخصية ، ومرتبه الكبير ، لكنه ثار من أجل الشعب البائس الذى غدر به الإمام وخدعه وهو يتظاهر بالعمل على إصلاحه .

خشى الإمام أن تتأثر الجموع البشرية التى احتشدت فى ساحة الإعدام فأمر سيافه الذى كان يسمى بالوشاح بأن يقطع رأسه فلا يتم كلامه .

أما الملازم محمد قائد سيف فقد شاء القدر أن يحفظه فكتب نجاته وحرسه حتى وصل إلى عدن .

ولله حكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه .

وصل البدر والأستاذ أحمد نعمان إلى تعز بعد انتصار الإمام أحمد . وأذكر أننى حضرت مأدبة غذاء فى دار الضيافة حضرها الإمام وكان البدر يجلس على يمينه والأستاذ أحمد نعمان يجلس على يساره .

أثناء حفل الغذاء سمعت الإمام يقول هذا عينى اليمنى مشيرا إلى البدر ، وهذا عينى اليسرى مشيرا إلى الأستاذ أحمد نعمان .

تصور الحاضرون ، وكنت من بينهم ، أن الأستاذ أحمد نعمان قد لاحت له الفرصة التاريخية كى يتحرك بالإمام أحمد نحو إصلاح اليمن ، فقد أصبح محلا لثقته بعد أن أثبت له ولاءه المطلق عندما كان الإمام أعزلا من كل سلاح ، مجردا من كل سلطان ، معرضا للحكم عليه بالموت فى كل لحظة .

ولعل الأستاذ نعمان أعتقد ذلك مثل ماعتقدنا جميعا وهيأ نفسه للقيام بدور الناصح الأمين للامام ، المبشر بالفجر الجديد فى اليمن ، وكان قد أمضى سبع سنوات مع زعماء اليمن المصلحين فى ظلمات سجن حجه ثمنا لتطلعه إلى هذا الفجر الجديد فقطع معهم زهرة شبابه ليشم الشعب رائحتها التى تفوح بالوطنية والمثالية وذروة التضحية .

سافر البدر ومعه الأستاذ نعمان إلى المملكة العربية السعودية ثم إلى مصر لشكر حكومتيهما على موقفهما النبيل عندما أرسلت كل منهما وفدا لتهنئة الإمام فور انتصاره على الانقلاب .

وفى القاهرة صرح البدر للصحفيين بأن الإمام أحمد عازم على إصلاح الأوضاع اليمنية مستفيدا من كنوز الإمام يحيى التى كان قد ادخرها للشعب اليمنى ، وإن الإمام على وشك إجراء تغيرات وزارية للانتفاع بالكفاءات الوطنية فى تحقيق هذا الإصلاح .

عاد البدر والاستاذ نعمان إلى تعز وكان الإمام يعتقد أن الأستاذ نعمان هو الذى أوحى للبدر بهذه التصريحات التى كانت لا تتفق مع عقليته .

استدعى الإمام الأستاذ نعمان وطلب منه أن يقدم له قائمة بأسماء من يرى أنهم صالحون لعضوية الوزارة الجديدة ، ثم قال بيتا من الشعر كان يحلو له أن يردده فى مثل هذه المناسبات وهو :

إنى لأغمض عينى ثم أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

ثم التفت الإمام إلى البدر وقال (والله لن تجدوا غير سيفى هذا) .

تحطمت آمال الأستاذ أحمد نعمان وندم على عودته مع البدر بعد أن وصل إلى شاطىء الآمان فى القاهرة ،حيث يقيم رفيق نضاله القاضى محمد محمود الزبيرى الذى كان اسمه ضمن الوزراء فى انقلاب ١٩٤٨ وكان فى المملكة العربية السعودية عندما فشل الانقلاب فلم يتمكن الإمام أحمد من إلقاء القبض عليه فلجأ إلى باكستان ثم إلى مصر بعد قيام الثورة المصرية .

تجمدت الميول الإصلاحية التى ترددت على لسان الإمام أثر انتصاره على الانقلاب ، فاكتفى بأن يعيش على نشوته ، ولعل ما ساعده على ذلك مبالغة الشعب اليمنى فى تهنئته بمناسبة انتصاره والدعاء له والصلاة عليه ، على النحو الذى كانت تختم به التهانى والشكاوى والرسائل الموجهة إلى الإمام ، حيث كان من الضرورى أن يكون ختامها عبارة (صلوات لله عليكم ورحمته وبركاته) .

كان البدر يعتقد أن انتصاره على منافسه ، الذى بقى على قيد الحياة وهو عمه الحسن ، لن يتحقق إلا على أساس الشعارات الاصلاحية التى يطلقها كمدفعية ثقيلة فى مواجهة مواقف عمه التقليدية التى كفر بها معظم أبناء الشعب اليمنى .

اتفق الإمام والبدر على مفاوضات مع المملكة العربية السعودية ومصر بقصد إبرام حلف عسكرى معهما . فذلك مما لايضير الإمام فى شىء لكنه يخلق قاعدة سياسية لعلاقة خاصة تزيد من مكانة البدر فى كل من المملكة ومصر ، بعد أن تبين للإمام أن لهما تأثيرا خاصا فى مجرى الأحداث فى اليمن .

سافر البدر ومعه الأستاذ نعمان إلى المملكة العربية السعودية وأثناء المفاوضاوت مع الملك سعود استغل الأستاذ نعمان الفرصة وسافر إلى القاهرة والتجأ إلى مصر .

عاد البدر إلى تعز بدون الأستاذ نعمان وسقط الأمر فى يد الإمام حيث انضم نعمان إلى الزبيرى فى عرين ثورة ٢٣ يولية ، ولعل إحساس الإمام بالخطر من قيام معارضة فى القاهرة تناهض حكمه فى اليمن جعله يسرع إلى جده ويوقع الحلف الثلاثى مع الملك سعود والرئيس جمال عبد الناصر فى ١٨ أبريل سنة ١٩٥٦ .

كان البدر سعيدا بتوقيع هذا الحلف وهو يبشر أبناء الشعب بأنه يعمل بقدر ما تسمح به ظروف والده الإمام من أجل الخروج باليمن من عزلتها ، وتوسيع دائرة علاقاتها الخارجية العربية والعالمية ، مؤكدا أنه يتحين كل فرصة لتحقيق الاصلاحات الداخلية .

سواء كنت مقتنعا بكلام البدر أو غير مقتنع ، فلقد كانت عقيدتى الراسخة والعقلانية أنه لا بديل عن البدر ، على حاله وما كان عليه ، فتلك كانت قدرته وطاقته ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، ويكفى أنه كان يوسع دائرة علاقات اليمن الخارجية ويطلق شعار الاصلاحات الداخلية . وكانت تلك خطوات ضرورية على طريق الاصلاحات الجذرية .

ولنعتبر شعارات البدر الاصلاحية الكلامية بمثابة منشورات يوزعها البدر بنفسه ، لأنها توحى لأبناء الشعب اليمنى بأنه حتى البدر نفسه يسعى إلى الإصلاح ، أى أنه حتى هو شخصيا ، لم يكن موافقا على بقاء الظروف الداخلية على ما كانت عليه .

وتلك شهادة شاهد من اهلها .

بدأت الدعوة العلنية الرسمية إلى تنصيب البدر وليا للعهد تأخذ طريقها إلى حيز التنفيذ . اجتمع عدد كبير من العلماء والتجار فى الحديدة ووقف السيد أحمد محمد الشامى يخطب فى الحاضرين وألقى قصيدة يدعو فيها إلى مبايعة البدر وليا للعهد وكان من بين أبياتها موجها خطابه للبدر :

إذا لم تكن أنت الخليفة بعده ... وفاء وشكرا بل قضاء محتما
فلا نبضت للشعب روح ولا علت ... له راية حتى يكب جهنما

وبدأت البيعة تؤخذ للبدر من كبار العلماء والمشايخ والتجار والموظفين ، وكانت الوفود تطوف بمعظم مدن اليمن وقراها تنادى للبدر وتجمع توقيعات أعيان الشعب على بيعته .

بينما زاد نشاط أنصار الحسن وحاولوا تشويه سمعة البدر ونشروا الدعاية ضده محذرين الشعب اليمنى من نتائج سياسة انفتاح البدر على الدول الأجنبية شارحين أنه لا تتحقق فيه شروط الإمامة من العلم والعدل والتقوى والاجتهاد وغير ذلك من الشروط الرائعة المعروفة ، والتى لم تتحقق فى أى أمام حكم اليمن على وجه الاطلاق .

غنى عن القول أن الحسن نفسه لم تتوفر فيه هذه الشروط إلا مجرد إدعائه بأنه ينتسب إلى الرسول ﷺ ، ولو كان ذلك حقا وصدقا لكان شرفا نغبطه عليه ونجله من أجله ، لكن ذلك لم يكن ولن يكون مؤهلا وحيدا لولاية أمر المسلمين .

لم يخف الحسن عداءه لأى إصلاح وكان ينتقد الإمام سرا وعلانية متهما إياه بأنه عندما يكسر أسوار اليمن ويفتح أبوابها للحضارة الأجنبية فإنه يقضى تدريجيا على الامتيازات العنصرية السائدة فى اليمن ، والتى هى الركيزة الأساسية لنظام الحكم الإمامى ، مما يؤدى حتما إلى القضاء على امتيازات الأسرة المالكة وغيرها من الأسر الهاشمية المؤهلة لتولى الإمامة فى اليمن ، وبذلك يتعرض الإسلام نفسه للخطر كما كان يحلو له أن يقول دائما .

بهذا المنطق كان فى وسع الحسن ان يجمع حوله معظم الأسر الهاشمية وعددا من شيوخ القبائل الذين يهبون لنصرة من يتستر خلف الإسلام بغير أدنى مناقشة .

كان الموقف على هذا النحو خطيرا جدا ، ولم يكن فى الإمكان الاعتماد على أية مجموعة من الجيش اليمنى لتأييد البدر إذا ما وقع حادث مفاجىء للإمام ، فلم يكن الجيش موجودا فى اليمن بمعنى كلمة جيش بل كان مجموعة من أفراد غير ملتزمين بنظام إلا تنفيذ رغبات الإمام والاتصال به مباشرة ، وكانوا ينقسمون إلى عدة أنواع لا تجمع بينهم أية صلة ، وكان أعظم هدف لهم هو التسلط على الرعايا ونهب أموالهم باسم تنفيذ أوامر الإمام . وكان سلاح أفراد الجيش عبارة عن بنادق قديمة ، شأنها فى ذلك شأن معظم السلاح الذى يحمله تقريبا كل فرد من أفراد الشعب اليمنى ، ولذلك كان يسهل على الإمام أن يستخدمهم فى أن يضرب بعضهم بعضا ، كما كان يفعل عادة بين القبائل .

لم يكن هناك بد من التفكير فى كيفية إحضار أسلحة حديثة إلى اليمن تتفوق على البنادق والرشاشات التى فى أيدى القبائل ، مع التفكير فى تدريب عدة كتائب من الجيش على هذه الأسلحة وإعادة تنظيمها وفق الأنظمة العسكرية الحديثة ، مع نشر الوعى فيما بين أفرادها لتكون سندا للبدر مع رجال القبائل وغيرهم من أبناء الشعب عندما يدافعون عن الإصلاح .

كانت فى ذهنى الأسلحة الروسية التى بدأت قبل ذلك ببضعة أشهر تصل إلى مصر منذ سبتمبر ١٩٥٥ تنفيذا لصفقة الأسلحة التى عقدها جمال عبد الناصر .

وسرح خيالى إلى حد إمكانية حصول البدر على مثيلها لا سيما وقد كان نشاط الحسن بمثابة المناخ المناسب لإقناع الإمام بالسعى إلى الحصول عليها .

اتفقت مع البدر على أن أتولى عرض اقتراحٍ بهذا الشأن على الإمام ، لكننى لم أجد الفرصة المناسبة حيث أننى كلما ذهبت لمقابلته وجدت فى مجلسه رجالا أعرف أنهم من أعوان الحسن ، أو أنهم من مدرسته المتخلفة .

كانت هناك مشكلة أخرى لا تقل خطورة عن مشكلة حاجة الجيش اليمنى إلى الأسلحة الحديثة والتدريب ونشر الوعى ، كانت تلك مشكلة ميناء الحديدة وهو الميناء البحرى الرئيسى فى اليمن .

كان الميناء لا يصلح إلا للسفن الصغيرة التى كان عليها أن ترسو على بعد مئات الأمتار من الشاطىء الضحل وبعد ذلك تتجه إليها الزوارق الصغيرة (التى تسمى السنابك بلغة اليمن) لتقوم بنقل البضائع والرْكاب إلى القرب من الشاطىء ، حيث يكون الحمالون فى الانتظار لحمل البضائع والركاب فوق أكتافهم وسط المياه إلى رصيف الميناء الرملى .

كان الميناء الآخر فى الصليف وكان بحكم طبيعته العميقة نسبيا مجهزا لشحن الملح اليمنى على البواخر الصغيرة التى تصل إليه لهذا الغرض وحده لحساب اليابان .

فكان لابد عند التفكير فى كيفية الاتفاق على أسلحة ثقيلة باسم الدفاع عن البدر أن أبحث عن كيفية إحضارها إلى اليمن .

وشاء القدر أن يأتى بالجواب .

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَاكُمْ
عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

قرآن كريم

الطريق إلى الإصلاح

الفصل الثالث



١

كانت العلاقات الاقتصادية تكاد تنقطع بين اليمن واليابان فأمر الامام بتشكيل وفد يمنى برئاستى للسفر إلى طوكيو لإجراء مفاوضات إقتصادية مع الحكومة اليابانية ، وفوضنى بتوقيع الاتفاقية التى استطيع التوصل إليها هناك . وعندما استلمت الملف الخاص بموضوع الخلاف بين اليمن واليابان تبينت أنه ينحصر فى توقف اليابان عن استيراد الملح اليمنى الذى كان يهم الإمام بصفة شخصية ، لأن التاجر اليمنى الشيخ على محمد الجبلى كان يبيعه لليابان لحساب الإمام .

سافرت على رأس الوفد اليمنى إلى اليابان وفهمت أن اسباب توقف اليابان عن استيراد الملح اليمنى هي عدم وجود علاقة تجارية مباشرة بين اليمن واليابان . فالسلع اليابانية المتداولة فى الأسواق اليمنية يتم تصديرها إلى عدن وباسم عدن ، حيث لا يوجد فى اليمن ميناء لا ستقبال السلع اليابانية أو غير اليابانية ، كما لا يوجد فى اليمن بنك يقوم بإجراء المعاملات المصرفية .

محصلة القول أن اليابان تستورد الملح من ميناء الصليف لكنها لا تبيع لليمن شيئا ، لأن جميع مبيعاتها إلى الأسواق اليمنية تصل إلى عدن .

فضلا عن ذلك قامت السلطات الإستعمارية فى عدن بإنشاء ملاحات بحرية ، وهددت اليابان بإغلاق أسواق عدن فى وجه السلع اليابانية إذا لم تستورد اليابان الملح العدنى الذى كان يغنيها عن الملح اليمنى .

أثناء المفاوضات أقنعت الحكومة اليابانية بأنها إذا لم تشتر الملح اليمنى فإنه فى وسع الحكومة اليمنية أن تغلق أسواقها فى وجه السلع اليابانية التى تصلها إليها عن طريق عدن ، وعندئذ لن تستطيع اليابان الحفاظ على مستوى صادرتها إلى عدن التى يصل معظمها إلى الأسواق اليمنية .

وكنا نتحدث فى ذلك الوقت عن مائة ألف طن من الملح فى السنة كان ثمنها مائة ألف جنيها استرلينيا ، لكن الإمام كان حريصا على تصديرها إلى اليابان حيث كانت البلد الوحيد فى العالم الذى يستورد الملح .

قلت للحكومة اليابانية أنها لو اشترت من اليمن هذه المائة ألف طنا من الملح وألقتها فى البحر الاحمر على شاطىء اليمن كى توفر تكاليف شحنها إلى اليابان لكان ذلك عملا

اقتصاديا ، لأنها تتحمل فقط مائة ألف جنيها إسترلينيا سنويا يمكن اعتبارها نفقات دعاية حفاظا على السلع اليابانية فى الأسواق اليمنية ، وكانت قيمة هذه السلع تبلغ أكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات الاسترلينية سنويا .

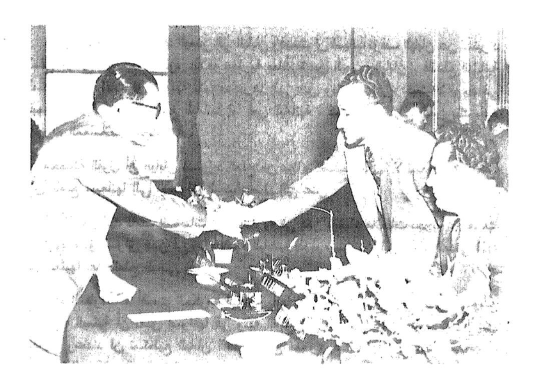
وافقت الحكومة اليابانية على وجهه نظرى ، وبينما كنا نصوغ مواد الاتفاقية الخاصة بذلك اقترحت على الجانب اليابانى أن يضع فيها شرطين لتنفيذها .

الشرط الأول أن تتعهد الحكومة اليمنية بتوسيع وتعميق ميناء الحديدة وجعله صالحا للملاحة الدولية .

والشرط الثانى أن تتعهد الحكومة اليمنية بإنشاء بنك فى الحديدة يتولى الشئون المصرفية اليمنية الدولية ، حتى تنشأ علاقة تجارية مباشرة بين اليمن واليابان .

وتم ذلك فعلا ووقعت الاتفاقية على هذا النحو باسم الحكومة اليمنية

وكان من الغرائب أن تتضمن اتفاقية تجارية مثل هذه الشروط .



المؤلف يصافح وزير الاقتصاد اليابانى بعد توقيع أول إتفاقية إقتصادية بين اليمن واليابان (أبريل ١٩٥٦)

كان هدفى من اقتراح هذين الشرطين استغلال حرص الإمام على تصدير الملح اليمنى إلى اليابان فيضطر إلى بناء ميناء يمنى فى الحديدة حتى يصبح صالح للملاحة الدولية ، وكنت كلما اقنعت الإمام بذلك من قبل كان يسرع إلى العدول عنه ، عندما يهمس فى أذنه بعض المغرضين يحذرون من مغبة إصلاح ميناء الحديدة بدعوى أن ذلك يسهل على الغزاة الأجانب إنزال مدرعاتهم وعرباتهم الثقيلة وإدخالها إلى الأراضى اليمنية .

عدت من اليابان رأسا إلى مقر عملى فى ألمانيا الغربية بعد أن أرسلت الاتفاقية التجارية إلى الإمام . فوصلتنى برقية منه يشكرنى فيها على جهودى مع الحكومة اليابانية ، ويخبرنى بإنه وافق على فكرة إصلاح ميناء الحديدة ويكلفنى ببحث تكاليفه مع الشركات الألمانية .

قدمت إلى كلية الاقتصاد بجامعة بون شهادات ليسانس الحقوق ودبلوم الدراسات العليا فى الاقتصاد السياسى ، ودبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الاسلامية ، التى سبق أن حصلت عليها من جامعة القاهرة ، وشهادة من هذه الجامعة تثبت اننى سجلت لديها رسالة دكتوراه عن الاقتصاد الإسلامى . وكان الغرض من تقديم هذه المستندات إلى كلية الاقتصاد بجامعة بون أن أسجل لديها هذه الرسالة كى يتولى الأساتذه الألمان المختصون مراجعتها حتى اتقدم لمناقشتها والحصول على شهادة الدكتوراه .

أدهشنى كثيرا ما علمته من جامعة بون أنها لا تعترف بالشهادات النظرية التى تمنحها الجامعات خارج ألمانيا الغربية ، وأنها تعتبرنى مجرد طالب حاصل على شهادة الثانوية العامة ، وينبغى أن أقضى أربع سنوات فى كلية الاقتصاد بجامعة بون كى أحصل على شهادة (بكالوريوس) فى الاقتصاد السياسى وبعد ذلك أسجل رسالة الدكتوراه .

كان ذلك هو الأمر الواقع الذى لا مفر منه ، والذى رحبت به مادام سيؤدى إلى حصولى على المزيد من المعرفة فالتحقت بالسنة الأولى فى كلية الاقتصاد بجامعة بون فى دورة ربيع ١٩٥٦ إلى جانب عملى فى السفارة .

وبدأت اتصل بالشركات الألمانية المختصة ببناء الموانى تنفيذا لتعليمات الإمام ، وأخذت أبحث معها التيسيرات التى أطلبها فى شروط الدفع ، وبينما كنت أعطى تأشيرات دخول اليمن لطلائع المهندسين الألمان ، الذين اختارتهم إحدى الشركات الألمانية للسفر إلى اليمن لإعداد الدراسات الأولية عن ميناء الحديدة ، إذا ببرقية عاجلة تصلنى من الإمام فى مايو ١٩٥٦ يأمرنى فيها بأن أتوجه إلى القاهرة للاشتراك مع القاضى محمد الحجرى رئيس المالية والسيد أحمد الشامى سكرتير أول السفارة اليمنية بالقاهرة لإجراء مفاوضات اقتصادية مع الحكومة المصرية .

كانت دهشتى عندما فوجئت بإن رئيس الوفد الاقتصادى المصرى هو الاستاذ مصطفى حسن مدير الإدارة الاقتصادية بوزارة الخارجية ، وكان هو ناظر مدرسة التجارة المتوسطة بالظاهر سنة ١٩٤٥ الذى سمح لى بالغياب عن المدرسة حتى أستفيد من كل لحظة فى دراسة منهاج شهادة الثقافة العامة نظام الأربع سنوات وكان يظن إننى أطلب المستحيل .

ترددت فى أن أكشف له عن شخصيتى وكنت أرتدى الملابس اليمنية حيث كانت هذه عادتنا فى ذلك الوقت عندما يشترك اليمنيون فى أعمال رسمية خارج اليمن .

استمرت المفاوضات عدة أيام دون أن أكشف له عن شخصيتى ، وكان القاضى محمد الحجرى والسيد أحمد الشامى قد تركا لى (بحكم التخصص) التصدى لجميع المناقشات وإقرار ما يتناسب مع مصلحة اليمن .

فى اليوم الأخير من أعمال الوفد دعانا الوفد المصرى إلى حفل عشاء تكريما لنا فى نادى محمد على وكان الاستاذ مصطفى حسن رئيس الوفد المصرى يجلس أمامى على مائدة العشاء فكتبت له ورقة أشير فيها إلى قصتى معه سنة ١٩٤٥ وأشكره على مساعدته لى ، وعندما قرأها وقف يحتضننى ويغمرنى بعواطفه وقبلاته حتى استغرب الحاضرون اليمنيون والمصريون هذا المشهد المفاجىء بعد ما سبق بيننا من مناقشات حامية أثناء المفاوضات .

وقف الأستاذ مصطفى حسن يلقى كلمة يشرح فيها قصتى معه وإعجابه بها ووقفت بعده أشكره عليها وأعبر له عن فضله الذى يطوق عنقى حتى آخر عمرى .

عدت إلى مقر عملى فى ألمانيا الغربية وبدأت أطالع مقررات السنة الأولى بكلية الاقتصاد بجامعة بون ، واستأنف الإتصال بالشركة الألمانية المختصة ببناء الموانى البحرية ، وبعد أن أتممت الاتفاق المبدئى معها بشأن ميناء الحديدة ، أرسلت برقية إلى الإمام استأذنه فى وصول خبرائها إلى اليمن ، فرد الإمام ببرقية عاجلة يأمرنى بالسفر فورا إلى موسكو للانضمام إلى الأمير البدر مستشارا ومترجما له أثناء زيارته الرسمية للاتحاد السوفيتى ، وكان ذلك فى يونيه ١٩٥٦ .

اشترك فى عضوية هذا الوفد عدد من اليمنيين على رأسهم القاضى محمد عبد الله العمرى وكيل وزارة الخارجية والقاضى عبد الرحمن السياغى وزير المعارف والشيخ على محمد الجبلى والبكارى من التجار اليمنيين والمقدم عبد الله الضبى المرافق العسكرى للبدر .

لاحت الفرصة الذهبية التاريخية لإدخال أسلحة حديثة إلى اليمن ، وما يترتب على ذلك من تدريب الجيش اليمنى عليها ، ثم تنظيمه وتثقيفه ونشر الوعى بين أفراده ، فأقنعت البدر بأهمية السعى إلى الحصول على أسلحة من روسيا وكان القاضى محمد عبد الله العمرى حاضرا معى مؤيدا لوجهة نظرى . وأثناء أحدى جلسات المفاوضات التى كانت تنحصر فى صفقات السكر والخشب والمعدات الزراعية ، التى كان التجار من أعضاء الوفد يلحون عليها لحسابهم وحساب الإمام الشخصى تحت ستار المفاوضات الرسمية بين الحكومتين اليمنية والسوفيتية ، نفذت مااتفقت عليه مع البدر وقلت أن اليمن تعانى من سلسلة إعتداءات بريطانية على قراها ومدنها الجنوبية الملاصقة للمناطق التى تحتلها بريطانيا ، وأننا فى حاجة ماسة إلى أسلحة للدفاع عن مدننا وقرانا أكثر من حاجتنا إلى السكر والخشب والمعدات الزراعية .



المؤلف مع الأمير (السابق) البدر فى موسكو (يونية ١٩٥٦)

كنت أجلس بجوار الأمير البدر الذى أيد هذا الطلب للدفاع عن ولاية عهده فى مواجهة عمه الحسن ، وعلى أثر ذلك تولى القاضى عبد الله العمرى الاسهاب فى شرح الحاجة إلى السلاح ، وكان من أقوى المتحمسين للعمل على إيجاد جيش يمنى قوى منظم ومدرب .

فأجاب خروشوف رئيس الوفد السوفيتى بأنه ينتظر منا قائمة بالأسلحة المطلوبة وأنه على استعداد لتلبية طلبنا كهدية من الإتحاد السوفيتى .

كنت أعلم مقدما أننا إذا طلبنا سلاحا من الإتحاد السوفيتى فإنه سيرحب بالاستجابة له لأنه كان يسعى جاهدا إلى توسيع دائرة نشاطه ، بعد أن تمكن من اختراق الحصار الغربى عندما أوحى إلى تشيكوسلوفاكيا بأن تعقد مع مصر صفقة الأسلحة المشهورة . ولم يساورنى أدنى قلق على مصلحة الشعب اليمنى إذا ما وصل السلاح الروسى إليها ، لأننا طالما كنا نعرف هدفنا من طلب السلاح فإننا نستطيع الحرص على تحقيقه ، مع المحافظة على حصار المذاهب السياسية والافكار الشيوعية التى لا نقرها ولا نسمح بها .

كان فى يقينى فى ذلك الوقت أننا إذا حصلنا على السلاح من روسيا فإننا نستطيع الحصول على المدربين من مصر ، ولم يكن فى حسبانى أن روسيا ستتمسك بإرسال مدربين روس وهى تعلم ظروف اليمن وشكوك الإمام ، وما دامت هى التى ستدرب المصريين على السلاح الشرقى فلن يضيرها أن يقوم المصريون بتدريب اليمنيين عليه . فإذا ما وقع فى اليمن رغم كل ذلك ، أى قدر من النتائج غير المستحبة فأنه يمكن احتواؤها وعلاجها .

والسياسة على كل الأحوال أخذ وعطاء ، وهى تعتمد على عملية حسابية تجمع المصالح وتطرح منها المضار ، وبعد عملية الجمع والطرح والقسمة والضرب يخرج الجواب النهائى ، فإما أن يقبل رجل السياسة الاتفاق بكل سرور ، وأما أن يعتذر عنه بكل أدب .

كان إصلاح اليمن يتوقف على الحصول على السلاح الثقيل والحديث وما يعقب ذلك من تدريب ونشر الوعى الوطنى .

وفى اليوم التالى قدم البدر إلى خروشوف قائمة باحتياجاتنا من الأسلحة التى سهرت مع القاضى محمد عبد الله العمرى على إعدادها طول الليل .

أذاعت موسكو أنها أهدت إلى اليمن أسلحة للدفاع عن نفسها ضد الاعتداءات التى تواجهها من الجنوب .

التقطت وزارة الخارجية البريطانية هذا الخبر وكان السيد حسن ابراهيم سفير اليمن فى لندن فى مقابلة مع المستر إيدن رئيس وزراء بريطانيا الذى أبدى انزعاجه الشديد من هذه المفاجأة .



المؤلف يشرح للأمير (السابق) البدر بنود إتفاقية الأسلحة الروسية ووقف على يمين
الصورة القاضى عبد الله عبد الإله الأغبرى ، وعلى اليسار القاضى محمد عبد الله العمرى
وكيل وزارة الخارجية (يونية ١٩٥٦)

كان السيد حسن إبراهيم على خلاف شديد مع القاضى محمد عبد الله العمرى لمنافستهما على منصب وكيل وزارة الخارجية ، ومنافستهما على القرب من قلب الإمام أحمد ، كما كان السيد حسن إبراهيم من الهاشميين المتطلعين إلى منصب الإمامة وعلى علاقة وثيقة ببريطانيا ، فسافر فى نفس اليوم متوجها إلى اليمن ، ليحذر الإمام من هدية الأسلحة الروسية .

قبل سفره من لندن أبرق إلى السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب سفير اليمن بالقاهرة كى يلتقى به فى المطار لينسق معه إشاعة الذعر فى قلب الإمام حتى يرفض هذه الأسلحة .

وصل السيد حسن ابراهيم إلى اليمن وكنا لا نزال فى موسكو فى طريقنا إلى ألمانيا الشرقية .

وفى حفل العشاء الذى أقامه المارشال بولجانين والرفيق خروشوف ، فى قاعة الاحتفالات الكبرى فى الكرملين تكريما للوفد اليمنى ، وقف البدر يلقى كلمة ارتجالية وكنت واقفا إلى جواره اترجم فقرات كلمته إلى اللغة الانجليزية ، وكان يقف أمامى من الجهة الأخرى المترجم السوفيتى عبد الرحمن سلطانوف الذى أصبح فيما بعد سفيرا للاتحاد السوفيتى فى اليمن .

وإذا بالبدر يقول موجها كلامه للوفد السوفيتى أنه لا يستغرب حفاوة حكومة الاتحاد السوفيتى به ، والتفاف الشعب السوفيتى من حوله ، حيث تجمع بين اليمن والاتحاد السوفيتى صفات مشتركة ، فكما أن علم الاتحاد السوفيتى لونه أحمر فإن علم اليمن أيضا لونه أحمر ، بل وأكثر من ذلك ، ان اليمن تقع على شاطىء البحر الاحمر .

سقط الأمر فى يدى ، وتصرفت كعادتى عند ترجمة خطبه ومناقشاته أثناء المفاوضات بما يخدم الغرض الذى كان يقصده ، وفى إطار ما سبق أن اتفق عليه أعضاء الوفد اليمنى .

تصرفت فى ترجمة هذه العبارة وقلت أن الأمير البدر لا يستغرب حفاوة الاتحاد السوفيتى به شعبا وحكومة لأنه جاء إلى موسكو مع زملائه أعضاء الوفد اليمنى يحمل معهم رغبة الشعب اليمنى الصادقة وعزم الإمام أحمد الأكيد على توطيد أوثق روابط الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتى ، الذى تنتظر منه اليمن أن يقف معها وهى تدعم استقلالها فى مواجهة الاعتداءات البريطانية ، ويساعدها على تطوير مواردها الطبيعية والبشرية فى مواجهة تخلفها الاقتصادى ، وأن الوفد اليمنى لم يستغرب إسراع الحكومة السوفيتية إلى تلبية طلباته لأنه يعرف مدى حرص الاتحاد السوفيتى على دعم استقلال الشعوب وتنمية مواردها ورفع مستوى معيشة أبنائها .

صفق خروشوف وبولجانين ومن كان معهما من الحاضرين السوفيت مدة طويلة غير معتادة للأمير البدر ، وانصرف المدعوون وكان اخرهم خروشوف الذى شد على يد البدر وأكد له تأييده المطلق .

أثناء عودتنا إلى قصر الضيافة كان يجلس بجوارى المترجم الروسى عبد الرحمن سلطانوف ، وإذا به يقول ، باللغة العربية الفصحى وبطلاقة ، إننى لم اترجم كلمات البدر واننى أحسنت كثيرا حين تجاهلت العلم الأحمر والبحر الأحمر .

كنت فى ذهول بعد أن عرفت أن عبد الرحمن سلطانوف من خريجى الأزهر الشريف فى مصر ، وإنه أخفى عنا ذلك حتى انتهت زيارة البدر وأتم خطبه ومناقشاته التى كنت أترجمها بما يتفق مع أهداف الوفد ونية البدر ، وإن كانت ترجمتى تبتعد كل البعد عن كلماته .

لا شك فى أن سلطانوف قد نقل إلى الروسية كلام البدر أثناء تلك الزيارة الرسمية رغم أنه حاول إقناعى بإنه نقل فقط الى الروسية ترجمتى الانجليزية ، قائلا أننى كنت أنقل فى ذلك وجهة نظر الوفد اليمنى حيث كنت أحد أعضائه كما كنت أمثل وجهة نظر البدر باعتبارى مستشاره السياسى .

شكرته على حسن ظنه وحرصه على توطيد العلاقات بين البلدين ، واعتذرت عن البدر بأنه حديث العهد بالخطب السياسية والمفاوضات مع الدول الأجنبية ، وأكدت أنه يتجه بكل أحلامه إلى الإصلاح فى اليمن ويسعى جهد طاقته إلى توسيع دائرة علاقات اليمن الخارجية . وأكدت أن كل ماقلته على لسانه كنت أعرف أنه يحمله فى قلبه .

كان عبد الرحمن سلطانوف شديد السيطرة على أعصابه ، وكان مرافقا للوفد مختلطا بنا طيلة الزيارة الرسمية التى طفنا خلالها بالعديد من المناطق والبلاد السوفيتية ، وكنا نتحفظ فى أحاديثنا كلما وجدناه معنا ظنا منا أنه من رجال المخابرات السوفيتية ، ولا شك فى أنه كان كذلك ، ولم يشعرنا قط بأنه يفهم شيئا مما نقول بلغتنا العربية ، بل كان لا يبتسم ولا يعبس من أية كلمة أو حركة أو موقف يثير الضحك أو العبوس ، حتى أنه لم يضحك معنا من أى موقف من المواقف الحرجة التى كان أحد أعضاء الوفد القاضى عبد الرحمن السياغى يضعنا فيها من حين إلى اخر .

كان القاضى عبد الرحمن السياغى وزير المعارف ووزير الداخلية فيما بعد رفيقا متعبا فى السفر ، وعقلا جامدا فى المناقشة ، وعينا نافذة للإمام .

رفض أن يتناول الطعام فى حفل غذاء فى قصر الكرملين لأن الملاعق كانت من ذهب وهذا حرام . وتوقف الحفل نصف ساعة أو يزيد حتى أبلغونا بأنهم لم يجدوا فى القصر ملاعق غير ذهبية فاستأذنت له كى يأكل بيده .

اثناء انتظار الملاعق غير الذهبية شرح القاضى عبد الرحمن السياغى أسباب رفضه ، وكان لا بد من أن أترجم لأصحاب الحفل ما رواه عن النووى قائلا أن الإجماع منعقد على تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة فى الأكل والشرب والطهارة والاكل بملعقة من أحدهما والتجمر بمجمرة منهما والبول فى الإناء منهما وجميع وجوه الاستعمال ، كما ألح علىّ أن استمر فى الترجمة لاسيما عندما استشهد بحديث الرسول ﷺ الذى قال (من يشرب فى إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر فى بطنه نارا من جهنم) .

لم يدرك القاضى عبد الرحمن السياغى إننا كنا ضيوفا على قوم ملحدين لا يعترفون بالسماء وأنه كان فى وسعه أن يأكل بتلك الملاعق مكرها وقلبه عامر بالإيمان فيرفع عنا وعنهم الحرج .

وعندما كنا فى مدينة لننجراد التى هى فى أقصى شمال الاتحاد السوفيتى ، وكان ذلك فى منتصف الصيف حيث يكاد الفارق بين الليل والنهار يتلاشى ، أيقظ السياغى الوفد اليمنى كله ، ومعنا البدر وقال إن عنده مشكلة تحتاج إلى حل حاسم وسريع ، وهى أنه أراد صلاة العشاء لكنه رأى فى الأفق الشمس والقمر ، ولا يدرى أيهما الشمس وأيهما القمر ، الإثنان فى الأفق ، ولافرق بينهما .

ولايدرى هل يصلى العشاء أو الفجر .. فقلت مازحا .. لا العشاء ولا الفجر .. لأنه لا تجوز صلاة العشاء مع وجود الشمس .. ولا تجوز صلاة الفجر بعد أن طلعت الشمس .

ثم قلت له إننى صليت العشاء حسب توقيت أقرب بلد إسلامى .

ومن الذكريات ذات الطابع الخاص عن تلك الزيارة ان سكرتير الوفد الأستاذ زكى نخلة (فلسطينى الجنسية) أراد أن يلتقط صورا للعمال الروس وهم يؤدون أعمالهم ويظهر عليهم العناء والشقاء ، لا سيما النساء منهم اللائى كن يقدن عربات النقل العام والروافع الثقيلة .



من اليمين : أحد الفنانين الروس ، الأستاذ زكريا نيل ، الأمير (السابق) البدر ، أحد أعضاء الوفد ثم المؤلف (يونية ١٩٥٦)

إستأذن من عبد الرحمن سلطانوف كى يلتقط صورا بآلة التصوير التى كان يحملها أين يذهب فأذن له وأهداه عددا من الأفلام الملونة ، وقبيل إنتهاء زيارة الوفد الرسمية عرض عليه سلطانوف أن يتولى تحميض تلك الأفلام فى معمل التحميض الحكومى فأخذها منه ، ثم أعادها إليه فى اليوم التالى ساعة رحيلنا من موسكو وهو يعتذر بأنها قد تعرضت كلها للضوء بطريق الخطأ فلم يظهر منها شيء .

كان المستشار الصحفى للوفد الأستاذ زكريا نيل (رئيس الإدارة السياسية بجريدة الأهرام الآن) أكثر ذكاء ودهاء من صاحبنا زكى نخلة لأنه سجل بقلمه تفاصيل ما شاهده ، والتقط ما شاء من صور خارج المصانع حتى لا يثير حفيظة الروس وكان لايفارق الة التصوير التى كانت معه ، وعندما كان يدخل معنا أى مصنع لزيارته كان يعلقها على كتفه دون أن يستخدمها على وجه الاطلاق ، وكان يذيع التصريحات الصحفية على لسان البدر بأحلى العبارات وأدق المعانى بما يتفق مع الاهداف اليمنية السوفيتية التى استهدفتها الزيارة الرسمية .

أذاعت موسكو والصحف السوفيتية هذه التصريحات البليغة وهى فى قمة الإعجاب بالأمير الذى جاءها من أعالى البحار يفتح ذراعيه للصداقة ويطرق قلبها بالمحبة ، من الباب الذى فتحه جمال عبد الناصر .

قيل الكثير على لسان الأمير ، ومثلما كنت أعرف ضمير الأمير وأترجمه ، كان زكريا نبيل يقرأ فكره ويذيعه .

وصلنا إلى ألمانيا الشرقية فى زيارة رسمية ، وكان البدر فى قمة نشوته وفرحته بما حققناه فى موسكو ، فقد حصلنا على هدية السلاح وتم الاتفاق على إصلاح ميناء الحديدة إلى جانب الصفقات التجارية التى فرح بها التجار من أعضاء الوفد اليمنى .

وفجأة وجدت البدر حزينا أشد الحزن وهو يجلس بجوار القاضى محمد عبد الله العمرى وكأن على رأسيهما الطير . قضيت لحظات الصمت على أحر من الجمر بعد أن سألت عن سبب الحيرة والقلق والحزن . قال البدر أنه تلقى برقية شديدة اللهجة من والده الإمام يستنكر فيها إقدامنا على طلب الأسلحة الروسية دون تفويض منه ، وسأل الإمام فى برقيته عن المسئول منا عن طلب هذه الأسلحة .

كان لا بد من إبعاد البدر عن هذه المسئولية حتى لا تهتز ثقة الإمام فيه فيمنعه من الاستمرار فى نشاطه ، الذى يساعد على خلق الظروف التى تمهد للإصلاح ، من أجل ذلك اقترحت عليه أن يرد على الإمام بأن الأسلحة ليست سوى هدية من الاتحاد السوفيتى وبغير ثمن ، وان استخدامها أو عدم استخدامها أمر مرهون بإرادة الإمام بعد وصولها إلى اليمن .

قال القاضى العمرى أنه باعتباره كبير السياسيين فى الوفد بعد البدر فإنه يتحمل وحده هذه المسئولية ، وأن الإمام سوف يحمله هذه المسئولية كاملة مهما حاولنا الاشتراك فيها ، وأضاف قائلا إن رحلة السيد حسن ابراهيم المفاجئة إلى اليمن ثم وصول برقية الإمام

بمثل هذه السرعة فور اجتماعه معه أمور ينبغى أن يستخلص منها العارفون بطبيعة الإمام نتيجة منطقية خلاصتها أنه ، أى العمرى ، قد اصبح فى خطر من غضب الإمام عليه .

طلب العمرى من البدر ألا يواصل معه زيارته لتشيكوسلوفاكيا وأن يتوجه إلى باريس لإجراء فحوص طبية بعد الانتهاء من الزيارة الرسمية فى ألمانيا الشرقية ، على أن يسافر بعد ذلك إلى اليمن بعد أن يقيس ردود فعل الإمام بعد هدية الأسلحة الروسية .

تألمت كثيرا لنبرات الأسى التى صاغ بها القاضى العمرى حديثه ، وكرهت أن نتركه يذهب بمفرده إلى باريس فاستأذنت من البدر حتى أذهب مع العمرى وبعد أن اطمئن على نتائج فحوصه الطبية أتوجه مباشرة إلى اليمن .

أذن البدر لى بذلك بعد أن أقترحت عليه أن يتولى الترجمه له المستشار القانونى للوفد الدكتور حسن بغدادى (كان عميدا لكلية الحقوق بالاسكندرية) .



على اليسار المقدم عبد الله الضبى والأمير (السابق) البدر ثم المؤلف فى إحدى جلسات
المفاوضات فى ألمانيا الشرقية (يولية ١٩٥٦)



الأمير (السابق) البدر يوقع اتفاقية مع رئيس جمهورية ألمانيا الشرقية ، وعلى يمينه المؤلف ووقف خلفها المقدم عبد الله الضبى والقاضى عبد الرحمن السباغى ثم عضوان من أعضاء الوفد اليمنى (يولية ١٩٥٦) .



بعد إطمئناني على صحة القاضي محمد عبد الله العمري في باريس سافرت إلى اليمن والتقيت بالإمام أحمد في قصر صالة عندما كان البدر واقفا يتأهب للانصراف .

صافحني البدر وقال موجها كلامه للإمام أنه يشكر القاضي الوجيه (يقصدني بالاصطلاح اليمني) لأنني أثناء المفاوضات مع الحكومة السوفيتية تذكرت حاجة اليمن للسلاح ، فركله الإمام في ساقه حتى كاد يسقط على الأرض من شدة الضربة ، وقال الإمام أن العمري هو الذي (شوق) لكم ، أي أوعز إليكم ، بطلب الأسلحة من الروس وأنه يعرف مراد العمري على حقيقته ، وأنه قد عزله من وزارة الخارجية وعين بدله السيد حسن ابراهيم نائبا لوزير الخارجية .

اشتدت حرارة اللقاء وتجلت خطورة الحديث .

لعل البدر عندما نسب إليّ الفضل في طلب الأسلحة كان يريد أن يهرب بنفسه بعيدا عن هذه المسئولية ، أو لعله أراد أن يبعد القاضي العمري عنها معتقدا أنني إذا تحملتها وحدي فإن أقصى ما أتعرض له من عقاب من الإمام هو أن يأمرني بسرعة العودة إلى مقر عملي في ألمانيا الغربية .

غير أن الإمام كان قد أمتلأ قلبه غضبا على القاضي العمري بعد ان استخدم السيد حسن ابراهيم (الهاشمي)[1] سلاح العنصرية في منافسته مع القاضي العمري (القحطاني)[2] فأقنع الإمام بأن القاضي العمري يسعى من وراء هذه الأسلحة إلى تقوية شوكة القحطانيين في اليمن وهذا ما لا يعفو عنه الإمام أو يسكت عليه .

حاولت تهدئة ثورة الإمام فقلت أن الأسلحة عندما تظل مفككة داخل صناديقها فإنها تظل مجرد قطع من حديد ، وإنها لا تصبح أسلحة إلا بعد إخراجها من صناديقها وتركيبها ثم تدريب البشر على استخدامها ، وكل ذلك مرهون بإرادة الإمام ، ولا أحد غير الإمام ، إلى أخر الأعذار التي اقترحتها على البدر في المانيا الشرقية وقال عنها القاضي العمري ، بحكمته ،أنها لن تقنع الإمام .

(١) الهاشمي نسب ينتمي إلى بني هاشم شجرة نسل الرسول ﷺ وهم وحدهم المؤهلون لمنصب الإمامة طبقا لنظرية المذهب الزيدي السياسية .

(٢) القحطاني نسب ينتمي إلى قحطان أصل جميع أهل اليمن من غير الهاشميين وهم تسعة وتسعون في المائة من شعب اليمن .

استطردت قائلا أنه عندما تعرف بريطانيا أن اليمن قد بدأت تحمل السلاح المضاد للسلاح البريطانى دفاعا عن عرضها وأرضها تحت ضغط الاعتداءات البريطانية المتكررة على المواطنين اليمنيين المقيمين فى المناطق المتاخمة للأجزاء اليمنية المحتلة فإنها سوف تعيد حساباتها ، عدة مرات ، قبل أن تطلق لنفسها عنان القيام بمثل تلك الاعتداءات المتكررة .

ومعنى ذلك أن هذه الأسلحة ، بمجرد أن تصل إلى اليمن ، فإنها تحدث أثرها السياسى فى عدن حتى ولو بقيت فى صناديقها فى ميناء الحديدة .

ربما صادف قولى هذا صدى حسنا لدى الإمام ، لأنه كان فى ذلك الوقت غاضبا على بريطانيا أشد الغضب لتكرار عدوانها على مواطنية وأراضيه ، وكان الإمام لا يقر بشرعية إحتلالها لجنوب اليمن .

كان منكرا عليها حقها فى الوجود ، ولم يكن مختلفا معها على مجرد الحدود ، بين أرض الإمام وأرض الأنجليز .

كان الانجليز حديثى العهد بالجلاء عن مصر ، ولعلهم أدركوا حجم خسارتهم بعد جلائهم عن منطقة قناة السويس ، وكان المستر ايدن رئيس وزراء بريطانيا يكره جمال عبد الناصر من أعماق قلبه ويسعى إلى افتعال أية فرصة لاسقاطه ، وأطلع صديقه السيد حسن ابراهيم على نيته هذه عندما التقى به ونحن فى موسكو وبشره بقرب نهاية جمال عبد الناصر وفوضه بنقل هذه البشرى إلى الإمام أحمد .

تنازعت الإمام عواطف مختلفة وتجاذبته مشاعر متعارضة .

كان يكره اعتداءات الانجليز العسكرية من عدن ، ويكره نداءات عبد الناصر القومية من القاهرة .

كان وطنيا فى مواجهة الانجليز وانعزاليا فى مواجهة عبد الناصر .

اقتضى دهاء الإمام أن يحتضن السيد حسن ابراهيم صديق الانجليز ، ولا يعاتب الأمير البدر صديق الروس ، ويبتسم لعبد الرحمن البيضانى صديق المصريين .

ودفع القاضى العمرى كل الثمن .

عدت إلى مقر عملى وزيرا مفوضا فى المانيا الغربية ، وبعد بضعة أيام سحب المستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية العرض الأمريكى للاسهام فى تمويل مشروع السد العالى ردا على قيام عبد الناصر بعقد صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ، مما أوحى للغرب بأن عبد الناصر قد أخذ يتجه إلى الانزلاق نحو الشرق ، فرد عبد الناصر على القرار الأمريكى بقرار تأميم قناة السويس فى ٢٦ يولية ١٩٥٦ .

لعل المستر إيدن كان يضع فى حسابات بريطانيا نتائج هذه التطورات منذ وقت مبكر عندما عقد عبد الناصر تلك الصفقة ، ويعرف أن عبد الناصر عندما يثار بمثل قرار سحب تمويل السد العالى فإن رد فعله الفورى يمكن أن يخلق الذريعة المناسبة لعودة بريطانيا إلى احتلال ما يعنيها من الأراضى المصرية ، فتسقط زعامة عبد الناصر بين العرب حتى إذا لم تسقط رئاسته بين المصريين .

وأغلب الظن أن بريطانيا التى درست شخصية جمال عبد الناصر وحللت نفسيته قد سعت أو شجعت قرار البنك الدولى والقرار الأمريكى بسحب تمويل السد العالى انتظارا لرد فعل جمال عبد الناصر .

بعد نحو ثلاثة أشهر وقع العدوان الثلاثى على مصر الذى اشتركت فيه بريطانيا مع فرنسا واسرائيل فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وظن الرأى العام العالمى أن جمال عبد الناصر قد انتهى ، وهكذا تصور الإمام أيضا الذى وقرت فى أذنه كلمات السيد حسن ابراهيم .

كانت خطة العدوان الثلاثى قد وزعت الأدوار فيما بين الغزاه . وكان دور إسرائيل أن تدمر القوات المصرية فى سيناء وتصل إلى الشاطىء الشرقى لقناة السويس أثناء قيام الطيران البريطانى والفرنسى بتدمير الطيران المصرى على أرض المطارات المصرية ، فيتم بذلك تجريد مصر من قوتها العسكرية بينما تقوم القوات البريطانية والفرنسية باحتلال مدينتى بورسعيد وبورفؤاد ، ثم تقوم باغلاق طريق بورسعيد دمياط وتتجه صوب مدينة الاسماعيلية وتحتلها ، وعندئذ يتجه قسم من هذه القوات غربا لاحتلال منطقة التل الكبير وبلبيس ويتجه القسم الآخر جنوبا لاحتلال مدينة السويس ، ثم يتجه نحو القاهرة عن طريقين ، الأول طريق السويس ألماظه والثانى طريق السويس القطامية .

عندئذ تكتمل حلقة حصار القاهرة فتسقط حكومة عبد الناصر .

وزع الغزاة الغنائم فيما بينهم .

نصيب اسرائيل من الغنيمة أن تحتل سيناء فتفرض ارادتها على العرب .

ونصيب بريطانيا ، نصيب الأسد ، أن تعود إلى احتلال منطقة قناة السويس وتهدم كيان الثورة المصرية فتقطع لسان الأمة العربية الذى انطلق من القاهرة وتقتل ضميرها الذى ظهر فى مصر ، وتضمن استمرارها فى عدن وجنوب اليمن وتحكم سيطرتها على البحر الأحمر ، وتملى ارادتها على مناطق البترول فى الخليج ، وتحمى نفوذها فى العراق والأردن

أما جى موليه رئيس وزراء فرنسا فقد كان يعتقد أن إسقاط الثورة فى مصر يؤدى حتميا وتلقائيا إلى إخماد الثورة فى الجزائر ، حيث كانت الثورة المصرية تمدها بالسلاح والمال والمدربين وتسخر لها كل وسائل الأعلام المتاحة لها مصريا وعربيا ودوليا .

أرادت فرنسا أن تحسم معركتها فى الجزائر على ساحة القتال فى مصر .

اعتقد الغزاة استنادا إلى تقارير مخابراتهم أن مجرد وصول الإسرائيليين إلى مشارف قناة السويس من الشرق واحتلال الانجليز والفرنسيين لبورسعيد وبورفؤاد من الشمال سيجعل المصريين ينفضون من حول حكومة عبد الناصر فيستسلم أو يهرب أو ينتحر .

وكان عبد الناصر الذى لمح الطائرات البريطانية والفرنسية فى سماء مصر قد أدرك أنه لا يحارب إسرائيل وحدها فى سيناء ، وإنما يواجه غزوا بريطانيا وفرنسيا فى عمق مصر ، فأمر قواته بالانسحاب الفورى والمنظم إلى غرب القنال تأهبا للتصدى للقوات البريطانية والفرنسية فى صورة حرب عصابات وأعمال فدائية فى شتى أنحاء العمق المصرى الذى يمكن أن يصل إليه الغزاة البريطانيون والفرنسيون .

أثناء الإنزال الجوى للقوات البريطانية والفرنسية فى بورسعيد أرسل عبد الناصر قطارا مملوءا بالأسلحة والذخائر وأمر بفتح صناديقها وفتح أبواب القطار كى تصبح الأسلحة والذخائر فى متناول كل من يريد أن يأخذ منها مايشاء فيدافع به عن نفسه وعرضه ووطنه .

خرج عبد الناصر فى سيارة مكشوفة ليخطب فى الناس من فوق منبر الأزهر الشريف معلنا أن مصر ستقاتل وتقاتل ولن تستسلم .

واصل عبد الناصر توزيع السلاح على الفدائيين والمتطوعين المتأهبين لحرب العصابات والدفاع المدنى .

وتحولت مصر إلى قلعة للكرامة المصرية والعربية ومقبرة للغزاة المعتدين .

حدث ما لم يتسع له خيال الانجليز والفرنسيين فلم يدخلوه فى الحسبان قبل العدوان . خرج الشعب المصرى عن بكرة أبيه يتصدى للغزاة ويلتف حول عبد الناصر ، الذى أخرج لهم الانجليز دفاعا عن استقلالهم السياسى ، وأمم لهم القناة تدعيما لاستقلالهم الاقتصادى .

خرجت شعوب الأمة العربية من الخليج إلى المحيط تشق عنان السماء تأييدا لمصر ودفاعا عن قلب العروبة النابض ولسانها الفصيح والصريح ، الذى يعبر عن مشاعرها ، ويرسم لها الطريق إلى تفسير أحلامها وتحقيق أمانيها التى عاشت تتطلع إليها طوال القرون التى مضت وانقضت منذ انهيار صرح الحضارة الاسلامية والعربية ، التى ملأت السمع والبصر ثم أصبحت مجرد ذكريات فى كتب التاريخ أو قصائد فى دواوين الشعراء وقصصا يرويها الممثلون فى المسارح والنوادى .

تجاوبت شعوب الأمة العربية مع صيحة عبد الناصر حين أعلن فى الأزهر الشريف قائلا (سنقاتل ونقاتل ولن نستسلم) فاندلع البركان العربى الذى تراكمت عليه صخور الصبر طوال هذه القرون ، وانطلق ينسف أنابيب البترول ويدمر المنشآت البريطانية والفرنسية فى العالم العربى .

توقفت إسرائيل عند مشارف القناة ولم تستطع الوصول إلى شاطئها الشرقى كما توزعت الأدوار .

احترق الانجليز والفرنسيون فى جهنم بورسعيد حيث قاتلهم أهلها رجالا ونساء ، شيوخا وأطفالا بالقنابل والبنادق والمدافع والأحجار والأوانى النحاسية ، وعندما كان بعضهم يقع فى الأسر كان يقاتل بأظافره وأسنانه حتى يظفر بالشهادة .

تولي عضو مجلس قيادة الثورة كمال الدين حسين قيادة الجيش الشعبى ، وقام كمال رفعت أحد الضباط الأحرار بقيادة قوات الصاعقة والفدائية ومعه الرائد جلال هريدى . بينما تمكن عضو مجلس قيادة الثورة صلاح سالم من تحويل مدينة السويس إلى قلعة عسكرية .

حاولت القوات البريطانية والفرنسية أن تستكمل خطتها فانطلقت نحو الجنوب فى اتجاه الاسماعيلية ، وكان عليها أن تنحصر فى شريط ضيق تحيطه قناة السويس من الشرق وبحيرة المنزلة والمستنقعات المائية من الغرب ، فوقعت صيدا سهلا بين حراب قوات الصاعقة والجماعات الفدائية المصرية التى كانت تنتظرها فى أماكن متعددة على هذا الشريط الضيق ، كما قام الفدائيون بالتسلل عبر المسطحات المائية غرب هذا الشريط وأنزلوا خسائر جسيمة بالقوات الغازية مما جعلها تسرع بجر ذيولها عائدة إلى جهنم بورسعيد وتأكد الغزاة من فشل العدوان الثلاثى على مصر . فلم تستطع إسرائيل تدمير القوات المسلحة المصرية فى سيناء حيث سحبها عبد الناصر فى الوقت المناسب وبطريقة منظمة . ولم تستطع الطائرات البريطانية والفرنسية تدمير الطائرات العسكرية المصرية على أرض مطاراتها حيث فرقها عبد الناصر وأبعدها خارج مصر فأنقذ الكثير منها . ولم تستطع القوات البريطانية والفرنسية التقدم نحو الاسماعيلية وأصبحت محشورة فى مصيدة بورسعيد . وخابت تقارير المخابرات التى أوهمت دول العدوان ، بأن الشعب المصرى سوف ينفض من حول حكومة عبد الناصر بمجرد وصول إسرائيل إلى مشارف القناة واحتلال بريطانيا وفرنسا لبورسعيد . وسجلت شعوب الأمة العربية صفحة خالدة فى التاريخ العربى حين التفت حول مصر بقيادة عبد الناصر . دفاعا عن الأمانى العربية وإيذانا بميلاد فجر عربى جديد مشرق .

وكان الرئيس أيزنهاور غاضبا أشد الغضب على بريطانيا وفرنسا . ربما كان غاضبا عليهما لأنهما وزعا الأدوار فيما بينهم على ضوء قائمة توزيع الغنائم فى المنطقة العربية ، وكأنهما قد استخدما أمريكا فزينا لها اصدار القرار المشهور بسحب تمويل السد العالى دون إعطائها أى نصيب فى الغنيمة .

وربما كان غاضبا عليهما لأنهما أغفلا الكثير من الظروف الموضوعية والعوامل النفسية سواء فى مصر أو العالم العربى مما يجعل نجاح مثل ذلك العدوان فى تحقيق أغراضه أمرا مستحيلا ، فرغب الرئيس الأمريكى فى أن يكون صمام الأمان للمصالح الغربية فى الشرق الأوسط إذا ما فشل هذا العدوان طبقا لمقاييس العقل والمنطق وبعيدا عن تقارير المخابرات .

أو لعله كان غاضبا عليهما لإسباب مثالية وخلقية فرفض مبدأ العنف كوسيلة إلى تحقيق الأهداف التى يمكن الوصول اليها عن طريق الحوار . وقد يكون من المفيد أن نضع فى الاعتبار أن أمريكا كانت فى ذلك الوقت حديثة العهد بالحرب الكورية .

ولا ندرى فلربما كان الرئيس الأمريكى ايزنهاور غاضبا على بريطانيا وفرنسا لكل هذه الأسباب مجتمعه .

مهما كان الأمر ، عارض الرئيس اينهاور دول العدوان ، وتأكد الروس من صدق موقف الرئيس الأمريكى ومن وقوع بريطانيا وفرنسا فى ذلك المأزق الخطير ، فاستثمر الاتحاد السوفيتى هذا المناخ العربى والدولى وقرر الظهور بمظهر البطل فأصدر بولجانين انذاره الشهير الذى يقول البعص أنه كان السبب فى وقف العدوان ، متجاهلين فى هذا القول كل الظروف الموضوعية المصرية والعربية والدولية التى حتمت فشل العدوان وقضت بأن يولد ميتا .

انتصر جمال عبد الناصر .

وخرج آخر جندى من القوات البريطانية والفرنسية من بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ .



بدأ الإمام أحمد يتكيف بالاوضاع العربية والدولية الجديدة .

عزل السيد حسن ابراهيم من منصبه كنائب لوزير الخارجية وأعاده إلى العمل سفيرا لليمن فى لندن ، ووقف يخطب فى الناس فى مدينة الحديدة قائلا (انتظروا صيحتى الكبرى) وكان يقصد الزحف على عدن حيث كان متأثرا بالمناخ العربى القومى الذى أظهر بأسه فى مواجهة العدوان الثلاثى على مصر ، وكان القاضى أحمد السياغى نائب الإمام فى لواء آب قد أقنعه بأن غزو عدن لا يستغرق من جيش الإمام ورجال القبائل أكثر من مسيرة يوم أو أزيد قليلا . وكان القاضى السياغى يقوم بأمر من الإمام بتوزيع المال والسلاح على المجاهدين ، ووقعت فعلا معارك على أطراف اليمن من الجنوب والشرق .

وكنت أتلقى فى المانيا كل يوم برقية من الإمام يشرح فيها عدوان الطائرات وسقوط البيوت والأنقاض فوق الضحايا ومعظمهم ، كما كان يقول الإمام ، من النساء والأطفال والشيوخ .

وكنت أذيع هذه الأخبار فى مؤتمرات صحفية فى السفارة اليمنية بالمانيا الغربية .

فإذا بالصحف والإذاعات تردد هذه الأخبار ، وإذا بسيل من طلبات التطوع يغمر دفاتر السفارة . وكانوا من رعايا دول الكتلتين الغربية والشرقية الذين يريدون السفر إلى اليمن لوضع حد لهذه المأساة البشرية .

لم يمتنع السيد عبد الرحمن أبو طالب سفير اليمن بالقاهرة عن إعداد دفاتر للمتطوعين العرب الذين سدوا منافذ السفارة مطالبين بتسفيرهم إلى اليمن لإنقاذ أخوانهم اليمنيين .

استعادت وكالات الأنباء هى الأخرى نشاطها بعد أن ارتاحت قليلا من حرب السويس .

ولم يقصر مجلس العموم البريطانى فى مناقشة العدوان البريطاني على اليمن . وطلبت المعارضة من رئيس الوزراء بيانا عن الموضوع ، لكنه كان آخر من يعلم ، فأحال الطلب إلى وزير الخارجية الذى أحاله بدوره إلى وزير المستعمرات الذى أعلن فى المجلس أن ذلك العدوان كان من نسج خيال السفارة اليمنية فى المانيا ، وأن علاقة

بريطانيا مع حكومة الإمام على خير ما يرام ، وأن الحكومة البريطانية على سبيل الاحتياط قد ارسلت مذكرة إلى رئيس مجلس الأمن تحيطه علما بالموضوع وتلفت نظره إلى خطورة الموقف الناتج عن فتح أبواب التطوع للقتال فى اليمن .



المؤلف يلقى بيانا فى مؤتمر صحفى فى مكتبه بالمفوضية اليمنية فى بون بألمانيا الغربية وحوله السفراء العرب (يناير ١٩٥٧)

فى نفس اليوم وصلتنى كما وصلت إلى السيد عبد الرحمن أبو طالب برقيتان من الإمام تضمنتا عبارات واحدة تأمرنا نحن الاثنين بالكف عن عداوة بريطانيا وإيقاف الحملة الصحفية فورا وعدم التصريح بشىء .

وفى اليوم التالى وصلتنى برقية من الإمام تستدعينى إليه .

ووصلت إلى اليمن فى ٢٤ يناير ١٩٥٧ .

وجدت الإمام غاضبا لغضب بريطانيا ، وقال انه ما كان ينبغى علىّ أن أحمل عليها كل هذه الحملة ، وأنه يستعد لمهاجمتها فى قلب عدن ، ولا يريد أن يلفت نظرها بالدعاية الصحفية . وكان يتكلم بصرامة معبرا عن عزمه على غزو عدن .

قلت إننى لم أفهم ذلك من برقياته الصريحة التى كان من المفروض أن أقوم بنشرها بكل الوسائل الممكنه . ثم أوضحت رأيى فى موضوع عدن فى تقرير شامل مطالبا بإعادة النظر فيه على أسس سياسية عسكرية .
ثم ركزت كلامى على النقط التالية :

١ - الأسلحة التى حصلنا عليها من روسيا خزنتها الحكومة ولم تدرب عليها الجيش اليمنى ويلزم إتمام ذلك قبل البدء بالمعركة .
٢ - ليس عندنا وسائل دفاع . فلا مدافع مضادة للطائرات ولا طائرات مقاتلة ولا رادار ولا شىء غير ذلك من الوسائل المضادة .
٣ - ليس عندنا وسائل إسعاف ولم تصل بعد الباخرة المصرية التى تحمل معونة الهلال الأحمر المصرى كى نستفيد منها فى إنشاء محطات الإغاثة فى المناطق المتاخمة للمعارك .

شرحت للإمام الحالة النفسية القلقة التى يعانيها الشعب نتيجة لظروفه الاقتصادية الصعبة وتطلعه المستمر إلى الإصلاح ، الأمر الذى لا يعتبر مناخا سياسيا مناسبا لبدء ذلك الغزو الشامل ، وأن الذين يأتون اليه من أهالى المناطق المحتلة يحرضونه على ذلك الغزو ينقسموا إلى قسمين :

قسم يريد السلاح والمال ليبيع السلاح وينتفع بالمال .

وقسم واقع تحت تأثير الدعاية الوطنية وبريق الوحدة اليمنية ، لكنه بمجرد وصوله إلى اليمن يطلع على الأحوال الداخلية فينقلب على الحكومة ويضمر لها الشر .

كانت المصادر الموثوق بها تفيد بأن القائمين على توزيع الأموال والأسلحة اليمنية على المجاهدين يستولون على معظم السلاح والمال ويضعون الباقى فى غير موضعه .

اقترحت على الامام ضرورة البدء أولا بتدريب الجيش اليمنى على الأسلحة الحديثة التى وصلت طلائعها الخفيفة من الاتحاد السوفيتى ، مع القيام ببعض الاصلاحات التى تمتص غضب المواطنين وتثير حماسهم وولاءهم ، وإننا إذا كنا قد صبرنا على الوجود البريطانى فى عدن أكثر من قرن وربع قرن فلن يضيرنا أن نصبر عليه خمس سنوات أخرى حتى يتم تدريب الجيش على الأسلحة الحديثة ، وإقامة وسائل الدفاع ومحطات الإغاثة والاصلاحات الضرورية ، التى يحسن أن يكون من بينها استعجال الاتحاد السوفيتى للقيام باصلاح ميناء الحديدة وتوسيعه وتعميقه وتجهيزه بالمعدات الحديثة تنفيذا للاتفاقية التى اتفقنا عليها عندما كنا فى موسكو ، وهو ما كنا فى أشد الحاجة اليه لاستقبال الأسلحة الثقيلة من الاتحاد السوفيتى كى نستطيع أن نتصدى بقوة فى وجه أى عدوان بريطانى ، حتى لا نتعرض للفشل الذريع الذى يؤثر على مكانة الإمام الشخصية .

كذلك يحسن بنا أن نستعجل الحكومة الصينية حتى تنتهى فى أسرع وقت ممكن من بناء الطريق بين ميناء الحديدة والعاصمة صنعاء حتى يمكننا الدفاع عن العاصمة إذا اتسعت رقعة القتال مع المستعمرين البريطانيين ، أو هاجمتها القبائل الموالية للأمير الحسن ، وكنا قد وقعنا إتفاقية مع حكومة الصين الشعبية لهذا الغرض .

كان من ضمن من اطلعوا على هذا التقرير وأيدوه قبل تقديمه إلى الإمام القاضى محمد عبد الله الشامى نائب الإمام فى لواء صنعاء فى ذلك الوقت .

فى نفس الأسبوع وصلت بعثة الجامعة العربية برئاسة الأستاذ عبد الخالق حسونة وكنت مكلفا بمرافقتها وعرض تفاصيل العدوان عليها فسافرنا إلى مناطق الاعتداء .

ولما وصلنا إلى مدينة البيضاء بلغنا أن غارة قد شنت على مشارف المنطقة .

لم أملك نفسى وأنا بين أهلى وعشيرتى .

فطلبت حصانا وبندقية وأخذت معى عددا من الأهالى المسلحين الذين كان من بينهم الشيخ سالم حسين الرماح شيخ مشايخ البيضاء فى ذلك الوقت ، وأطلقنا العنان متجهين إلى تلك المنطقة فتبعنى بعض أعضاء وفد الجامعة العربية والقاضى أحمد السياغى نائب الإمام فى لواء آب حتى لا يتهم بالقعود وقت الحرب .

وهناك تبادلنا طلقات الرصاص مع المغيرين ولم أدر إلا وأحد اصحابى من خلفى يدفعنى إلى الأرض لأن رصاصة مرت بعمامتى البيضاء التى دلت الأعداء على مكاننا ..

قائلا إننى كان ينبغى على أن أخلعها أولا ، ثم ظهر شخص من الذين تعودوا إجراء الصلح بين الطرفين وصاح قائلا لقد قتلتم الشيخ فلانا .. وهنا عرفت أن المعركة بين يمنيين بعضهم من المناطق المحتلة والآخرون من الأهالى الذين يحكمهم الإمام ، وان هذه ليست معركة نتشرف بأن نكون أطرافها .

قد يكون هذا الشيخ وأمثاله مدفوعين من الإعداء ، لكننا نحن المخطئين لأننا قصرنا فى نشر الوعى الذى يشعر كل فرد من أفراد المنطقتين المستقلة والمحتلة بأن اليمنيين جميعا أخوة وأصحاب مصلحة واحدة فى وطنهم الواحد .

عدنا إلى البيضاء وأخبرت الأستاذ حسونة بما حدث ورأيى الحقيقى فى الموضوع كى ينصح الإمام بنفس نصيحتى التى دونتها فى تقريرى إليه .

كانت أخبار المعركة قد سبقتنى إلى الإمام الذى استقبلنى بابتسامة عريضة قائلا (الحمد لله موقعش لكم خزقى) أى الحمد لله لم تصبنى الرصاصة التى مرت بالعمامة . كان هذا الحادث دليلا على أننى وان كنت انصحه باتباع طريق الاصلاح فإننى لا أتأخر عن الحرب إذا رأيت بلدى هدفا للعدوان .

اقتنع الإمام بأهمية تدريب الجيش اليمنى على الأسلحة الحديثة التى وصلت من الاتحاد السوفيتى كمخرج من المأزق الذى وضع نفسه فيه عندما أعلن للناس قائلا (انتظروا صيحتى الكبرى) لأن تدريب الجيش سيحتاج إلى وقت يتحكم فيه الإمام كما يشاء فضلا عن أن الانتظار حتى يتم بناء ميناء الحديدة لاستقبال الأسلحة الثقيلة يحتاج إلى وقت أكثر .

من جهة أخرى كان أخوه الحسن ، الذى تألم لإعدام أخويه عبد الله والعباس وازداد غضبه من مواصلة تأييد الإمام لابنه البدر ، قد ضاعف من نشاطه بين المتزمتين من



السيد حامد المحضار ، المؤلف ، الأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، مندوب لبنان ، القاضى محمد الزهيرى والقاضى عبد الملك العمرى فى مدينة البيضاء (يناير ١٩٥٧)



من اليمين : الشيخ صالح علوى القربى ، الشيخ سالم الرماح ، المؤلف ، شقيق الشيخ الرماح فى مدينة البيضاء (يناير ١٩٥٧) .

رجال الدين والقبائل كي يخلق منهم جبهة تعارض الإمام وابنه ، وتساعده على تنصيبه إماما عندما تحين الفرصة المناسبة . فوافق الإمام على فتح صناديق الأسلحة الحديثة والبدء فى تدريب أفراد يختارهم من بين قوات الجيش اليمنى من أجل أن يقوى مركزه العسكرى وشوكة ولى عهده البدر ، ويضعف الروح المعنوية لدى الذين انحازوا إلى أخيه الحسن بعد أن نجح فى إغرائهم .

فى ذلك الوقت كان البدر فى زيارة القاهرة فأبرق إليه الإمام يأمره بابلاغ مصر بانه موافق على وصول مدربين عسكريين مصريين ، وعندما قرأت هذه البرقية التى كان يحولها سكرتيرْ الإمام القاضى عبد الملك العمرى إلى رموز شفرية فرحت أعظم الفرح . واندفعت على يد الإمام أقبلها مع رغبة شديدة فى تقبيلها ، وكنت قبل هذه المرة اقدم على تقبيل يده مشمئزا من نفسى مكرها مضطرا كعادة جميع اليمنيين عندما يصافحون الإمام .

أكد الإمام ثقته فى مصر وفى بعثاتها العسكرية ، وذكر لى تقديره لموقف البعثة العسكرية المصرية أثناء إنقلاب المقدم أحمد يحيى الثلايا فى تعز فى نهاية مارس ١٩٥٥ حيث رفضت البعثة تقديم أية مساعدة لرجال الانقلاب الذين لم يعرفوا استخدام الأسلحة المصرية الجديدة التى أحضرتها البعثة معها هدية من قيادة الثورة المصرية .

وكان الثلايا ومحمد قائد سيف ، عندما تأزمت الأمور فى اليوم الرابع ، قد طلبا من الرائد كمال أبو الفتوح رئيس البعثة العسكرية المصرية أن يأمر صف الضباط المصريين بمساعدة الجنود اليمنيين على استخدام هذه الأسلحة أثناء الانقلاب فرفض الرائد كمال أبو الفتوح هذا الطلب ، كما سبق أن رفض القائم بالأعمال المصرى الأستاذ حسين شعيب التورط مع رجال الانقلاب .

ذكر الإمام هذه الذكريات عندما كان القاضى عبد الملك العمرى يحول برقية الإمام إلى رموز شفرية ، وأضاف ضاحكا أنه لا داعى لاستخدام الشفرة حيث له أصدقاء فى المخابرات المصرية وأنه لا يخفى عليهم شيئا .

كان الإمام يقصد بذلك السيدين عزت سليمان وفتحى الديب وكيلى رئيس المخابرات المصرية ، اللذين كان الإمام على صلة مباشرة بهما عن طريق كاتبه الخاص وأمين سره الأستاذ صالح محسن ، وأحيانا عن طريق القاضى محمد عبد الله العمرى وكيل وزارة الخارجية اليمنية ، وفى كثير من الأحيان عن طريق البدر مباشرة . وكان الإمام يعتقد إن صلته الشخصية بهما تجعله فى مأمن من أى نشاط يمكن أن يقوم به الأحرار اليمنيون المقيمون فى مصر ، وعلى رأسهم الاستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى ، بل كان يتصور انه فى وسعه أن يحصل عن طريقهما على كافة المعلومات عن نشاط هؤلاء ، ولذلك كان يعتمد عليهما أكثر من اعتماده على السفارة اليمنية بالقاهرة .

وصلت البعثة العسكرية المصرية إلى مدينة الحديدة فى منتصف فبراير ١٩٥٧ برئاسة العقيد أركان حرب حسن فكرى الحسينى وعضوية النقيب صلاح الدين المحرزى والملازم أول عادل السيد ، وكنت مكلفا من قبل الإمام باستقبالهم والترحيب بهم والعمل على راحتهم .



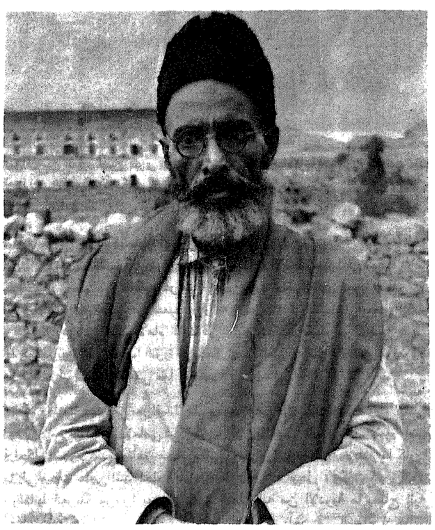
المؤلف بين العقيد حسن فكرى الحسينى رئيس البعثة العسكرية المصرية والنقيب صلاح المحرزى عضو البعثة وكبير المعلمين (فبراير ١٩٥٧)

كنا نقيم معا فى غرف متجاورة فى دار الضيافة ، ومرت أيام دون أن أستطيع الحصول على موافقة الإمام بمقابلتهم كى يبدأوا مهمتهم . وبدأت ألاحظ تغييرا فى موقف الإمام من تدريب الجيش اليمنى . وجاءنى عراف الإمام محمد حلمى الذى تعود الإمام على أن يستشيره ويأخذ برأيه الفلكى فى جميع قراراته وتحركاته ، وأبلغنى أن بعض الكبار من رجال الدين زرعوا فى قلب الإمام الشك فى نتائج تدريب الجيش ، ولاسيما على أيدى الضباط المصريين الذين تعلموا الثورة من جمال عبد الناصر ورفاقه ، والذين سوف يحملون روحها إلى أفراد الجيش اليمنى مما يجعلهم ينقلبون على الإمام .

كنت قد وطدت صداقتى بعراف الإمام محمد حلمى قبل ذلك بعدة سنوات لأننى كنت شغوفا بمعرفة أسرار الحكم الإمامى فى اليمن ، وكان يطلعنى على رسائل الإمام واستعجاله لمعرفة أحكام النجوم عندما يتأخر محمد حلمى أحيانا فى الرد عليه . وبقدر ما كان الإمام محتاجا إلى محمد حلمى أشد الحاجة كان بخيلا عليه أشد البخل ، وكنت كثير التردد بين اليمن والمانيا الغربية مرورا بمصر فكنت أحمل إليه من الأدوية ما يحتاج إليه منى ولا يحصل عليه من الإمام . وأغلب الظن أن الإمام قد تأخر فى السماح لرجال البعثة العسكرية المصرية بمقابلته انتظارا لمعرفة حكم النجوم ، وكان قد طلب معرفة ذلك فعلا من محمد حلمى .

قدمت محمد حلمى لرجال البعثة العسكرية المصرية وكانوا يتناولون الشاى فى غرفتى ، ودار الحديث حول الاعتداءات البريطانية المتكررة على المواطنين اليمنيين والأراضى اليمنية إلى جانب الحاجة الماسة إلى تدعيم البدر صديق عبد الناصر ، الأمر الذى لا يمكن تحقيقه بغير تنظيم وتدريب بعض المخلصين من أفراد الجيش اليمنى على النظم والأسلحة الحديثة ، وأسهب النقيب صلاح الدين المحرزى فى شرح مدى إعجاب المصريين بالبدر وثقة جمال عبد الناصر فى الإمام ، الذى يقف بكل ثقله ضد الاستعمار البريطانى فى جنوب اليمن.

أطلعنى محمد حلمى على تقريره الذى أعده ردا على استفسار الإمام بشأن حكم النجوم على نشاط البعثة العسكرية المصرية ، ونظرا للصداقة المتينة التى تجمع بيننا سلمنى صورة من هذا التقرير الذى سلمتها بدورى إلى رئيس البعثة العسكرية المصرية بحضور النقيب صلاح المحرزى .



الفلكى محمد حلمى (عراف الإمام السابق أحمد) (عام ١٩٥٧) . لايزال على قيد الحياة حتى إصدار هذا الكتاب ، وهو الان يناهز المائة عام ويمارس أعماله الفلكية فى اليمن .

على أثر ذلك استدعانى الإمام وأبلغنى بموعد استقباله لرجال البعثة العسكرية المصرية الذين عندما زاروه أبدى لهم كامل ثقته فى عملهم ، وطلب من رئيسهم إعداد تقرير يتضمن مقترحاتهم الخاصة بمهمتهم ، وكان العقيد حسن فكرى الحسينى قد أعطانى تقريرا شاملا يتضمن كافة المقترحات الرئيسية فقدمته إلى الإمام متوليا شرح بنوده .

وقد تضمن هذا التقرير مراحل وخطوات تنظيم وإعادة بناء الجيش اليمنى ، مع منح البعثة العسكرية المصرية صلاحية إستلام الأسلحة والذخيرة التى وصلت من الاتحاد السوفيتى ، وكان لا يزال بعضها فى ميناء الحديدة وبعضها الآخر فى ميناء الصليف المخصص لتصدير الملح اليمنى إلى اليابان ، وقد وافق الإمام على كل ما جاء فى ذلك التقرير وطلب من البعثة أن تكتفى بالاحتفاظ فى الحديدة بكمية من الأسلحة تكفى لأغراض التدريب ، وتخزين ما يزيد على ذلك فى قصر غمدان فى صنعاء .

كانت البعثة العسكرية المصرية قد امضت نحو شهرين حتى تمت تلك المقابلة ، واعتبرت أنها قد أتمت خطوتها الأولى ، وأما خطوتها الثانية فإنها تحتاج إلى أفراد أكثر للقيام بأغراض التدريب والتنظيم ، فعادت البعثة إلى القاهرة لتقديم تقريرها إلى اللواء حافظ اسماعيل قائد القوات العربية المشتركة فى ذلك الوقت . وسافرت مع البعثة إلى القاهرة متجها إلى مقر عملى فى ألمانيا الغربية .

فى أوائل مايو ١٩٥٧ عادت البعثة المصرية إلى مدينة الحديدة بعد أن انضم إليها العقيد أحمد أبو زيد والنقيب محمود عبد السلام مع عدد من ضباط الصف وعدد من معلمى مدرسة المشاه الذين كان أبرزهم الرقيب أول حسن مأمون .

فى نفس الوقت استدعانى الإمام من ألمانيا الغربية ، وعندما وصلت إليه علمت أن مندوب الرئيس ايزنهاور سيصل إلى اليمن لإجراء مباحثات مع الإمام بشأن الفراغ الذى تركته بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط ، وكانت الولايات المتحدة تسعى فى ذلك الوقت إلى إقامة حلف برعايتها لمواجهة خطر التغلغل الشيوعى لا سيما بعد أن استطاع عبد الناصر أن يفسد حلف بغداد . وكان عبد الناصر معارضا لنظرية الفراغ الذى أراد أيزنهاور أن يملأه .

عندما قابلت الإمام سألنى عن مهمة مندوب الرئيس ايزنهاور فى اليمن وموقف مصر منها فقلت أنه بعد أن تحسنت سمعة الولايات المتحدة الأمريكية بين العرب على أثر وقوفها ضد العدوان الثلاثى على مصر أخذت تسعى إلى إقامة حلف يرث حلف بغداد ، وأن المعروف عن مصر أنها تعارض هذه الأحلاف حرصا منها على سياسة عدم الانحياز ، وأنها ترى أن التضامن العربى يستطيع التصدى لأى خطر شيوعى دون الحاجة إلى وصاية دولية من إحدى الدول العظمى .

كان من المقرر أن يصل المستر ريتشارد مندوب الرئيس ايزنهاور على متن طائرته الخاصة إلى مطار الحديدة ويقابل الإمام ويغادر اليمن فى نفس اليوم طبقا لبرنامج ارتباطاته الأخرى . لكنه عندما وصل إلى الحديدة كان الإمام نائما مخدرا بحقنة مورفين

كعادته منذ أن أجرى له ، قبل ذلك بعدة سنوات ، الطبيب الإيطالى توفولون عملية جراحية فى مؤخرة ظهره ، أصابت بعض أعصابه فجعلته يتعاطى حقن المورفين بصفة مدمنة .

كانت العادة عندما ينام الإمام لا يجرؤ أحد على إيقاظه مهما كانت الأسباب ، واتصلت عدة مرات بمقره فى قرية السخنة حيث يقيم الإمام ، وهى تبعد عن الحديدة بحوالى ثلاثين كيلو متر تقطعها السيارة فى الطريق الوعر فى نحو ساعتين ، وكان الجواب بصفة مستمرة أن الإمام نائم ، واستمر الحال يومين على هذا النحو حتى أصر المستر رتشارد على مغادرة اليمن دون حاجة إلى مقابلة الإمام ، لكن أحدا منا لم يكن فى استطاعته أن يأذن له أو لغيره أو لنفسه بالسفر من اليمن بدون إذن من الإمام .

فى اليوم الثالث استيقظ الإمام واستدعانى مع المستر رتشارد لمقابلته وأثناء المقابلة عرض مندوب الرئيس ايزنهاور أن تقوم أمريكا بمساعدة اليمن فى بناء الطرق التى تحتاج إليها فى نظير أن تنضم اليمن إلى اتفاق مع غيرها من دول الشرق الأوسط لمواجهة الخطر الشيوعى على المنطقة .

سأله الإمام عن سبب اختيار أمريكا بناء طرق فى اليمن كمساعدة منها ولم يقع اختيارها على مشروعات أخرى غير الطرق . ولعل الإمام كجميع أسلافه من الأئمة كان شديد الحساسية من سيرة الطرق والموانى لأنها تنهى عزلة اليمن الداخلية والخارجية فيتعرض نظام الحكم الإمامى نفسه للخطر ، وكرر الإمام سؤاله عن سبب اختيار أمريكا مساعدة اليمن ببناء الطرق ، فأجاب المستر رتشارد قائلا أن معلومات الولايات المتحدة عن اليمن تقطع بأنها فى حاجة ماسة إلى بناء طرق ، وأن هذه الحاجة الماسة تأتى فى المقام الأول فى قائمة احتياجات اليمن ، وبطبيعة الحال كان المستر رتشارد لا يعلم ما يدور فى رأس الإمام .

رد الإمام أنه يستغرب حصول أمريكا على مثل هذه المعلومات عن اليمن ، وأنه لا يتفق معها على ترتيب أهمية مشروع الطرق بالنسبة إلى احتياجات اليمن ، وعرض على مندوب الرئيس ايزنهاور أن ترصد الولايات المتحدة اعتمادا معينا لليمن وعندئذ تتولى الحكومة اليمنية تخصيص الأوجه التى تراها للاستفادة منه .

وأما عن الخطر الشيوعى الذى يهدد المنطقة العربية فقد أوضح الإمام أن اليمن لا تشعر به على الإطلاق ، بينما الخطر الذى تراه بعينها كل يوم وكل ساعة هو العدوان البريطانى على المواطنين والأراضى اليمنية ، فإذا كانت الولايات المتحدة مستعدة لعقد حلف مع اليمن للتصدى للخطر البريطانى فأنه على استعداد لتوقيعه فورا .

سقط الأمر فى يد المستر رتشارد وعاد معى إلى الحديدة وغادر اليمن .

فى تلك الأثناء تعرضت البعثة العسكرية المصرية لاحتمالات تجميد نشاطها الذى لم يكن قد بدأ ، رغم إقامتها فى دار الضيافة بضعة أسابيع قضاها رجالها فى صيد الغزال فى صحراء تهامه ، وكنت اشترك معهم فى معظم هذه الرحلات لقضاء وقت الفراغ وتفاديا للقلق والملل من طول الانتظار .

وبعد حوار جديد مع الإمام ، استطعت الحصول على موافقته على اقتراح كاتبه الخاص وأمين سره الاستاذ صالح محسن بأن تبتعد البعثة العسكرية المصرية عن الحديدة وتقوم بأعمالها فى قرية الزيدية وتقيم هناك بصفة دائمة .

لم يكن فى استطاعتى الحصول على موافقة الإمام على مكان لعمل البعثة أفضل من ذلك ، لأن الإمام كان قد وافق على قيام البعثة بأداء مهمتها فى قرية الزيدية وهو واثق فى أنها عندما تذهب إلى هناك سوف تلح فى اليوم التالى على سرعة عودتها إلى القاهرة .

وأحمد الله أن العقيد حسن فكرى الحسينى كان وزملاؤه متأهبين لتحمل كل المتاعب من أجل النجاح فى مهمتهم التاريخية .

تقع قرية الزيدية شمال مدينة الحديدة ، وهى المركز الرئيسى لقبائل الزرانيق ومقر الحاكم (المحافظ) وكانت توجد بها قلعة من بقايا الأتراك . وتصل درجة الحرارة هناك إلى حوالى ٥٠ درجة مئوية نهارا ، وتقع فى منسوب منخفض عن منسوب البحر مع درجة رطوبة عالية وأوبئه لا تفارقها أبدا ، وقد أبادت قرى بأكملها بالقرب من الزيدية فى وقت معاصر لوصول البعثة ، ولم تكن فى الزيدية أية إمكانيات للحياة العادية .

تحملت البعثة العسكرية المصرية كل هذه المشاق طوال ستة أشهر متصلة بادئة بتدريب كبار السن من أفراد الجيش الذين اختارهم حاكم الزيدية بأمر من الإمام ، ثم أخذت تدرب بعض الشباب من قبائل الزرانيق الذين اختارهم الحاكم أيضا .

كان التدريب يبدأ مع أول ضوء للفجر ويستمر حتى الساعة السابعة صباحا أى حوالى أربع ساعات فقط ثم يستأنف مع غروب الشمس لمدة ساعتين أخريين . وكان يرافق البعثة من الجانب اليمنى العقيد محمد حجر الذى أثناء تفقده لأحد الأسلحة انطلقت منه رصاصة خطأ نفذت بين ساقى رئيس البعثة .

بعد أن اكتوت البعثة العسكرية المصرية بحرارة الصيف فى ساحل تهامه نقلها الإمام لتعانى برودة الشتاء فوق جبل صنعاء ، وكان أمر الإمام أن يتم نقلها إلى عمران شمال صنعاء واستطاع البدر أن يحصل على موافقة الإمام على قيام البعثة بتدريب كتيبة حرس ملكى فى صنعاء سميت بفوج البدر . وشمل هذا الفوج عناصر من سرايا المشاه وسرايا الأسلحة المعاونة وسرية مدافع مضادة للطائرات مع العناصر الإدارية لخدمة الفوج .

كان رئيس الفوج العقيد حميد الدين كما كان من بين أفراده الملازم عبد الله السكرى والملازم على العلفى والملازم عبد الرحمن الترزى والملازم حسن سوار والملازم عبد الله اللقيه والملازم النهمى الذين تم تدريبهم فى دورة خاصة كى يتمكنوا من شغل رتبهم فى الفوج . وكان من بين ضباط الصف الممتازين فى هذا الفوج قاسم منصر .

قامت البعثة بوضع برنامج تدريب مكثف يحتاج إلى إثنى عشر شهرا فأتمته فى ثلاثة أشهر فقط ، لأنها كانت فى سباق مع الزمن حيث كان لزاما عليها أن تكمل تدريب هذا الفوج قبل أن يوسوس المغرضون فى أذن الإمام مرة أخرى فيأمر بوقف التدريب ، ومما

ساعدها على ذلك شوق أفراد الفوج للتدريب وإقبالهم عليه وتحملهم ساعاته المتواصلة التى كانوا يقضونها فى التدريب على ضرب النار والمناورات والهجوم على المواقع الحصينة والهجوم على الدشم إلى جانب التدريب على الحرب النظامية وحرب العصابات أثناء النهار والليل .

احتفل البدر بتخريج أول فوج على يد البعثة العسكرية المصرية ، فوج البدر ثم عمل على إعادة فتح الكلية الحربية قرب نهاية ١٩٥٨ بعد أن أغلقها الإمام أحمد سنة ١٩٤٨ على إثر إنقلاب عبد الله الوزير .

تولى العقيد العلفى تنظيم الكلية الحربية بالاشتراك مع البعثة العسكرية المصرية وتم اختيار أول دفعة للالتحاق بالكلية من أبناء مشايخ القبائل ، ثم كانت الدفعة الثانية من المثقفين من أبناء الشعب من خريجى المدارس الثانوية اليمنية ، وكان من أبرزهم على عبد المغنى[١] وحمود بيدر[٢] وعلى الجائفى ومحمد الأريانى[٣] ومحمد مطهر[٤] . وبعد عدة أشهر أمر البدر بتعيين العقيد حمود الجائفى [٥] رئيسا للكلية الحربية كما أمر بتعيين الضباط اليمنيين الذين تخرجوا من الكلية الحربية فى القاهرة أعضاء فى هيئة التدريس فى الكلية ، وكان من بينهم محمد الأهنومى وعبد اللطيف ضيف الله وعبد الله جزيلان وعلى سيف الخولانى .

وعندما تخرجت دفعة المثقفين كان ترتيب على عبد المغنى الأول وحمود بيدر الثانى ومحمد الأريانى الثالث ومحمد مطهر الرابع .

تمكنت البعثة المصرية من إقناع الإمام عن طريق البدر ، بإنشاء مدرسة لضباط الصف ومركز لتدريب الجنود على الأسلحة المختلفة وتولى الملازم نبيل الوقاد تدريبهم على أعمال الصاعقة . وبعد ذلك تم إنشاء مدرسة أسلحة للتدريب على المدرعات بعد أن استغنى الإمام عن المدربين الروس واستبدلهم بضباط االبعثة العسكرية المصرية .

كذلك أنشأت البعثة مدرسة الطيران التى تخرج منها حسين المسورى وإبراهيم الحمدى والتى كان العقيد عبد الله السلال مسئولا عنها إلى جانب عمله كرئيس لحرس البدر .

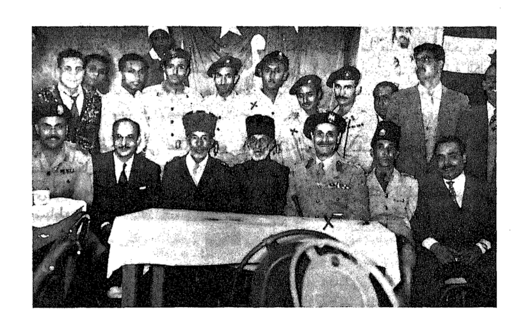
وإلى جانب قيام البعثة العسكرية المصرية بأعمال التدريب والتنظيم كانت تقوم بنشر الوعى الوطنى والقومى بين الضباط والجنود اليمنيين ، وكان البدر يرحب بذلك لأنه ينتهى إلى صالحه فى مواجهته الحتمية مع غريمه عمه الحسن ، وكانت تصلنى تقارير دورية عن نشاط البعثة المصرية ونجاحها والتفاف الضباط والجنود اليمنيين حولها ورضاء البدر عنها وعدم غضب الإمام عليها .

---

(١) محرك الذراع العسكرى للثورة وعضو مجلس القيادة .
(٢) رئيس اركان حرب القوات المسلحة فى وقت لاحق لقيام الثورة . وحاليا سفير اليمن فى المانيا الشرقية .
(٣) القائد العام للقوات المسلحة فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(٤) رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(٥) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الدفاع عند قيام الثورة ورئيس الوزراء فى وقت لاحق .

وكان كبير المعلمين المصريين النقيب صلاح الدين المحرزى يقوم بنشر الوعى الوطنى والقومى بين الضباط والجنود ، ويبذل جهدا مضاعفا مع طلبة الكلية الحربية ، وهو الذى اختار على عبد المغنى وعينه رقيبا أول (باش شاويش) على طلبة الكلية الحربية بعد أن اكتشف فيه ذكاء حادا وعقلية غير عادية وشخصية قيادية ونزاهة مطلقة واقتناعا راسخا بحتمية الاصلاح فى اليمن .

كان على عبد المغنى عظيم التأثير فى زملائه على اختلاف اتجاهاتهم وقادرا على كسب ثقة كل من يتصل به ، وكانت مسئولية رقيب أول (باش شاويش) الكلية الحربية التى كلفه بها كبير المعلمين صلاح المحرزى هى إدارة شئون طلبة الكلية والسهر على انضباطهم .



الإحتفال فى مقر السفارة المصرية فى صنعاء بتخريج أول دفعة من الكلية الحربية اليمنية دربتها البعثة العسكرية المصرية . ويرى فى الصورة العقيد حسن فكرى الحسينى رئيس البعثة العسكرية المصرية ، ووقف خلفه ضباط سبق أن تخرجوا من مصر ، ومن بينهم الملازم أول عبد الله جزيلان ثم الملازم أول محمد الأهنومى ، بينما جلس فى أقصى اليمين الأستاذ محمد عبد الواحد السكرتير (آنئذ) بالسفارة المصرية (تصوير المؤلف ١٩٥٨) .

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ
وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

قرآن كريم

وراثة النبى

الفصل الرابع

١

فجأة ، تأهب التاريخ ليبدأ صفحة جديدة فى تاريخ اليمن .

فى صيف ١٩٥٩ وصلنى أمر من الإمام بأن ألحق به فى روما حيث قرر أن يصل إليها والإقامة فيها حتى يتم علاجه من الأمراض المستعصية التى كان يعانى منها .

وصلت إلى روما وقمت مع حاشية الإمام بمرافقته والجلوس من حوله وهو طريح الفراش وكنا جميعا نواصل قراءة الفاتحة وآيات القرآن الكريم كى يخفف عنه الله آلامه المبرحة . وبلغنى هناك أن الإمام قد أسند أعمال الدولة إلى البدر ، وبدأت تصلنى بصفة سرية الأخبار عن نشاط البدر الذى كان يعتقد أن الإمام لن يعود مرة أخرى إلى اليمن بعد أن اشتد عليه المرض وأقعده كلية عن الحركة .

ولعل الأخبار عن حالة الإمام الصحية فى روما كانت قد وصلت إلى البدر وأكدت له أن الإمام قد دخل فى غيبوبة سكرات الموت . وكنا عندما نجلس حول الإمام نظن فعلا أنه فى ساعاته الأخيرة .

وإذا بالأخبار تصلنى من اليمن تفيد بأن البدر قد ألقى خطابا فى حفل أقامه الجيش تكريما له فندد بسياسة والده الإمام وهاجم الأوضاع المتخلفة التى يعانى منها الشعب ، وأعلن عن تأسيس أول مجلس نيابى فى تاريخ اليمن برئاسة القاضى أحمد السياغى المعروف بقوة شخصيته وعدائه للامتيازات الهاشمية ، وكان البدر يريد أن يثبت للشعب أنه ضد الامتيازات الهاشمية ، وأنه سوف يحقق الوحدة الوطنية بالمساواة المطلقة فى المعاملة ، والمساواة التامة فى الوظائف ، بين جميع أبناء الشعب ، وهذا ما سبق أن تحدثت عنه مع البدر واتفقنا عليه وكان السبب الأهم فى ولائى له ودفاعى عنه .

لكنه تسرع فى إعلان ذلك ولم يصبح إماما بعد ، وقد علمتنا التجارب أن العديد من قطاعات الشعب لا تبدى تأييدها العلنى والإيجابى لاى قرار تتصور أنه لا يرضى الإمام ، ما دامت تعلم أنه لايزال على قيد الحياة . وكان الإمام لا يزال فعلا على قيد الحياة والأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ولكل أجل كتاب .

قام العقيد السيد شرف المرونى بقيادة بعض الجنود وأمرهم بقصف بيت القاضى أحمد الجبرى حاكم تعز وانتهى القصف إلى قتله مع شقيقه القاضى على الجبرى .

كذلك اندلعت فى صنعاء شرارة سخط أشد خطرا إذ شملت معظم أنحاء صنعاء وانتهت باحراق بيت عامل (محافظ) صنعاء القاضى يحيى العمرى واحراق مكتبة القاضى حسين العمرى .

اشترك فى هذه المظاهرات الساخطة عدد من طلبة مدارس الأسلحة ومجموعات من فوج البدر ، الذى كان أول مجموعة عسكرية تم تدريبها وتنظيمها ، وكان الملازمون عبد الله اللقيه(١) وعبد الكريم السكرى ومحمد صالح العلفى(٢) وعبد الرحمن الترزى(٣) يحرضون هذه المجموعات ، من خلف ستار ، للقيام بتلك الأعمال العنيفة ، مقتنعين بأنهم بذلك يلهبون حماس الجماهير ويحفزون عزيمة أصحاب الحل والعقد على طرح البديل .

أما طلبة الكلية الحربية فقد التزموا الصمت ولم يشتركوا فى تلك الأعمال مقتنعين برأى زميلهم ورقيبهم الأول (باش شاويش الكلية) على عبد المغنى ، الذى رأى بثاقب بصره أن من صالح اليمن أن يستكمل هؤلاء الطلبة دراستهم فى الكلية الحربية ويتخرجوا منها ضباطاً فى أسرع وقت ممكن ، الأمر الذى يستلزم عدم التورط فى الاشتراك فى تلك الأحداث غير المدروسة التى لا تستهدف هدفا وطنيا محددا .

كذلك كان من رأى على عبد المغنى عدم التورط بإظهار تأييد طلبة الكلية الحربية لأحد ، لا للبدر ولا لغيره ، وأن يكون شعارهم هو التفرغ للدراسة والتدريب وتقديم التحية والولاء لشخص الحاكم أياً كان ذلك الحاكم .

غير أن هذه السياسة لم تمنع على عبد المغنى وزملاءه من مواصلة الحديث فيما بينهم عن أحوال البلاد وضرورة البحث عن مستقبل أفضل ، وقد ساءهم أن تصل أخبار هذه الأحاديث الشخصية الهامة إلى أذن البدر ، وكانوا يعتقدون أن الذى يقوم باستراق السمع فى جلساتهم الخاصة وينقلها بعد تحريفها إلى البدر هو أركان حرب الكلية النقيب عبد الله جزيلان ، الأمر الذى جعلهم يسعون إلى التخلص من إشرافه التدريبى عليهم فطلبوا من مدير الكلية العميد حمود الجائفى أن يقتصر التدريب فى الكلية الحربية على الضباط المصريين أعضاء البعثة العسكرية وحدهم ، وبذلك يتخلصون من عبد الله جزيلان ، ولو أدى ذلك إلى تنحية بقية الضباط اليمنيين الموثوق فيهم والذين تخرجوا من الكلية الحربية فى مصر وعادوا إلى اليمن مع عبد الله جزيلان أمثال محمد الأهنومى وعبد اللطيف ضيف الله وعلى سيف الخولانى الذين كانوا محل ثقة الطلبة فى الكلية الحربية .

تجاوب العميد حمود الجائفى مع رغبة طلبة الكلية الحربية التى نقلها إليه على عبد المغنى ، وتصرف بهدوئه المعتاد وكلف هؤلاء الضباط بالتدريس فى مدارس الأسلحة ، كما حصر نشاط عبد الله جزيلان فى الشئون الإدارية للكلية بعد أن أصر البدر على بقائه للعمل كأركان حرب الكلية ، وكان هو الذى اختاره وعينه فى هذه الوظيفة بينما كانت البعثة العسكرية المصرية قد اقترحت على البدر أن يعين فيها على سيف الخولانى .

---

(١) أحد ثلاثة اشتركوا فى محاولة إغتيال الإمام أحمد فى مستشفى الحديدة ، ثم أعدم .
(٢) أحد ثلاثة اشتركوا فى محاولة إغتيال الإمام أحمد فى مستشفى الحديدة ، ثم أعدم .
(٣) القائد الجمهورى لمنطقة صعدة أثناء القتال بعد قيام الثورة .

لعل البدر كان لا يطمئن إلى على سيف الخولانى الذى كانت تظهر عليه ملامح يقلد بها عبد الناصر ، وكان لا يكتم أراءه عن إصلاح اليمن ، أو ربما استمع البدر لنصيحة العميد عبد الله السلال قائد حرسه الذى زكى له تعيين عبد الله جزيلان بدلا من على سيف الخولانى .

على أية حال ، استطاع على عبد المغنى وزملاؤه من طلبة الكلية الحربية أن يتجنبوا احتكاك عبد الله جزيلان بهم واقترابه من شئون تدريبهم حتى يتجنبوا شكوك البدر فيهم ، وكان الفضل فى ذلك يرجع إلى العلاقة الروحية التى كانت تجمع بينهم وبين قائد الكلية العميد حمود الجائفى .

كان العميد حمود الجائفى يحظى بإعجاب جميع طلبة الكلية الحربية ومدارس الأسلحة ، لأنه كان شديد التحفظ عند الحديث فى الأمور السياسية ، ويرى أن أعظم خدمة يمكن أن يؤديها الطلبة العسكريون للوطن هى التفرغ للدراسة والتفوق فيها والابتعاد عن الأمور السياسية وتجنب الانزلاق فى متاهات المغامرات غير المحسوبة ، وكان يستشهد بما حدث مع جمال جميل مدير الكلية الحربية أيام انقلاب ١٩٤٨ . كان الجائفى يعتقد أن الضابط أو الجندى عندما يتم تدريبه سيكون بمثابة سفير لقبيلته أو قريته ، والمشعل المضىء الذى على هديه ينتشر الوعى الوطنى فى أرجاء اليمن .

كانت أراء الجائفى تمثل قمة الحكمة الوطنية ، وكان لا يفصح عن تأييده أو عدم تأييده للبدر أو للحسن أو لغيرهما ، وإنما يلتزم فقط بأداء وظيفته الوطنية بالسهر على انتظام التدريس فى الكلية الحربية وتخريج دفعات الضباط اليمنيين ، مشاعل النور فى اليمن .

لم يكن للجائفى مرشح جديد بثقته يعمل من أجل تنصيبه ، وكان يرى ان اختيار منهاج المستقبل الأفضل يقع على عاتق المثقفين اليمنيين الذين يتخرجون من الجامعات فى الخارج ، وانهم لن يستطيعوا ذلك إلا إذا كانت فى اليمن قيادات عسكرية منظمة تحقق ميلاد هذا المنهاج ثم تحميه بعد ميلاده .

غرس الجائفى هذه الأفكار الوطنية فى ذهن على عبد المغنى وزملائه من الذين وصفهم الجائفى بأنهم مشاعل النور فى اليمن ، فالتفوا حوله والتزموا بتوجيهاته ، ولذلك كان طبيعيا ومنطقيا ألا يشتركوا فى أعمال العنف التى شملت صنعاء .

كانت البعثة العسكرية المصرية تسعى بكل ثقلها وطاقتها إلى كسب ثقة جميع عناصر إصدار القرارات أوالتوجيهات فى اليمن ، أو كانت تعمل على عدم إغضاب أحد من الذين يملكون العمل على تجميد أعمالها ، حرصا منها على إنجاز مهمتها التاريخية بتدريب وتخريج ضباط وصف ضباط وجنود يمنيين مدربين ومنظمين ، يملأ قلوبهم حب الوطن ، ويغمر صدورهم حب التطور .

وزعت البعثة أدوار العلاقات العامة على أعضائها .

تولى رئيس البعثة العقيد أركان حرب حسن فكرى الحسينى توطيد علاقاته الشخصية مع الإمام وأمير الجيش السيد على بن ابراهيم والسيد على زبارة ورئيس الإستئناف السيد محمد يحيى الشهارى وأمثال هؤلاء من المدرسة القديمة .

وتولى كبير المعلمين الرائد صلاح المحرزى توثيق علاقاته الشخصية مع الضباط والجنود وطلبة الكلية الحربية ومدارس الأسلحة .

وتولى المقدم أحمد أبو زيد الاتصال الدائم والمستمر بالبدر ، وكان يلتقى به يوميا ويمضى معه معظم الأوقات فى جلسات خاصة ، يحضرها عادة جمع من رجال البدر كان أبرزهم العميد عبد الله السلال رئيس حرسه وحسن العمرى مدير اللاسلكى وأحمد جابر عفيف سكرتير البدر والمقدم عبد الله الضبى مدير مكتبه وعبد الله ضميم خادمه الخاص . وكانوا يمضون أوقاتهم فى قصر البدر ، وأحيانا فى بيت أحمد جابر عفيفى ، وأحيانا فى استراحة الروضة ، وفى أغلب الأحيان كانوا يقضون هذه الأوقات فى بيت المقدم أحمد أبو زيد .

على نقيض التحفظ الذى كان سمة من سمات الجائفى كان هؤلاء يصرحون بولائهم المطلق للبدر ، فكان من المنطق أن يتصدى حرس البدر لأعمال العنف التى حدثت فى صنعاء والتى انتشرت فى العديد من أنحائها وظهرت كما لو أنها انتفاضة شبه عسكرية ، ولا يستطيع أى مؤرخ أن يتجاهل دور أنصار الحسن فى الاستزادة منها والنفخ فيها سعيا وراء استثمارها ضد البدر سواء بغرس الرعب فى قلبه فيعرف قدر نفسه ، أو بغرس الشك فى قلب الإمام فيعرف قدر البدر .

فى تلك الأثناء وصل إلى صنعاء الشيخ حميد بن حسين الأحمر نجم القبائل الساطع وفجرها المشرق المضىء مع والده الشيخ حسين الأحمر شيخ مشايخ قبيلة حاشد وأقوى شخصية قبلية فى اليمن ومعهما المئات من رجال قبائل حاشد وبكيل ، وكان شيوخ ورؤساء القبائل قد اتفقوا فيما بينهم على تفويض الشيخ الشاب حميد بن حسين الأحمر لدخول صنعاء لتمثيلهم لدى البدر والتعبير عن مطالبهم وإصرارهم على الإصلاح الذى يريده الشعب .

كانت عشرات الألوف من رجال القبائل يعسكرون فى القرى القريبة من صنعاء ينتظرون إشارة من الشيخ حميد الذى كان يسانده الشيخ عبد اللطيف بن راجح والشيخ سنان أبو لحوم .

اختلف الرواة عن سبب وصول الشيخ حميد ورجال القبائل إلى صنعاء .

يقول الدكتور محمد على الشهارى فى كتابه (اليمن الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال – صفحة ١٠٨) كانت الخطة أن يحكم اليمن شيخ يستند إلى عصبية قبلية يحررها من الإمامة وأن ينوب عنه فى الرئاسة القاضى أحمد السياغى كمرشح أول ثم القاضى عبد الرحمن الأريانى كمرشح ثان ، ويستطرد الشهارى قائلا أن هذا الجناح الإقطاعى المعارض لم تكن الجمهورية لديه تختلف عن مملكة معين وقتبان وسبأ وحمير أى مجرد سلطنة إقطاعية قبلية ، وقد نسب الشهارى هذا القول إلى القاضى محمد محمود الزبيرى . ثم وصل الشهارى وهو هاشمى العنصرية إلى أن قال فى صفحة ١٠٩ أنه قد (وجدت أوراق عند الشهيد حميد تدل على أنهم كانوا يريدون قتل الهاشميين أو طردهم) .

على نقيض رواية الشهارى يقول القاضى عبد الله عبد الوهاب الشماحى فى كتابه (اليمن الإنسان والحضارة - صفحة ٣٠٧) أنه (ماكاد الإمام يستقر فى روما إلا وقام أصحاب الحسن بإثارة الاضطراب يساعدهم أحمد السياغى وأمثاله ذوى الميول الحسينية فإذا بالجيش النظامى يتمرد بتعز وصنعاء ويثير الرعب والذعر .. مما دفع البدر إلى أن يستنجد بالقبائل . ثم استطرد الشماحى قائلا أن القبائل استجابت لنداء البدر ولى العهد حتى دخل منهم إلى صنعاء فى أيام قلائل أكثر من خمسين ألف فازداد الموقف تعقيدا .. ولذلك أرسل أصحاب الحسن إلى الإمام فى روما يحذرونه من أن الشيخ حميد ومن معه من المشايخ يحاولون دفع البدر إلى إقامة حكومة جديدة متحررة وخلع الإمام) .

رواية الشماحى تناقض رواية الشهارى .

فبينما يروى الشهارى أن وصول القبائل إلى صنعاء كان بقصد إقامة جمهورية أو سلطنه تحرر اليمن من الإمامة ثم تقتل الهاشميين أو تطردهم ، أى أن القبائل قد وصلت إلى صنعاء بغير إرادة البدر والعمل على خلعه هو ونظام الإمامة من جذوره ، يروى الشماحى أن القبائل قد وصلت إلى صنعاء بإرادة البدر الذى استغاث بها وطلب وصولها فجاءت إلى صنعاء تنصره وأن المغرضين من أصحاب الحسن هم الذين أشاعوا أن القبائل أوعزت إلى البدر بأن يخلع الإمام ويقيم حكومة متحررة فى ظل إمامة البدر بطبيعة الحال .

وفى رأيى أن كلا من هاتين الروايتين لا يتفق مع الحقيقة .

لقد كنت أحد رجال الإمام الملازمين له والمحيطين به فى روما وكنت أطلع على كل ما يصل إليه عن اليمن شأنى فى ذلك شأن جميع رجاله المحيطين به وهو على فراش المرض .

لو أن الشيخ حميد بن حسين الأحمر كان قد دخل صنعاء لإعلان قيام جمهوريته أو سلطنة كما يقول الشهارى لما خرج من صنعاء قبل أن يتم ذلك ، فقد كان يحظى بتأييد كل شيوخ ورؤساء القبائل وكان معه (كما يقول الشهارى) القاضى أحمد السياغى أقوى شخصية يمنية فى ذلك الوقت .

أما الغرض من قول الشهارى أن هدف الشيخ حميد بن حسين الأحمر ورجال القبائل الذين كانوا معه هو العمل من أجل قتل الهاشميين أو طردهم فإنه غرض واضح الدلالة ، جاء على لسان الشهارى المتعصب للامتيازات العنصرية الهاشمية وإن كان يتظاهر بأنه ماركسى العقيدة شيوعى المذهب الذى لا يعترف بالله ولا بحق سلالة فاطمة فى إحتكار السلطة والتحكم فى المسلمين ، وهو يتظاهر بتعصبه للشيوعية ليخفى تعصبه للامتيازات الهاشمية والتفرقة العنصرية .

اراد الشهارى أن يلصق هذه التهمة بالشيخ حميد ورجال القبائل لإثارة ضمائر الوطنيين ضدهم وضد من يدعو إلى العدالة والمساواة فى اليمن ، كما لو أنه يريد أن يقول أن كل من يدعو إلى العدالة والمساواة هو عدو للهاشميين ، يريد قتلهم أو طردهم .

لا يتصور عاقل أن يستهدف الشيخ حميد أو غيره من دعاة العدالة والمساواة بين جميع أبناء الشعب أن يعمل أحدهم على قتل هاشمي أو طرده من وطنه ، لأن من يدعو إلى العدالة والمساواة لا يمكن أن يدعو في نفس الوقت إلى التفرقة والتمييز ، والذي يدعو إلى الوحدة الوطنية لا يمكن أن يدعو إلى الإمتيازات القحطانية بدلا من الامتيازات الهاشمية ، لأنه لو فعل ذلك لكان قد استبدل الداء الذي يشكو منه الشعب بداء مثله لا يقل عنه خطرا ويؤدي إلى الاستمرار في تمزيق الأمة وتفتيت وحدتها الوطنية .

لذلك أثق في أن الشيخ حميد ورجال القبائل الذين كانوا معه لم يسعوا إلى ذلك أبدا .

كذلك ليس صحيحا مارواه الشماحي قائلا أن البدر هو الذي طلب وصول الشيخ حميد ورجال القبائل لحمايته في صنعاء ، إذ لو كان الأمر كذلك لخرجوا من صنعاء عندما طلب البدر منهم الخروج منها . لكنهم لم يخرجوا من صنعاء إلا بعد نحو أسبوعين من إلحاح البدر عليهم بالعودة إلى بلادهم وبعد أن تولى القاضي أحمد السياغي إقناعهم بأن البدر مصمم على تنفيذ الإصلاحات التي أعلن عنها ، وكان في مقدمتها انشاء مجلس نيابي لأول مرة في تاريخ الإمامة في اليمن وتعيين القاضي أحمد السياغي نفسه أول رئيس له وإلغاء التفرقة العنصرية ، أي إلغاء الإمتيازات الهاشمية وتحقيق المساواة التامة بين جميع أبناء الشعب ، وهذا ما كان ينادي به الشيخ حميد بن حسين الأحمر معبرا بذلك عن مطالب شيوخ القبائل ومشاعر السواد الأعظم من أبناء الشعب . وقد أعطى البدر للشيخ حميد كمية كبيرة من الأسلحة وخمسة ملايين ريالا للصرف منها على رجاله أثناء عودتهم إلى بلادهم .

إذن وصلت القبائل إلى صنعاء من تلقاء نفسها ، وخرجت منها بعد أن تأكدت من عزم البدر على تنفيذ ما أعلنه من إصلاحات جذرية ، وبعد أن عرضت عليه مساعدتها له ووقوفها معه .

ولهذا أعتقد أن أحداث تعز وصنعاء والتي كان ضحاياها الرئيسيون أربعة من غير الهاشميين ، اثنان منهم من بيت الجبري واثنان من بيت العمري ، قد أثارت الظن بأنها استهدفت فقط الفتك بالقحطانيين ، ردا على إعلان البدر الغاء التفرقة العنصرية وتحقيق العدالة والمساواة وإنشاء المجلس النيابي برئاسة أحد القحطانيين المتعصبين للمساواة وهو القاضي أحمد السياغي ، الأمر الذي في أغلب الظن قد أثار رجال القبائل بزعامة الشاب الوطني المتحرر حميد بن حسين الأحمر ووالده الشيخ حسين الأحمر ، فاتفق حميد مع مشايخ القبائل الأقوياء على التوجه إلى صنعاء لحماية أهلها والتأكد من قدرة البدر على تنفيذ ما أعلنه من إصلاحات . فتوجه حميد إلى صنعاء ومعه عشرون ألفا من رجال القبائل المسلحين يؤيدون الاصلاح ، وأدخل معه إلى العاصمة نحو خمسمائة منهم وأبقى بقيتهم في القرى المحيطة بها ، فأدرك البدر أنني كنت على حق حين ذكرت له ، أكثر من مرة ، أن التفرقة العنصرية لا يمكن أن تستمر في اليمن وأن السواد الأعظم من الشعب قد بدأ يعبر عما في نفسه من سخط على هذه الإمتيازات التي ليس لها مبرر ، وأننا لسنا في زمن الإختلاف حول أيهما أحق بالخلافة (علي أو معاوية) وأنه ليس لهذه الإمتيازات من أثر سوى تعميق جذور الثورة على نظام الحكم الإمامي نفسه .

أدرك البدر أننى كنت على حق حين نبهته إلى هذه الحقيقة ، وأننى كنت فى قمة الإخلاص حين نصحته بأن يكون أول إمام يدعو إلى العدالة ويطبق المساواة بين جميع أبناء شعبه . لذلك استقبل البدر الشيخ حميد بن حسين الأحمر ووعده بتنفيذ كل ما أعلنه من إصلاحات .

وقبل أن تصل أخبار ما جرى فى صنعاء إلى الإمام فى روما وصلتنى رسالة من أحد الاصدقاء فى صنعاء كان قد التقى بالبدر بحضور الرائد صلاح المحرزى وسمع البدر يقول أن الوقت قد حان كى يخرج الشعب اليمنى من سجن الباستيل ، يقصد السجن الفرنسى الذى حطمته الثورة الفرنسية ، وقال أنه لا بد من تحقيق العدالة والمساواة من أجل تحقيق الوحدة الوطنية ، وانه لا بد من القضاء على الخرافات التى يروجها الجهلاء أصحاب المصالح الشخصية الذين مازالوا يتباكون على دم الإمام على بن أبى طالب بينما يسعون فقط إلى الاحتفاظ بالإمتيازات العنصرية .

وصلتنى هذه الرسالة وكنت فى طريقى المعتاد للجلوس حول الإمام مع رجاله الذين أختارهم لصحبته ، وفى هذه المرة جاءت إلينا أخبار ما حدث فى اليمن . وكانت الاخبار مختصرة ومركزة فى أحداث تعز التى قادها العقيد السيد شرف المرونى ، والتى انتهت بقتل القاضيين أحمد وعلى الجبرى ،وأحداث صنعاء التى انحصرت فى احراق بيت عامل (محافظ) صنعاء القاضى يحيى العمرى واحراق مكتبة القاضى حسين العمرى (عم القاضى محمد عبد الله العمرى وزير الدولة ونائب وزير الخارجية) .

ترددنا جميعا فى إبلاغ الخبر إلى الإمام حرصا على عدم إزعاجه وهو يعانى من شدة المرض والألم ، فتطوع السيد أحمد عباس بإبلاغ الإمام وكنا نجلس حوله ، وكان معنا من اخوة الإمام الأمير الحسن والأمير اسماعيل والأمير على وعدد من أولاد أخت الإمام والقاضى محمد عبد الله العمرى والسيد أحمد زبارة زوج ابنة الإمام (مفتى اليمن الآن) والقاضى عبد الملك العمرى .

بدأ السيد أحمد عباس يروى للإمام ما حدث بالأربعة من آل الجبرى وآل العمرى وكان يقول كلمة ثم يصمت برهة من الزمن ليختار الكلمة التى تتلوها حتى يتم رواية الحادث على مهل دون إزعاج الإمام .

ولعل الإمام ، قوى الملاحظة ، أدرك من وراء تردد السيد أحمد عباس أحداثا خطيرة وقعت فى اليمن . فما أن أتم رواية الخبر وتأكد الإمام أن ضحايا الأحداث هما إثنان من آل الجبرى واثنان من آل العمرى حتى صاح الإمام رغم مرضه قائلا (شغلتنى .. ماذا وقع ؟ وقعت فى رأس أربعة فقهاء) أى أربعة من غير الهاشميين . وكأن الإمام لا يهتم إلا بسلامة أبناء الشعب الهاشميين وحدهم ، وأن غيرهم من أبناء الشعب لا وزن لهم عند الإمام .

سالت الدموع على وجنتى القحطانى القاضى محمد عبد الله العمرى يد الإمام اليمنى فى الشئون الخارجية ومساعده ووزير دولته ونائب وزير خارجيته . سالت دموعه التى حاول أن يحبسها حتى لا يراها الإمام أو يلحظها أحد غيرى من رجال الحاشية ، الذين كانوا جميعا من اخوة الإمام وأسرته بما فيهم السيد أحمد عباس .

ولعل أعصاب الإمام كانت قد بلغت ذروة الضعف والمرض لأنه لو كان فى حالته الطبيعية لاستطاع أن يتحفظ فى التعبير عما يدور فى نفسه من تعصب عنصرى ، ويتحكم فى مشاعره التى لا تعترف بحقوق الأغلبية الساحقة من أبناء شعبه .

كانت هذه نظرة الإمام إلى أبناء الشعب من غير الهاشميين ، مقلدا نظرة جميع الأئمة الذين سبقوه ، متبعا نفس سياستهم التى فرضوها على اليمن منذ عدة قرون . خرجت هذه العبارة الجارحة على لسان الإمام بينما كان من عادته أن يغلف سياسته المعلنة بلفائف الحرير التى تخفى تحتها أشواك التفرقة العنصرية .

هذه المرة لم يغلف مشاعره بالحرير وإنما رمى بأشواك التفرقة العنصرية فى وجه وزيره وخليله القاضى محمد عبد الله العمرى ، ومما زاد فى هياج الإمام ما رواه بعد ذلك ، السيد أحمد عباس للإمام عن تعيين البدر للقاضى أحمد السياغى رئيسا للمجلس النيابى الذى أنشأه البدر لأول مرة فى تاريخ اليمن ، ثم ما رواه عن دخول الشيخ حميد بن حسين الأحمر وقبائل حاشد إلى صنعاء فخفق قلب الإمام خوفا على الامتيازات الهاشمية ، وكأنه أراد أن يعلن وعيده وانذاره للقاضى السياغى والشيخ حميد فأخذ يتلو بيتين من الشعر قائلا :

ولو أنى بليت بهاشمى خئولته بنو عبد المدانى
لهان علىّ ما ألقى ولكن تعالوا وانظروا بمن ابتلانى

والمعنى أنه كان أشرف للإمام وأهون عليه أن يمتحنه الله بالتصدى لأحد الهاشميين ، أما أن يبتليه الله بمن هو دون هذا الشرف كالقحطانى أحمد السياغى أو القحطانى حميد بن حسين الأحمر فإن هذا هو البلاء الأعظم الذى جعل الإمام يندب حظه حيث يتصدى لمن هم دونه شرفا ويتحدى من هم دون الهاشميين منزلة .

شاركت القاضى محمد عبد الله العمرى حزنه ، فقد كنت معه ثانى إثنين من القحطانيين عندما كنا نحيط بالإمام ندعو له بالشفاء وانتهاء العناء ، فإذا بمولانا وحبيبنا الإمام يذبح قلبينا بأبيات الشعر ويحطم كبرياءنا بقذائف التفرقة . وكأنى والقاضى العمرى لسنا من رعاياه ولا من خلصائه المخلصين ، وجلسائه المحبين ، ووزرائه المرموقين ، ورجاله البارزين الذين مثلوه فى شتى بقاع الأرض .

فجأة ، قذف بنا مولانا وحبيبنا الإمام تحت أقدام زملائنا الحاضرين من الهاشميين وداس على شرفنا أمامهم بنعال التفوق العنصرى الهاشمى ، وكأنى والقاضى العمرى لسنا من أبناء الشعب اليمنى الذى تحدث القرآن عن أمجاده عندما لم تكن فى الدنيا حضارة أعرق من حضارة اليمن.

ولعلنا كنا نعزى انفسنا بذكرى أمجاد اليمن وماضيها العريق ، شأننا فى ذلك شأن المستضعفين الحيارى الذى ليس معهم حاضر يفخرون به ولا مستقبل يأملون فيه ، سوى الماضى الذى يلتمسون منه الشرف والكرامة .

أمضيت برهة أو دهرا لا أدرى كيف طال ، ثم تنبهت على صوت الإمام وهو يقرر تشكيل محكمة لمحاكمة الذين أثاروا الفوضى أو الفتنة فى اليمن ، وأعلن أننى سأكون رئيسا لهذه المحكمة كما كنت رئيسا لمحكمة الأجانب من قبل ، وسأل القاضى محمد العمرى عن رأيه فى ذلك فاستحسن القاضى العمرى هذا الرأى معتقدا أننى سأقتص له ولأبناء الشعب من الذين قتلوا القحطانين آل الجبرى فى تعز وأحرقوا ممتلكات القحطانيين آل العمرى فى صنعاء ، ولم يبد الحاضرون أية ملاحظة على هذا التعيين .

أراد الإمام أن يقلد المحكمة التى شكلها الرئيس العراقى عبد الكريم قاسم فى تلك الأيام والتى كانت تسمى بمحكمة المهداوى ، والتى كانت تمعن فى إزلال المتهمين والتشهير بهم ثم تحكم عليهم بالإعدام فيأمر عبد الكريم قاسم بإطلاق الرصاص عليهم فى نفس يوم النطق بالحكم أو فى اليوم التالى على أكثر تقدير . وكانت هذه المحكمة من أدوات عبد الكريم قاسم فى نشر الإرهاب والذعر واسكات الخصوم ، فأراد الإمام أن يستخدم نفس الاسلوب وأن يتسرب خبر تشكيل هذه المحكمة قبل وصول الإمام إلى اليمن لتحدث أثرها النفسى على من وصفهم بالمفسدين .

أثناء تلك الجلسة ، وبينما كان الإمام يبدى أعجابه بمحكمة المهداوى العراقية استطرد قائلا إن رئيس المحكمة لا يتكلم كثيرا وإنما يوجه أسئلته وينطق بالحكم ، وانما الذى يمسك بتلابيب المتهمين ويخطب ضدهم ويشهر بهم ويكشف نواياهم هو المدعى العام ، ولذلك قرر أن يعيننى مدعيا عاما بدلا من تعينى رئيسا للمحكمة ، وأمرنى بالاستعداد للسفر معه إلى اليمن حيث أوشك أن يعود إليها ، وطلب أن أستأجر له من ألمانيا يختا بحريا ينقله من إيطاليا إلى اليمن حيث لم يتمكن من العثور فى روما على يخت يقوم بهذه الرحلة .

سافرت إلى ألمانيا وأبلغت طلب الإمام إلى وزير الخارجية الألمانى الهرفون برنتانو الذى أفادنى بأن رجال الأعمال الألمان لا يضيعون وقتهم فى نزهات بحرية ونصحنى بالبحث عن مثل هذا اليخت فى اليونان .

عدت إلى روما كى اطلع الإمام على ما وصلت إليه فى ألمانيا فأبلغونى أن صحة الإمام قد تدهورت إلى أقصى درجة ، وأنه لم يعد فى وسعه استقبال جلسائه حتى وهو نائم على الأرض كما هى العادة ، لأن الغيبوبة بدأت تداهمه بصفة تكاد تكون مستمرة .

انصرفت من مقر الإمام دون أن أحظى بمقابلته وأخذنى معه الأمير الحسن (عم البدر ومنافسه فى الإمامة) وذهبنا إلى السوق ليشترى عقدا من الأحجار العادية الصناعية لإحدى قريباته ، وكان معنا القاضى محمد العمرى والسيد حسن ابراهيم ، وأذكر أنه قضى نحو ساعتين وهو يساوم تاجر العقود كى يخفض ثمن العقد وكان الفارق بين الأمير والتاجر لا يزيد عن خمسة عشر جنيها .

أثناء عودتى من الفندق حدثتنى نفسى بالعودة إلى مقر الإمام لعلى أختلس منه دقيقة أشرح له فيها نتيجة مهمتى فى ألمانيا بشأن اليخت ، فدخلت إلى غرفة نومه ولم يكن حراسه الإيطاليون يجهلون شخصيتى ، فإذا بالإمام الذى أبلغونى فى الصباح أنه يعانى

من سكرات الموت أجده أمامى وجها لوجه يمشى فى غرفته كأقوى ما يكون صحة وأكثر ما يكون عافية ، وعندما أخذتنى الدهشة وهممت بالانصراف أمرنى بالجلوس واستمع إلى نتيجة مهمتى ، وقال انه ليس فى عجلة من أمر السفر لأن حالته الصحية تتغير بين ساعة وأخرى وأنه يفضل البقاء فى إيطاليا لفترة أطول .

لم آخذ كلام الإمام على علاته ، وأفهمه على ما قاله ، وإنما حاولت أن استنتج الباعث من وراء هذا التغيير المفاجىء فى قرار عودة الإمام إلى اليمن ، مع التظاهر باشتداد المرض عليه ، فعلمت أن رسالة وصلت إليه من اليمن أخبرته أن البدر قد سيطر تماما على مقاليد الأمور بمساعدة القاضى أحمد السياغى والقبائل ، وأن مصر تقف بكل ثقلها معه وأن البدر قد اتفق مع جمال عبد الناصر على التحفظ على الإمام فى مصر عند وصوله إليها فى طريقه إلى اليمن ، وإيداعه فى إحدى المصحات العصبية وإعلان مرضه الذى يقعده عن مزاولة عمله كإمام لليمن ، وعندئذ يتولى البدر الوصاية على العرش (منصب الإمامة) أو يجمع أهل الحل والعقد لإعلان خلع الإمام بسبب تدهور حالته الصحية إستنادا إلى تقارير الأطباء التى وعد جمال عبد الناصر بإرسالها إلى البدر .

رغب الإمام فى أن يتريث فى إيطاليا حتى يعرف المزيد من هذه المعلومات التى كان يثق فى صحتها ثقة مطلقة ، ولا أدرى من الذى أرسلها إليه . وكانت فيما أعلم عارية تماما عن الصحة جملة وتفصيلا لكنها أثرت فى نفس الإمام أعمق تأثير .

وجدت أن من واجبى أن أرسل إلى البدر أخبره بما وصل إلى الإمام ، وأنصحه بأن يقتصد فى تصريحاته ويتأنى فى خطواته الإصلاحية ، مؤكدا أن صحة الإمام جيدة وأنه لا صحة لما يقال عنه ، ويشيعه بنفسه عن نفسه من أنه يعانى سكرات الموت .

كذلك أرسلت إلى السيد محمد أنور السادات بواسطة الملحق العسكرى المصرى فى روما رسالة تتضمن نفس هذا المعنى ، ورجوته أن يطلع الرئيس جمال عبد الناصر على مضمونها كى يقوم بما يراه نحو بث الطمأنينة فى قلب الإمام وإزالة أوهامه التى لا أساس لها من الصحة على وجه الإطلاق .

كنت قد أشعرت القاضى محمد العمرى اننى سأتهرب من العمل كمدعى عام كما أراد الإمام وقلت أننى لو حاكمت السيد شرف المرونى سأجد من يتهمنى بأننى ضد الهاشميين ، وإذا حاكمت القاضى أحمد السياغى الذى ينوى الإمام تصفيته جسديا مع غيره من الضباط والجنود سأجد من يتهمنى بأننى ضد القحطانيين ، وأضفت أننى لا زلت فى حاجة إلى وقت حتى أتبين موقف البدر من أبيات الشعر التى سمعناها من فم الإمام حتى نعرف نظرته الحقيقية إلينا ، نحن أبناء الشعب القحطانيين وهل يرانا كما يرانا الإمام من طبقة العبيد ؟ أو أنه صادق فى تحقيق العدالة والمساواة بين أبناء اليمن جميعا .

هذه هى القضية .

وليست أحداث تعز وصنعاء سوى مجرد أعراض للمرض الاجتماعى المزمن الذى تعهد البدر بمعالجته واستئصاله من جذوره .

وافقنى القاضى العمرى بعد أن كان متحمسا لمحاكمة من أحرقوا مكتبة عمه وبيت ابن عمه . استاذنت من الإمام للسفر إلى مقر عملى فى ألمانيا الغربية لإعداد لوازم سفرى معه إلى اليمن على أن أعود إلى روما للإقامة فيها حتى يحل موعد سفره إلى اليمن .

اتفقت مع القاضى محمد العمرى على ألا أعود إلى روما حتى لا أسافر مع الإمام إلى اليمن للقيام بمهمة المدعى العام ، وبمجرد وصولى إلى بون أجريت فحوصا طبية حيث كنت أشعر بحالة صحية غير عادية ، فإذا بالطبيب يكتشف إصابتى بمرض السكر .

وكان الطبيب الألمانى فى غاية الدهشة لأنه سبق أن فحصنى قبل شهر من ذلك الوقت وكنت سليما معافا ، الأمر الذى جعله يعلل ظهور السكر عندى فجأة بأننى قد مررت بأزمة نفسية حادة أو أضطراب عصبى شديد .

ولا يخالجنى أدنى شك فى ان احتقار الإمام لى وللقاضى العمرى مع بقية القحطانيين وهم أكثر من تسعة وتسعين فى المائة من مجموع أبناء شعب اليمن قد أصاب من كبريائى مقتلا ، وأوقد فى أعماقى نارا ، كانت فى أغلب الظن ، السبب المباشر الذى استعجل إصابتى بذلك المرض .

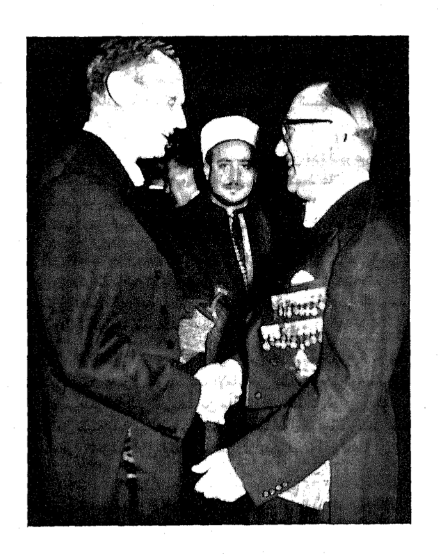
نصحنى الطبيب بالإقامة فى المستشفى الجامعى فى بون مدة أسبوعين حتى يتم ضبط نوع وكمية العلاج المضاد للسكر ، وهذه طريقتهم فى ضبط علاج السكر . ولازلت ، حتى الآن ، أعانى من مرض السكر الذى أعاننى الله على الإلتزام بشروط صداقته الثقيلة والمفروضه حتى آخر العمر ، الذى حدده الله سبحانه جل شأنه وتعالت قدرته .

أبرقت إلى الإمام أعتذر عن عدم عودتى إلى روما معللا ذلك بإقامتى بمستشفى الجامعة فى بون وأرسلت إليه تقريرا طبيا من هذه المستشفى . استاء الإمام من اعتذارى ولعله ظن اننى افتعلت ذلك العذر حتى أهرب من القيام بمهمة المدعى العام أمام المحكمة التى أراد أن ينشر عن طريقها الذعر والإرهاب .

ولا شك فى أن بعض أخوته وأبناء أخته الذين كانوا يجالسونه قد لاحظوا حزنى وحزن القاضى محمد العمرى من موقف الإمام من أبناء الشعب القحطانيين ، لأننا لم نستطيع أن نحبس دموعنا التى خرجت من مآقينا رغما عنا ، بعد أن وجدنا أنفسنا فجأة من طينة أقل من طينة بقية الحاضرين الجالسين معنا حول الإمام ، وكانوا ينظرون إلينا يتطلعون فينا إلى التعرف على مشاعرنا التى لم يكن فى وسع أحدنا أن يخفيها على الآخر .

لا شك فى أن البعض من هؤلاء الذين يعرفون صلتى بالبدر قد فسر للإمام اعتذارى عن عدم العودة إلى روما للسفر معه إلى اليمن بأننى قد استأت من احتقار الإمام للقحطانيين ، وكان ذلك آخر ما يظنه الإمام بى لأنه يعرف أننى نشأت فى مصر ولم أرضع من لبن التعصب فى اليمن ، ولفرط ثقة الإمام وإيمانه بالحق الإلهى للهاشميين كان يعتقد أنه ليس من حق غيرهم أن يعترض على التعصب للإمتيازات الهاشمية ، بل لعله كان يستغرب مطالبة غيرهم بمثل حقوقهم ويندهش من تطاول القحطانيين وتتطلعهم إلى المساواة مع الهاشميين .

على أى حال اقتنع الإمام بأننى قد افتعلت عذر المرض حتى لا أعود معه إلى اليمن وأتولى مهمة المدعى العام فأمر على الفور بنقلى من ألمانيا إلى السودان وزيرا مفوضا بدلا من الشيخ صلاح المصرى الذى كثرت شكاوى اليمنيين ضده . تضمن أمر الإمام أن أغادر ألمانيا فى الحال لاستلام عملى فى السودان وأرسل إلى ألمانيا ابن اخته السيد عبد الوهاب الشامى ليتسلم منى السفارة فى بون وكان من بين الذين يجلسون معنا حول الإمام فى روما .



المؤلف بين سفيرين من سفراء الدول الذين أقاموا له حفل توديع بمناسبة نقله إلى السودان . (سبتمبر ١٩٥٩)

غادر الإمام روما على متن طائرة متجهاً إلى اليمن ، وفى منتصف الطريق فى سماء البحر الأبيض المتوسط أمر الإمام بعودة الطائرة إلى روما ، وبعد ذلك استقل إحدى بواخر الركاب المتجهة إلى البحر الاحمر مرورا ببورسعيد كى يصل إلى الحديدة عن طريق البحر .

اختلف الرواة حول تفسير هذا التصرف .

بعضهم يقول أن الإمام اكتشف فى الطائرة غياب إحدى نسائه التى تخلفت فى روما عن قصد منها ، فأراد أن يعود إلى روما لأخذها معه وهى سميحة المرأة الجارية السورية الحسناء التى كان الملك سعود قد أهداها إلى الإمام .

رواة هذا التفسير يستندون إلى اختفاء هذه المرأة فى آخر لحظة قبيل إقلاع الطائرة وكانت قد ضاقت ذرعا بالحياة فى قفص الإمام . وآخرون يقولون أن الإمام قد شعر بتعب من السفر بالطائرة فأراد أن يستبدلها بباخرة .

ولا أعتقد فى صحة شيء من ذلك .

فالإمام كان ينوى منذ البداية السفر بالباخرة وأرسلنى إلى ألمانيا لاستئجار أحد اليخوت الألمانية . وأغلب الظن عندى أن الإمام عندما قرر السفر بالطائرة وأعلن ذلك على الملأ كان ينوى فى نفس اللحظة أن يعود من منتصف الطريق إلى روما ثم يسافر إلى الحديدة على ظهر باخرة .

أظن ذلك لأنه يتفق ، فى نظرى ، مع كيفية تفكير الإمام التى اتصور أننى درستها دراسة جيدة خلال عملى معه نحو عشر سنوات متصلة .

أظن أن الإمام كان يريد أن يصل إلى علم البدر ، ومن حوله ، موعد وصوله بالطائرة . حتى يستدرجهم إلى القيام بالأعمال المعادية التى أبلغه الوشاه المغرضون بأن البدر ورجاله سوف يقومون بها عند نزول طائرة الإمام على أرض اليمن . فإذا ما عاد الإمام إلى روما واستقل الباخرة فإنه يكون فى وسعه أن يفكر فى كيفية الرد على هذه الأفعال المعادية التى يظن أن يكون البدر ورجاله قد تهيأوا لها ظنا منهم أن الإمام سيصل فى ذلك الموعد بالطائرة .

وأظن أن الإمام كان لا يريد مطلقا أن يسافر بالطائرة التى تجعل من السهل على مصر إنزالها فى أحد المطارات المصرية وادخاله فى إحدى المصحات كما قال الوشاة المغرضون .

وصلت باخرة الإمام إلى بورسعيد فى طريقها إلى الحديدة ، ورفض النزول من الباخرة وكان جمال عبد الناصر فى استقبال الإمام على رصيف الميناء ، فصعد جمال عبد الناصر لمصافحة الإمام الذى كان جالسا فوق مقعده لم يتحرك منه بتاتا وقلبه ملىء بالغضب على مصر والخوف من جمال عبد الناصر ، بسبب ما جرى فى اليمن على يد البدر ونسبه المغرضون إلى مباركة مصر وتأييدها .



الإمام أحمد يستقبل الرئيس
جمال عبد الناصر على ظهر الباخرة
(عام ١٩٥٩) .

يقول الرواة إن عبد الناصر عندما زار الإمام فوق ظهر الباخرة عرض عليه النزول منها لزيارة القاهرة والاستجمام فيها بعض الوقت ، لكننى لا أظن ذلك لأن شكوك الإمام فى مصر كانت قد بلغت إلى سمع عبد الناصر عن طريقى وكان الإمام لا زال فى روما ، ولم يكن من المتوقع أن يقبل الإمام مثل هذه الدعوة ، فكان من المنطق ألا يعرض عبد الناصر على الإمام دعودة يعلم مقدما أن الإمام سوف يرفضها ، كما يعلم أنها سوف تعمق الشك فى قلبه .

إستنادا على ما أعرفه من ذكاء عبد الناصر ، أظن أنه لم يوجه إلى الإمام مثل تلك الدعوة وإنما اكتفى بتقديم التحية إليه والدعاء له بالصحة والعافية ، كما تمنى لليمن كل توفيق واستقرار ضمن ما تمناه من استمرار ثقة الإمام فى إبنه وولى عهده الذى ، بناء على موافقة الإمام ، لا تتأخر مصر عن تقديم المساعدة إليه وتوجيه النصح له .

٢

وصل الإمام إلى ميناء مدينة الحديدة فذهب إليه البدر يستقبله فى عرض البحر وقيل ، كما أجمع الرواة ، أن الإمام صفع ابنه البدر على وجه أمام من حضروا ذلك الاستقبال ، ولما وصل إلى القاضى أحمد السياغى نظر الإمام إليه نظرة قاسية وأعلن قراره بحل المجلس النيابى وكان البدر قد أمر بتعليق الزينات على جميع المبانى فى الحديدة كما حشد المواطنين لاستقبال والده الإمام الذى وصل إلى قصر البونى بمشقة كبرى وسط الزحام الرهيب .

ومن إحدى شرفات القصر وقف الإمام يلقى خطابا ناريا فيما يلى أهم ما جاء فيه :

(كان ما كان من بعض السفهاء والأشرار المغرورين المخذولين فأخافوا الأمن وقتلوا النفس الحرام ونهبوا الأموال وأخافوا السبيل وأخافوا بيضة الإسلام التى يلجأ إليها الخائفون ولا قوة إلا بالله وها أنا الأن عازم على تنفيذ أحكام الله فى أولئك أهل الفتنه ، منهم من سيضرب عنقه عملا بكتاب الله وشريعة رسول الله ، ومنهم من ستقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، شريعة الله شريعة محمد بن عبد الله الذى جاءنا بهذا الدين ، دين الإسلام .

وأحذر الحاضرين ، والحاضر يعلم الغائب ، إنى أقسم بالله قسما لا هوادة فيه ، أنه لا يرفع إلى بحق من أى شخص أبيض أو أسود يسعى للإخلال بالأمن ومخالفة الأوامر والتنكب عن شريعة الله ، إلا شدخت رأسه بالسيف وأقول مكررا من كَذَب فليجرب . وهذا الفرس وهذا الميدان .

أما علمتم أن النصارى وأذنابهم وخدمة الكافرين يسعون بكل جهدهم بلا كلل ولا ملل يقصدون تفريق الكلمة وتشتيت الجماعة وقطع السبيل ومخالفة الإمام ومخالفة شريعة الله . هل ترضون للسفهاء والأشرار أن يتحملوا المستعمرين على ظهورهم إلى وطننا العزيز يريدون إذلال اليمن الباسل ؟) .

أثار هذا الخطاب ، الذى كانت تذيعه إذاعة صنعاء الذعر ، والخوف فى نفوس المواطنين لا سيما عندما أخرج الإمام سيفه من غمده ولوح به فى يده وهو يعلن أنه سيشدخ رأس أى شخص كائنا من كان ومن كَذَب فليجرب (وهذا الفرس وهذا الميدان) وبعد أن وزع درجات العقاب على من وصفهم بالسفهاء فمنهم (من سيضرب عنقه) ومنهم (من ستقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) . هرب من صنعاء من كان باقيا فيها من رجال القبائل .

كان الإمام يقصد بـ (بيضة الإسلام) نظام الإمامة الهاشمى ويقصد بـ (السفهاء) أولئك الذين نادوا بالإصلاح والعدالة والمساواة ، ويقصد بـ (النصارى) الإنجليز فى عدن والمصريين فى القاهرة ، وهذا وصف يطلقه الإمام عادة على كل من ليس يمنيا حتى ينفر أبناء اليمن من التيارات الإصلاحية التى تهب على اليمن من الخارج .

التفت الإمام إلى القاضى أحمد السياغى وقال (أهلا برئيس المجلس القحطانى) ثم أرسله إلى صنعاء لإحضار الشيخ حسين الأحمر والعودة معه إلى قرية السخنة بالقرب من مدينة الحديدة حيث يقيم الإمام .

ذهب القاضى أحمد السياغى إلى صنعاء ومنها هرب إلى عدن .

نفذت أمر الإمام بانتقالى من ألمانيا الغربية وكنت قد حصلت قبل ذلك على بكالوريوس الاقتصاد السياسى والعلوم المالية من جامعة بون وسجلت رسالة الدكتوراةعن (إصلاح اليمن الاقتصادى) وتوجهت إلى السودان ومارست عملى هناك وكان الإمام قد وصل إلى الحديدة قبل ذلك بنحو إسبوع واحد .

تابعت من السودان أخبار الإمام فى اليمن .

وعلمت أنه أرسل إبنه البدر إلى صنعاء وكلفه بالقبض على الشيخ سنان أبو لحوم بينما كان قد هرب إلى عدن ، كما أبرق الإمام إلى الشيخ حسين الأحمر برقية لينة اللهجة يدعوه إلى الوصول إلى السخنة لمقابلته بعد أن طمأنه ووعده (بالسلامة) .

وفى نفس الوقت سهر الإمام على إثارة رجال القبائل والعشائر التى كانت تنافس الشيخ حسين الأحمر واستمالها بالمال ووزع عليها السلاح ، وأرسل بعض الشخصيات من قبيلة حاشد لاستمالة الشيخ حسين واستدراجه إلى السخنة ، إلا أنه لم يستجب لدعوة الإمام حيث كان مجربا لوعوده فأمر الإمام محافظ حجه السيد عبد الملك بحشد جيوش من رجال القبائل الذين وزع عليهم المال والسلاح ، وتولى قيادتهم ممثل الإمام في منطقة حوث السيد محمد سامرى الذى توجه بهذه الجيوش إلى عقر دار الشيخ حسين الأحمر فى مدينة خمر وغيرها من المناطق التى كان يسيطر عليها .

كذلك حرك الإمام الجيش الدفاعى من صنعاء بقيادة السيد عبد القادر أبو طالب والجيش النظامى بقيادة السيد (الشريف) محمد الضسيم فتوجه الجيشان إلى منطقة ريده للقبض على الشيخ حميد بن حسين الأحمر ووالده الشيخ حسين .

وبينما كنت أتابع أخبار الإمام وما فعله بالبدر وما هدد به اليمنيين جميعا وصلتنى برقية منه تأمرنى بالوصول فورا إلى اليمن لأمر هام وتحذرنى من التأخر .

فى نفس ذلك الوقت وصلتنى رسالة من السيد محمد أنور السادات بواسطة السفير محمود سيف اليزل سفير مصر فى الخرطوم ينصحنى باسم الرئيس عبد الناصر بعدم السفر إلى اليمن ، حيث وصلت إليه معلومات تفيد بأن الإمام يتهمنى بأننى من بين الذين

حرضوا البدر على إعلان ما أعلنه أثناء غيابه فى روما ، ولعله قد علم أيضا بأمر الرسالة التى ارسلتها من إيطاليا إلى البدر والتى شرحت له فيها حالة الإمام الصحية على حقيقتها وكانت على نقيض ما كان الإمام يرجو له أن ينشر .

خلوت إلى نفسى .. ودرست موقفى ..

وجدت أننى إذا ذهبت إلى اليمن فمن المحتمل أن يقتلنى الإمام . (وهذا احتمال) .

وإذا رفضت الذهاب فإننى أكون قد قتلت آمالى فى الإصلاح (وهذا يقين) .

وكعادتى عندما أقوم بتحليل سلوكى واختيار منهجى فإننى أتحاشى التهلكة بالخطر اليقين وأقبل المجازفة بالخطر المحتمل .

على نقيض نصيحة عبد الناصر والسادات قررت الذهاب إلى اليمن تنفيذا لأمر الإمام أملا فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه مع البدر ولم أكن قد أمضيت فى الخرطوم أكثر من ثلاثة عشر يوما .

وصلت إلى الحديدة وكان الإمام فى قرية السخنة ولم أتمكن من مقابلة البدر الذى كان قد سافر إلى صنعاء . جاءتنى سيارة الإمام لتنقلنى إلى السخنة حيث يقيم الإمام الذى أسرف فى إعدام الكثيرين من أبناء الشعب وأخذ يتخلص سرا ، ممن يشك فى ولائهم ولا يملك الدليل على إدانتهم ، عن طريق قتلهم فى الطريق الوعر بين الحديدة والسخنة الملىء بالخبت (الأشجار الصغيرة).

حذرنى أصحابى من السفر فى سيارة الإمام وأخذونى فى سيارة خاصة إلى السخنة ، وعندما التقيت بالإمام ظهرت على وجهه علامات الاستغراب إذ وجدنى أمامه ولا زلت على قيد الحياة ، فسألنى عن رحلتى من الحديدة إلى السخنة فشكرته على اهتمامه براحتى وسألته عن الأمر الهام الذى طلبنى من أجله فقال أنه سيبحثه معى فى وقت آخر وأمرنى بالعودة إلى الحديدة انتظارا لأوامره .

بينما كنت فى السخنة علمت أن الجيش الذى أرسله الإمام بقيادة السيد عبد القادر أبو طالب والجيش الذى أرسله بقيادة السيد محمد الضميم قد وصلا إلى ساحة القتال ضد القبائل التى كانت مع الشيخ حميد ووالده الشيخ حسين .

وكان الإمام قد أجاد استخدام وسائل الحرب النفسية حيث أرسل عدة برقيات غير رمزية (غير شفرية) إلى قائد جيشه السيد عبد القادر أبو طالب يشد بها أزره ويقوى من عزيمته ، زاعما أنه جهز له تعزيزات جبارة قوامها عشرات الألوف من المخلصين المزودين بأحدث الأسلحة .

كانت وسيلة الشعب اليمنى إلى التعرف على سير المعركة ضد آل الأحمر هى الإستماع إلى ما كان موظفو اللاسلكى يتناقلونه ، وكان هؤلاء يرصدون برقيات الإمام وردود قواد جيوشه وكان الإمام يعرف ذلك ، فأراد أن يستغل موظفى اللاسلكى المنتشرين فى معظم أنحاء اليمن وهم ينشرون ما يريد أن يشيع به الذعرفيغرس الهزيمة فى قلوب المعارضين الذين تحدوا أوامره .

كان ذلك السلاح النفسى من ضمن الأسباب الرئيسية ، أو لعله السبب الأهم الذى جعل الكثيرين من رجال القبائل الذين كانوا مع آل الأحمر ينقلبون عليهم وينضمون إلى قوات الإمام ، وعندئذ لم يجد الشيخ حسين الأحمر مفرا من أن يصدق وعد الإمام الذى قطعه على نفسه ، بأنه إذا ما وصل إلى السخنة وقابل الإمام فإن دمه يصبح حراما وعرضه حراما وماله حراما ، فاستجاب لدعوة الإمام وتوجه إلى السخنة والتقى بالإمام بعد أن طمأنه البدر على مصيره ، لكن الإمام نفذ ما فى نفسه وأمر باعتقاله .

أما إبنه الشيخ حميد فقد ذهب مع بعض أصحابه إلى منطقة الجوف ونزل فى مدينة الحزم وانضم اليه النقيب على بن ناجى الشايف ، وكان الجيش الذى بقيادة السيد عبد القادر أبو طالب قد أحدق بهذه المدينة ، وأطلق النار على الشيخ حميد ورجاله حتى نفذت زخيرتهم وقوتهم فانسحب الشيخ حميد إلى مدينة الزاهر معقل الأشراف ونزل ضيفا فى دار السيد على الضميم محتميا به كعادة القبائل والأشراف على وجه الخصوص ، إلا أنه سلمه إلى قائد جيش الإمام السيد عبد القادر أبو طالب الذى أرسله إلى الإمام فى السخنه ومعه النقيب على بن ناجى الشايف وغيرهما .

وما أن وصل هؤلاء إلى السخنة حتى أمر الإمام إبنه البدر بأن يرسلهم مع الشيخ حسين الأحمر من سجن الحديدة إلى سجن حجه .

قضيت ليلتى فى دار الضيافة بالسخنة ساهرا على استيعاب هذه الأخبار ، مفكرا فى ما وصلت إليه أحوال اليمن ، وما تعرض له أبطالها الوطنيون من آل الأحمر ومن كان معهم من رجال القبائل الاشداء ، ومن هرب من الزعماء المصلحين كالقاضى أحمد السياغى والشيخ سنان أبو لحوم .

عجبت من انهيار البدر واسراعه إلى تسليم أصحابه إلى الإمام ثم قيامه بتشديد الحراسة عليهم وهم مقيدون بالاغلال وهو يسوقهم إلى سجن حجه ، وذنبهم أنهم وقفوا معه يأيدونه ويبايعونه ويستعدون للموت وهم يؤازرونه على تحقيق نواياه الاصلاحية عندما كان الإمام فى روما .

كدت لا أصدق أن ذلك ما قدر عليه البدر ، فلم ينفع صديقا ، ولم يجر نصيرا ، ولم يشفع لأحد .

كان الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر شقيق الشيخ حميد يقيم فى الغرفة المجاورة لغرفتى فى دار الضيافة فى السخنة ، وكان يحاول استعطاف الإمام لإنقاذ أخيه ووالده الشيخ حسين الأحمر . وبالرغم من أن اليأس من البدر كان قد بدأ يراود عقلى فقد وعدت الشيخ عبد الله بأن أحاول إقناع البدر بالشفاعة لهما ولغيرهما عند الإمام ، وكان البدر قد عاد من صنعاء ونزل فى دار البونى فى الحديدة .

وفى الصباح غافلت سيارة الإمام التى كان من المقرر أن تأخذنى إلى الحديدة تنفيذا لأمره واستخدمت سيارة أحد الأصدقاء ووصلت إلى الحديدة والتقيت بالبدر .

كان لقاء حارا .

أقسم البدر أنه يصر على تنفيذ نواياه الاصلاحية لكنه لا يستطيع أن يعصى للإمام أمرا أو يرد له طلبا ، كما لا يقدر أن يشفع عنده لأحد ، وقال أن ما جرى فى اليمن فى غياب الإمام يؤكد نيته فى الاصلاح ، أما ردود فعل الإمام فهى قدر من الله الذى إذا كان فى علمه أن يموت االشيخ حميد ووالده الشيخ حسين بسيف الإمام فهذا قدرهما لا يقدر على رده أحد ، وليكونا شهيدين من شهداء اليمن الذين امتلأت بهم صفحات التاريخ .

لم يكن فى خاطرى أن أتحدث مع البدر فى تلك الساعة عن الاصلاح ، بينما كان سيف الإمام يحيط برؤوس الرجال من أبطال اليمن ، ويتحفز لقتلى فى الطريق من وراء أشجار (الخبت) كما قتل غيرى فى تلك الأيام ، وكان عدد قتلاه بهذه الطريقة قد تجاوز الأربعين رجلا .

كان حديثى كله مع البدر محصورا فى كيفية إنقاذ الذين وقفوا معه وشدوا من أزره وكان الشيخ حميد وأصحابه لا يزالون فى سجن الحديدة على مقربة من البدر وكان بعض الأعوان على إستعداد لتهريبهما إلى خارج اليمن .

سال العرق على وجه البدر وأنهى الحديث معى حتى لا يسمعه أحد فينقله إلى الإمام الذى كانت أعصابه قد بلغت ذروة الهياج .



عندما وصلت إلى غرفتى فى دار الضيافة بالحديدة وجدت فى انتظارى برقية من الإمام تأمرنى بسرعة العودة إلى السخنة ، وكانت سيارة الإمام تنتظرنى أمام دار الضيافة ، كما كانت سيارات النقل تقوم بنقل معونة القمح التى وردت إلى ميناء الحديدة ، فتطوع بعض أصحاب هذه السيارات وكان معظمهم من أبناء البيضاء أن يصحبوا سيارة الإمام التى حملتنى إلى السخنة وكأنهم ذاهبون إليها بحكم أعمالهم .

توجهت لمقابلة الإمام الذى أظهر غضبه وأمرنى بالبقاء فى السخنة حتى يطلبنى ، فالتقيت فى دار الضيافة بالشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وأخبرته بما دار بينى وبين البدر ، وقلت له أنه لا أمل فى إنقاذ حياة والده وشقيقه واقترحت عليه أن يهرب من اليمن كما فعل القاضى أحمد السياغى والشيخ سنان أبو لحوم ، لكنه رفض ذلك وأصر على البقاء فى السخنة مع العديد من شيوخ القبائل الذين وصلوا إلى السخنة يشفعون لآل الأحمر لدى الإمام .

وصل فى نفس الوقت أحد عشر شيخا من شيوخ القبائل الذين هربوا إلى المملكة العربية السعودية وأعادهم الملك سعود إلى اليمن ، بعد أن أخذ وعدا قاطعا من الإمام بالعفو عنهم وإكرامهم ، لكنهم بمجرد أن وصلوا إلى السخنة أمر الإمام بالقبض عليهم وأرسلهم إلى البدر كى يلقى بهم فى سجن حجة لقطع رؤوسهم .

وكان حرس الإمام قد تذمروا من عدم إستلام مرتباتهم حيث قرر الإمام إذلالهم بعد أن خرج عن وعيه وأصبح يشك فى كل من حوله ، فاضطر أفراد حرس الإمام إلى أن يتقدموا إليه بشكوى يطلبون فيها إما أن يعطيهم مرتباتهم أو يأذن بتسريحهم ليعودوا إلى بلادهم لزراعة أراضيهم ورعاية أغنامهم ، فخرج الإمام إليهم فى الفجر عارى الرأس حافى القدمين وأمرهم جميعا بالمثول بين يديه وطلب منهم تحديد أسماء أربعة من المشوقين (المحرضين) وأمر بتنصيب أربعة مشانق (منصات) لإعدامهم ، وأعطاهم مهلة أربع ساعات لتحديد أسماء الأربعة المحرضين .

كان عدد كبير من مشايخ القبائل يقيم فى دار الضيافة فى السخنة وبينما كنا نصلى الفجر جاءنا أفراد من حرس الإمام يطلبون شفاعة المشايخ لدى الإمام ، غير أن المشايخ أشفقوا على أنفسهم من غضب الإمام واعتذروا عن عدم تحملهم مغبة الشفاعة لديه .

وهنا تطوع للشفاعة محافظ الحديدة السيد محمد أحمد باشا وكان وطنيا غيورا وشجاعا مقداما ، وذهب إلى الإمام واستعطفه وظل يسترحمه حتى اكتفى الإمام بحبس أربعة من أفراد حرسه دون أن يعدمهم .

عاد السيد محمد أحمد باشا من بيت الإمام إلى دار الضيافة وأبلغ أفراد الحرس بما ظفر به من الإمام الذى كان قد أحاط نفسه بحماية أفراد من قبائل الزرانيق الذين يرأسهم الشيخ يحيى منصر ، وهى قبائل تهامة الباسلة القوية التى تقع قرية السخنة فى قبضة يدها ، واستغنى الإمام عن حرسه الملكى وإن أبقاهم لديه بغير سلاح .

أثناء إقامتى فى السخنة شاهدت عددا كبيرا من مشايخ وزعماء قبيلة حاشد وهم يستعطفون الإمام للعفو عن الشيخ حميد بن حسين الأحمر ووالده الشيخ حسين والشيخ عبد اللطيف بن راجح فرد عليهم الإمام بقوله (البقاء لله) ثم صاح فيهم قائلا (والله لأملأ هذه السيارة برؤوسكم إذا لم تعيدوا لى الخمسة ملايين ريالا التى أعطاها لكم البدر) كما طالبهم بإعادة الأسلحة التى كان البدر قد وزعها عليهم .

أمر الإمام بالخطاط على قبيلة حاشد (الخطاط نظام إمامى يقضى بتسليط قبيلة على أخرى والإقامة فى بيوتها ونهب ممتلكاتها حتى يأمر الإمام بالعفو عنها) كما أمر بمصادرة ممتلكات الشيخ حسين الأحمر وأسرته والاحتفاظ بابنه الشيخ عبد الله رهينة تحت الحراسة .

ثم أرسل الإمام بعض هؤلاء المشايخ إلى الحديدة التى لم يصلوا إليها قط حيث قتلهم رجال الإمام فى شعب من شعوب جبل برع ، ثم كان الإمام يأمر بطلبهم من الحديدة وهو يعرف أنهم لقوا مصرعهم ، وكان يتظاهر بطلبهم لينفى عن نفسه مسئولية اختفائهم وانقطاع أخبارهم وكان ذلك ما ينوى الإمام أن يفعله معى .

كان من المألوف فى السخنة أن تخرج منها سيارة من سيارات الإمام وعليها عدد من ضيوفه ومعهم جنود لحمايتهم ثم تعود هذه السيارة إلى السخنة بعد بضع ساعات وعليها جنود الإمام بغير الضيوف .

٤

أجمع القوم على أن الإمام قد فقد عقله وأصبح يتصرف باسلوب لم يكن معهودا منه ولا معروفا عنه . وبينما كنت فى مجلسه أعيش قصته وأتحسس رأسى ، ولعلى كنت أشك فى أنها لا تزال فوق عنقى ، أمرنى الإمام بالتوجه إلى الحديدة وانتظار أوامره هناك ، زاعما أن إقامتى فى دار الضيافة بالحديدة أكثر راحة من إقامتى فى دار الضيافة فى السخنه فشكرته على اهتمامه براحتى وسافرت إلى الحديدة بطريقتى الخاصة .

كانت تربطنى بالسيد محمد أحمد باشا صداقة قوية واحترام متبادل وكنت أمضى عنده الكثير من الوقت بصفة تكاد تكون يومية . كان من هواة رياضة الشطرنج وكنا نتبارى فى هذا المجال ، وكان معى جهاز لتحليل نسبة السكر فى الدم وهو مصاب مثلى بمرض السكر فكنت أقوم بفحص نسبة السكر فى دمه عدة مرات كل يوم ، وكنت أنصحه بالتزام تعليمات الطبيب والإقلال من تناول النشويات والامتناع عن السكريات ، وكان يتظاهر باتباع هذه التعليمات غير أنه كان يخفى أطباق الحلوى التى تسمى فى اليمن (بنت الصحن) ويلتهمها من وراء ظهرنا بعيدا عن عيون أهل بيته . وكنت دائما ما أشكوه لأولاده السادة أحمد ويحيى ومحمد باشا الذين لم يكن فى وسعهم إلزام والدهم باتباع التعليمات الطبية .

عندما نجح السيد محمد أحمد باشا فى الشفاعة لدى الإمام فأنقذ أربعة من رؤوس حرسه ، وهو هاشمى من المذهب الشافعى الذى لا يؤمن بالتفرقة العنصرية تشجع وتحدث عنى لدى الإمام مؤكدا براءة ساحتى من كافة ظنونه .

وذكره بموقفى ضد انقلاب الثلايا وحرصى على سمعته عندما حاكمت الأطباء الهولنديين ، وأعاد على سمعه الأعمال السياسية والاتفاقات الاقتصادية وتمثيلى للحكومة فى المؤتمرات الدولية بما رفع شأن اليمن وأعز كرامتها وحقق مصلحتها ، وكانت قد وصلت إلى الحديدة بعثة أمريكية لتوقع اتفاقية للتنقيب عن البترول وإقامة بنك أمريكى فى اليمن ، وكان الإمام قد شكل لجنة لمناقشة ودراسة هذه الاتفاقية برئاسة السيد محمد أحمد باشا وعضوية السيد يحيى عبد القادر وزير الأشغال والسيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب وزير الاقتصاد والشيخ عبد العزيز عقلان مدير المحاسبة العامة ، ولم تستطع هذه اللجنة دراسة أبعاد تلك الاتفاقية فاقترح رئيسها السيد محمد أحمد باشا أن يكلفنى الإمام بدراستها بحكم تخصصى ، ولعله أراد بذلك أن يستعيد ثقة الإمام بى ، فأصدر الإمام قرارا بتعيينى مستشارا اقتصاديا له بدرجة وزير بناء على اقتراح السيد محمد أحمد باشا .

استدعانى السيد محمد أحمد باشا وأبلغنى بهذا القرار وأشهد أن قلبه كان يمتلىء فرحا وبهجة وهو يعتقد أن مزاج الإمام قد اتجه نحو الإصلاح الذى يمكن أن يشغله عن ذبح رعاياه .

أبلغنى قرار الإمام فأردت أن أضع بين يديه خلاصة أحوال اليمن الاقتصادية تمهيدا لممارسة عملى لديه كمستشار إقتصادى .

قدمت للإمام تقريرا إقتصاديا بعد أن قرأته على الأمير الحسن بن على وعدد من كبار موظفى الدولة والحاشية ومن بينهم القاضى عبد الله الحجرى وزير المواصلات والسيد يحيى عبد القادر وزير الأشغال والشيخ عبد العزيز عقلان مدير المحاسبة العامة ، وقد أبدوا جميعا إعجابهم بالتقرير الذى قبل أن أقدمه إلى الإمام قمت بزيارة البدر وقرأته عليه فأقره بأكمله ، وبعد ذلك ذهبت إلى الإمام وسلمته إياه بحضور السيد محمد أحمد باشا الذى كان فى قمة السعادة بنجاح شفاعته لى وتعيينى للعمل لدى الإمام فى منصب هام داخل اليمن أكثر فائدة لليمن من عملى كوزير مفوض فى الخارج .

إنتهى هذا التقرير الذى قدمته إلى يد الإمام فى السخنة فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٩ والذى تم نشره فيما بعد فى كتيب صادر عن الاتحاد اليمنى بالقاهرة (أغسطس ١٩٦١) إلى وصف العلاج التالى :

(عندنا فى اليمن حالة ينبغى الالتفات إليها وهى نمو الوعى والثقافة عن طريق الإذاعة والصحف العربية واستماع الناس إلى أخبار التقدم الاقتصادى فى الدول الأخرى التى كانت إلى عهد قريب متخلفة عن اليمن ، بينما تسير الأحوال الاقتصادية فى اليمن فى اتجاه عكسى مما ينذر بالخطر على الأمن الداخلى ، ويجعل من المستحيل استمرار الوضع السياسى الحالى الذى أصبح لا يتفق مع نمو الوعى القومى فى البلاد .

إن المرض الاقتصادى فى اليمن ليس مرضا طارئا وقتيا يمكن علاجه بإجراءات حاسمة وسريعة لأنه مرض مزمن متأصل فى جذور عميقة ولذلك أصبح العلاج الناجح محتاجا إلى تغيير شامل لمرافق الحياة العامة فى البلاد وفى إسلوب الحكم وهو ما يعتمد على ما يلى :

أولا : إنشاء جهاز اقتصادى .

ثانيا : بعد انشاء هذا الجهاز توضع خطة اقتصادية شاملة بواسطة خبراء فنيين ثم تنفذ هذه الخطة بالتدريج بحسب موارد الدولة وفرص إشتراك الأفراد فى تمويل هذه المشروعات وبحسب ما تبدو أهميته من القروض الدولية .

ولدينا خطة إقتصادية شاملة وضعناها للنهوض باقتصاد البلاد بعد أن درسنا أوضاعها وظروفها خلال العشر سنوات الماضية وقد تبادلنا حولها الرأى مع اساتذة الاقتصاد الألمان خلال ست سنوات حتى لا نترك أية جزئية إلا أدخلناها

فى حسابنا ومع كل ذلك نرى من الضرورى عرض هذه الخطة على الخبراء الذين يعينون بعد إنشاء هذا الجهاز الاقتصادى لدراستها مرة أخرى ثم تعرض على جلالتكم .

ثالثا : إنشاء بنك يمنى تحت إشراف هذا الجهاز ليتولى إصلاح النقد اليمنى وإجراء التحويل إلى الخارج والداخل والتسليف الزراعى والتجارى بشكل يتفادى الربا ويوجد مصلحة للبنك من قيامه بالاقراض وإقامة الشركات . وإصلاح العملة اليمنية مهم للغاية وله عندنا تقرير مفصل سبق تقديمه إلى جلالتكم عندما درس المشروع بواسطة الخبير السعودى الأستاذ راسم الخالدى وخبير الأمم المتحدة المستر سيمنسكى .. ونحن نعتقد أنه لا جدوى من التفكير فى الإصلاح النقدى قبل إنشاء الجهاز الاقتصادى المقترح .

رابعا : استعادة الثقة التجارية فى البلاد بإعلان أنظمة وقواعد تكفل حماية رؤوس الأموال الوطنية وحريتها في الاستثمار فى حدود الأنظمة التى ستعلن . وبذلك يوقف تيار هروب الأموال والأشخاص الذين سبق لهم أن هاجروا فعلا .

خامسا : إعادة النظر فى شئون الاستيراد والتصدير والجمارك ووضع نظام يكفل تشجيع الإنتاج المحلى والدعاية لتسويقه فى الخارج والحد من استيراد الكماليات وقصر الاستيراد على السلع المنتجة الأخرى الضرورية .

دفعنى إلى هذه الصراحة ما أوضحتم جلالتكم من رغبة فى الإصلاح فلزم أن أوضح لجلالتكم أسباب الحالة الحاضرة وأسباب عدم نجاح الأعمال التى قامت بها الحكومة حتى الآن حتى تكون المحاولة الجديدة مبنية على دراسة علمية صريحة) .

علمت بعد ذلك أن الإمام قرأ التقرير بحضور الشيخ عقلان مدير المحاسبة العامة الذى هاجمنى هجوما مرا وقاسيا عند الإمام وأعاد إليه الشكوك فى نيتى ولم ينقذنى من ذلك الموقف إلا السيد محمد أحمد باشا الذى أخذ يهدىء من روع الإمام وهو يشرح له أننى كتبت هذا التقرير إنطلاقا من واقع دراستى الاقتصادية ، مستهدفا لفت النظر إلى المشاكل الاقتصادية التى تعانى منها اليمن ملتزما بولائى المطلق للإمام أمير المؤمنين ، وأنه فى وسع الإمام أن يختار من اقتراحاتى ما يشاء أو يضرب بها كلها عرض الحائط .
ولعل الشيخ عبد العزيز عقلان مدير المحاسبة العامة والفيلسوف الاقتصادى لدى الإمام خشى على مستقبل وظيفته إذا ما اتجه الإمام نحو الأخذ بما جاء فى التقرير أو بأى جزء منه . وكان على صلة وثيقة وعلاقات مالية وتجارية خاصة مع التجار اليمنيين الذين كانوا يحتكرون تجارة اليمن ويسؤهم تنظيم أمورها التجارية والاقتصادية ، ويضرهم إصلاح اليمن الاقتصادى ضررا بليغا

وجدت تقبلا وإقبالا واسعا على قراءة هذا التقرير من جانب عدد كبير من إخوانى اليمنيين بعد أن ذاع صيته فى الحديدة عندما غضب عليه الإمام فى السخنة ، فاعتقدت أن هذا الحديث عن الاصلاح الاقتصادى وهو لا يسوق بالضرورة صاحبه إلى سيف الإمام فإنه يؤدى حتما إلى خلق المناخ المناسب للإصلاح السياسى ويمهد الطريق إليه .

ان المهم عندى أن تظل شعلة الحماس الوطنى ملتهبة تنير الطريق أمام الذين
ىون إلى مستقبل أفضل ، بعد أن محى الإمام نور ولى عهده البدر وأطفأ فجر
للاح الذى دفع ثمنه آل الأحمر ورجال اليمن الأبطال .

باءنى الأستاذ عبد الله الصيقل مندوب صحيفة الطليعة اليمنية التى كانت تصدر فى
(وهو صحفى لامع الآن فى اليمن) وطلب أن يجرى معى حديثا صحفيا إنطلاقا من
رى الذى قدمته إلى الإمام وعلى أساس ما جاء فيه .

افقت على الفور ونشره الأستاذ عبد الله الصيقل فى هذه الصحيفة فى عددها التاسع
يخ الأحد ٢٠ جماد الثانى سنة ١٣٧٩ الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٩ وكنت لا أزال
ا فى الحديدة . (الوثيقة رقم ٥)

جاء فى ذلك الحديث ما خلاصته :

(إن التقدم الاقتصادى يعتمد على عناصر أساسية كثيرة إدمجها فى ثلاثة عناصر رئيسية ..

١ – إرادة التقدم الاقتصادى .
٢ – زيادة المعرفة .
٣ – زيادة رأس المال .

أولا – إرادة التقدم الاقتصادى :

إرادة التقدم الاقتصادى معناها الرغبة فى الرقى بمعيشة الإنسان ويشترط أن يؤيد المجتمع هذا التقدم الاقتصادى وبغير هذه الإرادة قد يعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض رضى بذلك أم أبى ، وتحول دون هذه الإرادة أسباب كثيرة منها الجهل بما هو أحسن والتعصب لما هو مألوف ، ومنها استماتة أصحاب المصالح فى الاحتفاظ بمصالحهم ، ومنها النفوذ الأجنبى الذى يستهدف بقاء الجمود لأغراض سياسية .

ولكن التطور التاريخى أثبت أن إرادة التقدم لا تلبث أن تظهر وتفرض نفسها على الوجود فرضا .

وعندما تتوفر إرادة الاصلاح تكون قد ظهرت نقطة البداية للعمل الجدى المثمر .

والإرادة هنا إرادة المجتمع وتعبر عنها القيادات المسئولة عنه المتجاوبة معه ، ولا يشترط أن تتوفر الإرادة لدى جميع أفراد المجتمع ، بل يكفى أن تكون لدى الأغلبية أو لدى فئة قادرة على قيادة المجتمع .

ثانيا :– زيادة المعرفة:

التقدم معناه التطور أى الانتقال من طور إلى طور . ومعنى ذلك أن المعرفة الموجودة عند بداية التقدم تكون كافية فقط لمجرد إدراك حاجة

المجتمع إلى التقدم وليست كافية لإحداث التقدم ذاته .. فيلزم أن تنتقل هذه المعرفة من طور إلى طور ليتقدم المجتمع وينمو فينتج أقصى ما يمكن من ثمرة بأقل ما يمكن من نفقة .

والإنتاج هنا لفظ عام يشمل جميع مرافق الحياة ، فالزارع منتج والصانع منتج والتاجر منتج والموظف منتج ، والمنتج الأكبر هو الحكومة لانها هى التى تحرك كل وسائل الإنتاج .

ثالثا – زيادة رأس المال :

أقصد برأس المال معناه العام لتبسيط العرض على القارىء العادى حتى يشمل الموارد الطبيعية والبشرية ووسائل الإنتاج ورأس المال النقدى .

فعندما يراد التقدم الاقتصادى يجب العمل على زيادة الثروة زيادة أفقية أى التوسع فى المساحة ، وزيادة رأسية أى زيادة انتاج نفس المساحة ، والموارد البشرية هى الأيدى العاملة والرؤوس المفكرة ، وهذه الموارد ذات أهمية كبرى فى زيادة الثروة ويجب أن تتطور أساليب الاستفادة من هذه القوى البشرية باتباع برنامج زيادة المعرفة السالف الذكر .)

وختمت حديثى الصحفى قائلا أن :

(المشكلة الاقتصادية اليمنية أكثر تعقيدا مما يظنه الكثيرون وهناك مشاكل فنية أخرى لا تشرح على صفحات الجرائد وقد أنفق آلاف العلماء أعمارهم فى دراستها منذ قرون عديدة ولا يزال العلماء حتى يومنا هذا يبحثونها ويستخرجون لها النظريات وآلاف المعادلات .. فليس الإصلاح الاقتصادى كلمة يلقيها أحد الأنبياء أو عصاة تأتى بمعجزة أو شركة أجنبية مخلصة تقوم بعمل .. إنما الإصلاح الاقتصادى تفكير علمى وتخطيط فنى وعمل عام يعتمد على إرادة ومعرفة رأس المال) .

بعد أن نشر هذا الحديث في صحيفة الطليعة اليمنية أخذ الناس يتداولونه ويدرسونه ويستنتج كل منهم ما يحلو له أن يستنتجه فيعيش على أمل تحقيقه ، وأصبح ذلك هو موضوع حديثهم فى جلسات ما بعد الظهيرة .

فسره الوطنيون بأنه نقطة إنطلاق نحو مستقبل أفضل وأنه حجر الأساس لصرح النهضة فى اليمن ، وأن تكرار الحديث حوله سوف يخلق المجال لإثارة الآمال البراقة والأحلام العريضة . وكانت هذه أول مرة فى تاريخ اليمن ينشر فيها مثل هذا الحديث ، على اتساع أربع صفحات ، وبهذه الجرأة وفى صحيفة يمنية يتم طبعها داخل اليمن على مرأى ومسمع من الإمام .

وكنت أعتقد بأن ذلك قدرى باعتبارى أول يمنى تخرج من الجامعة ثم تولى منصب المستشار الاقتصادى للإمام فرأيت أن جدية الحديث تقتضى نشره أثناء وجودى فى اليمن ورقبتى فى متناول يده .

فسر المغرضون هذا الحديث أنه دعوة صريحة للثورة على الإمام واتهام واضح له ولرجاله بأنهم ضد إصلاح اليمن واستندوا فى ذلك التفسير على فقرة وردت فيه تحت عنوان(إرادة الاصلاح) والتى كان نصها (يشترط أن يؤيد المجتمع هذا التقدم الاقتصادى ، وبغير هذه الإرادة قد يعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض رضى بذلك أم أبى ، وتحول دون هذه الإرادة أسباب كثيرة ، منها الجهل بما هو أحسن والتعصب لما هو مألوف ، ومنها إستماتة أصحاب المصالح فى الاحتفاظ بمصالحهم ، ومنها النفوذ الأجنبى الذى يستهدف بقاء الجمود لأغراض سياسية) .

قال المغرضون للإمام إننى أقصده وأعوانه وأصفهم بأنهم أصحاب المصالح الذين يعارضون الإصلاح كى يحتفظوا بمصالحهم .

ثم استندوا على فقرة أخرى نصها (والإرادة هنا إرادة المجتمع وتعبر عنها القيادات المسئولة عنه المتجاوبة معه ، ولا يشترط أن تتوفر الإرادة لدى جميع أفراد المجتمع ، بل يكفى أن تكون لدى الأغلبية ، أو لدى فئة قادرة على قيادة المجتمع) .

فقالوا للإمام أننى أدعو للثورة عليه وانادى بقيام فئة قادرة على قيادة المجتمع كى تتولى قيادته للثورة وتكون مسئولة عنه متجاوبة معه .

كان الإمام كثير الشك متوتر الأعصاب ، يفتح أذنه لكل لسان يخيفه ، ويغلقها فى وجه كل رأى ينصحه .

كان الإمام يريد الإصلاح الذى يقطع الطريق على المعارضين . ويخشى من الاصلاح الذى يتم على يد المصلحين العصريين .

كان يريد الإصلاح الذى يرفع من مستوى الشعب . ويخشى من مستوى الشعب الذى يرفض نظام الإمامة .

وبدأت تصلنى من السخنة أخبار غضب الإمام من ذلك الحديث الصحفى ، وأثناء ذلك عاد البدر إلى الحديدة وطلبنى لمقابلته وأبلغنى أن الإمام قد أمر بتعيينى ضابطا لمكافحة الجراد فى صحراء تهامه (ساحل اليمن) وكان ذلك بمثابة عزلى من منصبى كوزير مفوض فى السودان وعزلى من منصبى كمستشار اقتصادى للإمام برتبة وزير ، فضلا عن كونه ابعادا لى عن الحديدة وعن السخنة كى يتمكن من قتلى فى صحراء تهامه كما فعل بغيرى .

ولعله قد طفح به الكيل وحزم أمره على الخلاص منى ، ولاشك فى أن المتزمتين من أصحاب الامتيازات الهاشمية ، الذين أثارت حفيظتهم إصلاحات البدر عندما كان الإمام فى روما ، قد نجحوا فى حصار الإمام بالعزف على نقطة ضعفه ، وهى نظام الإمامة الهاشمية فتمكنوا من سيفه ، وأخذوا يضربون به أعناق المتطلعين إلى الإصلاح والمساواة فى اليمن ، فتخلصوا من الشيخ حميد ووالده والعشرات من أبرز مشايخ القبائل ، كما طاردوا القاضى أحمد السياغى والشيخ سنان أبو لحوم ، ومن كان معهما حتى هربوا إلى عدن ، ثم جاء دورى وظنوا أنه قد حل أجلى وهم يلحون فى طلب رأسى ، ولا يعلمون أن يد الله فوق أيديهم .

بحثت مع البدر عن مخرج لى من هذا المأزق فقال أنه نفسه يبحث لنفسه عن مخرج من الإمام ، وأخذ يقص على الكثير من تصرفات والده الشاذة والخطيرة ، فقلت أنه طالما يوجد إجماع عام على وصف تصرفات الإمام بالشذوذ فلماذا لا يقوم البدر بتحديد إقامته فى السخنة ثم يرسله إلى العلاج فى مصر ، ويعلن نفسه نائبا للإمام حتى يتم علاجه ، وبعد استقرار الأحوال يعلن نفسه إماما دستوريا على اليمن وقدمت إليه نسخة من الدستور الذى يمكن أن يكون أساسا لحكم إمامى مستنير يلتف حوله الشعب .

وتعهدت للبدر بأن أهمس بذلك فى أذن الذين يرجون الإصلاح ، والذين يخشون على رؤوسهم من جنون الإمام وشذوذه ، وكان أفراد وحرس الإمام يتمنون الإنتقام منه والفتك به وكانت قبائل الزرانيق التى تحرس الإمام تطيع شيخها يحيى منصر الذى طفح به الكيل من تصرفات الإمام ، كما كان نائب الإمام فى الحديدة السيد محمد أحمد باشا من عظماء رجال اليمن الأحرار وكان يسعى حقيقة إلى الإصلاح ولا يبالى بالامتيازات الهاشمية وكان المتعصبون لهذه الامتيازات ينتقدون سلوكه وهو هاشمى السلالة ويفسرون ذلك بأنه شافعى المذهب ، وليس زيديا يتمسك بشروط الإمامة الزيدية وفى مقدمتها الامتيازات الهاشمية .

وافق البدر على اقتراحى فسلمته بندقيتى رمزا للاتفاق معه والولاء له . وهى بندقية آلية عليها منظار مكبر وكانت هدية من أحد الأصدقاء الألمان من هواة صيد الوعول الضخمة فى الغابة السوداء فى ألمانيا الغربية .

وعند خروجى من مقر البدر ، وبينما كنت قريبا من الفناء الخارجى صاح علىّ الاستاذ هاشم طالب مدير مكتبه وطلب عودتى لمقابلة البدر .

هرولت إليه ظنا منى أنه سيحملنى رسائل إلى أعوانه الذين كنت لا أعرف الكثيرين منهم ، فإذا به يعيد إلىّ بندقيتى بينما يسيل العرق على خديه ويقول أن أعصابه لا تتحمل هذه المجازفة ، وأنه يدعو الله أن ينجح المخلصون فى تنفيذ هذا الإقتراح ، فإذا نجحوا فهو معهم إماما دستوريا وإذا فشلوا فإنه لن يفشى سرا للإمام مهما تأزمت الأمور .

فى تلك اللحظة صرفت النظر نهائيا عن البدر ، وكان هذا آخر لقاء بيننا وكان الإمام قد قبض على أحد زملائنا الذى اندفع من تلقاء نفسه وبغير اتفاق مسبق وذهب إلى الإمام ومعه قنابل يريد أن ينسفه بها .



وصلتنى برقية عتاب وتهديد من الإمام قال فيها (ماكان هذا أملنا فيكم بعد أن أكملنا تعليمكم ومنحناكم ثقتنا ووليناكم أعلى المناصب وقربناكم منا فما كان لمثلكم أن يشوق الناس إلى الفتنة التزموا ما عهدناه فيكم الله الله) معنى (الله الله) فى اليمن الإسراع إلى تنفيذ الأمر .

فهمت من هذه البرقية أن أعداء الاصلاح قد أوغروا صدر الإمام واستفزوا أعصابه المتوترة وهم يلحون عليه فى طلب رؤوس المتطلعين إلى الإصلاح .

كنت أعرف نفسية الإمام ، وأعرف أنه كلما تذكر خدماتى الشخصية المخلصة التى أديتها إليه ، وعلى وجه الخصوص الأطباء الألمان الذين كنت أرسلهم إليه لمعالجته فى تعز ، والعقاقير الطبية المستحدثة التى كنت أطوف من أجلها أوروبا سعيا وراء شفائه ، فإنه كان لا بد من أن يشق عليه أن يأمر بقتلى فأدهشنى إصراره عليه ، مما جعلنى أتأكد من انحيازه النهائى إلى جانب أعداء الإصلاح ، قدر يأسى من احتمال النجاة من سيفه ، الذى استسلم لهم حتى اقتربوا به من رقبة البدر ذاتها باسم انقاذ الإمامة وبيت حميد الدين .

فهمت من برقية الإمام أنه يمن علىّ إكمال تعليمى وثقته التى منحنى إياها فأرسلت إليه ردى فى برقية قلت فيها (لا تظنوا جلالتكم أننى أنعم بما عرفت ، ولكم وددت أن لم يخرج أبى من البيضاء وعاش فى مراد فأغنانى برعى الإبل عن ألم المعرفة) .

مراد قبيلة انحدر منها أبى تبعد شيئا ما عن مدينة البيضا .

وكانت برقيتى استشهادا بقول الشاعر :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله   وأخ الجهالة فى الشقاوة ينعم

كان الأستاذ فارع سعيد ابليس يجتمع أحيانا معنا فى بيت الوطنى الثائر هاشم طالب مع الثوار السيد حسين المقدمى مدير مستشفى الحديدة والاستاذ محمد حمره مدير مكتب محافظ الحديدة والشيخ محمد يحيى منصر ابن شيخ قبائل الزرانيق التى كانت تحرس الإمام والاستاذ محمد رفعت مدير الجوازات بالحديدة وأحياناًالاستاذ أمين عبد الواسع نعمان .

وعندما كنت أحضر هذه الاجتماعات فى جلسات بعد الظهر كنت أصحب معى عراف الإمام محمد حلمى الذى كان الإمام يثق فى حساباته الفلكية ثقة مطلقة ولا يتحرك ولا يتصرف ولا ينطق إلا بمقتضاها .

وبطبيعة الحال كانت الجلسات تنتهى عند الغروب دون أن يتحدث أحدنا عن أمر غير الأمور العادية .

وعندما كان يعاتبنى الأستاذ هاشم طالب على هذا التصرف كنت أقول له أن وجود عراف الإمام معنا من شأنه أن يصرف انظار الإمام عنا ، وبعد أن ينصرف العراف عند الغروب نستطيع أن نتكلم بحريتنا .

اندفع زميلنا الأستاذ سعيد فارع ابليس بقنابله لينسف الإمام مطمئنا أنه أبلغ الشيخ محمد يحيى منصر بأنه سيقتل الإمام بهذه القنابل وليكن بعد ذلك ما يكون .

علمت فيما بعد أن الشيخ محمد يحيى منصر كان ، بحسن نية ، قد أبلغ والده الذى كان هو الأخر فى غاية السخط على الإمام ويسعى إلى الخلاص منه فى أسرع وقت ممكن . غير أن الوالد الشيخ يحيى منصر وهو شيخ المشايخ الذى استجار الإمام به لحمايته ، أبى أن يتم قتل الإمام وهو فى ضيافة قبيلته ويقوم على حراسته لما فى ذلك من مساس بالشهامة القبلية ، فما كان منه سوى أن أبلغ الإمام بنية زميلنا بعد أن تعهد له الإمام بالعفو عنه ، لكن الإمام قبض عليه وأذاقه صنوف العذاب كى يعترف على شركائه . وقد أعدمه الإمام دون أن ينطق بكلمة واحدة عن الذين كانوا يتحدثون معه حول اليمن والتخلص من الإمام .

لكن الإمام كان على علم بالاجتماعات التى كان يحضرها هذا الزميل فى بيت الأستاذ هاشم طالب فأمر بالتحقيق ، الذى تولاه عراف الإمام صديقنا محمد حلمى وقائد حرسه على مرعى وزميله محمد مانع ، مع كل من كان يحضر هذه الاجتماعات .

جاء محمد حلمى محققا معى وكان يصحبه حينئذ محمد مرعى قائد الحرس الملكى المقرب من الإمام وبطبيعة الحال أنكرت علمى بما حدث ، وكنت صادقا فى ذلك لأننى لم أكن أعلم أن أحدا سوف يقتل الإمام ، ولأننى لو كنت أعلم ذلك لأقنعت المندفع بالتزام العقل والحكمة ، لأننا لا نسعى إلى قتل الإمام وإنما نسعى إلى تغيير نظام الحكم ، وذلك لا يتم إلا وفق خطة مدروسة ومتكاملة الأمر الذى لم يكن جاهزا حتى تلك الساعة .

عاد الىّ صديقى عراف الإمام فى اليوم التالى وقال لى أن الإمام مصمم على التخلص منى وأنه فى غاية الغضب على الذين كلفهم بقتلى ولم يتمكنوا منى وأنه حدد موعداً لقتلى بعد يومين إثنين وأننى أصبحت سجينا فى غرفتى ، ثم قال أنه حسب النجوم فوجد أن محاولة أخرى لقتل الإمام سوف تقع فى القريب العاجل وأنها محاولة فاشلة ، لكننى سأشترك فى ثورة جذرية فى وقت لاحق سوف يكللها الله بالنجاح وسوف يكون لى منصب قيادى مؤثر ، أما هو فإنه يتوقع أن تحكم هذه الثورة الناجحة عليه بالإعدام .

أصغيت إليه حتى انتهى من رواية حساباته الفلكية بعد إصرارى على الانكار وابداء دهشتى مما قال . سألته نصيحته فقال أنه سينفى لدى الإمام أية تهمة تحوم حولى وحول

جميع الزملاء الذين كانوا يجتمعون فى بيت الأستاذ هاشم طالب ، وأنه سوف يساعدنى على الهرب من اليمن إذا قرأت معه فاتحة الكتاب الكريم متعهدا له بأننى سوف أطلق سراحه عندما تنجح الثورة القادمة وتكون فى يدى سلطة إصدار القرارات بإطلاق سراحه .

لست من الذين يصدقون الحسابات الفلكية لكننى كنت أحب الرجل كإنسان وصديق لم يغدر بى طوال عشر سنوات ، عمر صداقتى معه ، ولم أجد مانعا من التعهد بإطلاق سراحه إذا نجحت ثورة قادمة بعد أن كان همى كله ينحصر فى الهروب من اليمن ، عندما اكتمل يأسى من تحقيق أى أصلاح على يد البدر وأصبح عنقى معلقا على كلمة من الإمام ، ورأسى هدفا معلنا يطلبه الكثيرون من الخصوم .

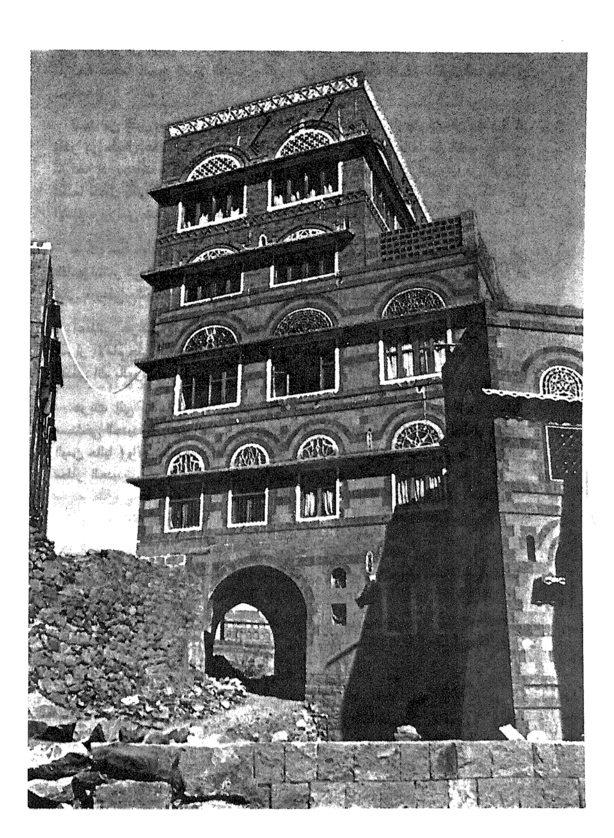
قرأت معه الفاتحة ، وأرسلت وصيتى إلى زوجتى مع أحد المدرسين المسافرين إلى القاهرة لتنشر فى الصحف أسباب إعدامى فى اليمن على يد الإمام الذى أردت حياته فأراد قتلى ، وعلى مشهد من البدر الذى أخلصت فى تأييده لولاية العهد فخان العهد .

أعطانى عراف الإمام (شفرة) كى يراسلنى بها عن طريق عدن ويطلعنى على كل أسرار الإمام حتى انتفع بهذه الأسرار فى إثارة الشعب اليمنى على نظام الحكم الإمامى إذا أنقذنى الله بالهرب من اليمن .

هربت إلى القاهرة وساعدنى فى ذلك عراف الإمام والسيد حسين المقدمى مدير مستشفى الحديدة[١] والسيد أحمد زبارة زوج إبنة الإمام وعضو الهيئة الشرعية العليا (مفتى اليمن حاليا) والأستاذ محمد رفعت مدير الجوازات بالحديدة والنقيب محمد الرعينى[٢] ضابط مطار الحديدة .

---

(١) وزير الصحة فى وقت لاحق لقيام الثورة .
(٢) وزير الزراعة فى وقت لاحق لقيام الثورة ثم قائم بأعمال رئاسة الجمهورية ثم أعدمه السلال مظلوما .



العائلات الهاشمية كلها طبقة
متعالية متميزة عن الشعب كأنها
أجنبية عنه دخيلة عليه

محمد محمود الزبيري
مصلح يمني
من كتابه (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن)

الأحرار القدامى

الفصل الخامس



وصلت إلى القاهرة والتقيت بالسيد محمد أنور السادات الذى هنأنى على سلامة وصولى إليها ونجاتى من غدر الإمام ، ورويت له كل ما يجرى فى اليمن وأطلعته على فقدانى كل أمل فى البدر الذى يحمل نوايا طيبة بغير شخصية تستطيع أن تحققها .

وأصبحت مقتنعا بأن البدر إذا ما تولى بعد والده فإنه لن يكون قادرا على الإمساك بزمام الحكم ، وإنما سيتركه لغيره طائعا مختارا لا حول له ولا قوة ، ولست أدرى من يكون ذلك الغير ، كما لست أدرى مآل الصراع الذى سوف يدور حتما بين أعوانه الذين سوف يحيطون به ويتصارعون من حوله أثناء القضاء عليه .

اقتنعت بأن الرهان على البدر رهان على جواد خاسر كما قال الأستاذ أحمد محمد نَعمَان للنقيب محمد قائد سيف عند قيام انقلاب الثلايا سنة ١٩٥٥ ولو أنه فى نفس الوقت أيد البدر وساعده فى الانتصار على الانقلاب . وبعد أن تبين له أنه لا أمل فيه هرب إلى القاهرة وبدأ يعمل ضده .

شرح الأستاذ محمد أحمد نعمان هذا الموقف فى كتيب بعنوان (الحركة الوطنية فى اليمن) أصدره الإتحاد اليمنى سنة ١٩٥٩ حيث قال فى صفحة (٢١) ما يلى :

(الجدير بالذكر أن الأحرار كانت قد استقرت فى أذهانهم منذ مطلع الحركة فكرة راسخة ذلك أنه لا بد من استخدام شخصية ترأس الحركة المعارضة تكون على نفس النمط الذى عليه شخصية الإمام أى أنه لا بد من هاشمى يرشح للإمامة ويكون متفاهما مع الأحرار على الإصلاح الحكومى ..

وقد كان البدر أكثر الأمراء براعة فى التضليل ، وأنه كان الأمير الوحيد الذى يمكن أن يتعامل معه فى وضوح دون خشية من الإمام ، نظرا للمنافسات بين الإمام نفسه وأخوته على السلطة .. كما وقف بجانب البدر فى هذه المعركة السياسية جمال عبد الناصر) .

عندما وصلت إلى القاهرة هاربا من اليمن وجدت أمامى هذا الكتيب الذى أصدره الاتحاد اليمنى قبل وصولى إلى مصر بثلاثة أشهر وكنت لا أزال فى اليمن أكتب خاتمتى مع الإمام وأنهى علاقتى بالبدر .

والتقيت بالقاضى محمد محمود الزبيرى الذى هنأنى على نجاتى من الإعدام واقتناعى ببلاهة البدر وانضمامى علنا إلى حركة الأحرار .

وأخذت أدرس مع زعيمى أحرار اليمن الاستاذ نعمان والقاضى الزبيرى جذور المأساة فى اليمن على ضوء تجاربهم الثورية السابقة ، ومن خلال وجهات نظرهم الشخصية ، قبل أن أعلن عن وجهة نظرى التى استخلصتها بعد أن تفاعلت مشاعرى واستقرت فى وجدانى ، ساعة من بعد ساعة ، ويوما فى أثر يوم ، بينما كنت أعمل جاهدا ومخلصا وأجوب الأرض شرقا وغربا من أجل إصلاح اليمن فى ظل الإمام وتحت راية البدر .

أعطانى القاضى الزبيرى ، وهو من زعماء الأحرار وزيدى المذهب كتابه الذى سبق أن نشره بعنوان (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) والتى صرخت صفحته العاشرة بقولها :

(انسحقت شخصية اليمنيين فى ظل الإمامة وحرمت عليهم قيادة بلادهم وصار التفكير فيها جريمة دينية وسياسية فى وقت واحد وشوهت التاريخ اليمنى فأصبحنا لا نقرأ فيه إلا أسماء القديسين الآلهة من الأئمة وأذنابهم وأشياعهم أما شخصية الشعب فما كاد يرفع رأسه للعزة والكرامة بطل من أبطالها حتى يسرع به الأئمة الأطهار ويبعثوا به مشيعا بلعناتهم إلى قبره ثم لا يذكرونه فى التاريخ إلا على أنه الباغى عدو الله الفاسق الملحد الكافر التأويل إلى أخر هذه الالقاب ..)

ويستطرد القاضى الزبيرى فى فضح أسرار الإمامة ومهمة الإمام فيقول فى صفحة (١٣) أن مهمته هى :

(تدعيم مركزه الروحى بين القبائل تحت ستار التشيع لآل البيت حتى يرسخ فى عقلية الشعب بالقسم الأعلى أن الإمام ظل الله ونائبه حقا وأن منزلته كمنزلة رسول الله . فكل ما ورد فى طاعة الله ورسوله ينطبق على الإمام لأنه نائب الله وخليفته وتقترن هذه التعاليم الروحية فى القسم الأعلى بالحملات الطائفية ضد ما يسمونه – كفار تأويل – الذين لا يدينون بالمذهب الإمامى وهم كثيرون فى اليمن الأسفل وتهامه .)

وشرح القاضى الزبيرى تاريخ نشأة الإمامة فى اليمن فقال فى صفحة (١٥)

(إن المذهب الهادوى المسمى بالزيدى استطاع أن يقحم على أصول الدين نظرية سياسية لا يعترف بها الائمة الآخرون . وهى أن الخلافة لا يجوز أن تكون إلا فى العلويين من أبناء فاطمة .. إذن فالهدف الرئيسى للمضطهدين الطامحين من العلويين هو استرداد حق العلويين فى الخلافة) .

ثم حدد القاضى الزبيرى نتائج التقسيم الذى فرضه نظام الإمامة على الشعب فكتب فى صفحة (٢٠)

(إن نظرية الشافعية ترى أن الإمامة سلطة فريدة وأن الزيود جميعا هم الذين يحكمون الشوافع و يتسلطون عليهم ويستغلونهم ، ولكنا إذا جئنا إلى الزيود وجدناهم لا يرون هذا الرأى ولا يضعون أنفسهم فى هذا الموضوع بل أنهم يحسون إحساسا عنيفا مريرا بأن طبقة معينة من العائلات الهاشمية هى التى تتمتع بحق الحكم الآلهى وتتميز به وتتبادله بين الطامعين من رجالها جيلا

بعد جيل وتستشعر الترفع والتميز على سائر أبناء الشعب . ثم إذا ذهبنا إلى الهاشميين وجدنا فيهم البائسين والمنكوبين والمحرومين ووجدنا عائلة واحدة من الهاشميين وهى العائلة المالكة) .

وتنبأ الزبيرى بوجه الصراع اليمنى فقال فى صفحة (٢٤)

(سوف يتجه الصراع حول هذه المشكلة الرئيسية الكبرى مشكلة الحق الآلهى فى حكم الشعب ، لمن يكون هذا الحق ومن الأولى به ، هل هناك طبقة من البشر مختارة من السماء للحكم ، هل يجوز أن تبقى فى اليمن طائفة مذهبية تحكم طائفة أخرى إلى الأبد ؟ تلك هى مشكلة المستقبل الكبرى ستدور عليها معارك المستقبل وأحداثه) .

وأراد القاضى الزبيرى أن يطمئن الهاشميين على مستقبلهم فى ظل المساواة فقال فى صفحة (٢٥)

(قد يقال أو يتبادر إلى الأذهان لأول وهلة أن إلغاء الإمامة المذهبية إنما يكون على حساب الهاشميين وضد مصلحتهم ولكن هذا رأى خاطىء فما من خطر يهدد الهاشميين فى الحاضر والمستقبل كخطر الإمامة .. فإن الشعب كله يشعر أن العائلات الهاشمية كلها طبقة متعالية متميزة على الشعب منفصلة عنه كأنها ليست من الشعب فى شيء بل وكأنها أجنبية عنه ودخيلة عليه ، فإذا كان التمييز فى عصور الجهل ميزة للسلالات الممتازة فإنه سيكون فى المستقبل خطرا كبيرا على هذه السلالات وباعثا على نفور الشعب منها وتعصبه ضدها ووصمة إياها بالرجعية ، وبالتالى ستصبح على مر الأجيال معزولة عن الشعب كأنها جالية فيه وليست جزء منه وبعد ذلك لن توجد قوة على ظهر الأرض تستطيع أن تخضع الشعب إلى الأبد لأقلية ضئيلة ، تلك هى النتيجة المحتومة المنتظرة لمضاعفات خطر الإمامة واحتفاظ السلالات الهاشمية بالتميز على الشعب) .

تمهلت فى الإعلان عن وجهة نظرى حول محور الصراع الذى يلزم إقناع الجماهير اليمنية به كى تلتفت حوله وتستميت من أجله عندما ترى آمالها مجسدة فيه .

التقيت مرة أخرى بانشط كتاب الأحرار اليمنيين الأستاذ محمد أحمد نعمان وتحدثنا عن جذور المأساة فى اليمن ، وحاولت أن أعرف منه أراء الأحرار اليمنيين البارزين حول جذور هذه المأساة وكيفية علاجها أو خلعها بعد أن عرفت وجهات نظر الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى فأجابنى بأنه سبق له فى أغسطس ١٩٥٣ أن وجه أسئلة حول هذا الموضوع إلى بعض الشخصيات اليمنية من المعتقلين فى ذلك الوقت فى سجن حجه ، وبدأ يطلعنى على جواباتهم وردودهم التى أرسلوها إليه وهم فى سجن حجه (والتى نشرها فيما بعد فى كتابه بعنوان : (من وراء الأسوار) .

كان جواب الأستاذ محمد أحمد صبره يمثل حالة اليأس السائدة فى اليمن ويعبر عن الإستسلام للذل والعبودية حيث قال :

(إننا يا عزيزى لا نزال ذرات دم العبودية والضعف فى عروقنا أكثر من ذرات الدم الحر القوى .. إننا عبيد ضعفاء وعبيد نفوسنا وأمزجتنا ، فالعبد مهما كان ذكاؤه ومهما كان توثبه ، فإن شعوره بالعبودية يحول بينه وبين الإبداع والابتكار) .

أما الأستاذ محمد عبد الله الفسيل فقد اجاب بأن اليمن :

(فى حاجة إلى أمير هاشمى وإلا فإنها تنقسم إلى قسمين : المنطقة الشافعية وتحكمها حكومة الأحرار الدستورية ، والمنطقة الزيدية ويحكمها إمام ، ويمكن بعد ذلك استعادة الوحدة اليمنية عندما تقوى شوكة حكومة المنطقة الشافعية أو يستطيع زعيم عربى توحيد الأمة العربية) .

أما الأستاذ على ناصر العنسى فقد حذر فى إجابته من تكرار الخطأ باختيار شخصية هاشمية توافق الأحرار كما جرت العادة ثم تنقلب عليهم .

ولفت الاستاذ محمد أحمد السياغى النظر إلى فساد الاعتقاد السائد فى سيادة الهاشميين فقال :

(هناك قوتان هائلتان لا بد من التفكير مقدما فى هدمها : الأولى .. الأسياد الذين يفرضون سيادتهم على الأمة باسم الدين والعقيدة والمذهب . والثانية .. الجهل المخيم على أدمغة الأمة ، والوهم المعشعش فى أفكارهم ، فلا بد من تلقيح الدم اليمنى الفاسد بدم لا عبودية فيه حتى يشعر اليمنى بكرامته ، ويؤمن بحقه فى الحياة) .

وقد أكد هذا المعنى بذاته الهاشمى الحر السيد أحمد حسين المرونى ثم اقترح :

(تقسم اليمن إلى منطقتين : المنطقة الشافعية التى يجب أن يبدأ بها الأحرار والمنطقة الزيدية التى على الأحرار أن يعزلوها حتى تستيقظ من غفلتها) .

وكان جواب القاضى عبد السلام صبرة واضحا فى رفض السياسة الهاشمية وتحميلها مسئولية المأساة التى تعيشها اليمن فقال :

(كيف يغيب عنا أن اليمن أعظم بلاد أصيبت فى رجالها وأصبحت ما بين قبيلة تقدس الشخصيات المزيفة التى تحكم باسم الدين والشريعة ، وتتخذ منها آلهه تقدسها وتسبح بحمدها فى الوقت الذى تجول عليها بسياطها المحرقة ، ثم تصول بها على العاملين على إنقاذها ، فهى كالآلة العمياء يجمعها طبل من الدجل والتضليل ، ويفرقها سوط من الطغيان والجبروت) .

وكان جواب القاضى عبد الرحمن الأريانى مؤكدا أنه :

(لا يمكن أن ينهض الشعب اليمنى إلا إذا حطم الأصنام التى أذلته واستعبدته باسم الخلافة الهاشمية واقترح تقسيم اليمن إلى منطقتين : المنطقة الشافعية وتكون قاعدة لحركة الأحرار والمنطقة الزيدية التى يجب أن يستهدف الأحرار إرغامها ، فيما بعد ، على قبول الوضع الجديد) .

أما جواب العميد عبد الله السلال فإنه حدد جذور المأساة فى اليمن ورسم أيضا الطريق العلمى إلى استئصالها بنشر الوعى فقال :

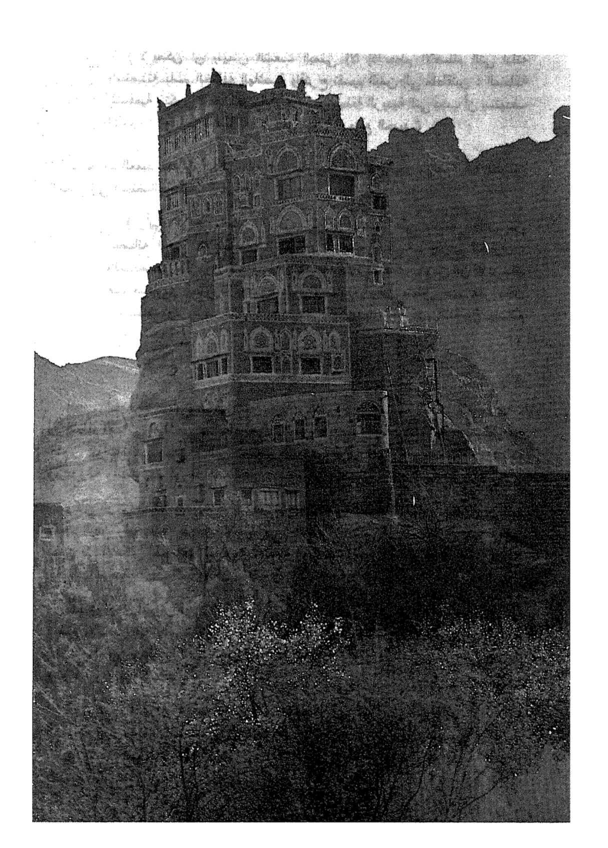
(رأيى أن هذا السؤال الأحرى به أن يوضع على منصة مجلس بين أعضائه الخبير الاقتصادى ، والبارع فى علم السياسة ، والزعيم العبقرى ، والمتخصص بالشئون الاجتماعية والقائد العسكرى المقدام .. ومن أين لنا برجال هذه صفاتهم وأحرارنا يعدون على الأصابع ، ومن صدق منهم فهو مثقل بالمخلفات والرواسب التى أكسبته عقم التفكير وأورثته عدم الثقة والإستسلام لأول صدمة) .

إذن .. أجمع الأحرار وهم فى سجن حجه ، كما ورد فى إجابتهم السابق نقلها حرفيا ، أن النظام الإمامى الهاشمى بما جاء به إلى اليمن من تعاويذ وشعوذة وزيف وتضليل هو جذور المأساة فى اليمن ، التى أهلكت الشعب وقتلت أحراره ومصلحيه وزعماءه ومحرريه وألقت بهم فى غياهب النسيان ، بعد أن وصمتهم بالخيانة والكفر والإلحاد .

وكان الرأى السائد لدى الأحرار هو الاعتماد على المنطقة الشافعية مضطرين إلى تقسيم اليمن ولو بصفة مرحلية ، حتى ينمو الوعى الوطنى فى المنطقة الزيدية وحتى يكون فى الإمكان إخضاعها لحكومة المنطقة الشافعية وإجبارها على قبول الأمر الواقع عندما يشتد ساعد هذه الحكومة .

هذا هو رأى أحرار اليمن الذى لم أقتنع به حرصا منى على الوحدة الوطنية وإذا كان النظام الإمامى الهاشمى هو سبب المأساة فلنعمل على استئصاله من جذوره مع الحفاظ على الهاشميين وعلى الوحدة الوطنية ووحدة اليمن من أقصى شمالها الزيدى حتى جنوبها وشرقها وغربها الشافعى .

لقد وضع الأحرار أيديهم على جذور المأساة فى اليمن ، وبقى عليهم أن يعلنوا الصيحة الكبرى كى يتكاتف أبناء الشعب اليمنى من أجل خلعها ، وحتى تلتف حولهم أغلبية الشعب تحرسهم أثناء الثورة ، وتدافع عنهم إذا ما تصدت لهم قوى أخرى تستهدف بقاء هذه المأساة البشعة فى اليمن .





أديت واجبى الوطنى . ففى الوقت الذى كانت تدرس فيه الطلائع اليمنية فى المدارس والجامعات المصرية قمت بالعمل على بناء ميناء الحديدة وبناء الطريق بين الحديدة وصنعاء بواسطة المعونة الصينية والحصول على الأسلحة من الإتحاد السوفيتى وتدريب الطلائع اليمنية العسكرية عليها على يد البعثة العسكرية المصرية التى قامت بنشر الوعى الوطنى والقومى بين أفرادها .

هذه هى المقدمات الضرورية والأساسية للتغيير الجذرى فى اليمن التى تمكنت من إيجادها فى اليمن لأول مرة فى تاريخها .

وقد تمكنت من ذلك لأننى كنت أعمل من أجلها علنا فى وضح النهار باسم تطوير اليمن وحماية ولاية العهد للبدر الذى كنت مخلصا له كل الإخلاص ، كما أنه هو بنفسه قد أسهم بقسط كبير فى تحقيقها .

بقى علينا بعد ذلك أن ننتظر فترة من الزمن لا تقل عن عام بأكمله حتى يتحقق لنا ما يلى :

١ - إقتناع مصر بأنه لا جدوى من وقوفها مع البدر بعد أن اتضحت تصرفات الإمام وسلوك البدر وتطرف غلاة المتعصبين والهاشميين ، الذين تمكنوا من السيطرة على عقل الإمام وأسرعوا بالعمل على انهيار البدر ، إلى غير ذلك من الحقائق الواضحة التى تقنع أبسط العقول بأنه لا يمكن أن يتحقق أى قدر من إصلاح اليمن وإنقاذ شعبها فى ظل النظام الإمامى الذى يعتمد على التفرقة العنصرية والمذهبية وتخلف الظروف الاقتصادية والعزلة عن سائر الشعوب سواء كانت عربية أو أجنبية . وكان كل ما نحتاج إليه هو عنصر الزمن حتى يكتمل اقتناع مصر بذلك بصورة تلقائية وطبيعية وبصفة نهائية .

٢ - اكتمال ميناء الحديدة واكتمال الطريق من هذا الميناء إلى صنعاء ، وكان العمل فيهما قد بدأ سنة ١٩٥٨ ولن يكتمل إلا سنة ١٩٦١ أى بعد سنة من ذلك اليوم الذى هربت فيه من اليمن مقتنعا بحتمية إعلان الثورة الجذرية . وكانت الثورة فى حاجة إلى الميناء والطريق كى تصل عن طريقهما أية إمدادات عسكرية من الخارج لمساعدة الثوار فى اليمن .

بعد ذلك ، وليس قبل ذلك .. أى بعد اكتمال الميناء والطريق وتخلى مصر عن البدر .. نستطيع أن ننشر الدعوة إلى الثورة عن طريق إذاعة صوت العرب التى كانت قد أصبحت جزءا عضويا من شخصية رجل الشارع فى اليمن ، فضلا عن الطلائع اليمنية العسكرية والقبلية والشباب فى سائر أنحاء البلاد ، وكان رجال القبائل يذهبون إلى عدن لشراء أجهزة الراديو ويطلبون من البائع أن يضبطها لهم على موجة صوت العرب .

خلال سنة الإنتظار نستطيع أن نقوم بتوحيد صفوف الأحرار وجمع شملهم على رأى واحد .

لم أبح بما دار فى نفسى لأحد غير السيد محمد أنور السادات صديقى وسكرتير المؤتمر الإسلامى فى ذلك الوقت كى ينقله إلى الرئيس عبد الناصر طبقا للنظام الذى وضعه سيادته وما دام الإعلان عن الثورة الجذرية فى اليمن سيتأخر خلال هذه الفترة فقد كان من المحتم أن أعطى للزمن حقه فى أن يقوم بدوره وعلى طريقته ، حتى لا يفطن الإمام فيعرقل عقارب الساعة عندما يعرقل العمل فى الميناء أو فى الطريق ، أو يعود إلى مغالطة مصر ويرتمى شكلا بين أحضان عبد الناصر بينما يحمل له ولكل مصلح أقصى درجات الحقد والكراهية ، وكان للإمام أصدقاء فى المخابرات المصرية يستخدمهم فى تبرير سلوكه وإثبات ثقته فى مصر ، واقناع عبد الناصر باستحالة قيام ثورة فى اليمن المتخلفة ذات الشعب المتشرف بالركوع تحت أقدام الأئمة من أولاد رسول الله .

فى تلك الأثناء زارنى الأمير الحسن بن على وكان ممثلا للإمام فى مصر فى ظل الاتحاد اليمنى المصرى السورى ، وأبلغنى عرض الإمام تعيينى رئيسا للجانب اليمنى فى ذلك الاتحاد . وكان من الواضح أن الإمام الذى أزعجه هروبى من تحت سيفه فى اليمن يريد أن يجمد نشاطى فى مصر فاعتذرت للأمير ، وأشهد أنه كان من دعاة الإصلاح فى اليمن ، وبصرف النظر عن كونه أميرا من بيت حميد الدين فقد كان يرحب بحكومة شعبية لا تشترط لعضويتها غير الكفاءة الوطنية ، ولذلك حزنت عليه أشد الحزن عندما بلغنى أن عبد الله جزيلان قتله بيده ضمن من قتلهم على أثر قيام الثورة .

كانت تجمعنى صداقة خاصة مع القاضى محمد الخالدى الوزير اليمنى فى مجلس الاتحاد اليمنى المصرى السورى ، وهو من أبرز الشخصيات الزيدية المتحررة وكان له الفضل فى إطلاعى على كتب التاريخ اليمنى والوثائق التى سجلت مذابح الأئمة الهاشميين لأبناء الشعب اليمنى وأوضحت كيف يتكون الشعب اليمنى من طبقتين :

طبقة الأسياد الهاشميين وهم واحد فى المائة أو أقل من مجموع الشعب .

وطبقة العبيد وهم بقية أبناء الشعب المغلوب على أمره .

جاء الهاشميون إلى اليمن أول ماجاءوا إليها فى القرن الثالث الهجرى بعد أن فشلوا فى تجاربهم السياسية التى انتهت جميعها بقتل دعاتها وصلبهم والتمثيل بجثثهم مما أدى إلى إنصرافهم إلى النزعة العلمية التى أكسبتهم عطف الشعب اليمنى .

لم يكن فى وسع أهل اليمن سوى إكرام الهاشميين المهاجرين إليهم ، وكان رائدهم الإمام زيد (صاحب المذهب الحاكم فى اليمن) يقول (انى يأدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وإحياء السنن وإماتة البدع فإن تسمعوا يكن خيرا لكم ولى . وأن تأبوا فلست عليكم بوكيل) . وكان ينشر بين الناس أنه يدعو إلى وحدة أمة محمد .. وكان الإمام الهادى يدعو الناس إلى الجهاد ويقول أنه (إمامهم فى الميدان وورائهم فى الغنائم) .

كان من الطبيعى أن يتسابق أهل اليمن إلى إكرام هؤلاء الهاشميين بينما هذه دعواهم التى هى وحدة أمة محمد ، لا سيما والإمام الذى يدعوهم إلى الجهاد يقول أنه الأول فى الميدان والآخر فى الغنيمة .

استتب الأمر فى اليمن للأئمة الهاشميين من الذين أسسوا المذهب الزيدى ثم حرفوه بأن اشترطوا أن يكون رئيس الدولة هاشميا فاطميا وإلا كان مغتصبا للسلطة .

فاحتكر الشيعة من الهاشميين اتباع الإمام زيد الحكم فى اليمن وأغلقوا الطبقة الحاكمة على أنفسهم وحدهم . ولما كان ذلك منافيا لطبيعة البشر ومصادما للدين نفسه فإنهم كانوا يتوقعون ، منذ استيلائهم على السلطة فى اليمن ، اليوم الذى تبطل فيه دعواهم فيسترد الشعب حقوقه المغصوبة فيتحول الهاشميون الأسياد إلى رعايا مثلهم مثل أبناء الشعب جميعا دون تفرقة ولا تمييز .

لذلك عملوا على إعاقة نمو الوعى الوطنى فى اليمن . أحتقروا التعليم وحرموه بسبب خطورته الكبرى على سلطانهم . أوجدوا التفرقة فى المعاملة بين الزيود الذين اتبعوهم وبين بقية أبناء الشعب من السنيين الشوافع الذين لا يقرون هذا الشرط الدخيل على الدين . سلطوا القسم الزيدى على القسم الشافعى حتى تتفرق كلمة الشعب .

نشروا البغضاء والكراهية وأسالوا الدماء بين القبائل الزيدية حتى تنشغل عن الحكومة .نهبوا الرعايا وأقاموا العراقيل أمام الكفايات حتى لا يلتفت الشعب إلى حقوقه المسلوبة . خضبوا أرض اليمن بدماء عباقرتها ومصلحيها الذين يظهرون من جيل إلى جيل يهدون القلوب إلى الحق ويلفتون العيون إلى النور . شجعوا البطالة والعقم الفكرى واحتقروا العمل الشريف مفضلين عليه العرق والنسب .

وإمعانا من الأئمة الهاشميين فى استذلال الشعب وإشعاره بأنه طبقة دونهم فى الحسب والنسب والكفاءة حرموا تزوج الهاشمية بأى رجل من أبناء الشعب حتى ولو كان وزيرا أو عالما ، بينما أباحوا تزويج الهاشمى من بنات الشعب شأنهن فى ذلك شأن الكتابيات .

ولما صدمتهم سابقة زواج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأم كلثوم بنت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهما أدعوا أن عمر بن الخطاب كان قد اغتصب أم كلثوم بالرغم من أبيها ، ثم تدخل العباس ليتلافى الفضيحة فعقد لعمر . وقال بعضهم أن عمر بن الخطاب لم يدخل بها .

وتأسيسا على هذا المبدأ أجاب الإمام أحمد على سؤال أحد العلماء عن رأى الإمام فى زواج الهاشمية بعظيم من علماء الشعب فقال الإمام (أنه كزواج الهاشمية بالحمامىَ) والحمامى هو الشخص الذى يعاون المستحمين ويدلكهم . وهذه المهنة تعتبر فى نظر الإمام أحط وأحقر مهنة ينزل إليها آدمى . وربما كان الإمام يشير بذلك إلى مواطن اسمه الحمامى كان مشهورا بالفسق فى تعز .

لم يكتف الأئمة الهاشميون بهذا فى اليمن بل فرضوا على أبناء الشعب عندما ينادون أو يخاطبون أى هاشمى أن يسبقوا اسمه بـ (سيدى) ومن أخطأ من أبناء الشعب وخاطب أحد الهاشميين قائلا (أخى) حلت عليه اللعنة وعزل من وظيفته أو حبس مدى الحياة أو قطعت رأسه لأنه يتهم عندئذ بأنه معارض لنظام الحكم .

فى عهد الإمام يحيى أصدر أحد الحكام الهاشميين حكما فى قضية ثم رفع هذا الحكم إلى هيئة الاستئناف التى بعد أن اطلعت عليه كتبت فى صدر تعليقها عليه (كانت المطالعة لما قرره الحاكم الأخ فلان) .

ولما عرض هذا الحكم على الإمام للتصديق عليه ولاحظ هذه العبارة وتذكر أن بعض أعضاء الهيئة الاستئنافية قضاة من أبناء الشعب ، كثر عليه أن يلقبوا الحاكم الهاشمى بالاخ فلان حيث كان يلزمهم أن يقولو (كانت المطالعة لما قرره الحاكم سيدنا فلان) فأعاد الإمام الحكم إلى هيئة الاستئناف بعد أن أشر عليه بالعبارة التالية (أخ من يا سبل ؟) والسبل جمع سبلة وهى ذيل الحمار .

وهذه نظرة الإمام يحيى لأبناء الشعب اليمنى من غير الهاشميين .

إنه لم يتفضل على الحكام الشرعيين من أبناء الشعب أعضاء هيئة الاستئناف أن يكونوا حميرا . فوصفهم بأنهم ذيول الحمير إمعانا فى تحقير الشعب وإذلاله .

وإمعانا فى التفرقة الطبقيه أسس الأمير الحسن شقيق الإمام مدرسة فى صنعاء خاصة بالهاشميين لا يدخلها غيرهم كما يفعل الأوروبيون فى جنوب أفريقيا ، وكما يفعل بعض الأمريكيين فى الولايات المتحدة الأمريكية المتعصبة ضد الزنوج .

أطلعنى الصديق الزيدى القاضى محمد الخالدى على كتاب آخر عن مأساة اليمن فى عهد المطهر بن شرف الدين الذى قتل ألفا ومائة شاب من أبناء الشعب فى قرية موكل فى اليمن ، لأن واحدا منهم جاهر بالمطالبة بحقوق الشعب فى المساواة مع الهاشميين ، ثم أمر هذا الهاشمى السفاح ألفا ومائة رجل من أبناء نفس القرية أن يحملوا رؤوس القتلى إلى صنعاء فساروا فى طابور وهم مقيدون بالسلاسل من أعناقهم إلى أقدامهم وعندما وصل الطابور إلى صنعاء أمر الجلادين بقطع رؤوس هؤلاء الألف والمائة وهم يحملون رؤوس زملائهم الذين قتلهم الأمير السفاح فى قريتهم .

كان يتلذذ من منظر سقوط رأسين أثر كل ضربة سيف وهكذا أستشهد الفان ومائتا شهيد من أبناء الشعب لأن واحدا من هذه القرية الخالدة فكر فى حقوق الشعب وجاهر بالتعبير عن أمل الأمة فى تحقيق العدالة والمساواة بإلغاء التفرقة العنصرية .

كانت وثائق القاضى محمد الخالدى تفيض كالسيل العرم وهى تلطخ تاريخ الحكم الإمامى بكل ألوان العذاب والقهر وتغرس فى الصدر جذور الثورة على الجبروت والطغيان والذل والعبودية .

لم يدهشنى ذلك أبدا ، لأننى كنت أشعر بنفس ما يشعر به القاضى الخالدى ، وهو نفس ما يعصر أحشاء كل يمنى من سلالة قحطان التى أذلها الحكم الإمامى الهاشمى رغم أنها أغلبية شعب اليمن الساحقة .

لم يدهشنى ذلك أبدا ، وإنما أدهشنى خوف الزعماء أحرار اليمن الذين يعرفون حق المعرفة جذور المأساة فى اليمن ويرددونها فى مجالسهم المغلقة ويكتبونها فى رسائلهم السرية ، ثم لا يجرؤون على صياغتها فى عقيدة ثورية يعلنونها عالية مدوية ، ولا يصرخون بدعوة الشعب إلى الثورة كى يسترد كرامته وآدميته عندما يخلع هذه الجذور من أعماقها مطالبا بتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أبناء الشعب .



أدهشني ما يقوله زعماء الأحرار سرا ولا ينطقون به علنا ، وكأنهم يناجون أنفسهم خوفا من أن يسمعهم أبناء الشعب من المظلومين المسجونين المعذبين فى الأرض .

ازداد يقيني بأن التسلط الإمامى العنصرى والمذهبى الذى خلق الظروف الموضوعية المتخلفة فى اليمن لم يكن يسمح لزعماء الأحرار بأكثر مما دعوا اليه وقاموا به من انقلابات استبدلوا بها إماما بإمام ، على نفس الجذور العنصرية والمذهبية التى انبتت المأساة ، مادامت التربة اليمنية لم تكن تصلح لغيرها .

هكذا تتزايد الحاجة الملحة إلى تغيير التربة فى اليمن ، تغيير الظروف الموضوعية السائدة فيها ، بنشر الوعى الثورى الذى يحدد عقيدة الثورة ويخلع جذور المأساة من أعماقها .

والثورات الجذرية لا تقوم بصفة عفوية عشوائية ، وإنما تنجح بعد إجهاد الذهن فى دراسات وحسابات لكل الإيجابيات والسلبيات حتى يتحقق أكبر قدر من النجاح الممكن بأقل قدر من الخسائر المحتملة .

كان الرائد صلاح المحرزى قد عاد من اليمن فسألته عن مستوى الروح المعنوية الثورية لدى طلبة الكلية الحربية وغيرهم من الضباط والجنود الذين كان يشرف على تدريبهم ونشر الوعى الوطنى والقومى بينهم ، فسلمنى رسالة وصلته قبل اسبوع (فبراير ١٩٦٠) من طالب الكلية الحربية على الجائفى (الوثيقة رقم ٦) كان من ضمن ما جاء فيها :

(يا قائدنا ومثلنا الأعلى وقدوتنا الحسنة .. تركتنا هنا كالأيتام على مائدة اللئام .. لقد رحلت من بلدنا العزيز المكبل بسلاسل الظلم والطغيان والنائم على شفا الهاوية .. وإذا شاء القدر أن ندخل المعركة الفاصلة بين الحياة والموت ، بين الحرية والاستبداد ، بين السجون ودك القيود سنذكرك .. إننا لنتشوق إليك .. تشوق المظلوم المكبوت المكبل بقيود الظلم والعبودية إلى رؤية طلوع فجر الحرية .. تقبل تحيات كل الأخوان فردا فردا وأرواحهم معك وأفئدتهم حائمة حولك وأفواهم تنطق دائما بالثناء عليك .. فأرجو قبول تحيات أبنائك وتلاميذك شباب الكلية الحربية اليمنية ..)

ثم سلمنى الرائد صلاح المحرزى رسالة أخرى من طالب الكلية الحربية حمود بيدر (الوثيقة رقم٧) مؤرخة فى ٥ فبراير ١٩٦٠ كان من ضمن ما جاء فيها :

(نراكم غدا فى اليمن الجديدة يمن القومية العربية والوحدة العربية . أما أحوالنا نحن الطلبة اليوم الضباط فى الغد فلا تسألوا عن أحوالنا وحياتنا البائسة فسيفصل لكم عبد الفتاح كل شيء عن حياة ما وراء عصور الغاب .. إن جميع طلبة الكلية الحربية يهدوكم ألف مليون سلام ..)

أكد لى الرائد صلاح المحرزى أن الوعى الوطنى بين طلبة الكلية الحربية والضباط والجنود قد بلغ الذروة وإننا نستطيع أن نبدأ الثورة .

قلت : هذا حسن ، ولكن ميناء الحديدة لم يكتمل بعد والطريق بين هذا الميناء وصنعاء لم يتم حتى تلك الساعة ، وعلينا أن ننتظر حتى يتم ذلك لأننا سوف نحتاج حتما إلى مساعدات عسكرية من مصر ولو بصفة رمزية ، الأمر الذى لن يكون ممكنا إلا بعد اكتمال هذا الميناء وذلك الطريق ، وفى هذه الأثناء يتخرج طلبة الكلية الحربية ويتولون مواقعهم فى وحدات الجيش ونكون قد أقنعنا الرئيس جمال عبد الناصر بحتمية التخلى عن البدر وإمكانية نجاح الثورة الجذرية ، وبعدئذ يمكن البدء فى اعلان الدعوة إلى الثورة لإثارة الوعى الوطنى بين القبائل كى يلتف أكبر عدد منهم حول قادة الثورة عند قيامها .

كنت أتحدث بصراحة مع الرائد صلاح الرائد لأنه كان رائد الدعوة الوطنية والقومية بين طلبة الكلية الحربية ، وأحد الشرايين التى كانت تربطنى بقلب الشباب اليمنى (الوثيقة رقم ٨) .

زارنى الشيخ سالم حسين الرماح شيخ مشايخ لواء البيضاءالذى بعد أن تناول معى طعام الغذاء فى بيتى أعطانى لفافة صغيرة بها مسحوق أبيض اللون يميل قليلا إلى الزرقة ، وقال أنه سم أعطاه له الإمام كى يدسه فى طعامى أو شرابى لعلمه بمدى الصلة الوثيقة التى تجمعنا ، وإنه قد منحه لتنفيذ هذه المهمة عشرين ألف ريالا (نحو ستة آلاف جنيها فى ذلك الوقت) ، فسألته كيف يبرر للإمام عدم قيامه بتنفيذ مهمته ، فقال إنه سيبلغ الإمام أن بيتى ، كما هى الحقيقة ، تحرسه قوة من حرس الوزراء وأننى لا أتحرك من مجلسى بعد أن يصل الطعام بحضورى ثم الشاى ثم القهوة ، ثم لا أتناول بعد ذلك أى طعام ولا شراب ، فاضطر إلى القاء ما يحمله فى الحمام خوفا من ارتباكه وافتضاح أمره عند مغادرته .

شكرت له موقفه المخلص الكريم ، فأحزنه شكرى له لأنه فعل ذلك من أجل اليمن ، من أجل الوطن الذى فى سبيله نضحى جميعا برؤوسنا وأموالنا ، وإن كان ما فعله الصديق المخلص لا يخلو من مودة ورحمة .

أنزل الله السكينة على قلبى لإزداد إيمانا ، فهو الذى يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الأخرة ويضل الظالمين ويفعل ما يشاء .

وصل إلى القاهرة الصديق أحمد عبد الله زيد المحضار وهو من كبار تجار البيضاء المقيمين فى تعز ، وكان يحمل معه ترخيصا بتوقيع الإمام يستورد بمقتضاه ثلاثة آلاف بندقية وألفا وخمسمائة صندوق ذخيرة ، مقابل أن يعطى نصفها للإمام كضريبة عينية ثم يتصرف فى النصف الأخر كيف يشاء فى سوق السلاح فى اليمن .

أخذت هذا الترخيص وذهبت لزيارة أنور السادات راجيا أن يسهل الاسراع ببيع هذه الصفقة من مخازن الجيش المصرى بالثمن الذى تراه الجهات العسكرية المختصة .

قلت للسادات إن زملاءنا فى اليمن يستطيعون شراء نصفها الذى يبيعه صديقنا فى السوق ، ثم يستولون على النصف الآخر من مخازن الإمام عندما تقوم الثورة .

وعدنى الصديق الوطنى أحمد عبد الله زيد بأن يتبرع للثورة بنصف ما يتبقى له من البنادق والذخيرة . وذهبت معه إلى مخازن الجيش المصرى فى وادى حوف بين المعادى وحلوان وحملنا سيارات الشحن واتجهنا بها إلى ميناء السويس ولم أتركه حتى غادرت الباخرة إلى اليمن .

عدت إلى الحديث مع زعيمى الاحرار الاستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى وابلغتهما بأننى مقتنع معهما بكل ما كتب الزبيرى فى كتابه (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) وأنه لا مفر من الدعوة إلى إسقاط نظام الإمامة وخلعه من جذوره لتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أبناء الشعب ، الأمر الذى يؤدى إلى النهوض باليمن على أيدى رجالها الاكفاء وأحرارها الوطنيين .

وتكررت لقاءاتى معهما وبقية الأحرار المقيمين فى مصر .

اتفقنا على الدعوة إلى اسقاط النظام الإمامى فى اليمن ، وابلغتهما بأننى ساسافر إلى بون فى ألمانيا الغربية لاستكمال طبع رسالة الدكتوراه ومناقشتها وأداء الامتحانات المقررة بشأنها ، وكنت قد تأخرت عن اتمام ذلك عندما أمر الإمام بنقلى إلى السودان ثم طلبنى إلى اليمن حيث عشت رهينة عنده بين الحياة والموت أربعة أشهر (من ١٥ أكتوبر ١٩٥٩ حتى ١٤ فبراير ١٩٦٠) . وأخبرتهما بأننى سأنتهز فرصة وجودى فى ألمانيا ، حيث أعرف الكثيرين من الأصدقاء الألمان المسئولين ، عسى أن أتمكن من عقد مؤتمر صحفى أو إلقاء محاضرة لتحقيق الاهداف التالية :

أولا : القيام بحملة إعلامية ضد نظام الحكم المتخلف فى اليمن ، حيث لم يكن ممكنا القيام بحملة إعلامية ضد ملك اليمن فى مصر ولا فى أية دولة عربية أخرى نظرا للعلاقات التى كانت سائدة فى ذلك الوقت بين الإمام وبين هذه الدول . وكان من الضرورى أن تبدأ الحملة الإعلامية ضد الإمام والنظام الإمامى من أى مكان ، وهى عندما تبدأ فإنها تنتشر وتصل إلى قلب اليمن وتبدأ فى ولادة الأنصار الأحرار الذين يستسيغون العقيدة الجديدة التى تقوم على أساسها الدعوة إلى الثورة الجذرية .

ثانيا : خلق مناخ عالمى يتعاطف مع قضية الشعب اليمنى حتى نكسب له أصواتا دولية إذا ما وصل صدام ما بعد الثورة إلى منصة الإمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى .

ثالثا : اقناع الرئيس جمال عبد الناصر باكتمال العناصر الضرورية للقيام بثورة يمنية جذرية حتى يتشجع على مساعدتنا لإسقاط النظام الإمامى الفاسد بكل مقوماته .

٤

أثناء تأهبى للسفر إلى ألمانيا بلغنى أن السيد محمد أنور السادات قد أصيب بأزمة قلبية ، فحزنت لذلك أعمق الحزن ، فالرجل صديق صدوق ، وطنى مصرى وقومى عربى منذ نعومة أظافره ، وفوق ذلك فإنه مسلم مؤمن بالله لا يقر ما يدعيه الحكام الهاشميون فى اليمن من امتيازات لا يقرها الإسلام بل يحرمها الله ورسوله . كما أنه هو المسئول المصرى ، الذى كلفه الرئيس عبد الناصر بمواصلة الاتصال بى ومتابعة تطورات اليمن معى ، وكان قد أحس بوجيعة الشعب اليمنى وأدرك أسباب المأساة التى دفنت أمجاده .

بقيت إلى جوار أنور السادات حتى شفاه الله واطمأن الأطباء على صحته ثم سافرت إلى ألمانيا فى ٢ يونية ١٩٦٠ .

وبعد اسبوعين من إقامتى فى بون فى فندق بجوار الجامعة اتصل بى صديقى الهرفون برنتانو وزير الخارجية الألمانية ، وأبلغنى أن لدى الشرطة الألمانية تقرير يفيد بأن الحكومة اليمنية تدبر محاولة لاغتيالى ، وأنها أرسلت فعلا بعض العناصر لهذا الغرض الشرطة تتعقبهم وتخشى من عدم التوصل إلى القبض عليهم لأنهم قد يستخدمون جوازات سفر غير يمنية ، لاسيما أن أى عربى يمكن أن يدخل إلى الأراضى الألمانية بدون تأشيرة دخول . وقال أنه قد لفت نظر القائم بالأعمال اليمنى السيد عبد الوهاب الشامى إلى ضرورة الالتزام بالقانون . ثم نصحنى بأن أقبل قيام الشرطة الألمانية بحراستى حتى تنتهى إقامتى فى ألمانيا فقبلت ذلك شاكرا له وللحكومة الألمانية كرم ضيافتها وحرصها على سيادة القانون على أراضيها .

جاءنى قائد الشرطة الألمانية ونصحنى بتغيير محل إقامتى واختيار مكان يسهل حمايته ، كما نصحنى بأن ابلغ المباحث الألمانية بتحركاتى كى تكتمل حلقة حراستى . اخترت الإقامة لدى الاستاذ عبد المنعم عامر المستشار الثقافى بالسفارة المصرية فى بون وهو صديق مخلص وشقيق المشير عبد الحكيم عامر .

علم السيد إبراهيم صبرى سفير مصر فى بون بحديث وزير الخارجية الألمانية معى وقيام الشرطة الألمانية بحراستى وإننى لهذا السبب أقيم فى بيت الأستاذ عبد المنعم عامر فخشى أن تعلم الحكومة اليمنية بهذا الأمر فتسوء العلاقات بين مصر واليمن . نسى السفير المصرى أننى كنت قبل ذلك بأقل من عام وزيرا لليمن وزميلا له فى بون ، وكنت أتبنى

القضايا العربية وأتصدى للدفاع عنها ممثلا لجميع السفراء العرب فى ألمانيا الغربية . مع ذلك طلب السفير إبراهيم صبرى من مستشاره الثقافى عبد المنعم عامر أن يتخلص من إقامتى لديه حرصا على حياته وحفاظا على العلاقات المصرية اليمنية .

رفض الصديق عبد المنعم عامر ذلك واعتبر إقامتى عنده مسألة شخصية تخصه وحده ، وقال للسفير أنه ليس من الشهامة أن يتخلى عن صديقه فى محنته .

أخفى عنى عبد المنعم عامر كل هذه القصة حتى وصلت إلى السفير إبراهيم صبرى برقية من السفير المصرى فى لندن ، التى كان يعالج فى إحدى مستشفياتها السيد محمد أنور السادات رئيس مجلس الأمة المصرى . طلبت هذه البرقية من السفير إبراهيم صبرى حجز ثلاث غرف نوم فى فندق بارك اوتيل بالقرب من مصحة بادناوهايم فى جنوب ألمانيا الغربية ، حيث كان من المقرر أن يصل أنور السادات لاستكمال العلاج والنقاهة فى تلك المصحة ثلاثة أسابيع .

يوم الخميس ١١ أغسطس ١٩٦٠ ذهب رجال السفارة المصرية إلى مطار فرانكفورت لاستقبال أنور السادات وذهبت معهم ولم أعرف أن ذلك يؤذى شعور السفير المصرى إبراهيم صبرى . نزل السادات من الطائرة وخلفه السيدة زوجته وابنته لبنى ومدير مكتبه فوزى عبد الحافظ .

وبعد مراسم الاستقبال تأهبت للانصراف وصافحت السادات مودعا فإذا به يقول ضاحكا (اركب معى لنقيم معا فى مصحة بادناوهايم) فاعتذرت قائلا أنه لا توجد غرف خالية فى الفندق يمكن حجزها بمثل هذه السرعة ، فقال أمام السفير ورجال السفارة المصرية إنه أمر فعلا بحجز ثلاث غرف ، واحدة له ولزوجته وابنته الطفلة لبنى والثانية لى والثالثة للاستاذ فوزى عبد الحافظ .

ذهبنا إلى بادناوهايم وخلفنا رجال السفارة المصرية ومن بينهم الصديق عبد المنعم عامر .

وما إن وصلنا إلى الفندق تذكرت أننى لم أصحب معى أية لوازم شخصية وكانت جميعها فى بيت الصديق عبد المنعم عامر فى بون فأردت أن أذهب إلى بون لأخذ أمتعتى غير أن الصديق عبد المنعم عامر رفض بإصرار أن أترك مكانى بجوار السادات وتطوع بأن يذهب إلى بون ويرسل حقيبتى الشخصية مع إحدى سيارات السفارة المصرية ، فلما استوضحت منه سبب إصراره على بقائى بجوار السادات بدأ يقص علىّ ، لأول مرة ، ذعر السفير المصرى من إقامتى لديه خوفا على العلاقات المصرية اليمنية وقال أن إقامتى مع السادات رئيس مجلس الأمة ستعطى للسفير إبراهيم صبرى درسا لا ينساه فى العلاقات الشخصية والشهامة العربية .

أمضيت مع الرئيس السادات وقتا طيبا خلال تلك الفترة ، انحصر كله فى أحوال اليمن ولماذا يلزم التخلى عن البدر والدعوه إلى إقامة جمهورية يمنية ، وكانت مصر حتى تلك اللحظة متمسكة بالبدر وتعتبر أنه المصلح الذى يمكن تطوير اليمن على يديه .



الرئيس السادات بين زوجته السيدة جيهان وابنته لبنى (التقط المؤلف الصورة فى مطعم الفندق فى بادناوهايم أثناء اختيار السادات لرحلة اليوم على الخريطة (أغسطس ١٩٦١) .

شرحت للسادات ، وبإسهاب ، جذور المأساه اليمنية من أعماقها بعد أن أمضيت ، حتى ذلك الوقت ، أكثر من عشر سنوات أدرس أحوال اليمن الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واستخلص الدروس المستفادة من الأحداث والانقلابات السابقة وحركات الإصلاح عبر تاريخ اليمن الطويل ، دون أن أتأثر بأى موقف شخصى أو أية حساسية عنصرية أو طائفية حيث ولدت فى مصر وعدت إلى اليمن وعمرى أربعة وعشرون عاما أحمل شهادة جامعية يحصل عليها لأول مرة فى تاريخ اليمن أحد أبنائها من المقيمين فيها أو المغتربين عنها .

فلم تكن عندى حساسية زيدية أو شافعية ولا قحطانية ولا هاشمية .

لقد ذهبت إلى اليمن وكل أملى أن أتشرف بالوطن الذى انتمى إليه وأحمل جنسيته . لا عيب فى أن يكون هذا الوطن فى حاجة إلى إصلاح وتطور وإنما العيب فى أن يستمر مقهورا تحت ظروفه المتخلفة يعبد أصنامه التقليدية التى تشل حركته وتعوق نهضته وتجعله أسيرا للماضى دون أن يكون له مستقبل .

رويت للسادات ما كتبه القاضى محمد محمود الزبيرى فى كتابه « خطر الإمامه على وحدة اليمن » ورويت له ما أطلعنى عليه الأستاذ محمد أحمد نعمان من إجابات بخط القاضى عبد الرحمن الاريانى والعميد عبد الله السلال والقاضى عبد السلام صبره والأستاذ على ناصر العنسى والسيد أحمد حسين المرونى والأستاذ محمد عبد الله الفسيل والأستاذ محمد أحمد السياغى .

حكيت للسادات ما قاله القاضى محمد الخالدى وما أطلعنى عليه من كتب ومجلدات ومخطوطات تحدد أسباب المأساة في اليمن . ثم اسهبت للسادات فى شرح تجربتى الخاصة مع الإمام وما سمعته منه بأذنى وهو يحتقر أبناء الشعب ، الأمر الذى أبكى القاضى محمد عبد الله العمرى وأفقدنى قدرتى على احترامى لذاتى التى فوجئت بأنها لا تساوى خردلة فى إطار النظام الإمامى وفى نظر السادة المتعصبين من الهاشميين .

نقلت إلى السادات ما اتفقت عليه مع زعيمى الأحرار الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى من حتمية التخلى عن البدر والدعوة إلى قيام ثورة جمهورية .

اقتنع السادات بهذا الرأى وأخذ يناقشنى فى الإمكانيات اليمنية المتاحة والتى يمكن تعبئتها لهذا الغرض ، فشرحت له ما وصلت إليه الروح المعنوية بين طلبة الكلية الحربية الذين أوشكوا على التخرج واستلام مواقعهم فى وحدات الجيش ، وعرضت عليه ما أبلغنى عنه الرائد صلاح المحرزى من اقتناع طلبة الكلية الحربية برفض النظام الإمامى ، وأحاديثه حول هذا الموضوع مع قائد هؤلاء الطلبة على عبد المغنى . كذلك عرضت عليه ما وصل إليه السخط العام بين الضباط والجنود ورجال القبائل لا سيما بعد أن غدر الإمام بالشيخ حسين الأحمر وابنه الشيخ حميد والشيخ عبد اللطيف بن راجح والعشرات من المشايخ .

واوضحت للسادات أن ميناء الحديدة كان على وشك أن يتم بناؤه وكذلك الطريق بين هذا الميناء وصنعاء .

ثم ناشدت السادات أن يساعدنا على تحقيق أمرين :

الأمر الأول : اقناع مصر بوجهة نظرى وهى الدعوة إلى ثورة جذرية وإقامة الجمهورية اليمنية .

الأمر الثانى : تمكينى من نشر العقيدة الجديدة التى يلتف الناس حولها .

ذلك لأنه فى اليمن حيث لا يوجد جيش منظم منضبط يفرض الإصلاح بقوة السلاح ، ولا توجد أحزاب ذات قواعد شعبية تستطيع أن تفرض الإصلاح بقوة الشعب ، فإن الإصلاح يتوقف عندئذ على نشر عقيدة جديدة تشرح للشعب أسباب تخلفه وتحدد له وسائل تخلصه من هذا التخلف . وعندما ننشر هذه العقيدة الجديدة المستخلصة من ضمير الشعب وآلامه المعبرة بصدق عن نفسيته وأحلامه ستلتف الجماهير حول هذه العقيدة ، وتقف خلف دعاتها فيبدأ التكتل الشعبى وتظهر العناصر الشعبية المقتنعة بعقيدة الإصلاح الجذرى ، خلال ذلك نستطيع أن نختار من بين هذه العناصر الشخصيات القوية والفدائية التى عندئذ يمكن أن يتم من بينها تشكيل التنظيم الثورى .

أظهر السادات اقتناعه بكل ما قلت ووعدنى خيرا عندما يعود إلى القاهرة ، وإنه سيحاول اقناع الرئيس جمال عبد الناصر بمساندة التغيير الجذرى فى اليمن بعد أن يثبت له عدم جدوى مساندة البدر . كما وعدنى بأنه سوف يسعى إلى الحصول على موافقة الرئيس جمال عبد الناصر كى يتيح لى المجال لنشر أفكارى فى إحدى المجلات المصرية مع إذاعتها من صوت العرب .



الرئيس السادات فى بادناوهايم فى رحلة مع المؤلف الذى التقط الصورة (أغسطس عام ١٩٦١) .

فى يوم الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٦٠ استقبل السادات ثلاثه من رجال الصحافة الألمانية ، ولاحظت أثناء حديثهم أن لكنتهم ليست ألمانية ولاحظ السادات أنهم يسألونه عن تفاصيل ليس من المعتاد السؤال عنها ، مثل نية الجمهورية العربية المتحدة تجاه إسرائيل بعد أن قامت الوحدة مع سوريا . وشهية الرئيس جمال عبد الناصر العسكرية بعد حصار إسرائيل بين ذراعى كسارة البندق المصرية السورية ، وموقف مصر من نظام عبد الكريم قاسم فى العراق وهل تشارك العراق الجمهورية العربية المتحدة فى موقفها من إسرائيل ؟

والأدهى من ذلك أنهم عندما استأذنوا فى الانصراف نسوا أن يأخذوا معهم حقيبة أوراق صغيرة فذكرتهم بها فأخذوها ، ولعلهم كانوا قد تعمدوا نسيانها ويعلم الله ما كان بها .

جربت الاتصال بهم بنفس أرقام التليفون التى كتبوها فى بطاقاتهم فاتضح أنها لا تمت إليهم بصلة فتوجست شرا يستهدف حياة السادات رئيس مجلس الأمة المصرى وأحد رجال عبد الناصر .

وكان من المقرر أن يسافر من مطار فرانكفورت بألمانيا الغربية إلى القاهرة يوم الخميس أول سبتمبر ١٩٦٠ حيث كانت السفارة المصرية قد أعدت ترتيبات ومراسم سفره فى ذلك اليوم فنصحته بأن يقدم موعد سفره مع كتمان ذلك بيننا .

وافق السادات وتوجهنا معاً إلى زيورخ فى سويسرا مع زوجته السيدة جيهان وإبنته لبنى وتركنا الأستاذ فوزى عبد الحافظ وحده فى الفندق فى بادناوهايم مع معظم الحقائب أمعانا فى التمويه . وفى زيورخ حجزت أربعة مقاعد على الطائرة المصرية القادمة من لندن يوم الثلاثاء ٣٠ أغسطس ١٩٦٠ بأسماء أربعة يمنيين مسافرين إلى القاهرة .

وعند وصول الطائرة إلى مطار زيورخ كان الأستاذ فوزى عبد الحافظ قد وصل من ألمانيا فأبلغت مدير مكتب شركة مصر للطيران بالأسماء الحقيقية للركاب الأربعة ، وهم السادات والسيدة حرمه وابنته لبنى والأستاذ فوزى عبد الحافظ ، وأبلغته توصية السادات بعدم قبول أى راكب جديد غير الركاب الذين كانوا مقيدين من قبل وكذلك عدم قبول أية حقائب أو طرود جديدة غير التى تم تفتيشها وتحميلها على الطائرة .

وبعد إقلاع الطائرة إلى القاهرة اتصلت تليفونيا بالسفير المصرى فى بون أخبره عن سفر السادات كى يلغى ترتيبات سفره وتوديعه فى مطار فرانكفورت .

كان الإمام قد أمر بتعين الأستاذ هاشم طالب مستشارا فى السفارة اليمنية فى بون لإبعاده عن الحديدة التى كان يقيم فيها عندما كان مديرا لمكتب البدر ، وبعد وقوع محاولة اغتيال الإمام التى قام بها الشهيد سعيد فارع الذى كان يتردد على اجتماعاتنا فى بيته .

كنت سعيدا بلقاء هاشم طالب فى ألمانيا حيث كنا نلتقى يوميا نتدبر أحوال اليمن ومصير شعبها ، وعرفت منه أن الإمام قد أرسل برقية إلى القائم بالأعمال اليمنى السيد عبد الوهاب الشامى يأمره باغلاق السفارة أو القيام بمتابعة نشاطى فى ألمانيا والعمل على وقفه وإبعادى منها ، بعد أن أبلغه سكرتير أول السفارة الأمير يحيى بن الحسين باننى قد رفضت مرة أخرى عرض الإمام بتعيني رئيسا للوفد اليمنى بمجلس الاتحاد المصرى السورى اليمنى فى القاهرة . وكان الأمير يحيى قد التقى بى قبل وصول السادات وعرض على ذلك فاعتذرت له بشكل قاطع .

ولم تكن الحكومة الألمانية تحمل أى تعاطف نحو الحكومة اليمنية ، لا سيما بعد أن أصدر الإمام أحمد مرسوما بتعيين أخيه الأمير سيف الإسلام عبد الرحمن وكيلا لوزارة الخارجية . بعد أن طردته الحكومة الألمانية من أراضيها لتكرار قيادة سيارته وهو فى ذروة السكر ، ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره .

وكان الأمير السابق قد وصل إلى ألمانيا للدراسة عندما كنت سفيرا لديها ، وكان معه خمسين ألف جنيها استرلينيا كهدية أخذها من الملك سعود أثناء مروره بالمملكة العربية السعودية فى طريقه للدراسة فى ألمانيا .

ولكنه كان عزوفا عن الدراسة ، شغوفا بالرحلات الخاصة التى أراد أن أصاحبه فيها فاعتذرت له ، ورشحت لمصاحبته حسن مكى[1] الطالب اليمنى الذى كان يدرس فى إيطاليا ، فرافقه عدة أشهر أنفق الأمير خلالها كل ما لديه ، ولم يبق معه سوى سيارته والاعتماد على مرتبه كطالب يمنى رغم عدم التحاقه بأية مدرسة فى ألمانيا حتى طردته الحكومة الألمانية من أراضيها حرصا على سلامة مواطنيها فعينه الإمام وكيلا لوزارة الخارجية .

---

(١) رئيس وزراء اليمن فى وقت لاحق بعد الثورة .

رفضت وزارة الخارجية ابعادى عن أراضيها رغم الحاح السيد عبد الوهاب الشامى ، وبدلا من ذلك نصحنى قائد الشرطة الألمانية بأن اشترى سلاحا (مسدسا) ووعد بمنحى تصريحا رسميا بذلك اشتريت المسدس وحصلت على ذلك التصريح يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٦٠ . (الوثيقة رقم ٩) .

وأخذت اتصل بالصحافة الألمانية ووكالات الأنباء العالمية لتزويدها بأخبار اليمن الحقيقية وتسابقت الصحافة العالمية على نشر هذه الأخبار المفرطة فى غرابتها التى فاقت ظلمات القرون الوسطى ، مما جعلها الحديث المشوق فى محطات الإذاعة وانتشرت هذه الأخبار بين السفارات العربية والأجنبية .

فى شهر نوفمبر ١٩٦٠ كانت العلاقات المصرية العراقية قد بلغت ذروة الصراع فقرر الإمام أن يتبادل السفارات مع العراق للضغط على مصر التى بدأت تسمح بنوع من نشاط الأحرار اليمنيين المقيمين فيها ، ولعل سفارته فى بون قد فسرت للإمام مدلول إقامتى مع السادات فى جنوب ألمانيا طوال شهر أغسطس ١٩٦٠ ونشاطى الإعلامى الذى أعقب ذلك مباشرة .

عندما انتشرت أحاديثى عن اليمن جاءنى الدكتور كندرمان وهو صديق ألمانى من كبار رجال السياسة ، وقدم الىّ دعوه من هيئة العلاقات الخارجية الألمانية لزيارة مدينة دورتموند العاصمة الصناعية لألمانيا الغربية وإلقاء محاضره فى قاعة هنزلر هاوس . قبلت الدعوة وقامت الهيئة المذكورة بدعوة نحو ثمانمائة من رجال الدولة ورجال الأعمال وممثلى الدول العربية والأجنبية والصحافة الألمانية ووكالات الأنباء العالمية .

كان موضوع المحاضره « ماذا يجرى فى اليمن » وتحدد موعدها يوم الأربعاء ٧ ديسمبر ١٩٦٠ .

علم بذلك صديقى الاستاذ هاشم طالب مستشار السفارة اليمنية فى ألمانيا فأصر على أن يذهب معى ليشترك فى هذه المناسبة الثورية التى تشرح للعالم مأساة اليمن لأول مره فى تاريخها القديم والحديث ، كما أصر على أن يجلس فى الصف الأول بين المدعوين المستمعين مضحيا بوظيفته فى سبيل أن يقف بجانبى يشد من أزرى ليعلن على الملأ أن كل ما أنطق به هو الحق المطلق الذى يصف مأساة الشعب ، ويعبر عن أوجاعه وعزمه على التخلص من هذه المأساة

صباح ذلك اليوم توجهت إلى مدينة دورتموند وهى تبعد عن بون مسافة تقطعها السياره فى ثلاث ساعات ، وكان معى فى السيارة الدكتور كندرمان والاستاذ هاشم طالب والعقيد عمرو هريدى الملحق العسكرى المصرى فى ألمانيا ، وعندما وصلنا دورتموند وجدنا فى انتظارنا سيارتين من سيارات الشرطة وعددا من راكبى الدراجات البخارية ، ووصلنا على هذا النحو إلى الفندق حيث كان فى انتظارنا محافظ المدينة الذى ذهب معنا لزيارة بعض المصانع الكبرى .

وفى تمام الساعة الثامنة اتجهنا جميعا إلى قاعة هنزلر هاوس التى امتلأت بالمدعوين وغيرهم من الذين قرأوا بيان السفارة اليمنية فى اليوم السابق على إلقاء المحاضرة والذى

قالت فيه السفارة أن عبد الرحمن البيضانى الذى كان وزيرا لليمن فى ألمانيا الغربية لا يزال سجينا فى اليمن ، ولعل ذلك ، جعل محافظ المدينة ينصحنى بأن أضع حول رقبتى وسام الاستحقاق الأعظم الذى كان رئيس الجمهورية الألمانية قد منحنى إياه .

وكان من بين من جلسوا فى الصف الأول محافظ المدينة والأستاذ هاشم طالب والملحق العسكرى المصرى والملحق الصحفى الروسى ومستشار السفارة الأمريكية والوزير المفوض البريطانى .

وقف رئيس هيئة العلاقات الخارجية الألمانية يقدمنى للمدعوين قائلا « إننى لا أقدم للحديث وزيرا يمنيا سبق أن مثل حكومته عندنا ، وإنما أقدم إليكم ضميرا وطنيا يمثل شعبه » ثم وقف الدكتور كندرمان وتحدث عن ضرورة التضامن العالمى لمساعدة الشعوب المتطلعة إلى النهضة والحياة الكريمة ، كما تحدث عما كان يسمعه منى خلال السنوات الست الماضية عن حتمية الاصلاح فى اليمن والذى عندما عجزت عن تحقيقه عن طريق الإمام قررت أن أسعى إلى تحقيقه عن طريق الشعب » .

بعد ذلك وقفت القى محاضرتى التى استغرق القاؤها ثلاث ساعات ونشرها الاتحاد اليمنى فيما بعد فى كتاب بعنوان « الاعيب متوكليه » وكان من بين فقراتها أن :

(اليمن صاحبة ماض مجيد وحضارة من أعظم الحضارات التى يمكن أن يذكرها الانسان . وقد ذكر القرآن مجدها الخالد ، ولكن اليمن اليوم .. يمن أخرى يفنى فيها الشعب جوعا بالرغم من موارد البلد الطبيعية الغنية وانه إذا بدأ من أمة من الأمم سلوكان متعارضان فى مراحل مختلفة من مراحل تاريخها ستجدون تفسير ذلك فى صميم تاريخها وبيئتها . وإذا تعرضت أمة من الأمم لصعاب قاسية فوجدت فى ذلك يأسا وتدهورا ، أو استمدت منه قوة وتشجيعا وأملا فى اجتياز هذه الصعاب ، فإن ذلك يرجع إلى تكوين هذه الأمة العضوى وبنائها الاجتماعى ليس فقط فى وقت المأساة بل منذ عدد من القرون عندما بدأت تقاليدها تتكون .

وهذا يرجع بنا فى اليمن إلى أثنى عشر قرنا خلت عندما أدعى أفراد من نسل النبى محمد اقتصار الإمامة عليهم حتى يصبحوا ملوكا باسم الدين .

هذه الدعوة لم تقبلها أغلبية المسلمين فى ذلك الوقت فقتل كثير من هؤلاء واسيئت معاملة بقيتهم حتى لجأ بعضهم إلى اليمن حيث وجد ترحيبا واستقبالا قلبيا ، فاستوطن هؤلاء اليمن وعملوا تدريجيا على تحويل هذا الترحيب إلى نفوذ سياسى حتى احتكروا الحكم وأغلقوا الطبقة الحاكمة على أنفسهم وحدهم وباسم الدين .

لقد كان الأئمة الذين تعاقبوا على حكم اليمن يعلمون أن مثل هذا الشرط ماهو إلا شرط دخيل غريب على الإسلام وعلى منطق الدين وكانوا يتوقعون أنه سيأتى

اليوم الذى يلفظ فيه الشعب اليمنى هذا الشرط الدخيل فعملوا بكافة السبل على إعاقة نمو الوعى القومى والرأى العام فى البلاد .

لقد دأبوا على تسليم الوظائف الحساسة لأبناء هذه الأسرة ومن يتبعهم من العلويين بثقة عمياء .. لقد احتقروا التعليم ومسخوه بل وحرموه بسبب خطورته الكبرى على سلطانهم .. لقد حولوا الدين إلى حزبية ووقفوا فوق التفرقة الطبقية ، ونشروا الكراهية والبغضاء والخلافات بين الطوائف الدينية ، نهبوا الرعايا ، وأقاموا العراقيل أمام الكفاءات ، شجعوا البطالة والعقم واحتقروا العبقرية مفضلين عليها النسب . من ذلك التاريخ بدأ تدهور اليمن) .

وختمت محاضرتى قائلا :

(إن الكثيرين من أتباع المذهب الزيدى الذى ابتكر هذا الشرط الغريب على الدين وهو حصر الإمامة فى الأسرة الهاشمية قد أصبحوا يرحبون بالتغيير الجذرى من أجل تطور البلاد ونهضتها لأنهم قد أصبحوا هم أيضا ضحايا هذا الوضع الاجتماعى الفاسد فى اليمن .

لذلك فإننى أنادى بالثورة الجذرية ..

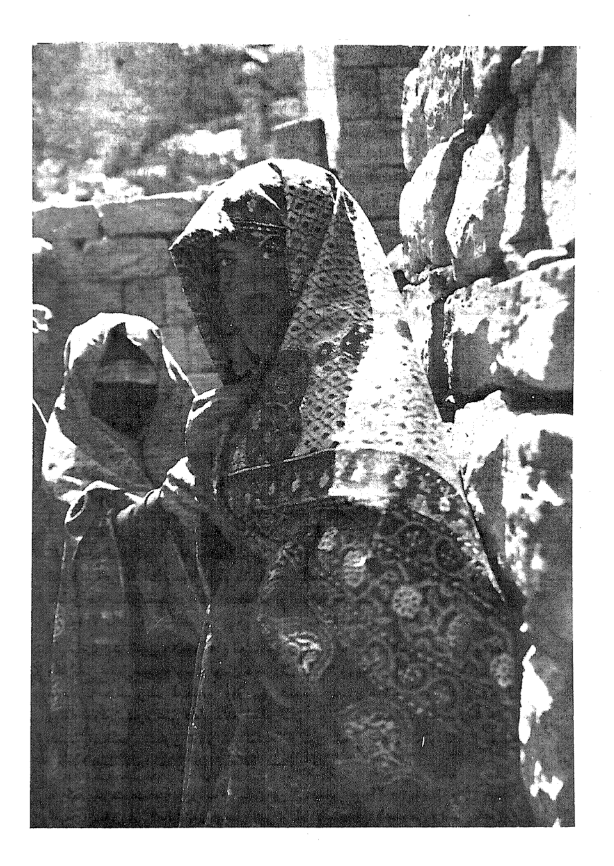
أما إذا كان هناك من يعتقد فى اليمن أن الموت خير من الحياة وأن الأفضل ألا يولد فإنه لن يهمه أن يستمع إلى ندائى ولا إلى دعوة أى مصلح) .

كان جميع الحاضرين يصغون إلى هذه الكلمات وهم يستنكرون أن يكون ذلك هو حال شعب اليمن فى القرن العشرين وبعد أن ملأت أمجاده كل صفحات التاريخ بجميع اللغات الحية والميتة .

ولا شك فى أن وجود الأستاذ هاشم طالب مستشار السفارة الرسمى فى ألمانيا الغربية كان له أعظم الأثر فى نفوس الحاضرين ، فقد كان يصفق بكل قوته مع سائر المصفقين للثورة ، الذين أقنعهم وجود هاشم طالب معى بأنه لا تزال فعلا فى هذه الدنيا ، شعوب تصدق من يتاجر بالجنة ويستغل صلة القربى بالرسول ويقتل الشعب باسم الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أذاع راديو لندن خلاصة هذه المحاضرة ونشرت الصحف الألمانيه مقتطفات منها ، وكان من بينها صحيفة وست دوتش تاجه بلات فى ٩ ديسمبر ١٩٦٠ حيث جاء من بين ما نشرته « لقد رسم المحاضر وهو يثير العواطف صورة مؤثرةومنذرة بالخطر لأحوال وطنه . وألقى اللوم على فساد نظام الحكم الذى أخر البلاد . فالمملكة يحكمها منذ قرون عديدة أشخاص يدعون أنهم من سلالة الرسول محمد وهذه الحكومات لا تسمح بالاصلاحات لأنها تخشى على سلطانها السياسى » .

كما نشرت صحيفة رور ساخريشتن فى ٩ ديسمبر ١٩٦٠ ما جاء فيه « إن خطاب السفير السابق فى ألمانيا الذى حصل على وسام الاستحقاق الأعظم من رئيس جمهورية ألمانيا قد أثر فى نفوس المستمعين ومشاعرهم حيث نقلهم إلى قلب المأساة بصوته الحزين الباكى » .





تحدد لمناقشة رسالة الدكتوراه يوم ٢٨ فبراير ١٩٦١ فاستحسنت أن أمضى فترة الانتظار في مصر تخفيفا على الشرطة الألمانية التى أحاطتنى بعنايتها بعد رعاية الله سبحانه وتعالى فوصلت إلى القاهرة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٠ والتقيت بالأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى ورويت لهما أخبار المحاضرة وسلمت إليهما ترجمتها باللغة العربية . وقد أبديا استحسانهما لكل ما جاء فيها وقالا إنها تمثل وجهات نظرهما تمثيلا دقيقا محكما فقررا نشرها فى كتاب من كتب الاتحاد اليمنى باسم « ألاعيب متوكلية » وكتب الأستاذ أحمد محمد نعمان مقدمة لهذا الكتاب الذى صدر يوم الأحد ١٥ يناير ١٩٦١ .

وكان من بين ما كتبه الاستاذ نعمان فى مقدمته مايلى :

(إن الأستاذ عبد الرحمن البيضانى وزير اليمن المفوض فى ألمانيا الغربية ثم فى السودان فالمستشار الاقتصادى للدولة والذى نقدمه اليوم للأحرار جميعا أعاد إلى ذاكرتى ما كان قد ابتلى به من التفاؤل وحسن الظن بمن تفاؤلنا بهم من قبله ، وأحسنا بهم الظن ، بل ورفعناهم إلى السماء ، وجعلناهم وسيلتنا إلى الله ، ودعونا لهم بالهداية والتوفيق فى السر والعلن .)

(ومن غريب الصدفة أن يعلن الأستاذ البيضانى صيحة الحرية عالية مدوية فى ألمانيا الغربية ، وينطلق فى فضاء الله الرحب حرا طليقا .. فى نفس الوقت الذى يقع صالح محسن شرف الدين السكرتير الخاص لجلالة الإمام ، والخادم اللصيق به الذى قضى عمره كله فى خدمته يقع فى السجن ، ويشاع خبر إعدامه .)

(لقد كان الأستاذ البيضانى أشد حذرا ويقظة ، وكان أذكى من أن يستبد به التفاؤل بعد اصطبغت أرض بلاده بدم الشباب الثائر حميد بن حسين الأحمر ووالده الشيخ حسين بن ناصر الأحمر وزميلهم البطل الشيخ عبد اللطيف بن راجح) .

(وأننى لأذكر جيدا بالغ تفاؤلى عام ١٩٥٥ وقد وقع الإمام في الحصار ، وأنقذته الصدفة من الموت المحقق .. أريد أن أقول الصدفة ولن أقول البلاهة والغفلة والجهل ، أو التفاؤل ممن حاصروه وأمطروا قصره بوابل من الرصاص .)

(لقد قال لى الإمام إنه لا يوجد ما يقابل به نعمة الله عليه بعد أن أنقذه هذه المرة ، وأفرج عنه إلا أن يهب بقية حياته وكل ما يملك لإسعاد اليمن) .

(وفى هذه الفترة نفسها التقيت بالأستاذ عبد الرحمن البيضانى وتعرفت عليه لأول مرة ووجدته أشد منى حماسا وأكثر تفاؤلا وعنده عدة مشاريع اقتصادية بحكم اختصاصه ودراساته ، وقد شجعه على تقديم مقترحاته ما أعلنه الإمام صراحة من عزمه على تغيير الوضع فى اليمن وأنه لم يبق أمامه سبيل غير الإصلاح الشامل) .
(ولكن لسوء حظ هذه المشاريع والمقترحات والنصائح والتفاؤل انها اقترنت بقدوم شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن) .

(وانتهت بنهايته كل المشاريع وتبددت الاحلام وتوعد بسيفه كل من يحاول تعكير صفو الحياة الحاضرة أو يدعو للتغير . أو يفكر بأى تفكير غير عبادة الله والصلاة والصيام وطاعة الإمام طاعة عمياء . وكان فى مجلسه ولى عهده ووجوه دولته وأنا من الشاهدين ، وقد أعلنت توبتى من الدنيا ومتاعها وزخرفها وتضامنت ولزمت الصمت إلى يوم أسعدنى القدر بالخروج فى قصة طويلة .)

(أما أخى الأستاذ البيضانى فقد استبد به التفاؤل بالرغم من مصارع الأولين ولعل حبه لبلاده ضاعف من تفاؤله . ومضى فى التفاؤل بالرغم من مصارع الأولين إلى أن أعلن صيحته المدوية ورمى المنصب الرفيع ، والمرتب الضخم ليعيش فى صفوف إخوانه الأحرار حتى تنتصر قضية الشعب التى لابد أن تنتصر ولو كره الظالمون) . أحمد محمد نعمان . (الوثيقة رقم ١٠) .

استمع أنور السادات إلى شريط تسجيل المحاضرة وقرأ تعليقات الصحف الألمانية وكان قد وصله تقرير صحفى من الجهات المسئولة عن ردود الفعل الدولية لهذه المحاضرة السياسية التى دعت إلى الثورة على نظام الإمامة فى اليمن ، كذلك قرأ السادات المقدمة التى كتبها أحمد محمد نعمان فى كتاب « ألاعيب متوكلية » .

وقال السادات أن هذا التصرف العلنى من جانب الاستاذ نعمان والقاضى الزبيرى سوف يقطع عليهما خط الرجعة إذا ما عدلا عن هذا الموقف وعادا إلى موقفهما الأول وهو تزكية البدر . ففهمت صراحة أنهما كانا ، حتى تلك اللحظة ، على صلة بالبدر وكانا ينتظران منه خيرا عندما يموت الإمام .

حمدت الله الذى هدانا جميعا إلى الاتفاق على إسقاط الحكم الإمامى الهاشمى والتخلى عن كل مرشح للإمامة ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ورجوت أن يكون ذلك الاتفاق عنصرا مساعدا للسادات كى يقنع الرئيس جمال عبد الناصر هو الأخر بالتخلى عن البدر فيفسح لنا مجال الدعوة إلى الثورة من قلب القاهرة .

ووصل إلى القاهرة (العقيد) حسن العمرى مدير اللاسلكى اليمنى قادما من ليبيا وكان يرأس وفد اليمن فى مؤتمر وزراء المواصلات العرب ، وما أن وصل إلى القاهرة حتى زارنى فى بيتى بصفة سرية وكان متحمسا لدعوتى إلى الثورة وخلع نظام الإمامة فى اليمن وإعلان الجمهورية ومؤيدا كل ما جاء فى محاضرتى فى ألمانيا وطلب عدة نسخ من كتاب « ألاعيب متوكلية » وأخبرنى بأنه التقى بالأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى فى حديقة الأندلس ، وقال أن الزبيرى أخذه إلى الأسكندرية حيث قابل السفير المصرى فى صنعاء الأستاذ على الدسوقى الذى كان يمضى أجازته هناك ، وكان غرض العقيد حسن العمرى من زيارته للدسوقى إقناعه بالتخلى عن البدر .

ثم اتفقنا على أن نتبادل الرسائل السرية بكلمات رمزية اتفقنا عليها وسافر إلى اليمن بعد أن هيأت له زيارة سرية للسادات أكد له فيها تأييده لدعوتى إلى خلع النظام الإمامى . (الوثيقة رقم ١)

عدت إلى ألمانيا فى ٢١ يناير ١٩٦١ حيث التقيت بالاستاذ هاشم طالب الذى أبلغنى بأن الإمام قد عزله من وظيفته فى السفارة وأنه سوف يستقر فى القاهرة وينضم علنا للإحرار والاتحاد اليمنى .

بدأت تصلنى رسائل من الأحرار فى اليمن وعدن والمهاجر اليمنية يؤيدون فيها دعوتى إلى الثورة كما ورد فى كتاب « الاعيب متوكليه » الذى انتشر بشكل واسع بين اليمنيين وأصبح صلب حديثهم ومحور مناقشاتهم . وأخذت راية الثورة الجذرية ترتفع فى اليمن ، وقلوب الأحرار تتأهب لساعة الخلاص من الحكم الإمامى الفاسد وقيام الجمهورية اليمنية .

فى ٢٨ فبراير ١٩٦١ أديت الامتحان الخاص بشهادة الدكتوراة فى كلية الاقتصاد بجامعة بون ووفقنى الله وحصلت عليها مع درجة الشرف وأسرعت بعودتى إلى القاهرة (الوثيقة رقم ١١) .

كان السخط على نظام الحكم الإمامى قد بلغ ذروته فى اليمن وكاد كل وطنى من أبناءالشعب يفتك بالإمام وليكن بعد ذلك ما يكون . غير أنه حتى تلك اللحظة لم تكن هناك خطة للثورة ولا برنامج لعمل ما بعد الثورة ولا دراسة للاحتمالات المختلفة والمضاعفات المتوقعة .

كان فى اليمن مجرد سخط شامل ومنتشر بين أبناء اليمن ، لكنه لم يكن سخطا منظما .

كان فى اليمن سباق إلى الفداء والتضحية ، ولكنه لم يكن فداء مرتبطا بهدف وطنى محدد ، ولا تضحية مؤدية إلى ثورة جذرية .

والسخط غير المنظم كالبخار غير المنظم . كلاهما لا يولد طاقة .

والذى اكتشف الطاقة البخارية لم يخترع البخار وإنما أدخله فى إطار محكم ثم نظم أسلوب خروجه من هذا الإطار فنتجت طاقته بعد أن تم إحكامه وتنظيمه .

إذن :

كان لا بد من العمل على إشعال المزيد من السخط وتركيزه فى عقيدة ثورية تنبثق من ضمير ووجدان أبناء اليمن ثم تنظيم هذا السخط من أجل تحويله إلى طاقة ثورية مؤثرة .

٦

في يوم الأحد ٢٦ مارس ١٩٦١ أذاعت وكالات الأنباء أن محاولة لاغتيال الإمام قد وقعت مساء ذلك اليوم .

كان الإمام قد تعرض لمحاولة اغتيال سابقة عن طريق الاصطدام مع سيارته ولم يسفر ذلك إلا عن اصابة سائق الإمام وقائد حرسه على مانع الذى نقلوه إلى مستشفى الحديدة ، فاتفق ثلاثة من الثوار اليمنيين هم الضباط عبد الله اللقيه ومحمد صالح العلفى (ضابط المستشفى) ومحسن الهندوانه على قتل الإمام فى أول فرصة عندما يصل الإمام إلى المستشفى لزيارة قائد حرسه الذى كان بين الحياة والموت .

لاحت تلك الفرصة عندما اتصل الإمام تليفونيا فى ذلك اليوم بمدير المستشفى السيد حسين المقدمى وأخبره بأنه سيزور المستشفى بعد صلاة العشاء فى نفس اليوم .

وعندما وصل رجال حرس الإمام إلى مدخل المستشفى قابلهم ضابط المستشفى محمد العلفى ومنعهم من الدخول خشية إزعاج المرضى ، وأفهم أن تلك أوامر الإمام الذى كان قد وصل فعلا داخل المستشفى .

أحكم الضابط محمد صالح العلفى إغلاق الباب الخارجى للمستشفى ، ثم اتجه الضباط الثوار الثلاثة إلى الإمام الذى كان قد دخل إلى جوار غرفة التبريد وأطفأوا أنوار المستشفى وقال العلفى للإمام (هذا الفرس وهذا الميدان ياعدو الشعب) .

وكان العلفى يستخدم بذلك نفس ألفاظ الإمام الذى هدد بها الشعب عندما عاد من روما . وما إن أنتهى العلفى من إسماع هذه العبارة للإمام حتى انهال بالرصاص على رأس الإمام وصدره وسائر جسده فسقط على بحر من دمائه لا ينطق بكلمة ، ولا يتحرك بنفس ، فظن الثوار أنهم قد أجهزوا عليه وقتلوه وعندئذ داس العلفى بنعله رأس الإمام الذى لم يتحرك . خرج الثوار الثلاثة من المستشفى وقد أشفوا غليلهم بقتل الإمام وليكن بعد ذلك ما يكون .

لكن الإمام الذى أصيب بسيل من الرصاص فى معظم أنحاء جسده وتدفق دمه حتى غطى أرض الغرفة كان يتظاهر للثوار بإنه قد مات ، فخدعهم بضبط نفسه وعدم تحركه وكتمان أنينه حتى تركوه . وعندما دخل حرس الإمام ورجاله إلى المستشفى تحرك الإمام وسط بركة من دمائه ، فأسرع الأطباء إلى معالجته ، كما أسرع الضابط محمد صالح العلفى إلى الانتحار وتم القبض على الضابطين الأخرين عبد الله اللقيه ومحسن الهندوانه .

وعندما أطمأن البدر على حياة والده وصل من روما بعد ثلاثة أيام وطلب أطباء من أيطاليا وروسيا وألمانيا الغربية ، وكان أطباء الحديدة قد أسعفوا الإمام ونقلوا إليه الدم الذى أحضروه من عدن . وقرر الأطباء نقل الإمام إلى تعز وهو فى حالة خطرة لا تسمح باستخراج الرصاص من جسده .

ألقى البدر القبض على الكثيرين من الشباب وفى مقدمتهم مدير المستشفى السيد حسين المقدمى ومدير الجوازات الاستاذ محمد رفعت وهما من الزملاء الأحرار الذين كانوا يحضرون الجلسات التى كنت اشترك فيها فى بيت الاستاذ هاشم طالب فى الحديدة .

فى ٨ مايو ١٩٦١ أى بعد حوالى أربعين يوما من محاولة اغتيال الإمام استطاع أن ينطق بصعوبة فوجه خطابا بصوت ضعيف إلى الشعب أذاعه من إذاعة صنعاء حتى يثبت أنه لا يزال على قيد الحياة جاء فيه :

(شعبى العزيز . كم أذاع المذيعون وكم نشر الناشرون وكم كذب الكاذبون وكم نمق المنافقون ، وقالوا وزعموا أن الإمام أحمد يحكم شعب اليمن بالقسوة والحديد والنار .

لقد أردت بهذه الكلمة أن اسمعكم صوتى الذى تعرفونه لما قد روجه أعداء الله من أن الإمام قد قتل أو أنه قد مات أو نحو هذا ، فكونوا على بصيرة من الأمر فإنى بحمد الله فى خير وعافية وبقى شىء من أثر الجراح التى احتسبها عند الله سبحانه وتعالى سيزول فى بضعة أيام ولا نية فى الخروج إلى الخارج للتداوى .

وكان لى مطمع فى أن أزيد من القول ولكنى اكتفيت بهذا الآن . المراد إعلامكم بالحقيقة وأنى فى خير وأن لا تصدقوا أعداء الدين الذين يكذبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

وكان الأمر قد صدر بتشكيل هيئة لمحاكمة الضابطين الثائرين عبد الله اللقيه ومحسن الهندوانه برئاسة السيد عبد الله عبد الكريم رئيس ديوان الإمام وزوج ابنة الإمام ، وعضوية السيد أحمد زبارة رئيس الهيئة الشرعية وزوج ابنة الأمام ، والسيد يحيى عبد القادر نائب الإمام فى الحديدة ، والسيد يحيى الكبس عضو الهيئة الشرعية ، والسيد على بن إبراهيم أمير الجيش ، والقاضى محسن المحبشى حاكم الحديدة ، والعميد عبد الله السلال مدير ميناء الحديدة . وتولى مهمة المدعى العام السيد أحمد الشامى وزير اليمن فى لندن . ثم أصدرت هذه الهيئة الحكم بإعدامهما الذى تم تنفيذه على النحو الذى سيأتى ذكره فيما بعد .

كان الأحرار اليمنيون المقيمون فى القاهرة مختلفين فيما بينهم بالرغم من أنهم جميعا يسعون إلى إسقاط حكم الإمام أحمد ، فبذلت كل ما فى وسعى حتى أصلحت بين زعيمى الأحرار الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى ، وإن كنت قد فشلت فى التوفيق بين الأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محسن العينى .

انتهت مناقشات الأحرار في القاهرة إلى إعادة تشكيل الاتحاد اليمني باستثناء الاستاذ محسن العيني الذي صمم على عدم عضوية الاتحاد متمنيا له كل التوفيق .

وفي مايو ١٩٦١ تم انتخاب مجلس إدارة الاتحاد من الأستاذ أحمد محمد نعمان رئيسا ، وانتخابي نائبا للرئيس للشئون السياسية ، والقاضي محمد محمود الزبيري نائبا للرئيس للشئون الداخلية والمهاجرين ، والاستاذ أحمد المعلمي مديرا تنفيذيا لمكتب الاتحاد بالقاهرة ، والأستاذ محمد علي الأكوع أمينا للشئون المالية ، والأستاذ هاشم طالب مسئولا عن شئون الطلبة ، والأستاذ حسن السحولي سكرتيرا للمجلس ، والأستاذ محمد أحمد نعمان سكرتيرا لشئون الإعلام وجنوب اليمن .

وبدأ الاتحاد في تنظيمه الجديد يتولى مهمة نشر الدعوة إلى الثورة الجذرية . وأخذ يتصل بالسلطات المصرية وممثلي الدول العربية يشرح أحوال الشعب اليمني وحتمية التغيير في اليمن ، وكان الاتحاد يضبط نشاطه بالقدر الذي لا يقلق سلطات الأمن في القاهرة حيث كان جمال عبد الناصر لا يزال محتفظا بالحد الأدنى من علاقة الاتحاد مع إمام اليمن .

عندما اهتدى الأحرار إلى عقيدة الثورة الجذرية وأمكن التوفيق بين زعماء الاتحاد اليمني الأولين ، وبعد إعادة تنظيمه بما يحقق تجميع طاقات الأحرار كي تتجه جميع الجهود المخلصة نحو إيقاظ الشعب اليمني حتى يلتف حول قيادة الثورة التي ، وبعد أن بدأنا نعمل من أجل قيامها بخلع جذور المأساة اليمنية من جذورها ، إذا بي أشعر بتيارات خفية تستهدف هدم ما تم ترميمه في بناء الاتحاد اليمني .

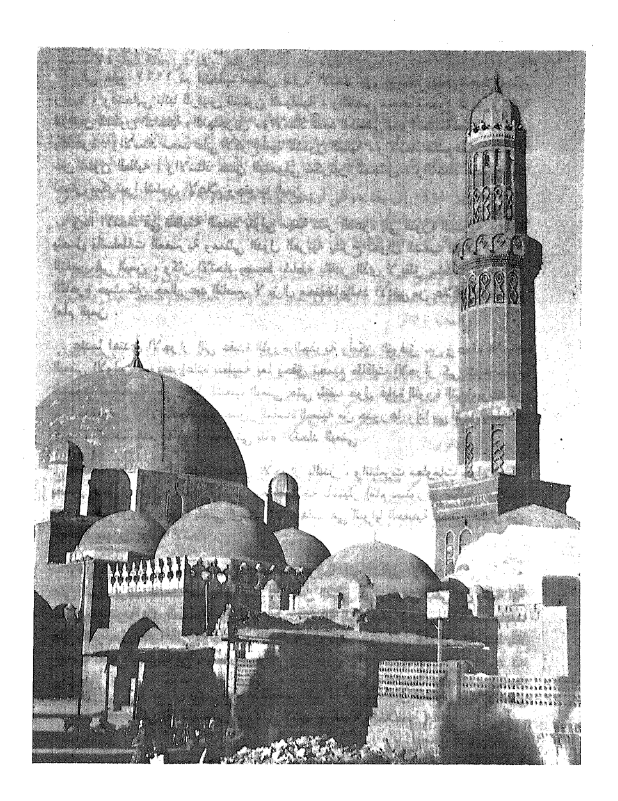
انطلقت أخبار حول اتصال بعض الأحرار بالبدر ، وانتشرت معلومات حول تمسك بعض الأحرار بنظام الحكم الإمامي مع إصلاحه باختيار إمام دستوري صالح . وكانت دهشتي في ذروتها عندما بلغني أن هذه الاتجاهات هي النوايا الحقيقية لبعض الكبار من أعضاء مجلس إدارة الاتحاد .

وفي عدن نشرت إحدى الصحف هجوما صريحا على تشكيل الاتحاد اليمني وقدرته على تمثيل إرادة الشعب مما دفع الأستاذ محسن العيني إلى زيارتي لينفي عن نفسه أية صلة بما نشرته تلك الصحيفة ، وكتب أمامي رسالة إلى رئيس تحريرها الأستاذ محمد علي باشراحيل تعقيبا على ما جاء في ذلك المقال ثم كتب صورة من هذه الرسالة بخط يده ووقعها أمامي وسلمها لي ، وجاء فيها :

(أرجو أن يكون معلوما للجميع أنني لا أكن للصديق الدكتور عبد الرحمن البيضاني إلا كل تقدير ، وأنني لأشيد بوطنيته وإخلاصه) .

محسن العيني

١٩٦١/٦/١٣ (الوثيقة رقم ١٢)



هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ
وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

قرآن كريم

الصيحة الكبرى

الفصل السادس

١

أحزننى أشد الحزن ما علمته من أن بعض الكبار من أعضاء الاتحاد اليمنى قد عقدوا فعلا اتفاقا مع البدر على تجميد نشاط الاتحاد اليمنى فى القاهرة مع تصفية فرعه فى عدن الذى كان يرأسه الأستاذ محمد على الأسودى .

وكنت قد سلمت الأستاذ أحمد محمد نعمان نص التقرير الاقتصادى الذى قدمته إلى الإمام قبل هروبى منها ونسخة من مجلة الطليعة التى نشرت حديثى عندما كنت لا أزال فى الحديدة ، وسألت الأستاذ أحمد محمد نعمان عن موعد نشر التقرير الاقتصادى والحديث الصحفى فى كتاب باسم الاتحاد اليمنى بعنوان (إقتصاد اليمن) الذى كان الاستاذ نعمان قد كتب فعلا مقدمته كما سبق أن كتب مقدمة كتابى « الاعيب متوكليه » الذى تضمن المحاضرة التى ألقيتها فى ألمانيا الغربية .

وجدت لهجة الأستاذ نعمان قد تغيرت وحماسه قد تبدل ، وقال أن القضية اليمنية راكدة وأن ركودها يستدعى أن يتريث الأحرار .

عجبت من أمر ذلك الموقف الذى نزل كسيف الإمام على رقبتى وهزنى من كل أعماقى .

كيف ركدت قضية الشعب اليمنى ولم يمض على مجازفة الضباط الثوار الثلاثة ، اللقيه والعلفى والهندوانه أكثر من ثلاثة أشهر . وقد انتحر العلفى ، ولا يزال اللقيه والهندوانه يصارعان كل أنواع التعذيب مقيدين بالأغلال ، تقطع سيوف الإمام لحومهم عسى أن يقول أحدهم ما يرضى البدر فلم ينطق أحدهم إلا بما يرضى الله والوطن والتاريخ .

كتمت حسرتى بين ضلوعى وحرصت على مظهر الاتحاد اليمنى المعارض لنظام الحكم فى اليمن ، عسى أن يهدينا الله إلى إصلاح جوهره .

صبرت شهرا ونصف ، وبعد أن ذاعت الأخبار عن صلة البدر بالاتحاد اليمنى مارست حقى كنائب لرئيس مجلس إدارته للشئون السياسية واستعدت نصوص كتاب « اقتصاد اليمن » من الأستاذ أحمد محمد نعمان وأصدرته باسم الاتحاد اليمنى فى أغسطس ١٩٦١ وكتبت فى مقدمته ما يلى :

أيها الأحرار

منذ بضعة أشهر حثنى زميلى وصديقى الأستاذ أحمد نعمان على إصدار كتيب باسم الاتحاد اليمنى يعالج مشاكل اليمن الإقتصادية .. ثم مرت الشهور والصديق نعمان يتراجع رويدا رويدا حتى أعلن صراحة وبحضور بعض زملائى من أعضاء مجلس قيادة الاتحاد اليمنى أنه لا يوافق على نشر أى شيء في الوقت الحاضر لأن الركود الحالى للقضية اليمنية يستدعى صمت الأحرار ..

أيها الأحرار

استفدنا من دروس الكونغو أن قضية الشعب اليمنى تحتاج إلى تعريف العالم بها ، فاليمن مقبله على أحداث ستشابه إلى حد كبير إحداث الكونغو لأنه توجد تيارات عديده تتنازع فيما بينها داخل اليمن وخارجها ، ولكل تيار أنصار وأتباع ، وليس من المحتمل أن يستقر الأمر بسرعة لفئة معينة عندما ينفجر البركان) .

(فيجب على الاتحاد اليمنى أن يسعى إلى توحيد صفوف اليمنيين والقضاء على أسباب تشتت شملهم وبواعث إنصراف البعض عنه حتى تتوحد كلمة الشعب ، فيسد بذلك المنافذ أمام التيارات الأجنبية والأخرى التى لا تمثل قضية الشعب ، وبذلك تنجح قضية الإصلاح بأقل خسائر) .

(لا يجوز أن نستغرق فى النوم بينما أحرارنا فى الداخل لا ينامون أبدا ، انهم في حاجة إلى أن نشد أزرهم ، نبرر تضحياتهم ، نشعل نار الوطنية فى قلوب أنصارهم ، حتى تتجاوب الأغلبية معهم فتنجح قضية الشعب بأقل خسارة) .

(كذلك لم أفهم أن يصمت الأحرار فى الخارج عندما تبدو أحوال الداخل هادئة ، ثم يتحركون عندما يتحرك أحرار فى الداخل) .

(لا أفهم ذلك لأننى أفهم أولا وأخير أن عمل أحرار فى كل مكان هو تحريك الأحداث وليس انتظار الأحداث) .

ولعل أكثر ما لفت نظر قراء « اقتصاد اليمن » ما نشرته فى وسط صفحة كاملة جاء فيها :

(لم يعجبنى مسعى البعض إلى مصالحة الحكومة بعد أن وضعوا أنفسهم فى مركز القيادة الشعبية) .

كانت هذه العبارة مثارا للجدل الشعبى واستنتج الأحرار فى داخل اليمن وخارجها أن زعماء الاتحاد اليمنى فى القاهرة منقسمون على أنفسهم ، وبدأت تصلنى خطابات التأييد التى تحثنى على استكمال مسيرة الدعوة إلى الثورة الجذرية وإقامة الجمهورية اليمنية ، مهما صادفت من عقبات وتلقيت من طعنات ، سواء من جانب الأعداء ، أو من جانب الأصدقاء ، الذين تزعموا الحركة الوطنية عندما كانت قاصرة على مجرد استبدال إمام بإمام .

وتنفيذا للمخطط الذى رسمه البعض من خلف ظهرى تصدع بنيان فرع الاتحاد اليمنى فى عدن ، ووصلتنى رسالة من رئيسه الاستاذ محمد على الأسودى [1] بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٦١ كان من ضمن ما جاء فيها ما يلى :

(أطلعت على كتيبكم الأول – ألاعيب متوكلية – ولا اعد الحقيقة أن قلت أنه اسم على مسمى وأنه أحسن ما ألف فى القضية ولاغرابة فى ذلك فأنت قد عرفت أكثر من غيرك دخائل أولئك الناس ، وكذا (اقتصاد اليمن) يحوى من الحقائق ما لايدركها كثير من الناس فأرسلوا حوالى الفين نسخة ، وإذا لزم الأمر بطلب أعداد أخرى سنشعركم) . (الوثيقة رقم ١٣) .

وصلتنى هذه الرسالة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وكانت سوريا قد قامت بالانقلاب على الوحدة مع مصر ، الأمر الذى يؤدى إلى إغراء الإمام بتحدى عبد الناصر ، وكان تقديرى لتأثير الانقلاب السورى على أهدافنا الثورية فى اليمن ينحصر فى أحد أمرين :

إما أن يضعف عبد الناصر فى مواجهة إمام اليمن ويتمسك أكثر بالبدر حتى لا تكون مصر معزولة عربيا بعد أن اتضح له تأييد معظم الدول العربية للانقلاب السورى . وفى هذه الحالة سيجد الأستاذ نعمان فرصته الذهبية لتطويع الاتحاد اليمنى لتأييد البدر بعد أن يتضح على الملأ وقوف مصر الصريح والمعلن والمؤيد له .

وإما أن يشتد ساعد عبد الناصر فى مواجهة الإمام وتقوى عزيمته القومية فى الساحة العربية كرد فعل قومى تلقائى للانقلاب السورى المناقض لأحلام الأمة العربية ، وعندئذ يتخلص عبد الناصر نهائيا من عقدة البدر ويفتح أبواب مصر للثورة الجذرية فى اليمن لإعادتها إلى الأسرة العربية المتحضرة .

كان واجبى الوطنى والقومى أن أعمل على ترجيح الاحتمال الثانى مع عدم إسقاط الاحتمال الأول كلية من الحساب .

ثم بلغنى فى شهر نوفمبر ١٩٦١ أن بناء ميناء الحديدة قد اكتمل والطريق من هذا الميناء إلى صنعاء قد تم ، وتخرج طلبة الكلية الحربية الثوار وتولوا مواقعهم فى وحدات الجيش .

---

(١) وزير شئون الجنوب فى وقت لاحق بعد الثورة .

للإنصاف اعترف أننى لم أقل شيئا للأستاذ نعمان ولا للقاضى الزبيرى عما كنت أعرفه وأتابعه وأعمل من أجل نضجه فى اليمن ، كما لم أقل لهما شيئا عن أحاديثى السرية مع أنور السادات التى كانت تنتظرها أذن عبد الناصر .

كنت غير مطمئن إلى اقتناع الاستاذ نعمان بالثورة الجذري ، وهو الذى يتصل ببين الحين والحين بالمسئولين بالمخابرات المصرية يروج لهم فكرة التمسك بالبدر ، وأما القاضى الزبيرى فإنه وبكل تأكيد كان قد تخلى نهائيا عن البدر ولكنه كان مترددا فى اختياره النهائى لبديله ، ولفرط طيبته وحسن ظنه كان لا يكتم سرا على أصدقائه وهم كثيرون .

فى نفس ذلك الشهر (نوفمبر ١٩٦١) بلغتنى أخبار من اليمن تشير إلى أن الإمام قد تدهورت حالته الصحية إلى حد بعيد وأنه يفكر فى استعادة ثقة مصر وزيارتها حتى يأمن جانب الساخطين فى اليمن الذين يلتمسون منها مباركة التغيير الجذرى .

صدمتنى تلك الأخبار صدمة شديده لأنها لو صحت وجاء البدر إلى القاهرة لأدى ذلك إلى تمكين الأستاذ أحمد محمد نعمان من فرصة ذهبية كى يثبت وجهة نظره التى كررها على آذان المسئولين المصريين .

ولم أتوقع من القاضى الزبيرى أن يعارض هذا الاتجاه إذا تشبث به نعمان ورجحته مصر .

لذلك ناقشت هذا الموقف بكل وضوح وصراح مع الأستاذ نعمان والقاضى الزبيرى وطرحت عليهما سؤالا محددا خلاصته أنه إذا كان لا مفر من قبول البدر إذا أيدته مصر أليس من الحكمة الوطنية والقومية أن نطلب منها مواصفات معينة تشترطها عليه من أجل حماية الأهداف الوطنية والقومية التى تبنتها وترعاها ؟

وأقنعتهما بأن نقوم نحن الثلاثة بصياغة وتوقيع خطاب إلى الرئيس جمال عبد الناصر نقترح فيه هذه المواصفات ، وفعلا أرسلنا ذلك الخطاب إلى الرئيس جمال فى ١١ نوفمبر ١٩٦١ .

وافق عليه الأستاذ نعمان لأنه اختار بنفسه صياغة بعض البنود التى اعتقد من جانبه أنها تفيد ضمنا اتفاقنا على تأييد البدر .

ووافقت عليه من جانبى لأننى اخترت بنفسى صياغة البنود الأخرى التى اعتقدت أن تفيد صراحة رفضنا للبدر .

ووافق القاضى الزبيرى عليه لأنه جمع بين ما اختاره أحمد نعمان وما اختاره عبد الرحمن البيضانى .

جاء فى خطابنا المشترك إلى الرئيس عبد الناصر أنه (المؤكد المعروف هو أن الإمام يكره الجمهورية العربية بينما يقف البدر منها موقفا عائما ، فهو يؤيدها أمام أنصارها من الوطنيين المصلحين اليمنيين ، كما يلعنها أمام أعدائها الرجعيين الفاسدين . وكما يقال أنه يتخذ هذه السياسة ليأمن جانب الرجعيين حتى يستتب له الأمر فإنه يمكن القول أيضا إنه متردد مذبذب لا يؤمن جانبه) . ثم أضفنا أن (النظام الإمامى فى اليمن يعتمد على التفرقة العنصرية ولا يقبل أية مساواة بين المواطنين ولذلك فإنه طليعة حرب على القومية العربية ومبادئها التى تستلزم المساواة بين أبناء الشعب) . (لذلك نعتقد أنه يجدر بالجمهورية ألا تمنحه صك الغفران وقبلة البركة دون مقابل ودون ضمان . أما المقابل فلا يقل عن تنفيذ مبادىء القومية العربية وأخصها إعلان المساواة بين عناصر الأمة وطوائفها والبداية الحقيقية للإصلاح الإقتصادى والاتفاق على تطوير الاتحاد القائم بما يحقق الوحدة الشاملة فى المستقبل وأما الضمان فلا يقل عن اشتراط إحاطة البدر بأشخاص أكفاء مؤمنين بالمبادىء المذكورة ليقوموا بتنفيذها) .

القاهرة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٦١

أحمد محمد نعمان محمد محمود الزبيرى عبد الرحمن البيضانى

(الوثيقة رقم ١٤)

عندما قرأ جمال عبد الناصر رسالة الاتحاد اليمنى بتوقيع الأستاذ نعمان والقاضى الزبيرى وتوقيعى بدأ يعيد النظر فى موقف مصر من البدر بعد أن وصفه نعمان الذى كان يعمل لحسابه بأنه (يعتمد على التفرقة العنصرية ولا يقبل أية مساواة بين المواطنين) وأنه لذلك (يعتبر طليعة حرب على القومية العربية ومبادئها التى تستلزم المساواة بين أبناء الشعب) .

ولا شك فى أن جمال عبد الناصر كان فى حيرة من أمره عندما وجد توقيع الأستاذ نعمان على رسالة تؤكد أن الإمام يكره مصر وأن البدر يؤيدها أحيانا أمام أنصارها ، ويلعنها دائما أمام أعدائها ، وإن وجود البدر فى معسكر القومية العربية يمثل نقطة ضعف تعرقل انطلاق ثوريتها الصريحة .

كانت هذه الرسالة بمثابة قنبلة نسفت ، كل ما كتبه الأستاذ نعمان مؤيدا للبدر ومروجا لبيعته ومدافعا عنه أمام جمال عبد الناصر ولدى المخابرات المصرية حتى ذلك التاريخ . وعندما التقيت بأنور السادات بعد أن اطلع جمال عبد الناصر على تلك الرسالة هنأنى قائلا (كسبت الجولة يا عبد الرحمن . لقد شهد لك شاهد من أهلها) ثم أوضح لى أنه يرجح أن يكون جمال عبد الناصر قد بدأ فى إعادة حساباته مع البدر وأصبح يشك فى عقلية وسلوك زعماء اليمن التقليديين ، وإنه لن يأخذ بعد ذلك بنصائحهم ، ليس بسبب توقيعهم على تلك الرسالة فحسب وإنما كنتيجة حتمية لسيل المعلومات التى أخذت تتدفق عليه من داخل اليمن تؤكد اشتعال السخط الشعبى على نظام الحكم الإمامى ، فضلا عن الرسائل العديدة التى أخذ اليمنيون يسلمونها سرا إلى السفارة المصرية فى صنعاء ينتقدون فيها إستمرار مصر فى الحفاظ على الاتحاد الوهمى والشكلى مع الإمام وحكومته ، علاوة على ضعف البدر الواضح الذى لا يحتاج إلى برهان .

تنفست الصعداء عندما أبلغنى أنور السادات ذلك لأننى كنت ، وبكل عقلانية وواقعية ، أعتقد أن إقتناع جمال عبد الناصر بالثورة الجذرية فى اليمن هو نقطة الإنطلاق والوثوب إليها ، لأنه :

أولا : يفتح لنا مجال الصحافة والإذاعة من القاهرة لإعلان الدعوة إلى الثورة فى اليمن مع نشر العقيدة التى تقنع الجماهير اليمنية بالثورة الجذرية .

ثانيا : يؤدى إلى اطمئنان الاحرار الثوار فى اليمن إلى مساعدة مصر السياسية والعسكرية عند قيام الثورة .

ولامجال للكذب أو المبالغة بادعاء القدرة اليمنية الذاتية على القيام بثورة جذرية لا تستند سياسيا وعسكريا على مصر وسيأتى شرح ذلك فى موضعه فى هذا الكتاب إنشاء الله .

ثالثا : يجعل فى مقدرنا أن نستعين بمصر ونحن نستكمل حاجة الثوار فى اليمن إلى الأسلحة والذخيرة اللازمة للقيام بالثورة .

شرح الله صدرى ويسر أمرى بما أبلغنى به السادات وجعلنى أطمئن إلى أنه سبحانه وتعالى سوف يحل عقدة من لسانى ، الذى احترق شوقا إلى صحافة القاهرة الساهرة وإذاعتها القومية الثائرة .



نصحنى السادات بأن أحافظ على علاقاتى مع زعماء الأحرار القدامى ما أمكننى الحفاظ عليها ، لأطول فترة ممكنة ، لعلهم يندمجون بمرور الوقت مع الدعوة إلى الثورة الجذرية الجمهورية ، وينسون البدر ولا يبحثون عن مرشح إمامى آخر ينتظرون منه الإصلاح على يديه . قلت أن أحدا لا ينسى دورهم الوطنى فى معارضة الإمام يحيى ثم معارضة الإمام أحمد ، وقد أفنوا زهرة شبابهم دفاعا عن حقوق الشعب ، ولعلهم قد بدأوا حياتهم نطفة فى رحم النظام الإمامى ، ثم رضعوا من ثديه الكهنوتى ، وعاشوا طفولتهم بين أحضانه المقدسة ، وتأصلت فى نفوسهم طقوسه العنصرية ، وتقاليده الطائفية ، ولذلك فإنهم لا يتصورون سقوطه ويكتفون بأن يسرحوا بخيالهم فى مجرد إصلاحه .

هكذا حاولوا .. وهكذا فشلوا .

أوضحت للسادات أن الجيل الثانى من أحرار اليمن يؤمن بالثورة الجذرية ويتطلع إلى قيام الجمهورية ، وأعدت عليه تلاوة ما جاء فى رسالة الأستاذ محمد على الأسودى رئيس الاتحاد اليمنى فى عدن الذى سعى الأستاذ نعمان إلى خلعه وتنصيب الأستاذ على محمد الأحمدى بدلا منه . وقرأت عليه رسالة أخرى كانت قد وصلتنى فى نفس ذلك اليوم من الأستاذ على محمد الأحمدى(١) مرشح الاستاذ نعمان وصفيه وكاتم سره وخليله ، ومؤرخة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦١ وحملها الىّ من عدن الزميل محمد قائد سيف جاء فيها :

(أكتب لكم أيها الأخ الكريم هذه الرسالة وأنا أحمل لكم من المشاعر أسماها ومن الود والتقدير والأعجاب ما لا أستطيع التعبير عنه ، لأننى بدأت أشعر بالثقة والأمل بمجرد إعلانكم الصريح الثورة ضد الطغيان ، وأدركت أن حركتنا قد كسبت بكم طودا من الأطواد وعملاقا من عمالقة الفكر ومخططا إقتصاديا ثوريا لا يمكن أية حركة اجتماعية اقتصادية وسياسية أن تنجح بدونه . ومع ذلك فلم أحاول إظهار اغتباطى أو الإفصاح عن مشاعرى نحوكم لأننى كنت أنانيا حقا ، أريد أن لا يشاركنى فى سرورى وارتياحى بكم أحد حتى أنتم مصدر كل ذلك بالذات .. ودائما أشرح للأخوان هنا بعدن عن كسب الحركة بوجودكم .. حتى بلغ بى الحماس فى بعض الحالات إلى القول إذا كان لى غرض فى القاهرة أى غرض فهو زيارة الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضانى .. اطلعت بمزيد من الاهتمام على كتابكم الممتاز (اقتصاد اليمن) الذى ترقبت صدوره بفارغ صبر .. إنكم بالفعل تساهمون فى تحريرنا وتحرير بلادنا باسلوب هو أسلوب العصر ..)

---

(١) عضو مجلس السيادة عند قيام الثورة

(أرجو أن تعتبروا أنفسكم جنودا مجندين لقضية عادلة لم يعرفها العالم الخارجى المعرفة الكاملة الحقيقية ، وأن تتحملوا فى سبيل ذلك كل عناء وكل عنت سواء صدر لكم من الخصوم أو من الأنصار والرفاق ، لايمكن أن يعوقكم عن تأدية رسالتكم أى عائق مهما كبر أو صغر ، بل استمروا فى العمل وواصلوا النضال وقلوبنا ومشاعرنا كلها معكم) . (الوثيقة رقم ١٥)

سلمنى الزميل محمد قائد سيف رسائل كثيرة من الأحرار اليمنيين الذين أعربوا عن تأييدهم للثورة الجذرية والدعوة إلى الجمهورية ، كما أبدوا أسفهم لما جاء فى كتابى (إقتصاد اليمن) عن موقف الذين (سعوا إلى مصالحة الحكومة بعد أن وضعوا أنفسهم فى مركز القيادة الشعبية) . ثم أطلعنى محمد قائد سيف على نشاط الأحرار فى اليمن ومن بينهم الزميل عبد الغنى مطهر[١] ، أحد التجار المقيمين فى تعز .

أوضحت للزميل محمد قائد سيف أننا لا نزال ننتظر نقطة الانطلاق الثورى وهى اقتناع جمال عبد الناصر بالتخلى عن الإتحاد مع حكومة الإمام وما يتلو ذلك من حصولنا على مساعدات سياسية وعسكرية لا يمكن أن تنجح الثورة بدونها . ولذلك طلبت منه أن ينقل وجهة نظرى إلى الاحرار داخل اليمن كى يستمروا فى استعداداتهم التى تعتبر من أهم العناصر التى ترجح جانب الثورة الجذرية فى نظر جمال عبد الناصر ، على أن ينتظروا حتى تتاح لنا فرصة نشر العقيدة الثورية وأهداف الثورة الجذرية كى نفضح أساليب الحكم الإمامى ، ونخلع جذور الخرافات المتأصلة فى نفوس أغلبية الشعب اليمنى فى المناطق الشمالية القادرة على ترجيح نجاح الثورة أو فشلها .

وقلت للزميل محمد قائد سيف أنه لا مفر من أن يكون ترتيب خطواتنا كما يلى :

أولا : إقناع جمال عبد الناصر بالتخلى عن الإمام والبدر والنظام الإمامى ومساعدتنا على خلعه من جذوره .

ثانيا : إثارة الشعب اليمنى ضد النظام الإمامى بالضغط على أوجاعه بأسلوب صادق ومؤثر يضغط على جروح أبناء اليمن كى ينتزعهم من غفلة ألف ومائة عام .

ثالثا : إعلان دستور الجمهورية اليمنية الذى يلتف الشعب حوله .

رابعا : تنسيق العمل بين الجماعات الثورية المتعددة داخل اليمن فى إطار عمل ثورى موحد حتى تتكامل الجهود ولا تتعارض أو يضرب بعضها بعضا .

خامسا : استكمال ما يلزم للثوار من أسلحة وذخائر سواء بشرائها من السوق داخل اليمن أو من عدن أو بالحصول عليها من مصر .

---

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير التجارة عند قيام الثورة .

طلبت من الزميل محمد قائد سيف أن يسرع بالعودة إلى عدن ويكلف الزميل محمد مهيوب ثابت[١] بالسفر إلى تعز لإبلاغ ذلك إلى الزميل عبد الغنى مطهر ليقوم بدوره بإبلاغه إلى الزميل حسن العمرى[٢] فى صنعاء الذى يعمل هو الأخر على اختزان الأسلحة والذخائر فى بيته ويوزعها على الثوار .

سافر محمد قائد سيف إلى عدن لتنفيذ هذه المهمة ثم عاد إلى القاهرة فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦١ وكان الإمام قد أذاع قصيدة ضد الاشتراكية يهاجم فيها شخص جمال عبد الناصر .

فى الواقع لم يكن الإمام فى حاجة إلى إثارة جمال عبد الناصر الذى لم يشترط عليه تنفيذ نصوص الاتحاد الفيدرالى الذى وقعه فى ٨ مارس ١٩٥٨ عندما كان جمال عبد الناصر مجتمعا مع شكرى القوتلى لإعلان الجمهورية العربية اليمنية بين مصر وسوريا فأبرق إليهما الإمام برقية قال فيها (بالله عليكما لا ينفض المجلس حتى يدخل اليمن فى إتحاد فيدرالى) .

لكن أراد الله أن يسهل على الثوار اليمنيين مهمتهم بعد أن حان قدرهم فأذاع الإمام تلك القصيدة .

دعوت محمد قائد سيف إلى زيارتى فى اليوم التالى كى يحضر إجتماع أعضاء الإتحاد اليمنى الذى كان من المتفق عليه أن ينعقد فى بيتى للإستماع معنا إلى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى بورسعيد بمناسبة عيد النصر (٢٣ ديسمبر ١٩٦١) . وقبيل خطاب الرئيس قلت للمجتمعين أننى أتوقع من جمال عبد الناصر أن يرد فى خطابه على قصيدة الإمام ، وأنه لو تم ذلك لكان فى وسعنا أن نصدر بيانا باسم الاتحاد اليمنى ندعو فيه الشعب اليمنى إلى الثورة الجذرية وإقامة الجمهورية ، ولا شك فى أن السلطات المصرية لن تمانع فى ذلك ، أما إذا مانعت فى نشره وإذاعته فإننا لن نخسر شيئا .

رفض الأستاذ أحمد محمد نعمان هذا الإقتراح ولم يترك فرصة للقاضى محمد محمود الزبيرى لإبداء رأيه ولم يفطن الأستاذ نعمان إلى أننى ما كنت أتوقع أن يعلن الرئيس جمال عبد الناصر شيئا من ذلك لولا أننى كنت أعلم ، من قبل ، أن مصر سوف تنهى إتحادها الشكلى مع إمام اليمن . إستمعنا إلى خطاب جمال عبد الناصر ، وهاجم عبد الناصر إمام اليمن بكل شدة .

همست فى أذن محمد قائد سيف أهنئه على نجاح الخطوة الأولى . وكنت قد أطلعته بصراحة على ما بلغنى قبل أن يلقى الرئيس عبد الناصر ذلك الخطاب . لكنه كعادته فى السيطرة على أعصابه لم يظهر على وجهه أى مظهر من مظاهر الدهشة عندما لاحظ الحزن قد سيطر على الأستاذ نعمان بينما استغرق القاضى الزبيرى فى التأمل .

---

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير شئون المغتربين عند قيام الثورة .
(٢) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير المواصلات عند قيام الثورة ثم رئيس الوزراء والقائد العام فى وقت لاحق .

في ٢٥ ديسمبر ١٩٦١ رد الإمام على جمال عبد الناصر ببيان أذاعته محطة صنعاء كان أهم ما جاء فيه ما يلي :

(شعبي العزيز .. أنه لما كان ديننا الحنيف يدعونا إلى عدم التنازع فيما بيننا والإهتمام بشئون عامة المسلمين .. ولما لنا من الزعامة الروحية التي تربطنا بعامة المسلمين ، شعرنا أن المسئولية كما تخص كل فرد من أفراد المسلمين فإنهابحسب شعورنا عظيمة ومضاعفة بالنسبة إلينا ، ولما رأينا من الاختلاف القائم بين بعض إخواننا من رؤساء وملوك الدول العربية الشقيقة .. وجهنا إلى الجميع نصيحة) .

ثم تلى الإمام نص القصيدة التي تضمنت تلك النصيحة باعتباره صاحب الزعامة الروحية التي تربطه بعامة المسلمين .

في اليوم التالي أي في ٢٦ ديسمبر ١٩٦١ أعلنت مصر إنهاء أعمال (اتحاد الدول العربية) أي انهاء علاقة الاتحاد الفيدرالي مع اليمن . ونشرت صحيفة الأهرام القاهرية في ٢٧ ديسمبر ١٩٦١ أسباب انهاء أعمال ذلك الاتحاد بقولها

(إنه لا يوجد في طبيعة أي من الحكومتين ما يجعل قيام مثل هذا الإتحاد أداة سياسية فعالة قادرة على الإسهام في تطوير النضال العربي .. ومن حيث أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة أقبلت على خطوة الاتحاد العربي تملؤها الآمال بأن تستطيع هذه الخطوة أن تكون أداة في خدمة الشعب اليمني وفي خدمة قضاياه العادلة ولكن تجارب السنوات الماضية أكدت بما لا يقبل مجالا للشك في أن الشعب اليمني لم يستفد من التجربة ..)

هكذا حقق الله لنا النجاح في الخطوة الأولى وتخلى جمال عبد الناصر عن الإمام والبدر فكان علينا أن نسرع بالخطوة الثانية ، وهي نشر الأسباب الحقيقية للمأساة اليمنية حتى نهيىء جموع الشعب اليمني للتخلي عن نظام الحكم الذي أوجد هذه المأساة .

أوضحت للأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضي محمد محمود الزبيري أهمية الاسراع بعقد المؤتمر الوطني للأحرار الذي قررت اللجنة الخماسية التي تولت إدارة الاتحاد اليمني في عدن أن تعقده في القاهرة . كما جاء في رسالة الأستاذ علي محمد الأحمدي الذي تولى قيادة هذا الاتحاد بتكليف من الاستاذ نعمان نفسه بدلا من الأستاذ محمد علي الأسودي رئيسه المنتخب . (الوثيقة رقم ١٥) .

شرحت للأستاذ نعمان والقاضي الزبيري أهمية توحيد صفوف الأحرار من خلال ذلك المؤتمر الوطني المقترح عقده في القاهرة والذي يجب أن نعمل جميعا على نجاحه في تحديد الجذور الحقيقية للمأساة اليمنية ، وإختيار العقيدة الثورية التي يرى المؤتمر الوطني أنها تتكفل بالتخلص منها ، وإعلان الأهداف الوطنية والقومية التي يقرر المؤتمر أن يدعو الشعب اليمني إلى التمسك بها والعمل على تحقيقها .

اتفقنا على أن نناقش هذا الموضوع فى أول جلسه يعقدها مجلس إدارة الاتحاد اليمنى . وإن هى إلا بضعة أيام حتى بلغنى أن الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى قد اتفقا على إعلان عزلى من عضوية الإتحاد ، وإنهما بعد أن أعلنا ذلك قاما بإبلاغ السلطات المصرية بأننى لم أعد نائبا لرئيس الاتحاد للشئون السياسية .

ربما أزعجهما إلتفاف الأحرار فى داخل اليمن وخارجها حول الصراحة الثورية أو الوضوح العقائدى الذى تضمنته كتبى « ألاعيب متوكليه »ثم « إقتصاد اليمن » مما عبر عما يدور فى نفس كل يمنى حر يتطلع حقيقة إلى مستقبل أفضل .

أو لعلهما بعد عمر طويل أمضياه فى محاولات الإصلاح السطحى قد أدركا أنهما لم يصبحا مؤهلين لقيادة الإصلاح الجذرى .

وأغلب الظن أنهما تصورا أن عزلى من عضوية الاتحاد اليمنى من شأنه أن يحد من نشاطى الثورى والإعلامى .

وكانت النتيجة على نقيض ما دخل إلى ظنهم .

سمحت مصر بأن أكتب ما أشاء فى مجلة روز اليوسف ، وهى المجلة السياسية التى ذاع صيتها في العالم العربى منذ أن بشرت بالثورة المصرية ، ومهدت لها عندما بدأت تنشر حملة الأسلحة الفاسدة ضد حكومة الملك فاروق محملة إياه المسئولية الكاملة عنها وتلفت النظر إلى ضرورة التغيير الجذرى فى مصر .

قدمنى أنور السادات إلى رئيس تحريرها الأستاذ إحسان عبد القدوس فتفاءلت خيرا عندما قال السادات لإحسان « أوصيك ياإحسان بالبيضانى ، فكما بدأنا ثورة مصر من عندك سيبدأ البيضانى ثورة اليمن من عندك إنشاء الله » .



تجمد نشاط نعمان والزبيرى وبدأ تاريخ اليمن فى إضافة صفحة جديدة من صفحاته ، يكتبه بلغة العصر الذى كانت تعيشه اليمن سنة ١٩٦٢ .

على الفور نشرت أول مقال فى مجلة روز اليوسف فى ٢٢ يناير ١٩٦٢ وكنت لا أخاطب فيه شعب اليمن وحده ، وإنما أناشد به الأمة العربية والإسلامية ، وأدق باب الضمير الإنسانى ، واضعا نصب عينى أننى أستميل به جمال عبد الناصر والمسئولين المصريين والشعب المصرى العريق كى يهبوا إلى نجدة أهلى وعشيرتى أبناء شعب اليمن .

والمصريون هم منارة العروبة والإسلام وقلعة الحضارة العربية الحديثة ، لا يختلف على ذلك منصف .

أهم ماجاء فى أول مقال بعنوان « جذور المأساة »

(إن أخوانى أبناء الشعب اليمنى أصبحت أغلبيتهم الساحقة تصارع من أجل لقمة العيش الجافة .

وبصراع عنيف يستخلص هؤلاء البؤساء من الأرض ومن الإمام النزر اليسير الذى يبقى بعضهم على قيد الحياه ، بينما يموت البعض الآخر جوعا إلى أن تتبرع الدول الصديقة للشعب اليمنى بمعونة الدقيق وبمعونة الشتاء التى يستولى الإمام على أكثرها ظلما وعدوانا ويبيع الباقى منها إلى الشعب الجائع بأفدح الأثمان .

فى كل عام تزور اليمن المجاعات لعدة أشهر .

بينما الأوبئة لا تفارق اليمن ، الجدرى ، الملاريا ، الحمى الصفراء ، السل .

وحكومة الإمام لا تحاول مجرد التفكير فى تخليص الشعب اليمنى من هذه الأوبئة الفتاكة ، بل أكثر من ذلك إنها لا تراعى الأنظمة الدولية بإخطار منظمة الصحة العالمية كى تسهم فى مكافحتها أو على الأقل كى تخطر الدول الأخرى حتى تتخذ من جانبها الإحتياطات الوقائية فى أراضيها .

نصف أولاد الشعب اليمنى يموتون قبل سن العاشرة .

وعند الأربعين تتجعد النساء اليمنيات وتخور قواهن من عناء العمل الذى يذهب عائده فى أغلب الأحيان إلى الإمام وأعوانه المرتزقة .

البطالة منتشرة وآخذه فى الإزدياد ليس فقط بين طبقة الزراع وإنما كذلك بين طبقة المثقفين والفقهاء من رجال الدين وموظفى الإمام .

المواصلات بدائية وقد أقام الإمام حواجز مرور على طول الطريق لتدفع السيارات ووسائل النقل الأخرى ضرائب عند كل حاجز حتى بلغ عدد الحواجز على الطريق بين صنعاء وعدن أكثر من أربعين حاجزا ، و بذلك تدفع السيارة أربعين ضريبة بينما طول الطريق حوالى ثلثمائة كيلو مترا .

لا يوجد نظام للتعليم ولا منهاج للدراسة ، ومواد الدراسة تختلف من مدرسة إلى أخرى ، وتتبدل عند تغيير كل مدرس دون هدف أو خطة اللهم إلا منع التعليم وتحريمه مع التظاهر بنشره .

رقعة الأرض الزراعية تنكمش تدريجيا لفقدان أصحابها مصلحتهم فى زراعتها نتيجة لبطش الإمام وأعوانه الذين يستولون على أرزاق المزارعين .

لا يوجد قانون فى اليمن يحدد حقوق الفرد وواجباته وإنما القانون الوحيد هو أمر الإمام الذى تراه وتصيغه حريمه وجواريه وهو فاقد الوعى لإدمانه المخدرات . كما لا يحتاج الإمام إلى محاكمة أحد ممن يريد إعدامهم أو سجنهم مدى الحياة .

مستوى المعيشة يزداد انخفاضا يوما بعد يوم ، وهجرة السكان تتضاعف من حين إلى حين رغم قيود الهجرة التى فرضتها الدول التى يهاجر إليها اليمنيون .

الشعب ساخط ، الجيش والحرس الملكى والشرطة والموظفون متذمرون ، أهل بيت الإمام حريمه وجواريه ، أولاده وبناته ، إخوانه وأخواته ، كلهم وجميعهم ساخطون .

جميع أبناء اليمن محكومين وحكاما ينتظرون تغيير الوضع القائم .

السخط قائم وذائع ومنتشر .

أما أحرار اليمن القدامى فهم يأملون فى تغيير الأوضاع الحالية ، ما فى ذلك شك ، ولكن ليس عندهم تخطيط ثورى سوى المهاترة مع الإمام ، وليس عندهم عقيدة سياسية إقتصادية إجتماعية ، فلم يأتوا بجديد على الشعب سوى الاستزادة من السخط الموجود تلقائيا فى جميع أنحاء اليمن . لم يأتوا بجديد سوى احتراف المعارضة والتمسك بالأساليب القديمة للعمل الحزبى ، حتى

أغلقوا قيادتهم على أنفسهم بدعوى أحقيتهم وحدهم فى التصدى للقيادة لأقدميتهم فى الكفاح الذى فشل حتى الان ، فادعوا بذلك ما يدعيه الإمام ونظام الحكم الإمامى الهاشمى من أحقية أهل البيت فى الخلافة . لذلك عزلوا أنفسهم عن التطور وعن الشعب مما أدى إلى ظهور قيادات شعبية جديده .

وقبل أن ندخل فى التفاصيل يلزم أن أوضح أنه لا يعنينى مجرد حتمية التاريخ فى سقوط الحكم القائم الآن ، لأن هذا السقوط الحتمى لا منازعة فى حتميته . وإنما يعنينى كيان الوضع الجديد الذى نود أن يؤول إليه الوضع الحالى ، ولذلك يلزم من أجل الوصول إلى الوضع الصالح الذى نسعى إليه أن نؤثر فى عناصر الوضع الراهن لأنها مقدمات الوضع المقبل .

من عناصر الوضع الراهن : التركيب الاجتماعى للشعب اليمنى ، وبناؤه الاقتصادى ، الأمر الذى يعيش فى ظله الوضع السياسى الظالم المتخلف .

هذه العناصر هى التى يلزم تحليلها تحليلا جذريا أمينا لإيضاح سيئاتها ومفاسدها ، وخلايا الرجعية الكامنة فيها ، التى تشد المجتمع إلى الوراء كلما تطلع المصلحون من أبناء الشعب إلى مستقبل أفضل) .

وبعد أن أوضحت فى ذلك المقال التركيب الإجتماعى والبنيان الإقتصادى فى اليمن وشرحت كيف اعتمد نظام الحكم الإمامى على التفرقة العنصرية ، وكيف حصر حقوق السيادة على العنصر الهاشمى وحده الذى لا يزيد عن واحد فى المائة من مجموع الشعب اليمن بينما يحرم منها العنصر الثانى من عنصرى الشعب وهو القحطانى (نسبة إلى قحطان جد العرب) السائد فى اليمن ، وبعد أن ضربت الأمثال التاريخية والأخرى المعاصرة التى يعانى منها أبناء الشعب اليمنى يوما من بعد يوم ، أوضحت الحقيقة التى يعتنقها نظام الحكم الإمامى حيث يعتبر أرض اليمن أرضا خراجية إفتتحها الأئمة بسيوفهم ، كما روى العلامة المقبلى فى كتابه « العلم الشامخ صفحة ٣٣٧ » حيث روى أن أحد الأئمة الهاشميين فى اليمن قال « اليمن دار كفر إستفتحناها بسيافنا فنصنع ما شئنا كخبير ونحوها » .

ثم قلت فى ذلك المقال :

(إن الأئمة الهاشميين فى اليمن فى حاجة إلى من يذكرهم بالبيعة التى خرج إمامهم زيد كرم الله وجهه يدعو المسلمين على أساسها حين قال : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم ، ونصر أهل الحق ..) .

لقد كان يرسل من ينادى الناس بقوله (أخرجوا من الذل إلى العز أخرجوا إلى الدين والدنيا . فإنكم لستم فى دين ولا دنيا ..) .
وتساءلت فى ذلك المقال :

(هل خرج أهل اليمن تحت سلطان الأئمة الهاشميين من الذل إلى العز ؟
هل خرجوا إلى الدين والدنيا ؟

الجواب لا .. لا ..

لقد تحول الأئمة الهاشميون من دعاة إصلاح ووحدة عربية وإسلامية إلى جلادين وطغاة ودعاة تفرقة .

وكل ذلك فى حماية شريعة الغاب التى يحكمون بها الشعب دون وازع من ضمير ولا سند من الدين) .

وفى ٢٩ يناير ١٩٦٢ كتبت فى مجلة روز اليوسف المقال الثانى بعنوان « المورفين يحكم اليمن » شرحت فيه كيف بدأ الإمام قبل ذلك بسبع سنوات فى تعاطى حقن المورفين ، بعد أن أجرى له الطبيب الإيطالى (توفولون) عملية جراحية أصابته بالشلل فى مؤخرة ظهره ، وكيف كان الإمام يصدر قراراته فى ظل تأثير المورفين الذى استبد بمزاجه العام أخطر استبداد .

كما شرحت كيف لا يقدم الإمام على أى قرار إلا بعد حساب الطالع الفلكى . وله فى ذلك معلمون ومستشارون فضلا عن قيام الإمام بنفسه بالحساب وضرب الرمل .

الإمام من مواليد برج العقرب ولا يتحرك إلا فى ساعة حلول الشمس بالمريخ الذى يقول الفلكيون أنه كوكب برج العقرب ، ولا يرتبط الإمام بأى شخص إلا إذا حسب طالعه أولا .

وإلى جانب إدمان الإمام للمورفين ووقوعه فى حبائل الكواكب والنجوم كان الإمام يعانى من عقدة نفسية خاصة ، تلك أنه يرى نفسه قد عاش طوال حياته حبيسا فى قصره بين أوراقه فى اليمن المتأخرة ، وأنه إذا أراد القيام بأى اصلاح لزم عليه الاستعانه بغيره ، فينال ذلك من كبريائه ، وحتى إذا تغاضى عن كبريائه فإنه لن يعيش حتى يرى ثمار الإصلاح وقد بلغ من العمر أكثر من سبعين عاما .

لذلك كان الإمام يقول قوله المأثور « أتم البورى حقى ثم شالط على مالط » أى يتم الإمام أخذ أنفاس البورى (الشيشة) ثم بعد ذلك يقع ما يقع .

والمعنى أنه يفعل ما يشاء فى حياته للتمتع بها بكل وسيلة وهذه الوسائل لا تخرج عن مجرد إرضاء غروره وكبريائه .

وبعد أن يموت تحترق الدنيا ومن عليها بمن فيهم أهله وولده .

إنه يعتبر المستقبل تركة ، وهو لا يريد أن يترك تركة تفيد الشعب أو من يأتى من بعده ولو كان إبنه البدر .

انتشرت هذه المقالات داخل اليمن وخارجها وكانت بمثابة الناقوس الذى دق للشعب ساعة الخلاص من المأساة .

أخذت رسائل الأحرار الثوار تنهال على عنوانى بمجلة روز اليوسف تشد من أزرى وتقوى من عزيمتى وتعطينى المزيد من الأخبار والمعلومات لنشرها وإذاعتها ، فتبينت أننا نجتاز الخطوة الثانية بنجاح وتوفيق من عند الله جلت قدرته .

وبينما كنت فى حماس الكتابة بلغنى أن الأحرار القدامى بدأوا يتهموننى بالعنصرية ، وبأننى أدعو إلى التفرقة العنصرية عندما دعوت إلى العدالة والمساواة بإسقاط الإمتيازات الهاشمية ، التى يقوم على أساسها نظام الحكم الإمامى الهاشمى فى اليمن . ونسوا أنهم هم بأنفسهم الذين سبق أن زودونى بوثائق ادانه الحكم الهاشمى الذى يعتمد على التفرقة العنصرية والتى سبق نقلها عنهم فى هذا الكتاب .

لذلك نشرت ردى على الأحرار القدامى فى مجلة روز اليوسف يوم ٥ فبراير ١٩٦١ وكان أهم ما جاء فيه أنه :

(عندما أتعرض للحكم الهاشمى فى اليمن فإننى لا أدعو إلى تفرقة عنصرية بين أبناء الشعب والهاشمين .

فهذه التفرقة موجوده فعلا وهى أساس الحكم الهاشمى نفسه ، ولا يمكن للشعب أن يصل إلى المساواة والعدالة الاجتماعية إلا إذا تكتل ليواجه هذا الظلم الاجتماعى .

والشعب لا يتكتل إلا إذا خلقنا له رأيا عاما وعقيدة جماعية نستلخصها له من شعور أغلبيته الساحقة ، ومن واقع حياته ، ومن ضمير العدالة الذى فقده الظالمون الطغاه .

ولم يتفق الكتاب الذين كتبوا عن اليمن على أمر أكثر من اتفاقهم على بشاعة التفرقة العنصرية ، التى من أجل المحافظة عليها مزق الحكام الشعب وأفقروه وأماتوا مقوماته ، حتى أصبح الشعب بأسره – الهاشميون وغير الهاشميين – ضحايا لسياسية إفقار اليمن وعزلها عن الحضارة ، فتحول أفراد الشعب إلى هياكل ادمية وبقايا أمة مزقتها الأحقاد الموروثة بأمر الحكومة ، وبعثرتها الشكوك المتبادلة باسم الدين .

جاء فى كتاب « التاريخ الاثم » بقلم الأستاذ محمد أحمد نعمان صفحة ٦ « أن اليمن منذ بداية القرن التاسع الميلادى تعيش وهى مسرح للحروب الطاحنة التى أثارتها الدعوه العنصرية الرامية لحصر حق السلطة فى السلالة الهاشمية . وقد شملت هذه الحروب المتلاحقة كل أجزاء اليمن ، وأثارت الأحقاد بين القبائل فى كل منطقة من المناطق » .

وجاء فى كتاب « معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن » للأستاذ محسن العينى صفحة ٧٠ (تاريخ اليمن خلال هذا الحكم الهاشمى ما هو إلا صراع وحروب أهلية يزكيها الأسياد بالاحاديث النبوية والايات القرانية الكريمة ،

يستبيحون بها الدماء وينتهكون الأعراض وينهبون الأموال ، إلى أن قال : ويكفى لفساد هذا النظام أنه يقوم على التعصب السلالى والعرقى والمذهبى والقبلى ، وهى كلها أمور أثبتت على مر التاريخ أنها لا تتفق مع كرامة الإنسان كإنسان ولا مع رخاء الشعوب واستقرارها) .

ويمضى الأستاذ محسن العينى فى كتابه قائلا (ويبدو أن الإنسانية فى تاريخها الطويل لم تشهد نظاما بشعا كهذا ، يحل الحروب الأهلية والقبلية ، وأن يقتل المواطنون بعضهم بعضا دفاعا عن نزوات هذا أو ذاك من المضللين الدجالين ذوى الأغراض والأهواء ، بل ويحل أن تقتتل العائلة فيما بينها . وأن يقتل الأخ أخاه ويذبحه ذبحا ، ويجرى كل هذا باسم الإسلام المفترى عليه ، وباسم محمد بن عبد الله وعلى بن أبى طالب ، عليهما صلوات الله وسلامه .) هذا إلى جانب ما سبق ذكره باقلام أحرار اليمن القدامى .

ثم ختمت ذلك المقال مستنكرا التناقض الذى سيطر على عقول زعماء اليمن القدامى فكتبت :

« ينكرون أن فى اليمن تفرقة عنصرية .. وأنها من نسج خيالى وأننى أريد قلب الأوضاع .

يصدقون أنفسهم ..

ولهم كامل الحق .. والعذر ..

لعلهم يرون ما يجرى فى اليمن الان أمرا عاديا لا يستحق أن يثير دهشة أحد ، فهم قد نبتوا فى أحضان هذه الأوضاع الإجتماعية ، فأصبحت بالنسبة إليهم أمرا مألوفا طبيعيا لا غرابة فيه .

إننى حقيقة .. أسعى إلى قلب الأوضاع .

لأن الأوضاع فى اليمن قد قلبت منذ أكثر من ألف سنة .

ولا يمكن تصحيحها إلا بقلبها الان كى تعود إلى وضعها الطبيعى .

هذه هى المشكلة الحقيقية للمجتمع اليمنى .

أردنا أم لم نرد .

وأنا لا أجرم الهاشميين جميعا ، فمن بينهم مصلحون يرفضون أن نلقبهم بألقاب هاشمية كسيدى ومولاى) .

وكان فى ذهنى وأنا أكتب هذه العباره الزملاء الثوار من الهاشميين بصفة عامة ، وعلى وجه الخصوص الزميل الثائر السيد حسين المقدمى .

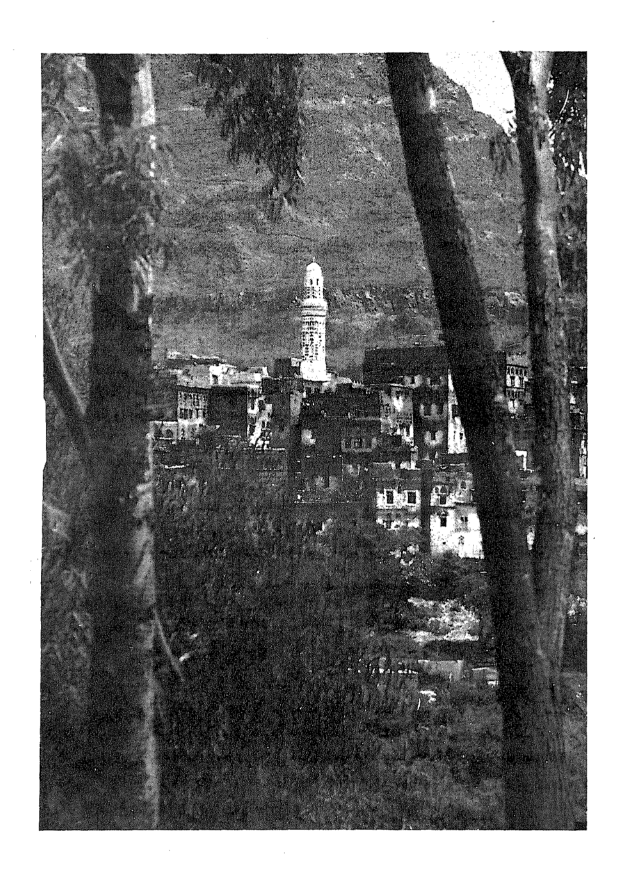
وفى ١٩ فبراير ١٩٦٢ نشرت مقالا فى هذه المجلة بعنوان « حكم شمهورش » شرحت فيه كيف يحكم الإمام اليمن بعد إستشارة النجوم والأرواح والعفاريت جاء فيه :

(عندما يخضع الحكام لقضاء النجوم ، وأوامر العفاريت ، يتسكع المصلحون فى الطريق ، وتذهب الكفايات إلى المقصلة ، ليحكم الدجالون باسم شمهورش .

هكذا يحكم الإمام اليمن ، فكلما أراد أن يحكم فى أمر ولا يدرى ما يفعل ، يعقد جلسة لدراسة أمور الدولة ، لا باستحضار الخبراء والمستشارين وأهل الحل والعقد ، وإنما باستحضار الأرواح والعفاريت ومناجاة النجوم والكواكب السيارة ، يحتكم إليها فى الأمر ويستلهم منها الرشد والصواب .

ويتقرب الانتهازيون إلى الإمام بتصديق هذه الخرافات .
بل ويتنافسون على تأكيدها واختراع الحوادث التى ينسبونها إلى الإمام ، كى يستقر فى أذهان العامة أنه يستخدم الجن والعفاريت فى معرفة خصومه ومن يتامرون عليه ، وأنه يحتمى فى هذه العفاريت من طلقات الرصاص وطعنات الخناجر والأطعمة المسمومة .

والإمام يكافىء من ينسب إليه هذه القوة الخارقة بتعيينه فى مناصب الدولة الكبرى أو يمنحه الهدايا النقدية الثمينة ، أو برفع الضرائب عنه أو بإعطائه تراخيص عقد صفقات الحكومة .)



٤

عاد من اليمن الزميل محمد قائد سيف ومعه حقيبة من الرسائل والأخبار والمعلومات والإقتراحات التى كتبها الأحرار اليمنيون ، كى أصوغها وأنشرها فى مجلة روز اليوسف فاخترنا منها موضوع الضرائب التى يصرخ منها أبناء الشعب . بعد أن قرأت رسالة من أحد المواطنين اليمنيين يحكى فيها قصته مع جنود الإمام .

هزت هذه الرسالة مشاعرى وهيجت ذكرياتي وفجرت الدموع من عيناى ، فكتبت مقالاً بعنوان« ضرائب الإمام » وعندما قرأته على الزميل محمد قائد سيف لاحظت على وجه رعشة التأثر أو غضبة الثورة ، وبكاء المظلوم ، لأنه كان يمثل ترجمة ثورية لمشاعر الغضب واليأس والحسرة التى تطفح بها قلوب أبناء اليمن عندما يجلدهم زبانية الإمام وهم يسلبون أموالهم أمام أعينهم ويخطفون قوت يومهم من بين أيديهم ، ولو شاءوا لبقروا بطونهم ينتزعون منها ما نزل إليها ، ثم يدوسون رؤوسهم بالنعال .

نشرت هذا المقال فى مجلة روز اليوسف فى ٥ مارس ١٩٦٢ جاء فيه :

(أنا جائع يا أبى .
لطموا خدى وشربوا اللبن من كأسى .
أوقعوا أمى ونزعوا من فمها اللقمة .
مزقوا ظهر أختى بالسياط كى تدلهم على مكان السمن والعسل والدقيق .

ثم داسوا جدتى تحت أقدامهم وهم يقتحمون علينا الدار .

أطردهم يا أبى .

أخرجهم من بيتنا .

لا .. لا .. قال الآب .. انهم جنود الإمام ، نزلوا ضيوفا علينا بأمره الشريف لآننا عجزنا عن تسليم الأقداح العشرة المفروضة زكاة على أرضنا التى لم تثمر سوى خمسة أقداح ، ذهب معظمهما رشوة إلى موظفى الإمام ، ولم نحصد نحن سوى العرق الذى ينهك قوانا ويبلل جباهنا فيدل الإمام على أننا مازلنا أحياء ختى يفرض علينا زكاة أخرى ، زكاة الأنفس .

هيا بنا ياأولادى نترك الدار والأرض . نترك اليمن الإمام .

هيا .. فأرض الله واسعة .

هيا بنا .. نهاجر إلى حيث نعمل ونعرق ، ثم نجد لعملنا أثرا فى بطوننا ، ولعرقنا شينا بين أيدينا .

تهاجر الأسرة من اليمن وتترك أرضها بورا ، فتنتقل زكاتها بأمر الإمام إلى الأراضى المجاورة فتتضاعف أعباؤها وتتكرر الأحداث .. تقتحم البيوت .. يعلو صياح الأطفال .. تنتهك حرمات النساء .. تقعد عزائم الرجال .. ويحدث ما حدث .. صورة متكررة .. قصة مستمرة .. مأساة ليس لها اخر . مأساة الضرائب فى اليمن . تتستر تحت اسم الزكاة .. وتنفذ تعاليم القراصنة .. يجلدون الظهور باسم الإمام .. ينهبون الأموال باسم الدين ..

يخربون البيوت باسم الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ضرائب لا تستهدف تدبير الوارد للدولة لتسد نفقاتها فى فترة معينة وبحسب خطة مدروسة .. كما يسميها الإقتصاديون ميزانية .. وإنما تستهدف إرهاب الناس وابتزاز أموالهم .

يسميها الإمام إسلاما .. لكنها فى الحقيقة قطع طريق .

نعم قطع طريق .

فالإمام لا يعد خطة للإنفاق على قدر الموارد .

وإنما يمتص من الشعب ما يقدر على امتصاصه منه ، ثم يفعل بالموارد ما يشاء ، وكيف يشاء ، واثقا من أنه على كل شىء قدير .

فلا دفاع وطنى ..

لأن الإمام لا يسمح بإنشاء جيش منظم حتى لا يحس بوجيعة الشعب فيثور من أجله .

ولا أمن داخلى .

لأن الحكم الإمامى يعتمد فى بقائه على الإرهاب ، لا على الأمن ، يريد الإمام أن ينام كل فرد من أبناء الشعب غير آمن على رأسه حتى مطلع الفجر .

ولا قضاء ..

لأن الإمام لا يشبع بطون القضاة حتى يضطرهم إلى قبول الرشوات فتسود المظالم ، وبانتشار الفساد يشيع الانحلال ويحتمى الحكم الفاسد .

ولا منهاج للتعليم .

لأن حكومة الأميين تحفر قبرها بيدها عندما تسمح بتطور العقول وانتشار عدوى الإصلاح .

ولا محافظة على صحة الشعب ..

لأن الحكم المريض المتعفن يدق مسامير نعشه عندما يسمح بالوسائل العلاجية الحديثة ويصرف نظر الشعب عن الاحاجى والتعاويذ والخرافات التى هى أساس هذا الحكم .

إذن ..

على ماذا ينفق الإمام ؟ ولماذات يجنى الضرائب بشراهة ووحشية ؟

وعندما يتأخر أحد الرعايا عن تسليم الزكاة المفروضة عليه يرسل إليه الإمام عددا من هؤلاء الجنود ليحتلوا بيته ، وينهبوا طعامه وشرابه ، وينامو على فراشه ، حتى ولو كان غائبا ، ويستمر ذلك إلى ما شاء الإمام ، إلى أن يسلم هذا المواطن ما فرضه عليه من الزكاة .

وهو فى سبيل وضع حد لهذه الضيافة الثقيلة يبيع ماشيته أو أرضه وما عليها ويرحل . ويسمون ذلك « التنافيذ » أى تنفيذ أوامر الإمام .

هذه الزكاة ليست الزكاة الشرعية . لأن الزكاة الشرعية هى تلك التى تراعى حدود الله . وتلتزم النصاب الذى أنزله على لسان رسوله . أما هذه الزكاة الإمامية ، فإنها جزافية ، يرسل الإمام مأموره (المخمن) كى يقدر ما ستثمره الأرض بحسب مزاجه ثم يقدر العشر (وهو المقدار الشرعى) ويدونه فى الدفاتر وإذا شكا المواطن من هذا التقدير أرسل الإمام إليه الكاشف (المفتش) فينزل ضيفا على هذا المواطن بنفس الكرم الذى يتحلى به جابى الزكاة .

وابتكر الحكم الإمامى نظام اخر سماه (الخطاط) وهو أن يأمر قبيلة زيديه لتنتقل بكامل هيئتها وأفرادها ، لينزلوا ضيوفا على صدور ابناء القبيلة المذنبة أو التى لم تسلم الزكاة إلى الإمام . وعند وصول أفراد القبيلة يقسمون أنفسهم على جميع أفراد القبيلة المذنبة . ينامون فى بيوتهم ويأكلون طعامهم بل ويفرضون عليهم حظر التجول بأمر الإمام . ولا تستطيع القبيلة المذنبة المقاومة ، وإلا أرسل إليها الإمام قبيلة ثانية وثالثة أو جيشا من عنده .

وأنشأ النظام الإمامى فى كل مدينة صندوقا سماه صندوق الخيرية يتبع فيه نظام (الصبرة) أى الإلتزام ، ويطلق الإمام يد الملتزم فى فرض الضرائب على السيارات ووسائل النقل والسلع التى تصل إلى المدينة .

والمفروض أن تذهب هذه الأموال إلى أعمال الخير لكنها تذهب إلى جيب الإمام .

كما فرض النظام الإمامى ضريبة تسمى ضريبة (الخمس) وهى ضريبة تقدر بخمس قيمة أجرة النقل على جميع وسائل النقل كلما وصلت من جهة إلى أخرى .

كذلك فرض النظام الإمامى ضريبة (النفوس والرؤوس) يفرضها على كل انسان حى فى اليمن ولا يهتم بالوفيات عند حساب الضريبة المقررة .

وهناك ضرائب أخرى كزكاة الأغنام والفضة وما إلى ذلك ، وكلها على منوال واحد ، هو التفنن فى امتصاص دماء الشعب . لا أكثر ولا أقل .

وإلى جانب الضرائب ابتكر النظام الإمامى وسيلة السخرة لقضاء مصالحه . فإذا أراد إقامة بيت أو طريق ، أو أية منشأة ، فإنه يأمر جنوده كى يجمعوا الأهالى المجاورين لهذا العمل ليقوموا به مجانا دون أى أجر ، سوى السياط التى تلهب ظهورهم والقيود التى تشلهم عن الحركة) .

ثم ختمت ذلك المقال بقولى :

(وأخيرا كلمة حق يجب ذكرها فى هذا الشأن :

إن الزيود قد أدركوا حقيقة أن نظام الحكم الإمامى الهاشمى يستخدمهم فقط من أجل تحقيق أغراضه فى غرس الاحقاد والكراهية بينهم وبين إخوانهم الشوافع ، كى يظل هذا الحكم ممسكا برقاب الأمة زيودها وشوافعها .

لذلك أخذ الزيود يتجهون إلى تجريم هذا الحكم كى تعود المحبة بين جميع أبناء الشعب .

الان :

لقد التقى الشعب كله ، زيوده وشوافعه والمتحررون من الهاشميين . وبدأت قبائل الشمال الزيدية ترفع أعلام الإصلاح الثورى ، وبدأ الإمام يقابلها بقطع رؤوس شيوخها . فلا تزال دماء الشهيدين الشيخ حسين بن ناصر الأحمر شيخ مشايخ قبيلة حاشد وابنه الشيخ حميد تذكر أبناء الشعب جميعا بوحدة الأمة ، فى شمالها وجنوبها ، وشرقها وغربها .

لا تزال ترفع علم الوحدة ، وحدة الأمة ، ووحدة المصير ، وان الضباط الأبطال الشهداء ، العلفى واللقيه والهندوانة ، الذين داعبوا الإمام برصاصهم فى مارس الماضى ، كلهم من الزيود .

فأهلا بالوحدة الوطنية ..

أهلا بالثورة الجذرية ..)



وصل الزميل الثائر محمد ميهوب ثابت من عدن يحمل معه مجموعة أخرى من رسائل الأحرار الثوار اليمنيين . وكان الزميل الثائر محمد قائد سيف لا يزال فى القاهرة ، وأخذنا نجمع خيوط التنظيمات الثورية التى بدأت تلتقى فى اليمن ، وكان من أهم المعلومات التى وصلتنى من اليمن تلك التى أوضحت صلات الزميل الثائر عبد الغنى مطهر مع الضباط الثوار الذين كانوا قد تخرجوا من الكلية الحربية فى صنعاء وتولوا قيادة مواقعهم فى وحدات الجيش .

ذهبنا معا إلى أنور السادات وعرضنا عليه هذه المعلومات ، وكنا فى حاجة شديدة إلى وسائل اتصال سرية تمكن الجماعات الثورية فى تعز وصنعاء والحديدة من الإتصال فيما بينها ، ورجونا أنور السادات أن يساعدنا فى الحصول على هذه الوسائل من السلطات المصرية .

اقتنع السادات بطلباتنا ووعدنا بإعداد ما يلزمنا .

وفى اليوم التالى طلبنى السادات لزيارته ومعى محمد قائد سيف ومحمد مهيوب ثابت ، وعندما التقينا به أبلغنا بأنه قد حدد لنا موعدا لزيارة وكيل المخابرات المصرية السيد عزت سليمان حتى يدرس معنا إحتياجاتنا ويلبى طلباتنا التى يمكن أن يلبيها لنا .

كان الزميل محمد مهيوب ثابت مضطرا للعودة إلى اليمن حتى لا ينكشف أمره فى القاهرة ، فذهبت مع الزميل محمد قائد سيف إلى مبنى المخابرات المصرية فى كوبرى القبة والتقينا بالسيد عزت سليمان . شرحنا له موقف الأحرار الثوار فى اليمن وكميات الأسلحة والذخائر التى أمكنهم تدبيرها مقارنة بما لدى جنود الإمام من أسلحة وذخائر يمكن للثوار أن يستولوا عليها ساعة الصفر .

إستمع عزت سليمان إلى شرحنا المستفيض ، ثم قال إنه غير مقتنع بإمكانية قيام ثورة فى اليمن ، علاوة على أنه إذا أعطانا أجهزة اتصال ووزعناها على مجموعات تعز وصنعاء والحديدة فإن الإمام فى وسعه أن يلتقط إشاراتها ، ويتعرف على أماكنها ويقبض على أصحابها ، وأنه إذا لم يكن عند الإمام الخبراء الذين فى وسعهم التقاط هذه الإشارات فإن الانجليز فى عدن يلتقطونها ويبلغون الإمام بها .

انصرفنا من مكتب عزت سليمان ، وأثناء توديعه لنا بالقرب من باب المصعد مال على الزميل محمد قائد سيف وهمس فى أذنه بكلمات عرفت فيما بعد أنه دعاه بها إلى زيارته فى صباح اليوم التالى على أن يجيء اليه وحده . استشارنى الزميل محمد قائد سيف ماذا يفعل ؟ هل يذهب إليه أو يمتنع ؟ قلت إننا لن نخسر شيئا إذا ذهب إليه بمفرده وإنما سوف نكسب معرفة ما يدور فى رأسه حتى نضعه فى حسابنا ونحن نخطط للثورة .

فى الموعد المحدد ذهب محمد قائد سيف إلى مبنى المخابرات العامة فأوقفوه بالباب نحو عشرين دقيقة حتى تأكدوا من شخصيته وبطاقته واسم الشخص الذى يريد أن يقابله . بعد ذلك تمكن من مقابلة عزت سليمان الذى حاول أقناعه باستحالة قيام ثورة فى اليمن وانه بدلا من ضياع الجهود فى عمل فاشل فإنه يعرض عليه العمل مع جهاز المخابرات فيشترك مع غيره من عناصر المخابرات المصرية فى عدن فى نسف منشئات البترول البريطانية هناك ، باعتباره من المقيمين عادة فيها ويا حبذا لو أمكنه تجنيد بعض الأحرار اليمنيين لهذا العمل القومى .

بعد أن أكمل عزت سليمان حديثه قال له الزميل محمد قائد سيف أنه يستغرب كيف يطلب منه أن يقوم بهذا العمل فى عدن بينما أبقاه حراس مبنى المخابرات على الباب نحو عشرين دقيقة ، وهم يعلمون أنه من المتوقع أن تكون عيون المخابرات الأجنبية تراقب زوار المخابرات المصرية ، وتساءل لماذا لم يحافظ عليه عزت سليمان فى القاهرة بينما يطلب منه القيام بهذا العمل الفدائى فى عدن ؟

ثم شرح له محمد قائد سيف وجهة نظره فى الثورة اليمنية قائلا أنه يتبع مخططات مدرسة عبد الرحمن البيضانى التى تعمل من أجل تحرير اليمن الطبيعية كلها من الحكم الإمامى فى الشمال والحكم الإستعمارى البريطانى فى الجنوب وإنه يرى كما يرى عبد الرحمن البيضانى إنه لا يمكن تحرير جنوب اليمن من الإستعمار البريطانى إلا بعد تحرير شمالها من النظام الإمامى المتحالف مع هذا الإستعمار .

وأكد محمد قائد سيف حتمية قيام ثورة فى اليمن ، واعتذر عن مجرد القيام بأعمال نسف وتخريب تؤدى فقط إلى مجرد إزعاج الإنجليز وكشف تحركات ثوار اليمن فى عدن .

إنصرف محمد قائد سيف وجاءنى يحكى هذه القصة فذهبنا معا إلى أنور السادات الذى أبدى أسفه الشديد على ما جرى ووعدنا بإبلاغ الرئيس عبد الناصر بما حدث . وفى اليوم التالى أخبرنا بأنه سوف يتولى شخصيا جميع إتصالاتنا بمصر بناء على تعليمات جديدة من الرئيس عبد الناصر . ثم أعتذر لنا عن عدم إمكانية تزويدنا بوسائل الاتصال الحديثة اللازمة بين التجمعات الثورية فى اليمن ، ونصحنا بمواصلة الإتصال بوسائلنا التقليدية التى تتوفر فيها عوامل الضمان ولو كانت على حساب عوامل السرعة .

شرح محمد قائد سيف للسادات الآثار الإيجابية التى أوجدتها مقالاتى فى مجلة روز اليوسف التى أصبحت تباع بأضعاف ثمنها فى السوق السوداء فى عدن ، وكانت إدارة المجلة قد خصصت عشرين ألف نسخة للتوزيع هناك وهى لا تكفى لإلحاح الطلب عليها ، فوعد السادات بأن يوصى الأستاذ إحسان عبد القدوس بزيادة الحصة المقررة لعدن ، وفعلا ذهب محمد قائد سيف لزيارة إحسان عبد القدوس الذى استجاب لطلبه بناء على توصية السادات .

أثناء ذلك وصلتنى رسالة من أحد المواطنين اليمنيين يشرح فيها قصة تنفيذ حكم الإعدام فى والده .

قرأت هذه الرسالة فضاعفت حزنى على شعب اليمن الذى كان بعض كبار المسئولين المصريين لا يزالون يحلمون بإصلاحه من خلال صداقتهم الشخصية مع البدر ولى العهد الذى أفرط فى استمالتهم إليه ، ولا يثقون فى إمكانية قيام هذا الشعب بالثورة على مأساته التى ليس لها مثيل فى التاريخ ، فكتبت مقالا صورت فيه كيف يذبح الإمام المصلحين من أبناء شعبه ونشرته فى مجلة روز اليوسف فى ١٩ مارس ١٩٦٢ . جاء فيه :

(أمى ..

أوقفى دمعك الحزين ..

الذى ذهب بعينيك حتى كدت ترين الدنيا ظلاما ، والناس أشباحا ، والحياة ذكرى .

ارفعى رأسك المهموم المحموم الذى يكاد يلتصق بالأرض من فرط الحسرة والكمد ، ومن هول الحزن والألم والبكاء .

دعى يا أمى هذه الذكرى التى تعتصر الحشا وتزهق الروح ، أو تذيب لفائف القلب .

لا .. لا .. يا ولدى .. قالت الام ..

أنسيت يوم أن قيد الجلادون يداى خلف ظهرى ؟ ساقونى إلى وسط الميدان ، أزاحوا الحجاب عن وجهى .

رفعوا رأسى ..

ثم فتحوا جفونى كى أرى أباك الشيخ وهم يذبحونه من قفاه .

أرأيت إلى رأس أبيك حين تدلت على صدره . وتعلقت على طرف رفيع من أطراف عنقه الهرم ، والجلاد يمعن فى الإبطاء عليه ، كى يزيده ضربات من سيفه إمعانا فى إيلامه ، لأننا عجزنا عن إعطائه هديته المقدرة ليدق عنق أبيك دقة واحدة فلا يطيل عليه العذاب ؟ أرايت إليهم يحملون رأس أبيك تقطر دما وهم يقدمونها إلى الإمام ؟

حتى إذا نظر إليها علقها على شجرة من أشجار الميدان لتزورها الحشرات وجوارح الطيور وعيون المارة .

فيهدأ الإمام ..

ويشفى غليله من قطع الرؤوس ، ويروى ظمأه من دماء الشهداء فيطمئن على حكم الأئمة فى اليمن .

أرأيت إلى الناس يبكون أباك سرا .. ويهتفون للإمام جهرا ؟

تهتف السنتهم مضطرة ، وقلوبهم تلعن الطاغوت ، وحكم الطاغوت ، وعزائمهم تلتقى كى تنتزع الفجر من الظلام الذى طال ، وتستخلص الأمل من اليأس الذى تحكم .

تسلل الحكام الأئمة إلى حكم اليمن باسم الدين ، ليقيموا شريعة الإسلام ..

لبسوا العمائم ، أطلقوا اللحى ، علقوا المسابح ، كحلوا العيون ، عطروا الثياب ، أحرقوا البخور ، تمتموا بالأحاجى والتعاويذ ، ثم نفثوا فى العقد ، وعلقوا الأسحار وأدعوا صحبة الجن ، وقالوا أنهم أولياء الله ، ورثة النبى ، وسيوف الاسلام .

فتسلطوا على الأرزاق ، ودقوا مفاصل الأعناق .

وخدعوا الشعب بصكوك الغفران وجوازات السفر إلى الجنة .

ولكن وأسفاه ..

عندما يفتش الباحث عن شريعة الإسلام فى ظل الحكم الإمامى لا يجد لها ظلا ، ولا يعثر منها على أثر .

واجبات على الرعايا وليس لهم حقوق .

عليهم السمع والطاعة ، ولا تقبل منهم مناقشة .

تصدر الاحكام فى المعاملات (المدنية) لمن يدفع للحكام أكثر من خصمه ، وطريق الاستئناف لا ينصف المظلومين وأنما يتخم أعضاء الاستئناف الذين يبنون ثراءهم العريض من أرزاق الضعفاء ويدفعون منها فرائض الإمام والأمراء ، وحاشية الإمام .

حتى إذا خرجت أحكام الاستئناف أخذت تجرى إلى منتهى الطريق ، طريق العرض على الإمام ، كما يسمونه النظر الشريف ليثرى الإمام وحاشيته ، مرة بعد أخرى.

أما أصحاب الحقوق من الضعفاء المظلومين :

فليس لهم من حول أو طول ، إلا التوسل والضراعة وتقبيل الأقدام وتراب الأقدام كما تجرى العادة فى اليمن ، وهذه وسائط لا ترجمة لها فى السوق عند الحكام ولا أثر لها فى العرض والطلب ولا تقاوم إغراء الهدايا المعلومة والفرائض المفهومة .

والأحكام ..

تظل تتأرجح سنين طوالا . كى تفسح المجال الأمامى للمتخاصمين حتى يدلوا بكل ما عندهم من وسائل الدفاع الشرعى فى جيوب الحكام وأعضاء الإستئناف والإمام والأمراء وسماسرة أولئك وهؤلاء .

أما إذا أفلس أحد المتخاصمين أو توقف عن الدفع ، فهذا بمثابة تسليم منه بحق غريمه ، وعندئذ يتولى الحكام رفع يد هذا الغريم إعلانا لفوزه وإشهارا لإنتصاره ، كما يفعل الحكام فى حلقات الملاكمة والمصارعة .

ويتبع القضاء الجنائى نفس الأسلوب ..

مع نوع من التمييز ..

ذلك أنه لكل حاكم وموظف كبير وصاحب عمل الحق فى أن يحبس من يشاء ويجلد ، ويقيد بالأغلال ويربط بالسلاسل ، بذنب وبغير ذنب ، أما إذا أراد أحد هؤلاء إطلاق من حبس فهذا أمر اخر يحتاج إلى موافقة من الإمام الذى لا يتسع وقته لقراءة عرائض المساجين وشكاوى المظلومين .

وهو على كل حال ..

نائم مخدر لا يرد على أحد ، فتتولى ذلك نساؤه وجواريه حتى أصبحت العدالة فى اليمن مهزلة .

هذا هو نظام القضاء فى اليمن ، إنه هو نظام الحكم الإمامى نفسه .

يلخصه الإمام أحمد فى قوله المأثور المشهور .. « أطيعوا أمرى ولو كان أعوج من ذنب الكلب » .

لم يأت الإمام بجديد غير أنه استصحب شريعة أبائه وأجداده ، شريعة الائمة فى اليمن .

فلا هى شريعة من عند الله . ولا هى قانون يناقشه الشعب فأصبح الأمر فوضى ، والفردوس مقبرة ، وجنات سبأ أرضا قاحلة وشعبا ينام على الخوف والطوى .

أصبح قتل الأبرياء أمرا معتادا لا غرابة فيه .

وحبس المظلومين عادة مألوفة لا تثير دهشة أحد . والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ..) .

وختمت ذلك المقال بقولى :

(إن الثورات الإصلاحية الإجتماعية كالدعوات الدينية لا تقوم على أكتاف الأسياد ، وإنما تقوم على اكتاف العبيد ، تقوم بسواعد المظلومين ، المتعبين ، التائهين ، الخائفين أمثال أصحاب النبى ، صهيب وبلال وعمار وخباب ، الذين ليس لهم مأوى ، ولا ملاذ ، ولا حق ، ولا حرمة .. الذين لا يجدون لقمة العيش ولا شربة الماء .

فعلى أعناق هؤلاء ينتصر الحق ، وبدمائهم تكتب وثائق النصر ، وعلى جماجمهم تسير مواكب الحرية .

هذه الحرية التى تسعى إليها القبائل وطلائع الإصلاح فى اليمن .

إنها إقامة الجمهورية .

والعودة إلى شريعة الله التى أهدرها الأئمة السابقون خلال الألف والمائة عام الماضية ..)

٦

على أثر انتشار دعوتى إلى الثورة واهتزاز دعائم الحكم الكهنوتى وافتضاح الحقيقة التاريخية التى أوهمت الشعب بالخرافات والطقوس الإمامية ، ومع تدهور صحة الإمام ، وتطلع أخيه الحسن إلى خلافته ، استجاب الإمام إلى نصيحة أنصار البدر سواء أولئك الأنصار المتعصبين للنظام الإمامى ، وهؤلاء الأحرار المتطلعين إلى إصلاحه ، فأصدر الإمام بيانا رسميا للشعب بمناسبة عيد جلوسه الرابع عشر أذاعه من فراش مرضه يفوض به البدر للقيام بالسلطة حال حياته ويخلفه فيها بعد مماته وقال :

(شعبى العزيز .. قد علمتم ما كان بعد مؤامرة الاغتيال من قلق وخوف وتحرك ذوى لأطماع ومحبى الفتنة .

وقياما بما يجب علينا لأمتنا وشعبنا استخرنا الله سبحانه وأخذنا على الولد البدر محمد بن أمير المؤمنين حجة الله العظيمة وعهده الشديد فى استقامته وقيامه بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونصبناه نائبا عنا بعدنا فى المستقبل إماما للشعب ودرءا للفتنة .

وبعد هذا فإننا ندعوكم جميعا علماء وفضلاء وعقالا ومشايخ ورعية بدعوة كتاب الله وعدم التفرقة والإختلاف ، ونحملكم حجة الله ومواثيقه الشديدة باعتماد هذا والالتفاف حول الولد محمد واعتماد أوامره ونواهيه .

ونحملكم حجة الله ومواثيقه ثانيا وثالثا ورابعا فى منع كل الاختلاف وعدم الاعتزاز بأقوال أعداء الدين واليمن الذين يحبون أن يدخل العدو والمستعمر إلى بلادهم .

ومن خالف هذا أو حاد عنه فإنه حاقد ناكث مجانب لأوامر الله ونواهيه . واعلموا أن كثيرين من أهل الفساد والطغيان قد برموا من الخلافة الإسلامية وهم يريدون زعزعة مركزها وخذلان القائم بها .

وإننا نحذركم من الاعتزاز بالأقوال الزائفة ولو حسنوها وعظموا أمرها فهى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) .

أراد الإمام من هذا البيان أن يقطع الطريق على أخيه الحسن وأنصاره ، ولم يكتف الإمام بإعلان ابنه وليا للعهد بعد وفاته بل حمله بمقتضى هذا البيان مسئولية الحكم نيابة عنه أثناء حياته .

ولعل الإمام قد أراد أيضا أن يقنع الشعب بشخصية البدر وأن يتعودوا على الخضوع لسلطانه فى ظل جبروت والده الذى ينقاد له الشعب انقيادا أعمى .

ربما أدرك الإمام أنه فى آخر حياته كان هو بنفسه الجانى الأول على ابنه البدر منذ بداية حياته ، فقد كان الإمام يهزأ به ويسخر منه أمام جلسائه ، ويحتقر قدراته أمام الشعب ، حتى كان يصفه أمام الصحفيين الأجانب بأنه مجرد « منديل يد » وهو ما ذكره **Dana Adams Schmidt** فى كتابه **"Yemen, the Unknoown War"** فى صفحة ٤٦ .

كذلك أراد الإمام من هذا البيان أن يندد بحكومات الدول العربية والإسلامية ، وفى مقدمتها حكومة مصر العربية مخاطبا أبناء شعب اليمن بقوله « إعلموا أن كثيرا من أهل الفساد والطغيان قد برموا من الخلافة الاسلامية وهم يريدون زعزعة مركزها وخذلان القائم بها » وقد كان الإمام يعتبر نفسه أمير المؤمنين والخليفة على المسلمين .

ولم يستطع الإمام إخفاء قلقه وذعره من مقالاتى فى مجلة روز اليوسف التى انتشرت فى سائر أنحاء اليمن فظهر ذلك الذعر بصفة عفوية فى بيانه المذكور حيث ناشد أبناء اليمن قائلا (ونحملكم حجة الله ومواثيقه ثانيا وثالثا ورابعا فى منع كل الاختلاف وعدم الإعتزاز بأقوال أعداء الدين واليمن الذين يحبون أن يدخل العدو والاستعمار إلى بلادهم) .

ثم كرر تعبيره عن ذلك الذعر قائلا (وإنا نحذركم من الاعتزاز بالاقوال الزائفة ولو حسنوها وعظموا أمرها) فاعترف أيضا بهذه العبارة بأن الأقوال التى تضمنتها مقالاتى فى روز اليوسف قد استحسنها الشعب اليمنى فأراد الإمام أن يصفها بأنها مزيفة وإنها (كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئا) .

على أثر إذاعة بيان الإمام تجمع بعض الناس يعبرون عن فرحهم للبدر ، كما جرت العادة فى كل مناسبة ، وأقيم حفل كبير فى تعز القيت فيه الكلمات الكبار والقصائد العصماء ، ولعل أبلغ تلك القصائد كانت قصيدة الشاعر على بن على صبره وجاء فيها :

لبيك لبيك عن حب وإكبار	فى عزم جدت فى إيمان عمار
البدر بدر سمانا كيف ندركه	وذاك لولاه فينا ما سرى سارى
البدر إنسان عين الشعب كيف ترى	من دون إنسانها عين لمحتار
البدر حبة قلب ألشعب لا قلق	لموضع السر محفوف باستار
فالبحر إن قلت نغزوه سنصرعه	لجا بلج وإعصار بإعصار
وأن تشر للسماء جئنا بأنجمها	مشكولة لك إكليلا من الغار
مريا محمد إنا جند وحدتنا	وبالحديد سنحميها وبالنار
تالله تالله إن كلت صوارمنا	لننهش بأنياب وأظفار
وليشهد الله .أن لن يزحزحنا	عن نصرة الحق إغراء لغدار

وكما انتشرت مقالاتى فى روز اليوسف ضد النظام الإمامى محذرة من كل حاكم يتولى سلطانه في اليمن على نفس جذور المأساة التى أهلكت الشعب ، انتشرت فى نفس الوقت ، فى سائر أنحاء اليمن كلمات الخطباء وقصائد الشعراء التى هتفت للبدر وتوعدت الثوار « بالحديد والنار .. والأنياب والاظافر » حتى لا يتزعزع شعب اليمن عن النظام الإمامى وينصرف عن البدر « إغراء لغدار » .

كان لا بد والحال هذه أن أسرع بالرد على بيان الإمام وحفلات تأييد البدر من أجل الحفاظ على الروح المعنوية لدى الأحرار والثوار ، وبالشكل الذى يضيف إليهم الأعوان والأنصار .

فنشرت فى روز اليوسف فى نفس الأسبوع مقالا بعنوان « صراع الالهة » صدر فى ٢٦ مارس ١٩٦٢ جاء فيه :

« أخى ..

لاتعجب .. فهذه سيرتنا منذ أن ولى الائمة أمرنا ، ليس فيها جديد ، شبح الموت لا يفارق اليمن ، ذبحوا مئات الألوف من أبناء الشعب بغير ذنب ، دفنوا جموعا لا تحصى ولا تعد من أبناء الشعب ، فى سجونهم المظلمة وهم أحياء تحت الأرض .

فى كل بيت مأتم ، بكل أسرة أرملة ، ومع كل أرملة أيتام ، وليس للأئمة من عمل سوى حبك الاغلال ، صك القيود ، دبغ السياط ، صقل السيوف ، إقامة السجون .

ثم ملىء التاريخ بما تضيق به الانسانية ، وتقشعر منه الأبدان . أما الشعب فلايملك سوى أن يقدم أبناءه فى صراع الالهة الهاشميين وهم يتصارعون على العرش .

إن الذين فروا من سيوف بنى أمية ولجأوا إلى اليمن قتلوا أنفسهم بسيوفهم وهم يتنازعون الملك ، حتى إذا فتشنا فى تاريخهم فى اليمن منذ ألف ومائة عام ، لا نكاد نعثر على إمام مات على فراشه موتا طبيعيا ، كل متنافس هاشمى قتل الاخر إعتقادا منه بأنه أحق بالخلافة ، بصرف النظر عن كفاءته للحكم ، ما دام من أولاد فاطمة .

وإننا إذا نشرنا أسماء الأئمة الذين قتلوا بأيدى بعضهم لضاقت صفحات التاريخ على اتساعها ، لكننا نذكر بعض هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر .

الإمام المختار القاسم بن ناصر .. قتل سنة ٣٤٥ هـ فقام إبنه المنتصر محمد بن القاسم وأخذ الثأر لأبيه ، وظلت صنعاء وملحقاتها طوال القرن الرابع الهجرى تخضع لمن يغلب من الهاشميين المتصارعين .

الإمام المهدى الحسين بن القاسم .. قتل سنة ٤٠٣ هـ فاعتقد أصحابه (ويقال لهم الحسينية) إنه لم يمت وإنه المهدى المنتظر .

الإمام محمد بن القاسم ... قتل سنة ٤٠٣ هـ .

الإمام أبو الفتح الديلمى .. قتل سنة ٤٤٤ هـ .

الإمام القاسم جعفر بن الإمام القاسم .. قتل سنة ٤٥٨ هـ .

الإمام حمزة بن أبى هاشم ..قتل سنة ٤٦٨ هـ .

الإمام المحسن بن الحسن .. قتل سنة ٤٦٨ هـ .

الإمام على بن زيد .. قتل سنة ٥٣١ هـ .

الإمام محمد بن الإمام المنصور .. قتل سنة ٦٣٠ هـ .

الإمام المهدى أحمد بن الحسين .. قتل سنة ٦٥٦ هـ .

الإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر .. قتل سنة ٩٠٨ هـ .

الإمام محمد بن على الوشلى .. قتل سنة ٩١٠ هـ .

الإمام الحسن بن على بن داوود .. قتل سنة ٩٩٤ هـ .

الإمام المهدى لدين الله أحمد بن الحسن .. قتل سنة ١٠٩٢ هـ .

الإمام الناصر لدين الله عبد الله بن الحسن .. قتل سنة ١٢٥٦ هـ .

الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين .. (والدالإمام أحمد) قتل سنة ١٣٦٧ هـ . ومعه ولداه الحسين والمحسن .

الإمام الهادى عبد الله بن أحمد الوزير .. أعدم هو وكبار أسرته سنة ١٣٦٧ هـ .

الإمام عبد الله بن يحيى حميد الدين (شقيق الإمام أحمد) .. أعدم سنة ١٩٥٥ م .

الأمير العباس بن يحيى حميد الدين (شقيق الإمام أحمد) .. أعدم سنة ١٩٥٥ م .

وأثناء حكم الإمام الحالى أطلق الشعب عليه الرصاص ووضع له الديناميت فى الطريق ثم حاول أبناء الشعب قتله فى مارس الماضى حيث أطلقوا عليه الرصاص فخر صريعا على الأرض مضرجا بدمائه ثم أسعفه الطب الحديث ، وأخيرا قرر الأطباء الأمريكيون والأيطاليون والألمان ضرورة قطع رجله وذراعه لخطورتهما على حياته . فرفض الإمام ذلك حتى لا يتشبه بقطاع

الطرق الذين يفرض الدين قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .. وكأن اللهأراد لهذا الإمام أن يقطع يده بيده ، وأن يقطع رجله بسكينه ، ليكون عبرة للتاريخ ونموذجا لعدالة القدر .

وليس بخاف على أحد أن الإمام يعانى الان سكرات الموت متأثرا من طلقات الرصاص النافذة ، وبموت الإمام سينضم إلى القائمة المذكورة . وبذلك يفسح المجال كى ينضم إليها أعضاء جدد هما شقيقه الحسن وابنه الأمير البدر ولى العهد فكلاهما يتربص بالاخر ، وكلاهما يبث أعوانه فى حاشية غريمه .

ذلك لأن لكل أمير منهما أعوانا ، وأعوان الحسن هم معظم المتعصبين من الهاشميين ، لأن الحسن يمثل الرجعية المتعصبة فى اليمن ، والهاشمية المستميتة المتحجرة ، المتشبثة بالتفرقة العنصرية كى تحتفظ بجميع امتيازاتها العنصرية التى اغتصبتها عبر القرون السحيقة .

أما البدر ولى العهد ، فقد انفض الناس من حوله ، بعد أن سلم معظم أنصاره إلى السجون والمقاصل والتشرد خوفا من الإمام وخضوعا للمتعصبين من الهاشميين ، ولم يبق مع البدر سوى يحيى حرثى .

ذلك الضابط اللحجى الذى هرب من سيطرة الإنجليز فى لحج مع كامل جيشه ومعداته ليشترك مع جيش الإمام فى تحرير الجنوب اليمنى فأستولى الإمام على أسلحة الجيش اللحجى وشرد أفراده .

واستولى البدر على قائد ذلك الجيش يحيى حرثى وتزوج من إبنته ذات السنين التسع ، ثم سلم البدر زمام أمره إلى المذكور ، وكفى الله المؤمنين القتال .

انفض الأحرار من حول البدر بعد أن تثبتوا من أنه غير مصر على الكفاح ، ولا متشبث بالنصر ، ولا مستميت من أجل تحقيق أهداف الأمة .

هذا هو صراع الالهة فى اليمن .. لم يجن الشعب منه سوى العذاب والجحيم .

هكذا منذ ألف ومائة عام .

وائمة اليمن يدعون القداسة ، يعتبرون أنفسهم فوق مستوى البشر ، وفوق شريعة الله ، أمزجتهم أوامر إلهية ، نزواتهم إرادة ربانية ، وسقطاتهم رحمات بالبشرية .

ولو أن الأمر قد اقتصر على ذلك لهان الخطب على اليمن ، فقد كانت فى الجاهلية الهة لا تضر ولا تنفع .

كانت هناك اللات والعزى ، وبقية أصنام قريش التى كان الأعراب يصنعونها بأيديهم ، ينحتونها من الأحجار الصلبة الصماء ، ثم يركعون تحتها ، يسألونها الرحمة والغفران ، والخير والبركة . ثم يغضبون عليها ويحطمونها ويصنعون بدلها .

كانت هذه الأصنام الآلهة تحترم إرادة الشعب ، تتشكل بإرادته ، تنصب بإرادته ، تعبد بإرادته ، ثم تحطم بإرادته . لا تعترض على شىء من ذلك أبدا ، ولا تشغل نفسها بشىء ، وتسأل لماذا صنعت ومتى ؟ ثم لماذا حطمت وكيف ؟

كانت آلهة الجاهلية آلهة وديعة ساذجة ، لا تتمسك بحقوقها ، لا تخرج عن طبيعتها ، فلا تقطع رأسا ، ولا تسجن بريئا ، ولا تأكل من لحوم الضعفاء .

فلو أن ألهة اليمن الهاشمية كاللات والعزى وأصنام الجاهلية لهان الخطب على اليمن .

لأنها عندئذ ستخضع لإرادة الشعب . إن شاء وضعها على العرش ، وإن شاء عبدها ، وإن شاء بدلها وأتى بحكام آخرين . فى سلام ، وهدوء ، وطيب نفس .

وأكثر من ذلك .. لو كانت ألهة اليمن الحكام كأبقار الهند التى تعبدها طائفة من الهنود يفسحون لها الطريق باسم القانون لهان الخطب على اليمن ، لأن البقرة لا تضر أحدا ، لا تصنع السلاسل ، لا تصقل السيوف ، لا تعلق المشانق ، لا تعتدى على الحرمات .

ولكن وأسفاه .. آلهة اليمن تمشى على الأرض ، تأكل وتشرب ، تتستر فى ثياب البشر ، تمسك بالسيف ، تقبض على الذهب ، ثم تتصارع فيما بينها فتصرع معها جموعا لا تحصى ولا تعد من أبناء الشعب فى معاركها الشخصية التى لا ناقة للشعب فيها ولا جمل .

ولا ندرى كيف تغفل هذه الآلهة عن مصالح الشعب وما يحل به من نكبات وما يعيش فيه من محن .

وهو الشعب الوديع المتفانى فى عبادتها والركوع تحت أقدامها . فمثلا فى هذه الأيام التى مضت ، والشهر الذى لم يكتمل ، مات نصف أطفال اليمن من السعال الديكى . وفى العام قبل الماضى هلكت قرية بأكملها من وباء الجدرى . أما بقية أهل اليمن فهم يعانون مما لا يدخل تحت الحصر من الامراض والأوبئة المألوفة المعروفة المتوارثة .

فأين بركة الآلهة ؟

يا آلهة ؟

لا .. لا .. لا بركة ..

لأن آلهة اليمن غافلة عن الشعب .

فهى لا تحتاج إليه إلا عندما تتصارع على العرش .

لا تتقرب إلى الشعب بالإصلاح والعمل من أجل مستقبل الأجيال القادمة ، بعد أهلكت هذه الآلهة الأجيال الماضية ، ولم يبق من الجيل الحاضر سوى عظام متهالكة تكسوها لحوم هزيلة من بقايا البشر .

ياهذه الدنيا ..

لماذا تصمين آذانك فلا تسمعين ؟ وتعمين عيونك فلا ترين ؟

وكأنك لا يعنيك من يموت فى اليمن أو يحيى ..

يزور السائحون اليمن فلا يرون فيها سوى بقايا آدمية تتحرك فى بطىء كاليأس ، واهتزازات كسكرات الموت .

تتصدرهم علائم الأمراض ، تميزهم أثار السياط ، تربطهم حلقات القيود ، يشلهم هزال السهر ، والخوف ، والجوع ، والحرمان .

هذه الحياة حياة اليمن ..

شفاؤها أمراض ، حريتها سجون ، أمنها مذابح ، خيرها ذل ، وهوان ، وانتظارا للموت .

يقينها شك ، أملها يأس ، نعيمها شقاء .

أحياؤها يحاولون الحياة ، يعيشون فى بيوت كأنها مقابر ، يحيون فيها أمواتا تنتظر ساعة الحشر .

حرمهم الأئمة من الدنيا فأصبحوا يستعجلون الآخرة .

لا يحسون بلوعة الفراق ، لأنهم لا يحسون بلذة الوجود .

هذه الحياة ..حياة اليمن ..

لحنها حزن ونشيدها أنين ، وشعبها يتمزق فيتشتت فى متاهات الأرض ، ثم يلتقى فيلتئم فى نعوش وجنائز ومقابر .

يا هذه الحياة ..

إذا كنت أنت الحياه فلا كنت . ولا كانت الخرافات الإمامية التى تحمى الأسياد وهم يجلدون العبيد ، وتركع لمن ينهش لحوم المستضعفين وتصفق لمن يرقص على جماجم الاحرار المصلحين ، ثمن تقدس من يتاجر بملكية الجنة ووراثة النبى ..

يا هذه الحضارة .. إذا كنت أنت الحضارة فلا كنت .

ولتحيى شريعة الغاب .. حيث ينتزع كل كائن حقه بيده ، يقتلعه بأظافره ، يقبض عليه بأسنانه وأنيابه ، يصارع ويصرع ، يغالب ويغلب ، ينتصر أو ينهزم ، فيشعر على أى حال بحقيقة الحياة وطبيعة الوجود ، ويستمتع بلذة الدفاع وشهوة الثأر وغريزة الانتقام .

ولا يستسلم أبدا للخرافات التى تروض الشعوب على اليأس والحرمان والذل والهوان ، وقطع الرؤوس وتسليم الأعراض).

ثم ختمت ذلك المقال مخاطبا كل حر يسعى إلى الخلاص من العبودية الإمامية ومناديا كل ثائر يتأهب للتضحية من أجل اليمن فقلت :

(أخى ..

أنا أشعر ..

بأن قلبك يتمزق ..

ونفسك تحترق ..

وعقلك يذهب ..

وصدرك يمتلىء حقدا .. وثورة ..

على الذين جعلوا أبناء الشعب اليمنى العريق ..

أشباحا ..

وهياكل ..

وبقايا أمة ..

تعيش فى متحف من متاحف الآثار ..

كأنه مقبرة من مقابر ما قبل التاريخ ..)



سلمنى الزميل الثائر الاستاذ قاسم غالب مدير كلية بلقيس الذى وصل من عدن رسالة من نادى شباب العدين بتوقيع الاستاذ قائد فرحان نائب رئيس النادى جاء فيها :

(يسرنى أن أبعث إليكم تأييدا كاملا لما تكتبه فى روز اليوسف ، وبالإصالة عن نفسى ونيابة عن زملائى نؤيدكم مرة أخرى من صميم قلوبنا على كشفكم عن الظلم والظالمين فى اليمن يا مدرسة اليمنيين ولا فخر إننا مدينون لكم جميعا نحن اليمنيين . وقد ناصرنا القدامى ولم نظفر بشىء إلا الضلال ودمتم يا بطل اليمن) . (الوثيقة رقم ١٦) .

طلب الأستاذ قاسم غالب[١] زيارة أنور السادات ، وأثناء الزيارة شرح الأستاذ قاسم الطاقات الثورية الهائلة التى فجرتها مقالاتى فى روز اليوسف .

وفجأة انتقل الأستاذ قاسم غالب إلى الحديث عن الأستاذ أحمد محمد نعمان ، فأكد للسادات أنه من غلاة أنصاره المتشيعين له ، ثم أعطى للسادات كتابه « رسالة من الجحيم » الذى أصدره قاسم غالب في عدن سنة ١٩٥٨ بعد أن خرج من السجن قال من ضمن ما قال فيه « إن أحمد نعمان أنزه رجل عرفته قضية من قضايا الشعوب » .

وصف الأستاذ قاسم غالب نفسه بأنه اليد اليمنى للأستاذ نعمان فى عدن والذى اختاره ليكون مديرا لكلية بلقيس التى أسسها الاستاذ نعمان من أموال المهاجرين اليمنيين ، ثم قال إنه مع ولائه المطلق للاستاذ نعمان فإنه لا يقره على خلافه مع عبد الرحمن البيضانى بشأن الثورة الجذرية ، التى أصبحت حلما يتشبث به كل أبناء اليمن باستثناء الفئة المتعصبة التى لم تدرك بعد أن الثورة الجذرية فى مصلحتها هى أيضا ، وأكد أن مقالات روز اليوسف كانت أشبه بالاستفتاء الشعبى على الثورة الجذرية ، وأن أغلبية أبناء الشعب اليمنى قد أجمعوا على الترحيب بها لأنها تعبر عن حقيقة مأساتهم وترسم الطريق إلى الخلاص منها فلم يعد هناك مجال للخلاف حول الثورة الجذرية .

أما السؤال عن إمكانية تحقيق الإصلاح عن طريق البدر فإنه لم يعد له محل بعد أن أجاب عليه الشعب الذى رحب بمقالات روز اليوسف ، وبعد أن أثبتت التجارب خيبة ظن الأحرار فى أى مرشح يقع عليه إختيارهم ليكون إماما مصلحا .

---

(١) وزير المعارف فى وقت لاحق بعد الثورة .

استمع السادات بكل انتباه إلى حديث قاسم غالب ، ثم قال أنه مقتنع بكل ما قاله ، ولولا ذلك ما بذل كل الجهود للسماح لعبد الرحمن البيضانى كى يكتب فى روز اليوسف ولو أنه لا يزال يتمنى أن تتوحد صفوف الأحرار وتتفق كلمتها لمصلحة شعب اليمن .

ثم جاء من عدن محمد قائد سيف ومعه الزميل الثائر عبد القوى إبراهيم حاميم[١] وكان يعمل مديرا لشركة المحروقات فى اليمن ، ويستطيع أن يتنقل بحكم وظيفته بين مدن اليمن دون أن يلفت إليه النظر . وكان أبوه الشيخ إبراهيم حاميم شيخ مشايخ منطقة الراهدة التى تفصل ما بين اليمن من جهة تعز وجنوب اليمن المحتل من جهة عدن ، وكان يعمل مديرا لجمرك الراهدة وهى النقطة الجمركية الوحيدة بين تعز حيث الإمام وعدن حيث الإنجليز .

يمتاز عبد القوى حاميم بالهدوء وقوة الأعصاب ، فإذا أضفنا إلى ذلك عقيدته الثورية مع قدرته على التنقل بين المدن اليمنية وتحكمه المطلق فى نقط التفتيش فى جمرك الرهده ، لعرفنا أنه يعتبر من أعظم الركائز التى يمكن الإعتماد عليها فى توصيل الأسلحة والذخائر إلى الثوار فى اليمن ، عندما ننجح فى الحصول عليها من مصر لاستكمال ما يلزم أن يكون فى يد الثوار من أسلحة وذخائر .

عقدت عدة جلسات فى بيتى حضرها محمد قائد سيف وعبد القوى حاميم واقترحت عليهما أن ندعو إلى هذه الاجتماعات الطيار اليمنى عبد الرحيم عبد الله[٢] ، الذى كنت أعرف حقيقة مشاعره الثورية والذى كان يتنقل هو الآخر بين مصر واليمن دون أن يلفت إليه النظر لأنه يفعل ذلك بحكم وظيفته وإقامة عائلته فى مصر . كان الغرض من ذلك أن يتولى نقل الرسائل فيما بينى وبين الزملاء عبد الغنى مطهر وعبد القوى حاميم فى تعز ، والزميل العقيد حسن العمرى [٣] فى صنعاء فوافق محمد قائد سيف وعبد القوى حاميم على إقتراحى ودعونا الطيار عبد الرحيم عبد الله إلى هذه الإجتماعات التى كان الغرض منها تجميع ما أمكن الحصول عليه من معلومات وبيانات عن التجمعات الثورية فى اليمن ، قبل البدء فى وضع مخطط ثورى والتعرف على ما يحتاج إليه من مساعدات إضافية .

ذهبنا جميعا لزيارة أنور السادات الذى أبدى إرتياحه إلى ما حصلنا عليه من معلومات ، وتبين أننا نسير فى الطريق الصحيح وأننا على وشك تجميع بقية الخيوط الثورية اللازمة .

اقترح الطيار عبد الرحيم عبد الله أن نعتمد فى صنعاء على نسيبه (زوج شقيقة زوجته) المقدم عبد الله جزيلان بدلا من العقيد حسن العمرى ، لأن جزيلان يعمل مديرا للكلية الحربية ، بينما يعمل (العقيد) حسن العمرى مديرا للاسلكى وفى وظيفة مدنية بعد أن خرج من الجيش فقلت أننى أرحب بالتعاون مع جزيلان بشرط أن نتمسك بالعمرى الذى يجمع فى يده كل خيوط الضباط الثوار فى صنعاء ، بالإضافة إلى القاضى عبد السلام صبره مدير بلدية صنعاء الذى يجمع فى يده كل خيوط الثوار من القبائل والمدنيين .

---

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الشئون البلدية والقروية عند قيام الثورة .
(٢)عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الطيران عند قيام الثورة .
(٣) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير المواصلات عند قيام الثورة ثم نائب رئيس الجمهورية والقائد العام فى وقت لاحق .

شرحت المعلومات الخاصة التى كانت قد وصلتنى عن اختلاف جزيلان مع الضباط الذين تخطاهم فى الرتبة العسكرية بمساعدة البدر ، وكيف أن الضباط المهمين الذين يتولون المواقع الحساسة بعد أن تخرجوا من الكلية الحربية غير مطمئنين إلى جزيلان ، ولا واثقين فى استعداده الشخصى للاحتفاظ بصداقة الاصدقاء وحماية ظهرهم مما جعلهم يطلبون من مدير الكلية الحربية السابق العميد حمود الجائفى إبعاده عنهم ، عندما كانوا طلبة فى الكلية الحربية على نحو ما سبق ذكره فى هذاالكتاب .

أكدت لعبد الرحيم عبد الله أننى أرحب بعبد الله جزيلان وأعتبر التعاون معه كسباً لقضية الثورة ، إذا استطاع أن يحل مشاكله مع زملائه الضباط الذين فى مثل مستواه ، وغيرهم من حديثى التخرج من الكلية الحربية ، الذين يمثلون القوة الضاربة للثورة ، وعلى وجه الخصوص إذا استطاع عبد الله جزيلان أن يظفر بثقة العقيد حسن العمرى والقاضى عبد السلام صبره فى صنعاء ، وعبد الغنى مطهر وعبد القوى حاميم فى عدن ، واستطاع أن يخلق علاقة ثورية صادقة مع الملازم على عبد المغنى الذى استطاع بسعة الأفق وبعد النظر وإخلاص العزم وصدق القول وطهارة النفس أن يحظى بإحترام وثقة وتأييد معظم الضباط الأحرار .

أيد محمد قائد سيف وعبد القوى حاميم هذا الرأى على أن يكتم عبد الرحيم عبد الله جميع المعلومات عن عبد الله جزيلان حتى نتفق على إبلاغه بها فى الوقت المناسب عندما نعرف حقيقة موقفه وعلاقته مع هؤلاء .

ذهب الزملاء إلى اليمن وعدن وانصرفت إلى قراءة رسائل الأحرار اليمنيين ، التى تبينت منها أن غلاة المتعصبين من الهاشميين قد بدأوا ينظمون صفوفهم للعمل من أجل الحسن ، خوفا على النظام الإمامى الذى لا يستطيع البدر حمايته ، وإنهم أنشأوا صندوقا لجمع التبرعات بالإضافة إلى الأموال التى أرسلها إليهم الحسن من الخارج ، وإنهم يتأهبون للقيام باغتيالات ضد العناصر التى يشتبهون فى ميولها نحو الثورة والعناصر الأخرى التى يتوقعون منها أن تؤيد البدر عندما يموت الإمام .

أزعجنى إحتمال الخطر الذى أصبح يتعرض له الأحرار الثوار فى اليمن ، الذين يؤمنون بالثورة الجذرية . ومما ضاعف الإحساس عندى بالخوف عيهم ما أعرفه من الظاهره السائده فى اليمن ، وهى عدم القدرة على كتمان الأسرار على الإمام لمدة طويلة ، لأن جذور الخوف التى تأصلت فى نفوس اليمنيين خلال ألف ومائة عام تجعل إفشاء الأسرار إليه بمثابة القاعدة العامة ، وكتمان الاسرار عنه بمثابة الإستثناء الذى لا يقاس عليه ولا يطمأن إليه . وكان كل ما يمر يوم لا يعرف الإمام فيه شيئا عن أخبار الثوار أتنفس الصعداء وأتبين أننا أصبحنا فعلا على موعد مع القدر .

دفعنى خوفى على ثوار اليمن من خطر التصفيات الجسدية التى أخذ غلاة المتعصبين من أنصار الحسن يتأهبون للقيام بها إلى اسراعى بنشر تحذير للثوار على صفحات روز اليوسف فكتبت مقالا بعنوان « العصابة السوداء » فى يوم ٩ أبريل ١٩٦٢ جاء فيه :

(ما أشبه اليوم بالامس .. وما أمثل الليلة بالبارحة .

الذى يجرى الآن فى اليمن .. هو ما كان يجرى فى قريش . فى مطلع الفجر .. فجر الإسلام .

فأسياد اليمن فى ظل الشريعة الإمامية .. كأسياد قريش فى أيام الجاهلية ..

لا يطيقون العدالة ، لا يفهمون المساواة ، فلا يرجعون عن ظلمهم فى سهولة ، لا يقلعون عن بطشهم في يسر ، لا ينزلون عن إمتيازاتهم بمحض اختيار ، بل يكيدون للإصلاح ، يأتمرون على المصلحين ، ويعاندون الوعد الحق .

قال عكرمة بن أبى جهل لعمه الحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وخالد بن الوليد : أشهد إنى لم أعجب قط كما عجبت من أمر ذلك الشيخ اليمنى ، الذى من قحطان ويقال له ياسر حين مزقت جسده سياط قريش واشتعلت فى أطرافه النيران ، وكأنى به حين تتنازعه الفتية وهم يمسكون بأطرافه يتنافسون على اقتسامه كى يذكر آلهتنا بالخير فلم ينتزعوا منه سوى شتم الآلهة والتنكر لها والصلاة على محمد . وكانت ضربات السياط حين تختلط بصياح القوم تصم الآذان وكأنها مزيج من رعد مدمر وعواصف ضارية ، ثم لا يلبث أن يذوب كل شىء ، كل الأصوات ، فى صوت ياسر الهادىء المطمئن ، إذ هو يهتف بالحرية والعدالة والمساواة .

أما ابنه عمار ..

فلست أعقل كيف كان يستعذب العذاب ، ويستعجل السياط والرماح والسيوف ، وكأنه يتمنى شيئا حلوا ، عذبا ، عزيز الرجاء ، صعب المنال ، وهو يتمتم بعبارات لا أكاد أذكر منها سوى .. لا إله إلا الله .. لا سيد إلا الله .. لا ولى إلا الله .. الله أكبر .. أكبر من أبى جهل وأصحابه .. أكبر من أسياد قريش .. ومن الناس أجمعين ..

وإذا به يرفع صوته قليلا وينظر إلى جلاديه ، نظرة هى مزيج من الإستخفاف والتحدى فيقول :

« وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

هذا ما كان فى فجر الإسلام ، حين دعا إلى تحرير العبيد وتحقيق الحرية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، فكان من الطبيعى والدين الجديد هكذا أن يستميت الأسياد لينعموا فى الدنيا دون جهد أو عناء ، وليذهب العبيد والمستضعفون والمصلحون إلى الجحيم .

كان من الطبيعى والدين الجديد هكذا أن يجتمع الأسياد فى قريش يحاربون محمد وأصحابه ، يقيمون لهم المذابح ، يشعلون فيهم النار ، ويثيرون ضدهم الفتنة ، للدفاع عن امتيازاتهم غير المشروعة ، غير العادلة ، التى توارثوها أبا عن جد فى حماية الآلهة والأصنام والتقاليد الجاهلية باسم العرف والنسب واللون ، لا الكفاءة والعبقرية والمقدرة .

إذن فليجتمع أسياد قريش للقضاء على بدعة الدين الجديد ، بدعة الحرية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، وليتجمع العبيد والأجراء والمستضعفون والمعذبون فى الأرض ، أصحاب المصلحة الأولى من الدين الجديد ، ولتبدأ المعركة فى سبيل الوعد الحق . وانتصر الحق وآمنت اليمن كلها بالدين الجديد .

ولكن وأسفاه ..

لم تستمتع اليمن طويلا بهذا الدين الجديد ، إذ لجأ الأئمة إليها إلتماسا لحماها وتحت شعار الدين ، حتى إذا استولوا على الحكم فى اليمن لم يحرروا العبيد كما أمر الله ، وإنما استعبدوا الأحرار كما سولت لهم نفوسهم .

عطلوا أحكام الدين ، إنتهكوا مبادىء الشريعة .

وأخذ التاريخ يعيد نفسه ، تفاقمت المظالم الاجتماعية ، عادت الامتيازات الطبقية ، ساد الظالمون الجاهلون ، فتكوا بأبناء الشعب ، قتلوا أصحاب الحقوق والمصلحين .

فلم يرجعوا باليمن إلى عصر الجاهلية فحسب ، وإنما إلى عصر لم يعرف له التاريخ نظيرا ولا مثيلا ..

إذ لم يعد لأحد من أبناء الشعب حرمة ، ولا حق ، ولامال ، ولاعرض ، ولا حياة . أحتكرت الأسر الإمامية وأذنابها كل الحقوق ، وكل الأرزاق ، نهشت الأعراض ، إستباحت المحرمات ، فطمست بذلك أبسط معانى الانسانية .

ولم تجن اليمن من الحكام الجدد خلال الألف والمائة عام الماضية سوى أنها أسلمت نفسها إلى الطغاة والجلادين الذين باسم النظام العنصرى الطائفى أبادوا الشعب وحولوا مجد اليمن إلى ذكريات وأطلال .

فى مثل هذه المرحلة من التاريخ تلح الحاجة إلى الثورة لتعود بالشعب المؤمن بالله إلى دين الله الحق ، الذى يحمى الأعراض والحرمات ، يصون الارزاق والأرواح ، يفرض الحرية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص فينهض بالشعب ويقتص من القتلة واللصوص وقطاع الطرق ، ولو كانوا أئمة .

وعملا بمبادىء الهاشمى أبى جهل أيام النبى ، وتقليدا لمنظمته الارهابية التى ألفها فى تلك الأيام من فتية قريش ، عبدة الأصنام ليحارب الدين الجديد ويقضى على قائده النبى وأصحابه المؤمنين أقام المتعصبون من غلاة الهاشميين فى أيامنا عصابة سوداء هى منظمة ارهابية فى اليمن ، غرضها القيام باغتيال أعيان الشعب ودعاة الإصلاح والمؤمنين بالعودة إلى دين الله الصحيح ، وترك النظام الإمامى المحرف .

وفرضت هذه المنظمة ضروبا عجيبة من السرية ، وألوانا صارمة من الكتمان ، حتى لا يصل أمرها إلى القوى الشعبية المتحررة فى اليمن .

غير أن أمرها قد وصل إلى الشعب اليقظ ، الذى يرقب كل ما يدور حوله ليقف فى وجه أعدائه .

ولا شك أن أغلبية الهاشميين الساحقة فى اليمن تدرك خطر الإستمرار فى هذه التفرقة العنصرية ، بعد أن استيقظ الشعب على دعوة الاصلاح الجذرى الحقيقى ، لا الهتافات والشعارات التى كانت فى الماضى لا تقدم ولا تؤخر ولا تغير من الأمر شيئا ، بل تفيد الإمام والحكم الإمامى أكثر مما تضره .

تدرك أغلبية الهاشميين أن المساواة ستفرض نفسها لا محالة ، يفرضها الشعب عندما ينفض عن وجهه غبار القرون السحيقة لذلك فإن هذه الأغلبية الهاشمية لا تقر الأقلية من غلاة الهاشميين فى سلوكها الذى يحاول أن يوقف مسيرة الحضارة فى اليمن .

لأنه من غير المعقول أن تقف حفنة من غلاة الهاشميين فى وجه الشعب بأسره ، فى وجه سبعة ملايين ولو كانوا حفاة عراه ، عزلا من كل سلاح ، إلا سلاح العقيدة والإيمان .

العقل السليم يفرض على غلاة الهاشميين الإندماج مع الشعب والبدء فورا بإعلان المساواة وإسقاط الإمتيازات الهاشمية ، وإعلان الأنظمة التى تكفل عودة الشعب إلى مجده ، وتحقق له السير فى ركب الحضارة والتقدم والنهضة)

ثم ختمت ذلك المقال قائلا :

(لقد القت السلطات القبض على عشرات من أبناء الشعب فى تعز وصنعاء وبعض المدن اليمنية ، إنهم يبحثون فى كل مكان عن الذين يهربون روز اليوسف إلى أعماق اليمن ، وإلى السجون ، يبحثون عن المطابع التى تنقل هذه المقالات فتنسخها لتوزعها فى جميع أنحاء اليمن ، يفتشون عن الرواة الذين يحفظونها غيبا ليرويها أبناء الشعب فى المساجد ، والمدارس ، والمستشفيات ، ودور الحكومة ، وقصور الإمام ، ومجالس القات ، والأزقة ومضارب الإبل ، وفى كل مكان .

يبحثون عن الشمس في وضح النهار ، وهى معلقة فوق رؤوسهم ظاهرة للعيان ، تكشفهم على الملأ ، إنهم لا يعلمون أن الشمس لا يقطع رأسها سيف ولا تخنق عنقها مشنقة ولا تدفن نورها سجون ، ولا يبرد لهيبها إغتيال . فإذا قبضوا على رجل أخذ مكانه رجال ، وإذا عثروا على مطبعة حلت محلها مطابع ، وإذا سجنوا راوية أصبح المساجين والحراس كلهم رواه .

وباختصار ..

إذا قتلوا مصلحا فالشعب الآن كله مصلحون . لن يفلت الظالمون ولن يسكت الثوار ، ولن يرتد الشعب من بعد إيمان .

والشعب الذى قدم ياسرا وعمارا أيام النبى ﷺ .. لينشر الحرية والعدالة ، والمساواة فى أنحاء الأرض هو الذى قدم فى أيامنا الشهداء الثلايا و حميد ووالده الشيخ حسين وعبد اللطيف بن راجح وسعيد فارع والعلفى واللقية والهندوانه لينشر الحرية والعدالة والمساواة بين أرجاء اليمن .

وإذا كانت فتية قريش الظالمة قد ضاعت وتاهت من التاريخ ، وظلت أسماء ياسر وعمار وصهيب وبلال وخباب خالدة فى تاريخ الإسلام ، فكذلك سيضيع الطغاة الغلاة من الهاشميين وستبقى اسماء الشهداء اليمنيين والمعذبين المسجونين خالدة فى تاريخ اليمن .

حقيقة ..

إن الشعب اليمنى الأن شعب مستضعف مستذل مغلوب على أمره ، لكن العبيد المعذبين المستضعفين هم الذين حرروا الأسياد القرشيين فأرغموهم على تحطيم الأصنام .

وأضطروهم إلى الإيمان بالله وبحقوق الشعوب ..

والشعب اليمنى الذى كان فى طليعة الجيوش الإسلامية التى عمرت الأرض بالإيمان والعزة والكرامة لن يعجز عن إعادة الإيمان والعزه والكرامة إلى أبنائه وفلذات أكباده .

هذا منطق التاريخ ..

التاريخ القاسى فى عدالته .. العادل فى قسوته ..

التاريخ الذى سيكتب عن اليمن :

إن الشعب الذى حرر الشعوب .. لم يعجز عن تحرير نفسه ..)



الشهيد المقدم أحمد يحيى الثلايا فى ساحة الإعدام (قبيل إعدامه بلحظات أبريل ١٩٥٥)



لم يتطور معظم الأحرار القدامى المقيمين فى مصر فلم يتأثروا بهذا المد الثورى العنيف ،الذى هز أرجاء اليمن وتجاوبت معه قطاعات الشعب العسكرية والمدنية والقبلية حتى كانت الشعارات الجمهورية تجد طريقها على جدران المساجد والبيوت فى صنعاء وتعز وغيرهما من المدن اليمنية .

كان بعض هؤلاء الأحرار القدامى لا يزال يحصر مشكلة اليمن فى شخص الإمام الحاكم ويبشر بالإصلاح على يد البدر المنتظر . وكان فى الأجهزة المصرية الرسمية من كانوا يتقبلون هذه الأراء بصدر رحب إما يأسا من قدرة الشعب اليمنى على القيام بثورة جذرية ، وإما صداقة شخصية مع البدر الذى إتقن إستغلال الصداقة المصرية وأرسى فيها جذور العلاقات الشخصية . لكن هؤلاء المسئولين لم يستطيعوا مساعدة الأحرار القدامى على نشر أفكارهم الإصلاحية السطحية فى الصحافة المصرية أمام الطوفان الثورى الجارف والمتدفق على صفحات روز اليوسف .

لا شك فى أن هذه الأجهزة كانت تتلقى تقاريرها من داخل اليمن تؤكد لها أن العاصفة الشعبية قد أخذت تتحرك لتقتلع النظام الإمامى من أعماقه ، إلا أنه كان يحلو لهذه الأجهزة أن تفسر تباشير العاصفة الثورية بأنها ليست أكثر من زوبعة فى فنجان .

استطاع الأحرار القدامى المعارضون للثورة الجذرية أن ينشروا فى عدن بعض المقالات المدعمة لوجهات نظرهم الإصلاحية ضمن إطار النظام الإمامى نفسه وعلى ذات ركائزه الأساسية ، وإن أضافوا إليها الشورى والدستور وتوزيع السلطات واحترام العهود والمواثيق ووحدة الصف العربى ، وما إلى ذلك من الشعارات اللغوية الإنشائية التى تخدع الأبصار وتخدر العقول ، ثم لا تلبث أن تتوارى تحت التراب عندما يستقر الإمام الذى يعتقد أنه يستمد سلطانه من السماء ولا يقبل أن يشاركه فيها أحد من أهل الأرض .

فى هذه الأثناء وصل الزملاء محمد قائد سيف وعبد القوى حاميم ومحمد مهيوب ثابت وعبد الرحيم عبد الله وتناقشنا فيما جاءوا به من أخبار ومعلومات من اليمن ومن عدن ، وحتى نفلت من رقابة الأحرار القدامى وممثلى الإمام فى القاهرة ذهبنا لاستكمال المناقشة فى بيتى فى شاطىء المعمورة بالإسكندرية .

أمضينا هناك عشرة أيام لم يخرج أحد منا خلالها إلى الطريق ، أو يطل برأسه من النافذة ، وكان مما توصلنا إليه أن بعض المعلومات الثورية التى اتوا بها من اليمن كان مصدرها الزميل عبد الغنى مطهر فرأيت أن التقى به شخصيا حتى أسمع منه مباشرة وأناقشه فى تفاصيل ما عنده من معلومات ، وأحصى ما لديه وما لدى الزميل العقيد حسن العمرى من أسلحة وذخائر وما وزعاه منها على الضباط وغيرهم من الثوار ، وما ينقصهم من ذلك حتى يمكن البدء فى وضع خطة الثورة .

إلى جانب ذلك كان هدفى من وصول الزميل عبد الغنى مطهر إلى القاهرة أن يزور أنور السادات فيزيده اقتناعا بجدية العمل الثورى فى اليمن .

رسمت خطة وصول عبد الغنى مطهر بعد أن وافق عليها الرئيس عبد الناصر عندما عرضها السادات عليه ، وكانت تتلخص فى وصوله إلى عدن وهو أمر مألوف لا يثير دهشة أحد باعتباره أحد التجار فى اليمن . وعند وصوله إلى عدن يدعى المرض ويقيم فى بيت الزميل محمد مهيوب أو فى أى بيت من بيوت أقاربه ، ثم يصل إلى مطار القاهرة حيث يتم إحضاره إلى بيتى دون أن يختم على جواز سفره بعلامة دخوله إلى القاهرة . وفى اليوم التالى أسافر معه إلى جنوب ألمانيا بعيدا عن كل الأنظار كى نمضى معا الوقت الكافى للدراسة وإعداد المخطط الثورى الذى يحدد ما نحتاج إليه من مصر . ثم نعود إلى القاهرة والإقامة فى بيتى حتى نلتقى بأنور السادات . ولن يظهر على جواز سفره تأشيرة دخوله إلى القاهرة ولا تأشيرة خروجه منها ، وأما الدخول إلى ألمانيا الغربية والخروج منها فإنه كان فى ذلك الوقت لا يحتاج إلى تأشيرة بالنسبة لبعض الدول ومن بينها الدول العربية .

ذهب الزملاء إلى اليمن وعدن لتنفيذ هذه المهمة ، وفى انتظار وصول الزميل عبد الغنى مطهر تفرغت للرد على أفكار الأحرار القدامى الإصلاحية السطحية ، والانتقال إلى الخطوة التالية من الخطوات الثورية الخمس التى سبق أن شرحت ضرورة تحقيقها قبل قيام الثورة .

فنشرت فى ٢٣ أبريل ١٩٦٢ مقالا فى روز اليوسف بعنوان « مخالب الثوار » أرد فيه على ما نشره الأحرار القدامى من الأفكار الإصلاحية السطحية ، كما أركز العقيدة الثورية التى تتضمن إنقاذ الشعب اليمنى من مأساته التاريخية ، وأعلن دستور الجمهورية اليمنية التى أدعو الشعب اليمنى إلى الثورة من أجل إقامتها .

وكان أهم ما جاء فى ذلك المقال ما يلى :

(فى مواسم سقوط الأئمة ..

يروج المرشحون الهاشميون عقيدة يضللون بها الشعب . ملخصها أن الإمام الحاكم هو كل المشكلة ، كل الفساد ، كل المأساة ، كى تؤمن طلائع الشعب الثورية بأن نهاية الإمام الحاكم هى نهاية المأساة . وبداية الإصلاح .

وتحت تأثير هذه العقيدة المضللة لا تفكر طلائع الشعب فى رسم المستقبل كما يجب أن يكون ، وإنما تحصر كل همها فى القضاء على الإمام ، وليكن بعد ذلك ما يكون .

تتكرر المأساة .. نفس المأساة .. عبر التاريخ .

يصقل الثوار خناجرهم ، يحشون بنادقهم ، يبرزون أنيابهم للإجهاز على الإمام الحاكم ، حتى إذا ما انتهوا من القضاء عليه وجدوا أنفسهم فى قبضة إمام جديد لا يقل خطرا عن الإمام الذى قتلوه .

هكذا دواليك .. منذ ألف ومائة عام ، وكأن الشعب لا يريد أن يستفيد من تجاربه ، من تاريخه ، من ضحاياه .

فقبيل مصرع كل إمام فى اليمن ينشط الثوار الناقمون عليه المعارضون له ، لكنهم بحكم التقاليد الموروثة والمفاهيم المحدودة لا يتأملون فى حقيقة مأساة الشعب ، فلا ينتبهون إلى أصل الداء وحقيقة البلاء ، وهى التفرقة العنصرية التى يخلقها الأئمة الذين لا يستندون إلى إرادة الشعب وإنما إلى دعواهم الباطلة بأنهم أحق بالخلافة والفتك بأمة محمد .

فينصرف الثوار إلى البحث عن مرشح إمامى جديد .

لا يمتاز عن الإمام الحاكم إلا بأنه يستطيع إغراء الثوار بأسلوب أو بآخر حتى يقفوا إلى جانبه ، يكرسون له حياتهم وجهدهم وخطبهم نثرا وشعرا ، ينثرون على مناقبه باقات الزهور ، يفرشون فى طريقه مواكب الرياحين ، يضعون على صدره نياشين البركة وصكوك الغفران ، يسترون وجهه بقناع الثورة والاصلاح ، وكأنه البطل المنقذ فارس الأحلام السعيدة .

حتى إذا وصل إلى العرش إستخدم مخالب هؤلاء الثوار فى الفتك بالشعب ، ثم لا يلبث أن يقتل اصحابه ومن جاءوا به إلى الحكم كى لا يكون لأحد عليه من فضل ، فيسهل عليه بعدئذ أن يدعى القداسة والكهنوت ، ويجد من يناديه بولى الله ومبعوث العناية .

تتكرر فصول المسرحية .. بنفس التسلسل .

يضيق الشعب بالإمام الحاكم ، فيظهر مرشح إمامى جديد ، يغرى بعض المعارضين للإمام ، يستخدمهم فى إقناع الجماهير ، وعندما يصل إلى الحكم يقتلهم ويشتت شملهم .

نفس القصة .. نفس المناظر .. نفس المسرح .. نفس الشعب .

حدث كل ذلك .. لأن طلائع الشعب لم تكن ترسم خطط الإصلاح وصورة المستقبل قبل أن تنقض على الحاضر وتتنكر للماضى ، فإذا بها تعيش دائما فى الماضى الذى لا يتغير ولا يتبدل ولا يأتى بجديد .

والمرشحون الإماميون يفهمون طبيعة الظروف ، وطبيعة المعركة .

فيحصى كل مرشح إمامى من معه من الأحرار الثوار كما يحصى لاعب الشطرنج ما معه من الجنود والفيله ، ثم يصل إلى العرش مدعيا أنه قد وصل اليه بإرادة الأمة ، بينما لا يخرج واقع الحال عن مجرد تمثيلية مسرحية يقوم فيها المرشح الإمامى بدور البطل العاشق ، ويقوم الزعماء بدور الزوجة الخائنة ، ويقوم الشعب بدور الزوج المخدوع ، الذى عندما يعلم بالمأساة تتصدى له زوجة جديدة وبطل عاشق جديد .

ويظل التاريخ يعيد نفسه .

وتفاديا لاخطاء الماضى رسمت طليعة الشعب الجديدة أهدافا محدودة ليكون بناء المستقبل على أساسها(١) نوجزها فيما يلى :

أولا : العودة إلى شريعة الاسلام الحقة بعد أن أهدرها الأئمة خلال الألف والمائة عام الماضية .

وإزالة الاحقاد بين جميع عناصر الأمة .

وإلغاء التفرقة العنصرية والطائفية بين جميع أبناء الشعب .

وإصدار قانون يوضح حقوق المواطنين وواجباتهم فلا جريمة إلا بنص ولا عقوبة إلا بعد محاكمة عادلة تتم على أساس قانون ينظم الاجراءات الجنائية ويكفل حرية الدفاع .

ثانيا : إقامة الجمهورية اليمنية .

والتمهيد لإجراء انتخاب حر فى جميع أنحاء اليمن لانتخاب المجلس النيابى الذى يختار رئيس الجمهورية .

ثالثا : تحقيق أهداف القومية العربية من أجل أن تستعيد الأمة العربية مجدها العظيم فتتبوأ مركزها الخلاق فى طليعة الأمم الناهضة .

رابعا : تحقيق العدالة الاجتماعية .

خامسا : إقامة جيش وطنى قوى يكون درعا لليمن وللأمة العربية .

سادسا : إلغاء جميع المظالم التى يشكو منها الشعب على أن يتم فور قيام الدولة الجديدة ما يلى :

١ - إطلاق جميع الرهائن من أولاد شيوخ ورؤساء القبائل وغيرهم ونقلهم إلى ذويهم على نفقة الدولة .

---

(١) نص دستور الثورة الذى صدر عند قيامها .

٢ – إلغاء الخطاط والتنافيذ واعتبار الزكاة أمانة فى جميع انحاء اليمن يدفعها المواطن بمحض إرادته وبحسب تقديره .

٣ – توفير المواد الغذائية وتشجيع تصدير البن وكافة سلع التصدير .

٤ – إلغاء جميع رسوم العلاج فى المستشفيات وضرائب الصحة .

٥ – إلغاء السخرة .

٦ – إلغاء ضرائب الخمس والخيرية وحواجز المرور المقامة على الطرقات فى جميع أنحاء اليمن .

سابعا : رفع مستوى معيشة الشعب بالبدء فورا بما يلى :

١ – وضع وتنفيذ خطط اقتصادية لاستثمار كافة موارد الدولة البشرية والطبيعية مع خلق أوجه للنشاط الاقتصادى فى المناطق الجدباء الآهلة بالسكان .

وتشجيع الزراعة والصناعة والتجارة والأعمال الأخرى المنتجة .

٢ – تحسين حالة جميع رتب الجيش والشرطة والموظفين كى تندفع الدولة بكل قواها نحو العمل والإنتاج والبناء .

٣ – وضع سياسة تعليمية على أساس الخطة الإقتصادية وفتح المدارس ومراكز التدريب المهنى لجميع أبناء الشعب فى جميع المناطق مجانا مع تخصيص مرتبات للطلبة الذين لا يمكنهم لأسباب مالية أن يتفرغوا للدراسة والمران المهنى ومنح مكافآت تشجيعية للمتفوقين .

٤ – تزويد أصحاب المشروعات الخاصة بالخبره والمال والحماية الجمركية بما يتفق مع الصالح العام .

٥ – خلق الفرص والمساعدات وإصدار النظم والقوانين التى تجذب اليمنيين المهاجرين إلى العودة لليمن .

٦ – إيجاد عمل لجميع العاطلين مع صرف معاشات لكل منهم حتى توجد الدولة أعمالا كافية للجميع .

ثامنا : العمل تدريجيا على أن تعتمد الدولة على مواردها من الأوجه التالية :

١ – إستصلاح وزراعة المساحات الشاسعة من الأراضى الصالحة للزراعة المهجورة حاليا والغير المملوكة لأحد .

٢ : مصادرة الأراضى التى إغتصبتها الأسرة الحاكمة .

٣ : دخل الموارد البترولية والمعدنية والمائية والمشروعات التى تنشئها الدولة مما لا يقبل عليه الأفراد .

٤ – الرسوم الجمركية العادلة وضرائب الدخول الكبيرة التصاعدية التى تتجاوز حد الإعفاء .

هذه أهداف الشعب اليمنى باختصار ، تحت سمع وبصر الأئمة الذين يرشحون أنفسهم للحكم ، فماذا هو موقفهم منها .. ؟

الأمير الحسن شقيق الإمام مرشح غلاة المتعصبين من الهاشميين لا يؤمن بأى حرف من هذه الأهداف ..

وإنما يؤمن فقط بضرورة إستعادة هيبة الأسر الإمامية فى اليمن ، وبقاء التفرقة العنصرية رغم أنف الشعب ، أما الإصلاح الجذرى وحقوق الشعب وإيمانه بالقومية العربية والعدالة الإجتماعية والنهضة فإن ذلك كله لا يخطر له على بال .

هذا عن الحسن .. أما المرشح الإمامى الآخر وهو البدر ، فإنه لا يعارض أى هدف .

ويدعى الأيمان بكل هدف منها ، ما دام يصل عن طريقه إلى العرش وهذا أخطر ما فى أمره ، لأنه عندما يصبح إماما فإنه سوف يفتك بأصحابه ، وينقض على أنصاره . لا سيما المؤمنين بهذه الأهداف فتتأخر قضية الإصلاح . وقد ثبت ذلك بعد أن تخلى عن أنصاره بمجرد أن هز له الإمام حاجبه ، عندما عاد من روما فى العام قبل الماضى .

فقد الشعب ثقته بالحسن والبدر وجميع المرشحين الإماميين .

ويدل على ذلك ما حدث فى أيام عيد الفطر الماضى فى صنعاء حيث أمتلأت شوارع العاصمة والمساجد ودور الحكومة بالمنشورات التى تنادى بسقوط الإمامة ، وتطالب بحكومة شعبية من أبناء الشعب تحقق أهداف الأمة ، وهذا ما كتب أيضا على جدران البيوت بالخط الأحمر العريض فى الأماكن العامة والشوارع الرئيسية .)

ثم ختمت المقال بقولى :

(إن عقلية الشعب قد تغيرت منذ إنقلاب ١٩٤٨ حيث أصبح لدى الشعب عدد من خريجى الجامعات وآلاف من الشباب المثقف الثائر .

وأصبحت إذاعة صوت العرب تدق الأسماع منبهة إلى النهضة ، وتهز القلوب لافتة إلى التقدم ، فتشد الأبصار نحو النور والإصلاح .

لقد أصبح للشعب هدف محدد ، ليس مجرد تغير شخص الإمام ، وإنما تغيير كل نظام الحكم ، تغيير كل الأوضاع الإجتماعية الظالمة . تحقيق الحرية والعدالة والمساواه .

لقد أصبح الشعب مؤمنا بالثورة الجذرية .

فترك وراءه الإماميين يحلمون بالعرش المشيد فوق الشمس ، يندبون حظهم ومن معهم من المعارضين المحترفين ، بعد أن وجدوا أنفسهم في مفترق الطرق ، ونقطة التحول من السطحية إلى الجذرية ، والتطور من الأوهام إلى الحقائق ، والإنتقال من القديم إلى الجديد ، من مجرد تغيير فرد بفرد إلى استبدال نظام بنظام ، ووضع جديد يستهدف تحقيق آمال الأمة فى النهضة والتقدم .

الأمر الذى يعتمد على الكفاءات لا الشعوذة .على قدرة العمل فى المستقبل ، لا على فن الإتجار بالماضى . ولذلك أخذ الإحرار القدامى يكرهون الجديد فيعترضون التطور .. يباركون الماضى فيعطفون على العرش .

ويخشون الحاضر فيلعنون المستقبل .. وكأنهم والإمام سواء ..)

٩

كان للدعوة إلى الثورة الجذرية رد فعل خاص على الإمام والبدر وبقية المتعصبين اليمنيين لأنها أشعرت الجميع بأن خطة الثورة قد استكملت كل حلقاتها ، وأن الإعلان عن دستور الجمهورية اليمنية يعنى أن الثوار قد اقتربوا من ساعة القيام بها فبدأت حاشية الإمام تفكر فى الهرب من اليمن .

ودار حديث بين الإمام ونسائه وجواريه حضره عراف الإمام الفلكى الصديق محمد حلمى ، الذى سبق أن تحدثت عنه فى هذا الكتاب ، وكان الإمام قد استدعاه ليحسب له طالع النجوم لمعرفة مصير الحكم الإمامى فى اليمن ، وما سوف يؤدى إليه نشاط عبد الرحمن البيضانى فى مصر ، وما إذا كان من الأصلح له أن يغادر اليمن أو يبقى فيها ، إلى جانب الأسئلة الأخرى التى كان الإمام لا يتحرك إلا بعد أن يجيب عليها عرافه الفلكى الخاص .

خرج الصديق محمد حلمى من مخدع الإمام وكتب إلىّ رسالة بالرموز الرقمية التى سلمها إلىّ قبيل هروبى من اليمن فصغتها فى مقال بعنوان (القصر الحزين) نشرته فى روز اليوسف فى ٧ مايو ١٩٦٢ محاولا إلقاء الرعب فى قلب الإمام عندما أنشر أحاديثه الخاصة مع نسائه وجواريه التى لم يطلع عليها غير عرافه الذى لم يكن يشك فى أمره على الإطلاق ، وبذلك تدور رأس الإمام بالأوهام والظنون والقلق والحيرة وهو يبحث عن أنصارنا الملتفين حوله ، المتسللين بين جدران مخدعه .

جاء فى ذلك المقال :

(صدر الأمر الشريف .. فاختار رئيس الحرس الملكى شيخا سجينا من شيوخ القبائل ، وأسرع به إلى قصر صالة (فى مدينة تعز) وفتح الباب الكبير ، ثم اتجه إلى أسفل القصر مع عدد من الجنود ، وفتح بابا ضخما من الحديد السميك .

وفجأة دفع الشيخ إلى الغرفة المظلمة وأغلق من خلفه الباب فانتهت مهمته الرسمية ، ليتمها غيره ممن ينتظرون داخل الغرفة على أحر من الجمر لينفذوا أمر الإمام فى لحظات معدودات .

من مخدع الإمام فى تعز ننقل صورة ما حدث فى الأيام الماضية . وليس لنا سوى إختيار الإسلوب ، وانتقاء الألفاظ كى يسهل على القارىء أن يتصور الموقف .

مولاى ..

صاحت زيتونه جارية الإمام المتسلطة عليه (٥٥ سنه) : هل سنحبس أنفسنا داخل هذا القصر حتى يهجم علينا الثوار فيقطعوا رؤوسنا ويعلقوها فوق الأشجار شأن الدهماء من أفراد الشعب ؟ . لماذا يا مولاى لا نترك القصر ونرحل إلى حيث الأمان والإطمئنان فننعم بخيراتنا فيما بقى لنا من حياة . ؟

خافتى بصوتك يازيتونة .. قال الإمام .. أية حياة بقيت لى يازيتونه ؟ . هاتى ذراعى المكسور المتقيح وضعيه فوق صدرى ، آتنى بساقى الهزيلة المتحطمة وضميها إلى جسدى ، ثم اثنيها قليلا وضعى تحتها وسادة ، واسنديها بأخرى كى لا تسقط . ثم ادفعى رأسى إلى الأمام قليلا لأضع يدى تحت عنقى فأراك وأتحدث إليك ، ثم أسألك بالله أية حياة بقيت لى بعد هذا الذى ترينه يازيتونه ؟ .

كفى يا مولاى .. لا يبكى أمثالك من الأئمة .. لكن زيتونه لا تملك نفسها فتبكى ثم تمسح دموع الإمام ، هذه الدموع التى لم يستطع الجن حبسها بعد أن عجز عن حماية الإمام من رصاص الشعب فى مستشفى الحديدة فى العام الماضى .

وماكادت زيتونه تمسح دموع الإمام حتى اندفعت إليه سميحه زوجته السورية (٢٢ سنة) وكانت جارية بيضاء أهداها الملك سعود إلى الإمام .

قالت سميحة .. مولاى .. لا بد أن نخرج من اليمن . إن رائحة البارود تفوح من كل مكان . والله إننى عندما أمرق بسيارتى فى شوارع تعز ألمح من خلف الحجاب عيون الناس وقد إمتلأت حقدا على القصر ومن يتصل بالقصر حتى كدت أحس بهم ينشبون أظافرهم فى أعناقنا ، فلماذا لا نسرع بالخروج من اليمن ؟ . ولدينا فى الخارج أموال ليس لها حصر يمكن أن يعيش عليها ألوف الناس حتى آخر أعمارهم . فمنذ أن خرج مولاى البدر إلى روما العام الماضى وأخذ معه أربعين صندوقا مليئا بالجنيهات الذهبية ونحن نضم إليها كل شهر نحو خمسة صناديق ، فمن ذا الذى سيعيش على هذه الثروة إذا كنا سنبقى رهائن داخل الأسوار التى تحيط بالقصر الحزين ؟

كذلك ظهرى يا مولاى قد أكله السل بعد أن تمكن من أسفل عظام العمود الفقرى ، ولم ينفع العلاج الذى أجريناه فى روما لأنه جاء متأخرا ، أما زوجة مولاى البدر فهى الأخرى توشك أن تموت من سل الرئة وقد عجزت مستشفى تعز عن علاجها ، ثم هذه النسوة اللائى يعشن حولك يا مولاى قد أصبحن كلهن مزرعة للسل ينتظرن الموت البطىء .. انقذهن يا مولاى .

هيا نرحل من اليمن قبل أن يطأ الثوار رؤوسنا ، قبل أن يربطونا بالسلاسل والأغلال . قبل أن نبتلع التراب ، ونشرب من الوحل ، ونعض أصابعنا من الندم .

أهدئى ياسميحة .. قاطعها الإمام .. وشد إليه رأس زوجته الأخرى الطفلة ذات العشر سنين وأخذ يتأمل فى الحاضر والمستقبل ، ويقول : ما لهذه الدنيا تظلم من حولى ثم تمعن فى ظلمتها ، فأتخبط كمن يضل الطريق . صدرى يطبق على أنفاسى ، حتى أصبحت أستعجل الموت الذى يبطىء ، ثم يبطىء ، ثم يسرف فى بطئه .

وكأن الموت قد أصبح أبعد منالا من الدنيا ، واعز رجاء من الحياة . ضربات قلبى تخفت وتكاد تنقرض فلا أسمع سوى أنات أحشائى . ماذا فعلت بأهل اليمن ؟

ألم أسلك نهج أبائى وأجدادى ؟ ماذا يريد الشعب ؟ هل منعت أحدا من الطعام والشراب ؟ .

ماذا يريد الناس بعدئذ من الدنيا ؟ . ماذا يطلب الشعب من المساواة ؟ . هل يتساوى أولاد الشارع بأولاد النبى ؟ . هل يستوى يحيى منصر (شيخ من مشايخ تهامة) بإبنى البدر ؟ أو يستوى الفاشق (شيخ آخر) بأخى الحسن ؟ . أو يستوى الزرانيق (قبائل تهامة)بسادة شهارة ؟ . أو يستوى أهل تعز بأشراف الجوف ؟ .

ألا أيتها الأرض .. إبلعى الجبال .. وادفنى الدنيا . فلا خير فى حياة يتساوى فيها الناس بالناس . فيستوى المحكوم بالحاكم ، والعبيد بالأسياد ، وأبناء قحطان ببنى هاشم ، وتتعلق إرادة الإمام على رغبات الشعب ، ويخضع أمير المؤمنين للمؤمنين ، انفطرى يا سماء ، تبعثرى يا نجوم . اسقطى ياشمس .

ويستغرق الإمام فى البكاء ، ويهذى بألفاظ غير مفهومة ، ويأتى بحركات تشنجية ، ثم يكف عن كل ذلك إذ هو يسبح فى غيبوبته المعتادة .

وتدخل أمة السلام .. (بنت حجر المسماه بسيدى عبد المحسن) ، تحمل إلى الإمام حقنته المعتادة من المورفين كى يهدأ ويستريح ، وتبكى النسوة حول الإمام إلى أن يعود إلى صوابه فتقول أمة السلام :

مـولاى ..

لماذا لا تسقط علينا الشمس ونحن فى إيطاليا أو سويسرا ؟ . هيا يا مولاى مر بالرحيل فقد أعددنا كل شىء ولم يبق فى المغارة من المال سوى ما يقرب من مليون ونصف المليون من الجنيهات الذهبية ، فهل أعطيتنى المفتاح لأنقذ الباقى قبل فوات الأوان ؟ .

ويدفن الإمام يده السليمة فى صدره ، ويخرج حبلا كان معلقا حول رقبته يتدلى منه مفتاح من حديد ، طوله ١٠٤ سنتيمترا وقطره نحو سنتيمترا ، ويعطيه لأمة السلام سيدى عبد المحسن قائلا : خذى معك بنت نصار (إحدى

زوجات الإمام) وانقذا الباقى من الذهب ، أما الرحيل فلى فيه رأى سأخبركن عنه بعد أن أستشير .

وفى الحال طارت امة السلام سيدى عبد المحسن مع بنت نصار على متن سيارة وصعدا فوق جبل صبر المطل على مدينة تعز ، ودخلا إلى المغارة ونقلا منها ماأمكنهما نقله إلى القصر حيث يرقد الإمام .

أما الإمام فقد هم بالإستشارة ، فأمر بإحضار البخور ، وإغلاق النوافذ والأبواب وإطفاء المصابيح ثم أخذ يتمتم بعبارات سرية يستحضر بها روح والدته المدفونة تحت القصر يستشيرها فى الأمر ، لكنها لا تحضر ، فيعيد الإمام الترتيل لكنها لا تحضر ، فيعيد الإمام الترتيل ولا تحضر ، فيزيد من البخور ولا تحضر .

فبكى الإمام وهو يستعطف ولا تحضر ، حتى إذا يئس من حضورها التمس لها شتى الأعذار ، وفطن إلى أنها تنتظر القربان فيصيح فى الجوارى والنساء ليحضرن على مانع رئيس الحرس الملكى . ويأمره بأن يلقى بأحد المساجين بين أنياب الأسود السبع التى تجوع بأمر الإمام طيلة الأسبوع تنتظر قربانه فى أسفل قصر صالة بمدينة تعز ، كى ترضى روح والدته فتحضر وتقدم إليه المشورة .)

ثم ختمت هذا المقال معلقا على ما جاء فى رسالة الصديق العراف محمد حلمى فقلت :

(إن كنوز الإمام يحيى (والد الإمام أحمد) التى اعتصرها من دماء الشعب خلال ٤٠ سنة تبلغ ٤٠٠ مليون جنيه ، كما جاء على لسان البدر نفسه فى مؤتمره الصحفى الذى عقده فى القاهرة سنة ١٩٥٥ على أثر فشل الإنقلاب الذى قاده إبن الشعب المقدم أحمد يحيى الثلايا ، حيث قال البدر أنه اتفق مع والده الإمام على إخراج كنوز الشعب التى تبلغ هذا القدر للإنفاق منها على إصلاح اليمن بحسب الخطة التى سترسمها الحكومة الجديدة التى ستتألف من رجال الشعب .

ولما عاد البدر إلى اليمن سحب كل كلمة قالها فى القاهرة ، ولم تتألف الحكومة الشعبية ، ولم ترسم الخطة الإقتصادية ، ولم يخرج ريال واحد من أموال الشعب لإصلاح اليمن . وإنما أخذ الإمام وإبنه يهربان الأموال إلى الخارج . ثم أعلنا أخيرا أن خزانة الدولة فارغة تماما ولم يعد بها ما يكفى لمجرد دفع مرتبات الموظفين أو حتى مخصصات الطلبة اليمنيين فى الخارج . ولذلك أمر بمضاعفة الضرائب وإمتصاص كل ما بقى مع الرعايا دون قيد شرعى ، أو رادع خلقى .

ثم أخذا يمدان أيديهما للدول الصديقة لتقرضهما ما يتيسر ، وبعد كل ذلك يستوليان على الضرائب المعتصرة من عرق الشعب الجائع والمساعدات التى تتبرع بها الدول إلى هذا الشعب اليمنى المسكين .

ويجوع من يجوع . ويحيا من شاء أو يموت . ولا بأس فى شىء من ذلك على الإطلاق ما دم الطريق إلى حساباتهما فى إيطاليا وسويسرا سهلا ميسرا . ثم يعود الرسل محملين بقوارير الخمر الحلال الذى ذهب ثلثاه بالطهى . كما هى فتوى الإمام عندما كان يعالج فى روما .

ويتبارى القوم فى وصف الحال . يتفقون ويختلفون . لكنهم يجمعون على أن هذا العمل ليس إلا قرصنة مجردة من أبسط قواعد الإجرام ، التى يتحلى بها اللصوص ، ويلتزم بها قطاع الطرق الذين يترفعون عن نهب المساكن ، ويتعففون عن سلب الضعفاء ، وعندما يسرقون الضحايا يتركون لهم ما يمسك الرمق .

فلو أن أئمة اليمن كانوا يتحلون بأخلاق اللصوص وقطاع الطرق لهان الخطب على اليمن ، ولما وصلت حالة الشعب إلى ما وصلت إليه من بؤس ويأس وشقاء .

وليس الذى يحدث فى اليمن الآن جديدا عليها . فطالما كانت آمال الشعب تغوص فى الوحل تحت أقدام الطغاة ، أو تغرق فى أعماق اليأس ، أو تحترق من جهالة الزعماء ، وتهافتهم على موائد الأئمة ، وقبولهم أنصاف الحلول بدعوى أنهم يختصرون الطريق الوعر . طريق الثورة الجذرية التى تحقق كل عناصر الحرية والعدالة والمساواة .

فلم تأت أنصاف الحلول سوى بتوسيع الجراح ، وتأصيل المآسى ، وتمكين الأئمة من الفتك بالشعب، حتى كاد يفنى جيلا من بعد جيل . فسقط من عمر اليمن أحد عشر قرنا ، تبلد فيها التاريخ فتجمدت عقارب الزمن .

فإذا بحاضرها كماضيها ، ويومها كأمسها ، وزعمائها كأئمتها ، وأحرارها كجلاديها ، حتى اختلط الأمر على الشعب ، هل هو حى أو ميت ؟ . هل يعيش فى عالم الدنيا ؟ . أو يسبح فى ملكوت الآخرة ؟ .

هل يسكن البيوت أو يفترش المقابر ؟ .

وبعدئذ لايكاد يدرك هل هو ساكن أو متحرك ؟ .

ما دامت صورته عبر القرون السحيقة لم تخط إلى الأمام ، بل تقهقرت إلى الخلف ، ثم لم تلبث فى مكانها بل هوت إلى الحضيض .

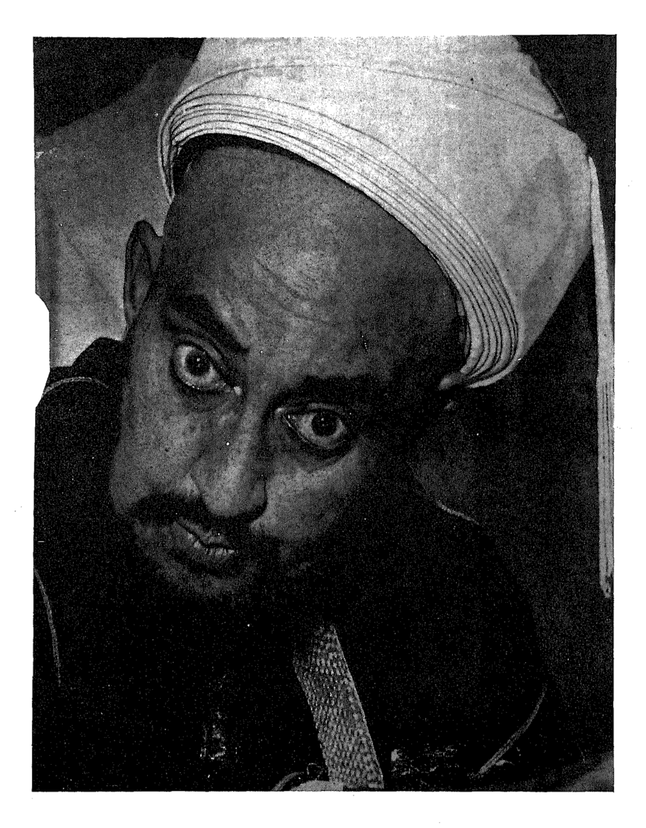
ثم أخذ الكيل يطفح بما فيه ، والشعب يفطن إلى جذور النكبة ، فتنبه الغافل ، وأستيقظ النائم ، والتفت التائه ، فدبت الحياة ، وتهامس الناس ، وتناجى الثوار ، وتجاوب الشعب ، فالتأم الشمل .

وهنا أخذت الشمس تهذب من طباعها ، وتعدل من سيرتها ، فلا تحرق رمال الصحراء ثم تدفن نورها تحت الأرض وتختفى خلف الأفق ، وإنما تنشر رداءها الرقيق على أرض سبأ ، فتحمل إليها كلمات الحق ، وتجارب الماضى ، وصورة المستقبل .

حبس الشعب دموعه فى مآقيه ، لأن الدموع لا تصنع شيئا سوى تبريد الحقد وإطفاء الثورة . كف الشعب عن البكاء . وأخذ يتحفز للحاضر ، ويبتسم للمستقبل .

ولكن .. فئة من الناس يأتى دورها لتبكى فبكى الإمام ومن هم حول الإمام .

هذه حكمة القدر ، وعدالة الله ، وعبرة التاريخ .)



الإمام السابق أحمد بن يحيى حميد الدين آخر الأئمة الذين حكموا اليمن بالحديد والنار وكان لقبه الشعبى (أحمد ياجناه) تشبيها له بالجن .

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

قرآن كريم

تنظيم الثورة

الفصل السابع

١

كانت القوة الثورية المدنية والعسكرية فى تعز تشمل عددا كبيرا من الشباب الثائر ورجال القبائل الأحرار وعددا من العلماء والتجار ، وكان فى مقدمة هؤلاء القاضى عبد الرحمن الإريانى نائب رئيس الهيئة العليا الشرعية الذى يتمتع بصلات جيدة مع رجال الدين والقبائل ، وعبد الغنى مطهر أحد التجار فى تعز الذى وهب الكثير من أمواله لمساعدة التنظيمات الثورية وتزويدها بالسلاح والذخيرة والمال الذى تستكمل به ما تحتاج إليه من معدات . والملازم سعد الأشول قائد الدبابات ، والملازم عبد الله عبد السلام مساعد قائد الدبابات وكان معهما سبعون فردا من صف الضباط والجنود . والملازم محمد الخاوى قائد المدفعية وكان معه مائة وعشرون فردا من صف الضباط والجنود . والنقيب على الكهالى مفتش الأسلحة والذخيرة والملازم عبد الله الحيمى نائب قائد شرطة تعز وكان معه ثلاثون ضابطا وجنديا ، والملازم أول محمد مفرح مدير شرطة المخا وكان مستعدا للإشراف على تنفيذ خطة الثورة فى تعز ، والرقيب أول (شاويش) حمود سلامة قائد بلوك مسلم وكان معه مائة وعشرون جنديا يحرسون الطريق ما بين قصر صالة حيث توجد مخازن الأسلحة والذخيرة وقصر العرضى حيث يقيم الإمام . والرقيب أول (شاويش) عبد الله ناجى قائد بلوك صياد وكان معه مائة وثلاثون جنديا يحرسون مطار تعز والسفارات الأجنبية ، كما كان الرقيب أول عبد الله ناجى متفاهما ومرتبطا ارتباطا ثوريا مع نحو تسعين جنديا من جنود بلوك حرس الأسرى داخل قصر الإمام .

كان هناك تسعة جنود يحرسون غرفة نوم الإمام بالتناوب ، كل نوبة تتكون من ثلاثة جنود وقد أمكن الإتفاق ثوريا مع ثلاثة منهم يشتركون فى نوبة واحدة كى يفتحوا أبواب قصر العرضى وإفساح الطريق إلى غرفة الإمام وهم على واصل وحميد الحاشدى وصالح البوركى .

وكان عبد الغنى مطهر يحتفظ فى بيته بمائة قنبلة يدوية وأربعة الاف طلقة مدافع رشاشة من التى يمكن تركيبها على سيارة أو استخدامها بمدافع الدبابات الموجودة لدى الإمام فى مخازن تعز والتى لم تكن بها ذخيرة . وكذلك كان يحتفظ فى بيته بعشرين مسدسا وأربعة مدافع رشاشة صغيرة مع كل منها خمسمائة طلقة ، وثلاثين قنبلة زمنية فى حجم قلم الحبر وكان من بينها ما ينفجر بعد ست ساعات وما ينفجر بعد ساعة واحدة .

أما أسلحة الإمام فكانت ثمان دبابات خفيفة عليها مدافع رشاشة ولكن بغير ذخيرة ولا مفاتيح لمحركاتها ، وأربع دبابات ثقيلة بدون ذخيرة وبغير مفاتيح ، وثلاثون مدفعا كبيرا بدون ذخيرة ، وثمان وعشرون مصفحة بدون ذخيرة وبغير مفاتيح ، وثمان سيارات من سيارات الجيب خارج القصر بدون ذخيرة ، وجهاز لاسلكى داخل القصر ، وسيارتان من سيارات اللاسلكى ، وكانت مجموعة تعز الثورية تستخدمهما فى الإتصال الرمزى مع المجموعات الثورية فى كل من صنعاء والحديدة .

كان مجموع جنود الجيش فى تعز ستمائة جنديا ومأتين من العكفة (الحرس) فإذا طرحنا من هذا المجموع حوالى خمسمائة وسبعين فردا مرتبطين بالثورة لكان من تبقى مشكوكا فى ولائهم للثورة نحو مائتين وثلاثين فردا .

كذلك كان مع العكفة (الحرس) ثلاثة مدافع كبيرة قديمة فى قلعة قاهرة تعز ، ومدفعان كبيران قديمان بجوار تلك القلعة ، أما المخازن فكانت تحتوى على مدافع رشاشة وبنادق لم نتمكن من معرفة عددها . وكان فى إمكان الثوار أن يقتحموا هذه المخازن ويستولوا على ما كان فيها من أسلحة وذخائر بموجب أوامر من الزميل النقيب على الكهالى مفتش الأسلحة والذخيرة ، كما كان فى وسعهم تحريك الدبابات والمصفحات بطريقة لا تحتاج إلى مفاتيح .

وكانت القوة الثورية المدنية والعسكرية فى صنعاء تشمل أيضا أعدادا كثيرة من الشباب الثائر ورجال القبائل وكبار الضباط الأحرار والعلماء والتجار وفى مقدمتهم العقيد حسن العمرى نائب وزير المواصلات ومدير اللاسلكى والذى كان الضباط الثوار يجتمعون فى بيته وعلى رأسهم الملازم على عبد المغنى والملازم أحمد الرحومى والملازم صالح الأشول . وكان القاضى عبد السلام صبرة رئيس بلدية صنعاء يحضر هذه الإجتماعات ويتولى مع العقيد حسن العمرى تنسيق الإتصال فيما بين زعماء القبائل الأحرار وتنظيم الحركة الثورية فى صنعاء وتزويد الأحرار بما يحتاجون إليه من أسلحة وذخائر من تلك التى كان يختزنها العقيد حسن العمرى فى بيته والأخرى التى كانت تصل إليه من الزميل عبد الغنى مطهر من تعز .

وكان العميد عبد الله السلال قائد الحرس الملكى يتابع ، من بعيد ، هذه الاتفاقات والتحركات الثورية عن طريق القاضى عبد السلام صبره والعقيد حسن العمرى وكذلك كان من ضمن قوة الثوار فى صنعاء العقيد عبد الله الضبى مدير الأمن فى صنعاء ونائبه العقيد محمد عبد الواسع اللذان كانا على استعداد لتجنيد قوات الأمن لصالح الثورة عند قيامها .

كذلك استطاع القاضى عبد السلام صبره إقناع الضباط الأحرار فى صنعاء بضم المقدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية ، بعد أن اشترطوا عليه عدم اطلاعه على أية تفاصيل إلا قبيل القيام بالثورة تجنبا لتسرب أخبارها إلى البدر .

أما القوة الثورية فى الحديدة فكانت تشمل الأب الروحى للضباط وهو العميد حمود الجائفى ، وكان يعمل فى ذلك الوقت مديرا لميناء الحديدة ومعه الرائد أحمد الجرموزى قائد الجيش فى الحديدة الذى كان على صلة وثيقة وارتباط ثورى مع كل من الزميل عبد الغنى مطهر فى تعز والقاضى عبد السلام صبره والعقيد حسن العمرى فى صنعاء .

وفيما يتعلق بقبائل القسم الأعلى فقد كانت أغلبيتها الساحقة تحترق شوقا إلى التخلص من النظام الإمامى ، وكان محور الالتقاء فيما بين العناصر الثورية القبلية يعتمد على العقيد حسن العمرى والقاضى عبد السلام صبره والزميل الثائر الأستاذ على المطرى مدير مكتب البدر [١] وناصر الكميم أحد تجار صنعاء الذى انفق معظم أمواله على التمهيد للثورة وكان فوق ذلك يحتفظ بالأسلحة والذخيرة فى بيته لحساب الثورة .

وإذا اتجهنا نحو قبائل القسم الأسفل نجد الزملاء عبد الغنى مطهر وعبد القوى حايم وعبد الرحمن الحكيمى ومحمد عبد الواسع حميد قد عقدوا الروابط الثورية مع جميع مشايخ هذا القسم فى نطاق لا أبالغ إذا وصفته بأنه كان يخلو من أى استثناء .

وأما قبائل المشرق (شرق اليمن) فقد كانت تلتقى على اقتلاع جذور النظام الإمامى وكان يمثلها الزميلان الشيخ سالم حسين الرماح والشيخ سالم عبد القوى الحميقانى .

وفى عدن لم تجد نشرات الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمود الزبيرى الإصلاحية السطحية أى رواج بين الأحرار سوى أنها أدت إلى إنصراف الأحرار عنهما والإرتباط بدعاة الثورة الجذرية والجمهورية اليمنية . وكنت قد دعوت الزميل الأستاذ عبد الرحمن الحكيمى نائب رئيس الإتحاد اليمنى فى عدن والزميل الأستاذ محمد عبد الواسع حميد عضو اللجنة المشرفة على الإتحاد ، والتقيت معهما فى بيتى فى القاهرة بحضور الزميل محمد قائد سيف ، ووضعنا خطة لتعبئة الشعور الوطنى الجارف الذى التف حول مقالات روز اليوسف ، وتفاديا للخلاف على منصب رئاسة الإتحاد اليمنى فى عدن اتفقنا على الغائه وأن يتولى الزميل عبد الرحمن الحكيمى امانته العامة ، وأن يكون الزميل عبد الواسع حميد نائبا له ويقوم بتمثيل الإتحاد فى القاهرة . وبعد ذلك يقوم الإتحاد اليمنى فى عدن بارسال وفود إلى المهاجر اليمنية لتهيئة اليمنيين المهاجرين للعودة إلى اليمن فور قيام الثورة لتأييدها والدفاع عنها .

وعندما عاد الزميلان عبد الرحمن الحكيمى ومحمد عبد الواسع حميد إلى عدن تلقيت رسالة من الزميل الثائر محمد على الأسودى رئيس الاتحاد والزميل الثائر محمد أحمد شعلان يباركان الثورة الجذرية والجمهورية اليمنية ، ويؤيدان التخطيط المقترح لنشاط الإتحاد اليمنى فى عدن وإرسال الوفود إلى المهاجر اليمنية ، فأرسلت اليهما دعوة لزيارتى فى القاهرة حيث أقاما ضيوفا فى فندق مينا هاوس على حساب السيد أنور السادات .

كانت هذه خريطة القوى الثورية على الساحة اليمنية وفى عدن والقاهرة والمهاجر اليمنية ، سواء من حيث الثوار المدنيين والعسكريين أو من حيث الأسلحة والذخيرة وإمكانيات الاتصال فيما بين الثوار .

---

(١) أمين عام رئاسة الجمهورية حاليا .

وكانت مدينة تعز هى مركز الثقل الثورى حيث يقيم الإمام الذى تقتضى خطة الثورة أن تنطلق منها الضربة الثورية الأولى ثم تتجاوب معها صنعاء والحديدة .

وفى يوم ١٨ مايو وصل الزميل الثائر عبد الغنى مطهر حسب الخطة المتفق عليها واستقبله فى المطار السيد فوزى عبد الحافظ مدير مكتب السيد أنور السادات . وكنت فى انتظارهما فى بيتى ، وفى اليوم التالى حضر السيد فوزى عبد الحافظ واصطحب معه الزميل عبد الغنى مطهر إلى الطائرة المتجهة إلى مطار ميونخ فى جنوب ألمانيا الغربية وكنت أنتظره فى المقعد المجاور لمقعده على نفس تلك الطائرة .

ومن ميونخ توجهنا إلى قرية جارميش فى التيرول الألمانى بالقرب من مدينة انسبروك على حدود النمسا .

سألت الزميل عبد الغنى مطهر عن مدى تعاونه مع الزميل العقيد حسن العمرى فأكد لى أنه متعاون معه إلى أبعد الحدود ، وسلمنى برقية كانت قد وصلت إليه من العمرى يطلب فيها مبلغا من المال لشراء أسلحة وذخيرة للثوار فى صنعاء وهى بكلمات رمزية ونصها (الأخ عبد الغنى مطهر – تعز سبقت برقية من مدير دار الضيافة . عجل إرسال الفلوس . كان القطع فى المحل الذى طفته . اللبنه مائة وثمانين ريال . عجل التحويل مع مطلوبنا . أخوكم حسن العمرى) .

صنعاء
تعز الاخ عبد الغني مطهر تعز
سبقت برقية من مدير دار الضيافة عجل ارسال الفلوس كان القطع
في المحل الذي طفته اللبنه مائة وثمانين ريال عجل التحويل مع مطلوبنا
اخوكم
حسن العمري

نص البرقية بالتاريخ الهجرى وخاتم إدارة اللاسلكى فى تعز .

وسألته عن علاقاته مع الزميل الملازم على عبد المغنى فقال انه التقى به عدة مرات فى تعز قبل أن يعود إلى صنعاء ويستقر هناك ويصبح ضمن قوة الثوار فى العاصمة الأولى لكنه لم يصارحه بشىء مما فى نفسه ، فأوضحت له أن الملازم على عبد المغنى يتمتع بشعبية كبيرة بين الضباط وأنه من الضرورى إطلاعه على كل شىء والتعاون معه

ومحاولة تحسين علاقاته مع المقدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية سعيا إلى توحيد الصفوف ، مع ملاحظة أنه فى مجال المقارنة وحتمية المفاضلة بينهما علينا أن نختار التعاون مع الملازم على عبد المغنى لأنه يحظى بثقة معظم الضباط الذين يتولون فعلا قيادة المواقع الضاربة فى الجيش سواء فى صنعاء أو فى تعز .

أثناء لقائى البالغ السرية مع الزميل عبد الغنى مطهر فى قرية جارميش فى جنوب ألمانيا الغربية لم أتمكن من التعرف بصفة دقيقة على احتياجات الثوار من أنواع الذخائر التى تحتاج إليها : الأسلحة التى يمكنهم الإستيلاء عليها من مخازن الإمام ، والأسلحة الأخرى التى تركها الإمام خارج المخازن بغير ذخيرة ، فطلبت منه أن يكلف النقيب على الكهالى مفتش الأسلحة والذخيرة بكتابة قائمة تفصيلية بهذه الإحتياجات ، إلى جانب القوائم التى سيتلقاها من الزميل العقيد حسن العمرى من صنعاء حتى أسعى إلى الحصول عليها من مصر إذا تمكنت من إقناع الرئيس عبد الناصر بالإطار العام لخطة الثورة ، بعد عرضها على السيد أنور السادات عندما نعود إلى مصر .

كان المفروض أن نتفق على الإطار العام لخطة الثورة وأن نترك تفاصيلها للثوار الذين سوف يقومون بتنفيذها بحسب ظروفهم وما يرونه على ساحة المعركة .

ويتلخص الإطار العام لخطة الثورة الذى قمت بوضعه فيما يلى :

عندما يستكمل ضباط الثورة فى تعز إحتياجاتهم الضرورية من الأسلحة والذخيرة ، ويكتمل تكوين الفرق الفدائية من الشباب الثائر المزود بالقنابل اليدوية والأسلحة الخفيفة ، وبعد إخطار المجموعتين الثوريتين فى كل من صنعاء والحديدة ، يبدأ الترقب لنوبة الثوار الثلاثة حراس قصر الإمام (فى تعز) وهم الرقباء على واصل وحميد الحاشدى وصالح البوركى ، فيتم اقتحام قصر الإمام مع أول ضوء فى الفجر ويجرى القبض على جميع المسئولين اليمنيين غير المشتركين فى الثورة كإجراء وقائى حتى تستقر الثورة ، وكذلك القبض على جميع نساء البيت المالك دون استثناء تفاديا لأسباب الفشل التى أصابت إنقلاب الشهيد المقدم أحمد يحيى الثلايا ، والذى كان من بين أسباب فشله قيام نساء أسرة الإمام باستثارة حمية القبائل لإنقاذ بنات رسول الله .

وإذا كان هؤلاء الرقباء قد تفرقوا إلى أماكن أخرى ولم يتمكن رجال الثورة من الإتفاق مع من يحل محلهم تقوم الثورة أيضا ما دام الثوار قد استكملوا بقية إحتياجاتهم الضرورية ولم تعد مهمة اقتحام قصر الإمام صعبة على قوات الثورة .

وأثناء اقتحام قصر الإمام يتم الاستيلاء على جميع الأجهزة السلكية واللاسلكية أو تدميرها إذا لم يتم الإستيلاء عليها ، بينما يتولى النقيب على الكهالى توجيه الثوار مع أفراد بلوك مسلم للاستيلاء على الأسلحة والذخائر التى فى المخازن وتوزيعها على الثوار العسكريين والمدنيين ورجال القبائل الذين يصلون إلى تعز فى الوقت المناسب للمساعدة على إحكام السيطرة على الموقف ، وإغلاق منافذ الاقتراب من تعز وتدعيم بلوك صياد وهو يسيطر على منطقة المطار .

تنتظر المجموعة الثورية فى صنعاء حتى تصلها إشارة من المجموعة الثورية فى تعز تعلن تمام السيطرة على الموقف والتخلص من الإمام . وبعد ذلك ، وليس قبل ذلك ، يقوم العميد عبد الله السلال بصفته قائدا للحرس الملكى فى صنعاء والعقيد عبد الله الضبى بصفته مديرا للأمن بالتوجه إلى البدر وإظهار تأييدهما له وينصحانه بالالتجاء إلى مبنى ثكنات الجيش لتجهيز حملة ضد ثوار تعز ، وفى نفس الوقت يصدر العميد عبد الله السلال أمرا إلى أمير مفرزة قصر السلاح بفتح باب القصر وتسليم السلاح والذخيرة لضباط الجيش (الثوار) باسم العمل على حماية العاصمة ومحطة الإذاعة .

فى هذه الأثناء يقوم الضباط الثوار بتوزيع قواتهم على المراكز الهامة فى صنعاء وتعيين مجموعات لحراسة جميع المسئولين والخطرين على الثورة .

وفى اللحظة التى يراها الثوار مناسبة تصدر قيادة الثورة أمرها باعتبار البدر مقبوضا عليه إذا كان قد استمع إلى النصيحة والتجأ إلى ثكنات الجيش ، وإذا كان لم يستمع إلى نصيحته وبقى فى قصر البشائر (قصر البدر) فإن الأمر لن يختلف كثيرا لأن الثوار يكونون قد أحاطوا به داخل قصره باسم حمايته ، وتحت قيادة قائد حرسه الملكى العميد السلال ، كما يكونون قد اتموا السيطرة على جميع المراكز الهامة فى العاصمة بما فى ذلك محطة الإذاعة ومطار صنعاء ، كما قد أحاطوا بجميع المسئولين والخطرين باسم حراستهم .

وفى لحظة إعلان قيادة الثورة القبض على البدر تقوم المجموعات الثورية المكلفة بحراسة المسئولين والخطرين على الثورة بالقبض عليهم جميعهم ونقلهم إلى ثكنات الجيش ، ويكون العقيد حسن العمرى قد احتل الإذاعة باسم حراستها بصفته نائبا لوزير المواصلات ومديرا للاسلكى بالاشتراك مع قوات الثورة فيقوم بإذاعة بلاغات الثورة أو يكلف أحد المذيعين بإذاعتها .

على إثر إذاعة البلاغ الأول من إذاعة صنعاء تبدأ فورا مهمة المجموعة الثورية فى الحديدة وهى القبض على جميع المسئولين والخطرين على الثورة واحتلال المراكز الهامة وتأمين الميناء والمطار .

أما إذا فشلت مجموعة صنعاء فى القيام بمهمتها لأى سبب من الأسباب رغم نجاح مجموعة تعز ، فعلى مجموعة صنعاء أن تقوم على الأقل بتدمير محطة الإذاعة حتى لا تنطق باسم المملكة اليمنية . ويمكن تحديد موجه لاسلكية فى تعز لربطها بإحدى محطات الإذاعة فى مصر كى تتولى إذاعة بلاغات الثورة التى يذيعها المسئول عن ذلك من تعز باسم إذاعة الجمهورية اليمنية .

كما تقوم مجموعة الحديدة بأداء مهمتها حتى إذا فشلت مجموعة صنعاء ، وذلك لتأمين الميناء والمطار والقبض على المسئولين والخطرين على الفور .

عند قيام مجموعة تعز بواجبها سوف أصل إلى مطار تعز ومعى محطة إذاعة أخرى باسم الجمهورية اليمنية ، ويبدأ العمل الثورى فى الزحف من تعز إلى بقية مناطق اليمن

بالاشتراك مع المجموعات الثورية الأخرى فى صنعاء وغيرها التى لم تتمكن لأى سبب من الاسباب من تنفيذ مهمتها بعد نجاح مجموعة تعز ، وعندئذ يمكن أن تصل المساعدات العسكرية المصرية الرمزية بواسطة ميناء الحديدة ومطارها ومطار تعز وميناء المخا بدعوة من الجمهورية اليمنية التى قامت فى تعز .

وحيث أن الثورة اليمنية سوف تحتاج إلى دعم عسكرى من مصر إلى جانب الدعم السياسى المعنوى فقد كان من الضرورى أن تكون مصر على علم مسبق بساعة الصفر قبل قيام الثورة ، لذلك وضعت فى الخطة أن يرسل الىّ الزميل عبد الغنى مطهر ثلاث برقيات بواسطة الزميل محمد قائد سيف فى عدن ، على أن يكون الفاصل الزمنى بين كل برقية عدة ساعات ، تقول الأولى (اشحنوا البضاعة) وتقول الثانية (هل وصلت الحوالة) وتقول الثالثة (انتظروا الأخ فى المطار) .

وعندما تصلنى برقية من هذه البرقيات الثلاث سأفهم أن تجهيزات الثورة قد اكتملت وأنها ستقوم خلال أسبوعين . وكانت وجهة نظرى من إرسال ثلاث برقيات هو التأكد من وصول واحدة منها على الأقل ، وبمجرد إستلامى إحدى هذه البرقيات أقوم بالإتصال فورا بأنور السادات الذى يتولى بحث الأمر مع الرئيس جمال عبد الناصر (لأنه حتى تلك اللحظة كان يرفض الحديث المباشر عن الثورة اليمنية باعتباره رئيسا للجمهورية العربية المتحدة وكنت أشترط أن أعرف رأيه منه شخصيا ، وليس بواسطة السادات تفاديا لأى احتمال لخطأ فى النقل أو التفسير) .

فإذا أبلغنى الرئيس عبد الناصر بأن مصر على استعداد للدعم العسكرى الرمزى للثورة اليمنية(إذا وافقت مصر على هذه الخطة بعد عرضها عليه) فإننى أقوم بإرسال الرد على الزميل محمد قائد سيف فى ثلاث برقيات أيضا ، أقول فى الأولى (البضاعة فى الطريق) وفى الثانية (وصلت الحوالة) وفى الثالثة (سننتظر الأخ) وعندئذ يقوم الزميل محمد قائد سيف بإبلاغ هذا الرد للزميل عبد الغنى مطهر .

أما إذا كانت مصر غير مستعدة للدعم العسكرى الرمزى فى ذلك الوقت بالذات الذى حدده الزميل عبد الغنى مطهر فإننى أرسل إلى الزميل محمد قائد سيف ثلاث برقيات أقول فى الأولى (ستتأخر البضاعة) وفى الثانية (لم تصل الحوالة) وفى الثالثة (لا يوجد سرير فى المستشفى) . وعندئذ يتولى الزميل محمد قائد سيف إبلاغ هذا الرد للزميل عبد الغنى مطهر الذى يتشاور مع بقية الثوار ، فإما أن يقرروا تأجيل القيام بالثورة حتى يأتى الوقت المناسب الذى توافق فيه مصر على دعم الثورة عسكريا بصفة رمزية ، أو يقرروا القيام بالثورة إذا كانت فرصة القيام بها جيدة جدا وتحتاج فقط إلى دعم سياسى ومعنوى من مصر .

فإذا رأى الزميل عبد الغنى مطهر والثوار أن الفرصة المتاحة أمامهم فرصة عادية ويفضلون تأجيل القيام بالثورة فعليه أن يكلف الزميل محمد قائد سيف بإبلاغى بذلك فى ثلاث برقيات يقول فى الأولى (استعجلوا البضاعة) وفى الثانية (ستحول القيمة) وفى الثالثة (المريض يلح على السفر) .

وعندما يبلغنى أنور السادات أن مصر جاهزة للدعم العسكرى الرمزى أرسل ذلك إلى الزميل محمد قائد سيف فى ثلاث برقيات أقول فى الأولى (البضاعة فى الطريق) وفى الثانية (وصلت الحوالة) وفى الثالثة (سننتظر الأخ) .

ويكون وصولى إلى تعز بطائرة خاصة ومعى محطة إذاعة صغيرة ومهندسون لتشغيلها ، وضابط مصرى لحصر الأسلحة والذخيرة الموجودة لإعداد قائمة بما تحتاج إليه الثورة بعد قيامها ، ومعى أيضا أسلحة وذخائر تستكمل حمولة الطائرة .

وفيما يتعلق بتشكيل مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء وبقية التنظيمات العسكرية والإدارية فبعد أن استعرضت أسماء جميع المرشحين مع الزميل عبد الغنى مطهر استحسنت أن يتفق الزميل عبد الغنى مطهر على التشكيل النهائى مع الزملاء الثوار فى اليمن عندما يعود إليها ، على أن يبلغنى بما يستقر عليه الرأى النهائى مع ملاحظة أمرين طلبت أن يدرسهما الثوار بكل عناية .

الأمر الأول : أننى أرى ترشيح القاضى عبد الرحمن الإريانى ليتولى رئاسة مجلس قيادة الثورة لما كنت أعرفه عنه من الالتزام المطلق بالوحدة الوطنية وتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أبناء اليمن ، والأيمان بحتمية الغاء كافة أنواع التفرقة والتمييز بين اليمنيين سواء كانت التفرقة عنصرية أو طائفية أو إقليمية ، فضلا عن كونه معروفا بالتدين والتمتع بالصلات الوثيقة مع العلماء ورجال القبائل .

الأمر الثانى : ليس عيبا أن نعترف فيما بيننا بأننا جميعا بغير استثناء من أبناء عامة الشعب اليمنى العاديين ، وعندما نظهر على مسرح الحكم فى اليمن لن نستطيع ، فى أول الأمر ، أن نملأ الفراغ النفسى لدى الجماهير التى تعودت منذ ألف ومائة عام على تقديس الأسماء اللامعة التى تدعى الانتساب إلى الرسول .

ولذلك اقترحت حلا لهذه المشكلة أن يشترك معنا فى السلطة بعض العلماء وجميع رؤساء وزعماء القبائل . فإلى جانب مجلس قيادة الثورة الذى يتكون من عدد محدود من المدنيين والعسكريين الذين يتولون ممارسة سلطات السيادة فى اليمن ، وإلى جانب مجلس الوزراء الذى يتكون من عدد من القادرين على إدارة شئون الدولة تحت إشراف مجلس قيادة الثورة الذى يعينهم ويعزلهم وليس هناك ما يمنع من أن يكون بعضهم من أعضاء مجلس قيادة الثورة لا سيما بالنسبة للوظائف العسكرية ، إلى جانب هذين المجلسين أكدت ضرورة تشكيل مجلس ثالث بأسم مجلس الدفاع الأعلى ، ويتكون من بعض العلماء وجميع شيوخ الضمان وهم معروفون فى قوائم المالية لأنهم المسئولون عن زكاة مناطقهم ، وبالنسبة إلى المناطق التى ليس فيها شيوخ ضمان يمكن اختيار أبرز شيوخها لعضوية هذا المجلس الذى اقترحت أن يتقاضى أعضاؤه نفس مرتبات الوزراء ، ويختص هذا المجلس فى النظر فى شئون أمن الدولة لمعاونة مجلس قيادة الثورة على أداء رسالته ، ويجتمع بناء على دعوة من رئيس مجلس قيادة الثورة الذى يتولى رئاسة هذا المجلس ويشترك معه إلى جانب العلماء والشيوخ رئيس مجلس الوزراء بصفته نائبا لرئيس هذا المجلس ، وكذلك القائد العام للقوات المسلحة ووزير شئون القبائل ، ورئيس هيئة أركان القوات المسلحة ، ووزير الدفاع ، ووزير الداخلية ، والقائد العام للحرس الوطنى ، ووزير الطيران .

واقترحت أن يتولى الزملاء القاضى عبد السلام صبره والعقيد حسن العمرى والاستاذ على المطرى اختيار شيوخ ضمان القسم الأعلى وتهامة لارتباطهم الوثيق بهم ، وأن يتولى الزملاء عبد الغنى مطهر وعبد القوى حاميم اختيار شيوخ القسم الأسفل وشيوخ المشرق لنفس هذا السبب ، ثم إدراج جميع أسماء الشيوخ والعلماء أعضاء مجلس الدفاع الأعلى فى قائمة واحدة يتم إعلانها مع بلاغات الثورة حتى يشعر كل رؤساء وزعماء القبائل والعلماء أنهم أصبحوا شركاء فى السلطة وخلفاء للنظام الإمامى الذى كان يقوم على رجل واحد يحتكر السلطة ويذل الشعب باسم الدين .

هكذا أوصيت بوضع حجر الأساس لبناء الديمقراطية والقيادة الجماعية فى اليمن .

واتفقت مع الزميل عبد الغنى مطهر على تدبير مبلغ من المال ليقوم بتوزيعه على الثوار لمواجهة بعض احتياجات الثورة إلى جانب الأموال التى قدمها من حسابه الخاص وأنفقها على الأسلحة والذخائر .

أما إذا مات الإمام أثناء تجهيز الثورة فإن موته المفاجىء يعتبر ساعة صفر ايا كانت حالة التنظيم الثورى ، وعندئذ يختار التنظيم أحد حلين : أما أن تبدأ مجموعة تعز بالضربة الأولى عنما تتدفق الشخصيات الهامة على قصر الإمام ، وأما أن تترك ضربة البداية لمجموعة صنعاء إذا لم تستطع تعز أن تستوعب عناصر المفاجأة بالسرعة اللازمة .

بالاضافة إلى هذا التقرير المفصل الذى وضعته تلخيصا لكل المعلومات التى توفرت عندى سلمت للزميل عبد الغنى مطهر ورقة صغيرة (الوثيقة رقم ١٧) تحدد خطوات العمل ونصها مع تفسير رموزها كما يلى :

المطلوب :

أولا : تقرير عن نتائج الاتصال ومواصلة ذلك وتحديد موجة لاسلكية وموعد للتجربة قبلها بإسبوع (كى نربطها بمحطة إذاعة مصر إذا اضطررنا إلى تدمير محطة الإذاعة فى صنعاء) .

ثانيا : قائمة بالمطلوب بحسب الأهم فالمهم .

ثالثا : إفهام الجماعة (الثوار) بتفاصيل المباحثات (التى جرت بيننا) ثم إفادتهم بما يلى :

١ - تخصص ٥٠٠٠ ريالا لمنطقة الجنوب بنظر محمد قائد سيف لعملية الإتصال و ٥٠٠٠ ريالا لمنطقة الشمال بنظر الجماعة فى صنعاء لعملية الاتصال . وإذا لزم أثناء فترة التجهيز شىء اخر فبحسب التقارير . ويخصص الباقى لتعز باعتبارها نقطة البداية ويكون بنظر الأخ (عبد الغنى مطهر) والقاضى (عبد الرحمن الإريانى)

٢ - ستتولى (مصر) صرف معاشات مدى الحياة لكل من يصيبه ضرر له أو لأسرته وذلك سواء فى حالة النجاح أو الفشل .

٣ - يلزم قطع الاتصالات مع كل شخص ليس داخلا فى القوائم لضمان السرية ويمكن الانتفاع بكل شخص آخر بعد النجاح . وكذلك تنحصر المعلومات فى أضيق نطاق حتى بالنسبة للأشخاص المذكورين فى القوائم ولا تعطى المعلومات لأى منهم إلا بحسب الحاجة .

٤ - إعداد نحو مائة برقية تأييد توقع بأسماء مختلفة من الأشخاص المهمين لتذاع بمجرد قيام العمل (الثورة) وتعنون بإسم « مجلس قيادة الثورة » .

٥ - إذا لاحت فرصة أثناء فترة التجهيز فيلزم انتهازها بعد الاتصال فيما بين المراكز الرئيسية . أما إذا أمكن تحديد الموعد فيكون إرسال البرقية المتفق عليها بواسطة محمد قائد ثم تعاد فى اليوم التالى ونصها « سنفتح الاعتماد خلال كذا » ويحسن فى هذه الحالة إدخال محمد قائد قبل الموعد بنصف يوم ليشترك فى التنفيذ والقيادة .

(المفروض أن ترسل هذه البرقية فى حالة عدم الحاجة الفورية إلى المساعدات العسكرية المصرية الرمزية التى يمكن أن تتأخر بضعة أيام أو اسبوع بعد قيام الثورة) .

٦ - فى حالة وفاة الإمام أو قيام إنقلاب آخر فعلي أفراد تنظيمنا الإتصال فيما بينهم لاسلكيا والسيطرة على الموقف وضرب الإنقلاب الآخر والقضاء على (الإمام والبدر وزعماء الإنقلاب الآخر) وإذاعة البلاغات المتفق عليها .

٧ - فى حالة قيام العمل (الثورة) وعدم السيطرة على الموقف لأى سبب تستمر المقاومة باستماته وسأصل حسب الخطة وتتبعنى المساعدات المتفق عليها ويجب أن نسيطر على أية بقعة ونعلن قيام الحكومة وتستمر المعركة حتى النهاية وسيكون معنا (خبير عسكرى مصرى للتعرف على احتياجاتنا العسكرية) .

٨ - بمجرد قيام العمل (الثورة) يتوجه (الخبير العسكرى المصرى) إلى تعز بعد التأكد من سيطرة (حمود الجائفى) على الحديدة ويتولى كل شخص غير عسكرى الإشراف على القبائل المتفاهمة معه والسفر إليها إذا لزم الأمر . وواجبات القبائل هى السيطرة على مناطقها هى ، وعدم السماح بمرور أية قبيلة أخرى من أراضيها أو أية قوات مهما كانت إلا بإذن من مجلس القيادة . ويلزم عدم دخول القبائل المدن إلا إذا لزم الأمر وبدعوة من الحاكم العسكرى المشرف على المدينة .

٩ - يلزم تعيين المناطق التى للحسنيين (أنصار الأمير الحسن) سيطرة عليها كصعدة وغيرها ثم الاتفاق مع القبائل المجاورة على ضرورة اقتحام هذه المناطق بمجرد أول بلاغ من الإذاعة أو إشارة من أفراد التنظيم المختصين بذلك ، على أن تبقى هذه القبائل داخل هذه المناطق والسيطرة عليها إلى حين صدور أوامر أخرى من مجلس القيادة .

١٠ - يلزم الاستحكام فى الحدود فى الشمال والجنوب وستصل مع (الخبير العسكرى المصرى) الألغام وخبراء بثها لإحكام إغلاق الحدود والسيطرة عليها .

١١ – موضوع العدوان الخارجى ومعالجة الموقف الدولى تترك للبيضانى وقد وضع الخطط المناسبة لجميع الاحتمالات مع (عبد الناصر) .

١٢ – بمجرد العمل (الثورة) يستمر الاتصال بين المراكز الرئيسية لاسلكيا وإذا استجد ما يلزم معه إصدار بلاغات ثورية جديدة فيمكن الاتفاق عليها لاسلكيا وإذاعتها .

١٣ – تلزم السيطرة تماما على الإذاعة وبيوت السلك واللاسلكى والمطارات وميناء الحديدة والمخا وإعداد الطائرات فى حالة تأهب ليصل اليها الطيارون مع (الخبير العسكرى المصرى) .

١٤ – إشارة نزول (البيضانى)هى (المصباح) .

١٥ – الاتصال بواسطة محمد قائد . ورأسا فى حالة الاستعجال . وتصدر بلاغات الثورة من الإذاعة فى صنعاء وفى حالة تدميرها يتم إذاعة البلاغات من محطة اللاسلكى فى تعز التى تكون قد تم وصلها بإحدى محطات الإذاعة المصرية على الموجة المتفق عليها ويكون ترتيب البلاغات الثورية على النحو التالى :

البلاغ الأول

(باسم الله وباسم الشعب اليمنى الخالد قامت الثورة الشعبية من أجل الإطاحة بالعهد البائد الذى أهلك الشعب وأحال مجده العظيم إلى خرائب وأطلال ومآسى يتندر بها العالم كلما ذكر اليمن واليمنيين)

وقد سيطرت الثورة على جميع الأراضى اليمنية تحقيقا للأهداف الشعبية التالية : (وهنا تذاع أهداف الثورة حرفيا كما سبق أن نشرتها فى مجلة روز اليوسف بتاريخ ٢٣ أبريل ١٩٦٢ بعنوان (مخالب الثوار) وسبق ذكرها فى هذا الكتاب (صفحة ٢٣١) .

البلاغ الثانى

يعلن مجلس قيادة الثورة إحترامه لجميع المعاهدات والاتفاقات التى أبرمها العهد البائد والتى عقدت طبقا للأصول الدولية المرعية ، كذلك يتمسك المجلس بميثاق الأمم المتحدة وميثاق الجامعة العربية .

البلاغ الثالث

يعلن مجلس قيادة الثورة إلغاء التفرقة العنصرية والمذهبية واعتبار المواطنين جميعا سواء أمام القانون فى الحقوق والواجبات .

البلاغ الرابع

يعلن مجلس قيادة الثورة إطلاق جميع الرهائن والمساجين لأسباب سياسية وتكليف مأمورى السجون بتنفيذ ذلك فورا والعمل على نقلهم إلى مقر المجلس تمهيدا للنظر فى تعيينهم فى المناصب المناسبة ونقل من يبقى منهم إلى ذويهم .

البلاغ الخامس

يعلن مجلس قيادة الثورة تأليف مجلس الوزراء على النحو التالى :

(وتعلن أسماء رئيس ونائب رئيس وأعضاء المجلس)

البلاغ السادس

تحقيقا لإرادة الشعب فى الوحدة العربية قرر مجلس قيادة الثورة أن يطلب إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر إعادة الاتحاد الفيدرالى الذى وقعه العهد البائد ولم ينفذه ، وتنفيذا لهذا القرار كلف مجلس القيادة مجلس الوزراء أن يتولى اتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك .

البلاغ السابع

قرر مجلس قيادة الثورة تعيين الحكام العسكريين الآتية أسماؤهم :

(وهنا تذاع أسماء الحكام العسكريين لمحافظات صنعاء وتعز والحديدة وحجة وحوث واب وصعده والبيضاء)

ويتولى هؤلاء الحكام العسكريون ممارسة كافة السلطات كل فى محافظته تنفيذا لأوامر مجلس قيادة الثورة .

البلاغ الثامن

قرر مجلس قيادة الثورة تعيين المحافظين الآتية أسماؤهم :

(وتركت اختيار هذه الأسماء للزملاء الثوار عندما يعود الزميل عبد الغنى مطهر إلى اليمن) ويقوم كل محافظ بأعمال منطقته طبقا للتعليمات التى يتلقاها من الحاكم العسكرى التابع له ومن مجلس قيادة الثورة إذا لزم الأمر .

البلاغ التاسع

قرر مجلس قيادة الثورة عزل جميع النواب (أمراء المحافظات أو الألوية) وأيقاف جميع العمال (المديرين) والحكام من أعمالهم وعلى كل منهم تسليم أعماله إلى المحافظ التابع له ، وعلى المحافظين تنفيذ ذلك مع استخدام كافة الاجراءات الضرورية بما فى ذلك القوة المسلحة .

(يلاحظ فى هذا البلاغ أنه يقضى بعزل جميع المحافظين والمديرين والحكام الذى سبق أن عينهم الإمام إلا الذين يختارهم الزملاء الثوار ويدرجون أسماءهم ضمن قائمة المعينين الجدد ، لأنه ليس كل من سبق أن عينهم الإمام تستغنى الثورة عن خدماتهم ، فمنهم من كانوا ثائرين على الإمام يتحينون الفرصة إلى التخلص منه وهؤلاء يجب أن يختارهم الثوار ويبقوهم فى مراكزهم ، ولكن بإسم مجلس قيادة الثورة) .

البلاغ العاشر

قرر مجلس قيادة الثورة تشكيل مجلس الدفاع الأعلى للنظر فى شئون أمن الدولة ومعاونة مجلس قيادة الثورة على أداء رسالته ويتكون المجلس على النحو التالى :

(وتعلن أسماء العلماء ورؤساء وشيوخ القبائل الذين سبقت الإشارة إليهم قبل ذلك) ويجتمع مجلس الدفاع الأعلى بناء على دعوة من رئيس مجلس قيادة الثورة أو نائبه .

البلاغ الحادى عشر

قرر مجلس قيادة الثورة تعيين نواب الوزراء الآتية أسماؤهم :

(وتعلن أسماء الذين يقع عليهم اختيار الزملاء الثوار لهذه المناصب.)

البلاغ الثانى عشر

(ويختص بتعيين مدير المخابرات الحربية ونائبيه.ومدير المخابرات العامة ونائبيه)

البلاغ الثالث عشر

(ويختص بتعيين مدير عام الامدادات الحربية وقائد منطقة باب المندب والمخا ومدير عام الشرطة ونائبه ونائب رئيس أركان حرب القوات المسلحة ونائب مدير الأمن العام ومدير عام الطيران المدنى وقائد حرس مجلس قيادة الثورة ومدير عام الجوازات والجنسية) .

البلاغ الرابع عشر

ويقضى بتعيين الأستاذ أمين عبد الواسع نعمان رئيسا لمجلس إحياء التاريخ اليمنى وتعويض المجاهدين وتعيين أربعة لمساعدته .
(الهدف من ذلك هو إعادة صياغة التاريخ اليمنى الذى زيفه الأئمة السابقون ، وقد اخترت الأستاذ أمين نعمان لسابق معرفتى بقدرته الفائقة على تسجيل التاريخ اليمنى الذى يكاد يحفظه عن ظهر قلب) .

البلاغ الخامس عشر

قرر مجلس قيادة الثورة تشكيل محكمة الثورة على النحو التالى :

(وقد رشحت الزملاء الثوار حمود الجائفى وعبد الله السلال وعبد الله الضبى وعبد الله حسين الأحمر وأمين عبد الواسع نعمان كما رشحت الزميل الثائر حسن العمرى ليكون المدعى العام ، إلى جانب مهامهم الأخرى.)

وتختص محكمة الثورة فى نظر القضايا التى يحيلها إليها مجلس قيادة الثورة . وترفع أحكام هذه المحكمة إلى مجلس القيادة للتصديق عليها .

البلاغ السادس عشر

قرر مجلس قيادة الثورة إعتبار الزكاة أمانة فى جميع أنحاء اليمن والغاء جميع البقايا من الضرائب المتأخرة التى عجز أصحابها عن تسليمها وإلغاء ضرائب الخمس والخيرية وحواجز المرور (ضرائب الخشب) على أن ينفذ هذا فورا .

البلاغ السابع عشر

قرر مجلس قيادة الثورة فرض الحراسة على جميع أموال الأسرة الحاكمة البائدة(وتذكر أسماء أفرادهذه الأسرة بالتحديد الذى يتفق عليه الزملاء الثوار بعد عودة الزميل عبد الغنى مطهر إلى اليمن) .

ويحظر من تاريخ هذا كل تعامل على هذه الأموال ويكون التعامل فى هذا الشأن مع الحارس العام على الأموال المصادرة .

(ورشحت الزميل محمد حسن صبره ليكون حارسا عاما للاموال المصادرة والزميلين محمد جمال وهاشم طالب ليكونا نائبين له ، لمعرفة هؤلاء معظم مفردات هذه الأموال داخل اليمن .

البلاغ الثامن عشر

قرر مجلس قيادة الثورة تكليف وزير المالية والاقتصاد بحصر القروض التى منحها العهد البائد (لبعض الشخصيات) للنظر فى شأنها . وتكليف وزير العدل بتشكيل اللجان اللازمة لإعداد تقارير عن جميع الأحكام المعلقة وعرضها عليه للفصل فيها فورا . وتكليف وزير الداخلية بإعداد تقارير عن جميع المساجين غير السياسيين للبت فى شأنهم فورا .

البلاغ التاسع عشر

تحقيقا لاستمرار القيادة الشعبية بصفة جماعية من أجل سلامة الشعب وأهدافه السامية ، ومنعا من أى انحراف يقع فيه أى شخص مسئول مهما كانت درجته القيادية قرر مجلس قيادة الثورة أنه إذا انحرف أى عضو من أعضائه عن أهداف الثورة أو عمل على عرقلة تنفيذ قرارات المجلس يحاكم حضوريا أمام المجلس بناء على طلب كتابى من خمسة أعضاء ويصدر الحكم بموافقة ثلاثة أرباع المجلس .

ويحاكم الوزراء ونوابهم أمام المجلس بناء على طلب من رئيس مجلس الوزراء أو نائبه أو خمسة وزراء ، وتصدر الأحكام بالأغلبية المطلقة . ويحاكم جميع موظفى الدولة عدا ما ذكر أمام محكمة الثورة بناء على إحالة من مجلس قيادة الثورة بالاغلبية المطلقة .

ويسرى ذلك أثناء فترة الانتقال إلى أن يتم انتخاب المجلس النيابى الذى يختار رئيس الجمهورية ويتم فصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية عن السلطة القضائية .

البلاغ العشرون

يذاع بلاغ بإعلان عودة الاتحاد الفيدرالى بين الجمهورية العربية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة بمجرد وصول موافقة الرئيس جمال عبد الناصر على طلب مجلس الوزراء اليمنى .

تذاع ، بين هذه البلاغات الثورية ، موسيقى عسكرية وأناشيد حماسية وبرقيات التأييد ، تلك البلاغات التى اعتقدت أنه من شأنها أن تملأ الساحة اليمنية بالأمل فى المستقبل الأفضل ، وتشعر رؤوس وأعيان اليمن بأنهم شركاء فى السلطة الجديدة رغم تركيز سلطات السيادة فى يد مجلس قيادة الثورة .



المؤلف وبجواره الأستاذ عبد الغنى مطهر فوق سطح جبل من جبال قرية جارميش بألمانيا الغربية (يونية ١٩٦٢)



أمضيت مع الزميل عبد الغنى مطهر فى قرية جارميش بجنوب ألمانيا الغربية أسبوعين وبعد الانتهاء من وضع هذه الخطة الثورية عدت معه إلى القاهرة يوم ٢ يونيه ١٩٦٢ وعنما راجعنا هذه الخطة مع الزميل محمد قائد سيف اقترح أن نوصى بإضافة الشيخ على محمد مهيوب شيخ الوبيرة والشريجة إلى قائمة الثوار وهو الذى تعهد بتجهيز مائتى رجل مسلح من قبيلته لإحتلال منحنى طريق تعز – الراهدة الذى يقع فى منطقته كما تعهد بإرسال تعزيزات مسلحة إلى تعز إذا لزم الأمر .

وفى تلك الأثناء وصلتنى رسالة من الأستاذ محمد على مرجان وهو محامى فى لندن من أهالى البيضاء ومقيم فى الصومال ، وكان والده الشيخ على مرجان صاحب اليد الطولى فى حرب استقلال الصومال ، فهو رجل الآعمال اليمنى الذى أنفق على حركات التحرير الصومالية التى جاءت برئيس جمهورية الصومال إلى السلطة فى ذلك الوقت ، بعد أن كان يعمل موظفا لدى على مرجان ، وجاء فى تلك الرسالة أنه يعرض علينا تجنيد وتسليح ألفى رجل من اليمنيين الذين يعملون فى الصومال وإرسالهم إلى اليمن عند قيام الثورة للدفاع عنها ، فاقترحت ضمه إلى قائمة المرشحين لعضوية المجالس الثورية التى سيعود بها الزميل عبد الغنى مطهر لدراستها مع الزملاء الثوار فى اليمن ، وإبلاغى بما يتفق عليه الرأى بصفة نهائية بالنسبة إلى جميع التشكيلات .

وضعت تقريرا شاملا يتضمن كل ما سبق شرحه عن إمكانيات وأسماء الثوار فى اليمن وخطة الثورة المقترحة وبلاغاتها وما تحتاج اليه من مصر ، وسلمت هذا التقرير إلى الزميل عبد الغنى مطهر ليحمله إلى الزملاء الثوار فى اليمن إذا وافق عليه الرئيس عبد الناصر واحتفظت بصورة منه ، وذهبت مع الزميلين النقيب محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر لمقابلة أنور السادات وسلمناه أصل من هذا التقرير الشامل يوم أول محرم ١٣٨٢ الموافق ٤ يونية سنة ١٩٦٢ .

كان أملى أن يقتنع السادات بهذا العرض الشامل وجدية العمل الثورى فى اليمن حتى يعرضه على الرئيس جمال عبد الناصر فيقتنع بدعم الثورة اليمنية معنويا وسياسيا ، مع تقديم المساعدات العسكرية الرمزية التى اقترحتها فى صلب خطة الثورة ، والتى بدونها لن يقتنع الثوار اليمنيون بوقوف مصر إلى جانبهم مما يمثل عندهم الساعد الأيمن للقيام بالثورة . أما إذا نصحنا الرئيس عبد الناصر بأن نترقب وقتا أكثر ملاءمة فإننا لن

نخسر شيئا إذا كتمت حسرتى مع الزميلين محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر ثم ننتظر حتى يأتى الوقت الذى يراه الرئيس عبد الناصر مناسبا للقيام بالثورة ، بشرط أن تدفعنا هذه الحسرة إلى مزيد من الآمل والعمل وليس إلى شىء من الحزن واليأس .

وبعد يومين دعانا السادات إلى زيارته فى بيته وأبلغنا موافقة جمال عبد الناصر على ما جاء فى التقرير الذى سلمناه إلى السادات .

وفى المساء أخذنى السادات إلى منزل الرئيس عبد الناصر حيث كان مجتمعا مع المشير عبد الحكيم عامر وصلاح نصر . وبعد مناقشة تفاصيل خطة الثورة وافق عليها جميع الحاضرين وطلب الرئيس عبد الناصر أن اناقش بعض تفاصيل المساعدات المصرية مع صلاح نصر فى اليوم التالى فى مكتبه بالرئاسة .

جاءت موافقة جمال عبد الناصر على مساعدة الثورة اليمنية مصداقا لما ذكره فى الميثاق الوطنى الذى لم يكن قد جف مداده ، والذى كان قد قدمه قبل ذلك باسبوعين (يوم ٢١ مايو ١٩٦٢) إلى المؤتمر الوطنى لمناقشته وإقراره ، وقال فى صدر بابه الثالث وتحت عنوان « جذور النضال المصرى » إنه (منذ زمان بعيد فى الماضى لم تكن هناك سدود بين بلاد المنطقة التى تعيش عليها الأمة العربية الآن . وكانت تيارات التاريخ التى تهب عليها واحدة ، كما كانت مساهمتها الإيجابية فى التأثير على التاريخ مشتركة . ومصر بالذات لم تعش حياتها فى عزلة عن المنطقة المحيطة بها ، بل كانت دائما بالوعى ، وباللاوعى فى بعض الأحيان ، تؤثر فيما حولها وتتأثر به كما يتفاعل الجزء مع الكل . وكان الفتح الإسلامى ضوءا أبرز هذه الحقيقة وأنار معالمها وصنع لها ثوبا جديداً من الفكر والوجدان الروحى . وفى إطار التاريخ الاسلامى ، وعلى هدى رسالة محمد ﷺ ، قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة الإنسانية) .

ويمضى الميثاق الوطنى حتى يصل بابه التاسع فيؤكد تحت عنوان « الوحدة العربية » قائلا (إن مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى دعمه وحمايته تمتد لتشمل الأمة العربية كلها . إن الأمة العربية لم تعد فى حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .

لقد جاوزت الوحدة هذه المرحلة وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته . يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان . ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الآمال التى تصنع وحدة المستقبل والمصير .)

من هذا المنطلق الثورى ، والوضوح الفكرى ، والارتباط التاريخى ، والالتزام الانسانى ، والوفاء الوطنى ، والانتماء القومى وافق جمال عبد الناصر على مساعدة ثورة اليمن التى تسعى إلى إيقاظ شعبها من غياهب القبور المظلمة ، وتفك أسره من قيود التخلف الغليظة ، حتى يسترد هذا الشعب اليمنى العملاق مكانه الخلاق بين أبناء الأمة العربية الذين يسعون إلى احياء وحدتها وبناء مجدها وصنع حضارتها الحديثة والتصدى الجماعى للاطماع الدولية ، التى يسرها أن يستمر تفتيت الأمة العربية ، ويستقر قلبها

على النمط الذى أفرزته سموم التجزئة ، وأسكرته خمور الشعارات الإقليمية المتخلفة ، التى أذلت رأس الأمة العربية ، وقطعت عنقها على مذبح الصراعات الدولية ، فأسلمت جسدها من الخليج إلى المحيط لقمة سائغة على مائدة الأطماع الأجنبية .

كان عبد الناصر يدرك ، بحق ، أن أمن الأمة العربية كل لا يتجزأ ، وأن مصلحتها المشتركة حقيقة لاتقبل التجزئة ، وأن البحر الأحمر يمثل القصبة الهوائية بالنسبة لرقبة الأمة العربية ، والشريان التاجى للقلب العربى الذى من أجله هبت الحملة الفرنسية على مصر فتفتحت شهية بريطانيا حتى احتلت عدن وجنوب اليمن فى طريقها إلى استعمار وادى النيل ، وهكذا اقتسمت فرنسا وبريطانيا وأسبانيا وإيطاليا معظم أرجاء العالم العربى على رفاة السلطنة العثمانية وتفكك السواعد العربية وانشغال العرب بالكيانات الاقليمية الهزيلة فى دنيا الوحوش الكاسرة .

كان عبد الناصر يدرك بحق ، أن مصر ، وأية دولة عربية أخرى ، لا تستطيع أن تحمى أمنها الإقليمى إلا من خلال حماية أمنها القومى ، ولا تستطيع أن تبنى رخاءها الوطنى إلا من خلال الاشتراك فى بناء صرح نهضتها العربية الشاملة .

هذا ما أدركه عبد الناصر ، وما أفرزه التاريخ القديم ، وأثبته التاريخ المعاصر .

إنه حكمة الماضى ومعركة المستقبل .

لذلك لم يكن السادات يضيع وقته عندما كان يتحدث معى عن ثورة اليمن ، أياما وليالى ، شهورا وسنوات . فقد كان يدرك دروس الماضى وهو ينظر إلى حقائق المستقبل .

أما أنا ، فلم أكن أجرؤ على مناشدة مصر أن تساعد ثورة اليمن لو لم أكن قد درست تاريخ اليمن من خلال التاريخ العربى كله ، الذى تعتبر فيه مصر العقل المفكر واليد القادرة على تغيير مجراه .

ما كنت أقدم على مناشدة مصر أن تساعد ثورة اليمن لو لم أكن قد عرفت عن قيادة الثورة فى مصر إستيعابها الكامل لأبعاد التاريخ العربى الذى يتأهب لميلاد المستقبل العربى ، وإدراكها العميق للأبعاد الضرورية لرسم الاستراتيجية السياسية والعسكرية المستخلصة من واقع الظروف الجغرافية العربية .

إننى لم أدع مصر إلى نزهة بحرية على سطح البحر الأحمر ، ولم يوافق عبد الناصر على الإشتراك فى هذه النزهة ترفيها عن زميله السادات ، ولم يقبل عبد الناصر والسادات دعوة البيضانى إستملاحا لصحبته .

لقد كان الأمر جاداً وخطيراً .

كان الأمر يتعلق بإنقاذ سبعة ملايين من أبناء شعب اليمن وإعادتهم إلى تعداد الأمة العربية ، ثم الحاقهم بسكان الأرض .

كان الأمر يستهدف السيطرة على باب المندب كما فعل رمسيس الثانى منذ أكثر من ثلاثة وثلاثين قرنا حين خرج بحملته البحرية المشهورة إلى مياه باب المندب حيث قضى على القراصنة الذين كانوا ينتهكون حرمة التجارة المصرية ، وإذا كان رمسيس الثانى قد أراد حماية التجارة المصرية من وراء هذه الحملة فلقد كان هدفنا أسمى من ذلك غاية وأجل شأنا لأنه كان لا يتوقف عند السيطرة على باب المندب فحسب وإنما يمتد ليشمل تحرير عدن وجنوب اليمن من الاستعمار البريطانى ، حتى يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية تحمى مصر والسودان واليمن والمملكة العربية السعودية والأردن ، بعد أن أحكمت مصر قبضتها على شمال هذا البحر حتى ميناء بورسعيد . ولقد أثبتت حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣ صحة هذه النظرية عندما قامت اليمن بعد الثورة بإغلاق باب المندب وبوغاز عدن بناء على طلب من مصر ، الأمر الذى لم يكن ممكنا فى ظل الوجود البريطانى والحكم الإمامى إذا لم تقم الثورة فى شمال اليمن مما أدى إلى تحرير جنوبها .

كان الأمر يتطلع إلى إستعادة بهجة الشعوب العربية التى طمسها الانقلاب السورى على الوحدة العربية ، تلك البهجة التى كان من الضروريات التاريخية أن نعمل على التقاطها من تحت تراب الانفصال ، حتى لا تنطفىء جذوتها تحت أقدام جيلنا ، الذى أردنا إيقاظه من بين أنقاض المخلفات النفسية المروعة التى غرست اليأس فى صدره فأنبتت اللامبالاة فى سلوكه .

من أجل ذلك تشجعت على مناشدة مصر أن تساعد ثورة اليمن .
ومن أجل ذلك تحمس جمال عبد الناصر وسهر أنور السادات .

ثم وافق الرئيس عبد الناصر على أن أقوم بإذاعة مقالاتى من إذاعة صوت العرب بعد نشرها فى روز اليوسف عى أن تعاد إذاعتها مرتين كل اسبوع صباحاً ومساءٍ ، إشعارا للشعب اليمنى بأن مصر قد تبنت فكرة الدعوة إلى الثورة الجذرية فى اليمن حتى تلتف أغلبية الشعب اليمنى حول الثوار عندما يقومون بها .

عدت إلى الزملين محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر وحمدت الله الذى وفقنا إلى اجتياز الخطوتين الأخيرتين من الخطوات الثورية الخمس ، التى كان علينا أن نجتازها تمهيدا لقيام ثورة جذرية ناجحة فى اليمن ثم ذهبنا نحن الثلاثة إلى مبنى رئاسة الجمهورية لمقابلة صلاح نصر بصفته المسئول التنفيذى الذى كلفه الرئيس جمال بدراسة احتياجات الثورة وتلبية طلباتها ، وكان معه بعض الخبراء المصريين الذين رحبوا بنا وابدوا استعدادهم لبذل أى جهد معنا فضلا عن تزويدنا باحتياجات الثوار فى اليمن من خلال تنظيماتنا .

وكان صلاح نصر متفائلا مقتنعا بنجاح الثورة اليمنية وضرورة مساندة مصر لها على عكس ما سبق أن لقيناه من وكيله عزت سليمان قبل ذلك ببضعة أشهر .

وتم الإتفاق على أن أفضل وسيلة سرية للإتصال بين خلايانا الثورية فى اليمن وبينى فى القاهرة هى استخدام المداد السرى .

وبدأ أحد مساعدى صلاح نصر يشرح لعبد الغنى مطهر كيف يستخدم المداد السرى ، غير أنه أثناء ذلك التدريب اقترح المساعد أن يتولى عبد الغنى مطهر اختيار أحد الشبان الأحرار المثقفين ليتم تدريبه على ذلك فوقع اختياره على الشاب سلطان أحمد عمر الذى كان يعمل معه فى خلية تعز ، إلا أن سلطان لم يصل من اليمن بعد أن تم الاكتفاء بالرسائل التى يحملها فيما بيننا الزملاء عبد القوى حاميم ومحمد مهيوب ثابت ، مع إمكانية استخدام بعض الرموز عند المراسلة بواسطة البرقيات ، فمثلا كان اسمى (المصباح) وعبد الغنى مطهر (المدير) ومحمد قائد سيف (المقاس) وساعة الصفر (فتح الاعتماد) وهكذا . وقد تم الاتفاق على تسليم نسخة من كل هذه الرموز إلى العقيد حسن العمرى فى صنعاء ليستخدمها فى الاتصال بى إذا رأى لزوما لذلك .

بعد أن ناقشنا تفاصيل خطة الثورة مع صلاح نصر وخبرائه أصدر الرئيس عبد الناصر تعليماته إلى المشير عبد الحكيم عامر بأن يأمر اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية بأن يزودنى بجميع الاحتياجات من الأسلحة والذخائر التى يمكن أن أقوم بإرسالها إلى اليمن .

وكانت الخطة التى اقترحتها لإرسال هذه الأسلحة إلى اليمن تتلخص فيما يلى :

١ - أذهب بنفسى إلى مكتب اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية وأسلمه قائمة بالأسلحة والذخائر المطلوبة ومفتاح سيارتى ، وبينما أتحدث معه وأشرب فنجان القهوة يكون ضباطه قد أخذوا الحقائب الفارغة الموجودة فى سيارتى وملأوها بالاحتياجات المطلوبة بموجب تلك القائمة .

٢ - أعود إلى بيتى الذى يتولى حراسته عدد من جنود حرس الوزراء حيث أحتفظ بهذه الحقائب فى غرفة نومى حتى يحين موعد سفر محمد قائد سيف إلى عدن ، فتسبقه زوجتى إلى المطار ومعها الحقائب .

٣ - يكون فى انتظارها فى المطار أحد رجال مكتب أنور السادات والمخابرات للاطمئنان على عدم فتح هذه الحقائب فى الجمرك .

وقبيل قيام الطائرة يظهر فى مقصف (بوفيه) المطار محمد قائد سيف الذى يكون قد وصل إلى المطار بغير حقائب إمعانا فى التموية ، وتنتهى مهمة زوجتى عند ظهور محمد قائد سيف فى مقصف المطار ، ويتجه إلى حيث كانت تجلس فيجد تحت طبق القهوة تذاكر هذه الحقائب التى تكون قد سبقته إلى الطائرة .

وعند وصول محمد قائد سيف إلى مطار عدن يجد فى انتظاره الزميل محمد مهيوب ثابت الذى يكون قد أعد كافة الاحتياطات لإخراج هذه الحقائب دون تفتيش فى مطار عدن ، ويكون فى جيبه خمسة آلاف شلن بصفة دائمة ينقذ بها الموقف إذا تأزمت الأمور فى المطار ، وتلك كانت عادة المسئولين هناك .

بعد أن يستقبل محمد مهيوب ثابت محمد قائد سيف يتجهان إما إلى بيت الأول أو إلى بيت الثانى حيث يكون فى انتظارهما الزميل عبد القوى حاميم الذى عندما يتسلم تلك الحقائب يكون قد ضمن وصولها إلى بيت عبد الغنى مطهر فى تعز عن طريق جمرك الراهدة الذى يتحكم فيه والده الشيخ إبراهيم حاميم .

وعندما تصل حقائب الأسلحة والذخائر إلى عبد الغنى مطهر يتولى توزيع بعضها على الضباط والثوار فى تعز و يرسل منها ما يحتاج إليه الثوار إلى صنعاء عن طريق العقيد حسن العمرى والتاجر ناصر الكميم بواسطة أحد الرجال الموثوق فيهم .

وأذكر أننى ترددت عند اقتراحى هذه الخطوة الأخيرة التى تحتاج إلى رجل هادىء الأعصاب مثل الزميل عبد القوى حاميم الذى لا تظهر على وجهه أية علامات عاطفيه والذى تنتهى مهمته فى تعز .

اقترح محمد قائد سيف أن يكون ذلك الرجل هو الزميل على محمد سعيد[1] أحد التجار البارزين فى تعز والذى كان له نشاط تجارى فى صنعاء ومن الذين تعودوا على مساعدة الثوار بالمال . وافقت على اقتراح محمد قائد سيف مشترطا عليه أن التقى به أولا قبل تكليفه بهذه المهمة فوعد بإحضاره لمقابلتى بالقاهرة .

سافر الزميل عبد الغنى مطهر إلى عدن بعد أن استلم من صلاح نصر مساعدة مالية رمزية لتضاف إلى ما يوزعه عبد الغنى على المجموعات الثورية فى اليمن لشراء بعض اللوازم التى يمكن شراؤها من هناك . كانت تلك المساعدة الرمزية عبارة عن خمسة وثلاثين ألف فرنك سويسرى صرفها فى عدن بسبعة آلاف ريال يمنى أى حوالى ألفى جنيه مصرى .

ذهبت إلى مكتب اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية واستلمت أول دفعة من الأسلحة والذخائر بالطريقة التى اقترحتها وسافر بها الزميل محمد قائد سيف طبقا للخطة المتفق عليها .

وقد شهد على ذلك اللواء (الفريق فيما بعد) صلاح الحديدى فى مجلة روز اليوسف بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٨٠ حيث قال (إن أبناء اليمن لم يكن لها ذكر كثير فى صحفنا إلى أن جاء يوم فى الشهور الأولى من عام ١٩٦٢ طالعتنا فيه أحد المجلات الاسبوعية (روز اليوسف) بسلسلة من المقالات بتوقيع الدكتور عبد الرحمن البيضانى ، يشرح فيها نظام الحكم فى بلده اليمن ، وينقده ، ويحاول أن يلقى الضوء على هذا القطر الشقيق وعن سير الأمور فيه .

ولم يكن لهذه المقالات فى حقيقة الأمر أثر فى الرأى العام المصرى رغم إعادة إذاعتها من صوت العرب ، فقد كان المواطنون وقتئذ مشغولين بمشاكل وطنهم الداخلية ، ومع ذلك فلا شك أن ما كتبه الدكتور البيضانى قد سلط بعض الأضواء على وطنه ، كما

---

(١) عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الصحة عند قيام الثورة .

أضاف بعض المعلومات العامة عن هذا القطر الذى لم يكن يسمع عنه الكثير ، كما نجحت هذه المقالات فى إزالة ما كنا نتخيله عن بقايا حضارة هذه المنطقة ، بسد مأربها العظيم وملكتها الفاتنة بلقيس .

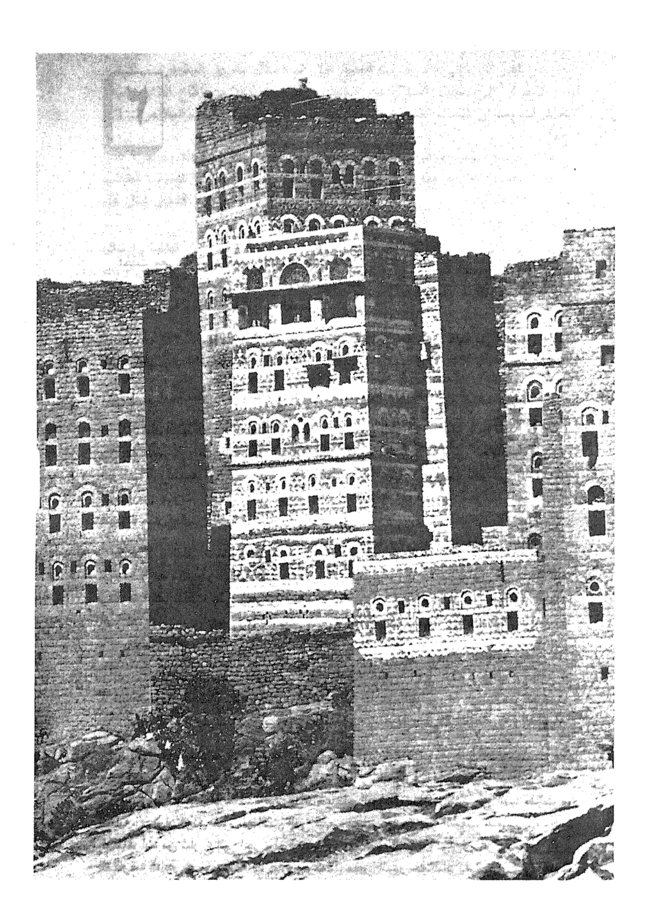
ويبدو أن الدكتور البيضانى كان على صلة بكبار المسئولين فى مصر فى هذه الفترة حتى أن مقالاته لم تمنعها الرقابة التى كانت مفروضة على الصحافة رغم أنها كانت تهاجم نظام حكم فى دولة منضمة رسميا إلى جامعة الدول العربية فى ذلك الوقت ودليل آخر على وجود هذه الصلة أن المرحوم المشير عبد الحكيم عامر قد قدم الدكتور البيضانى فى صيف عام ١٩٦٢ إلى أحد الأجهزة المسئولة بمصر مسرا إليه أنه سيكون على رأس الحكم فى اليمن عند اشتعال الثورة فيها والإطاحة بالإمام أحمد ومعاونيه ، وطلب من هذا الجهاز (يقصد المخابرات الحربية) تقديم كل التسهيلات للدكتور البيضانى فيما يطلبه من عون أو مساعدة . وقد أوضح الدكتور البيضانى موقفه بكل صدق وبلا أى تحفظ ، وإن كل ما يتطلبه يتلخص فى تدريبه ومجموعته على استخدام السلاح مع إجادة الرمى به ، وإرسال بعض الأسلحة إلى معاونيه فى صنعاء وتجهيز كمية محدودة منها لترافقهم عند انتقالهم إلى اليمن على طائرتين عقب اندلاع الثورة .

ومن الطبيعى أن توضع طلبات الدكتور البيضانى كما حددها محل التنفيذ ، إضافة إلى الاطمئنان لحسن الاتصال اللاسلكى بينه وبين البعض فى صنعاء) . (الوثيقة رقم ١٨) .

ولعمرى ، إن هذه والله لشهادة تاريخية من أحد كبار المسئولين فى مصر وهو مدير المخابرات الحربية يقرر فيها حقيقتين :

الحقيقة الأولى : تنفى مزاعم بعض اليمنيين الذين حاولوا عبثا تزييف التاريخ فنسبوا إلى أنفسهم أنهم هم الذين اتصلوا بمصر وحصلوا على موافقة عبد الناصر على مساعدة الثورة اليمنية .

الحقيقة الثانية : أنه حتى ذلك التاريخ (الشهور الأولى من عام ١٩٦٢) لم يكن لأنباء اليمن ذكر يناسبها فى الصحف المصرية ، حتى جاءت مقالاتى فى روز اليوسف فألقت الضوء على اليمن وعن سير الأمور فيها ، مما يعتبر وثيقة تاريخية بإدانة جميع الأحرار القدامى الذين لجأوا إلى مصر وأقاموا فيها قبل ذلك التاريخ بعشر سنوات دون أن يشرحوا قضيتهم وينشروا على الملأ مأساة بلادهم فلم يقدموا لشبعهم طوال هذا العهد شيئا مذكورا .





أخذت معى الزميل الطيار عبد الرحيم عبد الله الذى كان يمضى أجازته السنوية فى مصر وتدربنا فى معسكر أبو قير بالإسكندرية على استخدام الرشاشات والأسلحة الخفيفة والقنابل اليدوية والزمنية وحرب العصابات .

كان تدريبا شاقا يبدأ مع أول ضوء من الفجر وينتهى مع آخر خيط من الشمس ، حيث تبدأ المحاضرات المسائية عن الأمور العسكرية .

كان برنامجا مضغوطا ومكثفا يتناسب مع ضرورة سباقنا مع الزمن .

كان ذلك الجهد الشاق المنطلق من فدائية لا تقدر العواقب الذاتية ، ووطنية لا تعترف بالطاقة البشرية ، من العوامل النفسية التى كانت تصوغ مقالاتى الحماسية فى روز اليوسف ، وتضبط ثورة صوتى ، وتضغط نغمة أنينى ، وتسيل دموعى عندما كنت أذيعها من صوت العرب حتى توقظ العقول النائمة ، وتحرك السواعد المستسلمة ، فتهيىء مسرح اليمن للثورة الجذرية .

كنت أذيع المقال المنشور فى روز اليوسف مرتين كل أسبوع من صوت العرب حتى جاء نصر الله والفتح وانهالت على بيتى رسائل التأييد من الزملاء اليمنيين من داخل اليمن وخارجها كما تدفقت على زيارتى أعداد لا حصر لها من الاحرار من مختلف المهاجر اليمنية .

وتزايد الحماسّ الثورى فى صدور أبناء اليمن حتى ظهرت بشائر المعجزة حين خرج طلبة المدارس فى صنعاء لأول مرة فى تاريخ اليمن ، فى حشود هائلة ومظاهرات صاخبة تهتف بسقوط الحكم الإمامى فى اليمن ، وتنادى بالجمهورية اليمنية وترفع صورة جمال عبد الناصر وتردد شعارات الوحدة الوطنية وسقوط التفرقة العنصرية والمذهبية .

انطلقت هذه المظاهرات يوم ٢٧ يونية من المدرسة الثانوية بصنعاء وتجاوب معها طلبة المدرسة العلمية والابتدائية ، وبدأت من وزارة المعارف حتى قصر البشائر (قصر البدر) وسارت جموع حاشدة من أبناء صنعاء البواسل خلف أكثر من ألف طالب من الطلبة الأحرار تردد نفس الهتافات التى كانت تعبر عن ضمير الشعب اليمني . ومضت المظاهرات من شارع إلى آخر ولم يتصد لها أى مسئول ، بل توارى عن الأنظار وزير المعارف القاضى محمد عبد الله عامره وكذلك مدير المدرسة الثانوية السيد على الفضيل خوفا على حياتهما .

أصدر البدر أمره إلى قائد حرسه العميد عبد الله السلال بتفريق المظاهرات بالقوة ، فهب الأحرار إلى تحذير السلال من استخدام القوة وتمكنوا من إقناع الطلبة بإنهاء المظاهرات بعد أن أكملت الشمس طريقها إلى مغربها ووصلت أهداف المظاهرات إلى غايتها .

عندئذ أرسل الإمام برقية عاجلة إلى ابنه البدر يؤنبه على تساهله ويزجره على تراخيه ، ويسخر من ضعفه أمام الطلبة فقال في برقيته (لقد ساءنا تصرف الطلاب وموقفكم ازاءهم وكان الأحرى أن تطلقوا النار عليهم ولا تدعوا لهم المجال لمثل هذا وابحثو عن المشوق) أي ابحثوا عن المحرض .

عندما قرأ البدر هذه البرقية قام السلال بالقبض على الكثيرين من الطلبة وإرسال بعضهم إلى سجن حجه ثم رمى ببقية المعتقلين في سجن رادع بينما هرب إلى عدن أولئك الذين استطاعوا الفرار من صنعاء .

عندما بلغ ذلك إلى طلاب تعز قاموا بمظاهرات ثورية عارمة يوم ٣٠ يونية ١٩٦٢ ، وخرجوا في موكب مهيب طافوا به شوارع تعز يهتفون بالوحدة الوطنية وسقوط الحكم الإمامي ، وينادون بالجمهورية اليمنية ، واقتحموا السوق الكبير حتى وصلوا إلى العرضي حيث قصر الإمام الذي توترت أعصابه وفقد رويته وأمر الجيش والعكفة (الحرس الملكي) بإطلاق الرصاص على المتظاهرين وإغلاق المدسة الثانوية في تعز ، التي كان الطلبة المتظاهرون قد عادوا إليها واعتصموا فيها ، فتجاوب معهم الكثيرون من عمال تعز الاحرار وغيرهم من أبناء الشعب المتعطشين إلى سقوط الظلم والطغيان والتخلف الرهيب الذي كان يسود اليمن .

إستجاب الإمام لنصيحة بعض المسئولين في تعز فأمر بمحاصرة المدرسة الثانوية بقوات الجيش ومنع دخول الماء والطعام إلى الطلبة لإجبارهم على إنهاء الاعتصام والخروج من المدرسة حتى يتم القبض عليهم دون حاجة إلى رميهم بالرصاص ، الأمر الذي يزيد من التوتر الشعبي الذي لا يأمن الإمام جانبه .

إستمر الإعتصام في مدرسة تعز ثلاثة أيام حتى نجح القاضي عبد الرحمن الإرياني في إقناع الإمام برفع الحصار عن المدرسة والاستماع إلى شكوى الطلاب فكلفه الإمام بهذه المهمة . ولعل القاضي عبد الرحمن الأرياني قد أقنع الطلبة بالإكتفاء بتقديم طلبات تتعلق بالشئون الطلابية دون التطرق إلى الشئون السياسية ، لا سيما أنهم قد رفعوا الشعارات السياسية التي أرادوا رفعها ورددوا الهتافات الوطنية التي قصدوا ترديدها ، فاكتفى الطلاب بحصر طلباتهم فيما يلي :

١ – الافراج عن المعتقلين من زملائهم طلاب صنعاء .

٢ – تحسين حالتهم المعيشية .

٣ – تزويد الطلاب بالكتب الدراسية والمدرسين .

٤ – اشتراك طلاب تعز في البعثات الخارجية دون تمييز أو تفرقة عنصرية أو طائفية .

فاستحسن القاضى عبد الرحمن الإريانى هذه الطلبات وقدمها إلى الإمام الذى رفضها جملة وتفصيلا ، وإن كان مجرد تقديمها إليه قد أدى إلى فض الاشتباك المسلح بينه وبين الطلبة .

ذلك الإشتباك الذى حقق كل أغراضه لأنه أعلن على الملأ أن الشعب اليمنى لم يعد يحبس طاقاته الثورية فى صدره ، كما أنه لم يعد ذلك الشعب الذى خدرته الخرافات الكهنوتية التى توارثها أبا عن جد ، بل أصبح العملاق الذى أخذ يتأهب للإنطلاق من القمقم ، وأصبح الأيدى القوية والأذرع الفتية التى تساند الثوار عندما يطلقون قذيفتهم الأولى على صدر النظام الفاسد ويضربون فؤوسهم الأخيرة فى جذعه المتعفن .

أخذت الاستعدادات الثورية تتطور نحو ساعة الحسم والخلاص من المأساة ، ووصل من اليمن الزميل محمد مهيوب ثابت يحمل رسالة من الزميل عبد الغنى مطهر تتضمن قائمة ثانية بالأسلحة والذخيرة المطلوبة فقمت بتجهيزها ، واحتفظت بها فى غرفة نومى كالمعتاد حتى عاد الزميل محمد مهيوب فى اليوم التالى إلى عدن ، فأرسلتها معه بنفس الطريقة السابق شرحها وكان الزميل محمد قائد سيف هذه المرة فى استقباله فى مطار عدن .

وفى ١٠ يوليه ١٩٦٢ وصل الزميل محمد قائد سيف ومعه رسالة من الزميل عبد الغنى مطهر تتضمن قائمة ثالثة بالمطلوب من الأسلحة والذخيرة وتبلغنى بأنه قد عرض على الزملاء فى اليمن كل الوثائق التى عاد بها من القاهرة وإنهم قد أقروا ما جاء فيها واتفقوا على تشكيل التنظيمات الثورية (الوثيقة رقم ١٩) على النحو التالى :

مجلس قيادة الثورة

القاضى عبد الرحمن الأريانى رئيسا للمجلس . الدكتور عبد الرحمن البيضانى . عبد السلام صبره . عبد الغنى مطهر . عبد القوى ابراهيم حاميم . محمد ميهوب ثابت . النقيب محمد قائد سيف . محمد على عثمان . العميد عبد الله السلال . العقيد عبد الله الضبى . العقيد حسن العمرى . المقدم عبد الله جزيلان . الطيار عبد الرحيم عبد الله . الملازم أحمد الرحومى . الملازم محمد مفرح . الملازم سعد الأشول . على محمد سعيد أنعم . النقيب عبد اللطيف ضيف الله .

مجلس الوزراء

الدكتور عبد الرحمن البيضانى رئيسا للمجلس . عبد الغنى على أحمد ناجى وزيرا للخارجية . عبد السلام صبره وزيرا للارشاد القومى . عبد الغنى مطهر وزيرا للإقتصاد . محمد قائد سيف وزيرا للداخلية . العميد عبد الله السلال القائد العام للقوات المسلحة . محمد على عثمان وزيرا للصحة . العقيد عبد الله الضبى وزيرا للدفاع . المقدم عبد الله جزيلان رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة . الطيار عبد الرحيم عبد الله وزيرا للطيران . محمد محمود الزبيرى وزيرا للمعارف . على محمد سعيد وزيرا للصناعة . القاضى عبد الرحمن الأريانى وزيرا للعدل . على محمد عبده وزيرا للزراعة . محمد مهيوب ثابت وزيرا لشئون المهاجرين . أحمد قائد بركات وزيرا للشئون المعدنية . أحمد المرونى وزيرا للأوقاف . عبد الله الكرشمى وزيرا للاشغال .

نواب الوزراء

عبد القوى ابراهيم حاميم نائبا لوزير الدفاع . هاشم طالب نائبا لوزير الداخلية . أحمد محمد ثابت نائبا لوزير الزراعة . القاضى على الجرافى نائبا لوزير الخارجية . على المطرى مديرا للعلاقات بوزارة الدفاع . أحمد القعطرى مديرا للعلاقات بوزارة الخارجية . الشيخ سنان أبو لحوم مديرا لإدارة شئون القبائل . الدكتور حسن مكى نائبا لوزير الإقتصاد للشئون المالية . محمد عبد الله عبده نائبا لوزير الاقتصاد للشئون التجارية . شائف محمد سعيد نائبا لوزير المواصلات . محمد عبد الواسع حميد نائبا لوزير الأشغال . محمد أنعم غالب نائبا لوزير الشئون البلدية . الدكتور على عبده سيف نائبا لوزير الصحة . حسين المقدمى مديرا عاما للمستشفيات . عبد الرحمن الحكيمى مديرا عاما لمطابع الجمهورية . حسين الحبيشى نائبا لوزير المعارف . القاضى عبد الله الشماحى نائبا لوزير الإرشاد القومى . محمد سلام نائبا لوزير الثروة المعدنية . السيد محمد المطاع نائبا لوزير العدل . القاضى محمد الرباعى نائبا لوزير الأوقاف . قاسم غالب مديرا للعلاقات بوزارة الإرشاد القومى . أحمد طاهر نائبا لوزير الصناعة . أحمد عبده سعيد رئيسا لوفد الجمهورية اليمنية لدى الأمم المتحدة . محمد مفرح أمينا عاما لوزارة الداخلية .

الحكام العسكريون

العميد عبد الله السلال حاكما عسكريا لمنطقة صنعاء . سعد الأشول حاكما عسكريا لمنطقة تعز . أحمد الجرموزى حاكما عسكريا لمنطقة الحديدة . على لطفى الثور حاكما عسكريا لمنطقة حجه . على بن عبد الله مناع حاكما عسكريا لمنطقة صعدة . الشيخ سالم الرماح حاكما عسكريا لمنطقة البيضا . الشيخ عبد القوى ابراهيم حاميم حاكما عسكريا لمنطقة الحدود الجنوبية ، محمد عبد الواسع حميد مديرا للأمن العام . المقدم غالب الشرعى مديرا لشرطة صنعاء . عبد الله الحيمى مديرا لشرطة تعز . محمد الرعينى مديرا لشرطة الحديدة . السيد محمد هاشم قائدا للحرس الوطنى .

عندما قرأت هذه القوائم لاحظت أن تشكيل مجلس قيادة الثورة لم يتضمن إسم الملازم على عبد المغنى وهو أحد الأعمدة الرئيسية للثورة ، والشاب الذى ينتظر أن يقوم بدور حاسم مع زملائه الضباط حديثى التخرج من الكلية الحربية الذين تولوا مواقع هامة فى وحدات الجيش . ساورنى القلق لأننى فسرت إغفال اسمه من تشكيل مجلس قيادة الثورة بإنه إما أن يكون ذلك نتيجة لعدم استشارته فى هذا التشكيل ، أو لأنه لا يثق فى بعض الاسماء التى وردت فيه .

لم يكن تشكيل مجلس الوزراء فى أهمية تشكيل مجلس قيادة الثورة ، لأن الوزراء غير الأعضاء فى مجلس القيادة لا يطلعون على أسرار الثورة إلا بعد قيامها ، أما أن يغيب عن تشكيل مجلس القيادة أحد أقطاب الثورة وهو الملازم على عبد المغنى فإن هذه هى المشكلة بعينها .

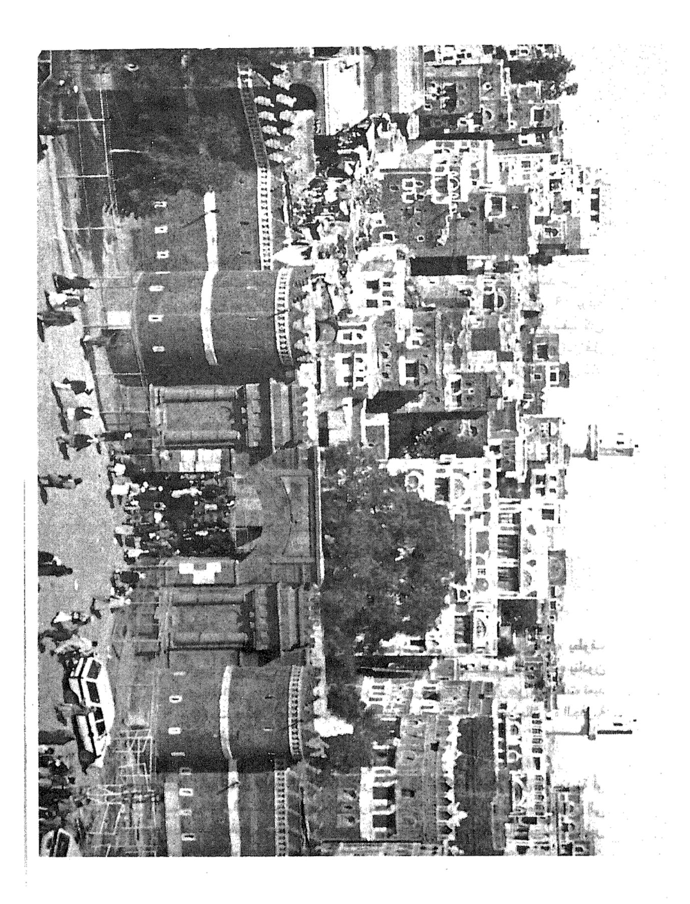
كذلك لاحظت تعيين القاضى عبد الرحمن الأريانى وزيرا للعدل فى وزارة أتولى رئاستها وهو رئيس مجلس قيادة الثورة .

وكان الموقف حرجا لا يحتمل الانتظار حتى يجلو غموض موقف الملازم على عبد المغنى ، ولم تكن أمامى فرصة للأيعاز بوضع الأمور فى نصابها الصحيح ، لأن الزميل محمد قائد سيف قد أبلغنى أن ساعة الصفر قد تحددت وأنها سوف تكون فى أول ضوء مع فجر ٢٣ يولية ١٩٦٢ أى بعد أسبوعين من استلامى هذه القوائم ، وأبلغنى ببيان الموجة اللاسلكية التى سوف نوصلها بإحدى محطات الإذاعة فى مصر كى تذيع من تعز بإسم الجمهورية اليمنية إذا ما فشلت مجموعة صنعاء فى السيطرة على العاصمة واحتلال محطة الإذاعة بصفة صالحة للتشغيل ، كما سلمنى الزميل محمد قائد سيف قائمة ثالثة بالأسلحة والذخيرة التى يحتاج إليها الثوار فى تعز ، وهى الساحة الرئيسية للثورة ، وأبلغنى أنه سوف يزورنى مساء ذلك اليوم ومعه الزميل على محمد سعيد الذى كنت قد طلبت وصوله من اليمن حتى أتحدث معه شخصيا فأتبين مدى قدرته النفسية وتحكمه فى أعصابه وكتمان عواطفه والسيطرة على ملامح وجهه قبل أن نكلفه بنقل الأسلحة والذخيرة من تعز إلى صنعاء وتسليمها أما إلى العقيد حسن العمرى أو إلى الزميل على ناصر الكميم ، وهو أحد تجار صنعاء الذى كان يعتبر بمثابة أمين صندوق الثورة فى صنعاء كما كان يختزن فى بيته الأسلحة والذخائر بالإتفاق مع العقيد حسن العمرى والقاضى عبد السلام صبرة كما سبق ذكره .

عندما وصل الزميل على محمد سعيد إلى بيتى لم يكن يعرف من ذا الذى سوف يلتقى به ، لأن الزميل محمد قائد سيف لم يطلعه على اسمى وإنما قال له أنه سيزور محرك الثورة اليمنية إمعانا فى السرية . تحدثت ساعتين مع الزميل على محمد سعيد واقتنعت بأنه الشخصية المثالية للقيام بهذه المهمة فوافقت محمد قائد سيف على تكليفه بها ، وعندما هم بالانصراف عرضت عليه مساعدة مالية تعينه على أداء هذه المهمة فعاد إلى مقعده وقال (الآن والله اقتنعت بأن هذه ثورة ناجحة لأننى أمضيت عمرى أدفع للاحرار اشتراكات ومساعدات مالية دون أن يقوموا بأى عمل جدى ، الآن خذوا عمرى واكملوا تجهيز الثورة) .

ذهبت إلى أنور السادات وطلبت رأى مصر فى ساعة الصفر هذه كما سبق الإتفاق على إبلاغ مصر قبل قيام الثورة بنحو أسبوعين ، للتعرف على مدى مناسبة تلك الساعة لقيام مصر بتقديم المساعدات العسكرية الرمزية للثورة اليمنية بعد قيامها .

فى نفس اليوم حصلت على موافقة الرئيس عبد الناصر فعاد الزميل محمد قائد سيف فى الحال إلى عدن حيث كان فى انتظاره الزميل عبد القوى حاميم ، وفى اليوم التالى ذهبت إلى اللواء صلاح الحديدى الذى ملأ حقائبى بالأسلحة والذخائر التى وردت فى تلك القائمة ، وتوجهت إلى بيتى حيث تولت زوجتى الذهاب فى نفس اليوم بهذه الحقائب إلى المطار ، وتولى هذه المرة الزميل الطيار عبد الرحيم عبد الله حملها إلى عدن بنفس الكيفية التى سبق شرحها فى هذا الكتاب وكان فى انتظاره فى عدن الزميل محمد مهيوب ثابت .



٤

كان البدر ، منذ بداية شهر يونية ١٩٦٢ ، قد أخذ يطوف بالعديد من المدن والقرى اليمنية ، يبشر بطلوع فجر جديد ويسرف فى منح الهبات والهدايا قدر إسرافه فى تخدير الجماهير بالإصلاحات الجذرية . ونظرا لاقتراب ساعة الصفر أردت أن أشد من أزر الثوار وأرد على وعود البدر ، فألقيت حديثا من صوت العرب يوم الخميس ١٩ يولية ١٩٦٢ ولم انتظر نشره قبل إذاعته كما جرت العاده ، لأن مجلة روز اليوسف كان موعدها يوم الاثنين فأردت أن اسرع بإذاعة ذلك الحديث الذى تكررت إذاعته مرتين قبل نشره فى روز اليوسف يوم ٢٣ يولية ١٩٦٢ حيث كنا فى صراع مع الزمن . كان ذلك الحديث بعنوان (الفجر الكاذب) وكان أهم ماجاء فيه ما يلى :

(إذا أعلن الظالمون الجهاد ..

وقاد الطغاة الثورة ..

فليبشر الأحرار بالمشانق ..

ولتشبع الذئاب من لحوم الشهداء ..

ولتحيى الأمة .. بين المقابر ..

طوال الشهر الماضى .. والأمير البدر ولى عهد والده الجلاد ، يطوف بالمدن والقرى اليمنية ، ومن خلفه ذيل طويل من الخطباء والشعراء ، ينادون به جلادا من بعد والده ، ولعل البدر قد أحس حقيقة بأن الأرض قد أخذت تميد من تحت قدميه ، وأن الشعب قد ثاب فعلا إلى رشده ، وآمن بالثورة الجذرية فاتجه إليها .

فماذا فعل البدر ؟ عاد إلى سيرته الأولى .. كان كلما وصل إلى مدينة أو قرية أمر المسئولين عن المال فأفرغوا الخزائن بين يديه ، يبذل منها القليل إلى من يظن أنهم قد باعوا ضمائرهم ، ثم يستولى على بقية المال ليرسله قناطير مقنطرة إلى حساباته فى أوروبا بينما كانت جيوب أعوانه المرتزقة تشق عنان السماء تهتف بحياته ونزاهته .

أما عن آماله فى الإصلاح .. فالحق يقال أنه لم يقصر فى شرحها ، ذلك لأنه كان يدعو الناس إلى أن يستمروا فى تقديس والده والخشوع للأسرة الإمامية ، محذرا الناس من التفكير فى التطور والتعليم لأنه يؤدى ، كما قال ، إلى الشيوعية التى ارتمى فى أحضانها الأخوة العرب فى غير اليمن من البلاد العربية عندما خرجوا عن تقاليدهم الاسلامية ، بإسم العدالة الاجتماعية . ثم انتهى بهم المطاف إلى الالحاد . كان يشير إلى دعاة الاصلاح فى اليمن مؤكدا أنهم شيوعيون مدمرون يستخدمون الصحافة الهدامة والإذاعة الملحدة .

فوقف أحد الخطباء يشكر البدر على نصائحه الغالية مؤكدا أن الشعب اليمنى لا يعترف بغير زعامته الخالدة بينما لم تكن فى المدينة التى كانت تتشرف بزيارة البدر مدرسة واحدة ولا مستشفى ولا أى مرفق من المرافق العامة ، وسكانها أكثر من عشرين ألف مواطن لا يتمتعون فى مدينتهم إلا بمركز لجباية الضرائب ، ومسبك لصنع السلاسل ، وسجن كبير لمن يعجز عن تسليمها . ثم طالب الخطيب بإنشاء مدرسة ووضع خطة إصلاحية لليمن . وما أن نزل الخطيب من فوق المنبر حتى صعد غيره وقدم إلى البدر وثائق تدين بعض رجال الدولة بالإختلاس والرشوة وظلم الرعية ، وطالب بالتحقيق فيها وإنزال العقاب بمن تثبت ضده التهمة .

وبدلا من أن ينشىء البدر مدرسة من مال الدولة أمر بإنشاء مدرسة على حساب الأهالى وفرض عليهم مبالغ باهظة أخذت صورة أبشع من الضرائب (الزكاة) التى لا يتحملها الناس . وأما عن المختلسين فقد أمر البدر بحبس كل من اشترك فى إعداد هذه الوثائق ضدهم ، لأن البدر يحتمى فى المختلسين ويحمى المرتشين ، فهم وحدهم الذين يقفون خلفه ، وهم وحدهم الذين يروجون دعايته ، وهم وحدهم الذين يصدقون أكاذيبه ويقبلون انحرافه .

وفى مدينة أخرى أعلن البدر أنه ضد التفرقة العنصرية وأنه يعتبر نفسه قحطانيا من أبناء الشعب ، ولما وصل فى رحلته إلى مدينة حريب المحاذية لحدود إمارة بيجان ، أجرى اتصالات مع أميرها ومستشاريه الإنجليز انتهت بعقد اجتماع معهم . ومراد البدر من هذا الاجتماع أن يضمن تأييد الإنجليز لعرشه عندما يجلس فوقه .وهذا يفسر أيضا هجوم البدر على الإصلاح ، ووصف كل إصلاح بالشيوعية . حتى أصبح فى نظره كل مصلح ملحدا .

سياسته مكشوفه .

فإنه إذا انفرد بالهاشميين لعن القحطانين . وإذا اختلى بالقحطانيين لعن الهاشميين . وإذا قابل سفيرا من الشرق . لعن الغرب . وإذا زار سفيرا من الغرب لعن الشرق . وإذا تحدث مع الاحرار لعن الإمام . وإذا جلس مع الإمام لعن الاحرار . فلا يثبت على مبدأ إلا إذا نظر إلى المرآة فهتف بحياة نفسه . لأنه جمع بين زعامة الرجعية وزعامة الاصلاح . زعامة المنحرفين وقيادة المنافقين .

ولا ينكر المنصفون أن البدر يتمتع بمقدرة هائلة على سحب وعوده وخرق عهوده والتخلى عن الأصحاب والأنصار ، وإفشاء سرهم وإشاعة الفرقة والوحشة فيما بينهم ثم يتمتع بطاقة أكبر تجعله يتحمل أن يرى الإمام يسوق أعوانه مكبلين بالحديد فى طريقهم إلى المذابح والسجون .

وأخيرا ..

إن البدر لن يسمح بتعليم . لن يترك حرية . لن يبتسم لنزاهة. لن يرحب بكفاءة . لن يريد الاصلاح .

أما الطليعة الثورية

فهى .. لا تؤمن بالشيوعية .. لكنها لا ترضى الإقطاع .

لا ترحب بحرب الطبقات .. لكنها لا تسكت على التفرقة العنصرية ..

لا تريد الإضرار بأى هاشمى .. لكنها لن تغفل عن حقوق الشعب .)

لم أذق طعم النوم منذ غروب الشمس يوم ٢٢ يولية ١٩٦٢ حتى طلوعها فجر يوم ٢٤ يولية ١٩٦٢ منتظرا لإشارة قيام الثورة فى تعز وكنت ملازما لأنور السادات فى بيته ، الذى ما كاد يفارقنى عندما ذهب إلى عبد الناصر للإشتراك فى مراسم الإحتفال بعيد الثورة حتى عاد ليشترك معى فى الإنتظار الذى طال ، ثم طال ، حتى يأسنا من قيامها فى ذلك اليوم الموعود .

وفى مساء ٢٤ يولية ١٩٦٢ وفى بيت السادات تبادلنا التهانى بإطلاق الصاروخ الظافر والقاهر ، وفجأة تقلصت أعصاب صلاح نصر رئيس المخابرات العامة وقال (يا أخ عبد الرحمن يجب أن تصرف النظر عن ثورة اليمن ، وأن توقف كتاباتك فى مجلة روز اليوسف ، وكذلك أحاديثك من إذاعة صوت العرب) .

قلت : وما سبب هذا القرار المفاجىء ؟

قال : لقد عرفت المخابرات الأمريكية جميع التفاصيل عن خطة الثورة من خلال حديث جرى بين أحد مصادرها وبين القاضى عبد الله الإريانى الذى يعالج فى مستشفى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، وكانت هذه التفاصيل قد وصلت إليه من تعز فى رسالة كتبها إليه شقيقه القاضى عبد الرحمن الإريانى .

قلت : هل تقول أن المخابرات الامريكية قد عرفت جميع التفاصيل ؟

قال : نعم عرفت جميع التفاصيل .

قلت : هذا أدعى إلى الاستمرار وليس إلى التوقف لأن المخابرات الأمريكية لن تصدق قيام ثورة فى اليمن على نحو هذه التفاصيل . ثم تساءلت لماذا لا نستمر حتى تصلنا معلومات عن ردود فعل المخابرات الأمريكية ؟ لا سيما أن عيوننا اليمنية متيقظة ومطلعة على معلومات وتحركات الإمام أحمد وولى عهده البدر وشقيق الإمام الأمير

الحسن وأنصارهم كما نتابع تحركات تنظيمى بريطانيا وأمريكا اللذين يعمل كل منهما على انتزاع العرش من أسرة حميد الدين ، وهم جميعا يقرأون منشوراتى فى روز اليوسف وإذاعاتى من صوت العرب ، ويتوقعون الانفجار بين لحظة وأخرى ، ولم يتخذوا حتى الآن أى إجراء وقائى أو مضاد .

ومن جانبى سألفت نظر الثوار فى اليمن كى يتوقفوا عن إعطاء معلومات أخرى للقاضى عبد الرحمن الأريانى وأن يعطوه بدلا منها معلومات مضللة كى تصل عن نفس الطريق إلى المخابرات الأمريكية ومع ذلك أننى لا أفترض أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تبكى على رجال تنظيمها إذا سبقناهم من أجل النهضة باليمن لأنها لا تعارض التغيير فى اليمن فى الوقت الذى يعلن فيه الرئيس كنيدى أنه يؤيد يقظة الشعوب النامية . وعلينا أن نضع فى اعتبارنا أننا قد شجعنا الكثير من الأنصار فى اليمن ، وأننا إذا توقفنا فجأة مع احتمال وصول هذه المعلومات إلى الإمام لكان ذلك معناه أننا نسلم رقاب هؤلاء إلى سيوف الجلاد .

قال صلاح نصر :

لماذا لا نتوقف مؤقتا حتى نتأكد من عدم وجود ردود فعل أمريكية بعد أن عرفت أمريكا جميع التفاصيل ؟

قلت :

لماذا نترك الساحة لبريطانيا وأمريكا لتقيم إحداهما أسرة إمامية أخرى لا تلبث أن تنقلب على الشعب ؟ لماذا نتوقف أثناء السباق مع الزمن ؟

إننا إذا فعلنا ذلك فإن خسارتنا تصبح خسارة مؤكدة لأننا نتوقف بينما يستمر غيرنا فى السباق .
أما إذا بقينا فى حلبة السباق ثم أجبرتنا ظروف محتملة على التوقف فإن خسارتنا تعتبر خسارة محتملة .

والإختيار التاريخى الآن هو :

هل نختار الخسارة المؤكدة فنتوقف ؟

أو نختار الخسارة المحتملة فنستمر ؟

إن الأسلحة والذخيرة التى أخذناها منكم لن تذهب هدرا ولن يدفنها الثوار ليأكلها الصدأ في صحراء اليمن ، وأننى وإن كنت لا أعرف لماذا لم يتحرك الثوار فى تعز فجر الأمس فإننى أعرف أنهم سوف سيتحركون غدا أو بعد غد ، وأعرف أننا لن يطول بنا الانتظار .

يا سادتى :

دعونا نستمر ونحن على مقربة من تغيير التاريخ .) .

وافقنى أنور السادات ، وأيدنى جمال عبد الناصر وتراجع صلاح نصر .

أغلب الظن أن عدم قيام الثورة اليمنية فى تعز فى موعدها الذى حدده الثوار اليمنيون أنفسهم كان العامل الرئيسى الذى جعل صلاح نصر يميل إلى وقف نشر مقالاتى فى روز اليوسف وإذاعاتى من صوت العرب ، بعد أن أصبح من الراجح عنده أن مصر قد تورطت مع ثوار اليمن الذين ليس فى وسعهم أن يقوموا بثورة ، بينما يعرضون مصر لمضاعفات دولية دون جدوى إذا ما تحركت الولايات المتحدة الأمريكية فى الإتجاه المضاد ، لا سيما وقد أصبح من الراجح أن تنجح سوريا فى تجميع العديد من الدول العربية للوقوف فى وجه مصر تحديا للتيار الشعبى العربى الجارف الذى ينطلق من القاهرة ، فاستخلص صلاح نصر من هذه الظروف أنها لم تكن مناسبة لظهور مصر على مسرح أحداث اليمن ، بينما استخلص جمال عبد الناصر من نفس هذه الظروف أنه لم يكن هناك مفر من ظهورها على مسرح تلك الأحداث .

نظر صلاح نصر إلى مسرح اليمن « غير المؤكد » من منطلق السرية وإلتزام رجال المخابرات وهم يكتبون التقارير ، ونظر عبد الناصر إلى نفس هذا المسرح « غير المؤكد » من منطلق الاستراتيجية والتزام رجال القدر وهم يصنعون التاريخ .

تبينت أن واجبى نحو التاريخ اليمنى والعربى لا ينحصر فى مجرد نشر الدعوة إلى الثورة الجذرية بين أبناء اليمن ، وتوحيد جهودهم الثورية وتزويدهم بالإطار العام لخطة الثورة والأسلحة والذخيرة التى تساعدهم على القيام بها ، لأن كل ذلك وكل ما هو أكثر من ذلك لا يمكن أن يؤدى إلى قيام ثورة جذرية ناجحة فى اليمن إذا لم تقف مصر إلى جانبها ، وإذا لم يتأكد ثوار اليمن من مساندة مصر قبل أن يقدموا على القيام بالثورة . فوجدت أنه من واجبى نحو التاريخ اليمنى والعربى أن أبذل كل ما فى وسعى للحفاظ على قناعة القادة المصريين بجدية الثوار اليمنيين .

ومن خلال هذه الضغوط النفسية الهائلة التى ضغطت على أعصابى وجدتنى أرثى فى نفسى شهداء اليمن الذين قدموا أرواحهم فداء لشعبها ، وهم واثقون من أن تضحيتهم بأنفسهم لن تؤدى مباشرة إلى قيام الثورة الجذرية ، وإنما ستؤدى فقط إلى تذكير الأحرار من أبناء هذا الشعب بواجبهم نحو مصير بلادهم .

اكتفى هؤلاء الشهداء بأن يكونوا مجرد مشاعل مضيئة على طريق الثورة الجذرية ، ولعمرى ماذا يكون أعلى مرتبة من هذه الروح الفدائية ؟ وما هو أعظم من ذلك دليلا يقنع قادة مصر بجدية العمل الثورى فى اليمن ؟

وجدتنى فى خضم الأعاصير النفسية التى اعتصرت أحشائى وهيجت أشجانى أكتب مقالا بعنوان (الشهيد) يشرح للتاريخ كيف استقبل الشهيد الملازم عبد الله اللقيه سيف الجلاد وهو مرفوع الرأس لا ينطق إلا بشهادة أن لا اله إلا اللهوأن محمداًعبده ورسوله . وأنه لا سيد فى اليمن إلا شعب اليمن .

نشرت هذا المقال فى روز اليوسف يوم ٣٠ يولية ١٩٦٢ وأذعته فى نفس اليوم من صوت العرب ، وكنت لا أتوجه به إلى شعب اليمن بقدر ما توجهت به إلى جمال عبد الناصر وصلاح نصر أثبت إيمانهم بثورة اليمن وأزيدهم وثوقا بجدية ثوارها .

وجاء فى هذا المقال :

(لا .. لا .. يا أبى ..

أنت تفعل هذا مكرها مغلوبا على أمرك .

لكنك لا ترضى أن اطأطىء رأسى ولو كان ذلك ما يختصر الطريق .

نفذ الأمر يا أبى .. أضرب عنقى ورأسى مشدودة إلى السماء فى عزة جديرة بالاحرار . وكرامة خليقة بشعب اليمن .

ولا يهمنى أن تطيش الضربات فتدق عنقى مرات ، ومرات ، ومرات . فأنا لا أحس بألم ، ولا أشعر بخوف ، بل أرحب بكل الذى فى انتظارى ما دمت قد نفذت إرادة هذا الشعب الخالد .

أسمه .. عبد الله محمد اللقيه ..

ضابط يمنى عمره ٢٦ سنة . واحد من ألوف الشهداء اليمنيين ، الذين جادوا بأرواحهم من أجل أمتهم عبر الألف والمائة عام الماضية ، عمر المأساة البشعة فى اليمن . لم يقرأ العالم عنه إلا سطرا واحدا أذاعه الإمام فى العام الماضى حين أعلن أنه أعدم المجرم عبد الله محمد اللقيه وزميله ، ثم علق رأسيهما فوق الأشجار وألقى بجسديهما للكلاب والطيور الجارحة .

فتناقلت صحافة العالم هذا الخبر .

والعالم لا يعلم ماذا يجرى فى اليمن على أيدى المفسدين الجلادين الطغاة ، بل يجهل العالم ، فيما يجهل عن اليمن ، ما يسجله شهداؤها من كفاح مستمر لا يعرف الملل ، وإصرار مستميت لا يعترف بالهزيمة .

والعالم معذور لأن أئمة اليمن قد عزلوها عن الدنيا ، حتى أصبحت قصتها خرافة ، ومأساتها أسطورة ، تتحرك فى صندوق مسحور ، لا يطل منه سوى الإمام ، لا يعرف عنه القوم سوى ما يأتيه الإمام من حركات يخدع بها الناظرين ، وإشاعات يروجها أعوانه ، وهم ينسبون إليه خوارق السحر والجن وغرائب الأفعال والأحوال .

فتقدم هذا الشهيد وزميلاه ليثبتوا للشعب أن الجن لا يحرسون الإمام . فحصروا الإمام فى غرفة مظلمة وأوسعوه ضربا بالرصاص حتى سقط على الأرض مضرجا بدمائه فاقد النطق مشلول الحركة ، ويشاء أحدهم أن يهدى إليه الضربة الأخيرة بنعله قائلا (لتكن أول ملك تقتله النعال) .

ويستمرون فى ذلك حتى تمزق جسمه من الرصاص وتهشمت رأسه من النعال . ولما ظنوا أنه قد رحل عن اليمن إلى غير رجعه خرجوا إلى الناس ، فاستقبلوهم بالغبطة والسرور ، لكنهم لم تكن معهم خطة مدروسة ولا تنظيم معد ، فهم لم يستهدفوا القيام بثورة . وإنما أرادو فقط مجرد صرف الجن عن أرض اليمن وليكن بعد ذلك ما يكون ، استصحابا لعقيدة الأحرار من قديم الزمان الذين لم يدركوا المشكلة فلم يحددوا الهدف ، فطاشت ضربات الشعب دون بلوغ المراد .

اتقن الإمام تمثيلية موته حتى تركه الثوار ثم تسابق القوم إلى إسعافه وإلقاء القبض على الثوار . وحدث ما حدث . انتحر أحدهم ولم يستسلم . وقبض أعوان الإمام على الآخرين لتبدأ قصة من أروع القصص .

فلم يكن الشهيد عبد الله محمد اللقيه كغيره من الشهداء الذين ينقشون أسماءهم فى صحائف الخلود ثم يتحولون إلى ذكرى ، وماضى ، وتاريخ . بل كان اسطورة لا يكاد يصدقها خيال . عاش وحيد أبويه وسط شعب حرمه الأئمة العنصريون من الحياة .

وجد الشهيد أن الشعب مستسلم للخرافات والشعوذة ، يتمنى الخلاص من الائمة الظالمين لكنه لا يستطيع أن يقف أمامهم . ولم يجد الشهيد قيادة شعبية واعية ترسم له الطريق فرسمه لنفسه ، على قدر طاقته ، وبحسب إدراكه ، ثم اثبت عند محاكمته وعند جلده وعند صلبه وعند موته أنه فعلا رسول الشعب .

خذ ساعتى بعها .. وأعطى ثمنها لأمى .. فأنا أعلم أنهم قد يتخلون عنها عندما يؤثرون الحياة . أما أنا فقد وهبت نفسى لليمن . ويعطى الشهيد الشاب الملازم عبد الله محمد اللقيه ساعته للسيد محمد بن يحيى الذارى عضو الهيئة الإمامية التى أمر البدر ولى العهد بتشكيلها ، لا للتحقيق مع الشهيد وإنما للحكم عليه بالإعدام بعد أن تفنن فى إيلامه وتعذيبه .

لم يستطع الإمام ولا إبنه البدر حبس الشهيد فى سجونهما الغليظة المظلمة على كثرتها وانتشارها فى أنحاء اليمن فأمرا بوضعه فى قفص الأسد فى بيت الإمام فى الحديدة بعد أن طردا منه الأسد إلى مكان آخر . وإذا بالشعب الذى تعود أن يشاهد الأسد الحبشى فى قفصه خلف القضبان يفاجأ إذ هو يرى بطلا من أبطاله وعملاقا من عمالقته ، وقد كبلوه بالحديد ، وبنوا من فوق قفصه بناء جديد حتى لا يحطم القفص .

وتجتمع هيئةالمحكمة الإمامية وتنفض .

وتأمر بتعذيب الشهيد البطل كما لم يعرف التاريخ للتعذيب شبيها ولا مثيلا . فهم يخرجونه من قفصه ويصلبونه على الأرض ، وينهالون عليه بالسياط والعصي الغليظة والأسياخ الملتهبة ، وهو لا يقول إلا .. الله .. الله .. الله . فتقشعر أبدان القضاة الإماميين من هول المشهد ، وجلال الموقف ،

ورهبة الصمود وقدسية الدعاء . حتى إذا ماوقع بعضهم مغشيا عليه ووضع الباقون أيديهم على عيونهم يتوقف الجنود عن تعذيب البطل ، ثم يعيدونه إلى قفص الأسد وهو يمشى على قدميه يسخر من جلاديه كأن شيئا لم يكن .

ويتحلى القضاة بالشجاعة عندما يرون حريم الإمام يتلهين بالمنظر خلف نوافذ المقام (قصر الإمام) . وهن على أية حال أشجع من هيئة المحكمة لأنهن كن يطقن أن يرين كل العذاب الذى يجرى على الشاب البطل . فهن عانس حاقدة ، أو فاقدة الوعى من الخمر الإمامى الحلال ، أو محقونه بالمورفين ، أو ثاكل من أسرة الإمام ذبح الإمام ابنها ، أو أرملة ملكية قطع الإمام رأس زوجها ، أو جاسوسة منتهزة اندست فى حريم الإمام وابنه وأسرته لتثرى من دماء الشعب .

وبطلوع كل صباح تتكرر نفس المناظر .

وبعد كل تعذيب تبدأ محاكمة تلو محاكمة ، يحضرها الأمراء يرفهون فيها عن أنفسهم ويحكون فيها إنتفاخا صولة الأسد .

وذات يوم .. يصيح البطل الشهيد قائلا : إننى أشم رائحة الخمر تزكم أنفى . اخرجوا هذا الأمير السكران فلسنا فى حانة من حاناته ، ولا فى قصر من قصور الإمام أو بيت من بيوت الأمراء . ويخرج الأمير سيف الإسلام على شقيق الإمام يطأطىء رأسه واضعا يده على فمه ، يمسح لعابه الذى كان يسيل على خديه ، مبللا صدره ، متساقطا على مسبحته ، ممزوجا بالخمر الذى اشتهر به وأدمن عليه .

ويطمع الأمير البدر ولى العهد فى تمثيل دور البطولة التى افتقدها فيه الشعب فيأمر بإحضار البطل الشهيد إلى قصره فى تعز ، وما أن يراه فى غرفته أسيرا مقيدا من حوله الحراس حتى يطعنه الأمير بسيفه طعنة نجلاء فى فخذه . فيفزع الأمير وينزع سيفه من جسد الفتى فتسقط قطعة من لحمه تغرق المكان من دمه الطاهر الزكى .

والبدر مخمور كعادته حين يقضى فى عظيم الأمور .

وعندئذ يصيح الأمير فى الفتى قائلا : والله لأقطعنك قطعة قطعة حتى تعترف على شركائك .

والبطل يبتسم ويسخر إذ يقول : إن شركائى تعرفهم يا سمو الأمير ، إنهم الشعب .. كل الشعب ..

ويفقد البدر صوابه ويلتفت إلى الجنود صائحا « لا تسمحوا له بشربة ماء .. وليذهب إلى الجحيم نجسا ».

فينظر إليه الشهيد البطل قائلا : ما أشجعك يا سمو الأمير . وأنت تنقض كالأسد الكاسر .. ولكن أين .. ؟ فى غرفتك المكيفة الهواء ، المفروشة بالحرير ومن حولك الحراس عن يمينك وعن شمالك ، ثم من خلفك رجالك الأشداء من أصحاب المزاج .

أنا سأذهب يا سمو الأمير إلى الله طاهرا وإن لم أتوضأ ، ولن أموت بل سأظل حيا فى وجدان الشعب لأننى فعلت ما فعلت لا أنتظر جاها ولا مالا وإنما من أجل الشعب اليمنى الخالد .

أما أنت ياسمو الأمير .. فكما أنت .. كما تعلم .. أن حييت فستحيى ميتا .. وعندما تموت فلسوف تموت إلى الأبد .. لتصبح نسيا منسيا .

إننى كنت أعلم أننى لن أعيش حتى أشترك فى رفع أعلام الشعب وهو يحتفل بأعياد الثورة . ولكننى صممت ، في إصرار ، على أن أضم رأسى إلى قائمة الشهداء لأشهد التاريخ على أن أبناء قحطان ما زالوا يغرسون ، كعادتهم ، بذور الحرية فى أرضهم الطيبة .

وفى كل صباح يشقون جسد الشهيد بخناجرهم وسيوفهم ثم يضعون فى هذه الشقوق مواد حارقة ملتهبة ، لعلهم يظفرون منه بكلمة تشفى غليلهم . لكن الشهيد البطل لا يعبأ بما يقطعون بخناجرهم ولا يحفل بما يشقون بسيوفهم ، وإنما يقبل التراب الذى يحشرونه فى فمه .. تراب اليمن .. الخالدة .

اليمـن ..

التى من أجلها ضحى الشهيد بشبابه ، ضحى بحياته ، ضحى بعمره ، ضحى بأمه ، من أجل أن يتحرر أهل اليمن من الذل والعار والعبودية .

وذات صباح .. يجرون الشهيد إلى ميدان تعز .

يتقدم السياف .. وكانت هذه أول مرة يقطع فيها رأسا .. بعد أن عجز البدر عن العثور على جلاد متمرن ، ويخاطب الشهيد قائلا : إحن رأسك يا ولدى كى أتمكن من ضرب عنقك ضربة واحدة ، فلا يشق عليك العذاب ، فو الله إنى أرحمك .

فينظر إليه الشهيد قائلا :

لا .. لا .. يا أبى ..

أنت تفعل هذا .. مكرها .. مغلوبا .. على أمرك ..

لكنك لا ترضى .. أن اطأطىء رأسى .. ولو كان فى ذلك ما يختصر الطريق ..

نفذ الأمر يا أبى .

اضرب عنقى .. ورأسى مشدودة إلى السماء .

فى عزة جديرة بالاحرار .

وكرامة خليقة بشعب اليمن .

وعندئذ يصيح العقيد أحمد الأنسى فى السياف ليبدأ فى ضرب عنق الشهيد حتى لا يتم حديثه فتحدث بين الجنود فتنه تقلب مجرى الأمور .

ويأخذ السياف فى ضرب عنق الشهيد ثلاث مرات إلى أن سقطت رأسه على الأرض لترتفع إلى ما فوق التاريخ .

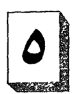
وبعد :

فقد تعود شعب اليمن . أن يقدم رؤوس أبنائه . رأسا فى إثر رأس . من بعد آلاف الرؤوس . دون أن تحفل بها الدنيا . وكأنها أوراق الخريف حين تسقط على الأرض . أو ربما هى دون ذلك . فهى لا تثير مواهب الرسامين . ولا خيال الشعراء .

وكأن الله قد أراد لهذا الشعب الصابر المكافح . أن يكتم جراحه بين صدره كى لا ترتعش منها الدنيا . أو يدفن أمجاده فى رماله كى لا يضيق بها العالم ، من كثرة ما فيها من صور الفداء ونماذج الشهداء ..

الذين لا يدخلون فى حصر ، ولا يتقيدون بأحصاء ، ولا يتشبثون بالتاريخ . من أجل أن يلحق شعب اليمن بالناس .. فيصبح من سكان الأرض .)

بكى أحمد سعيد مدير صوت العرب عندما كنت أذيع هذا الحديث وكذلك المذيع سعد غزال . كما تحركت دموع إحسان عبد القدوس عندما قرأه قبل نشره فى روز اليوسف . وأشهد أننى لم أفعل سوى أن رويت قصة اليمن بصرخات أبناء اليمن ، وكتبتها بدموع حسرتى على أمجادها التى هوت من عليائها ، وتحطمت فى كبريائها ، فهوت واندثرت تحت ترابها ، الذى كان الشهداء يتسابقون على تقبيله عندما يذبحون ، كما يسجد عليه الخاشعون المصلون عندما يضرعون إلى الله أن يكشف عنهم البلاء ، ويحرر وطنهم من الخرافات التى خدرت اليمنيين ، وجردتهم من عقولهم وأبسط حقوقهم وهى تبيع لهم الجنة فى السماء بينما تحرم عليهم ما أحل الله لهم فى الأرض ، وكأنها دين جديد جاء ناسخا لشريعة الاسلام التى نزلت على لسان محمد



وصلتنى فى ذلك اليوم برقية من تعز بتوقيع الزميل عبد القوى إبراهيم حاميم على عنوان (القاهرة - المصباح) وهو إسمى الرمزى (فى خطة الثورة) قال فيها (سأصلكم الخميس ٢ أغسطس فى طريقى إلى موسكو) . وكان الواضح من هذه البرقية أنها لا تحدد ساعة صفر جديدة وإنما تخطرنى فقط بوصول الزميل عبد القوى كى أستعد لا نتظاره فى بيتى بالقاهرة حيث كان معروفا أننى سأكون فى الإسكندرية قريبا من السادات فى ذلك الوقت .

المملكة المتوكلية اليمنية
وزارة المواصلات
مصلحة البرق

ايصال نمرة ٤٦٦٢٣

رقم البرقية ١٥٢

طريق الإرسال القاهرة

العنوان المصباح

عدد الكلمات ١٦ القيمة المحصلة

إيصال برقية الزميل عبد القوى حاميم من تعز .

أذكر أن الأستاذ إحسان عبد القدوس دعانى لتناول العشاء فى بيته حيث كان من بين المدعوين أنور السادات والسيدة زوجته والموسيقار محمد عبد الوهاب والسيدة زوجته والأستاذ الأديب كامل الشناوى . وما أن قدمنى السادات للأستاذ كامل الشناوى حتى صاح فى وجهى قائلا (لقد أبكيتنى بمقالك عن الشهيد اليمنى) فضحك السادات وقال (لست وحدك الذى أبكاك هذا المقال .. كنت مع الرئيس جمال وهو يستمع إلى صوت الأخ عبد الرحمن وهو يبكى أثناء إذاعته من صوت العرب فرأيت عيون الرئيس قد أغرورقت بالدموع) .

وصل الزميل عبد القوى حاميم وأبلغنى أن قيام الثورة فى تعز قد تأجل لأن مجموعة الثوار فى صنعاء عرضت أن تزود مجموعة تعز بقذائف دبابات حتى لا تنفذ القذائف التى كانت موجودة فى تعز قبل إكمال مهمتها بعد قيام الثورة ، وأنه عند وصول هذه القذائف من صنعاء سوف يبلغوننى بساعة الصفر الجديدة ، ثم أعطانى قائمة رابعة بأسلحة وذخيرة مطلوبة للثوار لتدعيم قوتهم ، كما أبلغنى أن الزميل القاضى عبد الرحمن الإريانى يريد أن يكون رئيسا لمجلس الوزراء فقط ، ويرفض بشدة أن يكون رئيسا لمجلس قيادة الثورة وأنه يطلب أن نبحث عن غيره لتولى هذا المنصب ، فطلبت من الزميل عبد القوى أن يسافر إلى الإسكندية فى نفس اليوم على أن ألتقى به فى المساء فى بيتى فى الإسكندرية حتى نذهب معا لزيارة السادات فنقص عليه تلك المعلومات .

بينما كنت أتأهب للسفر إلى الاسكندرية فى ذلك اليوم وصل من عدن الزميل محمد قائد سيف فصحبته معى إلى الاسكندرية حيث التقينا بالزميل عبد القوى حاميم وتوجهنا معا إلى (كابينة) السادات فى المنتزه .

كان تعليق السادات على تخلى القاضى عبد الرحمن الإريانى عن رئاسة مجلس قيادة الثورة أنه لا يريد أن يكون مسئولا عن الثورة فى حالة فشلها ، وأن منصبه الذى يريده كرئيس لمجلس الوزراء سوف يتيح له الفرصة إذا فشلت الثورة أن يدعى أنه لم يكن شريكا فيها ، وأن يدعى أن الثوار هم الذين اختاروه ليكون رئيسا لمجلس الوزراء دون أن يعرف عن ذلك شيئا ، أما إذا نجحت الثورة فإنه يعتقد أن منصبه كرئيس لمجلس الوزراء وكمرشح سابق لرئاسة مجلس قيادة الثورة للمواصفات التى يتحلى بها من شأنه أن يسهل عليه الجمع بين المنصبين بعد نجاح الثورة .

قال السادات أن القاضى عبد الرحمن الإريانى سوف يكون من بين العوامل التى سوف تثير المتاعب للثورة بعد نجاحها .

قلت إننى يمكننى القول إستنادا على ذلك التحليل أن شخصية القاضى الإريانى غير مؤهلة للمجازفة التى هى شرط أساسى للاستمرار فى الواجهة الرئيسية للثورة ، لا سيما فى أشهرها الأولى ، ولذلك فإننى أتوقع أن يهرب من عاصمة الثورة ولن يعود إليها إلا عندما تستقر أمورها ، وفى تلك الأثناء تكون شخصيات الثوار قد استقرت فى المواقع المؤهلة لها ، فإذا لم يملأ أحدهم منصب الرئيس فلا بد إذن من أن يملأه القاضى الأريانى ويكون ذلك فى صالح الثورة ، أما إذا عاد الأريانى إلى عاصمة الثورة وقد ملأ منصب الرئيس رجل قوى فعندئذ يكون من الصعب على الأريانى أن يزحزحه من مكانه إلا إذا انتقل إلى الجانب المعارض للثورة .

كنت أعرف من السادات أن الرئيس عبد الناصر يشترط للثورة ، أية ثورة ، أن يكون رئيس مجلس قيادتها رجلا عسكريا ، ولذلك قاومت إغراء بروز إسمى فى هذا المنصب ، كما كنت مقتنعا بأهمية رئاسة القاضى عبد الرحمن الإريانى معتقدا أنه الشخصية التى تتفق مع ظروف اليمن ، فهو على علاقات وثيقة مع العلماء والقبائل ، ومعارض للتفرقة العنصرية والطائفية ، ولذلك شعرت بحرج عظيم عندما بلغنى أن الأريانى قد تنحى عن رئاسة مجلس قيادة الثورة ، مما جعلنى اقترح أن يحاول الزملاء

الثوار إقناع الزميل العميد حمود الجائفى كى يوافق على أن يكون رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، كما يحاولوا إشراك الزميل الملازم على عبد المغنى فى الثورة وفى اختيار رئيس مجلس قيادتها لأنه يمثل قاعدة عريضة من الضباط الثوار .

سافر الزميل عبد القوى حاميم إلى موسكو فى مهمة رسمية تتعلق بوظيفته كرئيس لشركة المحروقات اليمنية ، وسافر الزميل محمد قائد سيف إلى عدن يحمل معه الشحنة الرابعة من الأسلحة والذخيرة المطلوبة .

لم يتوقف الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى عن التشهير بدعوتى إلى الثورة الجذرية واستمرا يرفعان الشعارات الإصلاحية ، الأمر الذى دفع الزميل محمد قائد سيف إلى دعوة زعيمى الأحرار فى عدن الاستاذ محمد على الأسودى والاستاذ محمد أحمد شعلان إلى زيارة القاهرة لمحاولة إقناع نعمان والزبيرى بالثورة الجذرية وإقامة الجمهورية اليمنية .

وصل الأسودى وشعلان واستضافهما السادات بموافقة الرئيس عبد الناصر فى أحد فنادق القاهرة ثم ذهبا إلى نعمان والزبيرى ونقلا إليهما وجهة نظر الأحرار فى عدن والمهاجر اليمنية وحددا معهما موعدا كى نجتمع نحن الخمسة فى حديقة النهر بجوار حديقة الأندلس بالقاهرة .

انتهى هذا الإجتماع بوثيقة وقع عليها الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى والأستاذ محمد على الأسودى والأستاذ محمد أحمد شعلان إلى جانب توقيعى . جاء فى هذه الوثيقة أننا اتفقنا باسم جميع أحرار اليمن على الدعوة إلى إسقاط الحكم الإمامى فى اليمن وإلغاء التفرقة العنصرية والمذهبية وإقامة الجمهورية اليمنية ، وطلب الموقعون عليها أن أتولى إذاعتها من صوت العرب . وقد أذعتها فعلا يوم الاثنين ١٣ أغسطس ١٩٦٢ .

وفى يوم الأربعاء ١٥ أغسطس وصل من عدن الزميل محمد قائد سيف ومعه رسالة تفيد بأنه تحدد يوم الثلاثاء ٢٨ أغسطس لقيام الثورة فى تعز وأعطانى قائمة خامسة لأسلحة وذخيرة مطلوبة للثوار فى اليمن ، فذهبت كالمعتاد لمقابلة اللواء صلاح الحديدى ومعى فى سيارتى الحقائب الفارغة كى يتولى الضباط ملأها بما تضمنته القائمة فإذا به يعتذر عن ذلك بقوله أن فى وسع الثوار شراءها من السوق فى اليمن .

صحبت معى إلى الإسكندرية الزميل محمد قائد سيف وكنت مدعوا على تناول الغذاء فى « كابينة » أنور السادات بالمنتزه . أبلغنا السادات بساعة الصفر الجديدة كما أبلغناه باعتذار اللواء صلاح الحديدى عن تزويدنا بالأسلحة والذخيرة بدعوى أن فى وسع الثوار شراءها من السوق فى اليمن ، ولم يكن ذلك ممكنا بعد أن ثقل العبء المالى الذى ألقاه الزميل عبد الغنى مطهر على نفسه حتى أوشك على إنفاق كل أمواله على الثورة .

اتصل السادات تليفونيا بالرئيس عبد الناصر من الغرفة المجاورة ثم بالمشير عبد الحكيم عامر وعاد إلينا قائلا لى (سيكون اللواء صلاح الحديدى فى انتظارك غدا لتسليمك الأسلحة والذخيرة المطلوبة) .

ذهبت إلى اللواء صلاح الحديدى وكانت زوجتى تنتظرنى فى الطريق حتى تذهب فورا بالحقائب إلى المطار كسبا للوقت الحرج وعاد الزميل محمد قائد سيف يوم الجمعة ١٧ أغسطس ١٩٦٢ إلى عدن ومعه الاحتياجات التى طلبها الثوار ، مع ترحيب مصر بتقديم المساعدات العسكرية الرمزية بعد قيام الثورة فى تعز يوم الثلاثاء ٢٨ أغسطس ١٩٦٢ الذى حدده الثوار .

كان من المتفق عليه أن أصل إلى تعز على أثر قيام الثورة هناك بطائرة مصرية صغيرة من طراز (داكوتا) كى تستطيع أن تهبط فى مطار تعز الذى كان عبارة عن أرض ممهدة بين جبال وعرة ، ومعى ، كما سبق الشرح ، خبير عسكرى مصرى لحصر احتياجات الثورة من الأسلحة والذخائر على ضوء ما فى مخازن السلاح بعد جردها ، كما يكون معى جهاز إرسال واستقبال لاسلكى بعيد المدى يمكن استخدامه كمحطة إذاعة ، مع استكمال بقية حمولة الطائرة بالأسلحة الخفيفة والذخائر .

ولم يكن فى وسع هذا الطراز من الطائرات أن يقطع المسافة بين القاهرة وتعز دون توقف ولذلك تقرر تجهيز هذه الطائرة بما عليها فى مطار أسوان على أن أسافر إليها من القاهرة على طائرة نفاثة إختصارا للوقت .

وقد تم تجهيز هذه الطائرة بحمولتها قبل يوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٢ .

وفى يوم ٢٢ أغسطس ١٩٦٢ بدأت أجتماعات مجلس جامعة الدول العربية فى دورته الإستثنائية فى بلدة شتورا بلبنان للنظر فى شكوى حكومة سوريا ضد الحكومة المصرية ، وقد استخدم الوفد السورى أقسى عبارات الهجوم على مصر ، بالقدر الذى لقى ترحيبا واسع النطاق لدى الكثيرين من وفود الدول العربية الأخرى ، الأمر الذى زاده اشتعالا هروب الملحق العسكرى المصرى فى بيروت إلى سوريا وإعلانه أنه سيعقد مؤتمرا صحفيا ضد جمال عبد الناصر ، وكان ذلك بتحريض من سوريا مما دفع الوفد المصرى إلى التهديد بانسحاب مصر من الجامعة ما لم يقم مجلس الجامعة بالتحقيق الكامل فى أمر الأكاذيب والإهانات التى رددتها بعض الوفود فى المجلس .

وفى يوم ٢٥ أغسطس وصل الزميل محمد مهيوب ثابت وأبلغنى بأن بعض العناصر قامت بتوزيع منشورات فى عدن واليمن تحمل توقيعى الأستاذ نعمان والقاضى الزبيرى يتنصلان فى هذه المنشورات من البيان الذى أذعته من صوت العرب ، والذى كان بتوقيعهما وتوقيع الأستاذين الأسودى وشعلان وتوقيعى .

ساءنى ما سمعت من الزميل محمد مهيوب ثابت ونحن على مقربة من ساعة الصفر التى لم يبق عليها سوى ثلاثة أيام . ولا يخفى على عاقل أن التفاف الجماهير حول الثوار فى اليمن سوف يكون السلاح الحاسم الذى يحسم المعركة لصالح الثورة . وكان حرصى على استمرار الجماهير اليمنية فى الإندفاع نحو الإيمان بعقيدة الثورة الجذرية هو الذى جعلنى أواصل السعى إلى تحقيق وحدة الصف مع الأستاذ نعمان والقاضى الزبيرى ، الأمر الذى حققناه فى البيان الذى وقعناه جميعا وأذعته من صوت العرب بناء على موافقتهما على إذاعته وهو لا يزال من وثائق صوت العرب .

ردا على الأستاذ نعمان والقاضى الزبيرى وحرصا منى على الإحتفاظ بحماس الجماهير اليمنية وإشعالا لعزيمة الثوار ليلة قيام الثورة أذعت من صوت العرب حديثا يوم الأثنين ٢٧ أغسطس ١٩٦٢ بعد أن نشرته روز اليوسف فى نفس اليوم بعنوان « المعركة الفاصلة » .

وكان أهم ما جاء فيه ما يلى :

(شعب اليمن .. حان موعده مع القدر .. ليقضى على معاقل الفساد ، وينسف قلاع التخلف ، ويستأصل المأساة من أعماق جذورها .

شعب اليمن . ليس أمامه وقت يضيعه فى الحيرة والتردد ، أنه يسير فى الطريق الذى لا مفر منه ، طريق الثورة الجذرية ، بعد أن مضت عهود السياسة ، وفشلت دعاوى الإصلاح .

بعد أن يئس من ترقيع الثوب الممزق ، الملوث ، وفقد الأمل من جدوى اللف والدوران حول السبب الحقيقى للمأساة ، بعد أن انتهى عهد السياسيين الذين يختلقون المناورات لينتفعوا منها وبدأ عهد الثوار الذين يفتحون المعارك ليستشهدوا فيها .

ولقد رحب الشعب بالعهد الجديد لأنه يريد من يضحى من أجله ، لا من ينتفع من ورائه .

والثوار ..

فى كل الأوقات ، وفى جميع البلاد ، لا يحتاجون إلى إنتخاب ، لاينتظرون تزكية ، لايخضعون لأقدمية ، وإنما يعرضون أنفسهم على الشعب ويقحمون أرواحهم فى المعارك ليدقوا أسماءهم بين الشهداء .

ومؤهلاتهم كلها أنهم يحسون بوجيعة الشعب ، يجرأون على التعبير عنها ، يستشهدون من أجل القضاء عليها ، لا ينتظرون تكريما فى حياتهم ولا رثاء عند موتهم .

ضاع من عمر اليمن الف ومائة عام أجتهد السياسيون خلالها ليخلقوا ثورة بدون معركة ، بدعوى أنهم يحرصون على جمع الشمل ووحدة الصف فاجتمع معهم فى شملهم معظم الطغاة ، والتحق بهم فى صفوفهم أغلب المفسدين فلم تقم معركة بين الخير والشر ، بين مصلحة الشعب ومصالح أعدائه .

لم تحدث معركة من أجل الشعب وإنما حدثت انقلابات فيما بين الطغاة والمفسدين . لم يكن للشعب فيها ناقة ولا جمل . على هذا النحو قامت الانقلابات فى اليمن ، واستعارت اسم الثورة دون مقوماتها الأساسية . وهى تحديد طبيعة المعركة ، وتعيين أطرافها .

ففى سنة ١٩٤٨ وقع الانقلاب المشهور بثورة عبد الله الوزير . بدأ الأنقلاب بقتل الإمام الحاكم يحيى وانتهى بإعدام المنقلبين عليه ، وفيما بين قتل الإمام يحيى وإعدام المنقلبين عليه استولت حكومة الانقلاب على السلطة فى اليمن. ولكن على نفس الجذور التى انبتت المأساة ، وعلى ذات الدعائم التى قام عليها الظلم ، والطغيان ، والجبروت.

فلم تشعر اليمن بأى تغيير ، أو تبديل ، لأن ما حصل كان مجرد حلقة من حلقات الصراع حول السلطه . صراع فيما بين الذين يحرصون على اصطياد الشعب . صراع فيما بين الذين يتنافسون على ابتزاز أمواله . صراع فيما بين الذين يتباهون بإزهاق أرواحه .

وفى سنة ١٩٥٥ قام إنقلاب مرتجل سلم زمام أمره للسياسيين الذين أعتقلهم الثوار فخدعوا الثوار بالحكمة التى يحرصون عليها ، وبالعقل الذى يدعونه ، فأقنعوا الثوار بالحفاظ على النظام الإمامى وعدم المساس بشخص الإمام الذى كان فى قبضتهم والإكتفاء بتنازله عن السلطة من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى ، كما جاء فى وثيقة التنازل عنها .

وانخدع الثوار بحكمة السياسيين وعقلهم ، حرصا على وحدة الصف .

وبعد بضعة أيام أفلت الإمام من قبضة الثوار ، وتولى السياسيون أكبر المناصب مع الإمام الذى انتصر على الثورة ، بفضل حكمة السياسيين وعقلهم .

ومضى الشعب يندم على الثوار ، ويبكى الثورة .

ومضى الإمام يفتك بالأحرار ، ويدفن الثورة .

وأخذ الشعب يرسف فى الأغلال .

والسياسيون .. يجتمعون وينفضون .. يتفقون ويختلفون .. بالحكمة التى يحرصون عليها .. وبالعقل الذى يدعونه .. ولو بقيت الأمور على هذا النحو لعاشت المأساة الف سنة أخرى بحكمة السياسيين وعقلهم ..

لكن الأمور لا يمكن أن تبقى على هذا النحو لأن الأمة العريقة تنبت ثوارا كما تنبت سياسيين . فكلما هلك ثوار ظهر ثوار ، وظهر معهم سياسيون يحاولون الإنتفاع من ثورتهم .

ويمضى مرة أخرى الخلاف بين الثوار والسياسيون . حول الأفكار الإصلاحية ، والحلول الوسطى ، واختصار الطريق ، ووحدة الصف ، وجمع الشمل ، إلى أخر الألفاظ البراقة التى يتقنها السياسيون ليخدعوا بها الثوار .

وثوار هذا الجيل قد فطنوا إلى هذه الحقيقة وسوف يمضون إلى آخر الشوط ، إلى نهاية المعركة ، أنهم يريدون تحويل ما يدور فى قلب كل فرد من أفراد الشعب إلى شعارات واضحة ومحددة يرفعونها على رؤوس الاشهاد حتى تبدأ المعركة .

والسياسيون يكتفون بأن يبقى ما فى القلب فى القلب ، مع رفع شعارات عامة مزخرفة ، لا تغضب أحدا فلا تحدث معركة . والذى يدور فى قلب كل فرد من أبناء الشعب هو القضاء على التفرقة العنصرية ، وسقوط الحكم الإمامى الذى يعتمد عليها ، وإعلان المساواة بين جميع سكان اليمن ، دون تفريق أو تمييز بسبب العرق والنسب والخرافات .

الثوار ينقلون مشاعر الأمة إلى ميدان القتال ليقف الشعب فى مواجهة أعدائه .

والسياسيون يبحثون عن الحلول الوسطى مع أعداء الشعب على موائد المساومات . بالحكمة التى يحرصون عليها . وبالعقل الذى يدعونه .

فكان لا بد من أن يتصدع الحلف بين الثوار والسياسيين .

وكان من مصلحة الشعب أن يتصدع هذا الحلف حتى لا تتكرر مأساة عام ١٩٥٥ مأساة الثائر أحمد يحيى الثلايا وزملائه الذين ذهبوا ضحية الوهم الكبير . حكمة السياسيين وعقلهم .

والآن يصيح السياسون ويصرخون قائلين أن وضوح الثوار قد جعل غلاة المتعصبين من الهاشميين يتكتلون ضد الشعب .

وهذا القول قد يصح من قوم غرباء عن اليمن ، لم يقرأوا التاريخ ، لم يلمسوا المأساة ، لم يعرفوا اليمن ، بل جاءوها زائرين ، سائحين ، لأول مرة .

فعندما يقول السائحون هذا القول يعذرهم الشعب ، لأنهم لا يعلمون أن غلاة المتعصبين من الهاشميين الفاسدين متكتلون منذ أن وطأت أقدامهم أرض اليمن . لا يعلمون أن نظام الحكم فى اليمن يعتمد أساسا على هذا التكتل منذ ألف ومائة عام . لا يعلمون أنه لولا هذا التكتل لسقط هذا الحكم منذ أن استولى على اليمن . غلاة المتعصبين من الهاشميين متكتلون الآن ، ومنذ مئات السنين ، ولنكشف الآن عن أحد الأسرار .

إننا لم نرفع هذا الشعار الواضح الصريح المحدود إلا بعد أن يئسنا من العمل الثورى مع غلاة المتعصبين من الهاشميين السياسيين .

لم نرفع هذا الشعار إلا بعد أن تأكدنا من أنهم أسسوا جمعية سرية يتبرع لها كل منهم بعشرة فى المائة من دخله بصفة منتظمة وشهرية .

وإنهم وضعوا خطة لإغتيال أعيان الشعب المعروفين بالصلاح والتقوى واحترام حقوق الرعية . الذين لا يقبلون الرشاوى ، ولا يقرون المظالم ، ويحكمون بين الناس بالعدل .

فكان لزاما علينا أن نكشف أسرار الغلاة من الهاشميين المتعصبين لعلهم يدركون خطورة عملهم قبل أن يضربوا الشعب ضربتهم الإنتحارية اليائسة التى ستكون بمثابة حكمهم على أنفسهم بالإعدام .

ولقد اتضح لنا أن خطة العمل الثورى فى اليمن تعتمد على أحد طريقين لا ثالث لهما .

الطريق الأول : أن نقنع غلاة المتعصبين من الهاشميين بأن يفضوا تكتلهم ليندمجوا مع الشعب .

الطريق الآخر : أن نقنع الشعب بأن يتكتل ليواجه التكتل الهاشمى المتعصب .

وبعد أن عجزنا عن إقناع المتعصبين من الهاشميين لجأنا إلى إقناع الشعب .

وعندما لجانا إلى إقناع الشعب ظهر السياسيون مرة أخرى يحاولون إقناعنا بخطورة هذا الطريق ، الذى يغضب الهاشميين الأحرار . ولم نقتنع بحكمة السياسيين وعقلهم هذه المرة لأننا نعتقد أن الهاشميين الأحرار الحقيقيين لا يغضبون من إسقاط الحكم الهاشمى ما داموا أحرارا حقيقيين يؤمنون بالمساواة .

الهاشمى الحر يجب أن يعدل عمامته ويلفها كما يلف الشعب عمائمه حتى لا تكون فوق رأسه شارة مميزة عن أبناء الشعب . الهاشمى الحر يجب أن يرفض أن يناديه أبناء الشعب بلقب « سيدى » و « مولاى » .

الهاشميون الأحرار كثيرون يعملون فى صفوف الثوار ، ينادون بهذه الشعارات الواضحة الصريحة ، ولا يخافون الثورة . بل يعملون من أجلها . من أمثالهم الهاشمى الثائر محمد هاشم زعيم الثوار الذين أعلنوا ثورتهم على الإمام منذ عيد الأضحى الماضى فى منطقة ماوية .

ولا يزال محمد هاشم ورجاله معتصمين فى منطقتهم ينتظرون سقوط هذا الحكم الهاشمى الآثم .

والطلبة الثوار فى صنعاء والحديدة وتعز الذين قاموا بالمظاهرات هذه الأيام يهتفون بسقوط التفرقة العنصرية وبحياة الجمهورية اليمنية كان من بينهم هاشميون أحرار ثوار ينادون بسقوط الحكم الهاشمى ، بصراحة ، ووضوح ، وإصرار ..

وأصحاب النبى الذين كانوا يعبدون الأصنام قبل الإسلام لم يغضبوا بعد إسلامهم عندما أمر الرسول الكريم بتحطيم الأصنام التى كانوا يعبدونها .

كذلك .. الهاشميون الأحرار .. لا يغضبون عندما نعلن فساد الحكم الذى سمى نفسه بالحكم الهاشمى ، فجعلنا نستصحب هذه التسمية أردنا أو لم نرد عندما ترفع الشعارات الواضحة التى تحدد معالم الطريق ..

والثورة لن تسحل الهاشميين كما يدعى السياسيون ، وإنما ستحطم ، فقط وبكل اختصار ، جماجم من يعترضون طريقها ، سواء كانوا هاشميين أو غير هاشميين .

وعندما ينتصر الشعب سينتصر كل من اشتركوا فى الثورة ، هاشميون أو غير هاشميين .

لأنه بعد نجاح الشعب لن يكون هناك هاشمى وغير هاشمى ، سيكون كل سكان اليمن أسرة واحدة .

ولن يكون فى المستقبل سياسيون وغير سياسيين .

لأن المستقبل يحتاج إلى شعب ثائر يقوم بنهضة ثورية ، ويؤدى أعمالا ثورية ، بروح ثورية ، كى يسترد شعب اليمن فى بضع سنين ما فقده عبر القرون السحيقة .

سيحتاج المستقبل إلى قفزات ثورية لا إلى مناورات سياسية . فعلى أبناء اليمن أن يؤهلوا أنفسهم للروح الثورية ، وعلى السياسيين أن يندمجوا فى صفوف الثوار ، لينقلوا عنهم روح الثورة ، لا لينقلوا إليهم عدوى السياسة .

وبعد ..

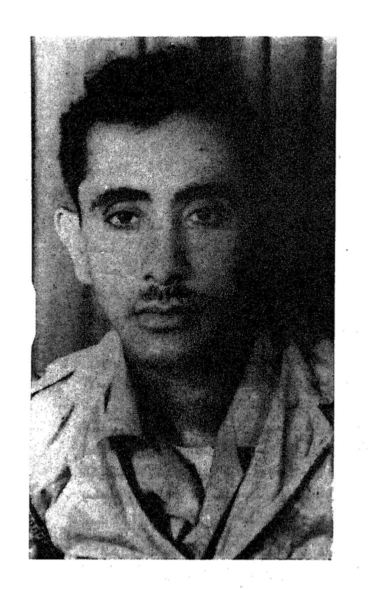
فإننا نرحب بتكتل غلاة المتعصبين من الهاشميين السياسيين بأى عدد ، وبأى مبلغ ، وبأى سلاح .

نرحب بإقدامهم على قتلنا ، وقتل غيرنا من أبناء الشعب بأى عدد ، وبأية صورة ، وفى أى مكان .

فهذا .. وهذا وحده .. مايعجل بالمعركة .. المعركة الفاصلة .

يعجل بالثورة .. لا بموت بالثوار ..

فالثوار لا يموتون .. لأنهم يحيون فى مبادئهم .. والمبادىء لا تموت ..)



الشهيد الملازم محمد العلفى



الشهيد الملازم عبد الله اللقيه



انتظرت مع الزميل محمد مهيوب ثابت إشارة الثورة فى فجر اليوم التالى (٢٨ أغسطس ١٩٦٢) وعند الظهيرة ذهبت معه إلى أنور السادات الذى بادرنى بقوله « أنهم لم يتحركوا ، لكنك يا أخ عبد الرحمن ستقول ، كعادتك ، إنك واثق فى أنهم سوف يتحركون فى يوم من الأيام » .

قلت صبرا جميلا ، إنهم سوف يتحركون قريبا إن شاء الله .

وفى يوم الأربعاء ٢٩ أغسطس صليت المغرب فى مسجد السلطان حسين بالقلعة مع الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى والشيخ سنان أبو لحوم الذى شهد معى بأن الحل الوحيد لانتشال الشعب اليمنى من المأساة هو الثورة والدعوة إلى الجمهورية اليمنية ، وقد بذل كل جهده للتوفيق بينى وبين نعمان والزبيرى وتوحيد صفنا تحت شعار الثورة الجذرية . وبعد أن أدينا صلاة المغرب قرأنا جميعا فاتحة القرآن الكريم بنية الإخلاص لهذا الهدف والعمل من أجله صفا واحدا ، كل فى مجاله وبقدر ما يستطيع ، وعفا الله عما سلف بيننا من خلاف.

أذكر أن الشيخ سنان عاد إلى عدن وهو غاضب على الأستاذ نعمان لأنه رفض ان يقدم إلى الأحرار اللاجئين إلى عدن أية مساعدة من الأموال التى سبق أن جمعها باسم القضية اليمنية ، وانه اكتفى بتقديمه إلى أحد المسئولين برئاسة الجمهورية المصرية الذى تبرع باسم مصر بمبلغ خمسمائة جنيه لهؤلاء الأحرار من شيوخ القبائل والطلبة وسلمه للشيخ سنان قبيل سفره إلى عدن .

وفى يوم الخميس ٣٠ اغسطس ١٩٦٢ وصلتنى برقية من الزميل الملازم على عبد الغنى عن طريق مكتب السادات برموز السفارة المصرية فى صنعاء قال فيها (أرجو وزملائى الإشتراك معكم فى الثورة أما جزيلان فلا يمثل تنظيما . ننتظر تعليماتكم) .

أجبت عليه فى الحال ببرقية من مكتب أنور السادات برموز السفارة المصرية فى صنعاء قلت فيها (من عبد الرحمن البيضانى إلى الأخ الحر الضابط على عبد الغنى بصنعاء ، وصلت إفادتكم أرحب بالعمل معكم ومع زملائكم ومن أجل تنسيق العمل أرجوكم الإتصال بعبد الغنى مطهر وستجدون لديه ما يلزم وأفيدونا بالمتجدد) .

كما أرسلت فى نفس الوقت برقية من مكتب السادات وبرموز السفارة إلى الزميل عبد الغنى مطهر قلت فيها (من عبد الرحمن البيضانى إلى عبد الغنى ، سيتصل بكم الضابط على عبد الغنى فى صنعاء إطلعوا على ما عنده وأدخلوه فى المجلس ونسقوا العمل معه وأعطوه ما يلزم حسب تقديركم وأفيدونا عن موقف جزيلان الحقيقى . (الوثيقة رقم ٢٠) وهى بخط المسئول فى مكتب السادات .

أشار إلى هذه الوثيقة الأستاذ محمد عبد الله الفسيل[1] فى صفحتى ١٦٢ ، ١٧٣ من كتاب (ثورة سبتمبر - دراسات وشهادات تاريخية) الذى أعده مركز الدراسات والبحوث بصفة رسمية فى صنعاء ، الطبعة الأولى ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، فقد اعترف الأستاذ الفسيل ببرقية الملازم على عبد الغنى التى أرسلها إلى القاهرة برموز السفارة المصرية فى صنعاء ، ولو أن الأستاذ الفسيل قد أظهر إستياءه الشخصى من وصول الرد على برقية على عبد الغنى بتوقيعى وبرموز هذه السفارة .

ولعل سبب إستياء الفسيل وعدد من البعثين من قيامى بالرد على الملازم على عبد المغنى أنهم لا يعرفون أن برقيته كانت موجهة إلىّ وباسمى الصريح ، كما يرجع هذا الاستياء إلى عدم معرفتهم جذور ثورة ٢٦ سبتمبر وكيف نمت بذرتها بين صخور المستحيل فى اليمن حتى أصبحت ممكنا فى ذهن القيادةالسياسية فى مصر .

لقد تصوروا أنه بمجرد أن يتجمع عشرة أو مائة أو ألف من الأحرار العسكريين والمدنيين يمكن أن يؤدى إلى قيام ثورة جذرية فى اليمن يسيل لها اللعاب فى مصر .

وكأنهم لم يقرأوا تاريخ اليمن ، ولم يعرفوا ظروفها الموضوعية ، ولم يدرسوا شخصية عبد الناصر التى لا يسيل لها لعاب ولا تستدرجها برقية .

كان لا بد من إخفاء أهداف الجهود المضنية التى سبقت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ بتسع سنوات ، أمضيتها فى تهيئة الرأى العام اليمنى للإصلاح السلمى ثم للثورة الجذرية ، وتم خلالها الحصول على السلاح الثقيل وإنشاء الكلية الحربية ومدارس الأسلحة وتدريب الضباط والجنود ، إلى جانب بناء ميناء الحديدة وشق الطريق من الحديدة إلى صنعاء .

كان لا بد من المبالغة فى فرض نطاق السرية على كل ما يتعلق بالجهود الثورية ، وأذكر أنه عندما أبدى الرئيس عبد الناصر إقتناعه بفشل هذه الجهود بسبب تكرار عدم تحرك الثوار فى ساعات الصفر المتعددة ، كنت أقنعه بإننى وزملائى قد نجحنا ، على الأقل ، فى تكوين نواة لمجموعة من الأحرار يحفظون الأسرار . وضربت له مثلا أنه كان فيما مضى كلما اتفق خمسة من الأحرار على القيام بأى عمل ضد الإمام فإن أربعة من هؤلاء الخمسة يسرعون إليه يطلعونه عليه ، فسألنى عبد الناصر عن خامسهم فقلت أن الأربعة عندما يصلون إلى الإمام يجدون خامسهم قد سبقهم عنده .

أعتبرت برقية الزميل على المغنى فتحاً جديداً ونصراً من عند الله مباركا طيبا لأنه إضافة ثورية صادقة ، وقوة معنوية هائلة ، إنه شجاعة وإقدام ، وعزم بغير تردد ، وفداء لا يعرف المساومة .

---

(١) سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية فى وقت لاحق بعد الثورة .

وفى يوم الخميس ٦ سبتمبر وصل الزميل محمد قائد سيف يحمل أخبارا من اليمن تفيد بأن الزميل على عبد المغنى ذهب إلى تعز والتقى بالزميل عبد الغنى مطهر وأبلغه بأن العميد حمود الجائفى قد وافق على الإشتراك فى الثورة وفى منصب رئيس مجلس قيادتها ، وأن الخلاف لا يزال قائما بين المقدم عبد الله جزيلان من جهة والملازم على عبد المغنى وبقية الضباط من جهة أخرى ، وإنه لا يزكى جزيلان سوى القاضى عبد السلام صبره الذى يحاول تسوية خلافاته مع الضباط ، كما أبلغنى الزميل محمد قائد سيف بأنه قد تم الإتفاق على إعادة تشكيل مجلس قيادة الثورة على النحو التالى :

العميد حمود الجائفى رئيسا وقائدا عاما للقوات المسلحة . الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائبا للرئيس . العميد عبد الله السلال . النقيب عبد اللطيف ضيف الله . عبد الغنى مطهر . النقيب محمد قائد سيف . النقيب محمد المأخذى . الملازم على عبد الغنى . العقيد حسن العمرى . عبد السلام صبره . عبد القوى إبراهيم حاميم . على محمد سعيد . الملازم محمد مفرح . الملازم سعد الأشول . محمد على عثمان . الطيار عبد الرحيم عبد الله . المقدم عبد الله جزيلان . عبد الرحمن الأريانى . محمد مهيوب ثابت .

كما سلمنى قائمة أخرى تتضمن إعادة تشكيل مجلس الوزراء على النحو التالى :

الدكتور عبد الرحمن البيضانى رئيسا ووزيرا للخارجية . العميد عبد الله السلال وزيرا للدفاع . النقيب عبد اللطيف ضيف الله وزيرا للداخلية . النقيب محمد قائد سيف وزيرا للدولة لشئون رئاسة الجمهورية . عبد الغنى مطهر وزيرا للإقتصاد . محمد محمود الزبيرى وزيرا للمعارف . العقيد حسن العمرى وزيرا للمواصلات . عبد القوى إبراهيم حاميم وزيرا للشئون البلدية والقروية . المهندس على محمد عبده وزيرا للزراعة . الدكتور عبد الغنى أحمد على وزيرا للخزانة . على محمد سعيد وزيرا للصحة . عبد السلام صبره وزيرا للأوقاف والشئون الإجتماعية . النقيب محمد الأهنومى وزيرا للشئون البلدية . احمد حسين المرونى وزيرا للإرشاد القومى . المهندس عبد الله الكرشمى وزيرا للأشغال العامة . محمد مهيوب ثابت وزيرا للدولة لشئون المهاجرين . عبد الرحمن الإريانى وزيرا للعدل . الطيار عبد الرحيم عبد الله وزيرا للطيران .

ذهبت مع الزميل محمد قائد سيف إلى السادات وأبلغناه بما استقر عليه رأى الثوار فى اليمن ، وكانت مع الزميل قائمة سادسة بأسلحة وذخيرة مطلوبة لليمن فعذت من الإسكندرية مع الزميل وأجريت اللازم مع اللواء صلاح الحديدى وسافر الزميل كالمعتاد بحقائب الأسلحة والذخيرة إلى عدن .

فى يوم الأحد ١٦ سبتمبر ١٩٦٢ عاد الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى إلى إصدار بيان ضدى فى صحيفة العمال فى عدن جاءت فقراته متناقضة فيما بينها ، إذ بينما تعلن إحدى فقرات البيان براءتها من العصبية الهاشمية والقحطانية والزيدية والشافعية ، وهو جوهر دعوتى إلى الثورة الجذرية لتحقيق العدالة والمساواة بين جميع أبناء اليمن ، تتضمن فقرة أخرى مهاجمتى لأننى أنادى بالمساواة وإلغاء التفرقة فتقول (وجاء على آخر الزمان طارىء جديد على صفوف الحركة يطالبنا بالمنكر ويدعونا إلى إعلان جريمة الإنشقاق بين أبناء الشعب) أى أن دعوتى إلى العدالة والمساواة بيم جميع أبناء الشعب تعتبر عندهما مطالبة بالمنكر ودعوة إلى جريمة الإنشقاق بين أبناء الشعب .

لا أدرى كيف فات المنطق عليهما ، ولا كيف نسيا ما سبق أن كتبه كل منهما ضد العنصرية الهاشمية وما كتبه الزبيرى بصفة خاصة فى كتابه (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) حيث قال فى صفحة ٢٨ (من الخطأ الكبير والمنطق المقلوب أن يظن بالذين ينادون بالحكم الشعبى أنهم يثيرون عصبية عنصرية) إلى أن قال أن (النزعة العنصرية هى أخطر شيء على الهاشميين وعلى مستقبلهم سواء عاشوا فى اليمن أو فى أى قطر عربى آخر) .

لا أدرى كيف يشترك الزبيرى فى مهاجمتى وأنا أنادى بالحكم الشعبى فيقع بنفسه فيما وصفه بالخطأ الكبير والمنطق المقلوب ؟ .



وصل الزميل عبد القوى حاميم يوم الثلاثاء ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ من تعز يبلغنى أن ساعة الصفر قد تحددت للمرة الأخيرة وأنها سوف تكون فجر يوم الأحد ٢٣ سبتمبر ١٩٦٢ وسلمنى صورة من رسالة أرسلها فى نفس ذلك اليوم الزميل عبد الغنى مطهر إلى الزميل العقيد حسن العمرى يخطره فيها بهذا الموعد حتى تكون مجموعة صنعاء على أهبة الاستعداد للقيام بدورها وحتى يقوم ، باعتباره نائبا لوزير المواصلات ومدير اللاسلكى الذى لا يراقبه أحد ، بالإتصال بى برقيا إذا لزم الأمر بإسمى الرمزى وهو (القاهرة المصباح) (الوثيقة رقم ٢١) ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الأخ حسن العمرى المحترم

بعد التحية...

أخى كنا قد أفدناكم بأن الأخ عبد الله يصلكم يوم الأربعاء ولكن مع الأسف تأخر عزمه إليكم وذلك بسبب كثرة الأشغال معه وإنشاء الله يكون وصوله إليكم يوم الأحد بدون تأخير هذا وأخيرا لكم أطيب تحياتى ،،،

المخلص

عبد الغنى مطهر

١٩٦٢/٩/١٨

ذهبت مع الزميل عبد القوى إبراهيم حاميم على الفور إلى صوت العرب وأذعت حديثا فى مساء ذلك اليوم للإستمرار فى تعبئة الروح المعنوية الثورية لتذكير الثوار بصفة خاصة وجموع الشعب بصفة عامة بثورة الشباب التى تحدت النظام الإمامى ورفعت شعار الجمهورية فى صنعاء وتعز لأول مرة فى تاريخ اليمن ، وقد نشرته روز اليوسف فى موعد صدورها (٢٠ سبتمبر ١٩٦٢) تحت عنوان « ثورة الشباب »

جاء فيه :

(ليس الذى يرى الآن فى اليمن سوى أضواء الفجر وهى تبدد أستار الظلام .

الظلام الذى طال فى اليمن .. الظلام الذى خيم على شعب اليمن نحو ألف ومائة عام .

إن أضواء الفجر تكاد تمزق هذا الظلام عندما صمم شعب اليمن على أن ينفض عن نفسه لعنة التاريخ ، وعار التخلف ، وصمم على تحطيم القيود ونسف الأغلال .

وليس الذى يجرى الأن فى اليمن من مظاهرات وإضرابات سوى الشرارة الأولى التى ستفجر البركان ، ستفجر الثورة . الثورة التى تغلى فى كل قلب وتضغط على كل صدر .

الثورة التى يحس بها الشعب عندما ينظر إلىالحاضر فلا يذكر عنه سوى القيود ، والأغلال ، والمذابح .

الثورة التى يحس بها الشعب عندما ينظر إلى الحاضر فلا يغنم منه إلا الجوع ، والذل ، والألم ، والحسرة .

الثورة التى يحس بها الشعب عندما يتطلع إلى المستقبل ، فيجد فيه الخير والبركة ، والمجد والرفعة ، والأمل والرجاء . يجد فيه النهضة التى تنتظره لتضعه فى مصاف الأمم الناهضة والخلاقة .

والشعب لا يصل إلى هذا المستقبل إلا إذا سار فى الطريق الصحيح ، الطريق الذى لا مفر منه ، طريق الثورة ، ليقضى على معاقل الفساد والإستبداد ، ويحطم قلاع التخلف والرجعية ، فيقطع رأس الماضى البغيض ، ويمزق جسد الحاضر الفاسد ، من أجل أن تصفو صورة المستقبل المشرق .

فلا يمكن أن يتم إصلاح على حجور الفاسدين . ولا يمكن أن يرتفع علم الحرية على إيدى الجلادين السفاحين .ولا يمكن أن يأتى الجديد الناهض بإرادة القديم المتخلف .

كما لا يمكن أن يأتى ضوء النهار إلا إذا تمزقت أستار الليل البهيم .

والشعب اليمنى يعلم هذا حق العلم .

طافت المظاهرات فى أنحاء اليمن تهتف بالثورة ، تهتف بسقوط الإمام الجاهل السفاح ، وسقوط ولى عهده الكاذب المنحرف ، وسقوط جميع الأمراء الذين يعيشون فى ظل الخرافات والدجل والشعوذة ، ويمتصون دماء الأمة بإسم العرق والنسب ، ثم ينفقون أموال الشعب على عبثهم ومجونهم وخلاعتهم فى أوروبا وأمريكا .

إن هذه المظاهرات الشعبية التى طافت فى أنحاء اليمن تهتف بسقوط هؤلاءالمنحلين ، الجلادين ، وتهتف بحياة الجمهورية اليمنية لم تكن عبثا ، لم تكن بنت ساعتها وإنما كانت تعبيرا حقيقيا ، تعبيرا صادقا ، لما تحس به جماهير الشعب اليمنى ، وما تؤمن به ، وما ستضحى من أجله ، من أجل أن يسترد الشعب كرامته وآدميته ومكانه بين الأمم .

لقد كان الشباب اليمنى معبرا عن إرادة الأمة بأسرها ، وكان مع الشباب أطفال فى السابعة والثامنة من أعمارهم يهتفون بسقوط الرجعية ، يهتفون بموت الخونة الذين استبدوا بالشعب ، وحطموا مقوماته ، وعرقلوا مستقبله .

ولا تزال أصوات هؤلاء ، على نعومتها ، تدق الأسماع وهى تزأر كالأسد الكاسرة لتعبر عن هذا الجيل الصاعد .

الجيل الذى لا يستسلم للخرافات .

الجيل الذى لا يصدق الشعوذة .

الجيل الذى يؤمن بنفسه ، وبحقوقه ، ويريد أن يفرض مستقبله .

هذا الجيل الذى هو على موعد مع القدر . إنه ليس كالأجيال الماضية . لقد أصبح أطفاله يتصدرون المظاهرات فى إصرار لا يعرف اليأس ، ويستقبل بصدوره طلقات الرصاص فى استماته لا تقبل الهزيمة .

كان الأطفال يقحمون أنفسهم فى السجون تضامنا مع زملائهم الكبار ، الذين قيدوا بالسلاسل وطعنت صدورهم بأسلحة البنادق ، ولم يتراجعوا أمام الموت لأنهم لا يرون خيرا فى حياة فرضها الحكم الإمامى بغير عدل ، ولا حرية ، ولادين .

هذه الحياة التى ليس من معالمها إلا قتل الأبرياء ، حبس المظلومين ، وتشريد الشعب ، وحرمانه من العلم ، حرمانه من الصحة ، حرمانه من خيرات بلاده ، حرمانه من الرزق الحلال الذى يشقى من أجله الشعب بعرق الجبين ، ثم ينتزعه الحكام باسم الزكاة وباسم الدين والدين منهم برىء .

إن الشعب قد ضاق بهذه الحياة التى أصبح الموت خيرا منها ، وأصبح قطع الرأس أشرف من أن يستسلم المرء بإرادته للذل والهوان ، والعار والعبودية .

لذلك أعلن الشباب الثورة ، والشباب هم دائما وفى كل الأوقات وفى جميع البلاد الطليعة الثورية التى تتصدى للطغيان ، وتتحدى السيوف ، وتسخر من المشانق .

إن الشباب هم السلاح الحاسم الذى يقضى على المأساه .

ويستأصل جذورها ، ويفرض إرادة الشعب .

أعلن الشباب الثورة من أجل الشعب ، وفى سبيل الشعب .

من أجل الجنود والضباط ، من أجل القبائل والمعممين ، من أجل الموظفين والتجار ، من أجل النساء والرجال ، من أجل الكهول والأطفال ، من أجل الأمة كلها . كى يلحق شعب اليمن بالناس فيصبح من سكان الأرض .

إن هؤلاء الشباب هم الذين يكتبون تاريخ اليمن .

وإنهم ، وإن كان بعضهم داخل السجون ، فإن هؤلاء المساجين لأقوى من سجانيهم ، إنهم أقوى من الطاغية الجلاد ، لأنهم سيخرجون من السجون ليبنوا مجد اليمن . أما الطاغية وزبانية الطاغية فسيعلقون على الأشجار كما فعلوا بالأحرار .

إن الأمة لا تنسى شهداءها وإن طال بهم الزمن .

إن الأمة لا تغفل عن الثأر ولا تسكت عن الإنتقام . فسيأتى اليوم الذى ينتفض فيه شعب اليمن ، يقضى على الخونة ، ومصاصى الدماء ، الذين نهبوا الشعب وأفقروه ، واستباحوا دمه .

أما الطلبة الذين وصلو إلى عدن بعد هذه المظاهرات ولم يجدوا من أغنياء اليمنيين فى عدن المساعدة المنتظرة فإنى أقول لهم .. أقول لهؤلاء الطلبة .. لستم وحدكم فى المعركة .

إننا معكم والأمة العربية كلها معكم ، تشد أزركم وتقف جواركم وتؤيد كفاحكم .

إنى أقول لهؤلاء الطلبة .. لقد أرسلت لكم المساعدة . أرسلها إليكم اتحاد طلبة الجمهورية العربية المتحدة ، تعبيرا عن تضامنه مع الحركات التحررية التى تستهدف إنقاذ الشعوب العربية من العار والعبودية . وستصلكم هذه المساعدة بوساطة الاتحاد اليمنى فى عدن .

فإلى الأمام ياشباب اليمن .

يا أشبال الحاضر وأسد المستقبل .

يا نجوم اليوم وشموس الغد .

إلى الأمام أيها الجنود والضباط .

لترفعوا راية الشعب .

وتطأوا بنعالكم أعناق الجلادين السفاحين الطغاه .

وإننى لن أكتفى بالكلام من صوت العرب .

وإنما سأكون معكم فى المعركة الفاصلة) .



في اليوم التالى (١٩ سبتمبر ١٩٦٢) أعلنت إذاعة صنعاء نبأ موت الإمام أحمد فى تعز .

وكان من المتفق عليه أن موت الإمام أثناء تجهيز الثورة يعتبر ساعة صفر أيا كانت حالة التنظيم الثورى ، أى تقوم الثورة حتى ولو لم يكن التنظيم الثورى قد أكمل جميع أحتياجاته ، تفاديا لاحتمال أن تتغير الظروف فى اليمن إذا ما نجح البدر فى تخدير الشعب مرة أخرى ، شأنه فى ذلك شأن جميع الأئمة فى أول عهدهم بالسلطة ، لا سيما وقد عرف البدر مطالب الشعب وأصبح من السهل عليه أن يتشدق بها دون أن ينفذ منها شيئا ، وكذلك قد ينجح الحسن فى انتزاع الإمامة من البدر ويحشد القوى المتعصبة فى اليمن ويزودها بالمال والسلاح ، مع قيامه بتشتيت العناصر المثقفة حديثة التخرج من الكلية الحربية ومدارس الأسلحة .

ولذلك أكدت على الزملاء الثوار بأن موت الإمام يجب أن يعتبر بمثابة ساعة الصفر مهما كانت حالة التنظيم .

وكانت خطة الثورة عند موت الإمام فى غاية السهولة والبساطة وتعتمد على تنفيذ أحد حلين :

الحل الأول : تراقب مجموعة تعز قصر الإمام وتتحين فرصة تدفق الأمراء ورجال الإمام والمسئولين إلى القصر وعندئذ تقوم فرقة الإقتحام باقتحام القصر والقبض على كل من يكون بداخله ، بينما تقوم بقية فرق مجموعة تعز بأداء المهام المرسومة فى الخطة الأصلية ، وبعد أن تنجز تعز مهمتها تقوم مجموعة صنعاء بأداء دورها المرسوم فى تلك الخطة ، وتتبعها مجموعة الحديدة ، كما سبق شرحه فى مكان سابق فى هذا الكتاب .

الحل الثانى : تنتظر مجموعة صنعاء حتى تصل جثة الإمام إلى صنعاء لدفنها هناك ، وتتحين فرصة تواجد الأمراء ورجال الإمام والمسئولين عند المقبرة ، وبعد الانتهاء من دفن الجثة أو فى المساء عند تدفق هذه الشخصيات على قصر البدر يتم القبض على هؤلاء جميعا ، وتذيع مجموعة صنعاء البلاغات الثورية المتفق عليها ، وعندئذ تقوم مجموعة تعز بما تبقى من دورها المرسوم فى الخطة ، وكذلك مجموعة الحديدة .

لعل مجموعة تعز التى سبق لها فى يوم الثلاثاء ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ أن حددت يوم الأحد ٢٣ سبتمبر ١٩٦٢ موعدا لساعة الصفر قد فاجأها موت الإمام يوم الأربعاء ١٩ سبتمبر ٦٢ ثم فاجأها الإسراع بنقل جثته إلى صنعاء يوم الخميس ٢٠ سبتمبر ١٩٦٢ مما جعلها تلتمس الحل الثانى .

فى هذه الأثناء كان قد تم تجهيز الطائرة الداكوتا التى كانت تنتظرنى فى مطار أسوان بخزان إضافى للوقود يمكنها من قطع المسافة بين القاهرة واليمن دون توقف ، كما تم إحضارها إلى مطار القاهرة لتكون فى إنتظارى فى هذا المطار .

بمجرد أن وصلت جثة الإمام إلى صنعاء على الطائرة بلقيس يوم الخميس ٢٠ سبتمبر ١٩٦٢ شيعها البدر على رأس موكب كبير من الأمراء وكبار الشخصيات وجميع المسئولين حتى مثواها الأخير فى مسجد الرضوان الذى لم يكن قد اكتمل بناؤه .

وفى مساء ذلك اليوم جمع البدر الأسرة المالكة والوزراء وكبار الشخصيات فى قصر البشائر لمبايعته إماما على اليمن ولقب نفسه بالإمام المنصور بالله .

وشكل الإمام البدر وزارة برئاسته على النحو التالى :

السيد عبد الله الكريم وزيرا للدولة وعضوا بالهيئة الشرعية العليا . القاضى محمد عبد الله الشامى وزيرا للدولة ونائبا الإمام فى صنعاء . السيد أحمد محمد زبارة رئيسا الهيئة الشرعية العليا . القاضى عبد الرحمن الإريانى نائبا لرئيس الهيئة الشرعية العليا . السيد حسن بن إبراهيم وزيرا للخارجية . السيد حمود الوشلى نائبا للإمام فى تعز ورئيسا للديوان الملكى . السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب وزيرا للإقتصاد والتجارة . القاضى عبد الله الحجرى وزيرا للمواصلات . القاضى محمد عبد الله عاموه وزيرا للمعارف . الشيخ محمد على عثمان وزيرا للمالية . الأمير الحسن بن على وزيرا للأشغال . السيد زيد عقبات وزيرا للزراعة وعضوا بالديوان الملكى . القاضى عبد الله الإريانى عضوا بالديوان الملكى . السيد هاشم المرتضى عضوا بالهيئة الشرعية العليا . السيد يحيى الكبسى عضوا بالديوان الملكى . السيد أحمد محمد الكبسى عضوا بالهيئة الشرعية العليا . القاضى عبد الرحمن السياغى وزيرا للداخلية . السيد حمود عبد الملك وزيرا للدولة ونائبا للإمام فى حجه . القاضى عبد الملك العمرى وزيرا للقصر . السيد على بن إبراهيم أميرا للجيش . السيد على زبارة أمينا لصندوق الإمام فى صنعاء . القاضى عبد الله عبد الوهاب الشماحى عضوا بالهيئة الشرعية العليا . السيد يحيى عبد القادر شرف الدين وزيرا للأشغال ونائبا للإمام فى الحديدة . القاضى ناصر الظرافى وزيرا للأوقاف . السيد عبد القادر بن عبد الله شرف الدين وزيرا للعدل .

لم تقم مجموعة صنعاء بالثورة تنفيذا للحل الثانى .

وعلى النقيض من ذلك وصلتنى برقية من الزميل الملازم على عبد المغنى برموز السفارة المصرية عن طريق مكتب السادات يقول فيها أن العميد حمود الجائفى قد عاد إلى رفضه الإشتراك فى الثورة ، ونصح بالعدول عنها لعدم ثقته فى إمكانية نجاحها معتقداأنه من الأفضل أن يتأنى الثوار حتى يضمنوا النجاح ، علاوة على أنه تلقى برقية تعزية فى وفاة الإمام أحمد من قائد البارجة الأمريكية الذى تعرف عليه عندما كانت هذه البارجة فى زيارة لميناء الحديدة ، وإنه يفسر هذه البرقية بأنها تحذير أمريكى من القيام بثورة ضد البدر .

كان ردى على الزميل على عبد المغنى أن يكتموا ماقاله الجائفى حتى لا يؤثر على روح الثوار المعنوية ، وأن يتظاهروا أمامه بأنهم صرفوا النظر نهائيا عن الثورة ، وأن يختاروا أى رئيس لها .

ووقع المكروه الذى كنت أخشاه .

أرسل الإمام البدر برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يخطب فيها ود القاهرة ، ويفرش بها ورد المستقبل الزاهر الذى يتطلع إليه ، وذهب الأستاذ أحمد محمد نعمان إلى المسئولين المصريين وأقنعهم بالتخلص من خطة البيضانى الجمهورية ، والإسراع بتأييد البدر كسبا لثقته ، وأبلغهم بأنه قد أرسل فعلا برقية تأييد للبدر يوم الجمعة ٢١ سبتمبر ١٩٦٢ باسم الأحرار اليمنيين وأن الأحرار محمد على الأكوع وأحمد عبد الرحمن المعلمى وحسن السحولى قد وقعوا معه على تلك البرقية .

وكان جمال عبد الناصر قد يأس فعلا من إحتمال قيام ثورة جمهورية فى اليمن ، وبدأ يلومنى على توريط مصر بما كنت أنشره فى مجلة روز اليوسف وأذيعه من صوت العرب ، فأمر بمنعى من الكتابة ومن الإذاعة ليفتح صفحة جديدة مع الإمام البدر وسمح للأستاذ نعمان بنشر برقيته فى صحيفة الأهرام يعلن فيها تأييد الأحرار للبدر ، وقد نشرت صحيفة الأهرام يوم السبت ٢٢ سبتمبر ١٩٦٢ هذا البيان حيث كتبت :

(عقد إتحاد اليمنيين الأحرار إجتماعا مساء أمس فى القاهرة لدراسة الأوضاع الأخيرة فى اليمن بعد وفاة الإمام أحمد ، وبعث الاتحاد برقية إلى الإمام الجديد وقعها أحمد نعمان الأمين العام للاتحاد وعدد من أعضائه وقالوا فيها :

(عزاءا جميلا والعزاء الصادق المخلص لليمن أن يكون فى تحريرها من مخلفات العهود البائدة بتحقيق الآمال والأمانى التى إلتف الشعب من حولكم على أساسها ، ونحن إذ نقدر مشاعركم الحزينة اليوم نذكركم بالمآسى الطويلة التى حفل بها تاريخ اليمن فأدمت قلب الشعب على مر الزمان حتى تضعوا حدا فاصلا بين عهد وعهد . وهذه هى الفرصة الغالية التى تواجهون بها امتحان التاريخ . ومن حق الشعب عليكم أن يشارك فى تحمل عبئه الكامل من المسئوليات ويمارس حقه الطبيعى فى حكم نفسه ، ولقد آن لشعب اليمن الذى عاش الصراع الدامى مئات السنين أن يسترد أنفاسه ليبنى وطنه فيلحق بالركب العالمى المتحضر) .

لم تترك هذه البرقية أى غموض فى موقف الاتحاد اليمنى بالقاهرة وإعلانه أن الشعب اليمنى يلتف حول الإمام الجديد ، كما أعلنت هذه البرقية عن رغبة الأستاذ أحمد محمد نعمان ومن وقوعها معه فى العمل تحت قيادة هذا الإمام الجديد تحت شعار ممارسة الشعب اليمنى (حقه الطبيعى فى حكم نفسه) . ولم يدرك أصحاب هذه البرقية أن نظام الإمامة القائم على التفرقة العنصرية الطائفية لا يترك للشعب أى حق فى أن يحكم نفسه بنفسه ، وهذا ما يثبت عليهم أنهم لم يدرسوا الظروف الموضوعية التى خلقت المأساة التى اعترفوا بها فى برقيتهم فتناقضوا مع أنفسهم عندما أعلنوا بأنفسهم التفاف الشعب اليمنى حول الإمام الجديد ورغبتهم فى العمل تحت قيادته مدعين أن الشعب سوف يمارس ، عن طريقهم ، (حقه الطبيعى فى حكم نفسه) وكأن توظيفهم فى خدمة الإمام الجديد سوف يقضى على مأساة اليمن .(1)

تأهب جمال عبد الناصر ليفتح صفحة جديدة مع إمام اليمن الجديد بعد أن طوى صفحة الثوار ، الذين أسرفوا على أنفسهم بالأمل دون أن يقوموا بأى عمل ، فكانوا فى نظر عبد الناصر ضحية أنفسهم دون سواها كما أقنعه الأستاذ نعمان . فأرسل الرئيس عبد الناصر برقية إلى الإمام الجديد نشرتها صحيفة الأهرام فى نفس اليوم الذى نشرت فيه برقية الأستاذ نعمان وكان نص برقية الرئيس كما يلى :

(تلقيت برقيتكم التى حملت إلىّ إعلانكم الرسمى لوفاة المغفور له والدكم ومبايعتكم بَعده إماما لليمن . وإننى إذ أبعث إليكم بالعزاء القلبى لفقد والدكم الراحل أتمنى لكم فى هذا الوقت الخطير الذى تبدأون فيه تحمل مسئوليتكم أعظم التوفيق فى خدمة شعبكم العظيم وفى ملاقاة أحلامه وآمانيه من أجل مستقبل عزيز يحقق للإنسان كرامته التى شرفه بها الله جل علاه) .

أصابنى شلل فى ذراعى الأيسر وساقى اليسرى وقال الطبيب أنه شلل مؤقت نتج عن صدمة عصبية مفاجئه بينما أعانى من مرض السكر .

كان وصول برقية الرئيس عبد الناصر إلى الإمام الجديد صدمه عنيفة مزقت قلوب الثوار وحطمت آمالهم حيث تصوروا أن تيار الأستاذ نعمان الموالى للبدر قد أقنع عبد الناصر بالتخلى عن البيضانى المنادى بالثورة ، فأخذ الموقف الثورى فى اليمن ينهار ويتسابق الكثيرون إلى إلقاء السلاح والخضوع للإمام الجديد .

وقف القاضى عبد الله عبد الوهاب الشماحى يخطب فى المسجد الكبير يبشر الجماهير ببيعة الإمام البدر الذى تلاه فأعلن أنه « سيسير على سياسة والده الرشيدة » كما أمر حكام المحاكم الشرعية « بعدم تغيير الأحكام الشرعية التى يعتمد القضاه فى إخراجها على الاختيارات الشريفة للإمام أحمد والعمل على نهجها حتى يصدر قرار آخر حول وضع اختيارات أخرى » .

---

(1) فى مقال نشرته صحيفة الشعب المصرية بتاريخ ٢٤ مايو ١٩٨٣ بتوقيع السيد أمين هويدى وكيل المخابرات المصرية فى تلك الأيام اعترف سيادته بأن الأستاذ أحمد محمد نعمان كتب برقية تأييد الاتحاد اليمنى للبدر فى بيته وبحضوره وأكد فى ذلك المقال أن الأستاذ نعمان والقاضى محمد محمود الزبيرى كانا ضد قيام ثورة فى اليمن وأنهما كانا يسعيان إلى إصلاح اليمن من خلال البدر . ومع ذلك استغرب سيادته عدم تعيين الأستاذ نعمان فى وزارة الثورة . وكان من المؤكد فى ذلك الوقت أن عناصر قوية فى المخابرات المصرية تؤيد البدر وتعارض فى قيام ثورة ضد نظام الحكم الإمامى فى اليمن .

٩

أراد الله أن يجعل يوم الجمعة ٢١ سبتمبر ١٩٦٢ يوما متناقضا لأننى ، بينما كنت أعانى من شلل فى ذراعى وساقى بعد أن تخلى جمال عبد الناصر عن ثورة اليمن ومنعنى من الكتابة والإذاعة التى ورثها عنى الأستاذ نعمان بإسم الإمام البدر إذا ببرقية عادية تصلنى على عنوان بيتى تحدد من جديد ساعة الصفر وبتوقيع الزميل العقيد حسن العمرى نصها :
« القاهرة – المصباح – سيكون فتح الاعتماد خلال ثلاثة أيام » .(الوثيقة رقم ١)

فعلق السادات على برقية العمرى قائلا أنه إما أن يكون العمرى قد فقد عقله أو أن يكون الثوار قد أمسكوا بزمام المبادرة .

ذهبت فى نفس اليوم مع أنور السادات إلى الرئيس جمال للسماح لى بمواصلة الإذاعة إستنادا إلى هذه البرقية فرفض جمال عبد الناصر تصديق أى خبر يصلنى عن الثورة اليمنية المزعومة .

وفى يوم الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ وصلتنى عن الطريق المعتاد ، وهو مكتب أنور السادات ، برقية برموز السفارة المصرية فى صنعاء بتوقيع القاضى عبد الله الحجرى وزير المواصلات فى ذلك الوقت ، يخبرنى فيها بأنه أثناء انعقاد مجلس الوزراء فى اليوم السابق على برقيته (الاثنين ٢٤ سبتمبر) قال البدر لأعضاء المجلس أن معلومات قد وصلت إليه من الشيخ عاطف المصلى تتضمن أسماء وتحركات عدد من الضباط والمدنيين بقصد القيام بثورة وأنه أى البدر قد وافق على اقتراح السيد حسن بن على بن إبراهيم وزير الخارجية بالقبض على الجميع فورا وإعدامهم فى الحال .

وختم القاضى عبد الله الحجرى برقيته بمناشدتى الإستمرار فى إذاعاتى التى كان آخرها يوم الثلاثاء ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ . فأرسلت فى الحال وبنفس الطريق ، وبموافقة أنور السادات ، برقية برموز السفارة المصرية إلى الزميل الملازم عبد على المغنى أخبره فيها بما جاء فى برقية الحجرى وأنصحه بأن يتحرك الثوار فورا أو يحاولوا إنقاذ حياتهم بالتوجه فى الحال إلى عدن ، وإننى سوف أدبر من هناك وسيلة وصولهم إلى القاهرة ، وأكدت له أن مصر لا تزال عند موقفها من تأييد الثورة إذا قامت .

حاولت مقابلة جمال عبد الناصر كى يسمح لى بالكتابة والإذاعة لكنه اعتذر لأنور السادات لضيق وقته ، وكلفه بإبلاغى بأنه اطلع على برقية الحجرى وبرقيتى إلى على عبد المغنى وأنه يلزم الإكتفاء بذلك .

ذهبت إلى بيت أنور السادات ووضعت مسدسى على مكتبه ، وطلبت منه إما أن تسمح لى مصر بإذاعة بيان أخير من صوت العرب على ألا أقول كلمة واحدة بعد ذلك ، أو أن يطلق بنفسه الرصاص على صدرى ، أو أطلق أنا الرصاص على رأسى فى مكتبه حتى لا يتصور أى فرد من أبناء اليمن إننى قد خنت الثورة أو تخليت عنها ، أو إننى كنت أكذب حين أقنعت الثوار بأن مصر ستقف إلى جانب الثورة الجذرية فورطتهم معى وانكشفت أسماؤهم عند البدر .

وما دامت مصر قد سمحت للأستاذ أحمد محمد نعمان بنشر بيان فى صحيفة الأهرام يعلن فيه تأييد الأحرار للإمام البدر فإننى أنتظر من مصر أن تسمح لى بإذاعة بيان (واحد وأخير) أنادى فيه بالثورة الجمهورية ، حتى يقتنع الثوار بأن مصر لا تزال تؤيد الثورة التى إذا قام بها الثوار فإن مصر سوف ترسل إليهم المساعدات المتفق عليها .

كان السادات مقتنعا بوجهة نظرى ومشفقا على حالتى فعاد إلى الرئيس جمال عبد الناصر يحاول إقناعه بما طلبت ، وأخيرا و بعد إلحاح استمر طول ذلك اليوم (الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢) وافق الرئيس جمال عبد الناصر على أن أذيع بيانا واحدا وأخيرا على أن يطلع أنور السادات على كل فقرة من فقراته قبل إذاعته .

وفى الحال كتبت البيـان ووافق عليه أنور السادات وذهبت إلى إذاعة صوت العرب وسجلت البيان بصوتى كالمعتاد ، ولما استمعت إليه قبل إذاعته طلبت تسجيله مرة أخرى لأن مشاعرى وحواسى كانت قد وصلت إلى ذروة الالتهاب عندما استمعت إليه ، فطلبت أن أعيد تسجيله بكل المشاعر الملتهبة حيث كنت أدرك الخطر الذى يتعرض له الثوار بعد أن افتضح أمرهم ، كما كنت أعلم أن هذا البيان هو آخر حديث لى عن الثورة من صوت العرب الذى ورثه عنى الأستاذ نعمان ليسهب فى مديح الإمام البدر تحت سمع وبصر جمال عبد الناصر .

أثناء إعادة تسجيل هذا البيان أضفت إليه ارتجالا عدة فقرات كان من بينها « الخطبة الخطبة ، والجمعة الجمعة ، والإمام الإمام » وهذا ما يفهمه اليمنيون ولا يدركه المصريون . وكررت هذا القول أكثر من مرة .

إشارة إلى المثل اليمنى الشعبى الذى يقول (الخطبة الخطبة والجمعة الجمعة وعاصى والديه عاصى والديه) الذى بدأ عن قصة يمنية تروى أن أحد ائمة المساجد كان قد تعود على إلقاء مقدمة خطبة الجمعة ارتجالا ثم يخرج من عمامته ورقة الخطبة التى يريد إلقاءها .

وذات يوم ، عندما انتهى من إلقاء المقدمة الارتجالية ، وضع يديه بين لفائف عمامته فلم يجد الخطبة ، وتبين أن ابنه قد أخذها من العمامة ، فقال لجمهور المصلين أن (الخطبة الخطبة) أى أن الخطب التى تعود على إلقائها كل جمعة لا تختلف فى معانيها ، و (الجمعة الجمعة) أى أن بعض المصلين يصلون الجمعة كل جمعة ولا يتعظون من الخطبة ، و (عاصى والديه عاصى والديه) أى أن الابن العاصى سيظل عاصيا مهما نصحه الدين بالإحسان إليهما .

فذهب المثل الشعبى يقول (الخطبة الخطبة والجمعة الجمعة وعاصى والديه عاصى والديه) حين يراد التأكيد على أن الأمر لم يتغير وإنه لا فائدة ولا جدوى من الموضوع المطروح الذى لن يأتى بجديد .

وفيما يلى نص آخر حديث لى من صوت العرب وكان فى مساء يوم الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ :

(إخوانى أبناء الشعب اليمنى الخالد .

بلغكم ما بلغ.

مات إمام وظهر إمام .

مات أحمد وظهر محمد .

ثم لقب نفسه بأمير المؤمنين المنصور بالله ، كما جرت ألقاب الائمة منذ ألف ومائة عام ، عمر المأساة البشعة فى البلاد .

ولقد أعلن الإمام الجديد أنه سيواصل السير على السياسة الرشيدة التى سار عليها والده الذى مات ، وسياسة والده الرشيدة معروفة لكم جميعا يا أبناء الشعب اليمنى الخالد ، لست فى حاجة لإيضاحها .

فالجمعة الجمعة والخطبة الخطبة والإمام الإمام ..

إخوانى أبناء الشعب

إن القوى الشعبية المتحررة وهى الطليعة الثورية فى البلاد لا يعنيها أن يموت إمام ويأتى إمام . لا يعنيها أن يموت الإمام الناصر لدين الله ويظهر الإمام المنصور بالله بن الإمام الناصر لدين الله . فإننا جميعا نعرف كيف كان الإمام الناصر لدين الله ينصر دين الله . لا يعنى الطليعة الثورية فى اليمن أن يكون الإمام الجديد زيدا أو عمروا ، فكما قلت لكم الجمعة الجمعة والخطبة الخطبة والإمام الإمام . وإنما يعنى الطليعة الثورية أن تتحقق أهداف الشعب .

هذه الأهداف التى أجمعت عليها الأمة ، واستشهد من أجلها مئات الشهداء ، وعلقت رؤوسهم فوق الأشجار ، وتركت لحومهم للكلاب والطيور الجارحة .

من أجل هذه الأهداف .. الأهداف الشعبية التى آمن بها الشعب ، الأهداف التى طافت من أجلها المظاهرات الأخيرة فى جميع أنحاء اليمن معلنة فجرا جديدا فى البلاد ، معلنة فجرا لا يستسلم فيه الشعب للعواطف الانفعالية ، أو المشاعر العابرة ، أو المجاملات التى دفع الشعب ثمنها من دماء شهدائه ، ومن أرزاق المستضعفين الذين هم كل شعب اليمن .

أيها الأحرار ..

إن المظاهرات الجارفة التى طافت فى أنحاء اليمن كانت تعلن فجرا جديدا لمستقبل وضاح يستميت فيه الشعب من أجل إعلاء كلمته ، وفرض إرادته وتحقيق أهدافه .

وأهداف الشعب هى كما تعلمون :

(وذكرت أهداف الشعب التى سبق أن نشرتها فى روز اليوسف يوم ٢٣ أبريل ١٩٦٢ ثم أذعتها من صوت العرب وكتبتها فى هذا الكتاب فى (صفحة ٢٣١) كان أهمهما ما يلى :

(العودة إلى شريعة الإسلام الحقة .

إزالة التفرقة العنصرية والمذهبية .

إقامة الجمهورية اليمنية .

تحقيق العدالة الاجتماعية .

إقامة جيش وطنى قوى .

تحقيق أهداف القومية العربية .

إلغاء جميع المظالم التى يشكو منها الشعب .

إطلاق سراح الرهائن من أولاد شيوخ ورؤساء القبائل .

إلغاء الخطاط والتنافيذ والسخرة وضرائب الخمس والخيرية .

رفع مستوى معيشة الشعب) .

وبعد أن نبهت الشعب إلى تفاصيل هذه الأهداف ختمت حديثى قائلا :

(إخوانى أبناء الشعب اليمنى الخالد ..

إن أهداف الشعب كل لا يتجزأ .

والنهضة لا تخضع لأمزجة الحكام وإنما تفرض بإرادة الشعوب .

أيها الأحرار ..

حتى الآن ..

أذناب الماضى لا يزالون هم أنفسهم أذناب الحاضر .

حتى الآن ..

الوجوه التى خدمت الإمام الذى مات ما زالت هى الوجوه التى تخدم الإمام الذى ظهر .

حتى الآن ..

الامتيازات الهاشمية ما زالت هى الامتيازات الهاشمية .

حتى الآن ..
الجاهلية التى حكمت اليمن فى عهد الناصر لدين الله ما زالت هى الجاهلية التى تحكم اليمن الآن فى عهد المنصور بالله .

والآن ..

إن الشعب لا يقبل المساومة .

ولن يستقر الظلم برشوة المأجورين المنتهزين .

إن دماء الشهداء لن تضيع سدى . ولن تذهب مع الريح .

إن دماء الشيخ حميد بن حسين الأحمر ودماء الشيخ حسين الأحمر ، ودماء الشيخ عبد اللطيف راجح ، ودماء العلفى ، دماء اللقية ، دماء سعيد فارع ، إن هذه الدماء تذكر الأمة بأهدافها من أجل بناء مستقبلها ، وتذكر الأمة بأحرارها الذين أبتشهدوا من أجل فرض إرادتها .

أيها الأحـرار ..

إن هذا الجيل ليس كالاجيال السابقة .

إنه جيل صلب لا يلين .

متشبث بحقوقه لا ينثنى عنها .

مستميت من أجل أهدافه لا يساوم عليها .

أيها الأحـرار ..

إن أصوات الأطفال التى خرجت فى المظاهرات الأخيرة تعلن ثورتها على الظلم ، تعلن ثورتها على التخلف ، تعلن ثورتها على الإمامة ، وأصوات الشباب التى عبرت عن مشاعر الأمة وإصرارها واستماتتها ، إن صمود القبائل اليمنية فى وجه السفاحين ومصاصى الدماء ، القبائل التى هى قوة الشعب ، القبائل التى هى سلاح الشعب ، القبائل التى هى ذخيرة الشعب ، إن إرادة هؤلاء جميعا لا يمكن أن يخدعها زيف ، أو يسكتها تضليل ، أو يثنيها قول معسول ، أو يقعدها وعد مزيف لا يلبث أن يتضح تضليله وخداعه .

أيها الأحـرار ..

إن الأمة لن تخدعها شعوذة أو دجل .

فما زال الماضى هو الحاضر .

مازال الظلم هو الظلم .

والجمعة الجمعة والخطبة الخطبة والإمام الإمام .

أيها الأحـرار ..

إن إرادة الشعب ستنتصر .

وسيحطم الشعب جميع القيود والأغلال .

وسيفرض نفسه على الوجود .

ليبنى مستقبل اليمن .

أيها الأحـرار ..

إن هذا الجيل سوف يخلد صفحة ذهبية تذكرها الأجيال القادمة من بعدنا .

أيها الأحـرار ..

إن إرادة الشعب ستنتصر .

إن أهداف الشعب ستتحقق .

يحققها شعب اليمن الخالد .

الشعب الذى يسخر من المشانق .

الشعب الذى يهزأ بالسيوف .

ولا ينخدع بزيف أو تضليل أو تخدير .

أيها الأحرار ..

إن شعب اليمن سيكتب بدمائه صفحات التاريخ .

ويغسل العار بدماء السفاحين مصاصى الدمأء .

الذين يعيشون عالة على أرزاق الأمة .

وينهشون لحوم الشعب .

شعب اليمن .. الذى حان موعده مع القدر ..



بعد أن أذعت ذلك الحديث من صوت العرب مساء يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ ذهبت إلى السادات أشكر له سعيه لدى الرئيس جمال عبد الناصر حتى سمح لى بإذاعته .

كان السادات مرهف الحس ، عارفا بعواصف النفس .
لاحظ صمتى ، فأدرك حيرتى وضعف حيلتى ، وخشيتى من هوانى على الناس .

أيقظنى السادات من غفوتى .

وذكرنى بأننى أديت واجبى .

وبذلت رأسى على كفى .

وطلبت طائرة ولا أدرى .

فلربما كانت نعشى وكفنى .

قلت للسادات .. هل لا تزال الطائرة جاهزة إذا ما قامت الثورة ؟ .

قال نعم .

قلت : وهل لا تزال مصر مستعدة لنقل الثوار من عدن إذا لم تقم الثورة ؟

قال نعم ..

قلت : إذن يختار الله ما يشاء .

أخذنى السادات والسيدة زوجته وزوجتى وقضينا مساء ذلك اليوم فى سيارته .
نجوب هضبة الأهرام .
ونذرع طرقات جبل المقطم .
نتوقع الحدث الكبير .
صامتين شاردين .
وكأن على رؤوسنا الطير .

وبعد بضع ساعات وصلتنى برقية ، برموز السفارة المصرية ، من الزميل الملازم على عبد المغنى يبشرنى فيها بقيام الثورة ويأسف لعدم النجاح فى القبض على البدر الذى هرب من صنعاء عندما ضربت قوات الثورة قصره بقذائف الدبابات فجهزت ردى عليه وقلت « إعلنوا موت البدر تحت أنقاض القصر ، ولا يضيرنا إن هو ظهر بعد ذلك عندما تستقر الثورة » .

إستحسن السادات هذا الرد فتم إرساله فى الحال .

كانت هذه البشرى كقميص يوسف حين ألقاه البشير على وجه يعقوب فارتد بصيرا .
ويخلق ما لا تعلمون .

تلقى مصطفى أمين برقية خطيرة من مجلس قيادة ثورة اليمن .
البرقية هى أول خبر رسمى من صنعاء عن كيفية قيام الثورة . ومصرع الملك . قال الثوار فى برقيتهم ((تحرك الجيش اليمنى من ثكناته العسكرية فى منتصف ليلة الاربعاء ، كان يقوده ضباط مدرسة الاسلحة اليمنية . . هاجموا القصر . دمرت المدفعية ودبابات الجيش قصور الملك . دفن الملك البدر تحت الانقاض .



الامام البدر

اعلنت الجمهورية ... لقيت الثورة مساندة من الشعب بكل طبقاته . اطلقت الجمهورية الجديدة على نفسها اسم « الجمهورية العربية اليمنية » ... اصبحت الثورة تسيطر سيطرة تامة على كل مدينة وقرية .

وهذا هو نص برقية مجلس القيادة للجيش اليمنى الى مصطفى امين .

صنعاء - ١٩٥ - ٣٧

رئيس تحرير جريدة اخبار اليوم السيد مصطفى امين القاهرة .

لما كانت الامة تجتاز مرحلة قاسية من الظلم والتاخر والتخلف والاستبداد فى عهد الملكية الفاسدة كان لا بد من التخلص من الظلم المرير والفساد المتغلغل والرشوة والاستغلال وكان على الطليعة الثورية فى الجيش اليمنى ان تخلص البلاد من كل المظالم التى تعانيها لان عليها الواجب الاول والاخير .

وفى الساعة السادسة من مساء يوم الاربعاء بالتوقيت المحلى الثانية عشرة منتصف الليل بتوقيت القاهرة تحرك الجيش اليمنى من ثكناته العسكرية وكان يقوده ضباط مدرسة الاسلحة اليمنية ليقضى على بقايا الملكية المنهارة وقد دمرت مدفعية ودبابات الجيش قصور الملكية ودفنت تحت انقاضها آخر ملك فاسد وبهذا انهت الثورة حكم الائمة والاسياد لتبدأ حكم الجمهورية والمساواة والعدالة ولقد لقيت الثورة مساندة شعبية واسعة من كل طبقات الشعب فى كل انحاء الجمهورية العربية اليمنية واصبحت الثورة الآن تسيطر على الموقف سيطرة تامة فى كل مدينة وقرية .

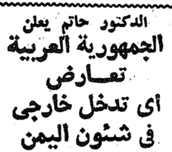
ولقد بدات القيادة فى التخطيط للثورة منذ لمست عدم صدق واخلاص الحكومة الملكية فى تنفيذ البرامج الاصلاحية التى كانت دائما وابدا تعدبها الشعب وتغالطه فى آن واحد . نتمنى لليمن حاضرا رغدا زاهرا كى تلحق بركب الحضار والانسانية ودمتم .

القيادة العامة
للجيش اليمنى بصنعاء

راديو صنعاء يذيع
موسيقى عسكرية

كان راديو صنعاء يذيع طوال فترة الصباح امس موسيقى عسكرية من موسيقى الجمهورية العربية المتحدة وكان يتخللها اذاعة بيانات الثوار .

(مدن : أ.ب)



الدكتور حاتم يعلن

الجمهورية العربية تعارض أى تدخل خارجى فى شئون اليمن

صرح الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الدولة بان الجمهورية العربية المتحدة تتابع الاخبار الواردة من قيام ثورة الجيش اليمنى وقال الدكتور حاتم ان الجمهورية العربية المتحدة تعارض اى تدخل خارجى فى شئون اليمن .

الأخبار ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ (صفحة أولى)

وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنْصَرُونَ

قرآن كريم

بركان ألف ومائة عام

الفصل الثامن

١

في صباح يوم الأربعاء ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أعلنت إذاعة صنعاء قيام الثورة ثم أذاعت بيانها الأول الذى جاء نصه كما يلى :

« باسم الله وباسم الشعب اليمنى الحر المستقل وباسم الجمهورية العربية اليمنية ، تعلن قيادة الثورة أهدافها وسياستها فى المجال الداخلى والمجال القومى والمجال الدولى وأهداف الثورة :

القضاء على النظام الفردى المطلق والقضاء على النفوذ الأجنبى .

إنهاء الحكم الملكى وإقامة حكم جمهورى ديمقراطى إسلامى أساسه العدالة الإجتماعية فى دولة موحدة تمثل إرادة الشعب وتحقق مطالبه الأساسية العامة للجمهورية العربية اليمنية .

فى المجال الداخلى :

١ - إحياء الشريعة الإسلامية الصحيحة بعد أن أماتها الحكام الطغاة الفاسدون وإزالة البغضاء والأحقاد والتفرقة السلالية والمذهبية .

٢ - تنظيم جماهير الشعب فى تنظيم شعبى موحد يشارك فى عملية البناء الثورى ويمكنها من مراقبة أجهزة الدولة مراقبة تامة يمنعها من الانحراف عن أهداف الثورة .

٣ - رعاية وتنظيم الجيش على أساس حديث يصبح قوة لحماية الشعب وحماية الثورة .

٤ - إحداث ثورة ثقافية وتعليمية تقضى على مخلفات العهود البائدة التى عمقت الجهل والتأخر الفكرى .

٥ - تحقيق العدالة الإجتماعية عن طريق نظام إجتماعى يتلائم مع واقع شعبنا ومع روح الشريعة الإسلامية والتقاليد الوطنية الصالحة .

٦ - تشجيع الرأسمال الوطنى على ألا يتحول إلى إحتكارات واستغلال أو يحول دون سيطرة الدولة وتوجيهها لقدرات البلاد الاقتصادية .

٧ - تشجيع عودة المهاجرين إلى الداخل والاستفادة من خبراتهم وأموالهم .

في المجال القومي العربي :

١ – الإيمان بالقومية العربية والعمل على تحقيق الوحدة العربية الشاملة في دولة عربية واحدة على أساس شعبي ديمقراطي .

٢ – التضامن الكامل مع جميع الدول العربية فيما تتطلبه المصلحة القومية .

٣ – العمل على تدعيم الجامعة العربية وزيادة فاعليتها لمصالح الأمة العربية .

٤ – إنشاء علاقات إقتصادية مع جميع الدول العربية بلا إستثناء .

٥ – إيجاد روابط أوثق مع الدول العربية المتحررة لتحقيق الوحدة العربية .

في المجال الدولي :

١ – إلتزام سياسة عدم الانحياز .

٢ – مقاومة الاستعمار والتدخل الأجنبي بجميع أشكاله .

٣ – التقيد بميثاق هيئة الأمم المتحدة وتأييد موقفها من أجل السلام .

٤ – إقامة علاقات ودية مع جميع الدول التي تحترم إستقلالنا وحريتنا .

٥ – قبول الإعانات والقروض الخارجية غير المشروطة والتي لا تمس استقلال البلاد .

مجلس قيادة الثورة
٢٧ سبتمبر ١٩٦٢

كما أعلنت إذاعة صنعاء تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العميد عبد الله السلال وعضوية العميد حمود الجائفي ، النقيب عبد الله ضيف الله ، النقيب محمد قائد سيف ، النقيب محمد المأخذي ،الملازم محمد مفرح ، الملازم على عبد المغني ، المقدم عبد الله جزيلان .

وأعلنت تشكيل مجلس سيادة برئاسة محمد على عثمان وعضوية على محمد الأحمدي ، محمد مهيوب ثابت ، محمد أحمد المطاع ، محمد بن محمد المنصور .

وأعلنت تشكيل مجلس الوزراء (الوثيقة رقم ٢٢)[1] برئاسة العميد عبد الله السلال رئيسا وقائدا عاما للقوات المسلحة والدكتور عبد الرحمن البيضاني نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للإقتصاد والثروة المعدنية وعضوية محسن أحمد العيني وزيرا للخارجية ، القاضي محمد محمود الزبيري وزيرا للمعارف ، النقيب عبد اللطيف ضيف الله وزيرا للداخلية ، العميد حمود الجائفي وزيرا للحربية ، عبد الغني مطهر وزيرا للتجارة ، يحيى منصور بن نصر وزيرا للزراعة ، على محمد سعيد وزيرا للصحة ، الدكتور عبد الغني على أحمد وزيرا للخزانة ، القاضي عبد الرحمن الأرياني وزيرا للعدل ، الملازم أول محمد الأهنومي وزيرا لشئون البلديات ، أحمد حسين المروني وزيرا للإرشاد القومي ، المهندس عبد الله حسين الكرشمي وزيرا للأشغال ، القاضي عبد السلام محمد صبره

(١) صفحة ٥ من « سجل وثائقي » بتشكيل الوزارات في الجمهورية العربية اليمنية على مدى عشرين عاماً . أصدره المكتب القانوني لرئاسة الجمهورية سنة ١٩٨٣ .

وزيرا للأوقاف والشئون الاجتماعية ، محمد سعد القباطى وزيرا للدولة لشئون المهاجرين ، الشيخ أمين عبد الواسع نعمان وزيرا للدولة لشئون التاريخ والآثار ، العقيد حسن بن حسين العمرى وزيرا للمواصلات ، الطيار عبد الرحيم عبد الله وزيرا للطيران ، على محمد الأحمدى وزيرا للإعلام . (صدر بمجلس القيادة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ أى فى اليوم الأول لقيام الثورة)

عندما سمعت البلاغ المتعلق بأهداف الثورة ارتاح فؤادى لأنه تضمن جوهر العناصر الأساسية ومعظم الكلمات والعبارات التى كانت ضمن الأوراق التى قمت بإعدادها بحضور الثوار اليمنيين حين أجتمعنا فى القاهرة وأخذها معه الزميل عبد الغنى مطهر والتى سبق أن نشرتها فى روز اليوسف بتاريخ ٢٣ إبريل ١٩٦٢ وكررت إذاعتها من صوت العرب عدة مرات كان آخرها قبيل قيام الثورة ببضع ساعات لا تزيد ، وكانت هى الأهداف التى قامت من أجلها الثورة .

غير أننى لا حظت أن يدا خفية قد استبدلت بعض الكلمات بكلمات أخرى وإنها وأن كانت قد حافظت على نفس المعانى إلا أنها أساءت إلى تركيبها اللغوى . كما أضافت هدفا جديدا هو القضاء على النفوذ الأجنبى الذى لم يكن موجودا فى اليمن بأية صورة من الصور ، أللهم إلا إذا كانت هذه اليد الخفية قد وضعت هذا الهدف ضمن أهداف الثورة على أمل أن تلتقط القيادة المصرية هذه الإشارة فتمتنع عن تقديم المساعدات السياسية والاقتصادية والعسكرية للثورة اليمنية ، حتى لا تفسر هذه المساعدات فيما بعد بأنها نفوذ أجنبى فى اليمن .

وإذا صح هذا الاستنتاج المنطقى لكان معناه أن هذه اليد الخفية قد تطلعت إلى تجريد الثورة الجمهورية من المساعدات المصرية حتى تسقط فى إيدى أعدائها دون مشقة . ولذلك وضعت حجر الأساس لثورتها المضادة منذ قيام الثورة الجمهورية .

ومما ضاعف خطورة هذه اليد الخفية أنها انطلقت من صنعاء ونطقت باسم الثورة ذاتها ولم يلتفت الثوار إلى خطورتها .

كذلك لم يعجبنى ما نصت عليه هذه اليدالخفية من إنشاء روابط أكثر مع الدول العربية المتحررة ، لأن النص على ذلك يعتبر بمثابة إعلان للحرب من جانب الثورة الوليدة على غير هذه الدول ، بينما لم يكن فى وسع الثورة أن تثق فى قدرتها على الدفاع عن نفسها ، وكانت قوة الثوار تعتمد بصفة أساسية على أنهم أعدوا أنفسهم للمجازفة بأرواحهم من أجل اليمن ، فكان لزاما عليهم أن يضيقوا ساحة المعركة .

كما ساءنى عدم إعلان الإجراءات التى تعالج نفسية الشعب اليمنى وتضمد جراحه المستعصية ، مثل إطلاق الرهائن من أولاد شيوخ ورؤساء القبائل وغيرهم ، وإلغاء الخطاط والتنافيذ ، وإعتبار الزكاة أمانة ، وإلغاء جميع البقايا من الضرائب ، وإلغاء السخرة ، وضرائب الصحة والخمس والخيرية ، وحواجز المرور ، ورفع مستوى معيشة الشعب وتحسين رتب الجيش والشرطة والموظفين .

على نقيض خطة الثورة التى أرسلتها للثوار وتضمنت الاكتفاء بالتحفظ على الشخصيات التى يحتمل أن تقوم بأعمال مضادة للثورة ، ولمدة محددة حتى يستقر النظام الجمهورى ، فوجئت بأخبار من صنعاء أزعجتنى حين بلغنى أن بعض الضباط الذين فقدوا أعصابهم بعد الثورة تسرعوا بإعدام نحو عشرين رجلا من كبار الشخصيات اليمنية ، بدون مبرر ولا محاكمة ، وكان من بينهم من يستطع أن يؤدى خدمات جليلة للجمهورية بعد قيامها .

كذلك ثارت دهشتى من تأخير إذاعة أسماء مجلس قيادة الثورة حوالى يوما كاملا بعد إعلان الثورة ، ثم كانت الطامة الكبرى حين لم أسمع شيئا عن تشكيل مجلس الدفاع الأعلى الذى كان من بين التصميم الذى وضعته للثورة كى يضم العلماء ورؤساء وشيوخ القبائل على النحو الذى سبق شرحه ، حتى لا يشعر هؤلاء بأنهم غرباء عن الثورة مما يؤدى إلى وقوفهم ضدها ، مستنكرين أن يحكم اليمن مجلس عسكرى يمتاز بالشجاعة الوطنية ، بغير خبره سياسيه ، ولا وجاهة إجتماعية فى مجتمع قبلى متعصب .

ذلك فضلا عن عدم إذاعة أسماء بقية أعضاء مجلس قيادة الثورة والإكتفاء بإذاعة أسماء الذين اختارتهم هذه اليد الخفية وتعيين الباقين فى مجلس رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء ، وفات على هذه اليد الخفية أن عضوية مجلس قيادة الثورة فى اليمن تضحية .. أية تضحية .. وعقلاء الثوار يعرفون أنهم ، فى ظروف اليمن ، لن يستطيعوا الإحتفاظ برؤوسهم فى صنعاء أكثر من بضعة أيام أو تزيد قليلا ، ما لم تحدث معجزة من السماء لا تخطر على قلب أحد .

كما فات على هذه اليد الخفية أن الثورة لا تستقر عند ضرب قصر البدر بالقنابل وإنما تبدأ منذ ذلك التاريخ . يبدأ الصراع من أجل بقاء الثورة . الصراع من أجل تحقيق أهدافها الإصلاحية . الصراع من أجل تثبيت مكانتها الدولية . كل ذلك يحتاج إلى تكامل جهود قوية عازمة وقادرة على أن تقوم بذلك كله ، فى شتى المجالات ومختلف الساحات .

فقد كان كل الرجال الذين اشتركوا فى الثورة ، سواء أعلنت أسماؤهم أو تأجل إعلانها ، هم أصحاب مواهب متعددة ومتكاملة ، فإلى جانب الذين لهم دراية بالشئون العسكرية نجد الذين لهم سلطان أكثر بين العلماء ، والذين لهم وجاهة أكبر بين القبائل ، والذين لهم نفوذ أعظم بين التجار والذين لهم قدرة أفضل على استيعاب الإطار العام للثورة واقتراح الاستراتيجية والتخطيط القريب والبعيد .

يحتاج المجتمع اليمنى إلى كل هؤلاء حتى يقتنع فيطمئن ويهدأ ويتجاوب مع الثورة حين يتطلع بثقة ويقين نحو المستقبل الأفضل ، لأنه مجتمع مسلح لا تخيفه طلقة مدفع على قصر البشائر ، ولا ترهبه قذيفة دبابة على رأس البدر ، كما لا يستسلم من مجرد إعدام العشرين من أقطابه السابقين .

كان من المتفق عليه أن تودع نسخة من أوراق الثورة لدى الزميل القاضى عبد السلام صبره لإذاعتها إذا تمكنت مجموعة صنعاء من محطة الإذاعة ، بينما تظل النسخة الأخرى لدى الزميل عبد الغنى مطهر لإذاعتها من محطة اللاسلكى فى تعز والتى

وصلناها بإحدى محطات الإذاعة فى مصر لإذاعة البلاغات الثورية إذا فشلت مجموعة صنعاء فى السيطرة على محطة إذاعة صنعاء بصفة سليمة صالحة للتشغيل .

قيل أن الزميل القاضى عبد السلام صبره سلم هذه الأوراق بعد قيام الثورة إلى الأستاذ محمد عبد الله الفسيل لإذاعتها فأجرى هذه التعديلات أثناء إذاعتها لأغراض حزبية وطائفية .

فى مساء يوم الخميس ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ ذهبت مع أنور السادات لزيارة الرئيس عبد الناصر فى منشية البكرى حيث كان المشير عبد الحكيم عامر فى إنتظارنا . شرحت للرئيس جمال استنتاجاتى بعد سماع بلاغات الثورة وقلت أن أهم ما جاء فيها هو قيام الثورة وإسقاط النظام الإمامى وإعلان الجمهورية العربية اليمنية .

وكما سبق القول ، كانت الطائرة الداكوتا تنتظرني فى مطار القاهرة وعليها محطة لاسلكية تصلح للإذاعة والاتصال بالقاهرة وكمية من الأسلحة والذخيرة ، ولم يكن الرئيس قد اختار الضابط المصرى الذى سيرافقنى للقيام بجرد الأسلحة والذخيرة فى المخازن اليمنية بعد قيام الثورة حتى أتعرف على احتياجات الجيش اليمنى ، الذى يلزم العمل على إنشائه وتدريبه وتسليحه بالنظم والأسلحة الحديثة .

قال المشير عبد الحكيم عامر أنه اختار لهذه المهمة مدير مكتبه العميد على عبد الخبير فرحبت بهذا الإختيار ، ووجهت كلامى للمشير قائلا أنه إلى جانب العميد على عبد الخبير أرجو أن يسافر معى الرائد صلاح المحرزى الذى كان على علاقة وثيقة مع جميع الضباط الذين قاموا بالثورة ، حيث قد تولى تعليمهم وتدريبهم وتنمية الروح المعنوية فيهم سواء من كان منهم فى الكلية الحربية أو فى مدارس الأسلحة ، وإن وجوده فى اليمن فى مثل هذه الظروف سيمكنه من توحيد صفوفهم وجمع شملهم وإزالة ما سوف ينشأ بينهم من حساسيات بعد قيام الثورة ، وهو أمر لا بد من حدوثه على المستوى البشرى الإنسانى ، كما يحدث عادة فى كل ثورة .

استحسن المشير عامر هذا الرأى ووعد بتنفيذه بعد سفرى إلى اليمن . وطلبت من الرئيس جمال أن يرسل معى مجموعة ضباط شفرة من مكتبه الخاص حتى يتم اتصالى به مباشرة والتعرف على أرائه ونصائحه بصفة مستمرة ، فأتفادى سوء نقل المعلومات إليه كما حدث بينه وبين الرئيس العراقى عبد الكريم قاسم بعد قيام الثورة العراقية ، وقلت له ضاحكا أن السادات قال لى أنه بعد قيام الثورة سيكون اتصالى مباشرة مع « المعلم » فلما سألته عن ذلك المعلم قال « أنه معلم واحد ، هو الرئيس جمال عبد الناصر » .

استغرق الرئيس جمال ضاحكا ووعدنى بتكليف النقيب محمد عبد السلام محجوب وثلاثه من أعوانه بالسفر معى ، وقال أن سفرى عندئذ سوف يتأخر لليوم التالى حتى يتأهب النقيب عبد السلام وزملاؤه للسفر فلم أمانع فى ذلك إستكمالا للإحتياجات الضرورية التى رأيت أنها تلزم للثورة . (النقيب محمد عبد السلام محجوب هو الآن اللواء محمد عبد السلام محجوب وكيل المخابرات العامة المصرية) .

قال الرئيس جمال أن وصول المساعدات العسكرية الرمزية إلى اليمن وهى مجموعة سرية عبارة مائة ضابط وجندى سوف يستغرق نحو عشرة أيام وربما أسبوعين ، وسألنى كم يوما نستطيع أن نصمد فيها فى صنعاء إلى حين وصول هذه المساعدات ؟ . قلت أربعة أيام ، وأغلب الظن أن رؤوسنا بعدها سوف تعلق على أشجار صنعاء أو على بوابات سورها القديم .

إعتدل الرئيس جمال فى جلسته وقال : لماذا إذن قمتم بالثورة ؟ وفيما تلهفك على السفر إلى صنعاء واصطحابك على عبد الخبير وعبد السلام محجوب وغيرهما لذبحهما فى اليمن ؟

قلت : « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت »

لا بد يا سيادة الرئيس من بركان ..

بركان لا يحتاج صانعوه اليمنيون إلى حساب دقيق للنجاح والفشل .

بركان يكفيه أن يأتى بطبيعة يمنية جديدة ، وجغرافيا يمنية جديدة تهدم جبال الخرافات وتدفن أسباب التخلف .

ولا بأس إذا احتاجت اليمن إلى براكين أخرى جديدة ، تحت قيادات ثورية أخرى جديدة ، تبدأ من حيث أنتهينا ، وانتهى البركان الأول لتصل بعد ذلك إلى النجاح الأخير .

هذه فلسفتنا وتدخل فى حساباتنا عوامل إيجابية كثيرة ، من بينها إستعدادنا للمجازفة إلى حد الموت ، وإصرار الشعب اليمنى على التغيير الجذرى ، والتزام القيادة المصرية بنجدة الشعوب المتطلعة إلى النهضة والحرية والوحدة العربية .

وتساءلت : هل كان الرئيس جمال يضمن نجاح ثورة ٢٣ يولية ؟ وهل كان متأكدا من النجاة برأسه إذا ما فشلت ؟

ربما كان عنصر المجازفة فى ثورة ٢٣ يوليو فى مصر أقل كثيرا من عنصر المجازفة فى ثورة ٢٦ سبتمبر فى اليمن ، نظرا لانضباط الجيش المصرى وسائر الأجهزة الحكومية الموجودة فى مصر ، لكن الأرض فى اليمن أرض جبلية ليست كالأرض المصرية ، ولذلك يمكننا أن نحارب من جبل إلى جبل ومن شعب إلى شعب ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .

إقتنع الرئيس جمال عبد الناصر بالمجازفة معى بالعميد على عبد الخبير والنقيب عبد السلام محجوب وزملائه واتفقنا على السفر فى منتصف ليلة اليوم التالى إلى صنعاء حتى تصل الطائرة إليها مع أول ضوء للفجر .

أبلغت الزميل الطيار عبد الرحيم عبد الله بهذا الموعد وكذلك القاضى محمد محمود الزبيرى الذى عينته الثورة وزيرا للمعارف . وقد طلب الأستاذ أحمد محمد نعمان أن يسافر معنا فاعتذرت له لأن إسمه لم يرد فى التشكيل الوزارى ولا فى أى تشكيل أخر ووعدته ببحث موضوعه مع الزملاء فى صنعاء عند وصولى إليها .



جاء أنور السادات إلى بيتى مساء الجمعة ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ ليصحبنى إلى الرئيس جمال عبد الناصر وكانت معه السيدة زوجته لتوديعى ، وفى غرفة الاستقبال توجت زوجتى أمام السادات وزوجته وبقية المودعين قصة كفاحها معى فقالت (لقد قامت الثورة التى خططت لها وجاهدت من أجلها ، والأعمار بيد الله ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباًمؤجلا ، وكل رجائى إذا ما دقت ساعتك أن تموت شجاعا لأنك تموت من أجل قضية عادلة وهبت نفسك لها ، وسوف يكون استقبالك للشهادة إذا ما قدرها الله لك فى ساحة الجهاد فى اليمن وأنت شجاع أثمن تركة وأعظم شرف تتركه لى ولأولادك ومن تجاوب معك من أبناء اليمن) .

نطقت زوجتى بهذه الكلمات ووجها كالصخر لا يلين ، وعيونها جامدة لم تبتل وملامحها صارمةتعنى ما تقول ، ونبراتها صارخة لأنها تحكى مأساة اليمن .

أخذنى السادات بسيارته إلى بيت الرئيس جمال عبد الناصر وأثناء الطريق كرر السادات إعرابه عن عظيم دهشته وبليغ إشادته بزوجة تختار مثل هذه الكلمات التى نطقت بها فى شجاعة ، وضغطت عليها فى إصرار ، وهى تودع زوجها ووالد أبنائها حين يذهب بإرادته راضيا مختارا إلى ساحة قتال ، كان الموت فيها أكثر إحتمالا من الحياة .
وصلنا إلى الرئيس جمال عبد الناصر وتحدثنا كثيرا عن الاستراتيجية السياسية والعسكرية لثورة اليمن ، وتم الاتفاق على أمور جوهرية كثيرة ، من بينها موافقة الرئيس على أن تتجنب حكومة الثورة اليمنية الاقتراب من النزاع المصرى السعودى وأن أقوم بإبلاغ ذلك إلى الزميل العميد عبد الله السلال وزملائى أعضاء مجلس قيادة الثورة ، كما أبلغنى الرئيس جمال عبد الناصر أن الرائد صلاح المحرزى سوف يلحق بى إلى صنعاء مع أول سرية مصرية .

توجهت مع السادات إلى مطار القاهرة حيث كان فى إنتظارى الرجل الوطنى المحيط بالتاريخ العربى ، والذى كنت أنهل من معينه الخصب كلما كنت أتحدث معه عندما كان رجاله يملأون حقائبى بالأسلحة والذخيرة ، إنه اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية وعدد من الضباط المصريين ، وقد شرح اللواء الحديدى هذا المشهد الخطير فى مجلة روز اليوسف فى ٢٦ مايو ١٩٨٠ صفحة ٣٢ تحت عنوان (رحلة فى منتصف الليل) فقال

(بدأت الاستعدادات لنقل الدكتور البيضانى ورفاقه إلى صنعاء يوم ٦٢/٩/٢٨ على طائرة ركاب عسكرية تحمل معها فريقا صغيرا من الضباط المصريين ومعهم أجهزة إتصال بالقاهرة .

كان المنظر مثيرا فى مطار ألماظه الحربى وقد خلا ليلا إلا من أقل عدد من الفنيين الضروريين لإدارته . وحوالى عشرة رجال بين مسافر ومودع يرتدون مختلف أنواع الملابس وبألوان صارخة متباينة . يحمل المسافر منهم رشاشه وذخيرته . وحاجياته الشخصية ولم ينس البعض منهم خنجره وعمامته . ويتشبث كل منهم بصندوق يحوى بضع قنابل يدوية . أصر معظمهم أن يحملوها لتكون فى متناول أيديهم عند نزولهم من الطيارة فى صنعاء وكأنها طوق النجاة من تصاريف الزمن المجهولة وكان عجيبا منهم هذا الحب لصندوق القنابل اليدوية ، والإصرار على أن يكون فى حوزتهم . ذلك الإصرار المبنى على توقع القتال بمجرد لمس أرجلهم لأرض وطنهم . الأمر الذى أشفقت معه على مجموعة ضباطنا المرافقين لهم بالإضافة إلى الطائرة نفسها وطاقم قيادتها وكم سعدنا عندما تلقينا أول برقية بوصولهم إلى صنعاء وصولا طبيعيا) . (الوثيقة رقم ٢٣)

صعدت إلى الطائرة وتبعنى الزميل الطيار عبد الرحيم عبد الله والقاضى محمد محمود الزبيرى والعميد على عبد الخبير والنقيب محمد عبد السلام محجوب وزملاؤه .

كانت وجوه المودعين من الضباط والفنيين المصريين ، الذين كانوا فى وداعنا بحكم عملهم وعلى رأسهم مدير المخابرات الحربية ، وجوها قلقة حائرة وهى تودعنا إلى المصير المجهول ، ولم يكن مبعث ذلك القلق ما ينتظرنا فى صنعاء إذا ما فشلت الثورة قبل وصولنا فحسب ، وإنما كان أيضا احتمالات ضرب الطائرة فوق البحر الأحمر بواسطة إحدى السفن الحربية المعادية لثورة اليمن ، لا سيما أن هذه الطائرة تطير على ارتفاع متوسط وبسرعة بطيئة بحكم نوعها وحمولتها وفى موعد غير مثبت فى جداول خطوط الطيران العادية .

كان يقود هذه الطائرة الطيار المصرى أحمد نوح (وزير الطيران المصرى فيما بعد) وعندما اقتربنا من ساحل اليمن أبلغنى أحمد نوح أنه تلقى إشارة من الحامية البريطانية العسكرية فى جزيرة كمران المواجهة للساحل اليمنى تسأله عن جنسية الطائرة ووجهتها فقلت له : لا ترد عليها .

عاد أحمد نوح وأبلغنى أنه تلقى تحذيرا ثانيا بضرب الطائرة إذا لم تفصح عن جنسيتها ووجهتها .

فسألته : هل عندنا طريق أخر نسلكه إلى صنعاء ؟

قال لا ..

قلت .. إذن أمض فى سبيلك ولا ترد عليها ..

قال : سوف يضربونها إذا لم نرد عليهم ..

قلت : سوف يضربونها إذا قلنا لهم أنها مصرية أو يمنية متجهة إلى صنعاء ولا أقبل تاريخيا أن تهبط الطائرة عندهم بناء على أوامرهم حتى ولو سمحوا لها بالإقلاع إلى صنعاء بعد ذلك .

قال : وما العمل ..

قلت : أمض فى طريقك إلى صنعاء ودعهم يضربونها ..

جاء الزميل عبد الرحيم عبد الله والقاضى الزبيرى إلى غرفة القيادة يسألانى عن سبب غيابى هناك بعد أن دعانى قائد الطائرة أحمد نوح فأخفيت عنهما ما دار بيننا إحتفاظا برابطة جأشيهما .

أراد الله أن نصل إلى صنعاء حيث كان فى انتظارنا الزميل على عبد المغنى والأستاذ محمد عبد الواحد القائم بأعمال السفارة المصرية وجمع حاشد من رجال وشباب الثورة .

استقبال المؤلف فى مطار صنعاء



توجهنا إلى القصر الجمهورى حيث كان الزميل على عبد المغنى قد أعد لى غرفة تتسع لنومى إلى جوار العميد عبد الله السلال ، الذى كان فى ذلك الوقت يقوم بتجهيز حملة عسكرية على إحدى المناطق المتمردة ، كما جهز الزميل على عبد المغنى غرفتين فى دار الضيافة للزميل عبد الرحيم عبد الله والقاضى محمد محمود الزبيرى .

إنفرد بى الزميل على عبد المغنى وحكى قصة تكتل الضباط ضد المقدم عبد الله جزيلان الذى حاول بكل الطرق أن يفرض نفسه على الثورة إستنادا إلى رتبته العسكرية كمقدم وإلى وظيفته كمدير للكلية الحربية ، فنصحته بالحفاظ على روح العمل الجماعى وسلامة الثورة لتفادى كل أسباب الإنهيار .

شرح الزميل على عبد المغنى حالة الثوار المعنوية عندما أذاعت صنعاء مساء الجمعة ٢١ سبتمبر ١٩٦٢ برقية الرئيس عبد الناصر المؤيدة للبدر ، فقال أنهم فهموا منها أن مصر قد صرفت النظر عن تأييد الثورة ، وأن الأستاذ نعمان وسائر الأحرار القدامى فى الداخل والخارج سوف يستأنفون تخدير الشعب محتفظين بنفس ركائز النظام الإمامى العنصرية والطائفية تحت قيادة البدر ، وبمساعدة مصر التى أدارت ظهرها للثورة ، الأمر الذى أدى إلى إنهيار عزيمة الثوار فأخذ بعضهم يلعقون جراحهم القاتلة ويكظمون غيظهم المميت ، بينما انصرف أكثرهم يبحثون عن مستقبل مجهول يزعمه البدر الإمام الجديد .

ثم قال أنه عندما استلم برقيتى الرمزية بواسطة السفارة المصرية بعد ذلك بثلاثة أيام أى صباح يوم الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ أخبره فيها بأن البدر قد عرف أسماء وتحركات الثوار وأنصحه بالمجازفة إما بقيام الثورة أو التوجه مع زملائه إلى عدن حتى أدبر لهم كيفية وصولهم إلى القاهرة ، فسر هذه البرقية بأن مصر لا تزال عند وعدها بتأييد الثورة فأسرع إلى زملائه الثوار يطلعهم عليها فاختلفوا حولها ما بين مصدق ومكذب ، غير أنهم عندما سمعوا صوتى من إذاعة صوت العرب فى مساء نفس ذلك اليوم أنادى بالثورة ويكاد صوتى يجهش بالبكاء مستخدما أقصى درجات الإلحاح ، وأعلى نبرات الحماس ، مؤكدا أننى واثق كل الثقة فى نجاح الثورة ، متأكدا كل التأكد من أن مصر التى سمحت لى بهذا النداء الثورى من إذاعة صوت العرب لا بد أنها لا تزال ملتزمة بدعم الثورة والدفاع عنها ، الأمر الذى أقنع الثوار بثبات الموقف المصرى فأعاد الحماس إلى نفوسهم ، وثبت اليقين فى صدورهم ، وبعث القوة فى سواعدهم ، فأسرعوا إلى مدرعاتهم ودباباتهم وانطلقوا يضربون قصر البدر وهم يهتفون بالثورة الجذرية الجمهورية .

أكد الزميل على عبد المغني أن هذا التحرك الثورى لم يستغرق أكثر من ساعتين إثنتين من بعد سماع ندائى الأخير بالثورة من صوت العرب فأخذوا يلومون ضعاف العزائم الذين عرقلوا قيامها بعد دفن جثمان الإمام أحمد حسب الحل الثانى من خطة الثورة الذى كان من الممكن أن يمنع إراقة الدماء . وقال أنه وزملاءه الضباط الثورا كانوا فى حاجة إلى نقل ذخائر الدبابات إلى مواقعها عن طريق أسطح ثكنات الكلية الحربية فاضطروا إلى إبلاغ المقدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية بعزمهم على القيام بالثورة بعد أن بدأوا يتأهبون للقيام بها فعلا لأنهم كانوا يخفون عنه جميع تحركاتهم (وقد سجل هذه الحقيقة بعض الضباط الثوار فى كتابهم – أسرار ووثائق الثورة اليمنية فى صفحتى ١٦٦ و ١٨٩ وشرحوا الأسباب التى جعلتهم يقررون عدم إشعار المقدم عبد الله جزيلان بأسرار الثورة إلا فى اليوم الذى يتم فيه تفجيرها) ، وكانو يستخدمونه فقط فى حمل رسائلهم إلى العميد حمود الجائفى دون إطلاعه على أية تفاصيل .

أضاف الزميل على عبد المغنى قائلا أنه بعد أن فشل الحل الثانى من خطة الثورة أضطرت مجموعة صنعاء إلى اختيار حل سريع تتجلى فيه روح الفدائية أكثر من دقة التخطيط .

أشاد الزميل الملازم على عبد المغنى بصفة خاصة بالزملاء النقيب عبد اللطيف ضيف الله والنقيب حسين السكرى والملازمين صالح الرحبى وأحمد الرحومى وعبد الله محسن المؤيد وصالح الأشول وناجى على الأشول وعبد الله عبد السلام صبره ويحيى جحاف ومحمد مطهر زيد وأحمد مطهر زيد وعبده قائد .

وقال أن ذلك الحل السريع إقتضى تكليف النقيب حسين السكرى والملازم صالح الرحبى بقتل الإمام البدر عند خروجه من مقر إجتماع مجلس الوزراء غير أن النقيب السكرى تطوع بأن ينفرد بهذه المهمة ، وكان قد تم نقل ذخائر الدبابات إلى مواقعها ، وتأهب الثوار للهجوم على قصر البدر وإحتلال محطة الإذاعة والقبض على الخطرين من ركائز النظام الإمامى بمجرد سماع طلقات رصاص النقيب حسين السكرى فى مقر إجتماع مجلس الوزراء .

غير أن إجتماع مجلس الوزراء إنتهى وعاد الإمام البدر سالما إلى قصره بعد أن تعثرت مهمة النقيب حسين السكرى حيث تعثر خروج الرصاص من مدفعه الرشاش .

قام الملازم عبد الله عبد السلام صبره بإبلاغ الثوار بهذه المفاجأة فقرروا تحريك الدبابات والمدرعات إلى قصر البشائر (قصر البدر) وكانت ست دبابات ، الأولى بقيادة الملازم عبد الله عبد السلام صبره ، والثانية بقيادة الملازم محمد الشراعى ، والثالثة بقيادة الملازم عبد الله محسن المؤيد ، والرابعة بقيادة الملازم يحيى جحاف ، والخامسة بقيادة الملازم محمد مطهر زيد ، والسادسة بقيادة الملازم عبده قائد ، ثم أرسلوا دبابة سابعة بقيادة الملازم عبد الكريم المنصور إلى جانب عدد من السيارات المدرعة بقيادة الملازم أحمد الرحومى .

استطرد الزميل قائلا أنه بعد أن قاموا بالثورة أخذوا يبحثون لها عن رئيس عسكرى يتولى قيادتها بعد أن انسحب منها العميد حمود الجائفى الذى توترت أعصابه قبل قيام الثورة وذهب بعد وفاة الإمام أحمد إلى مدينة الحديدة ، فاتجهت الأنظار من حيث الرتبة العسكرية إلى العميد عبد الله السلال قائد حرس البدر الذى سبق أن أبدى إستعداده للإشتراك فيها بعد أن يقوم بها الثوار ويضمنوا تأييد مصر ، فكلفوا القاضى عبد السلام صبره بالإتصال تليفونيا بالسلال الذى كان لا يزال فى بيته بعد أن إنتهى الثوار من ضرب قصر البدر وإحتلال الإذاعة والقبض على جميع كبار ركائز النظام الإمامى وأوشكت ذخيرتهم أن تنفذ من أسلحتهم ، فاشترط السلال أن يذهب أولا إلى قصر البدر (يستطلع الأحوال) ثم يقابل الضباط الثوار .

وعندما لم يصل السلال حسب وعده إلى مقر قيادة الثورة أعاد القاضى عبد السلام صبره الاتصال به تليفونيا للمرة الثانية فى بيته فأجاب السلال بأن (طلقات الدبابات مع ظلام الليل إضطرته إلى العودة إلى بيته) .

بعد ذلك أعاد القاضى عبد السلام صبره الاتصال تليفونيا بالسلال للمرة الثالثة فى بيته مستنكرا موقفه السلبى المتخاذل وسأله عن (موقفه النهائى) فأجاب السلال بأنه (سيبقى منتظرا فى البيت إلى أن يأتى الوقت المناسب) .

ولما نفذ صبر الثوار وأوشكت ذخيرتهم هى الأخرى أن تنفذ من بين أيديهم أرسلوا إلى السلال إحدى المدرعات بقيادة الملازم أحمد الرحومى ومجموعة من الضباط فجاءوا بالسلال إلى مقر القيادة حيث طالبوه بأن يصدر أمرا بفتح قصر السلاح (مخازن السلاح) باسم البدر بصفته قائدا لحرسه .

ساوم السلال على توقيع هذا الأمر باسم البدر ، ووافق الثوار على تنصيبه رئيسا لمجلس قيادة الثورة .

حمدت الله على نجاح مجموعة صنعاء ولا أنسى أننى عندما كنت فى القاهرة أخطط للثورة وأقوم بإرسال الأسلحة والذخائر إلى الزملاء رجال الثورة فى تعز وصنعاء لم يغب عن ذهنى مطلقا أنه كان من المتعذر جدا أن تبدأ مجموعة تعز بالقيام بالثورة ، لكننى كنت أتعلق بأية بارقة أمل ، ولم يكن أمامى غير ذلك من عمل ، فالإمام أحمد يقيم فى تعز ، وأعلم علم اليقين أن المواطن المقيم فى اليمن لن يتحمس لتأييد ثورة شعب لا يزال الإمام أحمد يتولى أمره ويفتك برجاله .

كان من المتعذر أن تبدأ مجموعة تعز بالثورة حيث كانت تتكون من تجار ورجال قبائل وعدد من الضباط والجنود والقاضى عبد الرحمن الأريانى الذى يثير الخوف والقلق فى نفوس الثوار بالرغم من تطلعه إلى إسقاط النظام الإمامى ، لأنه وهو يتقدم خطوة نحو النهوض بالشعب اليمنى يتراجع خطوتين حين يتذكر تجاربه فى سجون الإمام وخروجه ذات يوم لقطع رأسه فى ساحة الإعدام .

تجار تعز ، كغيرهم من التجار ، يخافون غدر المجهول . وقبائل تعز ، كغيرها من قبائل اليمن ، تخشى بطش الإمام . أما شباب تعز الأحرار فقد كانت أسلحتهم الخفيفة وقنابلهم اليدوية لا تكفى لاقتحام قصر الإمام وإخراجه إلى الشعب حيا أو ميتا .

وكانت هذه الضربة الأولى متوقفة على تحرك الضباط الأحرار من أعضاء مجموعة تعز .

وكان التجار ورجال القبائل والشباب الثائر ينتظرون هذه الضربة الأولى حتى يبدأ دورهم بإحتلال المراكز الحكومية والقبض على ركائز النظام الإمامى .

وكان الضباط الأحرار من أعضاء مجموعة تعز ينتظرون التأكد من تجاوب مجموعتى صنعاء والحديدة عند قيامهم بالثورة فى تعز .

انتظروا ، وانتظروا ، وطال بهم الانتظار فمات الإمام أحمد فى تعز ونقل جثمانه إلى صنعاء ، وانتقل الدور الرئيسى في الثورة مع جثمان الإمام إلى مجموعة صنعاء ، ففقدت مجموعة تعز الصفحة الذهبية الأولى من صفحات التاريخ اليمنى ، تلك الصفحة الأولى التى سجلها الزميل على عبد المغنى وزملاؤه الأبطال فى صنعاء .
ولا ينال ذلك من الدور التاريخى الذى قام به الزميل عبد الغنى مطهر فى تعز ، فهو أحد التجار الأحرار ، وهب كثيرا من ماله للثورة وعرض حياته للخطر حين قام بحفظ ونقل الأسلحة والذخائر للثوار . ولا يطلب منه التاريخ أن يكون داعية لفكر ولا حاملا لسلاح .
وقد كرمته الثورة بتعيينه أول وزير للتجارة ، وأذكر إننى واجهت لوما عنيفا من بعض المثقفين اليمنيين بسبب تعيينه فى هذا المنصب وتعيين الزملاء التجار الأحرار على محمد سعيد وزيرا للصحة ومحمد ميهوب ثابت وزيرا لشئون المغتربين وعبد القوى حاميم وزيرا للشئون البلدية والقروية . قلت أنهم طالما قد اشتركوا فى شرف التمهيد للثورة وغرس جذورها فلهم الحق فى الاشتراك فى شرف الدفاع عنها حتى يبدأ الشعب فى قطف ثمارها .
خيرتهم بين الوزارة والتجارة ، فاختاروا الوزارة وتركوا التجارة ، وكان فى ذهنى أن أعين لهم مستشارين فنيين إلى أن يظهر فى اليمن جيل من الخبراء اليمنيين يتولون المسئولية الوزارية ويحملون مشاعل الحضارة الحديثة .

٤

بادرني الزميل الثائر على عبد المغنى بقوله أنه استغرب عدم إذاعة البلاغات الثورية كما سبق أن إتفقنا عليها والتى سلمها إلى العقيد حسن العمرى لإذاعتها ، وقال أنهم استغلوا فرصة تفرغه لتحريك قوات الثورة وحرفوها . ولما سألته عن أسماء الذين حرفوها اتضح لى أنه هو نفسه لا يعرف عنهم شيئا ، لكنه قال (يا أخ عبد الرحمن أنت الأب الروحى للثورة ، ولولا صوتك من صوت العرب ما تحرك أحد ، ولولا اتفاقك مع مصر على مساعدة الثورة ما قامت الثورة ، لقد كان من السهل علينا أن نضرب قصر البدر ونعلن الثورة لكنه سوف يكون فى غاية الصعوبة أن نحميها بعد أن قمنا بها ، وأنت قد جئت إلى صنعاء ووضعت رأسك معنا على المقصلة أو حبل المشنقة فأرجو أن تقوم بكل ما تراه ضروريا لإنقاذ الثورة والعمل على نجاحها . وسوف تجد منى ومن جميع الزملاء وعلى رأسنا العميد عبد الله السلال كل تعاون فهو رجل طيب ساعدنا على فتح مخازن السلاح ، ولا بد أن يرحب باستكمال تشكيل الثورة وعلى وجه الخصوص استكمال قائمة أعضاء مجلس القيادة بالأسماء التى حذفها المذيع أو ذلك المجهول الذى سلمها إلى المذيع بعد أن فعل بها ما فعل) .

قلت للزميل على عبد المغنى أن من أهم الأمور التى يلزم علاجها فى أسرع وقت إعلان تشكيل المجلس الأعلى للدفاع حرصا على تعاطف علماء اليمن ورؤساء وشيوخ القبائل مع الثورة قبل أن تبدر من بعضهم مواقف معادية يصعب بعدها إقناعهم إلا بإعلان الحرب عليهم ، الأمر الذى ينبغى أن نعمل ما فى وسعنا كى نتفاداه أو نقلل من خطورته .

أيد الزميل على عبد المغنى وجهة نظرى وكاد ينفجر غيظا من عدم إذاعة تشكيل هذا المجلس حتى تلك الساعة ، وقال إننى عندما التقى بالعميد عبد الله السلال سوف أجد منه ترحيبا عظيما بإعلان تشكيل هذا المجلس .

كانت فكرة تشكيل هذا المجلس تعتبر الأولى من نوعها فى تاريخ الثورات فى اليمن حيث لم يسبق لأية ثورة أن فكرت فى مثلها ، فكانت الثورات فى واد ورؤساء وشيوخ القبائل فى وادى آخر مما سهل على الأئمة إستقطابهم وإستمالتهم لضرب تلك الثورات إذا جازلنا أن نسميها ثورات لأنها كانت فى حقيقتها مجرد إنقلابات فيما بين الأئمة المتصارعين على العرش .

لم أجد أدنى مشقة فى الحديث مع الزميل الثائر الشاب على عبد المغنى ، بل كان يسبقنى إلى استخلاص النتائج من المقدمات .

وهكذا حديث العقول إذا تجردت من الأنانية والعصبية ، وانطلقت تبحث عن الحقائق الوطنية المحددة والمصالح العامة المؤكدة .

بعد خروج الزميل الثائر على عبد المغنى دخل إلى غرفتى الزميل المهندس الزراعى على محمد عبده (زوج شقيقة زوجة عبد الله جزيلان) يحمل رسالة من تعز من الزميل الشيخ عبد القوى حاميم باسم جميع المجموعة الثورية فى تعز ، يحتجون فيها على عدم إذاعة أسمائهم ضمن قائمة أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وأنهم يفسرون ذلك بأنه إنشقاق بين الثوار حيث لم تمثل فى مجلس القيادة سوى مجموعة صنعاء التى تصادف أن كانت كلها من أبناء المنطقة الشمالية باستثناء الزميل محمد قائد سيف ، مما يهدد الوحدة الوطنية بالخطر منذ بداية الثورة . وتساءلت المجموعة الثورية فى تعز إذا كانت هى التى بدأت بالثروة هل كان من المقبول منها أن تنفرد بمجلس القيادة وتسقط من حسابها مجموعة صنعاء ، كما كانت تدعو إليه أفكار الأحرار الشماليين أنفسهم التى كتبوها بخط أيديهم ودعوا فيها إلى إقامة دولة فى اليمن الأسفل (الشافعى) متحررة من الخرافات المسيطرة على اليمن الأعلى (الزيدى) ثم بعد ذلك تقوم هذه الدولة بالعمل على تحريره ؟

واصل الزميل الشيخ عبد القوى حاميم تساؤله قائلا :

هل كانت جريمة المجموعة الثورية فى تعز أن آمنت بالوحدة الوطنية ونجحت فى الاحتفاظ بولاء اليمن الأسفل كله للنظام الجمهورى من أقصى مشرقه إلى أقصى مغربه ؟

قرأت تلك الرسالة مبتسما فاستنكر الزميل المهندس على محمد عبده ابتسامتى وهو يعلم ما كان فيها ، فهدأت من روعه ورويت له ما قاله الزميل على عبد المغنى وما أتوقعه من العميد عبد الله السلال عندما ألتقى به ، وقلت له أن الوحدة الوطنية فى خير وأن ما حصل لم يكن بإرادة الزملاء أعضاء المجموعة الثورية فى صنعاء التى يمثلها الزميل على عبد المغنى ، وأصبح يتولى قيادتها وقيادة الثورة الزميل العميد عبد الله السلال . وأضفت قائلا أن الذى حذف بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة لم ينظر إلى كونهم من شوافع اليمن الأسفل أو من زيود اليمن الأعلى بدليل أنه كما حذف جميع الشوافع من ثوار اليمن الأسفل حذف أيضا بعض الزيود من الأعمدة الرئيسية لثوار اليمن الأعلى كالعقيد حسن العمرى والقاضى عبد السلام صبره والملازم سعد الأشول والقاضى عبد الرحمن الاريانى .

ثم زارنى الأستاذ محمد عبد الله الفسيل وهو المذيع الذى تولى إذاعة بلاغات الثورة وقال (إننا نقبل المساعدات المصرية لكننا لا نقبل التدخل المصرى فى الشئون اليمنية ، وإلا فإننا نستطيع أن نعتمد على أنفسنا) قلت (إننا جميعا نريد أن نعتمد على أنفسنا ، وهناك فرق بين أن نريد وبين أن نستطيع ، ولكن لماذا تفترض من الآن أن مصر سوف تتدخل فى شئون اليمن الداخلية ؟) .

قال : (إننا نعرف موقفها فى سوريا أيام الوحدة) .

قلت : (هل تتكلم باسم مجلس قيادة الثورة ؟) .

قال : (لا) .

قلت : (إذن لماذا تبدأ بأننا عندما تعبر عن رأيك الشخصى ؟) .

قال : (إن جميع اليمنيين أعضاء فى مجلس قيادة الثورة ومهمتهم أن يحافظوا على إستقلال بلادهم) .

قلت : (هذا أعظم خبر سمعته حتى الآن بعد قيام الثورة وأرجو أن يتحقق لأنه لن يجعلنا نحتاج إلى مساعدة أحد للدفاع عن الثورة ما دام جميع اليمنيين أعضاء فى مجلس قيادتها) .

بدأت أفهم من هذا الحديث السبب في إضافة (القضاء على النفوذ الأجنبى فى اليمن) إلى أهداف الثورة ، الأمر الذى جعلنى أشم رائحة الثورة المضادة ولم يصل إلى اليمن من المصريين فى ذلك الوقت سوى العميد على عبد الخبير والنقيب عبد السلام محجوب وثلاثة آخرين ، بينما هرب البدر حيا ، وأعلنت المملكة العربية السعودية تأييدها للأسرة المالكة فى اليمن وعزمها على مساعدة الحسن إعتقادا منها أن البدر قد مات ، كما رفضت أمريكا وبريطانيا الإعتراف بالنظام الجمهورى وتواردت الأنباء عن حشود قبلية كثيفة تتأهب للإنقضاض على صنعاء وقطع رؤوسنا وتسليمها للحسن .

ومع ذلك بدأ الأستاذ محمد عبد الله الفسيل يثير حفيظة اليمنيين ضد المصريين غير مدرك للخطر الذى أحاط بأعناق الثوار الجمهوريين .

عجبت من حديث الأستاذ الفسيل معى فتذكرت جوابه على الأستاذ محمد أحمد نعمان السابق نقله فى هذا الكتاب حين قال (لا بد للأحرار من شخصية ترضى عقول الزيود أى أن تكون من السادة ولا بد أن تكون من أحد ثلاثة بيوت ، إما بيت حميد الدين « أى البدر » وأما بيت الوزير وإما بيت شرف الدين).

وعندما تذكرت رأيه هذا زال عجبى من حديثه معى عن التدخل المصرى كما تأكدت من أنه أحد أصابع اليد الخفية التى أجرت التعديلات فى بلاغات الثورة أثناء إذاعتها فزكمت أنفى رائحة الثورة المضادة التى تسترت فى ثياب الثورة والجمهورية .

إعترف المذيع الأستاذ محمد عبد الله الفسيل ، فيما بعد ، بأنه هو الذى قام بتشكيل مجلس الوزراء . وجاء إعترافه فى مجلة الحوادث اللبنانية فى ٩ فبراير ١٩٧٣ (الوثيقة رقم ٢٤) عندما أصبح سفيرا لليمن فى ألمانيا الشرقية فقال فى صفحة ٢٦ مايلى :

(وفجأة ارتفع صوت (محمد الفسيل) سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية حاليا ، يعلن :هنا صنعاء .. هنا إذاعة الجمهورية اليمنية ..

وكانت القاهرة فى انتظار على أحر من الجمر .

قبل حوالى ٨ شهور من هذا التاريخ ، جاء الضابط اليمنى (على عبد المغنى) إلى السفارة المصرية حيث كان يشغل (محمد عبد الواحد) (القنصل حاليا في بيروت) منصب القائم بالأعمال والذى اشتهر بأنه صديق

شخصى للأمير البدر ولى العهد وقتها .. واجتمع الضابط اليمنى بالقائم بالأعمال المصرى وطلب إبلاغ رسالة شخصية للرئيس عبد الناصر ، على شرط واحد ، هو عدم إبلاغها لليمنيين خارج أو داخل اليمن ..

كانت الرسالة تتحدث عن تشكيل للضباط الأحرار فى اليمن ، وتسأل عن موقف مصر فى حالة قيام التشكيل بالثورة .

ووصلت الرسالة إلى الرئيس عبد الناصر ، الذى كلف (أنور السادات) بمتابعة القضية المينية ..

وبعد أيام تلقى الضابط اليمنى (على عبد المغنى) رد رسالته من عبد الرحمن البيضانى .. ألمع اليمنيين – وقتها – خارج اليمن .. وأبعدهم عن الإنتماءات السياسية السابقة بحساسيتها وانقساماتها ..

كانت رسالة البيضانى تقول : (وصلت رسالتكم وقد أجتمعت بالرئيس عبد الناصر الذى كلفنى أن أبلغكم أن مصر ستقف بكل إمكانياتها الأدبية والمادية معكم) .

ثم جاءت رسالة أخرى من البيضانى تطلب من الضباط عدم الاتصال بأى مدنى يمنى ..)

ويروى (محمد الفسيل) سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية : (كنا فى منزل عبد السلام صبره ... وكنا نعرف أن كل ذخيرة الجيش هى ٢٢ طلقة وبدأنا العد حتى وصلنا إلى الرقم ١٨ ... وأدركنا أن (الثورة) فى خطر . فقمت واتصلت تليفونيا (بعبد الله جزيلان) وسألت (هل أحتللتم قصر السلاح ؟) . فرد غاضبا : (من أنت ؟) قلت : (أنا يمنى بأقولك أنتم معكم ٢٢ طلقة ... ضربتم ١٨ منها ... فاحتلوا قصر السلاح وإلا ضعتم ...)

واستطرد محمد عبد الله الفسيل فى تلك المجلة قائلا :
(وبدأت عملية تشكيل حكومة ...

قبيل الثورة بثلاثة شهور أرسل البيضانى من القاهرة قائمة بالحكومة المنتظرة ... البيضانى رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية وحمود الجائفى للدفاع (باعتباره الزعيم) والأريانى للعدل ونعمان للتربية .. وبالطبع أعترض على بقية الأسماء لأنها لم تكن معروفة فى اليمن ، ولكن أحدالم يهتم باعتبار أن ذلك سابق لأوانه ... فلما قامت الثورة اتصل الفسيل فى اليوم التالى بالسلال ، وقال له : لا بد من حكومة وإلا لن يعترف أحد بنا فقال السلال (إجتمع أنت وصبره وأحمد المرونى وحسن العمرى وشكلوا حكومة ..)

(واجتمعنا فعلا ... وإذا بالعمرى – الذى كان فى وزارة المواصلات وأشرف على الإتصالات اللاسلكية مع المخابرات المصرية للإعداد للثورة – يخرج من جيبه وزارة مشكلة فعلا ... وهى القائمة التى كان البيضانى قد

أرسلها من القاهرة ... أعترضنا ... فأصر وقال هذا إتفاق عقدناه فى القاهرة ... ولا يمكن نقضه ثم غادر الإجتماع غاضبا ... إتفقنا كلنا على أن البيضانى لن يكون رئيسا للوزراء ولا وزيرا للخارجية ... عيناه وزيرا للإقتصاد ... ووضعنا الزبيرى بدلا من النعمان ... لأن النعمان كان قد أبرق للبدر مهنئا ... أدخلنا محسن العينى وزيرا للخارجية ومحمد سعد قباطى وزيرا للمغتربين والإريانى رئيسا للوزراء ... والسلال قائدا عاما ووزيرا للحربية ... وشكلنا مجلس سيادة من ٣ مدنيين محمد على عثمان وعلى أحمد الأحمدى ومحمد بن محمد المنصور ... أخذنا التشكيل للسلال الذى ماإن قرأ إسم الإريانى على رأس التشكيل رئيسا للوزراء ، حتى أحتج ، وقال : أنتم ورطتونى فى الثورة ... إعملونى رئيس وزراء على الأقل ... واستجبنا لطلبه وعملناه رئيس وزراء والإريانى وزيرا للعدل ... فوقع التشكيل دون أن يقرأه !

حصلنا على التشكيل الساعة التاسعة صباحا ... وأعددناه للإذاعة فى موعد نشرة الأخبار ... الساعة ١٢ جاء (على المطرى) إلى الإذاعة يحمل تشكيلا جديدا لحكومة أخرى موقعا من السلال أيضا ... واتصل الفسيل بالسلال يسأله تفسيرا فقال له (إعتمد التشكيل الأول ... الثانى هدره ! ، أى هزار ...)

رواية الأستاذ الفسيل التى سجلها فى مجلة الحوادث تمثل ما حدث فعلا ، وتثبت أن الثورة قد قامت دون أن يسبقها إتفاق يخالف التشكيلات والبلاغات الثورية التى سبق الإتفاق عليها قبل قيامها . فلما قامت الثورة وانصرف الضباط إلى الدفاع عنها لم يكن معظمهم يعرف عن هذه التشكيلات والبلاغات شيئا كثيرا ، حيث كانت محفوظة لدى عبد الغنى مطهر فى تعز وعبد السلام صبره وعلى عبد المغنى فى صنعاء ، الذى سلمها إلى حسن العمرى لإذاعتها ولما قدمها إلى المذيع عبد الله الفسيل حرفها وقام باختيار أول مجلس وزراء للجمهورية اليمنية على النحو الذى أرضى أهدافه الحزبية ، لولا أن تنبه إلى ذلك فجر اليمن ومحرك الثورة الملازم على عبد المغنى .

ولا أدرى كيف رضى السلال أن يتوسل إلى المذيع الفسيل حتى يعينه رئيسا لمجلس الوزراء بدلا من البيضانى ثم بدلا من الإريانى . ويتضرع إليه قائلا له (إنتم ورطونى فى الثورة أعملونى رئيس وزراء على الأقل) ثم يقول الفسيل (إستجبنا لطلبه وعملناه رئيس وزراء) .

كما لا أدرى أية سلطة ثورية تلك التى مكنت المذيع الفسيل حتى قال (وضعنا الزبيرى بدلا من النعمان . وأدخلنا محسن العينى وزيرا للخارجية) .

أية مهانة تاريخية أكثر سخرية تلحق بثورة شعب اليمن الجذرية بعد ألف ومائة عام ؟

المعروف أن الأستاذ الفسيل كان يدين بالولاء لحزب البعث الذى كان فى ذلك الوقت على خلاف مع الرئيس عبد الناصر الذى لولا موافقته على مساعدة الثورة اليمنية لما قامت ثورة فى اليمن .

أما رواية الفسيل عن برقية الزميل على عبد المغنى إلى الرئيس عبد الناصر وقيامى بالرد عليها نيابة عن الرئيس فإنها رواية غير صحيحة على وجه الإطلاق ، وهى بالنسبة إلىّ شرف لا أدعيه .

وحقيقة إتصال الزميل على عبد المغنى هى كما رويتها موثقة فى صفحات هذا الكتاب .

ولقد أدرك الزميل على عبد المغنى فداحة الخطأ الذى وقعت فيه الثورة حين أهملت التأكد من إذاعة بلاغاتها وتشكيلاتها المتفق عليها فألح على سرعة تصحيح الخطأ حفاظا على وحدة القوى التى اشتركت فى الثورة وحماية لمسيرتها الوطنية من الأخطار المحدقة بها وكان على عبد المغنى يمثل ضمير اليمن ووجدانها ووحدتها الوطنية .

٥

عند الظهيرة وصل إلى القصر الجمهورى الرئيس عبد الله السلال والتقى بى فى غرفتنا المشتركة فأطلعته على ما وصلنى من تعز وحديثى مع الزميل على عبد المغنى ، ولم يدهشنى عندما أكد لى أنه لم يطلع على أوراق الثورة التى سبق الإتفاق عليها ، ثم أبدى إنزعاجه من عدم إذاعتها حرفيا كما سبق إعدادها ، وقال إنه سوف يطلب هذه الأوراق من الزميل القاضى عبد السلام صبره أو من أى شخص تكون عنده لإذاعتها بكامل نصوصها . كانت عندى نسخة كاملة من هذه الوثائق فسلمتها إليه فاستدعى أحد المذيعين لإذاعة ما نقص منها فى البلاغات التى تمت إذاعتها .

استحسنت أن يصدر قرار باسم مجلس قيادة الثورة يضم بقية أعضاء المجلس ووافق العميد عبد الله السلال على هذا الرأى وصدر القرار الآتى :

قرر مجلس قيادة الثورة ضم الآتية أسماؤهم أعضاء فى مجلس قيادة الثورة وهم : الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ونائبا للقائد العام . السادة عبد الرحمن الاريانى عضوا ، عبد الغنى مطهر عضوا ، عبد القوى حاميم عضوا ، محمد على عثمان عضوا ، الملازم سعد الأشول عضوا ، عبد السلام صبره عضوا ، العقيد حسن العمرى عضوا ، محمد ميهوب ثابت عضوا ، على محمد سعيد عضوا ، الطيار عبد الرحيم عبد الله عضوا

الأحد ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢

العميد عبد الله السلال

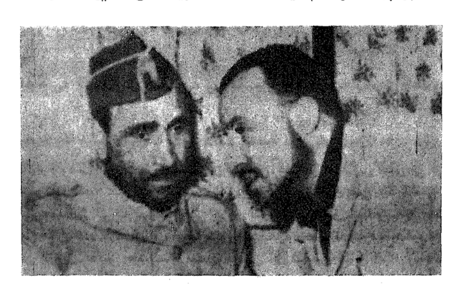
رئيس مجلس قيادة الثورة والقائد العام

يلاحظ أننا بدأنا نستخدم لقب سيد مع أسماء جميع أبناء اليمن تأكيدا لمبدأ المساواة.

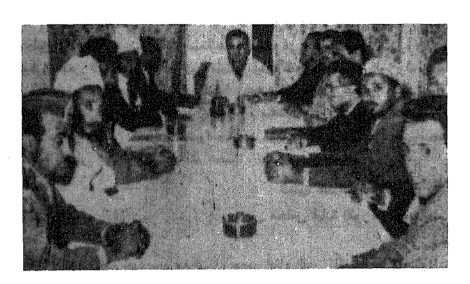
اشترطت على الرئيس السلال توقف عمليات الإعدام التى بدأت قبل وصولى إلى صنعاء وتمت بغير محاكمة ، لا سيما بالنسبة إلي رجال العهد الإمامي البارزين لأن إعدامهم يلطخ تاريخ الثورة ويثير القبائل عليها ، ولأن عقوبة الإعدام يجب أن تقتصر على الذين يحاربون الثورة ويتسببون فى قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، فوافق السلال على رأيى .

عقدنا أول إجتماع لمجلس الوزراء برئاسة الرئيس عبد الله السلال الذى إفتتح الجلسة وعند نهايتها إعتذر عن حضور الجلسات التالية قائلا أنه يفضل أن يتفرغ لمتابعة المعارك العسكرية وقرر أن يتولى الدكتور البيضانى رئاسة مجلس الوزراء إلى جانب أعماله الأخرى .

ه ، فلطاحت بواجهة قصر امام اليمن .   (تصوير فتحى حسين ((مصور الاهرام)))



آمال الثورة اليمنية .. فى حديث بين الزعيم عبد الله السـلال قائد الثورة، وعبد الرحمن البيضانى، نائب رئيس مجلس الثورة



اول صورة لمجلس وزراء الجمهورية اليمنية مجتمعا بكامل هيئته

منقولة من صحيفة الأهرام بتاريخ ٦ أكتوبر عام ١٩٦٢ (الصفحة الأولى) .

قبلت هذا التكريم مشترطا ألا تكون قرارات مجلس الوزراء نهائية إلا بعد عرضها على العميد السلال وأطلعت المجلس على إتفاقى مع الرئيس جمال عبد الناصر على أن تحاول حكومة الثورة اليمنية الإبتعاد عن مسرح الخلاف المصرى السعودى كى تتفرغ الثورة لتثبيت أقدامها .

كانت هذه بداية موفقة للتعاون فيما بين العميد السلال وبينى ، وكنا ننام فى غرفة واحدة فى القصر الجمهورى وبيننا تليفون لاسلكى يوصلنا بجميع قيادات المناطق العسكرية . وكان كلامنا لا يحلو إلا بعد إنصراف المهنئين فنتبادل المعلومات والأخبار ونتفق على برنامج عمل اليوم التالى والأوامر والقرارات التى يتطلبها الموقف المتأزم .

كان أمامنا معركتان : معركة عسكرية ومعركة حضارية .

وكنت أحترق شوقا لقيادة المعركة الحضارية التى هى الهدف الأول والهدف الأخير لقيام الثورة . وعندما درست فى مصر بعض الأساليب العسكرية فى معسكر أبو قير كنت أعد نفسى للإشتراك فى الدفاع عن الثورة فى مجتمع قبلى مسلح ، الأمر الذى ساعدنى على الإسهام فى إدارة المعركة العسكرية ، لا سيما بعد أن تفرغ القائد العام الرئيس السلال لمتابعة تحركات منافسه العميد حمود الجائفى الذى بعد أن نجحت الثورة وتعين وزيرا للدفاع ورفض الإقامة فى صنعاء واختار الحديدة فتذكر السلال أن الجائفى كان المرشح الأول لرئاسة مجلس القيادة ، وأن جميع الضباط يحبونه حبا جارفا من أعماق قلوبهم كما يعرف أيضا إننى شخصيا من أصدق المعجبين به وأن كنت آخذ عليه شده حرصه وتردده فى كل خطواته وتحركاته مما كان أحد الأسباب الرئيسية التى جعلته يتنحى عن رئاسة مجلس قيادة الثورة قبل قيامها .

تفرغ السلال لمتابعة تحركات الجائفى .

وبعد أن كان ذهن السلال مشغولا بالبدر الذى هرب أصبح محصورا فى الجائفى الذى غضب .

فجأة وجدت نفسى فى قلب المعركة العسكرية ، أتنقل بالطائرة من معركة إلى أخرى ، ملتزما بتوفير الأسلحة والذخائر والأمكانيات الأخرى الضرورية فى ساحات القتال المتعددة بين الضباط الثوار ورجال القبائل والحرس الوطنى فى الوديان والجبال وهم يدافعون عن ثورة شعبهم المظلوم ويستشهدون من أجل مستقبله الأفضل .

ولكن ..
ماهو المستقبل الأفضل .. ؟

هل المستقبل الأفضل فى اليمن يكتفى بخلع عمامة الإمام وتمزيقها تحت الأقدام مع الإحتفاظ بمقومات رأسه الصلعاء وعقله المتعفن ؟

لو كان الأمر كذلك لما كان هناك أى مبرر تاريخى لقيام ثورة فى اليمن تستبدل النظام الإمامى بنظام جمهورى . ولن يجد الشعب اليمنى أى فارق بين الإمامة والجمهورية

سوى أنه بعد أن كان فى اليمن إمام واحد يدعى الإنتساب إلى رسول الله ﷺ أصبح فى اليمن عدد من الأئمة يدعون الإنتساب إلى الشعب وبدلا من أن يضعوا فوق رؤوسهم عمائم بيضاء كما هو تقليد المذهب الإمامى ، أصبحوا يضعون فوقها قبعات عسكرية ذات علامات حمراء ، وبعضهم لا يشترط عمامة أو قبعة كما هو تقليد المذهب الجمهورى .

هذا هو السؤال ..

لماذا قامت الثورة اليمنية ؟

يتفق اليمنيون ويختلفون حول أمور كثيرة ، لكن أحدا لا يستطيع أن يدعى الإشادة بالنظام الإمامى الذى كان سائدا فى اليمن . لا يستطيع عاقل أن يرضى بالتخلف الرهيب الذى كان الطابع المميز لشعب اليمن بين شعوب الأرض التى تسابقت إلى الحضارة الإنسانية الحديثة .

إذن ..

قامت الثورة اليمنية كى يبدأ الشعب اليمنى طريقه إلى الحضارة الإنسانية الحديثة .

هذه هى المعركة اليمنية الحقيقية ..

إنها المعركة الحضارية ..

تلك كانت مهمتى ، وذلك كان قدرى .

وكان دورى الحقيقى أن أتولى قيادة المعركة الحضارية بعد أن حطمنا بالثورة ، العقبة الأولى التى كانت تحول دون تحطيم بقية العقبات المانعة من تحقيق الحضارة فى اليمن .

حطمنا العقبة الأولى وبقيت أمامنا عقبات أخرى أصبح من الممكن علاجها بعد أن حطمنا الركيزة الأساسية للتخلف فى اليمن .

سلطات كاملة للدكتور البيضانى

اذاع راديو صنعاء . ان الزعيم عبدالله السلال رئيس مجلس وزراء اليمن والقائد العام اصدر قرارا بتعيين الدكتور عبد الرحمن البيضانى وزير الاقتصاد والثروة المعدنية نائبا لرئيس مجلس الوزراء ونائبا للقائد العام ويتمتع بكافة الصلاحيات التى يتمتع بها رئيس الوزراء والقائد العام

السلال يتولى رياسة الدوله

عدن ـ د .

اذاع راديو صنعاء ان الزعيم السلال سيكون رئيسا لدولة اليمن ريثما يتم تعيين رئيس للجمهورية العربية اليمنية .

مجلس وطنى للثوره

اعلن راديو صنعاء انه تقرر انشاء مجلس وطنى للثورة يتألف من الوزراء واعضاء مجلس الثورة وهذا المجلس مكلف بالمحافظة على سيادة الدوله ورسم سياستها الداخلية والخارجية

صحيفة الجمهورية ٢ أكتوبر ١٩٦٢ (صفحة أولى)

فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ
إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

قرآن كريم

صراع الشعارات

الفصل التاسع



كنت أعرف من قبل الثورة أن العقبات التى تعترض طريق الثورة نحو بلوغ هدفها الرئيسى وهو الإرتقاء بالمستوى الحضارى فى اليمن هى السيادة العنصرية من الهاشميين على القحطانيين والحساسية الطائفية بين الزيود والشوافع ، والصراعات الحزبية بين البعثيين والشيوعيين والقوميين والناصريين ، إلى جانب غياب الحد الأدنى من عدد الكفاءات اليمنية التى تشترك فى قيادة المعركة الحضارية .

كنت أعرف من قبل الثورة أنه بعد إسقاط النظام الإمامى سوف يبدأ الصراع الجمهورى ، لأن المخلفات العنصرية والطائفية التى كان يعتمد عليها النظام الإمامى لا بد أن تستمر فترة من الزمن تفرض نفسها على المجتمع اليمنى ، وتحكم سلوك العناصر المتصارعة ، وتحول دون تحقيق الوحدة الوطنية ، فتعترض طريق التطور الحضارى الذى كان الهدف الرئيسى والسبب المحرك للثورة .

غير أننى كنت أضع أحلاما سعيدة وأعلق آمالا عريضة على الزميل على عبد المغنى لمساعدتى على تجميع شمل العناصر اليمنية،ودفعها إلى الالتزام بالمصلحة الوطنية ، فهو المحرك الحقيقى للذراع العسكرى فى جسد الثورة اليمنية .

كان الزميل على عبد المغنى يدرك ذلك تمام الإدراك ، ولقد تحدثنا فى هذا الموضوع واتفقنا على خطوطه العريضة التى تعتمد على تعاون وتكامل جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة وجميع المدافعين عنها . غير أننى فوجئت بأن بعض الزملاء من أعضاء مجلس قيادة الثورة أعتبروا أنهم بمجرد أن اشتركوا فى القيام بها قد انتهى دورهم فيها ، وحصر أكثرهم نشاطه الثورى فى مجرد الدفاع عنها من بعيد .

هذه مشكلة الثورة اليمنية ، بالتمام والكمال .

وقد شهد بها النقيب عبد اللطيف ضيف الله عضو مجلس قيادة الثورة وأول وزير لداخليتها ثم أول رئيس لمجلسها التنفيذى ، فى شهادته التى نشرها مركز الدراسات والبحوث اليمنى فى صنعاء سنة ١٩٨٢ فى كتاب بعنوان (ثورة ٢٦ سبتمبر – دراسات وشهادات للتاريخ) صفحة ٣١١ حيث قال ما نصه حرفيا :

(أهم خطأ وقعت فيه الثورة هو الخطأ الذى وقع فيه ثوار سبتمبر أنفسهم فقد اعتبروا مجرد قيام الثورة إنهاء لدورهم ، فانقطعت صلتهم التنظيمية كما لو كانت الدولة الجديدة بديلا للتنظيم) .

كان ذلك التصور ، كما قال النقيب عبد اللطيف ضيف الله ، هو فعلا تصور معظم رجال الثورة . اعتبروا أن الثورة قد نجحت عندما أسقطت النظام الإمامى وأقامت النظام الجمهورى ، واعتبروا أن ذلك هو غاية الأمل ونهاية العمل .

كانت هذه مشكلة الثورة اليمنية.

لم يدرك أحد سوى على عبد المغنى وعدد قليل من الزملاء ، أن الثورة تعبير شعبى عن إرادة التغيير . تعبير عن وجود عقبات سياسية واجتماعية تحول دون تقدم الشعوب ، ولا يمكن إزالتها ديمقراطيا عن طريق المؤسسات الشعبية السائدة فى أنظمة الحكم المتخلفة ، فتأتى الثورات لتقوم بمهمة التصفية الجذرية لهذه العقبات ، فتمهد طريق الشعوب نحو التقدم .

فالثورات عمليات تمهيدية على طريق التقدم .

أما التقدم ذاته ، أى أحداث التغيير المطلوب نحو الأفضل ، فإنه يعتمد على مجموعة نظريات سياسية واقتصادية واجتماعية تستخلص بالعلم والتأمل فى واقع المجتمعات المراد تطويرها ، وترتبط بالوسائل الممكن إتخاذها وصولا بهذه النظريات إلى أرض التطبيق والممارسة .

إذن لا يكفى أن تقوم ثورة شعبية تنجح فى القضاء على نظام حكم سياسى متخلف وتستبدله بنظام آخر ثم تقف الطليعة الثورية الحاكمة معصوبة الأعين مكتوفة الأيدى أمام مشكلات التطور والنهضة ، فإذا بها تضطر إلى مسايرة العوائق الموضوعية للتقدم والإزدهار ، ثم تستنفذ كل جهودها فى حماية نفسها مكتفية بإطلاق الشعارات الشعبية الثورية ، التى انتهت مهمتها أثناء المرحلة الثورية الأولى عندما نجحت فى إثارة الشعب ضد نظامه السياسى المتخلف .

هذه الثورة وحيدة المرحلة تفقد معناها بمجرد سقوط مقاليد الحكم فى أيدى الثوار الذين سرعان ما يتحولون إلى سياسيين ، عندما يختلفون ويتنازعون ، ثم يتحول بعضهم إلى قوى مضادة للثورة ، مناقضة لأهداف الشعب التى قامت من أجلها الثورة .

لايختلف أحد على أن ظاهرة كون المجتمع متخلفا تعنى أن سلطته السياسية متخلفة . هذه الحقيقة البديهية كانت معروفة جيدا لدى الطليعة الثورية اليمنية التى أجتازت الخطوة الأولى بإسقاط النظام الإمامى ، لكن أغلبية هذه الطليعة لم تدرس الخطوات التالية لها ، أى لم تدرس ظروف المجتمع الأخرى وكيفية تطويرها ، ولم تضع تخطيطا شاملا لعملية التنمية والتقدم .

لم تدرك منذ البدية أن السلطة السياسية المتخلفة هى أحد عناصر التخلف وليست عنصره الوحيد الذى بالقضاء عليه يتحقق التقدم .

لم تنفرد ثورة اليمن بهذه المشكلة ، لأنها ظاهرة سائدة فى معظم ثورات العالم النامى ، وبطبيعة الحال لا يحتاج العالم المتحضر إلى ثورات لأن تطوره نحو الأفضل

يتم عادة بالأسلوب الديمقراطى . كذلك الدول الملتزمة حقا وصدقا بالشريعة الإسلامية لا تحتاج أيضا إلى ثورات لأنها تتطور دائما نحو الأفضل بحكم إلتزامها بالإجتهاد الإسلامى .

لكن مشاكل التطور تظهر عادة فى الدول النامية عندما تتحول قيادات التحرير إلى قيادات حاكمة ، ولا تدرك أن طبيعة عملها قد تغيرت . لا تدرك أنها فى مرحلة (التحرير) كانت تحتاج إلى مؤهلات خاصة أساسها : الشجاعة والإقدام والصبر والكتمان والإستعداد للتضحية . وفى مرحلة (التطوير) تحتاج إلى مؤهلات ثقافية وحضارية مختلفة تماما .

وعندما تفاجأ الطليعة بهذه الحقيقة بعد استيلائها على السلطة فإنها إما أن تعتبر دورها الثورى قد انتهى فتبتعد عن هذه السلطة كما شهد بذلك النقيب عبد اللطيف ضيف الله ، وهو ما حدث فعلا فى اليمن ، وإما أن تحاول أن تسلك سبيل التطور فتلجأ ، دون معرفة كافية بمقوماته وأساليبه وشروطه ، إلى نقل ايديولوجيات من مجتمعات أخرى تحت إغراء سهولة النقل ، وعندئذ تقع فى محظور التقليد وعدم الملائمة .

لم يكن يفزعنى فى اليمن أكثر من الوقوع ، تحت ضغط الصراعات الحزبية والإجتهادات السطحية ، فى محظور استيراد نظريات إقتصادية وإجتماعية لا تناسب ظروف اليمن .

ليس معنى ذلك أن نرفض كل النظريات وكل الإجتهادات وكل التجارب الناجحة فى المجتمعات الأخرى ، وإنما معناه أن ندرس النظريات المختلفة لنختار ما يتفق مع ظروف مجتمعنا الموضوعية ، وقد نبتكر له وعلى مقاسه نظرية جديدة تتفق مع ظروفه عندما نستخلصها من واقعه هو بالذات .

على أن إستخلاص النظرية الملائمة على هذا النحو لا ينهى القصة ، ذلك لأنه يتحتم على القيادة السياسية الرشيدة أن تخضع هذه النظرية للملاحظة المستمرة ، فقد يظهر أثناء التطبيق والتجربة ما يحتاج إلى إضافة أو استبدال كى تبقى الحلول المتداولة فى التنفيذ الفعلى ملائمة وبصفة مستمرة لواقع المجتمع المتطور الذى عادة ما يفرز عوامل جديدة لا تكون فى الحساب لحظة الاتفاق على النظرية الفلسفية المختارة .

كان لزاما علينا أن نستخلص منهاج تطور اليمن من ظروف اليمن ، واليمن وحدها دون غيرها .

ولم يكن فى الإمكان أن نستخلص هذا المنهاج اليمنى إلا إذا اتفق عليه القادة اليمنيون ، أو على الأقل ، إذا لم يكن هذا المنهاج ساحة للصراع السياسى فيما بينهم حيث لم تكن الثورة اليمنية تواجه فقط مجرد صراعات يمنية ذات أبعاد قبلية وعصبيات عنصرية وطائفية تستغلها القوى الأجنبية ، وإنما تواجه ، فوق كل ذلك ، صراعات عربية ذات أبعاد حزبية أكثر قدرة على تمكين الصراعات الدولية من الفتك بمصالح الأمة العربية والتصدى للشريعة الإسلامية .

من أجل ذلك لم أقتصر على ما سبق أن قمت بإعداده قبل الثورة من دراسات إقتصادية واجتماعية يمينة وإنما سعيت إلى توحيد الصفوف حتى نتفق جميعا كيمنيين على ما يناسب اليمن وينبثق من ظروفها الخاصة ، وما نستخلصه من تجارب الشعوب الأخرى بعقولنا المتحررة من أى التزام حزبى وأى جمود عقائدى .

ولم أشعر بأى قلق من جانب البعثيين لأنه من الناحية العلمية لا توجد نظرية إقتصادية بعثية منذ أن بدأ حزب البعث فى الأربعينات كحركة إصلاحية ترفض الأوضاع العربية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت .

وقد لخص الدكتور سامى الجندى أحد أقطاب حزب البعث وأحد رؤساء وزرائه السابقين ، خلاصة النتائج التى أسفر عنها قيام حزب بغير نظرية فى كتابه (البعث) الصادر سنة ١٩٦٩ صفحة ٦٧ فى معرض شرحه لوقائع مؤتمر حمص على إثر إنقلاب مصطفى حمدون ضد حكم أديب الشيشكلى فى بداية ١٩٥٤ فقال :

(وجئنا نحن البعثيين وعلى وجوهنا إبتسامة النصر العريضة نبحث عن مكان الصدارة .. كان كل منا يشرح فكرة البعث على هواه وحسب مزاجه ، بعضنا اتخذ مظاهر الفيلسوف وتخلق بأشكاله وتزين بمسوحه دون منهج فلسفى . وهكذا ظل البعث بلا ايديولوجية شعارات قلقة لم توضح لمحاته الأولى وبذوره ، فانحرف إلى حزب سياسى نهائيا .. وباتت الاجتماعات الحزبية لا تعدو أن تكون شرحا لمقالات الجريدة والنشرات الداخلية السياسية الضحلة .. وحافظ بعض منا بصعوبة على نهجه بأن يظل البعث حركة ثقافية عامة ، مؤملا أن يأتى جيل يصوغ الأفكار الشاردة فى عقيدة ثورية ..) .

ثم قال فى صفحة ٦٩ (طرح الحزبيون فى الإجتماعات أسئلة عن مفاهيم الحزب الأولى .. وأهم من كل ذلك ما هو البعث ؟ .. كانوا يريدون أن يفهموا من هم وما هم ؟ مثلهم مثل المؤمن الذى يسأل عن دينه وقد تسربت الشكوك إلى قلبه فيطلب إليه أن يؤمن فقط ..) .

ثم قال : (ومازال هذا السؤال قائما حتى الآن : ماهو البعث ؟ .. لم تجب القيادات أبدا) .



كنت مطمئنا إلى حركة القوميين العرب فى اليمن فقد كان رجالها فى ذلك الوقت يرفعون راية عبد الناصر السياسية ، وقالوا إننى ناصرى إستنادا على إعجابى بالرئيس جمال عبد الناصر وإنجازاته الإيجابية على الساحة العربية والأفريقية . مع احتفاظى بوجهات نظرى الاقتصادية والاجتماعية .

بدأت حركة القوميين العرب فى بيروت بقيادة الأساتذة جورج حبش وهانى هندى ومحسن إبراهيم ، وكان أول من أسهم ماليا فى تأسيس حركة القوميين العرب المليونير اللبنانى إميل البستانى وبعض أمراء الكويت .. كما كان من بين مؤسسيها الأستاذ أحمد الخطيب الذى أصبح فيما بعد عضوا فى مجلس الأمة الكويتى وأحد أقطاب حركة القوميين العرب فى الكويت وأحد المشرفين على مجلة الطليعة الكويتية .

وكان الغرض من تأسيس هذه الحركة فى بدايتها تنمية الإتجاه الليبرالى بين شباب الجامعة الأمريكية ، وعن طريقهم ينتشر هذا الإتجاه ويتعمق على مستوى جماهير الأمة العربية بأسلوب منظم وممول .. ولو بدون نظرية علمية خاصة .

ثم عن طريق الصحفى السورى الأستاذ معين زيادة تكونت أول مجموعة إقليمية فى اليمن سنة ١٩٥٨ من طالبين يمنيين هما سلطان أحمد عمر (أحد قادة الماركسيين فى اليمن الجنوبية حاليا) وفيصل عبد اللطيف الشعبى (نائب رئيس وزراء اليمن الجنوبيةووزير خارجيتها فيما بعد) ، ثم لحق بهما عبد الملك إسماعيل (سفير اليمن الجنوبية فى القاهرة فيما بعد) وعبد الحافظ قائد من طلبة القاهرة ، وفى سنة ١٩٥٩ إنضم إليهم طه مقبل وعلى السلامى ثم محمد على هيثم (رئيس وزراء اليمن الجنوبية فيما بعد) وقحطان الشعبى (رئيس جمهورية اليمن الجنوبية فيما بعد) وعلى ناصر محمد (رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الحالى) ونور الدين قاسم وسيف الضالعى وجعفر على عوض وناصر السقاف بعد أن انشق هؤلاء من رابطة أبناء الجنوب العربى ، ثم فى سنة ١٩٦٠ إنضم إليهم سالم زين وآخرون .

وقد استفادت حركة القوميين العرب فى وقت معاصر للثورة اليمنية من خلاف الرئيس عبد الناصر مع البعثيين والشيوعيين ، فاتخذت الحركة الخط الناصرى وكانت كتابات محسن إبراهيم فى مجلة الحرية تكاد تكون المتحدثة بإسم الجماهير الناصرية تحت زعامة عبد الناصر وقت قيام الثورة اليمنية .

ولما قمنا بالثورة أنشأ سلطان أحمد عمر مع سعيد الجناحى وعبد الرحمن محمد سعيد وعلى السلامى وسالم زين المؤتمر الشعبى فى اليمن الذى كان يقود المظاهرات المؤيدة للثورة .

ثم جاء سلطان أحمد عمر مع قحطان الشعبى وناصر السقاف وطه مقبل وطلبوامنى ميزانية للتحرك الشعبى ، ولم أجد مانعا من ذلك فقد كانوا كلهم متفاعلين مع الثورة وكانوا يجمعون المتطوعين ويدفعون بهم إلى ساحات القتال دفاعا عن النظام الجمهورى الوليد .

وأذكر أن سلطان أحمد عمر جاءنى ذات يوم مع قحطان الشعبى وأخبرانى بأن قيادة حركة القوميين العرب قد قررت انتخابى عضوا فى قيادتها العامة القومية تقديرا منها لدورى فى الثورة اليمنية ، فقلت لهما أننا بصدد إنشاء تنظيم سياسى يمنى يضم كل المؤمنين بالثورة اليمنية ، بعد أن نبلور أهدافها فى صورة ميثاق وطنى مرحلى ، وإننا سوف ندعو كل المنظمات السياسية إلى الإشتراك فى صياغة هذا الميثاق حتى يتحقق الإلتزام به عن (طريق الإقتناع) وليس عن (طريق الإذعان) وقبول الأمر الواقع .

وأضفت أن اليمن لا تتسع لتعدد التيارات السياسية لكننا فى نفس الوقت لن نترك تيارا سياسيا يشعر بأنه (مغلوب على أمره) وإنما سنشرك الجميع فى حوار ينطلق من واقع اليمن (بعينه) ويستهدف تطوير هذا الواقع (بالذات) تطويرا علميا دون الإلتزام بتصور مسبق يفرضه أحد التيارات على التيارات الأخرى .

وكررت عليهما قولى بأننى معهما من زاوية الإنتماء لزعامة عبد الناصر السياسية ، لكننى كمفكر إقتصادى لا أنتمى إلى إختيارات عبد الناصر الإقتصادية التى كان قد تورط فى إعلانها قبيل قيام الثورة اليمنية بأقل من عامين إثنين ، متجاهلا آراء الإقتصاديين المصريين فى خضم صراعه مع البعثيين ومن خلال همسات الماركسيين المصريين ، الذين أخفوا تنظيماتهم العلنية واندمجوا فى تنظيمات عبد الناصر الرسمية .

قلت لهما إننى مفكر مسلم يمنى عربى ، أنطلق من العقيدة الإسلامية ثم أبدأ بالتفكير فى مصلحة اليمن وأنتهى بالحفاظ على مصلحة الأمة العربية .

ومن هذا المنطلق لا أقبل أن أنضم إلى حزب ، أى حزب ، لا بعثى ولا قومى ولا ناصرى ، لا سيما أن كل هذه المسميات لا تستند فى مقوماتها على نظريات . ولذلك فإننى أدعو جميع اليمنيين إلى الإنتماء إلى اليمن ، والإنطلاق من واقع اليمن ، والإنصهار فى مصلحة اليمن .

وما دمت أدعى أننى مفكر مسلم يمنى عربى فإننى أحاول أن أسلك سلوك المفكرين المسلمين الوطنيين العرب .

والمفكرون والمنظرون ليسوا حزبا أو أحزابا ، وإنما تيارات ومدارس ومذاهب فكرية ، أنهم طلائع متقدمة على قدر معين من الإدراك والمعارف يحاولون استشفاف مستقبل الأحداث وتطورها ، ويحاولون التأثير فى مسارها بتخطيط نقاط المنطلق ونقاط الهدف ، وتفاصيل ما بين المنطلقات والأهداف ، القريبة والبعيدة .

وحيث أننى أصبحت ، بعد قيام الثورة ، مسئولا عن قيادة المعركة الحضارية فى اليمن ، وداخل حدود اليمن وحدها دون غيرها ، فإن مهمتى أصبحت تنحصر فى القدر الذى أراه نافعا وقت ظهور الثورة على مسرح الأحداث التاريخية فى عمر اليمن . وعندما أصطدم بالواقع الفعلى المعاصر لهذه الأحداث قد أجدنى مضطرا إلى تجاوز أفكار المفكرين السابقين ونظريات الفقهاء المنظرين .

لقد بدأ عبد الناصر ثورته الخالدة ، وهى ثورة لا تعتمد على نظرية إقتصادية ولا منهاج مصرى للتطور فى مصر .

وكان معه عدد من زملائه الثوار الأحرار من مختلف الإتجاهات والأفكار ، ثم أخذ يتخلص من المتطرفين من اليمين واليسار ، وانتزع إعجاب المصريين والعرب أجمعين بفضل زعامته السياسية وليس بفضل اختياراته الإقتصادية وعندما تورط فى هذه الإختيارات بعد الوحدة السورية ، شأنه فى ذلك شأن زعماء جميع الثورات التى تقوم بغير نظريات ، سقط فى محظور إستيراد حلول إقتصادية وإجتماعية لا تناسب مصر وبقية الشعوب العربية فأخذ يقترب من ألسنة الحريق حتى وقع الإنفصال السورى وتوقفت مسيرة الوحدة العربية فى منتصف الطريق .

قلت لهما أن علمية وتقدمية الحلول الإقتصادية والإجتماعية لاتتحققان من سهولة طرحها عن طريق النقل من المجتمعات الأخرى ، وإنما تعتمدان على التعمق فى استخلاصها عن طريق البحث فى ظروف معينة ، وزمن محدد ، وبتفكير علمى متطور نحو الأفضل . والقول بغير ذلك إتهام صريح للعلمية بالجاهلية ، ووصف قاطع للتقدمية بالرجعية .

قلت لقحطان الشعبى الذى أصبح فيما بعد رئيسا لجمهورية اليمن الجنوبية وسلطان أحمد عمر الذى أصبح فيما بعد زعيما من زعماء الماركسية فى اليمن الجنوبية أن اتجاه البعثيين والناصريين إلى الإبتعاد عن الدين فيما يتعلق بالأمور الإقتصادية إتجاه خاطىء ، وهو لا يقل خطأ عن إتجاه المتعصبين الداعين إلى الإلتزام بحرفية تطبيق الحلول التفصيلية التى قال بها أساتذتنا وفقهاؤنا المسلمون الأولون ، الذين لم يسمعوا عن الإنقلاب الصناعى ، وثورة المواصلات ، وقفزات العلوم الإقتصادية والإجتماعية .

إن أحكام العبادات أزلية .. لا تتغير .

وأنما التطبيق التفصيلى للمعاملات ، وتنظيم الإنتاج ، والعلاقات الإنتاجية ، هو الذى ، مع احتفاظه بجوهر الدين ، والنصوص الشرعية القاطعة الدلالة والقاطعة الورود فى القرآن والسنه ، ينبغى أن يتفق مع تطور الظروف الموضوعية لكل مجتمع ، وإختلاف مشاكله المتوالدة فى كل عصر . وهذا هو جوهر الإجتهاد الإسلامى .



الطائرات الحربية التى اخفاها الامام احمد فى الجبال لكيلا يستعملها الضباط الاحرار ، وقد تلفت بعض الاجهزة الفنية فى هذه الطائرات لبقائها فى مهب رمال الصحراء ، ويجرى الان اصلاح هذه الطائرات بسرعة فائقة على ايدى خبراء من الجمهورية العربية المتحدة .. وقد اصلحت بالفعل بعض هذه الطائرات وبدات تشترك فى حراسة حدود جمهورية اليمن ...

مجلة المصور (١٢ أكتوبر ١٩٦٢)



لم تخرج الناصرية عن كونها مجرد إجتهاد لمرحلة معينة . وقد تناول هذا الإجتهاد معالجة القضايا المصرية الخاصة بشكل خاص كما تناول القضايا العربية العامة بشكل عام . ثم أثبتت التجربة العملية والممارسة الفعلية فى مصر أن للناصرية إيجابيات وسلبيات . لأن عبد الناصر لم يعتكف فى غار مقدس بجبل المقطم حيث نزل عليه وحى من السماء ، وإنما عبد الناصر العربى وإبن مصر تأثر بظروف مصرية وعربية فأتى باجتهاد منبثق من هذه الظروف حسب اجتهاداته الشخصية ، ومدى استجابته النفسية لأفكار وإلهام من أحاطوا به ، من غير ذوى الكفاءات الإقتصادية الذين استغلوا اقترابهم منه فأسأوا إليه .

فعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لم تعلن أكثر من مبادئها الست المعروفة وكان من بينها شعار تحقيق (العدالة الإجتماعية) ، وفى خطاب الرئيس عبد الناصر الذى ألقاه فى المؤتمر التعاونى بتاريخ ٥ ديسمبر سنة ١٩٥٧ فسر وسيلة مصر إلى تحقيق العدالة الإجتماعية قائلا (نريد أن نتخلص من استغلال الإنسان للإنسان واستغلال المجتمع لبعضه .. نريد أن نوفق بين النشاط الإجتماعى العام الذى تقوم به الدولة والنشاط الإقتصادى الذى يقوم به الأفراد على ألا يضر هذا بمصالح المجتمع) .

ثم أكد الرئيس عبد الناصر إحترامه للنشاط الإقتصادى الخاص والملكية الخاصة فى تصريحات جديدة أدلى بها لمستشار وزارة الخارجية اليابانية بتاريخ ٦ يناير ١٩٥٨ حدد فيها الرئيس الأساس الذى تقوم عليه العدالة الإجتماعية فى مصر فقال :

(إن سياسة مصر تقوم على المشروعات الفردية الخاصة ، ولذلك ليس هناك محل للشيوعية ، وليس هناك خوف من أن تغزو الشيوعية مصر) .

معنى ذلك أن الرئيس عبد الناصر كان يرى (فى ذلك الوقت) أن العدالة الإجتماعية تقوم على المشروعات الفردية والملكية الخاصة ، كما كان يرى أن المانع الذى يحول دون غزو الشيوعية لمصر هو تشجيع المشروعات الفردية والملكية الخاصة .

ثم أراد الرئيس إيجاد تعريف للنظام المصرى فى حديثه إلى وفد الصحفيين الأمريكيين فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٨ فقال (إن إيجاد تعريف للنظام القائم ليس بالسهل وقد قلت فى العام الماضى أن النظام القائم فى مصر نظام تعاونى وقلت هذا العام أنه نظام اشتراكى ديمقراطى ، والعبرة ليست بالتعريف وإنما بما يحدث ويمارس فعلا .. ولذلك

اخذت الحكومة بنظام الإقتصاد الموجه وهو رأسمالى موجه ..) إلى أن قال (نظرا لأن الشعب لم يتعود المساهمة فى مشروعات صناعية قامت الحكومة بدراسة بعض المشروعات وبدأت فى تنفيذها فعلا وذلك حتى يحذو الشعب حذوها ويتجه هذا الإتجاه الجديد ..) .

ثم عبر الرئيس عن فرحته بإقبال الشعب على شراء أسهم المشروعات التى طرحتها الحكومة فقال :

(لقد فوجئنا بالشعب يمول المشروعات كلها ويساهم بنسبة ١٠٠٪ وهذا فى الحقيقة يعتبر تحولا من الزراعة إلى الصناعة) .

وهكذا كان الرئيس عبد الناصر شديد الفرح بإقبال الشعب المصرى على الإكتتاب بنسبة ١٠٠٪ من أسهم الشركات التى طرحتها الحكومة المصرية فى ذلك الوقت .

فى هذه المرحلة كان صدر العدالة الإجتماعية فى مصر يتسع لتشجيع أبناء الشعب على القيام باستثمار طاقاتهم وأموالهم فى حماية وتشجيع الرئيس عبد الناصر . وكان ذلك هو جوهر المجتمع الإشتراكى التعاونى الديمقراطى فى مفهوم الرئيس الذى عاد فأوضح تمسكه بهذا المفهوم للعدالة الإجتماعية فى خطابه الذى ألقاه فى اللجنة التنفيذية للإتحاد القومى بمدينة دمشق فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٦٠ قائلا : (واجبنا أن نعمل على إقامة عدالة إجتماعية وأن نقرب الفوارق بين الطبقات) .

ولم يكن الرئيس قد استخدم حتى تلك اللحظة شعار (تذويب الفوارق بين الطبقات) .

وفى خطاب ألقاه فى الوفود اللبنانية بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٦١ أكد الرئيس (إن العدالة الإجتماعية تقوم على أساس الوحدة الوطنية) .

حتى ذلك التاريخ لا تشهد الوثائق المصرية بما يشير إلى خروج الرئيس عبد الناصر عن مفهوم العدالة الإجتماعية السمح الذى تدعو إليه كل الأديان ولا يختلف عليه عاقل .

إلا أن الرئيس كان فى تلك الأيام قد بدأ يختلف مع قادة حزب البعث العربى الإشتراكى الذى اشترك مع الرئيس فى إقامة دولة الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان الخلاف قد تطور بين قادة حزب البعث والرئيس إلى حد أن اشترك هؤلاء القادة مع الرئيس فى إحتفالات بورسعيد بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩ ثم فاجأوه باستقالة جماعية فى اليوم التالى فى القاهرة أى يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٥٩ .

ولعل الرئيس أراد ، كرد فعل لما إعتبره إهانة موجهة إليه شخصيا ، أن يجرد حزب البعث من شعاره الإشتراكى ، فقرر أن يتحول فجأة من العدالة الإجتماعية إلى الإشتراكية معتقدا أنه بذلك يسحب من حزب البعث أرضيته الفكرية بعد أن تنحى الحزب عن مواقعه الرسمية .

لم يتبين عبد الناصر أن حزب البعث نفسه كان تائها لم يتمكن من تحديد المفهوم الذى يتصور به مدلول الإشتراكية التى رفع الحزب شعارها ، وأتخذ منها الأساس الإجتماعى والإقتصادى لنظريته السياسية .

وكان ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث يبحث عن مفكر يضع له أسس الإشتراكية ، فكتب فى صفحة ٧٥ من كتابه (فى سبيل البعث) قائلا :

(إن الشيوعية تمنع العرب من التفكير فى اشتراكيتهم والإهتداء إليها لأنها بادعائها إن الإشتراكية هى الماركسية ، وأن لا اشتراكية إلا فيها وبها فقد منعت الإشتراكية الصحيحة التى يحتاجها العرب) .

لم يتمكن ميشيل عفلق من تعريفنا بالإشتراكية الصحيحة التى يحتاجها العرب ، وإنما قرر فقط أن العرب فى حاجة إلى اشتراكية مجهولة التعريف غير محددة الأبعاد .

ثم اعترف فى صفحة ١١٣ من نفس الكتاب بعدم وجود نظرية إقتصادية واجتماعية لحزب البعث وأقر بأن هذا الحزب مجرد حركة عربية فقال :

(ليس يكفى أن نقول أن حركة البعث العربى تستطيع بهذه المبادىء والشروط أن تسيطر على الظروف ، وبالتالى تحقق الإنقلاب ، فهناك جوانب يجب أن توضح ويمكن أن ألخصها فى أن حركة البعث العربى لا غنى لها عن فلسفة عامة فى الحياة ..) .

إفتقار حزب البعث إلى نظرية لا ينال من أهميته التاريخية ، فقد أسهم فى وقت مبكر فى تنمية الشعور العربى العام ، وفى تجذير شعار القومية العربية ، وتجذير الإحساس العام برفض الواقع العربى والتطلع إلى واقع أفضل منه .

كان حزب البعث يرفع شعار الإشتراكية .. مجرد شعار ..

نقل الرئيس عبد الناصر هذا الشعار على علاته وعلى هذه الصورة العائمة متحديا بذلك حزب البعث ، متأثرا فوق ذلك بإلهام الحزب الشيوعى المصرى الذى كان قد حل نفسه صوريا ليندمج بكوادره فى جهاز الحكومة المصرية رسميا ، فى طريقه إلى الإستيلاء الهادىء على مصادر الإلهام فى إتخاذ القرارات المصيرية الفاصلة فى مصر .

وكان الرئيس عبد الناصر يستجيب للكثير من نصائح هذه الكوادر بقدر الكثير من قروض الكتلة الشرقية التى أملت على مصر سياسة إقتصادية ذات أبعاد سياسية تخدم مصالح سوفييتية ، أهمها القضاء على دور مصر القيادى فى بناء التكامل الإقتصادى فى العالم العربى .

فى هذا المناخ المتحدى لحزب البعث السورى ، والمستجيب لإلهام الحزب الشيوعى المصرى ، صاغ الرئيس جمال عبد الناصر بصفة مفاجئة قوانين يوليو الإشتراكية سنة ١٩٦١ . التى شرح أبعادها فى خطابه الذى ألقاه فى عيد الثورة التاسع بتاريخ ٢٢ يوليه ١٩٦١ ، (صفحة ٤٥٩ مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر – المجلد الثالث) حيث قال (لازم نغير المجتمع تغييرا كاملا من أساسه .. لازم نبنى دولة جديدة لازم نقيم ديمقراطية جديدة لازم نبنى دولة جديدة بنظام سياسى جديد وبنظام إقتصادى جديد وبنظام إجتماعى جديد .. وطبعا لا بد أن نفهم أن الإشتراكية

طريق لا نهاية له .. فيه ناس قالوا لى ماهو المقصود بالإشتراكية . طيب حنوصل لغاية فين ؟ حددوا لنا .. مانقدرش واحد ماشى فى سكة ملهاش آخر) .

ثم طرح الرئيس فى نفس ذلك الخطاب صورة جديدة للعلاقات الإنتاجية فقال (صاحب العمل بيساهم برأسماله بإقامة المصنع .. العامل يساهم بعمله فى إقامة المصنع ، صاحب العمل بيأخذ فائدة على الفلوس التى وضعها ، والعامل بيأخذ أجر على عمله ، واللى بيزيد عن كده بينقسم بين الإثنين . بين صاحب العمل والعمال .. ولا بد للعامل أن يأخذ ربع الأرباح) .

ولم يشرح الرئيس ما يتحمله العمال من الخسارة إذا حلت بالمصنع خسارة .
وهل (تنقسم الخسارة بين الأثنين) بين صاحب العمل والعمال كما ينقسم الربح ؟ وهل يستحق صاحب المصنع فائدة فقط على رأس ماله كما لو كان مجرد دائن للمصنع ؟

ومن الذى يضمن له إستيفاء هذا الدين إذا أفلس المصنع ؟

وإذا كان صاحب المصنع يتحمل مسئولية أخرى لا يتحملها الدائن فيتحمل كل الخسارة ، ثم يتحمل ضياع كل الدين ثم فوق ذلك يتعرض لإشهار إفلاسه ، أفلا يستحق نصيبا آخر فى مقابل هذه المجازفة التى لا تخلو منها أية عملية إستثمار ؟

ثم أين مكافأة الإبداع والإختراع والسهر المضنى وارتياد الآفاق الجديدة إذا كنا سنعتبر المستثمر مجرد دائن ، ومن المحتمل فى خطاب سياسى آخر نعتبره مجرد مرابى وخائن تتسابق الجماهير إلى سفك دمه بإسم الإشتراكية التى أصبحت (ماشية فى سكة ملهاش آخر) الأمر الذى دفع بعبد الناصر إلى دوامة ليس لها قرار . وكنت أدعو أن يجعل الله له منها مخرجا .

فى نفس ذلك الخطاب ترك الرئيس عبد الناصر محاولة تحقيق (الممكن) وتعلق بوهم من أوهام (المستحيل) ، فقد تحول فجأة من شعار (تقريب) الفوارق بين الطبقات ، وهو شعار إسلامى ممكن ، وأعلن شعار (تذويب) الفوارق بين الطبقات ، وهو شعار ماركسى مستحيل .

فإذا أضفنا إلى هذا الشعار الماركسى التزام عبد الناصر بوصف إشتراكيته بأنها (الإشتراكية العلمية) كما جاء فى صفحة ٧٢ من الميثاق الوطنى الذى أصدره فى ٢١ مايو ١٩٦٢ ، أى قبل قيامنا بالثورة اليمنية بأربعة أشهر فقط ، لعرفنا لماذا تحاشيت السير مع عبد الناصر واشتراكيته العلمية فى طريق ليس له آخر من وجهة نظر عبد الناصر . أما من وجهة نظرى وتأمل المتابعين لسياسة مصر الاقتصادية الإشتراكية فقد ساد عندى الإنطباع ، كما ساد عندهم ، أن مصر قد أخذت تتجه رويدا رويدا نحو الشيوعية الماركسية .

وقد اشترك الرئيس في خلق هذا الإنطباع بنفسه أثناء حديثه إلى التليفزيون الأمريكى (كولومبيا) بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٩٦١ حيث سأله المذيع بقوله (هل تقفون عند هذا الحد من تأميم الصناعات أم يحتمل أن تجدوا أنفسكم فى طريق يؤدى إلى نوع من السيطرة الكاملة على كل نشاط ؟) فأجاب الرئيس قائلا (لقد سُئلت هذا السؤال عدد من المرات .. لقد كان رأيى دائما أنه من المستحيل أن تكون هناك حدود مرسومة ..) .

فعاد المذيع سائلا :(هل يمكن أن تذكروا لى الفارق الرئيسى - فى نظركم - بين نظامكم الإقتصادى بالصورة التى تطور عليها الآن والنظام الإقتصادى الشيوعى ؟) فأجاب الرئيس بقوله (أعتقد أن الإشتراكية ليست مجرد اقتصاد وإنما هى أسلوب فى الحياة كتلك الحال بالنسبة للشيوعية ، فهى ليست مجرد اقتصاد ، وإنما هى أسلوب فى الحياة وأنى لا أجد اختلافات كبيرة بين الأسلوبين) أى أنه لا يوجد اختلاف كبير بين الأسلوب الإشتراكى المصرى والإسلوب الشيوعى الماركسى كما قال الرئيس بنفسه .. (صفحة ٥٠٨ من المجلد الثالث من مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر الذى أصدرته وزارة الإرشاد القومى فى حياة سيادته) .

وكانت النتيجة لهذا التحول المفاجىء من العدالة الإجتماعية إلى الإشتراكية ، التى يقول الرئيس عبد الناصر عنها أنه لم يجد اختلافات كبيرة بينها وبين الأسلوب الشيوعى ، استغل قادة الإنقلاب السورى الإنفصالى هذا التحول المفاجىء بعد شهرين فقط من إعلانه ، فقاموا بانقلابهم فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ .

ومع أن الأسباب الحقيقية التى أدت إلى ذلك الإنقلاب كانت فى الأساس أسبابا سياسية وإدارية ومؤامرة أجنبية إلا أن زعماء الإنقلاب أرادوا استمالة الشعب السورى المؤمن بالوحدة العربية السياسية حتى يكفر برايتها الإشتراكية التى أخفت تحتها أنياب ومخالب الشيوعية الماركسية ، فهب الشعب السورى يؤيد زعماء الإنقلاب الإنفصالى بعد أن أذاعوا فى بيانهم الأول (إنهم يرفضون اشتراكية عبد الناصر لأن الشعب السورى يرفضها جملة وتفصيلا) .

وهذا ما أكده الرئيس فى بيانه الذى أذاعه فى الساعة السابعة من مساء يوم الإنقلاب فقال (توالت البيانات .. فيها هجوم واضح على الإشتراكية) ، وفى خطابه بتاريخ ٢ أكتوبر سنة ١٩٦١ أى بعد أربعة أيام من الإنقلاب الإنفصالى قال الرئيس أمام الشباب العربى بجامعة القاهرة (يقولون فى دمشق أنهم سيقيمون إشتراكية حقيقية وهذه الإشتراكية اللى اتكلموا عنها قالوا : ليس معنى الإشتراكية التأميم وأن التأميم أثر على الحركة الإقتصادية فى سوريا) . هكذا قال الرئيس نقلا عن إذاعة دمشق . (صفحة ٥٤٥ المجلد الثالث السابق ذكره) .

بعد ذلك ، وكنتيجة حتمية لتنازل الرئيس عن العدالة الإجتماعية وتحوله المفاجىء إلى الإشتراكية إضطر إلى التنازل الحتمى عن الوحدة الوطنية بعد أن قسم الشعب إلى أبناء شعب وأعداء شعب ، وهذا ما أوضحه فى خطابه أمام الإجتماع الأول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦١ حيث قال (هناك خلافات أساسية

وخلافات جذرية .. أعداء الشعب هم جميع القوى والجماعات التى تناهض هذه الثورة الإشتراكية .. هناك أصبح خلاف واضح بين الشعب وأعداء الشعب فى هذه المرحلة) .

وكان من الطبيعى أن يتفاقم هذا الخلاف المنطقى ، على الأقل ، من جانب صغار المدخرين الذين شجعتهم الدولة بكل الوسائل المغرية . وبلسان الرئيس نفسه من أجل أن يستثمروا مدخراتهم فى إقامة الصناعات الوطنية الجديدة . ثم بعد ذلك تقوم نفس هذه الدولة وعلى يد نفس القيادة فتنقلب على هؤلاء المدخرين الصغار ، الذين أصبحوا موصوفين بصفة رسمية بأنهم مستغلون ، بينما كانوا فى معظمهم من ، صغار الموظفين ، والجنود ، والعجزة ، والأرامل ، والأيتام ، الذين كانت المحاكم الشرعية تفرض على أوصيائهم شراء تلك الأسهم التى تطرحها الدولة على أساس أنها استثمار مضمون لا يعرض أموال اليتامى للضياع .

وكان هؤلاء المدخرون الصغار يعيشون على الدخول البسيطة التى كانت تدرها عليهم تلك الأسهم ، كما كانوا يحلمون بإمكان زيادتها فى المستقبل .

فوقعوا فى مصيدة تشجيع الدولة لهم ثم إنقلاب نفس هذه الدولة عليهم .
وحتى الطبقة العاملة التى رفعت الدولة شعار الدفاع عن حقوقها ورفع مستواها لم تقبل الدولة أن ترفع مستواها ، عندما رفضت تشجيع العمال على الإدخار باستقطاع جزء من أجورهم وأرباحهم على أقساط مريحة فى مقابل حصولهم على أسهم فى المصانع التى يعملون بها ، وبررت الدولة هذا الرفض بأنها تخشى من أن يتحول العمال الكادحون إلى طبقة رأسمالية جديدة .

وكان أحد أعضاء الهيئة البرلمانية للإتحاد الإشتراكى يقترح تمليك العمال والموظفين ٢٥٪ من المصانع التى يعملون بها بتقسيط ثمنها على عشر سنوات مقابل جزء من الأجور والأرباح المخصصة لهم فرفض الرئيس قائلا أن (تمليك العامل النهاردة معناه رجوع ، حاخلق طبقة رأسمالية ، وحاأقلل بهذا سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج) .

وبصرف النظر عن وجهة نظرنا نحن كإقتصاديين فى إقتراح عضو الهيئة البرلمانية المذكور فإن رفض عبد الناصر لهذا الإقتراح معللا رفضه بالخوف من أن يتحول الأسطى محمد (الكادح) والأسطى إبراهيم (المسحوق) وبقية زملائهم ، جرجس وصموئيل وعم خليل ! إلى طبقة جديدة رأسمالية ، يدل على أن سبب تأميم المشروعات القديمة لم يكن مجرد استرداد دماء الشعب التى امتصها الرأسماليون القدامى . لأن الرأسماليين الجدد لن يصبحوا أصحاب أسهم جديدة ومحدودة إلا بعد قيامهم بامتصاص بعض قطرات من عرق اليوم لتحسين معيشة الغد .

وهذا مايرجح أن الرئيس عبد الناصر قد تحول إلى رفض الإستثمار الخاص ، وكراهية الملكية الخاصة ، وإن كان فى ذلك الوقت يعترف بهما فى الميثاق من باب الضرورة (الشكلية) وبصفة مؤقته لأنه وضع أمامهما العراقيل (العملية) فى التنفيذ ، مطمئنا إلى إلغائهما تماما أثناء سير الإشتراكية التى (تمشى فى سكة ملهاش آخر) .

وكان السبب المعلن لتبرير إجراءات تقييد الإستثمار الخاص هو حرص الدولة على مبدأ سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج وهو شعار ماركسى أيضا ، وليس شعارا عربيا ولا مصريا ولا إسلاميا ولا علميا .

ولم توضح الدولة فى مصر كيف يمارس الشعب المصرى سيطرته على وسائل الإنتاج ..

إذن ..

لم يكن أمام مصر سوى النموذج المعروف فى تطبيق الماركسية صاحبة هذا الشعار ، حيث استولى الحزب الماركسى على السلطة السياسية والإقتصادية بإسم سيطرة الطبقة العاملة على وسائل الإنتاج .

ثم استأثر بها الحزب وأبعد عنها الطبقة العاملة .

ثم احتكرتها قيادة الحزب وأبعدت عنها الحزب .

ثم انفرد بها زعيم القيادة وأبعد عنها القيادة .

هذا هو الأسلوب الماركسى فى سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج . وقد زينه الماركسيون المصريون للرئيس عبد الناصر مستغلين ميله إلى أن يكون حاكما منفردا مسيطرا على مقاليد الحكم فأقنعوه بأن ذلك يتوقف على مدى سيطرته على أرزاق المحكومين . وكان هدف الماركسيين المصريين ، والمتمركسين الإنتهازيين ، توريط عبد الناصر بدفعه إلى الخروج عن مجال المقومات الإقتصادية للنهضة المصرية والزعامة العربية ، مع تجريده من نصائح زملائه الثوار المعتدلين وخبرة الإقتصاديين المصريين ، حتى تتمكن الشيوعية الدولية من اقتحام البوابة العربية عن طريق قاهرة المعز الإسلامية .

فى غياب النموذج المحدد للإشتراكية فى مصر التى (تمشى فى سكة ملهاش آخر) بدأت نهاية الإستثمارات الخاصة فى مصر .

وعلى خلاف ما يقتضيه العلم الذى يشترط البدء أولا باستخلاص النظرية ثم طرحها بعد ذلك للتطبيق للتعرف على ما لم يخطر على العقول من نتائج إيجابية وسلبية أثناء صياغتها ، اعترف الرئيس جمال عبد الناصر بأنه لم يتقيد بهذا النهج العلمى فقال فى خطاب أمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ (لوطلبتم منى محاضرة يوم ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ لقلت لكم محاضرة فى التكتيك أو أى موضوع عسكرى ، إن ظروفنا قضت بأن يكون تطبيقنا الثورى سابقا للنظرية الثورية) .

فى نفس ذلك الخطاب شرح الرئيس كيف تفادى الإستفادة من أراء الخبراء الإقتصاديين المصريين فقال (يقول الفنيون رأس المال الأجنبى بيكش ما تعملش الشئ الفلانى رأس المال جبان ... أما ابتدو يلبشونا من أول يوم ، وأنا جيت فى يوم من الأيام وقررت أن أقرأ أربع ساعات أو خمس ساعات علشان أعرف كل العمليات دى

بالتفصيل ، يعنى ما بأقتش أقبل الكلام ده ، وآخذ برأى الفنيين وأقول لهم أيوه طيب حاضر) إلى أن قال (أنا أعلنت بعد كده إنى ضد أى استثمار إلا إذا كانت هناك ضرورة ماسة لذلك) صفحة ٥٨٩ من نفس المجلد السابق ذكره .

٤

مع إعجابى العظيم بزعامة عبد الناصر الشخصية لم أنقل عنه فى اليمن سياسته الإقتصادية التى وصفها بأنه لا تعتمد على نظرية ، فوقع فى مصيدة الماركسية متصورا أنه يتحداها بتجربة ناصرية .

ويعرف الإقتصاديون أن قرارات عبد الناصر التى تلقنها من العناصر البعثية والماركسية لا يمكن أن تحقق أية نهضة اقتصادية ، وإنما تؤدى إلى مزيد من تخلف الحياة الإجتماعية ، لأنها سلبت الحرية الشخصية واستبدلتها بالسيطرة السياسية ، فقتلت الحوافز الفردية فى وقت تعانى فيه الدولة من ندرة الكفاءات الإدارية .

وفى غياب المنتج المجازف والمبتكر الخلاق والمستثمر المبدع تحملت الدولة أعباء المستهلك المسرف والمقلد العاجز والعاطل الكسول ، الذين يجيدون سهولة التصفيق ولا يحملون هموم الإنتاج .

لم تقصر الوثائق المصرية فى إثبات أن عبد الناصر لم يفكر فى الإشتراكية عند قيامه بالثورة فى يولية ١٩٥٢ وأنه حتى مارس ١٩٦١ كان سعيدا بالعدالة الإجتماعية التى تقوم على الحوافز الشخصية والوحدة الوطنية ، وأثبتت أنه بعد أربعة أشهر فقط (من مارس ١٩٦١) إنقلب على العدالة الإجتماعية وألغى الحوافز الشخصية وأصدر قراراته الإشتراكية فى يولية ١٩٦١ .

وبعد شهرين أثنين إنفصلت الوحدة المصرية السورية وتهيأ المسرح العربى للنكسة العربية كما تهيأ المسرح المصرى للأزمة الإقتصادية .

ومع ذلك ..

وعلى نقيض سياق التاريخ .. نشر السيد على صبرى نائب رئيس الجمهورية المصرية السابق فى صحيفة (الأهالى) بتاريخ ٢٨ يولية ١٩٨٢ فى الصفحة السابعة زاعما أن اختيار جمال عبد الناصر الإشتراكى (كان محددا وسابقا لقيام الثورة . ولكن لم يكن يريد أن يقفز على الواقع ، سواء بالنسبة للمجموعة التى شاركته فى الإعداد للثورة والقيام بها ، أو بالنسبة للشعب فى مجموعه ، ولا أظننى أتجاوز الحقيقة إذا قلت أنه لو أعلن عبد الناصر الإختيار الأشتراكى فى بداية الثورة ، فإن جزءا كبيرا من شركائه لم يكن ليشارك فيها أصلا ، بل أن الشعب نفسه لم يكن مؤهلا لقبول كلمة الإشتراكية ..) إلى أن قال (ليس هناك خلاف أن قوانين يولية ١٩٦١ كانت نقطة تحول سياسية ، تم

على أساسها فرز موضوعى فى القيادة ، فالذين لم يوافقوا على التوجهات الجديدة اختاروا أن يتركوا مواقعهم في القيادة . لم يطلب أحد منهم ذلك . ولكن قوانين يولية الإشتراكية فى ١٩٦١ وما تلاها أكد لهم الإتجاه الجديد للثورة وأنها عملية مستمرة فقرروا هم اتساقا مع موقفهم الإجتماعى والسياسى أن لا يشاركوا فى المسئولية فى المرحلة الجديدة) .

إدعاء على صبرى أن (إختيار جمال عبد الناصر الإشتراكى كان محددا وسابقا لقيام الثورة يتناقض مع ما ثبت على لسان عبد الناصر نفسه يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ (المرجع السابق) حين قال (لو طلبتم منى محاضرة يوم ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ لقلت لكم محاضرة فى التكتيك أو أى موضوع عسكرى ، إن ظروفنا قضت بأن يكون تطبيقنا الثورى سابقا للنظرية الثورية) .

كما يتناقض حديث على صبرى مع قيام عبد الناصر بتشجيع المصريين على تأسيس الشركات المساهمة ، ويتناقض مع جميع ما سبق شرحه فى سياق العرض التاريخى الموثق لمسار عبد الناصر فى المجال الإقتصادى .

غير أن الجديد فى حديث على صبرى أنه أقر بأن (عبد الناصر لو أعلن الإختيار الإشتراكى فى بداية الثورة فأن جزءا كبيرا من شركائه لم يكن يشارك فيها أصلا) .

ثم أضاف ما هو أكثر من ذلك خطرا حين قال (بل أنا الشعب نفسه لم يكن مؤهلا لقبول كلمة الإشتراكية) .

ثم أراد أن يحصر الخلاف اللاحق بين عبد الناصر ومعظم شركائه من قادة الثورة المصرية فقال انها (قوانين يولية الإشتراكية) التى وصفها بأنها (نقطة تحول أساسية ، تم على أساسها فرز موضوعى فى القيادة) .

إن على صبرى كأحد أقطاب رافعى شعار الإشتراكية لم يفطن إلى تناقض حديثه المنشور فى صحيفة (الأهالى) مع خطب عبد الناصر الرسمية الموثقة فى الوثائق المصرية .

لكنه ، على أى حال ، أثبت سنة ١٩٨٢ ، أى بعد عشرين عاما ، بأننى كنت على حق حين قلت سنة ١٩٦٢ بأن عبد الناصر عندما رفع شعار الإشتراكية سنة ١٩٦١ كان متحديا لحزب البعث السورى ومستجيبا لإلهام الحزب الشيوعى المصرى .

لقد أقر على صبرى بأن الشعب المصرى (لم يكن مؤهلا لقبول كلمة الإشتراكية) وأن أغلبية شركاء عبد الناصر فى قيادة الثورة قد انفضوا من حوله بعد أن إنفرد برفع شعارها .

معنى ذلك أنه رفع شعار الإشتراكية غير مستند على زملائه من قادة الثورة ولا خبرائه من الإقتصاديين المصريين ، وإنما واقعا تحت تأثير الآخرين من الإنتهازيين أو ذوى العلاقة السوفيتية ، لأنهم وحدهم كانوا أكثر المستفيدين من تجريد عبد الناصر

من شركائه الثوار ، وإجهاض الثورة ومن حولها الأمة العربية ودفعها فى هاوية ليس لها قرار ، حتى تحكم الماركسية قبضتها على عنق عبد الناصر رئيس مصر وزعيم الأمة العربية .

وحين أحكمت هذه العناصر قبضتها على عنق عبد الناصر لحساب السياسة السوفيتية تركت له حرية الإختيار بين أن يعيش بضغط الدم الماركسى ، أو يموت بفقر الدم الإشتراكى .

ذلك لأنه بعد أن وقع عبد الناصر فى أيدى القيادات المتسللة غير المبدعة ، أعجبه تصفيق الجماهير الجائعة ، ولا يدرى أنه رسم الطريق إلى الفاجعة ، التى تشعلها نفس هذه الجماهير عندما يجف اللبن السهل من صدر الدولة العاجزة ، التى لا يمكن أن تكفى الملايين المتزايدة من المستهلكين المقلدين العاطلين الظاهرين والمقنعين ، الأمر الذى ورط عبد الناصر حتى ملأ سجونه ومعتقلاته بكل من يشعر بالجوع فيصرخ ، أو يثور على اليأس فيستغيث ، أو يكتشف الوهم فيحلم بالحقيقة .

ذلك ما كانت تسعى إليه العناصر ذات العلاقة السوفيتية من خلال اختفائها تحت شعار الإشتراكية الناصرية وهو خلق مناخ الرفض الشعبى العام للنظام الذى تصفق له وتهتف بحياته .

وكما قال على صبرى ، بحق ، إن القرارات الإشتراكية كانت نقطة تحول أساسية ويقول الخبراء أن عبد الناصر وقع بهذه القرارات فى يد الشرق فأصبح تلقائيا من أعداء الغرب .

قبل الشرق من عبد الناصر اشتراكيته غير الماركسية على أنها مرحلة انتقالية ، وتعامل الغرب مع عبد الناصر على أنه أصبح أداة من أدوات الشيوعية فى الساحة العربية .

ذلك لأنه اختار السير فى (سكة ملهاش آخر) . سكة الإشتراكية التى أصبحت بتكرار الخطأ الشائع مرادفة للشيوعية ، بعد نجاح الثورة الماركسية فى روسيا سنة ١٩١٧ وهزيمة ألمانيا سنة ١٩٤٥ والتواجد العسكرى السوفيتى فى أوروبا الشرقية الذى أقام أنظمة ماركسية فى دولها وسماها بالكتلة الإشتراكية ، وبالتالى أصبحت الإشتراكية اصطلاحا شاع استخدامه للدلالة على البلاد التى تقوم على أساس النظرية الماركسية . كإصطلاح الشرق أو الغرب الذى يسود الآن استخدامه للدلالة على مذهب الدولة الإقتصادى وموقعها السياسى ، وليس للدلالة على موقعها الجغرافى ، فيقال إن كوريا الجنوبية دولة غربية رغم أنها من أقصى الشرق ، وأن كوبا دولة شرقية رغم أنها فى أقصى الغرب .



بعثة خبراء الطيران العرب عند وصولها الى مطار صنعاء ، وكان فى استقبالهم الدكتور عبد الرحمن البيضانى والطيارون اليمنيون

مجلة المصور (١٢ أكتوبر ١٩٦٢)

٥

كنت أعتقد أننا ، كيمنيين ، إذا استخلصنا منهاج تطورنا بالإجتهاد فى إطار عقيدتنا الإسلامية ومن واقع بلدنا فإننا قد نتحاشى الصدام مع البعثية والناصرية ، وإننا إذا التقينا فى منهاج تطورنا اليمنى فإننا نلتقى جميعا فى المصلحة العربية والوحدة العربية .

وإذا كان البعثيون يرون أن زعامة البعث هى الأقدم بينما يرى الناصريون أن زعامة عبد الناصر هى الأقدر فإننا كنا فى اليمن فى حاجة إلى زعامة عبد الناصر الذى لولاه لما قامت الثورة ، كما كنا فى حاجة إلى البعثيين لتحقيق الوحدة الوطنية اليمنية .

لذلك بذلت قصارى جهدى لتحقيق الوحدة الوطنية بين الناصريين والبعثيين معتمدا على كونهم يمنيين وطنيين يرفعون شعارات حزبية لا تستند على نظريات تبرر الصراع الحزبى فى اليمن ، وتهدر طاقاتها الضعيفة فى الخلاف الشخصى بين زعماء القاهرة ودمشق ، بينما أخذ الماركسيون اليمنيون يتكاثرون فى اليمن على أيدى المدربين العسكريين الذين وصلوا إلى اليمن قبل الثورة من بلاد الكتلة الشيوعية للتدريس فى مدارس الأسلحة اليمنية ، وبفضل الماركسيين الروس الذين قاموا مشكورين ببناء ميناء الحديدة .

وأعرف جيدا أنهم قادرون ، رغم قلة عددهم ، على الإندماج مع التجمعات الوطنية غير الماركسية ثم احتواء هذه التجمعات والسيطرة عليها ثم تصفية قيادات هذه التجمعات غير الماركسية تصفيات جسدية .

وكان أمامى فى كوبا أروع مثال ، فالثورة الكوبية لم تبدأ ثورة ماركسية ولم يكن فيدل كاسترو ماركسيا قبل أن تنجح ثورته ، فقد كانت حركة ٢٦ يولية بقيادة كاسترو تضم فى البداية عناصر متنوعة ، قسم منها برجوازى إنضم إلى صفوف المعارضة بعد إصلاحات ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، وإلى جانب حركة ٢٦ يولية كان هناك الحزب الإشتراكى الشعبى (الشيوعى) الذى ساهم هو أيضا فى النضال ضد باتيستا لكن مساهمته لم تكن حاسمة . وكانت هنا أخيرا حركة (الإدارة الثورية) التى نظمت فى ١٣ مارس سنة ١٩٥٧ هجوما فاشلا على قصر الرئاسة . أما التركيب الإجتماعى لهذه الحركات الثلاث فهو بوجه عام : حركة ٢٦ يولية فلاحية ، والحزب الإشتراكى الشعبى عمالى ، والإدارة الثورية طلابية .

وجرت أول محاولة لدمج هذه المنظمات الثلاث فى ٢٦ يولية ١٩٦١ يوم ولدت (المنظمات الثورية المندمجة) وقد تمت عملية التوحيد من فوق ، عن طريق تجميع مناضلى شتى المنظمات القائمة .

وكان عدم توازن القوى يعمل لصالح الشيوعيين المنظمين والمدربين ، ثم تولى هانيبال اسكيلانتى – وهو قائد سابق للحزب الإشتراكى الشعبى الشيوعى – مهمة الإشراف على تنظيم (المنظمات الثورية المندمجة) ، فسلم المراكز القيادية فى التنظيم المندمج لأعضاء قياديين سابقين فى حزبه الإشتراكى الشعبى الشيوعى .. وبعد أن استيقظ فيدل كاسترو واتخذ قرارات لمواجهة هانيبال اسكيلانتى حيث اعتقله وقدمه للمحاكمة العلنية ، وعزل بعض من عينهم فى المراكز القيادية . كان كل شيء قد انتهى وابتلع الحزب الشيوعى حلفاءه فى التنظيم الموحد ، من الذين كان لهم الدور الأساسى فى الثورة .

اضطر كاسترو إلى اعتناق الماركسية ، وقال قوله المشهور (أنا كوبى أولا ، أمريكى لاتينى ثانيا ، ماركسى لينينى حديثا) .

كان شبح الماركسية هو الذى يطاردنى ليلا ونهارا فى وقت كنا نحتاج فيه إلى مساعدة الإتحاد السوفيتى السياسية كما كنا فى حاجة إلى أسلحته وذخيرته للدفاع عن الثورة اليمنية ، معتقدا أن عبد الناصر لا يضيره أن نستخلص ما ينفع اليمن ما دمنا نعترف بزعامة مصر .

وقد تنبه الأستاذ ميشيل عفلق إلى خطر الشيوعية قبل ظهور عبد الناصر وشرح مخاوفه فى صفحة ٦٥ من كتبه (فى سبيل البعث) وقال (فى بلادنا عدد غير قليل من المثقفين المشوهين الذين غدت الثقافة فى أيديهم أداة إيذاء .. من هؤلاء أخذت الشيوعية فى بلادنا عناصرها المثقفة) .

تنبه ، ميشيل عفلق ، منذ وقت مبكر إلى خطر المثقفين المشوهين ، لكنه عندما رفض الماركسية لم يذكر لنا أسباب رفضه لها . لكنه رفضها ، ويشكره التاريخ العربى على رفضه لها .

كذلك كان عبد الناصر هو الآخر رافضا للماركسية قبل وقوعه فى خيوط عنكبوتها الإشتراكى فى يوليو ١٩٦١ ، قبل ذلك التاريخ كانت حرب عبد الناصر على الماركسية حملة ذات شقين ، أحدهما موجه ضد الماركسية الدولية وخصوصا فى العراق وسوريا ، وثانيهما ضد الماركسية المحلية ، حيث كان تحالف عبد الكريم قاسم فى العراق مع الشيوعيين العراقيين يستهدف التخلص من حركة القوميين العرب الناشئة . وكانت عمليات السحل والتعذيب للقوميين تجرى على قدم وساق . وفهم عبد الناصر أن الحركة الماركسية التى تستخدم ضد القومية العربية هى خطر لا بد من استئصاله فشن هجومه الصاعق على الشيوعيين .

فى سوريا ، كان خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السورى أحد الذين عارضوا وحدة مصر وسوريا وترك سوريا وبدأ جولة عالمية يندد فيها بدكتاتورية عبد الناصر . وعلى الجانب الآخر كان خروشوف زعيم الإتحاد السوفيتى (يداعب) عبد الناصر – على حد قوله – ساخرا من هذه (القومية الأكذوبة) . واستشاط عبد الناصر العربى الغيور علىٰ عروبته غضبا .

فى ٢٩ إبريل ١٩٥٨ كان عبد الناصر على رأس وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى موسكو . وفى حديثه لخرشوف قال أنه لن يسمح بقيام الحزب الشيوعى فى الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يعتقد أن الأحزاب الشيوعية تفهم أو تحلل تحليلا صحيحا طبيعة الحركة القومية فى الدول النامية ، وبالتالى لن يجيز قيامها ، ثم أكد لخروشوف أنه ليس مستعدا للإصغاء إلى أى شيء يتعلق بتلك الأحزاب .

وعندما تطورت الأحداث في العراق ، وبدأ الإنقسام الثورى بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ، أصبح الأول حليفا للماركسيين الذين يساندهم خروشوف والثانى للقوميين الذين يساندهم عبد الناصر . واشتعل الصراع ، لا بين عارف وقاسم فحسب ، بل بين قاسم وعبد الناصر ، واتخذ عبد الكريم من محكمة (المهداوى) الشهيرة منبرا للتشهير بعبد الناصر بمناسبة وبدون مناسبة ، واعتقل عبد السلام عارف نكاية فى كل القوميين العرب ، وركب الشيوعيين ظهر قاسم .

وفى محاولة لصد التيار الشيوعى قام (الشواف) فى مارس ١٩٥٩ بانتفاضة قومية في الموصل ، لكنه انهزم وسحقه الماركسيون ،وهيمنوا على كركوك وارتفع العلم الأحمر وسال الدم فى الطرقات ، حين أعدموا ثلاثة آلاف وخمسمائة شخص ، واعتقلوا عشرين من أنصار الشواف القوميين العرب ، وجعلوهم يحفرون قبورهم بأيديهم ، ثم أعدموهم رميا بالرصاص وألقوا بهم داخلها .

كان الإنقسام في العالم العربى بين الماركسيين والحركة القومية قد أصبح كاملا ، وقد خيل للماركسيين أنهم استولوا وهيمنوا على العراق كلية . وأخذ القوميون يحاربونهم بمرارة .

وفى سوريا أعلن الحزب الشيوعى بقيادة (خالد بكداش) رفضه لحل الأحزاب فى دولة الوحدة ، وانتقل إلى العمل السرى القائم على توزيع المنشورات .

أما فى مصر فقد أمتلأت المعتقلات بالماركسيين ومات أحد زعمائهم (شهدى عطية) وصدرت عنه وعما لاقاه من تعذيب أودى بحياته كتب مختلفة ، ونقل الإعلاميون الماركسيون إلى شركات باتا وغيرها من محلات بيع المواد الإستهلاكية ، وانتشرت فى مصر حركة (تطهير) ساحقة ضد الشيوعية ، إعلاميا وعمليا .

بعد كل مافعله عبد الناصر بالماركسيين قبل يولية ١٩٦١ وقع بين خيوط العنكبوت الماركسى فرفع شعار الإشتراكية التى وصفها بالعلمية ، فهرول إليه الشيوعيون الماركسيون الأذكياء وصفقوا له واندمجوا فيه وحملوا رايته وشدوه معهم فى طريق ليس له آخر ، كما فعلوا قبل ذلك بفيدل كاسترو ، وكما يفعلون بعد ذلك بكل من يطمئنون إلى زعامته ويختبئون فى عباءته وتحت رايته .

إننى لم أرفض الماركسية تعصبا ضدها ، ولا جهلا بها ، وإنما إثر دراسة مستفيضة رجعت فيها إلى أكثر من ألف مجلد كما شهد بذلك أستاذ العلوم السياسية الدكتور بطرس غالى[1] (الوثيقة رقم ٢٥) .

---

(١) حاليا وزير الدولة للشئون الخارجية فى الحكومة المصرية .

وخلاصة ما توصلت إليه من خلال هذه الدراسة أنه :

أولا - فلسفة فريدريك إنجلز المادية التي قيل أن كارل ماركس اعتمد عليها قد عجزت عن تقديم الدليل المادى على صحة أساسها النظرى ، ثم تقوقعت فى اعتبار العامل الإقتصادى عاملا جوهريا وليس عاملا وحيدا فى تفسير التاريخ ، وإننى - وبغير حرج - أسلم بهذه المَحصلة كلها ، دون أن أكون ماركسيا ، لأن هذه المسلمات فى هذه الحدود ليست إلا مجرد بديهيات يتقيد بها المفكرون فى كل المراحل ، وفى كل العصور قبل أن تبدأ الماركسية وبعد أن تنتهى .

ثانيا - إذا أراد حلفاء الماركسية أن يثيروا الجدول حول أصل العالم للتوصل إلى إنكار وجود الله عز وجل ، فإننى أعلم أنه فى جميع عصور التاريخ ظهر ملحدون ، وحتى يومنا هذا لا يخلو العالم من ملحدين دون أن يكونوا ماركسيين .

ولا أرى أية قيمة علمية فى الربط بين (حتمية الإلحاد) و (إمكانية التطور) ، فالعلم ليس وقفا علي الملحدين ، حتى يشترطوا الإلحاد على التقدميين .

ثالثا - إن النظرية الماركسية ليست أكثر من مجرد إجتهاد فكرى ظهر وليد (ظروف معينة) شأنه فى ذلك شأن كل الاجتهادات الفكرية التى تفرزها ظروف وتسقطها ظروف أخرى مختلفة . وقد شهد بذلك فريدريك انجلز قبل وفاته بثلاث سنوات ، وكتب فى صفحة ٣٦١ من كتابه فقال (لا يجب أن يزعم مفكر - أيا كان - أنه بلغ الحقيقة المطلقة والنهائية ، وأن أية فكرة هى وليدة ظروف معينة ، وقد تكون صالحة أو غير صالحة فى هذه الظروف بعينها ، وإذا كانت هذه الفكرة ملائمة اليوم فقد لا تصبح كذلك غدا) .

رابعا - كل ما اكتشفته إقتصاديا من خلال التنقيب الدقيق فى كتاب رأس المال لكارل ماركس فى مجلداته الأربعة ، من أولها إلى آخرها ، لم أتوصل إلى أى جديد اقتصادى علمى يحدد « القيمة » التى هى المحور الرئيسى للماركسية سوى عبارة أن « لعنصر العمل أهمية خاصة » وهذه العبارة لا تأتى بجديد ، لأن لكل عنصر من عناصر الإنتاج أهمية تزيد وتنقص بحسب كل سلعة وبحسب ظروف إنتاجها ، وأن وجود أهمية خاصة لأحد عناصر إنتاج سلعة معينة فى ظروف معينة لا ينفى أهمية عناصر الإنتاج الأخرى بالنسبة إلى هذه السلعة المعينة ، وحتى فى نفس هذه الظروف المعَينة .

خامسا - بينما ترفع الماركسية شعار إلغاء التميز الطبقى فإنها تقرره وتؤكده بإقرارها دكتاتورية طبقة البروليتاريا على غيرها من الطبقات . كما لا تمنع إفراز طبقات جديدة داخل طبقة البروليتاريا نفسها . وكل ما تؤدى إليه هو نقل السيطرة الطبقية من طبقة إلى طبقة أخرى . وبذلك لا يمكن التسليم بأن النظرية الماركسية « نظرية إجتماعية إنسانية » وإنما يلزم إعتبارها « أداة إثارة سياسية » تتسلح بها مجموعة متعطشة إلى السلطة كى تنقض عليها وتمارس تسلطها الدكتاتورى على بقية المجتمع ، وهذا ما يخرجنا عن دائرة الإقتصاد الإجتماعى ، ليلقى بنا فى ساحة الصراع السياسى الذى بدلا من أن يستثمر كل طاقاتنا من أجل تطوير أساليب التقدم الحضارى ، فإنه يستنفذ هذه الطاقات فى تطوير أساليب القمع البوليسى .

سادسا – إصرار الماركسية على تطبيق القوانين الماركسية فى أى مجتمع ، وبصرف النظر عن ظروفه الموضوعية المؤثرة فى حضارته إصرار يتنافى مع قول ماركس نفسه الذى أوضحه فى كتابه « نقد برنامج جوته » صفحة ٢٥ حيث قال « إن القانون لا يمكن أبدا أن يرتفع عن الحالة الإقتصادية للمجتمع وعن درجة الحضارة المقابلة له » .

ومعنى ذلك أن القانون الذى يحكم تطور مجتمع معين يلزم أن يراعى ظروف هذا المجتمع بعينه .

وعندئذ تصبح زيادة الإنتاج وعدالة التوزيع فى أى مجتمع مرهونة بمدى الإبداع فى التخطيط الإقتصادى الخلاق الذى يستميل حركة كل طاقات وموارد المجتمع البشرية والمادية فى اتجاه التقدم والتطور والرفاهية ، الأمر الذى يتطلب مفكرين إقتصاديين وسياسيين مبدعين لا مزايدين مراهقين ومنظرين سطحيين .

سابعا – بظهور الحضارة الحديثة التى لم يتنبأ بها ماركس أو انجلز ، ولا غيرهما من مفكرى القرن الماضى أو مفكرى أوائل القرن الحالى ، نجد أن قضية الإستغلال قد عجزت عن العثور على أى حل حاسم وجذرى للتطبيق الماركسى ، ولن تجد لها هذا الحل إلا عن طريق الفكر الإقتصادى والسياسى الذى يتلاءم مع طبيعة الحضارة الحديثة التى قفزت فى حركة صاروخية وفى غفلة من تاريخ البشرية القديم والبطىء .

ثامنا – بالرغم من أن الماركسية ترفع شعار الديمقراطية ، فلقد دلتنا الممارسات الماركسية على أن حتمية الإلتزام بتطبيق « المركزية الديمقراطية » فى المجتمعات الماركسية يجرد هذه المجتمعات من فرض الممارسات الفعلية للديمقراطية . وبذلك لا تلغى الماركسية « إهتمامها النظرى » بالديمقراطية فحسب ، وإنما تفصل أيضا « إرتباطها العلمى » عن موكب الفكر الحضارى الذى بحث عن الديمقراطية وطالب بها منذ أقدم العصور ، أذكر من ذلك على سبيل المثال :

سقراط فيلسوف أثينا الذى دفع حياته ثمنا لإيمانه بالديمقراطية وعوقب أروبيس بالطرد من أثينا لإتهامه بالتلوث بمشاعر غير خلقية لأنه طالب بالحرية السياسية .

ولا تزال العقوبات التى أصابت سقراط وأروبيدس فى العصر القديم تتكرر بشتى الصور فى « العصر الحديث » .

والسبب واحد : هو التطلع إلى الديمقراطية فى أنظمة لا تمارسها .

وعندما يكون ذلك هو مصير الشعار الديمقراطى الذى ترفعه الماركسية فإنها حينئذ لا تتميز عن الأنظمة السياسية الأخرى التى تقوم الماركسية بالعمل على إسقاطها .

تاسعا – إن شعار المساواة بين الناس الذى رفعته الماركسية لإكتساب الشعبية الجماهيرية لم يتحقق فى الممارسات العملية بسبب خلوه من العلمية ، ويشهد على ذلك التفاوت فى الأجور والمرتبات والحوافز المادية فى الأنظمة الماركسية .

عاشرا – إن النجاح فى تحقيق التقدم لا يتوقف على رفع شعارات جماهيرية ماركسية أو اشتراكية .. وإنما يتوقف على مدى النجاح فى إكتشاف وسائله الممكنه فى ظل نظام حضارى يرحب بالتقدم ويدفعه إلى المزيد من التطور .

حادى عشر – إن النظرية الماركسية لا تعتمد على ضوابط محددة تكفل قيام قيادة جماعية .

ثانى عشر – لم يثبت إحصائيا أن رفاهية الفرد فى المجتمع الماركسى أعلى من رفاهية الفرد فى المجتمع الغير ماركسى لأن الرفاهية الفردية ليست « موقوفة » على المجتمع الماركسى ولا هى « محظورة » على المجتمع غير الماركسى ، وأن المزيد من الجهد ، والمزيد من الإبداع ، والمزيد من الإنتاج هو الذى يؤدى إلى المزيد من الرفاهية .

ولا تتوقف هذه الرفاهية على كون ملكية وسائل الإنتاج « عامة » أو « خاصة » بقدر ما تتوقف على كون هذه الوسائل « عصرية » أو « متخلفة » .

والعصرية المنطقية والإسلامية فى نفس الوقت تربط الإنتاج الأكثر بالإبداع المشروع الأكثر . وتعطى الإبداع الأكثر العائد الأكثر . وفى نطاق التكافل الإجتماعى يتحقق ، وبغير صراع ، العدل الأكثر .. وهكذا ببساطة لا أقل ولا أكثر .

وإذا افترضنا تصور إمكانية الوصول إلى المرحلة العليا من الشيوعية حيث يؤخذ من كل حسب طاقته ويعطى لكل حسب حاجته ، فإن الإجتهاد النظرى حول من يعطى ومن يأخذ يتضمن فى جوهره جوابه الفطرى ، فالكل يفضل غريزيا وبشريا ، أن يأخذ ويفضل ألا يعطى .

وعندما يكون الأخذ « سهلا » يصبح العطاء « متعذرا » .

وعندما يصبح العطاء « متعذرا » فإنه ينقرض حتى يصبح الآخذ مستحيلا .

بتعبير آخر ..

إذا وصلنا إلى جنة الماركسيين ، أى المرحلة العليا من الشيوعية واختفت الدولة أى السلطة التى تنظم المجتمع الشيوعى ، ثم تصورنا إمكانية إعطاء كل حسب حاجته ، فلا بد أن نفترض أن يكون الكل قد بذل طاقته .

وفى حالة إنعدام الدولة .. ما الذى يمكنه أن يردع الإسترخاء البشرى الغريزى ؟ .. ما الذى يمنع تناقص الطاقة ويضبط هذا التناقص مع تزايد الحاجة ؟ .

أليس الصحيح أنه بغير رادع ولا مانع ستتناقص الطاقة .. أى العطاء .. أى العمل .. وعندئذ لا تتجاوب مع الحاجة .. أى الأخذ .. أى الرفاهية ؟ .
أليس الصحيح أنه عندما ينقرض العطاء .. ينقرض الأخذ ؟ .

وعندما يتزاحم الناس على الأخذ بغير سلطة تتولى تنظيمه .. أليس من الصحيح أن ينشأ صراع دموى بين المتزاحمين على هذا الأخذ ؟ .

وعندما تتناقص الطاقة بالنسبة إلى الحاجة ويستمر الصراع فى المرحلة العليا من الشيوعية .. أليس من الصحيح أن ينهار الأساس الأخير للنظرية الماركسية ؟ .

هذه خلاصة النظرية الماركسية ، فى إطارها العلمى ، وفى تطبيقها العملى لم يثبت أنها حقيقة خالدة ، بل ثبت أنها مجرد محاولة اجتهاد أفرزته ظروف معينة وتجاوزته ظروف أخرى ..

ثبت أنها ليست نظرية إقتصادية ينتفع منها الإقتصاديون .

وإنما هى « أسلحة سياسية » يزايد بها المتصارعون ..

وحين يثبت أنها محاولة طبقية فلن يثبت أنها ذات أهداف ديمقراطية .

إذن ..

إنحصرت خلاصتها الفلسفية فى إنكار « حقوق الله » لإنها لا تعترف بوجوده حتى تبطش بخلقه ..

وانحصرت خلاصتها التطبيقية فى إنكار « حقوق الإنسان » لأنها لا تعترف بطبيعته حتى تتحكم فى رزقه .

واشترطت لبقائها تطبيق أقصى وسائل العنف وبغير رحمة ، وقالوا عن ذلك « فلسفة » .

وسموا ذلك « نظرية » .



المؤلف يوقع أحد القرارات ، وعلى يمين الصورة حارسه الخاص الشهيد الملازم أحمد بيدر ، وعلى اليسار العقيد عبد الله الضبي نائب مدير الأمن العام .

٦

لقد رفضت الماركسية عن علم ، وتمسكت بالإسلام عن علم . فكما درست الماركسية درست الشريعة الإسلامية ، التى كلما درستها إزددت إيمانا بها .

وإننا المسلمون المثقفون نعترف ونتباهى بأننا مؤمنون وفى نفس الوقت عصريون متطورون .. نؤمن بالله ونؤمن بملائكته ، ونؤمن بكتبه ونؤمن برسله ، ونؤمن بلقائه ، ونشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداًرسول الله .

ولا نجد فى إيماننا هذا ما يمنعنا من دراسة كل الأبحاث والنظريات ، وفحص كل الممارسات ، واستخلاص كل الإيجابيات ، وتحديد كل السلبيات فى جميع الأنظمة والمجتمعات .. فإيماننا بالله قد قام على العقل والدليل والحجة الواضحة .. فالدين لا ينهى عن التطور ، ولا يحد من المعرفة بل يأمر بالعلم ، وبالمزيد من العلم ، وكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم هى سورة العلق .. فقال تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

فكانت هذه السورة قاطعة الدلالة على أن العلم هو « بداية الهداية » وليست الهداية هى « نهاية العلم » .. كما قال تعالى « وقل ربى زدنى علما » .

إذن لا يوجد أى تعارض بين أن نكون مؤمنين وبين أن نكون متعلمين ومعلمين ، بل إننا كلما استزدنا من العلم كلما اقتربنا من الله . قال تعالى : « شهد الله إنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » . وقال الرسول « العلماء ورثة الأنبياء » .

الإسلام لا يقر التخلف والفقر والحرمان ، بدليل قوله تعالى « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

الشيطان وحده هو الذى يسوق الناس إلى الفقر وليس الإسلام بقوله تعالى « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » .

فالأصل فى الأشياء كلها أنها حلال إلا ما حرم الله بنص قاطع ، وما حرم الله محصور فى إطار قوله تعالى « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ليس فى الإسلام ما يمنع من الإجتهاد المستمر والإستفادة المتواصلة من جميع العلوم والأبحاث العصرية المتطورة لتحقيق مصالح المجتمع المتجددة ، ما لم يصطدم ذلك بنص قاطع فى القرآن أو السنة .

ليس فى القرآن والسنة نص قاطع يمنع تحقيق مصالح المجتمع الحقيقية التى تتطور مع سنة التطور .

ولقد أثبت التاريخ أن المسلمين عندما أقاموا دولتهم وبسطوا سلطانهم فى أنحاء الأرض ، كان علماء المسلمين يقودون الحضارة ويتزعمون التطور ويخططون التقدم ويرسمون النهضة ويتصدرون صفحات العلوم والفنون ويقدمون إلى الإنسانية أرقى مبدعات العقول وأحدث مبتكرات العبقرية ، حتى انتشلوا أوروبا من عصر التخلف والظلام وساقوها إلى فجر التقدم والنهضة .

لقد كان الإسلام أول من أرسى دعائم الديمقراطية وهى « الشورى الحقيقية » التى يتولاها الأكفاء وهم أهل الحل والعقد من ممثلى الشعب الذين يضع المجتمع ثقته فيهم ، حتى يكون الحكم السياسى حكما شوريا تقيمه وتحرسه إرادة الأغلبية ، وحتى يصبح قرار السلطة العليا فى المجتمع منسجما مع الإرادة الشعبية تحقيقا لقوله تعالى فى سورة الشورى « وأمرهم شورى بينهم » وقوله تعالى فى سورة آل عمران « وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ».

أى أن مراحل إتخاذ القرار فى النظام الإسلامى تمر أولا بالشورى الحقيقية ، ثم ثانيا بعزم القائد ، أى إتخاذ قراره وفق هذه الشورى الحقيقية ، ثم ثالثا بتوكل القائد على الله ، أى إخلاصه وصدقه مع الله فى استخلاص عزمه إى قراره بعد هذه الشورى الحقيقية مستلهما التوفيق من الله .

وبذلك تتحقق الديمقراطية من الشورى ، وتنبع القيادة من العزم ويتجلى الإخلاص من خشية الله . وبذلك تستقر أنظمة الحكم وفق تطلعات الشعوب المسلمة المتدينة على نسق ما تقتضيه الشورى الإسلامية التى يتولاها أهل الحل والعقد من الخبراء المتخصصين فى مجال النهضة الإقتصادية والسياسية والإجتماعية ومعهم المجتهدون من فقهاء الإسلام حتى يتولوا صياغة مناهج التطور العصرى وتقنين حلول القضايا المتطورة والمتنوعة فى إطار الإجتهاد الإسلامى المستمر ، الذى هو أحد الركائز الأساسية فى الشريعة الإسلامية ، طالما كان هذا الإجتهاد المستمر ملتزما بأصوله الشرعية ، ومنها الإلتزام بعدم الإصطدام بنص قطعى الورود وقطعى الدلالة فى القرآن والسنة ، وحدهما دون سواهما .

ذلك لأن اجتهاد فقهاء الإسلام السابقين فى القضايا التى عاصروها ولم يجدوا لها نصا قطعى الورود والدلالة فى القرآن والسنة لا يمكن أن يحول دون اجتهاد فقهاء الإسلام اللاحقين بالنسبة للقضايا المتغيرة التى لم يعاصرها السابقون واصطدم بها اللاحقون ، طالما لم يجدوا لها حكما قطعى الورود فى القرآن والسنة .

هكذا يظل باب الإجتهاد الإسلامى مفتوحا متسعا للاهتداء إلى الأحكام الشرعية التى تتفق مع تطور العصور وتطور الإحتياجات الإنسانية وفق ما يلهمه الله إلى البشرية من علوم ومعارف واختراعات واكتشافات تخلق معها علاقات جديدة ومعاملات متغيرة وقضايا مستحدثة .

هذا ما يريده الإسلام من المسلمين .

ولو كان الله سبحانه وتعالى قد أراد أن يقفل باب الإجتهاد بعد موت فقيه معين من فقهاء المسلمين لكان سبحانه وتعالى قد قفله بانقطاع الوحى ووفاة الرسول ﷺ ، وبالتالى يصبح كل ما لحق بذلك من اجتهاد فى أيام الخلفاء الراشدين والفقهاء السابقين لغوا مخالفا للإسلام لا يجوز الإعتداد به أو الرجوع إليه ، وهذا ما لم يذهب إليه عاقل مسلم .

وذلك ما دعانى إلى الإلحاح على تشكيل مجلس الدفاع الأعلى من أغلبية علماء اليمن وجميع الشخصيات البارزة من شيوخ القبائل الذين يسمون بشيوخ « الضمان » ولم يكن الغرض من إنشاء هذا المجلس مجرد المساعدة على الدفاع عن الثورة والنظام الجمهورى ، وإنما البدء فى تطبيق المنهج الإسلامى والإتفاق على خطة إقتصادية إسلامية علمية يمنية مرحلية .

خطة إسلامية ، بمعنى أنها تستمد أصولها وجذورها من الشريعة الإسلامية . وفى مجال المصالح المرسلة متسع خصب للإجتهاد المستمر ، ما لم يصطدم ذلك مع نص قطعى الورود والدلالة من القرآن أو السنة .

خطة علمية ، بمعنى أنها تستمد عناصرها وتفاصيلها من أحدث الأبحاث الإقتصادية والتكنيكية والاجتماعية ، حتى تفصل هذه الخطة من نسيج العصر الحديث ، فتقفز باليمن إلى موكب التقدم .

خطة يمنية ، بمعنى أنها تنبثق من ظروف اليمن بالذات وتستهدف تطويرها هى بعينها ، حتى تتلاءم مخططات التطور الإقتصادى مع « ظروف التطور »

خطة مرحلية ، بمعنى أنها تستهدف علاج المرحلة اليمنية الحالية وحدها والتى نلم الآن بظروفها ونعلم حاليا وسائل تطويرها ، حتى تتلاءم مخططات التطور مع « تطور الظروف » .

وفى الحقيقة لست فى حاجة إلى وصف هذه الخطة بأنها خطة علمية يمنية مرحلية ما دمت قد وصفتها بأنها إسلامية .

فالإسلام يأمر بالعلم وبالمزيد من العلم ، أى يأمر بالعملية .

الإسلام يأمر بمراعاة الظروف المعينة بالحلول الشرعية ، أى يأمر بمعالجة كل مرحلة من مراحل الحياة ، أى يأمر بأن تكون اجتهادات التطور فى نطاق المعاملات مرحلية .

ولذلك يكفى وصف خطة التطور اليمنى بإنها إسلامية ، وفى إسلاميتها ما يتضمن كل هذه المعانى .

وما دمنا نتفق على أن الإسلام هو « نقطة البداية » وإن الإسلام هو « إطار الغاية » فعندئذ لن نختلف على التفاصيل الإقتصادية التى تراعى التطور الإقتصادى على مستوى « اليمن » كما تراعى فرص التكامل الإقتصادى على مستوى « العرب » ، واضعين فى إعتبارنا محاولة السعى إلى تحقيق وحدة إقتصادية إسلامية على مستوى البلاد الإسلامية ، لأن التقدم الإقتصادى والإجتماعى فى أى جزء عربى مرهون بمدى التكامل الإقتصادى العربى فى نطاق وحدة إقتصادية عربية تمهد السبيل إلى قيام وحدة سياسية عربية .

وعندما يكون الإجتهاد نابعا من الواقع ، ومستهدفا تجميله ، فإن التطور يمكن أن يتحقق بـ « علمية » لا تقر التخلف و « موضوعية » لا تثير حفيظته .

كنت حريصا على استخلاص منهاج التطور اليمنى عن طريق الإجتهاد ، وليس عن طريق التقليد ، وكنت أخاطب بالدرجة الأولى فئات المنتجين والمثقفين الذين يقع عليهم الدور الرئيسى فى حركة التقدم فى ظروف العصر التكنولوجى السيبرناطيقى الذى كان قد ظهر فى دول العالم المتحضر قبل ثورة اليمن ، الأمر الذى لا يشترط علينا أن نفتح باب الإجتهاد فحسب ، وإنما يفرض علينا أن نغلق باب التقليد نهائيا .

الإسلام يتضمن المبادىء الرئيسية التى تكفل التطور المتوازن بين الروح والمادة ، ويتسع للتطور المنهجى حتى يمكن استخلاص الحلول التفصيلية الملائمة لكل زمان ومكان ، ضمن الإطار الإسلامى العام .

فلا جناح علينا إذا بحثنا عن المتغير الذى يطرأ على ما نهتدى إليه فى أى وقت لاحق ، حتى يمكننا أن نهتدى ، بإدراكنا المتغير ، إلى أحكام أكثر ملائمة قد تظهر لنا فى المستقبل .

هذه طبيعة الإجتهاد فى استخلاص النتائج من التجارب وهى تعتمد على الحوار الموضوعى فى إطار المصلحة الوطنية ، وبذلك يسود الإرتباط الشعبى الملتزم بهذه المصلحة العامة محل الصيغ الحزبية والشعارات اللفظية التى تمزق الصفوف ، وتهدر الطاقات وتبدد الموارد ، فتشترك فى تعميق جذور التخلف .

ولم يكن جوهر هذه الخطة الإقتصادية إجتهادا طارئا طرحته بعد قيام الثورة فى عام ١٩٦٢ وإنما كان امتدادا لما سبق أن ناديت به فى الدورة الثالثة لحلقات الدراسات الإجتماعية التى نظمتها الأمم المتحدة فى دمشق وطبعتها جامعة الدول العربية عام ١٩٥٢ حيث ألقيت أبحاثا عن الإقتصاد الإسلامى فقلت فى صفحة ٢٦٧

(جاء الإسلام بخير طريق لتثبيت دعائم التوازن الإقتصادى بين طبقات الأمة ، بكيفية تفسح المجال لإنتاج الطبقات القادرة على تنمية الثروة القومية ، وتسمح فى الوقت نفسه بقدر من الحياة الكريمة للطبقات الضعيفة .. وقد جمع الإسلام شمل هذه الطبقات المتباينة من حيث القدرة والعجز بالتراحم والتعاطف والمودة .. وقيد الملكية بتكاليف مالية تمنع من تضخم الثروات ، وتحد من تفاوت الطبقات ، وتقرب بينها بالمعروف ، برغم أنها تحترم الملكية الخاصة ونظام الإرث) .

إلى أن قلت فى صفحة ٢٧١ أن :

(التشريع الإسلامى يقوم على الإعتقاد بأن الله هو خالق السموات والأرض وما بينهما ، وأن خالق الشيء هو مالكه ، فإذا مكن الله بعض الناس من بعض الأموال فقد منحهم إياها بعد أن تعلقت بها التكاليف العينية التى فرضها الله على الأموال ، فإذا لم يقم المالك بأداء هذه التكاليف فإنه يكون قد أخل بشروط الملكية مما يوجب على ولى الأمر أن يتدخل بإجبار المالك على تنفيذ ما أمر الله به) .

وشرحت فى صفحة ١٤٦ من مجلد تلك الحلقة كيف تؤدى كفاية الإنتاج إلى كفاية العدل ، فقلت

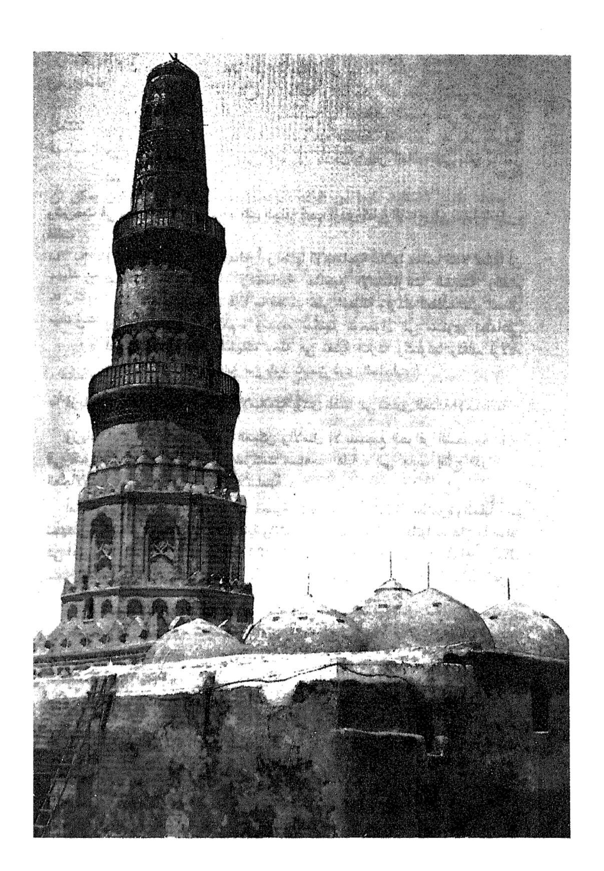
(إذا أرادت الدولة أن تعالج أمراضها الإجتماعية علاجا حاسما فعالا فعليها أن تقوم بإنعاش حياتها الإقتصادية بتشجيع الإستثمارات الخاصة والقيام بالمشروعات العامة ، فإذا ما قضت على البطالة وازداد الطلب على العمال إرتفع مستوى أجورهم ، وعندئذ يمكنهم الوصول إلى مستوى إجتماعى أفضل ، لأن الفرد يستهلك دخله فى تغذية أسرته وكسوتها وتعليم أولاده وتطبيب مرضاه ورعاية من يلوذ به من ذوى الحاجات) .

فزيادة الإنتاج فى إطار الحقوق الإسلامية يؤدى تلقائيا إلى تحقيق العدالة الإجتماعية .

وزيادة الإنتاج لا تتحقق بالقدر الممكن والأمثل إلا بتشجيع الحوافز الشخصية سواء فى صورة مشروعات فردية أو شركات مساهمة أهلية ، إلى جانب إنتاج الدولة فى المجالات الأخرى الإستراتيجية والأساسية .

أما أن تقتل الدولة هذه الحوافز الشخصية وتتحمل أعباء البطالة الظاهرة والخفية ، ثم تجهض ميزانيتها فى دعم السلع الغذائية والإحتياجات الضرورية ، فإنها سرعان ما تسقط فى أغوار الإستهلاك ولا ترتفع مطلقا إلى الحد الأدنى للمستوى الممكن للإنتاج ، وبذلك تنجح الدولة فى تحقيق الفقر الإجتماعى بدلا من السعى إلى تحقيق العدل الإجتماعى .

اعترف بهذه الحقيقة الأزلية الرئيس السوفيتى أندربوف فى مقال منشور فى صحيفة بوسطن جلوب الأمريكية صفحة ٣ بتاريخ ٢٧ يوليه ١٩٨٣ نقلا عن صحيفة برافدا الناطقة باسم الحزب الشيوعى السوفيتى . ثم عادت نفس الصحيفة الأمريكية فنشرت فى صفحة ٣ يوم ٦ أغسطس ١٩٨٣ ملخصا للدراسة السوفيتية التى قامت بها قيادة الكريملين والتى انتهت إلى حتمية إجراء تغيرات جذرية فى النظام الإقتصادى السوفيتى لإلغاء العقبات الإدارية التى تحول دون الاستفادة من الكفاءات الفردية التى تدفعها الحوافز الشخصية وبذلك تأتى القرارات السوفيتية سنة ١٩٨٣ لتؤكد صحة ما تمسكت به سنة ١٩٦٢ وما اختلفت حوله مع سياسة عبد الناصر الإقتصادية .





عقدت إجتماعا لمجلس الوزراء وعرضت عليه تصوراتى الإقتصادية والإجتماعية التى يمكن أن تضع الأهداف التى أعلنتها الثورة موضع التنفيذ .

ربما كانت آذان الوزراء غير صاغية أو غير مستعدة للإستماع إلى أبعاد المعركة الحضارية حيث كانت متسغرقة فى تأمل أبعاد المعركة العسكرية .

لعلهم كانوا على حق ، فقد كنت أعرض عليهم صورة جميلة لصرح حضارى بينما كانت الأرض التى سوف يقام عليها ذلك الصرح الحضارى تهتز من تحت مقاعدهم .

أو لعلنى كنت مسرفا فى الثقة عندما كنت أتحدث عن المستقبل الأفضل بينما طلقات الرصاص من حول صنعاء كانت تصل إلى آذان الوزراء وكأننى كنت أعزف أنشودة المستقبل على ألحانها . مما جعلنى أعيد ترتيب أولويات العمل فبدأت على الفور بالعمل على رفع الروح المعنوية بكل الوسائل الإعلامية ، مع الإسراع بإيضاح موقفنا السياسى والإقتصادى لدى المملكة العربية السعودية بعد أن أذاعت موقفها المؤيد للإمام الحسن ملكا على اليمن واستمرت إذاعتها فى الهجوم على الثورة اليمنية حتى أسرعت الجماهير اليمنية الغاضبة إلى إحتلال السفارة السعودية فى صنعاء ، فمقت بنفسى بإخلائها من الجماهير واصطحبت معى القائم بالأعمال السعودى الشيخ إسماعيل المعنى إلى مكتبى برئاسة الجمهورية وأكدت له أننا لا نريد أن نرد على الهجوم الإذاعى بمثله ، أملا فى إقناع الحكومة السعودية بصداقتنا وحسن عواطفنا ، وأضفت أن قيادة الثورة تنوى إرسال وفد يمنى على مستوى القمة إلى الرياض لتوقيع أية إتفاقية تراها الحكومة السعودية مطمئنة لها ،وإننا لا نرحب بانتقال الخلاف العربى إلى أرض اليمن ، بل يمكن أن نكون حمامة السلام فى ذلك الخلاف ، وأن الذى يجعلنا نتردد فى الإسراع بإرسال هذا الوفد هو تجربة إنقلاب اليمن سنة١٩٤٨ حين ذهب إلى السعودية القاضى محمد محمود الزبيرى فى مهمة مماثلة فاحتجزته الحكومة السعودية حتى فشل الإنقلاب .

ثم رجوت القائم بالأعمال السعودى أن يتوجه إلى الرياض ليبلغ هذه الرسالة إلى جلالة الملك سعود ، وقلت له أننا سوف نستدل على نجاح مهمته عندما تتوقف إذاعة السعودية عن مهاجمة الحكومة اليمنية ، وعندئذ يتحرك الوفد اليمنى إلى الرياض برئاستى ، أما إذا استمر الهجوم الإذاعى الذى كان يدعو الشعب اليمنى إلى قطع رؤوسنا فإننا سوف نضطر بكل أسف إلى مواجهة الموقف بمثله .

وبكل أسف ذهب القائم بالأعمال السعودى إلى الرياض فى حراسة يمنية حتى جيزان واستمرت الحملة الإعلامية السعودية ضد الثورة اليمنية فأضطررنا إلى الرد عليها ، وكان ماكان ، من الأحداث التى كنا نأمل فى تفاديها وكان عبد الناصر نفسه يرحب بأن نتجنبها .

أصدرت قرارا بتعيين الدكتور حسن مكى نائبا لى فى وزارة الإقتصاد برتبة نائب وزير ، وقرارا بتعيين الأستاذ محسن السرى نائبا لوزير الخارجية ، كما أصدرت قرارا بتعيين النقيب السيد محمد حسين الشامى قائدا لحرسى الخاص ، وقد اخترته لأنه هاشمى السلالة كى أثبت بالدليل القاطع أن قيام الثورة الجمهورية لم يضر بأى مواطن هاشمى طالما كان متجاوبا مع أهداف الثورة ، التى تستهدف تحقيق العدالة والمساواة أمام القانون بين جميع أبناء اليمن .

كان النقيب السيد محمد حسين الشامى هو الوحيد الذى سمحت له بأن يدخل غرفة نومى حاملا مدفعه الرشاش وهو يوقظنى من النوم لإبلاغى عن المواقف العسكرية الحرجة ، التى كانت تصل من القيادات فى المناطق المختلفة أثناء السويعات القليلة التى كان يغالبنى فيها النوم . وكان حريصا على حياتى أكثر من حرصه على نفسه .

أصدرت قرارا بتعيين هاشمى وطنى أخر هو السيد عبد الوهاب جحاف ليكون كاتم أسرارى ومرافقى الصحفى ومندوب الإذاعة اليمنية الذى يصاحبنى فى جميع تحركاتى .

كان العميد المصرى على عبد الخبير يشغل إحدى غرف القصر الجمهورى كما شغل ضابط الشفرة المصرى النقيب محمد عبد السلام محجوب ورجاله ومعداته غرفتين بالقرب من غرفتى التى يشترك معى السلال فى الإقامة فيها والتى الحقت بها غرفة فسيحة لا ستقبال الضيوف وعقد الإجتماعات .

طلبت من السلال إعلان تشكيل مجلس الدفاع الأعلى فاستدعى الزميل القاضى عبد السلام صبره لإعداد هذا التشكيل بحكم معرفته برؤساء وشيوخ القبائل ، فأجاب القاضى عبد السلام صبره بأنه لا يذكر منهم الكثيرين وأنه بحث فى دوائر المالية فلم يجد سوى القوائم القديمة التى مات معظم من تضمنتهم ، واقترح أن ندعو مشايخ الضمان من الإذاعة للإجتماع فى صنعاء فى اليوم الذى نحدده على أساس أن كل شيوخ الضمان يعرفون أنفسهم وأكد أنه لن يأتى غيرهم إلى صنعاء .

إتفقنا على هذا الرأى وأذيعت الدعوة إلى عقد هذا المجلس بعد إسبوعين حتى يتمكن رؤساء وشيوخ المناطق البعيدة من الوصول إلى صنعاء .

كنت أنتظر أن تسارع حكومة ألمانيا الإتحادية (الغربية) إلى الإعتراف بالجمهورية العربية اليمنية نظرا لما كان بينى وبين وزير خارجيتها الهر فون برنتانو من علاقات شخصية قوية ، وكذلك معظم المسئولين الألمان الذين سبق أن سمحوا لى بإلقاء محاضرة فى مدينة دورتموند أهاجم فيها النظام الإمامى وأدعو إلى الثورة وقيام الجمهورية اليمنية ، فلما تأخر الإعتراف الألمانى الغربى بحكومتنا الجمهورية أرسلت رسالة إلى الهر فون برنتانو أعاتبه على تأخره فأعلن إعتراف بلاده بالجمهورية اليمنية فى الحال . فكانت أول دولة غربية تعترف بالجمهورية اليمنية .

أثناء قيام العميد على عبد الخبير بجرد مخازن السلاح وصلت بضع طائرات مصرية بعد أن تم تركيب حوامل القنابل بأسفلها ، فجاءنى العميد على عبد الخبير ومعه طلب من المقدم عبد الله جزيلان لضرب منطقة عمران بالقنابل من الجو بسبب هروب البدر إليها ، واستأذننى العميد فى ذلك بصفتى نائب القائد العام فرفضت إعطاء الإذن بضرب هذه المنطقة لأنها من المناطق التى أيدت النظام الجمهورى ، ولا يجوز ضرب منطقة آهلة بالسكان لمجرد مطاردة فرد ولو كان ذلك الفرد هو الإمام البدر المخلوع ، لاسيما أن معلوماتنا المؤكدة كانت تقطع بأن البدركان بعيدا كل البعد عن مدينة عمران .

قلت للعميد على عبد الخبير أننا لو أمسكنا بالبدر لما قتلناه لأنه لم يرتكب جريمة يقتل من أجلها ، ذلك لأنه كان فى عهد والده الإمام لا حول ولا قوة ولم يقم بشىء يحاسب عليه بالإعدام خلال الخمسة أيام التى تولى فيها الإمامة فى اليمن ، وكل ما نبتغيه من مطاردته هو القبض عليه حيا وإحضاره إلى صنعاء ومحاكمته محاكمة علنية ، حتى يحكى للشعب كيف كان والده يحكم اليمن ثم يحكى ما يعرفه عن جده الإمام يحيى وأعمامه سيوف الإسلام ، وبعد ذلك نطلق سراحه حتى يختار أية دولة عربية يقيم فيها على حساب حكومة الجمهورية العربية اليمنية إلى أن تستقر الثورة فيعود إلى اليمن الجمهورى مواطنا جمهوريا له ما لنا وعليه ما علينا .

انصرف العميد على عبد الخبير وطوى فى جيبه ورقة جزيلان .

وصلتنى نصيحة من الرئيس جمال عبد الناصر بأن أغلق السفارتين الأمريكية والبريطانية لأنهما لم يعترفا بالنظام الجمهورى اليمنى ، فاعتذرت عن الأخذ بهذه النصيحة قائلا إن وجود هاتين السفارتين فى اليمن فى وقت الحرب أهم بكثير من وجودهما فى وقت السلم ، لأننا عن طريقهما نتمكن من إبلاغ ما نريد إبلاغه إلى واشنطن ولندن ، وعن طريقهما تعرف واشنطن ولندن نوايانا بصفة مباشرة وليس عن طريق وكالات الأنباء أو سفارات الدول الأخرى ، لا سيما أننا لن نخسر شيئا من وجودهما بيننا فلهما عملاء مندسون فى صفوفنا وفى وسع هؤلاء العملاء أن يشوهوا صورتنا فيعرقلوا مسعانا نحو إقناع هاتين الدولتين بالكف عن عداوتنا وتسليح خصومنا . كذلك إنهما ليسا فى حاجة إلى إستخدام الحقائب الدبلوماسية فى عمليات تهريب السلاح إلى هؤلاء الخصوم فحدودنا مفتوحة ومترامية الأطراف وبعضها بعيد كل البعد عن متناول أيدينا .

سألنى الرئيس جمال عبد الناصر عما إذا كنت أعرف قاعدة دولية واحدة تسمح ببقاء سفارة لدولة أجنبية على أراضى دولة أخرى لا تعترف بها ، قلت أن القانون الدولى عبارة عن سوابق تولد عندما تحدث لأول مرة ، وعندما يثبت نفعها فى المجتمع الدولى فإن دولا أخرى تنتفع من تطبيقها ، وبتكرار هذه السوابق يتعارف المجتمع الدولى على اعتبارها من قواعد القانون الدولى . وليكن السماح بوجود هاتين السفارتين الأمريكية والبريطانية على أراضى الجمهورية العربية اليمنية دون أن تعترفا بها أول سابقة من هذا النوع تهديها حكومة الثورة اليمنية إلى المجتمع الدولى ، فإذا ما ثبت فائدتها فإنها تصبح ضمن قواعد القانون الدولى منسوبة إلى ثورة اليمن .

أبقيت على هاتين السفارتين ودعوت سفيريهما ضمن من دعوت من السفراء لحضور مؤتمر دبلوماسى فى القصر الجمهورى ، حيث ألقيت كلمة فى هذا المؤتمر شرحت فيها ظروف اليمن قبل الثورة وأسباب قيامها والأهداف التى تسعى إليها ، واستنكرت مواقف بعض الدول التى ناصبت الجمهورية اليمنية العداء دون مبرر . وختمت كلمتى بقولى إننى كنت سفيرا مثلهم وأعرف أن السفراء يميلون عادة إلى إجراء أحاديث ثنائية مع المسئول فى الدولة المعتمدين لديها ، وقلت أننى سأنتقل إلى غرفة مكتبى فى الطابق الأعلى أنتظر أى سفير يريد أن يتحدث معى على انفراد .

أذكر أن السفير البريطانى عندما تحدث معى على انفراد سألنى عن أسباب إعدام وزير الإقتصاد الإمامى السيد عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب فقلت إننى شخصيا ضد قرارات الإعدام التى صدرت دون محاكمة ، وإننى كنت أفضل أن تستفيد الثورة ، فى وقت لاحق ، من رجال العهد الماضى ، لكننى عجبت من هذا السؤال وقلت له إنه بهذا السؤال قد أخل بموازين المعلومات التى كانت عندى لأننى كنت أتوقع أن يسألنى عنه السفير الأمريكى باعتباره رجل أمريكا الذى كانت تعده للإنقلاب فى اليمن وليس رجل بريطانيا ، أما رجل بريطانيا الذى كانت تعده هى الأخرى للإنقضاض على السلطة فى اليمن فقد كان السيد حسن بن إبراهيم وزير الخارجية .

سقط فى يد السفير البريطانى وانتقل إلى موضوع آخر حول الحدود بين الجمهورية اليمنية وبين جنوب اليمن المحتل ، فرجوته ونحن نحتكم للعقل ، ألا يتوقع منا أن نكون أقل وطنية من الإمام يحيى والإمام أحمد اللذين لم يعترفا بشرعية الوجود البريطانى فى الجنوب المحتل .

وقلت أننا لن نرسل جيوشنا لتحرير الجنوب وإنما نطالب بريطانيا بالاعتراف بحقه فى تقرير المصير تحت إشراف الأمم المتحدة ، وهذا حق كفله ميثاق الأمم المتحدة لكل الشعوب المستعمرة ، وقلت له أننا سوف نحترم إرادة المواطنين فى هذا الجنوب المحتل طالما كانت إرادة حرة لم يكرهها ضغط ولا إرهاب ، وأننا تحت شعار حق أهلنا الجنوبيين فى تقرير مصيرهم نتطلع إلى إنشاء علاقات وثيقة مع بريطانيا العظمى .

انصرف السفير سعيدأبهذا اللقاء ، وتذكرت حسرتى على من قتلتهم الثورة قبل وصولى وكان الأولى بها أن تحافظ عليهم معتقلين حتى تستقر الثورة فيأخذوا حقهم ويؤدوا واجبهم كمواطنين فى ظل الجمهورية التى تؤلف قلوب أبنائها .

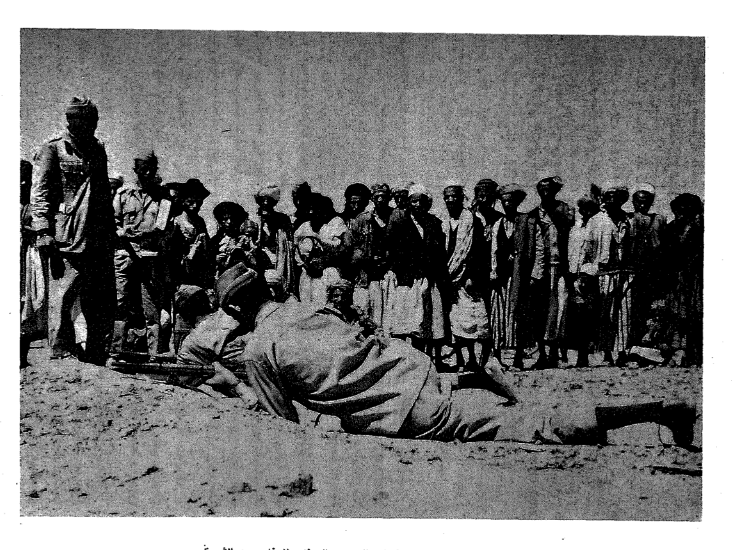
أنهم وأن كانوا فى ظل النظام الإمامى أسرى للطقوس العنصرية والتقاليد المذهبية فإنهم لم يذوقوا طعم النهضة فى اليمن ، ولم يجربوا حلاوة الإرتفاع بمستوى المعيشة ، فعاشوا داخل اليمن فى أقفاص الشعارات الكهنوتية ، بين قضبان العصبية العنصرية والمذهبية التى لا تسمن ولا تشبع من جوع .

فإذا ما اكتفت الثورة بإعتقالهم حتى تستقر أمورها وتثبت أقدامها ثم تطلق سراحهم ليستأنفوا نشاطهم فى ظل الجمهورية المستقرة الثابتة الأقدام ، فإنهم يشتركون فى بناء نهضة اليمن وصنع حضارتها الحديثة ، وقد يخرج من بينهم من يقتدى أثر عمر بن

الخطاب وخالد بن الوليد وغيرهم من الذين كانوا يتصدون للإسلام ثم أصبحوا من قادة المسلمين الذين خلدهم التاريخ بعد أن عرفوا أنه لا سيد إلا الله فذاقوا حلاوة الأيمان بالواحد الأحد الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، الذى دعا إلى العدالة والمساواة فألف بين قلوب المسلمين فأصبحوا بنعمته إخوانا ففتحوا المشرق والمغرب والشمال والجنوب وأسسوا الدولة الإسلامية المجيدة .

لكن وأسفاه .. لقد تعجلت الثورة وأخطأت عندما أعدمت الكثيرين من رجالات اليمن الذين لا يحق عليهم القصاص بالقتل سوى الشيخ عاطف المصلى الذى خان الثورة وأفشى للبدر أسماء الثوار فعرضهم جميعا للموت ومعهم أهداف الشعب وأحلامه .

وأحمد الله إننى سوف ألقاه ولا يسألنى عن دماء هؤلاء التى سفكها المتشنجون وكنت لا أزال فى طريقى إلى صنعاء بعد الثورة ، كما أحمد الله الذى وفقنى ، بمجرد وصولى إلى صنعاء ، إلى وقف تلك المذبحة الوحشية المناقضة لمبادىء الجمهورية .



تدريب المتطوعين من شباب الحرسى الوطنى للدفاع عن الثورة



وصل الأستاذ محسن العينى وزير الخارجية من بغداد عن طريق القاهرة حيث استقل طائرة مصرية خاصة ملأها بعدد من الطلبة اليمنيين ، بينما كان من المتفق عليه أن يستمر الطلبة فى دراستهم فى مصر حتى تستقر الثورة فلا تنتقل خلافاتهم الحزبية إلى أرض المعركة فى اليمن ، حيث كان بعضهم ينتمى إلى حزب البعث المعارض لجمال عبد الناصر . وكان لهؤلاء الطلبة اليمنيين نشاط فى مصر تحملته الحكومة المصرية إشفاقا عليهم أو على اليمن ، لكن حكومة الثورة اليمنية ما كانت تستطيع أن تتحمل مثل هذا النشاط الحزبى إذا ما فرضوه عليها وهى فى أمس الحاجة إلى عدم الدخول فى معارك فرعية تستنفذ طاقاتها المتواضعة المسخره فى معركة تثبيت الجمهورية .

اجتماعات مستمرة لمجلس الوزراء : يعقدها الدكتور البيضانى

من اليمين السيد أحمد حسين المرونى وزير الأعلام ، النقيب محمد قائد سيف عضو مجلس قيادة الثورة ، الأستاذ محسن العينى وزير الخارجية ثم المؤلف .

صورة منقولة عن مجلة آخر ساعة .

ما إن وصل هؤلاء الطلبة إلى صنعاء حتى سلمتنى دوائر الأمن اليمنيةمنشورات تحمل فى عنوانها (أيها المصريون .. ارفعوا أيديكم عن اليمن) ولم يكن قد وصل إلى اليمن حتى تلك اللحظة سوى العميد على عبد الخبير والنقيب عبد السلام محجوب وثلاثة من زملائه ، بينما كان البدر يتجه إلى منطقة حجه . والنقيب الجمهورى عبد الرحمن الترزى يحذرنا من قرب سقوط منطقة صعده على الحدود السعودية . كانت هذه المنشورات مطبوعة خارج اليمن ، وعندما أطلعت الرئيس السلال عليها إتفقنا على إعادة جميع هؤلاء الطلبة إلى الدراسة فى مصر .

عقدت إجتماعا برئاستى لمجلس الوزراء لمناقشة الموقف العسكرى المتردى وشرحت ضرورة أن يعمل كل وزير على تعبئة ما يمكنه من الطاقات الجماهيرية لرفع الروح المعنوية لدى أبناء الشعب حتى يتحول أكبر عدد منهم إلى سلاح إيجابى يحمى الثورة ويدافع عن أهدافها ، وأوضحت للمجلس أهمية الروح المعنوية فى معركة يدور رحاها بين مواطنين تمزقهم التيارات المتعارضة والأفكار والعقائد المتناقضة ، التى تتقاذفهم ذات اليمين وذات اليسار .

قال وزير الخارجية الأستاذ محسن العينى أنه على وشك السفر إلى نيويورك للدفاع عن الثورة والجمهورية أمام هيئة الأمم المتحدة فوافقته على رأيه .

واقترح وزير المعارف القاضى محمد محمود الزبيرى أن يسافر على رأس وفد إلى الرياض لإقناع الحكومة السعودية بالإعتراف بالجمهورية اليمنية ، فرويت للمجالس كيف أرسلت القائم بالأعمال السعودى برسالة إلى جلالة الملك سعود ولم تستجب الحكومة السعودية لمبادرتنا اليمنية ولذلك لم تعد هنالك جدوى من سفر الزبيرى إلى الرياض فضلا عن تمتع الزبيرى بعلاقات جيدة مع الكثيرين من القبائل اليمنية ، الأمر الذى يحسن معه أن يبقى فى اليمن كى يستثمر هذه العلاقات فى صالح الثورة .

بينما كنا نتناقش فى هذا الموضوع فى مجلس الوزراء وصلتنى ورقة سرية من الرئيس السلال تتضمن برقية وصلت من الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة النقيب محمد عبد السلام محجوب تفيد بأن طائرة حربية سعودية قد لجأت إلى مصر وعليها ثلاثة من الطيارين السعوديين ، وأنها كانت تحمل أسلحة وذخيرة كان المفروض أن تصل إلى نجران لتسليح القبائل المحاصرة لمنطقة صعدة فقرأت هذه الرسالة على المجلس .

حضر ذلك الإجتماع كل الوزراء بإستثناء وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى الذى كان لا يزال ملازما بيته فى تعز ، فأرسلت إليه برقية استنكر تأخره فى تعز وأستعجل وصوله إلى صنعاء حتى ينهض بالمهام الملقاه على عاتق وزارة العدل ، لأنه لم يكن من الحكمة السياسية أن يقف بعض الوزراء موقف المتفرج حتى تنتهى المعركة العسكرية فى المناطق المتمردة . بل كان من أولويات هذه الحكمة أن نسارع إلى البدء فى تنفيذ المشروعات العمرانية والإصلاحية حتى نشد الأنظار إلى متابعتها ولا نترك هذه الأنظار مستغرقة فى متابعة المعارك العسكرية ، وكان ذلك فى نظرى أهم الأسلحة

السحرية التى تقنع المسالمين والمتمردين بأهداف الثورة الجمهورية فيقوى المسالمون سلاما ، ويضعف المتمردون تمردا . فبدأت أعقد المؤتمرات الإقتصادية وسط طلقات الرصاص التى أصبحت مألوفة فى صنعاء ، والتى كنت والسلال لا ننام إلا على أنغامها المستمرة .

أرسلت وزير التجارة الزميل عبد الغنى مطهر إلى القاهرة لاختيار السلع المصرية التى إتفقت مع الرئيس جمال عبد الناصر على منحها لليمن كقرض فى حدود مليون جنيه ، يسدد على أجل طويل بعد بيعها فى السوق اليمنى المحلى وحصول الحكومة اليمنية على حصيلتها لتمويل نفقاتها الإضافية . وطلبت من الزميل عبد الغنى مطهر ألا يغيب فى مصر أكثر من يومين كى يستأنف نشاطه السياسى فى تعز ، حيث كان ، إلى جانب عمله وزيرا للتجارة ، مكلفا مع زملائه فى تعز بالحفاظ على ولاء اليمن الأسفل للثورة ، وتجنيد أفراد الحرس الوطنى من المتطوعين من أبناء هذه المنطقة ومن عدن والجنوب اليمنى المحتل ، وقد نجح الزميل عبد الغنى مطهر وزملاؤه فى هذه المهمة أعظم النجاح .

أتم العميد على عبد الخبير جرد مخازن السلاح فى اليمن وقدم الىّ قائمة بإحتياجات اليمن من مختلف الأسلحة والذخائر التى تكفى لإنشاء جيش يمنى على الطراز الحديث ، فعرضتها على الرئيس السلال واتفقنا على إرسال عضو مجلس قيادة الثورة النقيب محمد قائد سيف إلى موسكو وكان فى ذلك الوقت وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ، فحملناه رسالة إلى الرفيق خروشوف نطلب فيها هذه الأسلحة والذخيرة . كما سلمت صورة من هذه القائمة للسفير السوفيتى فى صنعاء .



الأستاذ محسن العينى وزير الخارجية يغادر صنعاء فى طريقه إلى نيويورك

رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا
بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ

قرآن كريم

الوعد الحق

الفصل العاشر



في يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٦٢ وصلت إلى ميناء الحديدة الباخرة المصرية « السودان » وعليها السرية المصرية التى اتفقت مع الرئيس جمال عبد الناصر على وصولها ، وهى كما سبق أن ذكرت فى هذا الكتاب تتكون من مائة ضابط وجندى مع أسلحتهم الخفيفة وذخيرتهم اللازمة واحتياجاتهم من الشئون الإدارية ، فسافرت بنفسى إلى الحديدة حيث كان فى إنتظارى هناك العميد على عبد الخبير للإحتفال باستقبال المساعدة العسكرية المصرية ومعه مدير مكتب المشير عامر العقيد بحرى محمود عبد الرحمن فهمى[1] الذى سلمنى رسالة شخصية من المشير وكان قد وصل مع هذه السرية .

خرج إلى الميناء عشرات الألوف من أبناء الحديدة وتهامة الذين جاءوا من أنحاء اليمن للإحتفال بهذا الحدث التاريخى العظيم .

ألقيت كلمة فى هذه الجموع الحاشدة فى الحديدة قلت فيها :

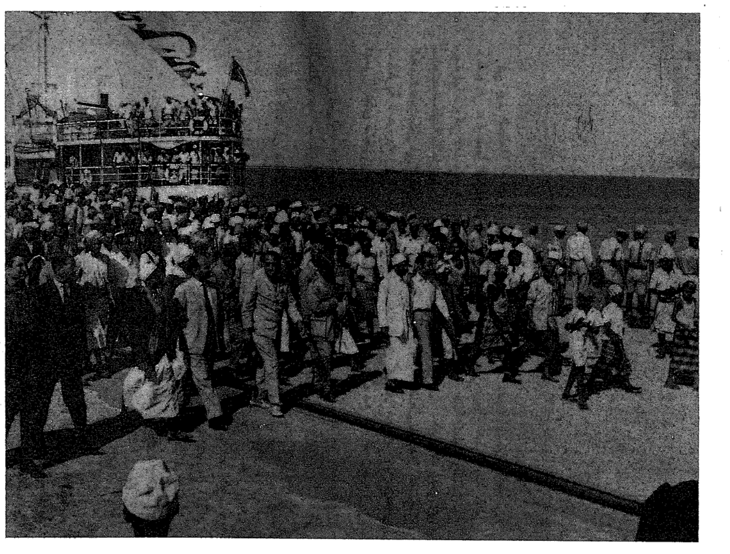
(إننا قد قمنا بالثورة من أجل الشعب اليمنى كله الذى أصبح بعد الثورة أسرة واحدة متراحمة متعاطفة وجسدا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، وأننا قد أصبحنا بنيانا يشد بعضه بعضا ، ولذلك فإننا نشفق على أنفسنا عندما نرى التيارات المغرضة وقد نجحت فى التغرير ببعضنا والتزييف عليه للإنقضاض على مكاسبه الثورية التى نسعى إلى تحقيقها من أجله ومن أجل جميع أبناء اليمن) .

وأضفت قائلا

(إن أهداف الثورة معروفة وعلى رأسها التمسك بالعودة إلى شريعة الإسلام التى أهدرها الأئمة السابقون ، وتنفيذ مشروعات النهضة الحضارية فى جميع أنحاء اليمن ، وإحترام حقوق جميع أبناء اليمن الذين أصبحوا جميعم متساويين أمام القانون ، وأننا لن نترك أية كفاءة يمنية دون الإنتفاع بها من أجل بناء صرح المجتمع اليمنى الجديد) .

---

(١) الفريق محمود عبد الرحمن فهمى قائد البحرية المصرية ثم وزير النقل البحرى المصرى فى وقت لاحق .



المؤلف يستقبل فى ميناء الحديدة أول سرية عسكرية مصرية (٥ أكتوبر ١٩٦٢) على يمين المؤلف العميد على عبد الخبير ثم مندوب الإذاعة اليمنية ثم العقيد بحرى محمود عبد الرحمن فهمى .

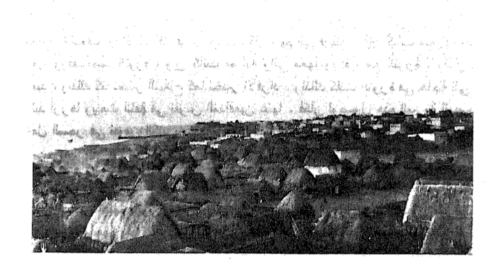
واستطردت قائلا :

(إننا نناشد جميع الذين وقعوا ضحية للتغرير والتزييف والتضليل أن يتأملوا فى مستقبل اليمن ، وأن يشتركوا معنا فى بناء دولتهم الحديثة ، فإننا لم نقم بالثورة ليحارب بعضنا بعضا ، وإنما قمنا بها من أجل تحطيم الأسوار التى كانت تعزل اليمنيين بعضهم عن بعض وتحول دون تعاونهم على رفع مستوى معيشتهم) .

وختمت كلمتى بقولى

(إن المساعدات العسكرية المصرية التى نحتفل بوصولها إنما جاءت إلى اليمن تعبيرا من شعب مصر العريق عن تضامنه مع شعب اليمن الباسل ، الذى قرر أن ينفض عن نفسه غبار الزمن ، كما جاءت هذه المساعدات العسكرية تؤكد للشعب اليمنى أنه لا يقف وحده ، إذا ما لا قدر الله ، قامت إحدى الدول بمهاجمة الثورة اليمنية والتصدى لها داخل أراضيها ، الأمر الذى نبذل كل ما فى وسعنا كى نتفاداه حتى نتفرغ بكل طاقاتنا لبناء المستقبل اليمنى الأفضل) .

ما كدت أستقر فى طائرتى متجها إلى صنعاء حتى أبلغنى محافظ الحديدة بأن حريقا قد اشتعل فى عشرات البيوت المقامة من أعواد الشجر والبوص والقش ، وكان هذا النوع من البيوت منتشرا فى ساحل تهامه الحار الرطب .



أحد أطراف مدينة الحديدة حيث المساكن المقامة من القش والبوص .

رجعت من الطائرة واتجهت مع كل من كانوا معى إلى منطقة الحريق وأذكر أننى شاهدت نفس هذه المنطقة تحترق مرتين على مدى ست سنوات فى عهد الإمام أحمد ، وكان الإمام يعد فى كل مرة بإعادة بنائها بإسلوب آخر يتفادى سرعة إنتشار الحرائق لكنه لم يفعل . وكان سكان هذه البيوت المحترقة ينامون فى العراء حتى يعيدوا بناءها بنفس الطريقة القديمة التقليدية .

أصدرت أمرا إلى محافظ الحديدة بأن يفتح القصور والبيوت المصادرة فى الحديدة وإسكان هؤلاء الأهالى حتى تتم إعادة بناء بيوتهم بالإسلوب الأفضل ، كما أمرت الرائد محمد الرعينى القائد العسكرى لمنطقة الحديدة بالبحث عن الجناة إن كانت هناك ثمة شبهة جنائية وراء ذلك الحريق وعدت إلى المطار .

وفى طريق الطائرة من الحديدة إلى صنعاء تلقيت إشارة من الرائد محمد الرعينى يبلغنى فيها بأنه قد تم القبض على المتهم بإشعال ذلك الحريق ، وقال أنه الشيخ صالح الجبلى صاحب محلج قطن فى الحديدة وشقيق الشيخ على محمد الجبلى الذى كان يتاجر بأموال اليمن بإسم الإمام ولحسابه ، فأرسلت إليه ردا أقول فيه أنه لا شأن عندى بإسم المتهم وأن القضاء يأخذ مجراه وأن الثورة تجب ما قبلها ولذلك ينبغى أن يأخذ المتهم حقه الشرعى الكامل فى الدفاع عن نفسه .

وصلت إلى صنعاء وأبلغت الرئيس السلال بنتائج مهمتى فى الحديدة بينما كانت إذاعة صنعاء تذيع كلمتى التى ألقيتها فى الإحتفال بوصول المساعدات العسكرية المصرية .

كان الرئيس السلال فى قمة سروره عند وصول هذه المساعدات ، لأننا كنا خلال الأسبوع المنصرم بعد قيام الثورة كلما جهزنا جيشا وسلحناه وأرسلناه إلى إحدى المناطق المتمردة سمعنا أن أفراده قد تفرقوا وذهب كل منهم إلى قبيلته ، فإن كانت متمردة تمرد معها ووقف ضد الثورة ، وإن كانت مواليه والى معها ووقف مع الثورة ، ولكن من بعيد ، وبذلك كنا نخسر السلاح كما نخسر الأفراد . ولذلك كانت الثورة فى حاجة إلى من يشد أزرها ويبعث الثقة فى نفوس المدافعين عنها . فكان لوصول هذه السرية المصرية فعل السحر فى نفوس الكثيرين الذين هبوا للدفاع عن الثورة .

ونادينا المواطنين إلى التطوع لإنشاء الحرس الوطنى فكان مشهدا مثيرا حين أقبل على التطوع معظم أبناء صنعاء الباسلة ، وكان أغلبهم من سن العاشرة إلى الخامسة عشر . وكان أهلهم يأتون معهم إلى معسكرات الحرس الوطنى وهم يشدون من أزرهم ويثيرون حماسهم ولو أنهم كانوا فى غير حاجة إلى حماس أكثر مما كانوا عليه .

كان أهل صنعاء مجمعين على تأييد الثورة والجمهورية ، كان أغلبهم مؤمن بها وكان بعضهم يخشى على صنعاء من إقتحام القبائل لأسوارها ، كما فعلت قبل ذلك إثر إنقلاب عبد الله الوزير سنة ١٩٤٨ فأراد هذا البعض أن يدافع عن صنعاء لذات صنعاء وكان ذلك فى نظرى عنصرا إيجابيا ما دامت عاصمة الثورة فى صنعاء التى يجب أن تكون كذلك إلى الأبد .

توافد على معسكرات الحرس الوطنى عشرات الألوف من أبناء اليمن الأسفل الذى لم تتمرد منه أية منطقة ، كما وصل إلى صنعاء عشرات الألوف من أبناء عدن وجنوب اليمن المحتل . وكان قائد الحرس الوطنى الملازم أول هادى عيسى يستقبل هذه الألوف ولم يكن فى وسعه أن يعد لهم الأماكن الكافية للإقامة ، فكان يوزع عليهم الأسلحة بمجرد وصولهم إلى صنعاء ثم يرسلهم إلى المعارك دون تدريب .



الرئيس السلال والمؤلف يستقبلان شباب الحرس الوطنى



متطوعون من الشباب ، لا يعرفون من فنون الحرب سوى الاستشهاد من أجل المستقبل الأفضل .



استغل المقدم عبد الله جزيلان الروح الفدائية المثالية المعروفة عن الزميل على عبد المغنى فزين له أن يقبض على البدر في منطقة حددها فصدقه الزميل على عبد المغنى كى يتوج تاريخه بالقبض على الإمام المخلوع ، وذهب إلى تلك المنطقة بعد أن أخبر الرئيس السلال بصفته القائد العام ، وكنت فى ذلك الوقت خارج صنعاء وماكنت أوافق مطلقا على أن يترك على عبد المغنى عضو مجلس قيادة الثورة موقعه فى القيادة العامة ليشترك فى معركة فرعية لا يوجد فيها أى أثر للبدر ، الذى كنا نتابع تحركاته خطوة خطوة ، كما كنت سأعترض بشدة على موافقة السلال لأن على عبد المغنى لم يكن مجرد ضابط عسكرى يعرف إستخدام الأسلحة ويجيد الكر والفر فحسب ، وإنما كان مخططا عبقريا وقائدا إستراتيجيا ملهما فكان من أهم إحتياجات الثورة ألا يتحرك على عبد المغنى من مقر القيادة العامة فى صنعاء وهو رائد التنظيم العسكرى الذى قام بالثورة .

كان المفروض أن نحافظ عليه كشاب مؤهل للزعامة كى يحمل مع زملائه الشباب مشعل الثورة وقيادة الجمهورية عندما يأتى دورهم .

ولكن ..

حكم القدر ..

ووقعت الكارثة ..

وجاء الناعى يخبرنا بأنه وقع فى شراك كمين منصوب قضى على حياته وحياة من كانوا معه . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

أرسلت عضو مجلس قيادة الثورة الزميل عبد القوى إبراهيم حاميم إلى تعز لإقناع وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى ، حتى يطمئنه على الموقف العسكرى فيقتنع بالخروج من بيته ، والوصول إلى صنعاء للإشتراك فى العمل السياسى الذى يحتاج إلى تكامل جميع الجهود الوطنية ، لا سيما بعد أن وصلت المساعدات العسكرية المصرية إلى اليمن .

نجح الزميل عبد القوى فى مهمته فاتجه القاضى الاريانى إلى الحديدة وشاهد بنفسه الباخرة المصرية (السودان) والمعدات العسكرية المصرية ، ومجموعة الضباط والجنود المصريين وهم يتأهبون للسفر إلى صنعاء برا على الطريق الجديد الذى بناه الصينيون ، وأتموا بناءه قبيل ذلك التاريخ بأشهر قلائل ، كما تم إكمال العمل فى ميناء الحديدة فى وقت معاصر .

وهذا يؤكد سلامة تقديرى لتوقيت الثورة فى النصف الثانى من عام ١٩٦٢ وليس قبل ذلك على الإطلاق لأنه بدون إتمام العمل فى ميناء الحديدة وإكمال الطريق إلى صنعاء لم يكن فى الإمكان أن تصل المساعدات العسكرية إلى اليمن وتتجه إلى صنعاء ثم إلى غيرها من المراكز الهامة .

ويغير أن يتأكد الثوار اليمنيون من جدية وعد الرئيس عبد الناصر بإرسال مساعدات عسكرية رمزية إلى اليمن ما كان فى وسع أحدهم أن يقبل الإشتراك فى الثورة .

هكذا بعد أن تأكد القاضى عبد الرحمن الأريانى بنفسه وشاهد بعينه وصول هذه المساعدات العسكرية جاء إلى صنعاء وهنأنى على نجاح الثورة ، وقال أنه قد أطمأن فعلا على سلامة ودقة الخطة الثورية ، وأصبح حينئذ على إستعداد للقيام بمهام منصبه عضوا فى مجلس قيادة الثورة ووزيرا للعدل .

أعتبرت ذلك نصرا من عند الله لأن شخصية القاضى الاريانى ذات وزن كبير لدى العلماء ورؤساء القبائل وعامة الشعب ، وفى وسعه أن يذهب إلى ساحات القتال لإقناع المتمردين بالعودة إلى الصفوف الجمهورية التى قامت من أجلهم وتعمل لمصلحتهم .



المؤلف أثناء قيامه بتجهيز حملة عسكرية من المتطوعين اليمنيين للدفاع عن صنعاء (أكتوبر ١٩٦٢)



وصل أنور السادات إلى صنعاء ، وكنت فى إستقباله فى المطار ، وتوقعت أن يبشرنى بأنه جاء إلى اليمن ليتولى منصبه سفيرا لمصر فى صنعاء كما سبق أن اتفقت على ذلك مع الرئيس عبد الناصر أثناء التحضير للثورة . فكان وجوده معنا فى صنعاء يجعل عبد الناصر أكثر إقترابا من فهم اليمن ، ويجعلنا أكثر إقترابا من فهم عبد الناصر ، كما أن إشتراكه معنا فى تقدير المواقف السياسية والعسكرية المتغيرة يجعلنا (يمنيين ومصريين) أكثر إقترابا من الصواب ، وأكثر إبتعادا عن الخطأ . وكان ذلك أعظم نجاح لليمن وأخلد تاريخ لمصر .

ولم يكن منصب رئيس مجلس الأمة فى مصر أكثر إغراء للسادات من الإشتراك فى إعادة صياغة التاريخ فى اليمن .

كنت فى قمة السعادة عندما ذهبت إلى المطار لإستقبال السادات أول شخصية مصرية تاريخية تصل إلى اليمن على إثرميلاد الثورة اليمنية ليشترك معنا فى حضانتها ورضاعتها وحمايتها فى مهدها .

ثم خاب أملى عندما فاجأنى السادات بأن الرئيس عبد الناصر استجاب لإصرار المشير عبد الحكيم عامر الذى صمم على أن يقوم بنفسه بإدارة العلاقات المصرية اليمنية طالما كانت اليمن فى حاجة إلى مساعدات عسكرية مصرية ، وبالتالى لا داعى لإقامة السادات فى صنعاء . اضطر عبد الناصر إلى قبول إصرار عبد الحكيم عامر ، واضطر السادات إلى زيارة اليمن كزائر .

قلت للسادات أننى أفهم من ذلك أن المشير عامر يريد أن يسترد فى صنعاء إعتباره السياسى الذى فقده فى دمشق . ثم أبديت للسادات قلقى من ظهور بوادر المأساة السورية فى اليمن . ولم أفهم لماذا لا تريد مصر أن تستوعب الدرس المستفاد من أسباب الإنفصال السورى ، ولم أعرف ذنب اليمن التى تصورت أن مصر قد استوعبت هذا الدرس .

هدأ السادات من روعى وطمأننى على أنه لن يتخلى عن الإهتمام بالشئون اليمنية وأن عبد الناصر لن يتردد فى إتخاذ القرارات المصيرية التى تتعلق بالعلاقات المصرية اليمنية .

توجهنا معا إلى ساحة ثكنات الجيش والتقينا بالرئيس السلال حيث كنا قد تهيأنا لعقد المؤتمر الشعبى الذى أعددناه بعد أن وصلت إلى صنعاء الألوف من رجال القبائل ،

وأدعى الكثيرون منهم أنهم شيوخ الضمان ورؤساء العشائر وعقال القبائل ، وأنهم جاءوا إلى صنعاء بناء على الدعوة التى أعلناها من الإذاعة لتشكيل مجلس الدفاع الأعلى .

كان أحد مدعى الإمامة قد نصب نفسه إماما فى منطقة آنس ولقب نفسه بالإمام المنتقم لله وأعلن الإستيلاء على هذه المنطقة القريبة من صنعاء ، كما أعلن الجهاد ضد الجمهورية وطالب برأسى السلال والبيضانى .

تعودت مع السلال على أن نسمع المطالبة برأسينا كل ليلة ، سواء كان ذلك من الإذاعات المعادية التى كانت تنادى رجال الحرس الجمهورى الذين كانوا يحرسوننا بأن يقطعوا رأسينا تكفيرا عن ذنوبهم التى ارتكبوها عندما أيدوا الثورة ، أو من المنشورات التى أغرقت شوارع صنعاء بفضل العناصر الحزبية التى ظنت أن الثورة قد نجحت فعلا ، واستقرت على كراسى السلطة فأرادت أن تقطع رؤوس زعمائها كى تحل محلهم ، وهى لا تدرى أنها كانت بهذه الأعمال الطائشة تحرق سفينة الثورة التى كانت هذه العناصر تقف معنا على ظهرها غير مدركة ولا عابئة بالأمواج التى تتقاذفها ، ولا بالصخور التى ترتطم بها ، ولا مقدرة الجهد الخارق الذى كان بحارة هذه السفينة وملاحوها لا ينامون فى الليل ولا يغفون فى النهار وهم يبذلونه من أجل الحفاظ على سلامتها وقيادتها نحو هدفها .

تعودت مع السلال على سماع المطالبة برأسينا فلم يزعجنا الإمام المنتقم لله الذى جهزنا عليه حملة من شباب الحرس الوطنى بقيادة الملازم هادى عيسى ، الذى انتصر على الإمام المزعوم بعد قتال عنيف راح ضحيته عدد من شهداء الحرس الوطنى .

عاد قائد الحرس الوطنى هادى عيسى إلى صنعاء ومعه الإمام المتمرد المنتقم لله الذى حكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام رميا بالرصاص ، وتصادف أن كان تنفيذ هذا الحكم فى ساحة المؤتمر الشعبى ، وبصفة علنية كما هى عادة اليمن منذ مئات السنين .

وما أن اختتم الرئيس السلال كلمته فى المؤتمر وانتهيت بعده من إلقاء كلمتى حتى ظن المكلفون بإعدام الإمام المنتقم لله أننا قد انتهينا من برنامج المؤتمر ، فبدأوا فى إطلاق الرصاص عليه فى التوقيت المحدد لذلك وهو الإنتهاء من إلقاء كلمتى على إعتبار أنها تأتى بعد كلمة السلال ، وتصادف أن وقف السادات أن يلقى كلمة مصر ورسالة الرئيس جمال عبد الناصر ، الأمر الذى لم يكن ضمن برنامج المؤتمر الذى تم إعداده قبل وصول السادات المفاجىء إلى اليمن ، فانطلق الرصاص مع بداية كلمة السادات .

ظن السادات أن الرصاص يتجه إلينا وكنت أقف عن يساره ويقف السلال عن يمينه ، تكريما للدور المصرى فى ثورة اليمن ، فهمست فى أذنه قائلا أن الرصاص يتجه إلى صدر رجل متمرد أفسد فى إحدى المناطق القريبة من صنعاء وقتل عدة شهداء من شباب الحرس الوطنى ، فحكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام .

فصاح السادات مستنكرا هذا الأسلوب الوحشى فى تنفيذ أحكام الإعدام التى تتم علنا وسط الجماهير ، فضغطت على يده حتى لا يسمعه أحد ، إلا أنه واصل التعبير عن سخطه علينا واستنكاره لنا ، لأننا لم نقدر وجوده بيننا ، فسمحنا بإلقاء الرصاص على المتمرد القاتل عندما بدأ فى إلقاء كلمته .

كان موقفا حرجا أن يجرى ذلك العتاب والتعبير عن السخط ووصفنا بالوحشية بينما كان المذياع متصلا بإذاعة صنعاء مباشرة ، والسادات لم يكن على علم بذلك ، فلما أوضحت له الأمر هامسا فى أذنه استأنف كلمته التى هللت لها الجماهير وهى تهتف لجمال عبد الناصر والقوات المصرية الباسلة .

بعد إنتهاء المؤتمر ذهبنا نحن الثلاثة فى سيارة مكشوفة إلى القصر الجمهورى . وعندما مررنا بباب اليمن (مدخل إلى المدينة فى السور الذى كان يحيط بصنعاء) رأينا جموعا حاشدة تجتمع حول ذلك الباب . فأمرت سائق السيارة بأن يتمهل فى سيره حتى يشاهد السادات ما جذب الناس إلى هذا المكان .

كانت جثة الإمام المنتقم الذى تم إعدامه قد نقلها رجال الأمن وعلقوها على أحد مدارج باب اليمن كما جرت العادة عند تنفيذ أحكام الإعدام فى صنعاء منذ مئات السنين . ولم نكن قد التفتنا بعد إلى ضرورة إلغاء هذا الأسلوب غير الإنسانى .

شهد السادات هذا المنظر الكئيب فازداد سخطا علينا ، ثم رأى سيدة محجبة كجميع سيدات اليمن فى ذلك الوقت ، تمسك بعصاها وتفتش بها فى جثة المقتول تبحث عن أماكن دخول الرصاص فى جثته وتتأكد من موته ، كنوع من الفضول والمبالغة فى حب الإستطلاع ، وإن شئت قلت حب الإستمتاع .

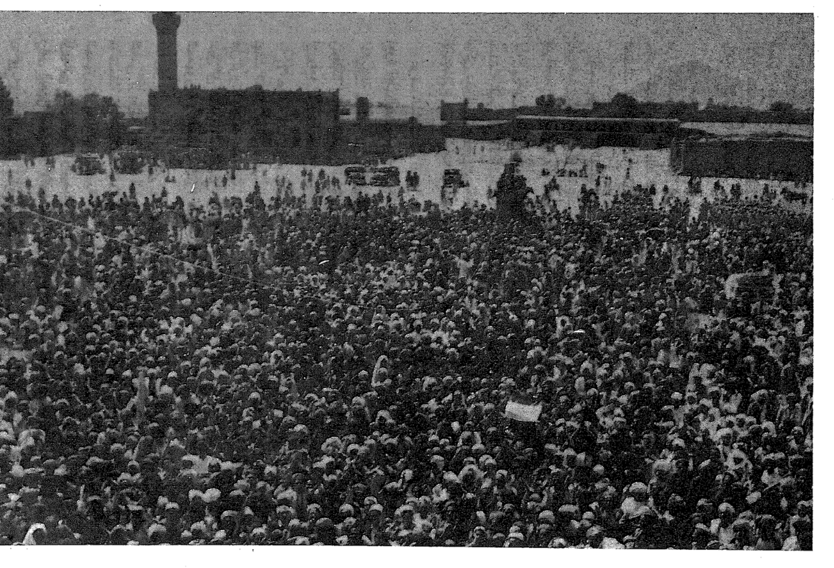
عرف السادات أنه لم يكن فى القصاص علنا من القاتل المتمرد أية وحشية . حيث قد تعود أهل اليمن على مثل ذلك ، وهو أمر يختلف أعظم اختلاف عن عادة المصريين .

كانت صنعاء على غير عادتها ، فقد زاد شعورها بالإطمئنان والأمان بعد مقدم السادات وتوقيعنا إتفاقية التعاون العسكرى بين مصر واليمن . والتى كانت تطبيقا وامتدادا لما سبق أن وقعه الإمام أحمد مع جمال عبد الناصر والملك سعود .

ولا غرابة فيما كان يدور فى أذهان أهل صنعاء من الخوف والقلق . فقد جربوا كيف نهبت القبائل أموالهم وخربت بيوتهم وسفكت دماءهم عندما فشل إنقلاب عبد الله الوزير قبل ثورتنا بأربعة عشر عاما وعدة أشهر وبضعة أيام . والمواطن عندما يتوقع الطوفان الذى سبق أن شاهده والذى يمكن أن يطيح بحياته وعرضه وماله فإنه لا يحرص قليلا على الجمهورية ولا يغضب كثيرا على الإمامة .

عاد السادات إلى مصر يحمل إلى عبد الناصر أجمل الذكريات عن ترحيب الشعب اليمنى بزيارته وإلتفاف الجماهير حول الثورة وتأييدها لزعمائها . حيث سمع بأذنيه ما سجلته كل الإذاعات ومحطات التليفزيون العالمية من تجاوب الجماهير اليمنية مع الجمهورية وهتافاتها الشعبية التى تطوف بها شوارع المدن اليمنية قائلة (أرفع رأسك يا يمانى عاش السلال والبيضانى) وإندفاع شبابها إلى ساحات القتال يرددون الهتاف برفع رأس اليمنى الذى أذله الأئمة السابقون وداسوا عليه تحت التراب .

كان هتاف الجماهير (أرفع رأسك يا يمانى) يعبر عن سعادتها بالحلم الكبير الذى أخذ يتحقق ، والفجر الجديد الذى بدأ يشرق ، والمستقبل الأفضل الذى تم ميلاده .



المؤتمر الشعبى فى صنعاء الذى شهده السادات (أكتوبر ١٩٦٢)

٤

إستدعيت السفير الأمريكي الذى لم تعترف حكومته بالجمهورية اليمنية وحملته رسالة إلى الرئيس كنيدى أسأله فيها لماذا يقف معاديا لثورة اليمن ، وهى لا تتطلع إلى أكثر من رفع مستوى معيشة اليمنيين فى ظل أحكام الإسلام التى لا تتسع للماركسية ، فى الوقت الذى يعلن فيه الرئيس كنيدى أنه يريد مساعدة الشعوب النامية . وأبلغت السفير أننى أنتظر جواب الرئيس كنيدى على سؤالى .

بعد يومين أتانى السفير الأمريكي بالجواب الذى كنت أنتظره ، والذى جاء فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تقف ضد رفع مستوى معيشة الشعب اليمنى بل تريد مساعدته على رفع مستواه ، غير أنها ليست واثقة حتى تلك اللحظة فى أن أغلبية الشعب اليمنى تؤيد النظام الجمهورى الذى أعلنته الثورة .

أرسلت ردى على الرئيس كنيدى معبرا فيه عن عظيم سعادتى لأننى فهمت من جوابه أنه قد تأكد من أننا مسلمون وطنيون ، وأننا حريصون على إيجاد علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى نضمها إلى رصيدنا من الأصدقاء الذين يسهمون فى بناء نهضة اليمن الحديثة . وأضفت قائلا إننى لست فى عجلة من أمرى ولتنتظر الولايات المتحدة حتى تتأكد من أن أغلبية الشعب اليمنى تؤيد النظام الجمهورى . وختمت ردى راجيا ألا تسهم الولايات المتحدة فى إثارة عدم الإستقرار فى شبه الجزيرة العربية بمساعدة المتمردين الذين يفرضون القتال على الجمهورية اليمنية .

كان الأمير الحسن شقيق الإمام أحمد منذ العهد الإمامى منفيا فى نيويورك فى وظيفة رئيس الوفد اليمنى إلى هيئة الأمم المتحدة ، ولعله كان قد أنشأ صداقات مع بعض المسئولين الأمريكيين وقد نجح فى تصويرنا عندهم بأننا شيوعيون من زملاء جمال عبد الناصر الذى كان يوصف فى ذلك الوقت بأنه قد سقط فى أيدى الأتحاد السوفيتى .

يضاف إلى ذلك الخلاف المعلن بين مصر والمملكة العربية السعودية ، الذى دفع المملكة إلى موقف العداء للثورة اليمنية ، رغبة فى إبعاد جمال عبد الناصر عن شبه الجزيرة العربية ، مع حرصها الشرعى على إبعاد إحتمالات إنتشار الشيوعية فى الجزيرة العربية ، علاوة على خوف بريطانيا من قيامنا بإشعال ثورة ضدها فى الجنوب اليمنى ، وارتباك المخططات الأمريكية والترتيبات البريطانية فى اليمن التى سبقناها بثورتنا .

عندما نضع كل ذلك فى حسابنا فإننا ندرك أبعاد التريث الأمريكى فى الاعتراف بالنظام الجمهورى فى اليمن ، الأمر الذى كان علينا أن نعالجه بالحرص والحكمة مع الصبر والوضوح .

لم أستغرب مطلقا تريث الولايات المتحدة الأمريكية وتريث غيرها من الدول فى الإعتراف بنظامنا الجمهورى الطارىء فى اليمن ، وكان منطق الحديث عندما قمنا بالثورة سة ١٩٦٢ يتلخص فى ظروف عربية تضعف الأمل فى ثورة الوحدويين وظروف يمنية تلغى الرجاء فى ثورة اليمنيين ، وتسمح فقط بمجرد تكرار نمطى لصراع السلطة الذى بدأ فى اليمن منذ ألف ومائة عام وذلك ما كانت تسعى إليه كل من بريطانيا وأمريكا من خلال تنظيمين يعمل كل منهما على استبدال أسرة حميد الدين بأسرة إمامية أخرى .

مجرد إنقلاب بين الذين يتزاحمون على عمامة الإمام محتفظين برأسه .

وعلى غفلة من هذا المنطلق قامت ثورة اليمن تنسف مقدماته وترفض نتائجه ، فعاشت أحداثا غير منطقية ، كان عليها أن تتعامل مع الشىء ونقيضه ، مع المجتمع الذى تنطلق منه ، ونقيضه الذى تسعى إليه .

ومع ذلك استطاع شعب اليمن أن يخطو خطوة وحدوية على بداية الطريق القومى ، وبداية الحياة العصرية .

ربما لأن منطق الحديث يختلف أحيانا عن منطق الأحداث .

فالأحداث لا تلتزم بما نفكر فيه ونستلهمه من علمنا وإلهامنا ثم نصوغه فى مسلمات نرتبها لنستخلص منها نتائجها الحتمية والمحتملة ، وإنما تعتمد إلى جانب ذلك على عناصر بعضها مجهول بعيد عن آفاقنا ، بعضها يتوالد ذاتيا أثناء تدفق الأحداث واحتكاكها وتفاعلها .

إعتمدت فى الدعوة إلى الثورة الجذرية فى اليمن على إلحاح الجماهير وإصرارها على التغيير مما عرضها لمفاجآت محسوبة وغير محسوبة بين جماهير مسلحة تدفعها ظروفها إلى الثورة وتشدها نفس هذه الظروف إلى الثورة المضادة .

والظروف الموضوعية التى تدفع إلى انفجار الثورة فى بلد متخلف عادة ما تكون هى ذات الظروف التى يمكن أن تقضى عليها لحظة ميلادها ، ثم أثناء مسيرتها ، قبل أن تستقر وتتحول إلى نظام حكم متطور .

مفارقة .. لكنها حقيقية . فالثوار يبدأون بتغيير شكل الحكم تمهيدا لمواجهة مضمونة بتغير الظروف السائدة المعوقة للعدل والتقدم ، والمتمثلة فى النظام الإجتماعى الكائن قبل الثورة .. والتى قامت الثورة من أجل خلق نقيضه ثم حكمه ، وهذا ما يؤدى إلى مقاومة المستفيدين من النظام السائد قبل الثورة .

أى أن سبب الثورة هو نفسه سبب الثورة المضادة ..

هو شعور المظلوم بالظلم الذى دفعه إلى الثورة .. وشعور الظالم بضياع إمتيازاته بقيام الثورة .

فالظلم إذن علاقة إرتباط بين الظالم والمظلوم ، هو سبب ثورة المظلوم ومقاومة الظالم .

وفى ظروف الإنعزال والتخلف وغيبة التنظيم الجماهيرى واستحالة خلقه بالسرعة المناسبة يصبح السند الوحيد المتاح للثورة هو سلوك الجماهير المظلومة وهو أمر لا يخلو من خطر لأنه يعلق رؤوس الثوار وأهدافهم على علامات إستفهام بغير إجابات أثناء المسيرة الثورية .

فسلوك الجماهير غير المنظم يفجر طاقاتها فى كل الإتجاهات حسب التقديرات العاطفية .

مثلا .. الظلم الواقع على الجماهير قبل الثورة يؤدى إلى الأمل ، كما يؤدى إلى اليأس .

والأمل واليأس يشتركان فى تحديد مصير الثورة بنسب إيجابية وسلبية متفاوته .

فالعزم والتردد .. الأمل واليأس .. الإقدام والإحجام .. إختلاط المشاعر والقناعات الإيجابية والسلبية وبقية آثار عدم التنظيم الشعبى المسبق فى ظروف قبلية مسلحة وتضاريس جغرافية قاسية ومنعزلة .. كل ذلك جعل سلوك الجماهير اليمنية يتأرجح بين كل الإحتمالات متجاوبا مع كل الإثارات .

لقد قبلنا المجازفة ، وعلقنا رؤوسنا على شعيرات من الأمل ، وهذا شأننا وذلك حقنا .

لكن الدول الكبرى لا تجازف بعلاقاتها الدولية ، ولا تغامر بمصالحها الإقتصادية ، وكان يبدو فى أفق الساحة اليمنية شبح وقوعها فى أحضان الشيوعية ، وكانت الصراعات الداخلية العنصرية والطائفية والحزبية والمساعدات المصرية العسكرية والأطماع السوفيتية من بين العناصر التى روجت هذا القلق فجسمت ذلك الشبح ، الذى أشتركت أخطاء الثورة فى ميلاده عندما ازدحمت صنعاء بالألوف من رجال القبائل الذين كان يظن كل منهم أنه عضو فى مجلس الدفاع الأعلى الذى أعلنا عن تشكيله من علماء اليمن وشيوخ الضمان وزعماء القبائل دون أن نحدد أسماءهم إتباعا لنصيحة الزميل القاضى عبد السلام صبره بعد أن تعذر عليه التعرف على أسمائهم من قوائم المالية . ولم يتسع القصر الجمهورى لإقامة المهمين منهم بعد أن امتلأت بهم دور الضيافة وبيوت الأصدقاء الذين استضافوا بعضهم ، وكان الأكثر مرارة من ذلك أن السلال لم يستطع أن يصافح الكثيرين من أعيانهم لكثرة عددهم كما لم أستطيع ، لنفس السبب ، القيام بتكريم هؤلاء بما يليق بمكانتهم الإجتماعية ورغبتهم الوطنية فى تدعيم الجمهورية .

سقط فى يد السلال وفى يدى ، وتبينا أننا أخطأنا حين وجهنا الدعوة إلى حضور مجلس الدفاع الأعلى دون أن نحدد أسماء الأعضاء ، واتضح للسلال والقاضى عبد السلام صبره إننى كنت على حق حين طلبت إعداد قائمة بأسماء أعضاء هذا المجلس قبل القيام بالثورة حتى يتم إعلانها عند قيامها .

كنت أتصور أن عدد أعضاء ذلك المجلس سوف يبلغ نحو مائتين من العلماء ورؤساء القبائل وأعيانها ، الأمر الذى لو تم حسب الخطة التى وضعتها قبل قيام الثورة لأدى إلى تحقيق حلمى الكبير وهو إشتراك كل هؤلاء فى الدفاع عنها .

أما وقد أخطأ القاضى عبد السلام صبره حين أهمل فى إعداد هذه القائمة قبل قيام الثورة ، ثم أخطأنا جميعا حين وجهنا الدعوة إلى رؤساء وشيوخ القبائل دون تحديد الأسماء المؤهلة للإشتراك فى هذا المجلس ، ثم وجدنا أنفسنا عاجزين عن إيواء المهمين منهم فلم يكن هنالك بد من دعوتهم إلى الإنصراف من صنعاء على أن ندعوهم إلى الإجتماع فى وقت لاحق ، الأمر الذى أثار علينا حفيظة معظمهم فعادوا إلى بلادهم ناقمين على الثورة ، وقد صادف ذلك يوم وصول الشيخ سنان أبو لحوم قادما من عدن بعد غيبة طويلة استغرقت أكثر من أسبوعين بعد قيام الثورة فى طريقه إلى صنعاء متنقلا بين إمارات جنوب اليمن المحتل ، حيث كان ضيفا على الشريف حسين الهبيلى شريف بيحان الذى ساعد المعتمد البريطانى على إدخال الأسلحة الثقيلة والخفيفة إلى المتمردين الذين حملوا السلاح ضد الجمهورية . فاقترح السلال أن نقدم الشيخ سنان أبو لحوم للمحاكمة التى كانت تؤدى حتما إلى الحكم عليه بالإعدام بعد أن ثبت تحريضه لبعض القبائل ضد الثورة ، وإتفاقه مع الشريف حسين أمير بيحان على تهريب السلاح إلى المتمردين .

لم أستحسن هذا الإقتراح نظرا لسابق إتفاق الشيخ سنان معى على القضاء على الإمامة وإعلان الجمهورية . وكان سبب مقاومته للثورة إقتناعه بعدم جدارة السلال برئاسة مجلس قيادتها ، وعدم إذاعة إسمه ضمن تشكيلات الثورة رغم أنه كان من المتفق عليه أن يتولى منصب نائب وزير شئون القبائل كما جاء فى التعيينات التى سبق الإتفاق عليها قبل الثورة وحرفها الفسيل على النحو السابق ذكره . وكان من الممكن إسترضاؤه بأحد المناصب الهامة فيصبح من أقوى أعوان الجمهورية .

غير أننى لا زلت أتلقى لوما صارخا من الكثيرين الذين عاصروا أحداث الثورة ، لأنهم يعتقدون أننى أخطأت خطأ تاريخيا حين قاومت إصرار السلال ومنعت محاكمة الشيخ سنان ، الذى استمر بعد ذلك فى تحريض القبائل ضد الثورة مما أدى إلى توسيع ساحات القتال وسفك الكثير من دماء الأبرياء .

ولا أدرى هل كنت فعلا مخطئا فى حمايتى للشيخ سنان ؟ . وهل يمكن أن يغفر لى التاريخ هذا الخطأ حيث كنت واثقا فى ولائه للنظام الجمهورى بالرغم من عدائه الشخصى للسلال ؟ كما كنت حريصا على حماس زوج شقيقته الأستاذ محسن العينى وزير الخارجية الذى يمكن أن يفسر إعدام الشيخ سنان عملا عدائيا موجها إليه وضد مجموعته البعثية فى اليمن ؟ .

عارضت السلال إبقاء على معنوية الأستاذ محسن العينى ووقفت حائلا دون محاكمة الشيخ سنان الذى كان لا يستطيع أن يفلت منها بغير عقوبة الإعدام . واكتفيت بتعيين الشيخ سنان سفيرا فى الصين وأرسلته إلى القاهرة مع رسالة شخصية إلى أنور السادات الذى إستضافه استضافة رسمية وهيأ له كل وسائل الراحة والرفاهية تحقيقا لنفس الهدف الذى جعلنى لا أوافق السلال على إعدامه . (الوثيقة رقم ٢٦)



الرئيس السلال وعلى يمينه المؤلف وعلى يساره الشيخ سنان أبو لحوم ثم الأستاذ محمد عبد الله الفسيل فالعقيد عبد لله الضبي . ظهر خلف المؤلف حارسه الخاص الشهيد الملازم أحمد بيدر .

مرة أخرى يجب أن أعترف بحساسيتى الشخصية نحو الأستاذ محسن العينى والزملاء البعثيين ، لأننى لا أعترف بأننى ناصرى ولا أعترف بأنهم بعثيون يمكن أن نختلف على مصلحة عامة فى اليمن . فلا البعث ذو نظرية فكرية ولا الناصرية ذات نظرية فلسفية .

كرهت أن نختلف فى اليمن ، ونتفرق بين بعثيين وناصريين ، وحرصت على إفساح المجال لمن تصوروا أنهم بعثيون حتى يوظفوا صداقتهم مع قادة البعث فى خدمة الثورة اليمنية بعد أن أصبحت حقيقة واقعة ، كما حرصت على إفساح المجال لمن سماهم القوم بأنهم ناصريون كى يوظفوا صداقتهم مع عبد الناصر فى خدمة نفس الهدف اليمنى العربى .

من أجل ذلك حاولت الحرص على وحدة الصف الوطنى فى اليمن حيث كانت محصلة الخلاف بين البعثيين والناصريين هى مجرد الزعامة العربية .

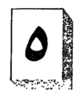
ثم اختلفوا فى ترتيب الشعارات السياسية ، هل تبدأ الأمة العربية بالإشتراكية ، أو بالحرية ، أو بالوحدة .

الحرية لا يختلف عليها أحد ، وكذلك لا يختلف أحد على الوحدة . أما الإشتراكية فإنها هى التى لم يتفق عليها أحد .

لا البعث الذى بدأ الإشتراكية قد حدد مضمونها ، ولا عبد الناصر الذى إنتهى إلى الإشتراكية قد رسم أبعادها .

ولا يزال شعار الإشتراكية العربية شعارا هلاميا كلاميا غير ذى مضمون ، متجردا من أى مفهوم .

لكنه لا يزال سببا رئيسيا من أسباب المعاناة الإقتصادية فى البلاد التى رفعته ، وسببا رئيسيا من أسباب هروب الأموال العربية من الدول التى خشيته ، وكانت المحصلة النهائية هى إستحالة قيام الوحدة الإقتصادية العربية .



. كانت زيادة الإشتعال فى المعركة العسكرية سببا من أسباب الإسراع بالمعركة الحضارية ، ومن أجل ذلك كان لا بد من الإسراع بإنشاء بنك يمنى يساعد على تجميع أموال اليمنيين المقيمين والمهاجرين ، ويسهل عمليات الإدخار والإستثمار والإتجار . ولم يكن فى اليمن سوى وكالة مصرفية سعودية فى مدينة الحديدة يملكها الشيخ سالم بن محفوظ وهو من أصل حضرمى يقيم فى السعودية ، وعندما فحصنا نشاط هذه الوكالة لم نجد منها سوى ودائع يمنية ، حيث كان الشيخ محفوظ لا يحتفظ فى خزانتها بأى ريال يملكه .

كان لا بد من إنشاء بنك يمنى لا يقتصر على الأعمال المصرفية وإنما يتولى ، إلى جانبها ، قيادة الأعمال الإنشائية والتعميرية .

أعلنت فى مؤتمر شعبى فى صنعاء إلغاء ترخيص الوكالة المصرفية السعودية وكان لا يعرف ذلك القرار سوى قائد منطقة الحديدة الرائد محمد الرعينى الذى كلفته بالتحفظ على هذه الوكالة عندما يسمع الخطاب فى المؤتمر الشعبى .

وأعلنت فى نفس الخطاب إنشاء البنك اليمنى للإنشاء والتعمبير وناديت اليمنيين المقيمين والمهاجرين حتى يسرعوا بالإكتتاب فى أسهم البنك من أجل أن تبدأ معركتنا الحضارية .

واصلت العمل على تأسيس البنك اليمنى وعينت له مجلسا لإدارته برئاسة الدكتور حسن مكى وعضوية الأساتذة محمد جبارى ومحسن السرى ومحمد الرعدى وآخرين بنسبة ٥١٪ على أن ينتخب المساهمون من أفراد الشعب بقية أعضاء مجلس الإدارة بنسبة ٤٩٪ وأعطيت لهذا المشروع إهتماما عظيما لأنه لا يدفع فقط عجلة النهضة الإقتصادية والإجتماعية التى هى الهدف الرئيسى من الثورة ، وإنما يؤدى أيضا إلى خلق مناخ سياسى عام يشعر فيه جميع المواطنين بأننا ننعم بالإستقرار ولا نقشعر من المعارك الجانبية التى فرضتها علينا الظروف التى سبق شرحها ، والتى نتعامل معها بثقة متأكدين من سيطرتنا عليها سيطرة كاملة .

تدفقت أموال اليمنيين المقيمين والمهاجرين للإسهام فى البنك اليمنى للإنشاء والتعمير الذى أعلنت أن واحدا وخمسين فى المائة من أسهمه هى حصة الدولة ، وعندما زادت أموال المساهمين عن نسبة التسعة والأربعين فى المائة المتاحة للمواطنين جاءنى وزير

الخزانة الدكتور عبد الغنى على أحمد يقترح أن تتنازل الحكومة من حصتها وتبيعها للمواطنين الذين زاد طلبهم على أسهم البنك عن النسبة المقررة لعرضها على ألقطاع الخاص وبرر وزير الخزانة هذا الاقتراح بأن الحكومة لا تملك أن تدفع نصيبها فى رأسمال البنك .

رفضت إقتراح وزير الخزانة لأنه يفوت على الحكومة فرصة العمل من خلال البنك على تنفيذ سياستها الإقتصادية وأهدافها الإجتماعية ، كما يحد من تدفق رؤوس الأموال اليمنية التى ترغب فى الإستثمار فى اليمن فى إطار خطة الحكومة .

على عكس اقتراح وزير الخزانة أصدرت قرارا بمضاعفة رأسمال البنك مع احتفاظ الحكومة بنفس النسبة المقررة لها وهى واحد وخمسين فى المائة ، وفيما يتعلق بكيفية قيام الحكومة بدفع حصتها فى رأسمال البنك قمت بتسليم وزير الخزانة صكا بتوقيعى يكون بمثابة إذن صرف على الخزانة كى يوضع ضمن أصول البنك ممثلا لحصة الحكومة فى رأسماله .

كانت الهندسة الإقتصادية للبنك تقوم على أساس تجميع أموال اليمنيين فى صورة أسهم ، وهى بهذه الصورة لا يحق إسترداد ثمنها من البنك كما يسحب أصحاب الحسابات والودائع حساباتهم الجارية أو ودائعهم الثابتة .

وبذلك لا يحق لأصحابها سوى بيعها فى سوق الأوراق المالية وحق حضور الجمعيات العمومية ، واختيار ممثليهم فى مجلس إدارة البنك ومراقبة حسن استغلال هذه الأموال ، وكل هذه ضمانات شعبية مقصودة لضمان حسن الإدارة ، لأن أصحاب الأسهم أكثر يقظة من جهاز الحكومة فى الإشراف على شئون البنك ، أو هكذا يجب أن يكونوا .

ويضاف إلى ذلك أن عائد أموال المواطنين الذين يشترون أسهم البنك اليمنى يحصلون عليه فى صورة أرباح ، والأرباح مشروعة إسلاميا فلا تحدث أية شبهة لدى الذين يرفضون الحصول على فوائد على الودائع الثابتة على اعتبار أنها فوائد ربوية . وبالتالى نفتح شهية المواطنين للإقبال على المساهمة سعيا وراء الربح المشروع . ولذلك أطلقت على البنك اليمنى إسم (البنك اليمنى للإنشاء والتعمير) .

عرضت على مجلس الوزراء أن يصدر قرارا برفع مرتبات جميع موظفى الدولة ورجال القوات المسلحة والأمن بنسب تتراوح بين الضعف والثلاثة أمثال ، على الأخص فيما يتعلق بالأجور والمرتبات الصغيرة ، وهذا هدف سبق أن ناديت به من صوت العرب وأدخلته ضمن برنامج الثورة .

شرحت لمجلس الوزراء الأسباب التى تجعل من رفع هذه المرتبات أمرا ضروريا بعد قيام الثورة وهى :

أولا : كانت المرتبات والأجور المقررة فى عهدالإمام ضئيلة جدا وأقل من الحد الأدنى على جميع المستويات ، وكان الإمام يسعى إلى دفع الموظفين وجميع المستخدمين إلى إستغلال مناصبهم إما بالرشوة أو بالإختلاس ، حتى يشيع الفساد الإدارى ويدمر المستوى الأخلاقى ويذل كافة المواطنين حاكمين ومحكومين .

وكان هدف الإمام تجريح سمعة الجميع إلى جانب إشغال الشعب بصعوبة المعيشة فينصرف عن السياسة .

ثانيا : نتيجة لصرفيات المعركة للدفاع عن النظام الجمهورى تدفقت قوة شرائية جديدة إلى أيدى المحاربين ، وهذا من شأنه أن يخل بالتوازن الإجتماعى إذا بقيت مرتبات موظفى الدولة على مستواها المفرط فى المعاناة .

والموظفون هم الذين يعطون الوجه الجديد للدولة بعد الثورة ، كما يؤثرون فى صياغة قراراتها السياسية والعسكرية التى يتوقف عليها ثبات الجمهورية .

ثالثا : كانت اليمن تعانى من بطالة الموارد البشرية وإهمال الموارد الطبيعية ، وهى بهذه الكيفية تحقق فرصا لإرتفاع الإنتاجية الحدية لرأس المال ، ولكن هذه الفرص لا تكفى لإستدراج رأس المال اليمنى المهاجر والعربى والأجنبى إلى الإستثمار فى اليمن إلا إذا توفر الإستقرار واتسع سوق الطلب مع تهيئة المناخ التشريعى الملائم .

ولذلك فإن رفع مرتبات الموظفين والمستخدمين والقوات المسلحة والأمن من شأنه أن يعمل على توسيع سوق الطلب فيعمل على توفير شرط من شروط الإستثمار ، وعلى الدولة توفير بقية الشروط التى كانت تسعى إليها فعلا . وعندما يتزايد الإستثمار تنكمش البطالة البشرية وتتحرك الموارد الطبيعية وتزداد إنتاجية موظفى الدولة ويزداد الدخل القومى ويرتفع مستوى المعيشة ، وتمتص زيادة الإنتاج زيادة المرتبات فيتحقق توازن إقتصادى أفضل على مستوى معيشة أفضل .

وافقنى مجلس الوزراء وأعلنت القرار فى مؤتمر شعبى فى صنعاء .

كانت زيادة مرتبات موظفى الدولة لا تمثل إلا جزءً لا يكاد يذكر إلى جانب نفقات الحرب ، واما خطتى فى الحصول على أموال التنمية وزيادة المرتبات فقد كانت متعددة المصادر .

من هذه المصادر بيع أراضى الحكومة غير المستثمرة لتشجيع إستثمارها من ناحية ، والإنتفاع بثمنها من ناحية أخرى .

وكنت قد شكلت لجنة وزارية برئاسة عضو مجلس قيادة الثورة الزميل عبد القوى إبراهيم حاميم وزير الشئون البلدية والقروية للبدء فى بيع أراضى الحكومة الصالحة للبناء فى الحديدة وضواحيها ، وكان ذلك أهم سبب من أسباب العمران الذى حدث فى هذه المنطقة .

ومن المصادر المحلية أيضا دخول الحكومة كمساهمة فى الشركات الزراعية بنصيب لا يقل عن ٥١٪ يقدر بثمن الأرض التى كانت ستقدمها لكل مؤسسة تشترك فيها ثم حصول الدولة على نصيبها فى أرباح هذه الشركات .

وتنظيم تحصيل موارد الدولة من ممتلكاتها المهملة . وتنظيم تحصيل الرسوم الجمركية والضرائب . وتبسيط الإجراءات الإدارية التقليدية لترشيد الجهاز الإدارى للدولة وضبطه بالحجم الضرورى فعلا ، ونقل الزيادة فى عدد الموظفين إلى المشروعات

والشركات التى تنشئها الدولة بمفردها أو بالإشتراك (عن طريق البنك اليمنى) مع القطاع الخاص . وكذلك تشجيع الإستثمار عن طريق تخفيف تكاليف الإجراءات على المواطنين والمستثمرين فيزداد الحافز على الإستثمار فتزداد إيرادات الحكومة مع تجريم الرشوة والإختلاس وتشديد العقوبة عليهما . وقد أعلنت ذلك فعلا مع إعلان زيادة المرتبات .

وحتى لولم تكن هذه الأسباب وجيهة لتبرير زيادة مرتبات موظفى الدولة ، ولو لم تكن هذه الموارد كافية لمواجهة هذه الزيادة ، فقد كان من الضرورى زيادة هذه المرتبات ولو استقطعناها من نفقات الحرب ، لا سيما أن الأموال كانت تتدفق بغير حساب من الخارج على المتمردين ضد الحكومة الجمهورية ، وكانت الحرب النفسية الموجهة من الخارج تهدد الجبهة الداخلية ولا يحرس الجبهة الداخلية سوى رجال الدولة من موظفين ورجال أمن . أما رجال القوات المسلحة الذين بقوا فى خدمة الثورة فلم يكن من الحكمة إهمال إحتياجاتهم الضرورية وهم يتعرضون للموت فى كل لحظة فى سبيل الجمهورية .

فى يوم الإثنين ١٥ أكتوبر ١٩٦٢ عقدت مؤتمرا إقتصاديا شعبيا فى صنعاء حضره كل من شاء أن يحضر من عامة الناس وخاصتهم ، وكانت إذاعة صنعاء تذيع وقائعه بصفة مباشرة ، وقد أراد أحد الضباط أن يمنع أحد المتكلمين عندما استخدم ألفاظا جارحة فى مهاجمته لخطتنا الإقتصادية . منعت الضابط كى يترك المتكلم يتم حديثه على الهواء مباشرة ما دمت سوف أعلق عليه حتى يعرف الشعب كيف يفكر بعض الناس فى الإقتصاد وهو شريان حياة الشعوب ، وكيف سمحت له الحكومة بمهاجمتها بمثل تلك الألفاظ لأنها قادرة على الرد عليه ، لأننا عندما نحتكم إلى العقل لا يعجز اللسان . وأذكر أننى بعد أن أجبت على أسئلته صاح فى المذياع مؤيدا الحكومة مأخوذا بسعة صدرها ، وإصرارها على إقناع المهاجمين بالحجة والبرهان وليس بالإرهاب والإذعان .

كان جوهر سياستنا الإقتصادية هو الإقتصاد الحر الذى ينتظم وفق خطط الدولة الإقتصادية وتصوراتها السياسية بحيث يكون القطاع الخاص هو الأصل فى النهضة اليمنية مع إشتراك الحكومة بنسبة ٥١٪ من أسهم البنك اليمنى ومؤسساته والشركات الزراعية التى تشترك فيها الحكومة بقيمة الأرض ، وبعد ذلك يكتفى القطاع العام بالمشروعات الإستراتيجية والبنية الأساسية .

معنى ذلك أن منهاج نهضتنا الحضارية ينبثق من ظروفنا اليمنية ، ويعتمد على سواعدنا الوطنية ، مالية وبشرية وطبيعية ، وفق خطة مرحلية تثير الحوافز الشخصية والمبادرات الفردية ، وتحقق التوازن بين المصلحة الوطنية الإقتصادية والعدالة الإجتماعية الإسلامية وهى خطة يمكن أن يشبهها البعض ب (الإقتصاد الموجه) .

لكننى أشترط على هذا التشبيه أن يلتزم بأضيق حدود التوجيه .

فى يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر ١٩٦٢ عاد أنور السادات إلى اليمن ، وعندما كنت مع الرئيس السلال فى إستقباله فى المطار ، نزل خلفه من الطائرة الأستاذ أحمد محمد نعمان وشقيق زوجتى الأستاذ محمد حافظ النعمانى أحد مديرى بنك مصر ومعه عدد من خبراء

هذا البنك ، ومن المعروف أن زوجتى مصرية اكتسبت الجنسية اليمنية بعد زواجى منها . ولما سألت السادات عن مهمتهم قال أنهم جاءوا ليفتحوا فرعا للبنك فى اليمن .

لم يعجبنى هذا التصرف من جانب بنك مصر ، لأنه لم يحصل على موافقتنا قبل أن يرسل إلينا خبراءه لا سيما عندما اختار شقيق زوجتى بالذات ليرأس هؤلاء الخبراء ، الأمر الذى أثار دهشتى ، لأنه خلط المصلحة العائلية بالمصلحة الوطنية .

عقدت إجتماعا مشتركا حضره السادات وخبراء بنك مصر وشرحت لهم أسباب إعتذارى عن عدم إمكانية الإستجابة لرغبة هذا البنك ، والتى تتلخص فى أننى استهدفت من إنشاء البنك اليمنى للإنشاء والتعمير تجميع أموال اليمنيين المقيمين والمهاجرين . ليس فى صورة ودائع وحسابات جارية كما يفعل بنك مصر وما كانت تقوم به الوكالة المصرفية السعودية ، لان ذلك لا يفيد فى خطة التنمية الإقتصادية اليمنية فالودائع لا يمكن الإنتفاع بها فى تمويل العمليات طويلة أو متوسطة الأجل . ولا الإشترك بها فى مشروعات قصيرة الأجل التى تحمل فى طياتها طابع المجازفة فى بلد كان لا يزال يسعى إلى الإستقرار ، ولم يستطع التخلص من ظروف الدفاع عن الثورة وتثبيت النظام الجمهورى .

كانت هذه الظروف المضطربة تضيف إلحاحا أكثر على الإحتفاظ بنسبة سيولة عالية من حجم الودائع الموجودة فى البنك لمواجهة إحتمالات مطالبة أصحابها بحساباتهم عند أية هزة نفسية أو مجرد إشاعة تثير القلق .

معنى ذلك أننى لو سمحت لبنك مصر بفتح فرع له فى اليمن وهو لا يقبل سوى هذه الودائع ، أى الحسابات الجارية ، فإن الأموال اليمنية التى ستتوافد عليه فى هذه الصورة لا يصبح فى الإمكان الإنتفاع بها فى خطط الثورة التى استهدفت تخطيط التنمية الإقتصادية فى اليمن .

ووجود بنك مصرى ثابت وقوى إلى جانب بنك يمنى حديث الولادة ، ومعرض باستمرار للشكوك بحكم ولادته الحديثة ، فى بلد كان يمر فى مثل ظروف اليمن فى تلك الأيام ، من شأنه أن يدفع المواطنين المقيمين والمهاجرين إلى إيداع أموالهم لدى بنك مصر القوى والثابت ويهزون أكتافهم للبنك اليمنى حديث الولادة المجهول المستقبل .

استوعب السادات وجهات نظرى ووافق على إقتراحى بالإستفادة من خبراء بنك مصر فى مساعدة مجلس إدارة البنك اليمنى فى أعماله التأسيسية .

أما شقيق زوجتى فقد طلبت من السادات أن يعود معه إلى مصر منعا لأية حساسيات فى اليمن ، وإذا كانت مصر تريد أن تجاملنى فى شخصه ففى وسعها أن ترقيه فى مصر أو حتى تعينه وزيرا فى الحكومة المصرية بعيدا عن الأراضى اليمنية .

عاد شقيق زوجتى إلى مصر مع السادات بعد عشرة أيام .

اقترح السادات قبل أن يغادر اليمن أن نعين الأستاذ أحمد محمد نعمان وزيرا تكريما لنضاله السابق وتقديرا للسنوات التى قضاها فى سجن الإمام أحمد قبل أن يعلن تأييده للإمام البدر . وبعد مناقشة الأمر مع السلال وبقية الزملاء تقرر تعيينه وزيرا للحكم المحلى .

كما أبلغنى السادات أن الرئيس جمال عبد الناصر قد وافق على إرسال وفد إقتصادى بناء على طلبى يتولى دراسة الظروف الإقتصادية ويشترك معنا فى وضع الخطة الإقتصادية لليمن بالرغم من أن رسالة الدكتوراه التى نلت على أساسها هذه الشهادة من كلية الإقتصاد جامعة بون فى ألمانيا الغربية بدرجة الشرف كانت عن إصلاح الإقتصاد اليمنى الذى أمضيت طوال حياتى أحلم بتحقيقه .

لقد أشفقت على نفسى أن أتحمل وحدى مسئولية وضع خطة إقتصادية لليمن .

السيوف والملابس

ان مجابهه الواقع هو الاحساس الذى يحكم جميع الذين يعملون فى اليمن الان.. ل انه فى احدى المرات . وفى غمرة الحماسة كان الدكتور البيضانى يخطب فى احدى القرى .. ثم نسى الرجل نفسه، قال دون مواربة ، انه يجب أن يغير كل شىء فى اليمن . حتى تلك الملابس الغريبة الشكل المختلفة الالوان التى تعوق حرية اجسامنا ، لابد من تغييرها .. حتى تلك السيوف لم يعد هناك ما يبرر الحرص عليها ..

نسى الرجل نفسه وقال هذا الكلام والثورة ما زالت فى أيامها الاولى تحتاج الى تأييد كل فرد .. ولم يغضب أحد من الجماهير المحتشدة . على العكس انفجر الحماس البشرى فى هدير صاخب .. ــ . نعم . أننا نوافقكم على هذا

وليس هناك فى اليمن ايضا من يحس بالخجل من واقع اليمن غير السعيد .

فلم يعد هناك شىء يبرر الخجل .. ان الخجل لا يغير شيئا .. ان الثورة وحدها هى التى تغير كل شىء ..

كان رجال الصحافة العالمية يسمعون هذا الحديث .. على لسان الدكتور البيضانى وهو يقول لهم.. اكتبوا بصدق كل ما تقع عيونكم عليه فى ارضنا .. اننا لن نخجل من واقعنا . اكتبوا عن الفقر الذى يعيش فيه الناس . اكتبوا عن القات الذى كان يحتكره الامام ليلهى به الناس عن واقعهم الاليم ويأخذ ريالاتهم .. اكتبوا ايضا من التأخر الذى نعيش فيه ..

من تحقيق صحفى فى الاهرام ١٧ أكتوبر ١٩٦٢

٦

بينما كنا نتحرك على كل الجبهات العسكرية فى المناطق المتمردة كان من الضرورى علينا أن نعمل سياسيا على كسر حدة العنف الذى كنا نلقاه فى هذه المناطق ، مع تثبيت الولاء للجمهورية فى المناطق الأخرى المؤمنة بها ، حتى لا تتسع علينا ساحة القتال ونفقد الأصدقاء ونحن نحاول أن نكسب الأعداء . فأردت أن أزيد من جرعة تشجيع استثمار الأموال اليمنية فى المشروعات الزراعية والصناعية فى اليمن . وحيث أن الإمام كان يشترى فراسله القطن (١٨ كيلو جراما تقريبا) من الفلاحين بسعر ريالين ونصف وكان هذا السعر يمثل الحد الأدنى الذى يبقى هؤلاء مستمرين فى زراعة القطن ، لم يكن ذلك السعر يغريهم على التوسع فى زراعته أو يغرى غيرهم على الإقبال عليها .

وكانت أراضى الإمام وأراضى المحتكرين المتكتلين معه تمثل المساحات الأساسية لزراعة القطن .

ولم يكن هناك مشترون للقطن غير الجهاز الإحتكارى التابع للإمام ، فكان هذا السعر مفروضا على الفلاحين فى غياب أية منافسة حرة وكانت سياستى الإقتصادية تستهدف التوسع فى زراعة القطن بتشجيع الفلاحين الحاليين على توسيع رقعة أراضيهم المزروعة قطنا ، وتشجيع الفلاحين الآخرين على إستبدال محاصيلهم الإستهلاكية بالقطن ، وتشجيع المستثمرين اليمنيين المقيمين والمهاجرين على شراء الأراضى التى تصلح لزراعة القطن ، وتشجيعهم على استصلاح الأراضى الأخرى التى يمكن زراعتها قطنا واستبدال المحاصيل التقليدية بالقطن .

وكى أنجح فى تحقيق هذه السياسة لا يكفينى أن أصدر قرارا جمهوريا بأننى أؤيد زراعة القطن وأصيح هاتفا (تحيا زراعة القطن) وأعلق هذا الصياح على جدران الشوارع وأنام فى القصر الجمهورى فتتحول أراضى اليمن إلى زراعة القطن بمداد القرار الجمهورى السحرى .

إننى لا أؤمن بالسحر ، ولا أكتفى بالشعارات والتمنيات القلبية والمزايدات السياسية . وإنما أؤمن بالعلم .

وفى مقدمة العلم علم الحساب ، الذى يدلنا على علم المصالح .

فكل نشاط إقتصادى ينبثق من عملية حسابية دقيقة يجريها كل عاقل يرغب فى القيام بعمل ، وفى نهاية خارج الجمع والطرح والضرب والقسمة تظهر النتيجة ، هل يستمر المرء فى هذا العمل أو يعدل عنه ويبحث عن غيره ؟ .

بطبيعة الحال تعتمد هذه البديهية على حد أدنى من المستوى العقلى للتفكير والتأمل ، وهذا الحد الأدنى متوفر عادة لدى كل الشعوب بصفة عامة مع إستثناء لا يمس هذه القاعدة العامة ، وعندئذ يأتى دور المخططين الإقتصاديين ليدخلوا فى هذه العملية الحسابية مؤثرات طارئة تجعل نتيجة الحساب تخرج فى صالح إقناع المرء بأن يستمر فى العمل المطلوب أن يستمر فيه ويقبل أن يزيد عليه .

لم أخرج عن هذا الفهم العلمى لطبيعة الأشياء ومنطقية التخطيط والتطوير .
لقد بحثت عن المؤثرات الطارئة التى يمكن إدخالها فى ذهن الفلاحين والمستثمرين وكان أمامى أن أعطى مكافأة إنتاج عن كل فراسلة قطن كما فعلت دول أخرى سبقتنى إلى ذلك ، لكن معنى هذا الإجراء إننى سأبقى ثمن القطن لدى المزارعين وأحرم الدولة من العملة الصعبة التى ستعود إليها من عملية تصديره بواسطتها مباشرة .

وكان أمامى أن أعفى تصدير القطن من الرسوم الجمركية ، لكن هذه الرسوم لم تكن مفروضة على القطن أصلا .

وكان أمامى أن أعفى زراع القطن من الزكاة ، لكن الزكاة ركن من أركان الإسلام لا أستطيع الغاءه ، علاوة على أننى قد أعلنت فى وقت سابق إعتبار الزكاة أمانة فى جميع أنحاء اليمن وبالنسبة لجميع المواطنين وجميع الأموال ، كى يسلمها المواطنون بمحض إختيارهم وتقديرهم إلى الجهات الرسمية ، وكان ذلك القرار علاجا لمشاكل إقتصادية وإجتماعية جسيمة عرقلت النمو الإقتصادى قبل الثورة .

إذن لم يكن أمامى سوى أن أرفع سعر فراسلة القطن التى تشتريها الحكومة إلى الحد الذى يحقق الأهداف الإقتصادية المذكورة .
لم يكن أمامى حل أفضل .

ذلك إلى جانب تحسين وسائل الإنتاج ونوعه ووسائل التعبئة والمواصلات التى من شأنها تخفيض نفقات التكلفة ، وهذه الإجراءات الأخيرة لا تخص زراعة القطن وحدها وإنما تشمل كل أنواع الإنتاج بصفة عامة وكانت هذه الإجراءات على كل حال جزءً متمما لسياسة الدولة الإقتصادية .

وقبل أن أعلن قرار رفع سعر القطن الذى تشتريه الحكومة أستدعيت المهندس على محمد عبده نائب وزير الزراعة ، وكان يحمل بكالوريوس الزراعة من جامعة القاهرة ، وكلفته بتشكيل لجنة برئاسته وعضوية عدد من المختصين فى وزارته والمختصين فى شئون القطن والتصدير ، كى يوافونى بتقرير دقيق عن زراعة القطن فى اليمن وتصديره وثمنه وجملة تكاليفه حتى ظهر الباخرة على حد التعبير الإقتصادى .

وعندما حصلت على هذا التقرير إتضح لى (بناء على ذلك التقرير) أن الحكومة كانت تشترى الفراسلة من الزراع بريالين ونصف وتكلف كل فراسلة ريالين كنفقات تعبئة وتخزين وتوصيل إلى ظهر الباخرة ، وتبيع الفراسلة إلى الخارج بما يساوى تسع ريالات .

فوجدت أن الحكومة تربح من كل فراسلة أربعة ريالات ونصف ، كما كان يفعل الإمام المحتكر لتجارة القطن .

رأيت أننا لو رفعنا الثمن الذى تشترى به الحكومة فراسلة القطن من ريالين ونصف إلى خمسة ريالات فإن ذلك سوف يشجع الزراع والمستثمرين على التوسع فى زراعة القطن . ولذلك أصدرت قرارا فى مؤتمر شعبى ليحدث أكبر إثارة شعبية حماسية ممكنة كى يتحقق هدفنا ، وهو تشجيع زراعة القطن ، وقلت أننا قررنا رفع ثمن الفراسلة إلى خمسة ريالات . على أن تخصص الأربعة ريالات الباقية من سعر البيع إلى الخارج مناصفة بين تكاليف التعبئة والتخزين والشحن ، وبين إنشاء صندوق بإسم صندوق موازنة الأسعار . أى ريالان تكاليف ، وريالان عن كل فراسله لصندوق موازنة الأسعار ، بحيث إذا أنخفضت الأسعار الدولية فى أية سنة ، فإننا لا نخفض ثمن الشراء من الزراع وإنما نعطيهم نفس الخمسة ريالات وتتقاضى الحكومة الفرق من هذا الصندوق .

وإذا استمرت مالية الصندوق فى التزايد نتيجة لثبات أو إرتفاع الأسعار العالمية فإن الحكومة تستطيع أن تنتفع من مالية هذا الصندوق فى عمليات التوسع الجديدة فى زراعة القطن وتحسين نوعيته وإنتاجه أو زيادة سعر شرائه من الفلاحين . المهم أن تمتنع الحكومة عن إستقطاع أى جزء من ثمن القطن لخزينة الدولة ، ويكفيها أن تعمل على تشجيع التوسع فى زراعته ، الأمر الذى يؤدى إلى زيادة الدخل القومى وزيادة حصيلة الزكاة . وعندما تستقر زراعة القطن وتنتشر فوق الأراضى التى تصلح لها تستطيع الحكومة فى أى وقت لاحق أن تتقاضى صورا من دخل هذه الزراعة ، لكنها يجب عليها ، حتى فى هذه الحالة ، أن تلاحظ عدم الوصول إلى الحد الذى يجعل المستثمرين يميلون إلى ترك الإستثمار .

مرة أخرى .. المهم هو أن تحرص الحكومة دائما على أن تخرج عملية الحساب التى يجريها المستثمرون فى صالح إستمرارهم فى الإستمثار .. وليس فى صالح إمتناعهم وتوقفهم عنه .

وبعد يومين من إصدار القرار برفع ثمن القطن زارنى نائب وزير الزراعة المذكور ورئيس اللجنة التى قدمت إلىّ ذلك التقرير الذى على أساسه أصدرت القرار وقال أنه يأسف جدا لأنه أخطأ هو وزملاؤه فى الحساب وأن ثمن بيع الفراسلة إلى الخارج هو سبعة ريالات فقط وليس تسعة ، فسألته عما يقترحه بناء على ذلك ؟ فقال أن نعدل عن قرار مضاعفة سعر القطن ونكتفى بشراء الفراسلة بثلاثة ريالات فقط بدلا من خمسة ريالات حتى يتبقى أربعة ريالات ، إثنان للتكاليف وإثنان لصندوق موازنة الأسعار .

وأثناء زيارة نائب وزير الزراعة المذكور فوجئت ببرقيات من الأهالى فى تهامة يشكون فيها من موظفى وزارة الزراعة ولجنة القطن لأنهم يرفضون تنفيذ قرار الحكومة بشراء الفراسلة بخمسة ريالات ويفرضون على الأهالى ثلاثة ريالات فقط .

بطبيعة الحال رفضت إقتراح نائب وزير الزراعة ، ورفضت أن ترجع الحكومة عن قرارها لأن تراجعها يخل بالثقة الإقتصادية فى حكومة الثورة ، تلك الثقة التى كنا نبنيها بإستماتة .. يوما بعد يوم .. حتى يمكن أن نبنى إقتصاد الدولة بمعونة جهود المواطنين .

وفى الحال أعلنت مرة ثانية إلتزامنا بقرارنا المذكور بتثبيت سعر الفراسلة بخمسة ريالات وأوضحت لوزارة الزراعة بإننا يمكننا فى الوقت الحاضر تأجيل إنشاء صندوق موازنة الأسعار الذى كنت قد إقترحته .

ثم استدعيت الرائد محمد الرعينى قائد منطقة الحديدة وحملته مسئولية تنفيذ قرار الحكومة وإلزام موظفى وزارة الزراعة ولجنة القطن بإستلام فراسلة القطن مقابل خمسة ريالات وكلفته بالإشراف على أعمال وزارة الزراعة ولجنة القطن ، فى المنطقة التى يمارس فيها قيادته العسكرية وهى منطقة تهامة حيث القطن على إعتبار أن المطلوب إداريا فى ذلك الوقت هو الإلتزام بتنفيذ سياسة الدولة التى تتقرر فنيا وإقتصاديا فى صنعاء ، ووعدته بأنه سيتولى وزارة الزراعة فى أول إعادة تشكيل للوزارة لما كنت أعرفه عنه ويعرفه الجميع من نزاهة وحزم وإدارة . وقد نفذت هذا الوعد عندما أعدنا تشكيل مجلس الوزراء بعد ذلك بنحو أسبوعين .



كان برنامج السلال اليومى يبدأ بتفقد السوق التجارى فى صنعاء ليطمئن على توفر السلع الغذائية فى المدينة ، ثم يقوم بزيارة المطار الحربى وثكنات الجيش ، وينتهى بإستقبال الوافدين المهنئين من الجمهوريين الصادقين ، والمتمردين المستترين ، ويوزع عليهم السلاح والذخيرة ، عليهم أجمعين ، ولم يكن فى وسعه ولا فى وسع غيره أن يميز بين صدق أولئك وكذب هؤلاء .

ولم يكن من الحكمة أن تحتمى قيادة الجمهوريين بين أسوار صنعاء وتترك وكالات الأنباء تستمر فى ترويج إشاعات الأعداء الذين صدقوا أنفسهم حين زعموا أن قوات الإمام البدر المخلوع قد أحتلت مدينة عمران فى طريقها المظفر نحو العاصمة ، وكانوا ينصحون رجال الحرس الجمهورى بإلقاء القبض على السلال والبيضانى وتسليم رأسيهما للإمام ، أثناء الإحتفال المهيب عند وصوله إليها .

بدأت بعض آذان الحرس الجمهورى تصغى إلى هذه النصيحة ، وتتوقع ذلك الإحتفال المهيب . ولم يكن معنا فى صنعاء طارق بن زياد يقول لرجاله « العدو أمامكم والبحر خلفكم » وإنما كان معنا من بين رجال الحرس من سبق لهم أن أقشعرت أبدانهم وانهارت أعصابهم وذابت قلوبهم عندما رأوا بأعينهم رؤوس من سبقونا من الثوار معلقة بين الأحجار والأشجار ، وتدوسها الأقدام وتنهشها الكلاب والطيور الجارحة ، كلما انتصر إمام على إمام .

كان معنا فى صنعاء من يتذكر الكارثة التى حلت بها قبل ثورتنا بأربعة عشر عاما حين انتصر الإمام أحمد حميد الدين على منافسه الإمام عبد الله الوزير ، فنهبت القبائل بيوت صنعاء بأمر الإمام الزاحف إليها واستباحت بأمره كل المحرمات باسم « الإسلام » الذى ظلمه الإمام وسمى نفسه « أمير المؤمنين الناصر لدين الله » .

وكان أعداء الثورة يعرفون ضعف صخورنا ونعومة رمالنا ، لا ذكاء منهم ولا غباء منا ، وإنما هى سيرة اليمن معروفة وواضحة ، ليس فيها خفاء ولا يحتاج إدراكها إلى أى عناء . ثم تضاف إلى قصة اليمن طبيعة البشر وطاقة النفس ، حين يتسلل إليها ظلام الهزيمة ويحجب عنها فجر النصر فتستسلم للظلام الراجح ولا تغامر مع الفجر المنتظر .

مدينة عمران التى زعم أعداء الثورة أن البدر المخلوع قد احتلها فى طريق زحفه الساحق نحو العاصمة تقع على مسافة أربعين كيلو مترا فى شمال صنعاء فقررت الذهاب

إليها وأخذت معى مجموعة من الصحفيين العرب والأجانب ، وكان ذلك يوم الأربعاء ١٧ أكتوبر ١٩٦٢ حتى يدلونى على مكان الإمام البدر المخلوع أو أدلهم على قوة الثورة وشعبية الجمهورية .

كان جسدى مع رجال الصحافة فى مدينة عمران ، وقلبى مع فلذاته من أهل صنعاء . وكان ينتظرنى فى عمران الملازم عبد الله عبد السلام صبره ، أحد الضباط الأحرار بعد أن هيأ فى إنتظارى حشدا هائلا من رجال قبيلة حاشد التى يتزعمها الشيخ الثائر عبد الله بن حسين الأحمر ، الذى لم يكن فى هذه المدينة فى ذلك الوقت حيث كان يقود المعارك الطاحنة ضد المتمردين فى شمال اليمن بمجرد أن صدر القرار بإطلاق سراحه من سجن حجه بعد قيام الثورة .

كان المؤتمر الشعبى الذى عقدته فى عمران نفيا قاطعا للإذاعات المعادية التى كانت تشيع أن البدر يتخذ مها مقرا لقيادته ضد الثورة .

وعندما عدت إلى صنعاء أطلعنى العميد على عبد الخبير على طلب من المقدم عبد الله جزيلان بأن تقوم الطائرات بضرب مدينة حجة بدعوى أن البدر قد إتجه إليها . رفضت الإذن له بذلك لأن مدينة حجة أصبحت من قلاع الجمهورية وأن قائدها النقيب على سيف الخولانى ومساعده النقيب هاشم الحوثى يسيطران على الموقف هناك تمام السيطرة ، ولم أكن أدرى من أين كان جزيلان يستقى معلوماته حيث كان البدر قد وصل إلى الكهوف الجبلية على الحدود مع المملكة العربية السعودية .

عندما نجح المؤتمر الشعبى الذى عقدته فى عمران إقترح الرئيس السلال أن أعقد مؤتمرا مثله فى مدينة تعز للتأكد من إقفال الحدود الجنوبية مع المنطقة التى كانت تحتلها بريطانيا .

وصلت إلى تعز ولا أجد وصفا لهذا المؤتمر أفضل مما سجلت صحيفة الجمهورية اليمنية بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٦٢ حيث كتبت تحت عنوان « الدكتور البيضانى يدخل تعز فى مظاهرة شعبية عظيمة » ما يلى :

(فى صباح يوم الجمعة الموافق ٢١ جمادى الأول ١٣٨٢ ، ١٩ أكتوبر ١٩٦٢ أقيم مهرجان كبير فى ميدان الشهداء بتعز ضم آلاف المواطنين من مختلف الطبقات الذين توافدوا إليه من كل حدب وصوب حتى غصت بهم الأرض وأصبح لا يرى شبر من الأرض من كثرة البشر ، وكان الحرس الوطنى يقوم بتمرينات المشى العسكرى بحماس وقوة وكلهم نشاط زاخر وحركة نشيطة جبارة ، وانتظر الكل وصول نائب الرئيس ونائب القائد العام الدكتور عبد الرحمن البيضانى ومرافقيه معالى وزير المواصلات العقيد حسن العمرى ومراسلى التليفزيون والإذاعات العربية ، ولما كان الشوق قد كثر فيهم وجرى فى دمائهم فإن الإنتظار بالنسبة لهم قد صار غير ميسور ولهذا فقد ذهبوا جميعا إلى المطار لينتظروه هناك ، وما أن وصل فى الساعة الرابعة والنصف حتى هتفت الجماهير بملىء حناجرها ، وهبت بكاملها لتحيى القادم

الكريم ولتحمله على أعناقها ثم تطوف به المطار كله وهو على الأعناق ، وبمشقة وجهد استطاع الدكتور البيضانى أن يركب سيارته وشقت سيرها بين عباب البشر إلى أن وصلت مع رتل من السيارات إلى ميدان الشهداء وقد خطب العميد الأنسى ووزير الطيران ثم الدكتور البيضانى)

شهد هذا المؤتمر سفراء الدول وممثلو الصحافة والإذاعات العربية والأجنبية وكانت الجماهير تنادى بالوحدة مع مصر وكان من بين ما جاء فى كلمتى مايلى :

(أيها الأحرار ..

إذن ..

لم أخطىء حين وهبت حياتى لقومى من أبناء شعب اليمن ، ولم نخطىء نحن الثوار حين نادينا بالثورة وقمنا بها مرحبين بالموت من أجل اليمن .

ها أنتم تملأون الأرض ويعلو صوتكم عنان السماء ، وأنتم تعبرون عن تشبثكم بالثورة التى قامت بإسمكم ومن أجل حاضركم ومستقبل أولادكم .

ولقد أكدتم إصراركم على الدفاع عنها حين أرسلتم إلينا فى صنعاء عشرات الألوف من أبنائكم الذين تطوعوا بإرادتهم الحرة للقتال فى قمم الجبال وسفوح الوديان وأعماق الكهوف والمغارات التى اتخذها المتمردون أوكارا لهم ، وهم لا يعلمون أنهم بذلك لا يحاربوننا وإنما يحاربون أنفسهم ، ويئدون مصلحتهم التى نسعى إلى تحقيقها لهم ، وكأنهم من الذين وصفهم الرسول الكريم حين قال (عجبت لقوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل .)

وأننى وأنا وسط ألوفكم المؤلفة ولا يحرسنى سوى الله وقلوبكم الثائرة وسواعدكم التى ترابطت من أجل الدفاع عن ثورتكم التاريخية المجيدة أدعو دول العالم كلها كى تبحث عن تفسير لهذا الحدث التاريخى الذى لم تعرف اليمن له شبيها ولا نظيرا خلال تاريخها الطويل عبر الألوف من السنين .

وليشهد ممثلو الدول والصحافة والإذاعات الأجنبية أننى أمام هذه الجموع التى احتشدت لأول مرة فى تاريخ اليمن بهذه الألوف المؤلفة أعلن أننا لا نسعى إلى ايذاء أحد خارج حدود بلادنا ، وإننا لا نستهدف سوى إحياء مجد اليمن وميلاد مستقبلها الجديد بشعبها الخالد العريق فى ظل شريعة الإسلام بعيدين كل البعد عن المذاهب الملحدة والنظريات التى لا تتفق مع ظروف شعبنا ومقتضيات بناء صرحه الحضارى الذى بدأنا فى وضع لبناته الأولى) .

ثم تحدثت عن مطالب الجماهير التى كانت تهتف بالوحدة مع مصر فقلت :

(إن للرئيس جمال عبد الناصر شروطا فى تحقيق الوحدة مع اليمن ومن أهم هذه الشروط ألا يوجد جندى مصرى واحد على أرضها وبعد ذلك يتم إستفتاء شعبى فى كل من مصر واليمن وبعدها تتقرر الوحدة بين الشعبين العظيمين . هذه شروط جمال عبد الناصر ونحن نعمل من أجل تحقيقها ونرجو الله أن يوفقنا من أجل الوصول إليها بفضل إيمانكم العميق الصادق بالنهضة والوحدة والحضارة) .

وختمت كلمتى التى استغرقت أكثر من ساعتين بالتعبير عن مشاعر رجال الثورة اليمنية الذين تقدموا الصفوف ووهبوا حياتهم من أجل المستقبل اليمنى الأفضل فى ظل جمهورية يختار الشعب قادتها بإرادته وكامل حريته .

بعد إنتهاء المؤتمر عقدت إجتماعا لأعضاء مجلس قيادة الثورة الذين كانوا فى تعز حيث تبادلنا التهانى لهذا النصر الذى منحنا الله إياه ، وكان من بين الذين حضروا ذلك الإجتماع من أعضاء المجلس الزملاء النقيب محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر والعقيد حسن العمرى وعبد القوى إبراهيم حاميم والطيار عبد الرحيم عبد الله والملازم سعد الأشول وعلى محمد سعيد والملازم محمد الخاوى .

طلبت من الزميل محمد قائد سيف أن يرسل شقيقه عبد الله قائد سيف سرا إلى عدن يحمل رسالة منى إلى الأستاذين عبد الله عبد المجيد الأصنج رئيس حزب الشعب الإشتراكى[١] ومحمد سالم باسندوه[٢] وهما من زعماء الحركة العمالية فى عدن أدعوهما إلى مقابلتى سرا فى قرية الراهدة بالقرب من الجنوب اليمنى المحتل .

وفى الموعد المحدد وصلت إلى الراهدة مع رفاقى وتفقدنا أحوال القبائل التى كانت مكلفة بحماية تعز وسد جميع الثغرات التى يمكن أن تستغلها بريطانيا فى تهريب السلاح إلى المتمردين . وجاء الأصنج وباسندوه ومعهما الأستاذ محمد سالم على نائب رئيس الحزب والأستاذ عبد الله على عبيد وقلت لهم أننا ونحن نقوم بتثبيت دعائم النظام الجمهورى على الأراضى التى كان يحكمها الإمام ينبغى علينا أن نؤكد وحدة اليمن التى تشمل الأراضى التى يحتلها الإنجليز ، ولذلك فإننا نعرض عليهم منصبين وزاريين كى يشتركوا معنا فى مجلس وزراء الجمهورية العربية اليمنية وهم من أبناء عدن تأكيدا للمعنى الذى نقصده ، وقد شهد معى هذا اللقاء الزميلان محمد قائد سيف وعبد القوى إبراهيم حاميم .

---

(١) وزير خارجية اليمن فى وقت لاحق بعد الثورة .
(٢) أحد مستشارى رئاسة الجمهورية اليمنية حاليا .

• نصف مليون ريال سعودى تفضح (

• مفاجآت غريبه أعلنت فى المؤتمر الذى عقد

• المراسلون الصحافيون العالميون يشاهدون با

الجمهوريـــة

الناطقــة باسم الشعب

جـــريدة سياسية ثقافيـــة جامعــــة

العـــدد الأول – الثمن بقشتين ونصف – السنة الأولى

٢٢ جماد الأولى ١٣٨٢ هـ — موافق ٢٠ اكتوبر ١٩٦٢ م

عقد الزعيم مؤتمراً للممثلى الصحـافه والاذاعات ومراسلى وكالات الانبـاء . اعلن فيه الزعيم حقائق كثيره ومفاجآت غريبه

فبعدان تحدث الزعيم عبدالله السلال عن الطغيان ونهايته فى اليمن قال : — والان سفاجئ الصحافه والصحافيين بمفاجأة غريبه مذهله هذه المفاجأة هي (ترى الحرب سعود !!) أو (ننى الحرب سعود !!) الذى ملك مالا كثيراً جدا بعد ان كان فقيرا وعديا فى ارضه وبلاده

الدكتور البيضانى يدخل تعز فى مظاهره شعبيه عظيمه

في صباح يوم الجمعه الموافق ٢١ جمادي الاولي اقيم مهرجان كبير في ميدان الشهداء بتعز ضـــم آلاف المواطنين من مختلف الطبقات الذين توافدوا اليه من كل حدب وصوب حتي غصت بهم الارض واصبــح لايرى شبر من الارض من كثرة البشر وقد كان الحرس الوطنى يقوم بتمرينات المشي العسكري بحماس وقوة وكلهم نشاط زاخر وحركة نشيطة جباره وانتظر الكل وصول نائب الرئس ونائب القائد العام الدكتور عبد الرحمن البيضاني ومرافقيه معالى وزير المواصلات العقيـد حسن العمري ومراسـل التلفزيون والاذاعة العربيــة ولماكان الشوق قد كثر فيهم وجري في دمائهم فان الانتظار بالنسبه لهم قد صار غير ميسور ولهذا فقـــد هبو جميعا الى المطار لينتظروه هناك وما ان وصل في الساعه الرابعة والنصف حتى هتفت الجماهير بملأ حناجرها وهبت بـــكاملها لتحيي القائم الكريم وتحمله على اعناقها ثم تطوف بــه المطار كله وهو على الاعناق وبمشقة وجهد استطاع الدكتور البيضانى ان يركب سيارتـــه وشقت سيرها بين عباب من البشر الى ان وصلت مع رتل من السيارات الى ميدان الشهداء وقد خطب العميد الآنسي ووزير الطيران ثم الدكتور البيضاني وسننقل تفاصيل مادار في المؤتمر في العـــدد الذى سيصدر بعد غـــد .

قام الدكتور البيضـاني نائب رئيس الوزراء ونائب القائد العـام بزيارة المستشفي وتفقد الامراض والعلاجا وسائر الاعمال في المستشفى بجميعه . والنتيجة هي ما يرجوه كل مواطن من الزيارات والتفقدات .

عشت ساعات الثورة الاولى

كان الليل قد اعتكر حتى كاد المشى ان يتعـذر ، وكانت الساعه تدق كأنما تنفخ في الصور معلنة الخامسه والنصف وقت العمل الجوي الجبار حيث انبثقت صرخة من قلب الظلام الحالك من ضابط برتبة « مقدم » : — الآن . . الآن اركبوا اشتغلوا ... الاستراتيجي المحدد له ،

صورة من صحيفة الجمهورية اليمنيه



المؤلف فى طريقه من مطار تعز إلى ساحة المؤتمر الشعبى بالمدينة . وعلى يمينه
حارسه الخاص الشهيد أحمد بيدر وخلفه النقيب محمد قائد سيف عضو مجلس قيادة الثورة

البيضاني يعلن في مؤتمر شعبي

القاهرة تقول إن الوحدة

يجب أن تسبقها خطوات

أعلن الدكتور البيضاني ان شعب اليمن تطلب الوحدة فورا مع الجمهورية العربية المتحدة .. قال لالوف المواطنين الذين تجمعوا في مؤتمر شعبي ضخم بتعز : انني اسمع هتافاتكم المدوية التي تطالب بالوحدة .. ولكن القاهرة لها في الوحدة رأى .. ان الوحدة يجب أن تسبقها خطوات لابد من اتخاذها .

وان ما نحصل عليه اليوم او ما سنحصل عليه غدا او بعد غد من الجمهورية العربية لا يقل ابدا عما يمكن أن نحصل عليه في ظل الوحدة ..

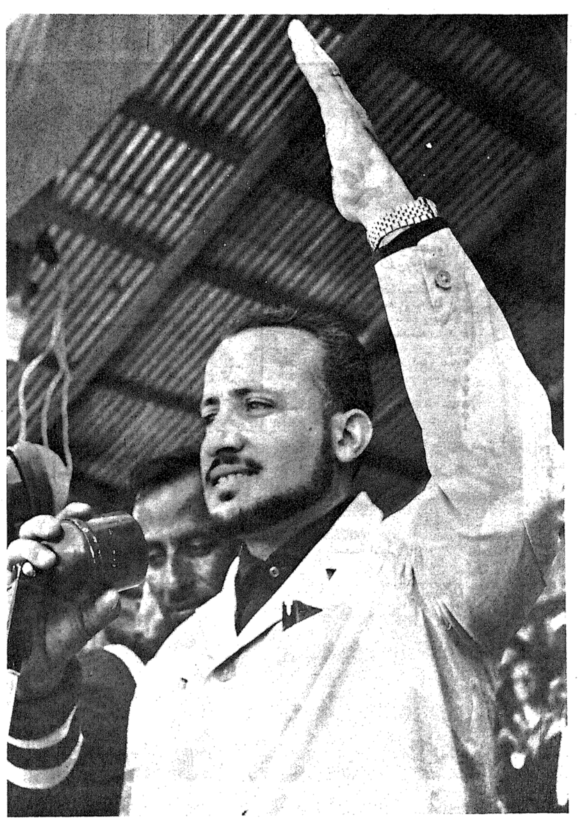
ان الوحدة العربية آتية لا ريب فيها ان شاء الله ...

وقال نائب القائد العام ونائب رئيس مجلس الوزراء اليمني : ان الثورة قامت في اليمن من أجل ان يحكم الشعب نفسه ومن أجل أن تعود الشريعة الاسلامية الى اليمن .. بعد ان كان الحكام يرتكبون كل منكر باسم الدين ويستحلون كل محرم باسم الاسلام ..

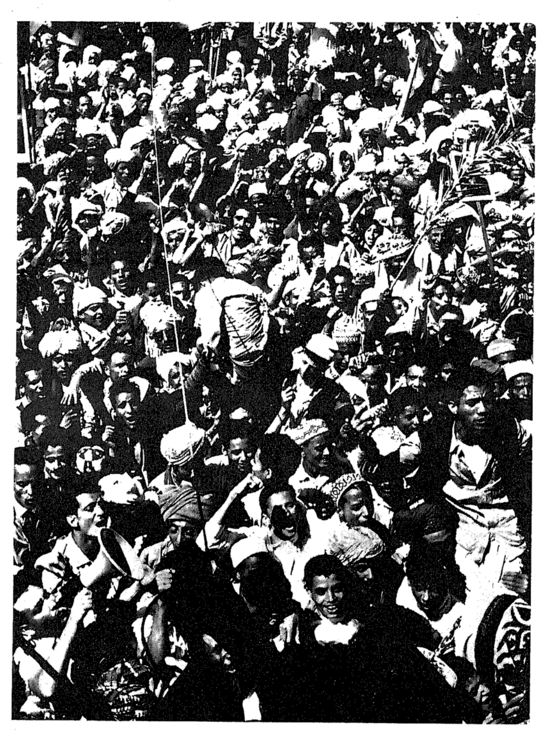
وقد قامت الثورة كذلك من أجل القضاء على التفرقة العنصرية ومن أجل رفع مستوى المعيشة ..

وسوف يتم قريبا جدا اعداد خطة اقتصادية عاجلة لرفع مستوى المعيشة

صحيفة الأخبار فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)



المؤلف يخَطب فى المؤتمر الشعبى فى تعز .



جانب من المؤتمر الشعبى فى تعز .

إعتذر الأصنج وأصحابه عن عدم قبولهم هذا العرض على اعتبار أن الحركة العمالية فى عدن فى حاجة إليهم فاقترحت عليهم أن يرشحوا لنا وزيرين بدلا عنهم فوعدوا بذلك ولكنهم صرفوا النظر ، بينما كانت عدن تخلو من شبابها وعمالها الذين هبوا إلينا فى صنعاء للإنضمام إلى الحرس الوطنى .

عدت إلى تعز وتوجهت إلى زيارة منطقة تربة ذبحان مسقط رأس أسرة الأستاذ أحمد محمد نعمان ، تلك الأسرة التى لا شك فى أنها قدمت الكثير من أجل اليمن فأردت أن أزور هذه المنطقة التى تقع فى الجنوب الغربى من تعز إعترافا بفضل هذه الأسرة .

خرج الألوف من أبناء تربة ذبحان يلتفون حول الطائرة العمودية (الهيلكوبتر) التى أتت بى تحملنى إليهم . وبعد أن استمعت إلى كلمات الخطباء وقصائد الشعراء ألقيت كلمة أكدت فيها حرص الثورة على تنفيذ كل ما جاء فى أهدافها ونقلت إليهم تحية الثوار وفصلت لهم كيف نجحت الثورة عندما أصرت على إقتلاع الإمامة من جذورها ولم تقبل الحلول الوسطى التى ترضى ببقاء هذه الجذور فى أعماق اليمن .

أمضيت ليلتى فى تعز ثم توجهت إلى صنعاء وكانت أخبار هذه المؤتمرات الشعبية قد سبقتنى إليها ، وأذكر أن الرئيس السلال أظهر عظيم الغبطة بما أنجزته فى تعز إلا أنه كان عظيم القلق من تطور المعارك العسكرية مع المتمردين الذين بدأت تصل إليهم أسلحة ثقيلة وذخيرة وأموال ليس لها عدد .



المؤلف يلقى كلمة فى مدينة الراهدة وحوله من اليمين الأستاذ محمد مهيوب ثابت والشيخ عبد القوى حاميم ، ومن اليسار النقيب محمد قائد سيف والملازم سعد الأشول من أعضاء مجلس قيادة الثورة

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

قرآن كريم

جذور الخلاف

الفصل الحادى عشر



وجدت فى إنتظارى فى صنعاء الوفد المصرى برئاسة الدكتور حسين خلاف وزير التجارة الخارجية الذى كان قد طلب مقابلتى فى اليوم التالى لوصوله ، فظننت أنه جاء ليقدم التهنئة بنجاح قيام النظام الجديد فى صنعاء ، إلا أنه فاجأنى وصدمنى وخيب ظنى وهو يعطينى مجلداً كبيرا مطبوعا يحتوى على الخطة الإقتصادية التى قالوا عنها أنها تصلح للتطبيق فى اليمن ، فعلقت على ذلك بقولى أننى أتصور أنهم لم يفكروا فى هذه الخطة الإقتصادية فى صنعاء بعد وصولهم إليها ، وإنما جاءوا بها مطبوعة من مصر ومفصلة جاهزة ، ولذلك لم أقبلها . وقلت لهم أننى لوكنت فى حاجة إلى خطة مطبوعة لطلبتها من الرئيس جمال ليرسلها إلى اليمن مع إحدى الطائرات التى تصل يوميا إلى اليمن ، لكننى طلبت وفدا إقتصاديا ليدرس معنا هنا فى اليمن تفاصيل المخطط الإقتصادى الذى يصلح لليمن عندما يتفق مع ظروفها الموضوعية وإمكانياتها الطبيعية والبشرية ، إلى غير ذلك من عناصر التخطيط الإقتصادى والإجتماعى ، ولا ينقل إليها خطة جاهزة من الخارج من بلد آخر ظروفه تختلف بعض الإختلاف عن ظروف اليمن .

وفعلا وزعت أعضاء الوفد المصرى على الإدارات الحكومية والأسواق اليمنية وكل المواقع الإقتصادية التى يمكن أن تعطى للوفد المصرى المعلومات الضرورية لمساعدتنا على وضع الخطة الإقتصادية .

ومع ذلك فاجأنى الوفد المصرى مرة أخرى بعد أسبوعين وطلب منى توزيع الأراضى الزراعية بواقع خمسة أفدنة على المعدمين اليمنيين فرفضت هذا الإقتراح ، وسألت الدكتور خلاف كم يبلغ الدخل السنوى الصافى للفدان فى مصر فى تلك السنة (سنة ١٩٦٢) ؟ فقال حوالى عشرين جنيها .

قلت إذن يكون صافى دخل الخمسة أفدنة حوالى مائة جنية بواقع ثمانية جنيهات ونصف شهريا ، فإذا وضعت الحد الأدنى لأجرة العامل الزراعى فى اليمن بما لا يقل عن ثمانية جنيها ونصف شهريا أكون قد حققت الفكرة الإجتماعية ومنعت تفتيت الملكية الزراعية ، مع ما يجب وضعه فى الإعتبار من فوارق الأسعار وصافى دخل الفدان بين مصر واليمن .

شرحت للوفد المصرى الفارق الكبير بين مصر واليمن ، ففى مصر يوجد (سنة ١٩٦٢) سبعة ملايين فدانا صالحة للزراعة يعيش عليها ثلاثون مليون مواطنا مصريا ، بينما يوجد فى اليمن ثلاثون مليون فدانا صالحا للزراعة ولا يوجد فى اليمن سوى سبعة ملايين مواطنا يمنيا .

أوضحت للوفد المصرى أننى كرجل إقتصاد لا أقر ما يسمونه فى مصر بـ (قانون الإصلاح الزراعى) لأن وصف الإصلاح الزراعى يعنى علميا إصلاح الإنتاج الزراعى أى تنفيذ مخططات إقتصادية وفنية وزراعية تستهدف إصلاح ظروف الإنتاج الزراعى وتطويرها ، بينما الغرض الذى أرادته مصر مما أطلقت عليه إسم (قانون الإصلاح الزراعى) لم يستهدف سوى رفع سيطرة أصحاب الملكيات الكبيرة عن العمال الزراعيين ، وذلك هدف سياسى لا علاقة له بإصلاح المستوى الإجتماعى أو إصلاح الإنتاج الزراعى وإنما يؤدى عمليا إلى تفتيت الوحدات الزراعية فتتناقص غلتها الإقتصادية .

شرحت للوفد خطتى الزراعية بالنسبة إلى الأراضى الجديدة التى تفكر الدولة فى إستصلاحها إلى جانب الأراضى المزروعة فعلا والمملوكة للدولة ، وهذه الخطة تقوم على أساس إنشاء شركات زراعية ذات مساحات كبيرة يكون نصيب الدولة فى رأسمالها بحسب ثمن الأرض التى تقدمها إلى كل شركة ، ويكون نصيب المساهمين من المستثمرين بحسب رأس المال النقدى الذى يقدمونه إلى الشركة لتكملة رأس المال الكلى عن طريق الإكتتاب العام حتى نتمكن من تحقيق الأهداف الإقتصادية والإجتماعية والسياسية التالية :

١ - تتمكن الدولة من تحقيق السياسة الرشيدة فى المجال الزراعى عن طريق توجيه سياسة الشركات الزراعية من حيث اختيار المحاصيل وأساليب الإنتاج وتوقيته وتصريفه .

٢ - الإنتفاع من مزايا الإنتاج الزراعى الكبير والكثيف على مساحات شاسعة .

٣ - تحديد حد أدنى للأجور الزراعية بحيث يتمكن العامل الزراعى من الحصول على ما يوازى دخله المحتمل من الملكية الزراعية الصغيرة التى كان سيحصل عليها طبقا لقانون ما يسمى بالإصلاح الزراعى ، ولكن فى صورة أجر زراعى ثابت ومضمون .

٤ - تحرير الزراع المعدمين من مسئولية زراعة الملكيات الطارئة التى من الممكن أن يسيئوا إستثمارها مما يصيبهم بخسائر لا تعفيهم من سداد قيمة البذور والسماد والقروض التى يحصلون عليها من الجمعيات الزراعية وبنوك التسليف الزراعى ، الأمر الذى يضع الدولة بين أمرين أحلاهما أَمَرّ من الآخر : إما أن ترهق المالك الصغير الجديد بإلزامه بتسديد ديونه فيبيع ملابسه إن كان قد بقى له شيء منها ، أو تتنازل عن حقوقها عليه فتسقط هذه الديون وبصفة متكررة ، كما فعلت الحكومات المصرية المتعاقبة فى ظل هذا القانون فأصابت الإقتصاد الوطنى بأعباء إضافية ، علاوة على نقص الإنتاج الزراعى الوطنى الذى ينتج عن فشل هذا المالك الصغير الجديد الذى لا يلتزم بأصول الإنتاج ، أو التى لا يعرفها أصلا .

٥ – إنشاء نادى رياضى ومركز ثقافى فى كل شركة زراعية ، وهذا ما يعطى لعامل الزراعة فرصة ترفيهية وثقافية فى وقت الفراغ الذى لن يكون فى وسعه أن يستمتع به فى حالة إنشغاله العصبى بمشاكل ملكيته الصغيرة الطارئة التى تهبط عليه من السماء وهى محملة بمسئوليات لم يتعود على تحملها .

٦ – إنشاء مركز تدريب مهنى وحرفى فى كل شركة زراعية للإرتفاع بمستوى إنتاجية العمال الزراعيين سعيا وراء زيادة دخولهم ، وبذلك تتمكن الدولة من خلق كوادر فنية تواصل تقدمها المهنى والحرفى بما يتلائم مع شروط التقدم العلمى والتكنيكى فى الإنتاج الزراعى العصرى .

٧ – إتباع مبدأ الحافز المادى فى الإنتاج الزراعى حيث يستطيع كل عامل زراعى أن يحصل على أجر أكثر ، كلما بذل جهدا أكثر من الحد الأدنى المحدد فى خطة الشركة الإقتصادية .

٨ – توزيع مكافآت تشجيعية سنوية على العاملين بالشركة الزراعية إذا تجاوزت أرباحها السنوية الحد المقرر فى خطتها الإقتصادية .

٩ – تحصل الدولة باعتبارها (مالكة) لنصيب فى رأس مال كل شركة على نصيب من أرباحها .

١٠ – تحصل الدولة باعتبارها (دولة) على ما تنص عليه تشريعات للضرائب التى تخضع لها كل الشركات الزاعية .

بذلك نتمكن من رفع ما يسمى بسيطرة كبار الملاك على الفلاحين المعدمين ، كما نتمكن أيضا من إستبعاد الآثار السلبية والفاسدة الناتجة عن تفتيت الملكيات الزراعية ، على أن يكون الأصل فى نظام الملكية الزراعية هو تشجيع المستصلحين على إستصلاح الأراضى بغير قيود على الملكية الزراعية . ولا خوف مطلقا من إساءة سيطرتهم السياسية على العمال الزراعيين لأنه لا محل لهذا الخوف مع تطور وظيفة الدولة وتزايد نفوذها ونشاطها الحضارى فى المجتمع ، الأمر الذى يحقق التوازن بين مقتضيات الحكم السياسى ومقتضيات الإنتاج الإقتصادى ، ذلك التوازن الذى هو وحده الذى يحقق مصلحة المجتمع ويدفع تطوره باستمرار نحو الرخاء والرفاهية والعدل .

اختلفت مع الوفد الإقتصادى المصرى الذى كان ينصح بميلاد الإقتصاد اليمنى على أسس إشتراكية قوامها القطاع العام لكل مرافق الإنتاج فى البلاد ، وكانت وجهة نظرى أننا لا نجد أمامنا فى اليمن صناعات ولا مشروعات ذات بال يمكن تأميمها ، وإننا نحتاج إلى تشجيع أصحاب الأموال اليمنيين الذين بنوا ثرواتهم خارج اليمن واستمالتهم إلى العودة بها وإستثمارها فى ظل الجمهورية اليمنية ، وهذا لا يمكن أن يتم إذا نحن قمنا منذ اللحظة الأولى بإثارة الرعب فى نفوسهم وهم لا يزالون خارج اليمن ، كان رد الوفد الإقتصادى المصرى أننا فى وسعنا الإعتماد على القروض الدولية فى تمويل المشروعات التى تقوم بها الحكومة ، فقلت أنه لا توجد عندنا أجهزة إدارية وفنية مدربة حتى تضطلع الحكومة بعدد من هذه المشروعات ، وأن العدد المحدود من الكفاءات اليمنية المتاحة فى

ذلك الوقت ، كان لا يكفى لإنشاء الجهاز الإدارى الحكومى الذى كنا فى أمس الحاجة إليه ، وبالتالى فإننا لن نجد من يضطلع بهذه المشروعات إذا وافقت على قيام القطاع العام كأساس رئيسى للنشاط الإقتصادى فى اليمن ، الأمر الذى ينذرنا بخسارة القروض التى نتحمل تسديد أقساطها وفوائدها ويجعلنا نضطر إلى تغطية فشلها الذريع بإسم الحفاظ على الهيبة الحكومية فنتستر على الفساد الذى يتورط فيه الكثيرون من البشر ، حفاظا على شعار الطهارة الثورية ، أو نقدم الكثيرين من أعوان الحكومة إلى المحاكمة ، ثم نضطر فى الحالتين الى تسديد القروض وفوائدها أو تأجيل سدادها أو تسويتها بقروض أخرى جديدة بينما لا نقوم بتحقيق أية فائدة للإقتصاد اليمنى ، وإنما نكون قد ضربنا عنقه ضربة قاطعة .

أما إذا تركنا أصحاب الأموال اليمنيين يستثمرون أموالهم فى اليمن فى نطاق الخطة الإقتصادية التى تضعها الدولة وفى نطاق تشريعاتها الضرائبية والإجتماعية فإننا لن نحتمل ديونا أجنبية ولن نغرس بذور الفساد فى الأجهزة الإدارية ، بل يمكننا أن نرسل إلى أصحاب الأعمال اليمنيين موظفى الضرائب فى آخر كل عام ، فإذا حقق بعضهم ربحا أخذنا منه حق الدولة ، وإذا حقق بعضهم خسارة قدمنا له عزاءنا ومواساتنا وعرضنا عليه أن يدرس مع خبراء الحكومة ، مجانا ، لماذا خسر وكيف يتفادى مستقبلا مثل هذه الخسارة .

قلت للوفد المصرى الإقتصادى أننى كرجل مسئول عن ميلاد الإقتصاد اليمنى ، بحكم تخصصى العلمى وحلم حياتى الوطنى ، أريد أن أنام مرتاح البال قرير العين لا يقلقنى قرض ، ولا تفزعنى خسارة ، ولا يثقلنى دين ، ولا يرهقنى فساد أحد الموظفين ، ولا يخيفنى إتهام بفشل الحكومة .

أعترف بأننى عجزت عن الإستفادة ، فى وضع الخطة الإقتصادية اليمنية ، بخبرة الوفد الإقتصادى المصرى لأنه كان مجموعة من خبراء ملتزمين بالسياسة الإقتصادية الناصرية ، وربما لم يكن فى وسعهم أن يعبروا عن أفكارهم العلمية التخصصية ، فاضطررت إلى إكمال الخطة الإقتصادية اليمنية التى كانت حجر الأساس فى صرح بناء النهضة اليمنية ، الذى على أساسه واصلت الحكومات اليمنية المتعاقبة ، حتى الآن ، إكمال مسيرة النهضة الحضارية اليمنية .

كان الوفد المصرى حديث العهد بالقرارات الإشتراكية التى أعلنها الرئيس جمال عبد الناصر قبل ذلك بأقل من عامين والتى لم أنقلها إلى اليمن مكتفيا برفع شعار العدالة الإجتماعية المنبثق من الشريعة الإسلامية .

كان عبد الناصر يرفع شعار الكفاية والعدل .

وكنت أتفق معه فى (العدل) واختلف معه فى (الكفاية) .

لأن الكفاية لا تتحقق إلا بالإنتاج ، والمزيد من الإنتاج ثم العمل على زيادة المزيد من الإنتاج .

كنت أرفع فى اليمن الشعار الإسلامى (الإنتاج والعدل) بدلا من الشعار الناصرى (الكفاية والعدل)[1] .

وما دمت أرفع شعار الإنتاج فلا بد من أن أقوم بتشجيع وسائله ، الخاصة والعامة ، الفردية والجماعية ، وإستمالة أصحاب المبادرات الخاصة من اليمنيين ، المقيمين والمهاجرين .

كان خلافى مع الوفد الإقتصادى المصرى على إنتاج (الإنتاج) وليس على عدالة (العدل) .

ومن جهة أخرى رغم أن الإتحاد السوفيتى كان الدولة العظمى ، التى تقف إلى جانبنا ، كررت فى مؤتمر شعبى فى صنعاء حضره الوفد الإقتصادى المصرى وممثلو الصحافة العالمية وسفراء الدول الأجنبية ما سبق أن أعلنته فى تعز وهو أننا ملتزمون بالعدالة الإجتماعية الإسلامية رافضون للماركسية ، مؤكدا بذلك أن وقوفنا مع إحدى الدول فى ذات الخندق السياسى لا يشترط علينا أن نلتزم بمذهبها الإقتصادى والإجتماعى .

كنت أعرف أنه كما كانت لليمن حسابات يمنية ، كانت للإتحاد السوفيتى حسابات سوفيتية ، وكنت أعرف أن الإتحاد السوفيتى بعد أن يجرى عملية الحساب بالجمع والطرح والضرب والقسمة ، يقتنع من جانبه بمواصلة تأييده للثورة اليمنية رغم رفضنا للماركسية ، كما كنت مقتنعا بمواصلة الإعتماد على الإتحاد السوفيتى رغم رفضه للشريعة الإسلامية .

فرغم رفضنا للماركسية كان الإتحاد السوفيتى يأمل فى إنتشار المعارك فى اليمن وإحتمالات إمتدادها إلى خارج حدودها حتى تصبح الثورة اليمنية طلائع سوفيتية متقدمة فى الجزيرة العربية . طلائع سوفيتية تحمل الراية الناصرية تتصدى لبريطانيا وأصدقائها فى دول الخليج كما تتحدى المملكة العربية السعودية وصديقتها الولايات المتحدة الأمريكية .

ورغم رفض الإتحاد السوفيتى للشريعة الإسلامية كنت أستفيد من تأييده للثورة حتى تتبين بريطانيا والمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية أن السلام مع (مرارة) النظام الجمهورى أفضل من الحرب من أجل (حلاوة) النظام الإمامى .

وكان السلام الذى أقصده يعنى ، بكل بساطة وكل وضوح ، أن يتعاون جميع القادرين على مساعدة شعب اليمن وهو يختار طريقه الأفضل نحو مستقبله الأفضل فى إطار شريعته الإسلامية وتقاليده الوطنية الإيجابية .

---

(١) فى حديث مع رؤساء تحرير الصحف الكويتية صرح الرئيس حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية قائلا (أن الانغلاق كان سبب تأخير أحوال مصر إلى الخلف ١٠٠ عام . الآن كل صناعتنا متخلفة ، حتى صناعة النسيج التى كانت أحسن الصناعات تدهورت) (الأهرام فى ٣١ ديسمبر ١٩٨٣ صفحة ٥) .

كنت أعرف أن الإتحاد السوفيتي يضع في حساباته أنه سوف يتخلص مني عند النقطة التي يراها مناسبة لتحقيق أحلامه في الجزيرة العربية ، وكان الإتحاد السوفيتي يعرف أنني أضع في حساباتي أنني سوف أتخلص من نفوذه عند النقطة التي أراها مناسبة لتحقيق أحلام الثورة اليمنية . وكان لكل طرف منا أسبابه ووسائله وأهدافه الخاصة للتخلص من الآخر .

كان الإتحاد السوفيتي يتطلع إلى اللحظة المناسبة التي أختفي فيها ، فيظهر مكاني ماركسيون ملتزمون ، أو زعماء مصفقون ، وكنت أتطلع من جانبي إلى اللحظة المناسبة التي يصبح فيها الإتحاد السوفيتي صديقا له معنا علاقات سياسية وذكريات ثورية ، دون أن تجمعنا نظرية عقائدية ، أو يستخدمنا أداة في تحقيق أحلامه التوسعية .

لم يخف عني أسلوب الإتحاد السوفيتي في التخلص من القيادات السياسية ، الذي غالبا ما يكون بالتصفيات الجسدية ، ومع ذلك رحبت بالمجازفة لأنني كنت أحافظ على مصلحة اليمن الحقيقية وعقيدتي الإسلامية وليس على مصلحتي الشخصية ومنصبي في الجمهورية .

ولعلني قد عبرت تلقائيا عن هذا الإحساس اللاشعوري في المؤتمر الشعبي أثناء الإعلان عن رفضنا للماركسية وتمسكنا بالشريعة الإسلامية حين قلت (إنني إذا لم أمت الآن فإنني لن أعمر مائة عام ، وخير لي أن أموت مرفوع الرأس ملتزما بمصلحة الوطن متمسكا بشعائر الإسلام من أن أعيش ألف عام ، ثم أترك خلفي ما أندم عليه حين يحاسبني الله عنه ، ويلومني التاريخ فيه) .

وتاريخ المفكر أو الزعيم أو الحاكم لا يقاس بسنوات حكمه ، وإنما بسنوات ذكره ، ولا يعنيه ما يكتبه عن نفسه وإنما ما تكتبه الأجيال من بعده ، فكم من حكام وزعماء ماتوا في حياتهم ، وقليل منهم عاشوا بعد موتهم .

قلت للوفد الإقتصادي المصري أنني أومن بالقومية العربية وزعامة عبد الناصر السياسية لكنني أومن ، في نفس الوقت ، بأنه من أهم شروط النهضة العربية أن يستخلص كل إقليم عربي منهاج تطوره من ظروفه الموضوعية ، ضمن الإطار الاقتصادي العربي العام الذي يحيط بالصالح الإقليمي الخاص ، مع الترحيب بالتطور المستمر نحو الأفضل ، على ضوء النتائج التجريبية وتطور المعارف والأساليب الحضارية .

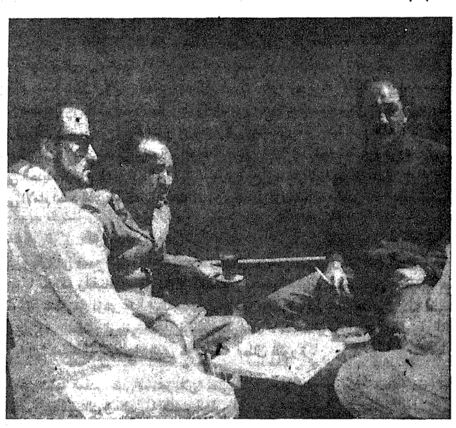
أشار إلى موقفي من الوفد الإقتصادي المصري المؤرخ الأمريكي (دانا آدمز شميت) في كتابه (اليمن .. الحرب المجهولة) صفحة ٧٥ طبعة ١٩٦٨ **Yemen the Unknown War. Dana Adams Schmids 1968 P.75 New York London.** فقال :
(بالرغم من صداقة الدكتور البيضاني للرئيس عبد الناصر فإنه رفض أن يطبق سياسة عبد الناصر الإقتصادية في اليمن) .

أوضحت للوفد الإقتصادى المصرى إننى لست كالزعيم الجزائرى الرئيس أحمد بن بيلا الذى قال أنه (يرفع القران باليد اليمنى ويرفع كتاب رأس المال لكارل ماركس باليد اليسرى) .

إننى مسلم يمنى عربى أرفع القرآن وحده بيداى الإثنتين .

ومن هذا المنطلق ناديت بالإجتهاد الإسلامى ، الذى إذا كان قد توقف لضعف الهمم ، وضعف الثقة بالعلماء وآرائهم فإن أحدا لم يصدر حكما عاما بإيقافه ، ولا يستطيع أحد أن يفعل ذلك ، ولهذا فإن إستئنافه لا يحتاج إلى حكم يصدر من أحد . لكنه يبدأ عندما يلمس المفكر الإسلامى من نفسه القدره عليه ، وعلى الجهر به ، وتقوم البواعث على ضرورته ، أو على حاجة الناس وحياتهم إليه . والناس فى كل عصر تحتاج حياتهم إلى الإجتهاد ، بما يتفق مع ما يتجدد من أحداث :

ولذلك إتفق علماء المسلمين على أن الإجتهاد فرض شرعى على الجماعة المسلمة ، وهو فرض كفاية ، أى أنه إذا قام به البعض سقط عن الأمة ولم تأثم . أما بالنسبة للقادر عليه فإنه فرض عين ، أى أنه إذا تجدد من الأحداث ما يقتضى بيان الحكم الإسلامى فيه للناس يصبح القادر على الإجتهاد آثما إذا قعد عنه ، كما تصبح الأمة آثمة إذا سكتت عن المطالبة به .



من اليمين الرئيس السادات فالرئيس السلال فالمؤلف

٢

لم يكن عدد القوات المصرية التى وصلت إلى اليمن حتى يوم الأحد ٢١ أكتوبر ١٩٦٢ قد تجاوز ألفى رجلا بعد أن كانوا تسعمائة يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر ١٩٦٢ وأخذ القلق يسيطر على عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة وعدد من الوزراء حتى أقترح المقدم عبد الله جزيلان أن يسافر إلى مصر ويزور الدول العربية يشرح لها أهداف الثورة اليمنية ويطلب تأييدها ومساعدتها للثورة .

وما أن أبدى جزيلان إقتراحه حتى استحسنه وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى ، وأيده وزير المعارف القاضى محمد محمود الزبيرى ، وتحمس له وزير الإعلام السيد أحمد حسين المرونى ، وأبدوا رغبتهم فى السفر مع جزيلان لهذا الغرض الوطنى .

كان من الواضح عند السلال وعندى أنهم يهربون من صنعاء عندما بدأت الأخبار المزعجة تصل من ساحات القتال ، فتذكرت قصة الزبيرى عندما ذهب إلى الرياض إثر إنقلاب سنة ١٩٤٨ لإقناع الملك عبد العزيز آل سعود ، وترك الإنقلاب يواجه مصيره فى صنعاء حتى فشل وتم القبض على زعمائه وإعدام بعضهم وسجن الآخرين ، وبذلك هرب الزبيرى برأسه وسافر من الرياض إلى باكستان حتى لجأ إلى القاهرة . تذكرت أيضا قصة الأستاذ نعمان عندما ترك إنقلاب سنة ١٩٥٥ يواجه مصيره فى تعز وذهب إلى الحديدة لإقناع البدر ثم سافر إلى السعودية مع سقوط الإنقلاب وإعدام زعمائه وعاد إلى الإمام أحمد الذى وصفه بأنه عينه اليسرى بعد أن وصف إبنه البدر بأنه عينه اليمنى .

لم يكن فى وسع السلال أو فى مقدورى أن نمنعهم من الهروب من اليمن لأننا لو رفضنا سفرهم وأبقيناهم معنا ضد إرادتهم فإن مشاعر القلق والخوف التى تسيطر على سلوكهم يمكن أن تؤدى إلى إنتشار عدوى القلق والخوف بين غيرهم من أبناء صنعاء وبين رجال الحرس الوطنى الذين يقومون بحراستنا ، مما قد يزين لهم أن يقطعوا رأسينا تقربا إلى المستقبل المجهول الذى هرب منه أبطال الثورة .

لم ينتظر المقدم عبد الله جزيلان حتى نستقر على رأى بشأن سفر هذا الوفد الجمهورى إلى الدول العربية فأصر على أن يسبق الوفد إلى مصر لإجراء بعض الفحوص الطبية ، حيث تطورت معاناته من الإنهيار العصبى الذى اشتد وضوحه على ملامح وجهه وحركات يديه وكلماته السريعة التى ربما يقولها بغير قصد منه ولا إرادة .

بدأ جزيلان يعانى من الإنهيار العصبى منذ الأيام الأولى للثورة وقد سجل ذلك بقلمه فى كتابه (التاريخ السرى للثورة اليمنية) صفحة ١٤٧ عندما سجل أول لقاء له مع العميد المصرى على عبد الخبير الذى وصل معى إلى صنعاء صباح السبت ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢ فكتب جزيلان قائلا :

(سألت العميد على عبد الخبير : أين الطائرات والمساعدات التى وعدتنا بها القاهرة ؟ فرد بهدوء شديد ستأتى على مهلها وستكون تحت إمرة الدكتور البيضانى .

أثارنى هذا الرد خاصة وأن أعصابى كانت مكدودة وقلت صارخا فى وجهه إذا لم تصل الطائرات وغيرها من المساعدات التى وعدت القاهرة بإرسالها عند قيام الثورة فتأكد إنى سأعلق رأسك على باب اليمن) .

إلى أن قال فى صفحة ١٦٨ (ركبت الطائرة متجها إلى القاهرة حاملا مرضى وآلامى وأحزانى معى وفى منزل صهرى عشت فترة من الزمن طريح الفراش) .

صدق جزيلان عندما قال عن نفسه أنه هدد العميد المصرى على عبد الخبير بقطع رأسه وتعليقها على باب اليمن .

ولم يصدق عندما نسب إلى العميد على عبد الخبير قوله أن الطائرات والمساعدات العسكرية المصرية التى وعدت بها القاهرة ستأتى على مهل وستكون تحت إمرة الدكتور البيضانى .

الحقيقة أننا عندما وصلنا إلى صنعاء وجدنا المقدم عبد الله جزيلان فى قمة الإنهيار والذعر بعد أن هرب البدر من صنعاء وأعلنت المملكة العربية السعودية إحترامها لإلتزاماتها نحو بيت حميد الدين واعترافها بالإمام الحسن (عم البدر) الذى نصب نفسه إماما على اليمن وتحرك نحوها عن طريق السعودية لضرب الثورة بمساعدة حكومتها التى صدقت أن البدر قد مات تحت أنقاض قصر البشائر .

كانت أشباح القتلى العشرين من أقطاب اليمن السابقين الذين اشترك جزيلان فى إعدامهم فور قيام الثورة تطارده ليلا ونهارا ، وربما كان الشبح الذى لا يفارقه قط شبح صديقه الأمير الشاب الحر الحسن بن على ، الذى ناشده الرحمة وهو مربوط فى ساحة الإعدام فأفرغ جزيلان بنفسه مدفعه الرشاش فى صدره بينما كان الأمير الشاب من الأحرار الناقمين على الأوضاع التى كانت سائدة فى اليمن قبل الثورة ، وكان مؤمنا بتحقيق العدالة والمساواة وإلغاء جميع أنواع التفرقة العنصرية والطائفية .

كانت هذه حالة جزيلان العصبية عندما سأل العميد على عبد الخبير عن الطائرات والمساعدات العسكرية المصرية فأجابه بأنها فى طريقها إلى اليمن وأن الدكتور البيضانى يعرف كل تفاصيلها وتوقيتها وكل ما اتفق عليه مع القادة المصريين فى القاهرة ، لأنه هو الذى اتفق معهم على تلك المساعدات أما هو ، أى على عبد الخبير ، فقد جاء إلى اليمن فى مهمة محددة هى جرد مخازن الأسلحة للتعرف على إحتياجات اليمن منها . فهاج

جزيلان من هذا الرد الواقعى وهدد بقطع رأس على عبد الخبير وتعليقها على باب اليمن ولم أكن فى حاجة إلى الإعتذار لعلى عبد الخبير عن ألفاظ جزيلان بعد أن شاهد إنهياره النفسى والعصبى الذى كان يعانى منه نتيجة للأسباب التى سبقت وصولنا إلى اليمن .

عندما تطورت حالة جزيلان الصحية ، وبناء على نصيحة الأطباء السوفييت الذين اختارهم بنفسه كى يتولوا فحص حالته ، وافقت مع الرئيس السلال على طلبه السفر إلى القاهرة للمعالجة ثم عاد فطلب أن نحجز له جناحا فى فندق هيلتون أو شبرد يقيم فيه مع أصهاره المقيمين فى مصر فنصحت السلال بالموافقة حتى يقيم فى الفندق مع أقاربه فيهدأ نفسا ويستقر خاطرا كعنصر من عناصر علاجه العصبى والنفسى .

لكنه عندما عاد إلى اليمن لم يكن قد حقق أى قدر من الشفاء ، وهذا ما قد كرره جزيلان عن قصة إنهياره العصبى وتعاطيه الحبوب المنبهة فى أكثر من موقع فى كتابه وعلى الأخص فى صفحة ١٤٨ عندما وصفها بقوله أنها (جعلت أعصابى مشدودة ليل نهار) ثم فى صفحة ١٥٣ كتب قائلا : (ذهبت إلى لقاء العميد على عبد الخبير وأنا منهك القوى مشدود الأعصاب نتيجة للحبوب المنبهة .. وطلبت من العميد أن يقوم الطيران بحماية سرية المظلات التى أرسلت إلى منطقة خولان .. فقال : أنا عندى تعليمات بأن أتلقى أوامرى من الدكتور البيضانى ، نفذ صبرى ، وفقدت أعصابى) .

وفى صفحة ١٦٦ كتب جزيلان (قام عدد من الأطباء العرب بإجراء الفحوص الطبية لى حيث كنت أقيم فى دار الضيافة ، بينما كان الأخ عبد الله السلال والأخ عبد الرحمن البيضانى يقيمان فى القصر الجمهورى ، وكنت أقاوم المرض مقاومة عنيفة فالموقف العسكرى يتدهور بسرعة ولكننى لم أعد أحتمل مقاومة المرض ، وعادنى أطباء سوفييت وكان التشخيص ضعف حاد وهبوط وأنه من الضرورى الإخلاد إلى الراحة التامة) .

لذلك سمحنا له بالعودة مرة أخرى إلى القاهرة لإستئناف العلاج . ثم توجهت بالطائرة إلى أخطر ساحات القتال فى ذلك الوقت وهى منطقة رأس العرقوب . وعندما عدت منها وكان الطريق إليها قد قطعته جماعات المتمردين أصدرت قرارا بتعيين العقيد حسن العمرى قائدا لمنطقة جحانه وهى منطقة تصل بين صنعاء ورأس العرقوب . وكان الهدف من ذلك تدعيم منطقة جحانة وإتخاذها مقرا لتخزين الأسلحة والذخيرة والمؤن الغذائية وجميع الإحتياجات الضرورية لتجهيز حملة عسكرية تقوم بتطهير وتأمين الطريق إلى رأس العرقوب حتى نزحف من هذه المنطقة إلى رأس الوتده فنتمكن من إستعادة السيطرة على منطقتى صرواح ومأرب .

وصلت من رأس العرقوب مريضا بإلتهاب فى الكلى مع إرتفاع فى درجة الحرارة ، وعلى فراشى فى غرفة نومى حضر السلال وجلس على سريره وعقدنا إجتماعا لمجلس قيادة الثورة شهده الأعضاء الذين كانوا فى صنعاء فى ذلك الوقت وهم ، كما يرى بعضهم في الصورة المنشورة فى الصفحة التالية ، الزملاء عبد الغنى مطهر ومحمد قائد سيف وعبد الرحمن الاريانى وعبد القوى إبراهيم حاميم ، أما الذين لم تظهر صورتهم فهم الزملاء حسن العمرى وعبد السلام صبره وعبد الرحيم عبد الله .



اجتماع لمجلس قيادة الثورة فى غرفة نوم المؤلف ؛ ويظهر فى الصورة بعض أعضاء المجلس .

من اليمين الرئيس السلال ثم المؤلف فعبد الغنى مطهر فمحمد قائد سيف فعبد الرحمن الاريانى فعبد القوى حاميم .

تقرر في ذلك الإجتماع تعيين الأستاذ أحمد محمد نعمان مندوبا دائما فى الجامعة العربية بعد أن ترك منصبه كوزير للحكم المحلى الذى لم يمارس أعباءه ساعة واحدة منذ صدور القرار بتعيينه وزيرا بناء على توصية أنور السادات ، وفضل أن يكون سكرتيرا للسلال الذى رحب بهذا الإختيار فى أول الأمر ثم تبين له أنه بهذه الصفة كان يتولى فى غيبة منا الرد على بعض رسائل القيادة العامة بتوجيهاته الشخصية التى يراها ، مما أوجد العديد من المشاكل مع القيادات العسكرية فى ساحات القتال .

كذلك أصر السلال على ضرورة إبعاد العميد حمود الجائفى عن اليمن بحجة أن الجائفى يجمع من حوله فى قيادة الحديدة عددا من الضباط ورجال القبائل تحت ستار مطاردة البدر بينما يعمل فى واقع الحال على إنشاء جبهة معادية للسلال . أمضيت طوال شهر أكتوبر ١٩٦٢ محاولا إقناع السلال بوطنية الجائفى وإستحالة قيامه بمثل هذه الأعمال التى تعرض الجمهورية للخطر ، غير أننى إضطررت إلى الموافقة على إلحاح السلال حتى أضع حدا لظنونه التى عزلته عن مجرى الأحداث المتفاقمة فى أطراف الجمهورية .

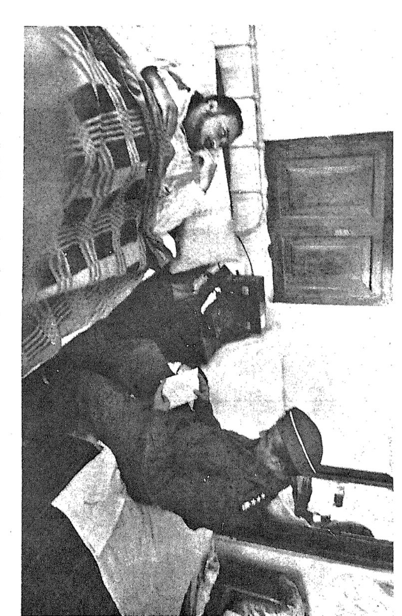
طلب منى السلال أن أستدعى الجائفى إلى صنعاء ثم أحرسه حتى المطار فيسافر إلى القاهرة فى وظيفة رئيس للوفد اليمنى لدى القيادة العسكرية العربية المشتركة .

إعتذرت عن عدم إستطاعتى ممارسة هذا الإسلوب الذى لا يتفق مع أخلاقيات الثوار ، وطلبت منه أن يترك موضوع الجائفى لى وتحت ضمانتى الشخصية ووعدته بأننى سأرسل برقية أستدعى فيها وزير الدفاع وعضو مجلس القيادة العميد حمود الجائفى لمقابلتى فى صنعاء وأخبره فيها بأنه تقرر تعيينه فى تلك الوظيفة فى القاهرة . إعترض السلال على هذا الأسلوب مؤكدا أنه إذا علم الجائفى بسبب إستدعائه إلى صنعاء فإنه سيذهب إلى مدينة حجه الحصينة وينضم إلى قائدها النقيب على سيف الخولانى ومساعده النقيب هاشم الحوثى وهما من أصدق تلاميذ الجائفى ، وعندئذ يعلنون العصيان على السلال .

قلت للسلال أن وطنية على سيف الخولانى وهاشم الحوثى لا يرقى إليها شك وهما اللذان دافعا عن حجة ورفعا فوقها العلم الجمهورى وأن العميد حمود الجائفى لن يقبل على نفسه أن يسىء إلى وحدة الصف الجمهورى حتى لو دفع حياته ثمنا لذلك .

صممت على رأيى وأرسلت برقيتى إلى الجائفى أستدعيه إلى صنعاء لمقابلتى قبل سفره إلى القاهرة حيث تقرر تعيينه فى تلك الوظيفة . حضر الجائفى إلى مكتبى فى صنعاء فى نفس اليوم وشرحت له مخاوف السلال مؤكدا له ثقتى الشخصية فى ولائه للجمهورية ، وأضفت إلى ذلك أنه بعد أن تستقر الأمور فى اليمن سأكون بنفسى أول المستقبلين حتى يعاد تشكيل قيادة الجمهورية باختيار شعبى بعد فترة الإنتقال .

قال الجائفى أنه يحملنى مسئولية قيادة الجمهورية ونصحنى بعدم الإصغاء إلى الكثير مما يدور فى ذهن السلال حتى لا نصفى قيادة الجمهورية من رجالها القادرين على حمايتها . وقال أنه يعرف شخصية السلال أكثر منى ، وأنه ، أى السلال ، يسعى إلى التخلص من جميع رجال الثورة لأنه يشعر فى قرارة نفسه بأنه ليس على مستوى قيادتها . شكرته علي حسن ظنه بى ووعدته بأنى سوف أنصح السلال كلما أمكننى ذلك ، وذكرت له أننى لم أسمع من السلال أية شكوى إلا عن مخاوفه من الجائفى ثم الاريانى وإنه إذا كان يكره جزيلان فإنه لا يشعر بوجوده .



السلال يتلو على المؤلف البرقيات العاجلة المتعلقة بمواقف ساحات القتال المتعددة



الشيخ القردعى ، شيخ قبيلة مراد فى شرق اليمن ، وصل إلى صنعاء مندوبا عن شيوخ القبائل للاطمئنان على سلامة المؤلف بعد أن رددت الأذاعات المعادية إشاعة كاذبة عن اغتياله بالسم على أثر اعتكافه يومين يعانى من التهاب فى الكلى .



ربما لم أكن موفقا مع بعض الوزراء عندما كنت أحثهم على مضاعفة جهودهم للإسراع إلى تحقيق نتائج إيجابية يلمسها الشعب .

ولعل بعضهم كان يعتقد أنني أتدخل فى شئون وزارته عندما كنت أقدم إليه خبرتى وأعاونه على اختيار الحلول والإجراءات والنظم الأكثر توفيقا لإجتياز الإمتحان الرهيب الذى كانت تؤديه أول وزارة جمهورية ورثت عن الإمام جهازا إداريا لا يعرف شيئا كثيرا عن شئون الحكم ولا شيئا قليلا عن معنى الإدارة ، حتى شكي منى وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى للسادات (الوثيقة رقم ٢٦) لمجرد أننى وضعت نظاما لإجتماعات مجلس الوزراء ينظم كلمات الوزراء بحسب أسبقية طلب الكلمة .

وكذلك كنت أقول للوزراء أن الشعب ينتظر منا نتائج ملموسة ولا يكتفى بمجرد الخطب التى نحسن إلقاءها والشعارات التى نتقن رفعها .

ومن أجل ذلك طلبت لهم إثنين وخمسين خبيرا مصريا كان من بينهم أربعة خبراء لشئون الإحصاء ، وأربعة لوزارة الخزانة ، وأربعة لوزارة الإعلام ، وأربعة لوزارة الداخلية وثلاثة لوزارة الأشغال ، وثلاثة لوزارة الصحة ، وثلاثة لوزارة التجارة ، وثلاثة لوزارة الزراعة ، وثلاثة لشئون الطيران المدنى ، وثلاثة للملاحة البحرية ، وخبيران لوزارة المواصلات ، وخبيران للثقافة والإرشاد ، وخبيران لوزارة العدل ، وخبيران لوزارة الخارجية ، وخبيران للشئون البلدية ، وخبيران لوزارة التموين ، وخبير لشئون المغتربين ، وخبير لشئون الرى .

وكما سبق أن ذكرت ، ولابأس إذا كررت ، أننى كنت أعتبر أن نجاحنا فى المعركة الحضارية هو أهم وأقوى الأسلحة التى تساعدنا على النجاح فى المعركة العسكرية . فنحن لانحارب عدوا ينازعنا أرض الوطن ، وإنما نحارب صديقا لا يعرف أننا نعمل من أجله ، وهو كلما عرف قليلا عنا كلما اقترب كثيرا منا .

وهو لا يعرف أننا نعمل من أجله إلا إذا رأى فينا النموذج القادر على تحقيق الأهداف السياسية التى أعلنتها الجمهورية ، وعرف عنا الكفاءة القادرة على تحقيق النهضة الإقتصادية التى افتقدها طوال العهود الإمامية .

وكان بعض الوزراء يعتقد أنه نظرا للتخلف الرهيب الذى يعيشه الوطن فإنهم مهما أجتهدوا فإن جهودهم لن تكون ذات نتائج ملموسة ماديا فى وقت قريب ، وهو الوقت الذى تقرر فيه مصائر الثورات بصفة عامة ، ومصير الثورة اليمنية بصفة خاصة ، فقلت لهم أنه من الأفضل أن نتحمس فنقوم بأى عمل حتى لو كان قليل النتائج القريبة من أن نيأس ولا نقوم بأى عمل مطلقا .. وحتى إذا سقطت الثورة وسقطت معها رؤوسنا فإننا نكون قد تركنا وراءنا بداية لأعمال منتجة على أمل أن يذكرنا بها الشعب عندما تظهر نتائجها الكاملة من بعدنا ، ويستكملها جيل آخر غيرنا .

هذا ما سبق أن دفعنى إلى الإستماته فى تأسيس البنك اليمنى للإنشاء والتعمير بينما كانت المعارك العسكرية تزداد ضراوة فى معظم أنحاء البلاد ، وكنت لا أترك أى مجال شعبى إلا وأخطب فيه داعيا جماهير الشعب إلى الإكتتاب فى رأسماله .

وعندما كنت أزور المواقع العسكرية الأمامية كنت أخطب عن النهضة الإقتصادية فوق الدبابات لأثير حماس الجماهير للدفاع عن الجمهورية بالسلاح وبناء الجمهورية بالإقتصاد ، وكانت طلقات المدافع وإنفجارات القنابل هى اللوازم الموسيقية التى كانت تتخلل صوتى وأنا أخاطب المقاتلين ، لأنه كان يجب علينا أن نوضح لهم لماذا نقاتل من أجل النظام الجديد ؟ كان علينا أن نرسم لهم المستقبل العريض الذى ينتظرهم عند إنتصار هذا النظام الجديد الذى جاء نقيضا للنظام القديم .

كان علينا أن نقنع الشعب ، وأن نقنع أنفسنا أولا ، بأننا فعلا نبنى مستقبلا أكثر رخاء وأقدر تحقيقا لأمانى الجماهير التى تبذل أرواحها فى سخاء دفاعا عن هذا النظام الجديد .

فلم تكن معنا جنة فى السماء نغرى بها الناس على الإستشهاد وهم يدافعون عن دين جديد فى الأرض .. وإنما كانت معنا جنة فى هذه الأرض وكانت هى الأمل الكبير الذى ينتظره الناس إذا ما استماتوا فى الدفاع عن نظام جديد يصنع لهم جنة الأرض التى لا تتعارض مع جنة السماء .

كان علينا أن نقنع الجماهير بأنها لم تكن تقاتل دفاعا عن فلان وفلان ، أو بغضا لفلان وفلان ، أو إنحيازا لكذا وكذا ، وإنما سعيا إلى المستقبل الأفضل الذى يمكنه أن يلحق شعب اليمن بسكان العصر .

كان ذلك باعثى على حث الزملاء الوزراء كى يضاعفوا من نشاطهم الكبير الذى كانوا يبذلونه فعلا ، غير أن بعضهم فسر هذا الباعث الوطنى بأنه تدخل فى شئونهم وأعمالهم .

وكان ذلك هو نفس الباعث الذى دفعنى إلى الإشتراك بنفسى فى المعارك العسكرية سواء بالتخطيط ، أو بالتجهيز ، أو بالقتال فى مقدمة الصفوف الأولى فى المعارك المختلفة ، على إمتداد ساحات القتال كلها ، مما وصفه البعض بأنه تدخل من غير العسكريين فى الشئون العسكرية .

وفات على هذا البعض أن المعارك العسكرية فى اليمن ، من قبل الثورة ومن بعدها ، لم تكن معارك عسكرية بالمعنى المعروف فى مناهج الكليات الحربية العصرية . إذ لم يكن الجيش اليمنى ، قبل قيام الثورة وبعد قيامها ، جيشا نظاميا فى عرف هذه الكليات علاوة على أنه عندما بدأت حركات التمرد القبلى ضد الثورة فى عدة مناطق تفرق أفراد هذا الجيش للأسباب التى سبق شرحها فى هذا الكتاب ، ولم يبق منهم مواليا للثورة سوى النزر اليسير ، مما جعل الحكومة تعتمد فى الدفاع عن النظام الجمهورى على رجال القبائل الموالين له ، والذين كانوا يقاتلون دفاعا عن الثورة بأسلوبهم القبلى الخاص وتحت قيادة زعمائهم وشيوخهم ، وكان معهم فى بعض الأوقات ضباط من رجال الثورة بأسلحتهم الخفيفة والمتوسطة ، وكان أمامهم وخلفهم ، فى معظم الأوقات ، رجال من القوات المصرية بأسلحتهم الثقيلة فى حراسة الطائرات المصرية .

وكان يقاتل من أجل الثورة إلى جانب هؤلاء شباب من اليمن الأسفل وعدن والجنوب اليمنى المحتل الذين لم يكن هناك متسع لإتقان تدريبهم العسكرى وكان قائد الحرس الوطنى الملازم هادى عيسى يدفع بهم إلى ساحات القتال فى جموع حاشدة لا تعرف من إستراتيجية الحرب وتكتيك القتال سوى الإيمان المطلق بالجمهورية والإستعداد غير المشروط للإستشهاد فى سبيلها .

تلك كانت طبيعة المعركة بعد قيام الثورة .

كانت الثورة اليمنية ثورة شعبية ذات ذراع عسكرى تكونت عضلاته من أبطال اليمن الضباط الثوار حديثى التخرج من الكلية الحربية اليمنية ومدارس أسلحة الجيش ، الذين دربتهم البعثة العسكرية المصرية ، والذين يكفيهم فخرا أن ضربوا قصر الإمام البدر فقذفوا الذعر فى قلبه حتى هرب من صنعاء العاصمة ، ليبدأ دور الشعب اليمنى بكل عناصره وعلى امتداد ساحاته ، الأمر الذى كان يعتمد على قدرة إقناع معظم أبناء الشعب بأهداف الثورة حتى تتعلق أمالهم بها ، ثم تحويل الآمال إلى ولاء ، وصياغة الولاء فى عقيدة ، وصهر العقيدة فى إرادة ، وتطويع الإرادة فى طاقة ، ثم تنظيم هذه الطاقة كى تصنع المعجزة حينما تفرض أهداف الثورة وتغير مسار التاريخ اليمنى الذى لا يتغير ولا يطوى صفحات المأساة الكبرى فى اليمن من مجرد ضرب قصر البدر بالقنابل وهروبه من صنعاء ، بينما ينوى العودة إليها .

كان ذلك ما تحتاج إليه الثورة بعد قيامها ، وهو ما يحتاج إلى تكامل جميع الجهود الثورية ، سواء سميناها عسكرية أو مدنية ، قبلية أو حضرية ، زيدية أو شافعية ، هاشمية أو قحطانية .

كان التصدى للمعركة إيمانا ومجازفة ، فبقى معنا فى صنعاء ما بقى ، وهرب من حولنا من هرب ، وليس فى ذلك فضل لمن بقى ، ولا عيب فيمن هرب ، لأن الصمود أمام الخطر أمر يتعلق بقوة الأعصاب أكثر من تعلقه بقوة الإحساس به .

عاب عليّ هذا البعض أننى ناديت بالثورة ، وجازفت بحياتى ، فتصديت للمعركة وصمدت أمام الخطر ، وكأنهم يطلبون منى أن ألتزم بالشئون السياسية والإقتصادية فأتجرد من المشاعر الذاتية ، وأتنحى عن الشهامة الوطنية ، ثم أراقب من شرفة مكتبى فى رئاسة الجمهورية إنهيار المواقع العسكرية وفرار الكثير من الشخصيات الوطنية ، العسكرية والمدنية التى تركت المعركة للضباط الأحرار الذين وصفوهم بالضباط الصغار ، واحتفظوا لأنفسهم بحكمة الضباط الكبار ، ولم يدر هؤلاء (الكبار) أنهم بذلك قد نقشوا ، فى تاريخ اليمن ، صفات من استماتت على أرض المعركة وصفات من هرب منها ولاذ إلى الفرار .

كيف أنتظر فى مقعدى إلى جوار السلال حتى يصل إلينا الإمام البدر ؟
أو من يدعى مرة أخرى بأنه الإمام المنتقم لله ؟

لم يكن ذلك من طبيعتى ، ولو كنت ممن يخشون الموت من أجل الوطن ولا يؤثرون بلدهم على أنفسهم لألتمست السلامة فى مصر ، وبقيت فى القاهرة أراقب المعركة اليمنية من بعيد ، مدعيا حكمة الكبار الذين لاذوا بالفرار ، تاركا المعركة العسكرية للعسكريين الذين قالوا عنهم أنهم ضباط صغار ، ثم أتغنى بالدفاع عن الثورة فى عواصم الأرض ضيفا رسميا عزيزا على ملوكها ورؤسائها ، فإذا نجحت كنت أحد الثائرين فأعود إلى صنعاء أقتسم الغنيمة مع من يبقى على قيد الحياة من الثائرين وانتقد أخطاء المقاتلين المستمتين وأتاجر بحكمة الكبار الهاربين ، وإذا فشلت كنت أحد اللاجئين مثل غيرى من السابقين واللاحقين ، فأنتظر ثورة أخرى أو أقبل حلولا وسطى .

لم يكن ذلك من طبيعتى .

ألم أكن الداعية إلى الثورة .. الذى قال من أذاعة مصر « أننى لن أكتفى بالكلام من صوت العرب وإنما سأكون معكم فى المعركة الفاصلة » ؟

إذن .. لماذا أهرب من المعركة الفاصلة التى توقعت أنها سوف تكون معركة ، ووصفتها بأنها سوف تكون فاصلة .؟

لقد وجدت نفسى وجها لوجه مع قدرى ، لا خيار عندى بين الإقتراب من الخطر أو الإبتعاد عنه ، فتقاسمته مع السلال الذى كان يحرس ظهرى حين أنام وأفتديه بحياتى حين أستيقظ .

كان السلال مؤيدا لنشاطى العسكرى معجبا بإشتراكى فى القتال فى الصفوف الأمامية مما كان يرفع روح المقاتلين المعنوية فاقترح أن يعقد إجتماعا لمجلس قيادة الثورة ليقرر منحى رتبة « فريق أول » وكان السلال فى ذلك الوقت يحمل رتبة زعيم « عميد » فسألته عن سبب ذلك قال أن أغلبية أعضاء المجلس تريد أن تمنحه رتبة « مشير » وبما أننى الرجل الثانى فى مجلس القيادة وفى القيادة العسكرية نفسها وأننى أقوم فعلا بقيادة المعارك الحربية بصفتى نائبا له فإننى ينبغى على أن أحمل رتبة « فريق أول » مثل مارشالات الصين والروس الذين كانوا مدنيين ثم أكتسبوا رتبهم العسكرية وهم يقودون قوات الثورة الشعبية .

شكرت السلال على تلك الثقة الغالية وأوضحت له أننى لا أستحسن أن تضاف على لقب « دكتور » رتبة عسكرية حيث أننى أشترك فى المعارك الحربية بحكم الضرورة وملىء الفراغ وبصفة مؤقتة حتى تستقر الثورة فأكرس كل وقتى وجهدى فى إكمال بناء الجهاز الإدارى وصرح اليمن الحضارى .

كنت أعتبر ، بحق ، أن المعركة الحربية والمعركة الإقتصادية وجهان لعمله واحده ، كلتاهما تؤثر فى الأخرى وتتأثر بها .

فكنت أحارب بيد وأبنى إقتصاد اليمن باليد الأخرى . لا يفصل بين المجالين سوى سويعات الإنتقال بين المعارك الحربية والمعارك الإقتصادية والسياسية ، وكان لا يدركنى الملل ولا ينال منى الكلل لأننى كنت أعرف أننى أشترك فى صنع التاريخ ، ومن يشترك فى صنع التاريخ لاتنوء به الأحمال ولا تخور به العزيمة .

غير أننى أشهد أن المناورات الحزبية والدسائس التى تسترت فى ثياب الجمهورية كانت تشغل بالى وتقض مضجعى . لأنها لم تكن تتقن شيئا قدر إتقانها التركيز على تمزيق شمل الثوار كى ترث مواقعهم التى لم تكن قد أصبحت بعد غنائم سياسية ، وإنما كانت لا تزال قنابل زمنية يمكن أن تنفجر فى أصحابها فى أية لحظة من اللحظات المتوقفة على المتغيرات التى تطرأ من حين إلى آخر على قناعة جنود الحراسة وثقتهم فى إنتصار الجمهورية .

كان أصحاب الدسائس ، الذين تستروا فى ثياب الجمهورية ، كلما أنفردوا بالسلال أسكروه شكرا وأفرطوا فى ذم البيضانى ، وإذا خلوا إلى البيضانى أتخموه ذكرا وأسرفوا فى ذم السلال . وكنا نعرف ذلك ولا نتأثر به ، وكان كل منا يرويه للآخر قبل أن ننام .

وربما كان البعض من أصدقائنا أشد خطرا على الثورة من الكثير من أعدائنا ولم أدر هل كان نشاطهم المعادى لنا عن قصد منهم أو عن سهو عنهم ، أو كانوا يعتقدون فى قرارة أنفسهم أنهم أحق بقيادة الثورة من غيرهم ، أو أقدر على رئاسة الجمهورية من سواهم . فقد لاحظ الرئيس السلال أنه كلما جاءت إلى صنعاء وفود القبائل لتقسم يمين الولاء للجمهورية بين يديه لا تلبث أن تدير له ظهرها بمجرد أن ينفرد بها وزير العدل الزميل القاضى عبد الرحمن الإريانى قبيل خروجها من صنعاء وهى محملة بالأسلحة والذخيرة والأموال التى أعطاها لها السلال .

كنت لا أكاد أصدق ظن الرئيس السلال عندما كان يسر بخواطره فى أذنى قبل أن ننام ، وكنت أرجح أن تكون هذه المتناقضات مجرد مصادفات أو أنها لا تخرج عن كونها نوع من دهاء بعض القبائل التى تخدع الجمهورية بإسم الولاء لها كى تحصل منها على السلاح حتى تتسلح به ضدها ، وكنت أستبعد أن يغيب عن فطنة الزميل الذكى القاضى عبد الرحمن الإريانى أنه قد لا ينال من وراء ذلك ما كان يسعى إليه ، إذا ما تطور الموقف وسقطت جدران المعبد الجمهورى على رؤوس صانعية مع الطامعيين فيه ، أللهم إلا إذا كانت هناك من خلف الستار مواثيق سرية بينه وبين أعداء الجمهورية كنوع من الإحتياط مما عساه يكون فى جوف الدهر من مفاجآت .

٤

وصل إلينا فى صنعاء المشير عبد الحكيم عامر فى يوم السبت ٢٧ أكتوبر ١٩٦٢ وبصحبته السيدان شمس بدران وعلى شفيق وكنت فى إستقبالهم فى المطار مع الرئيس السلال واللواء أنور القاضى الذى كان قد تولى قيادة القوات المصرية فى اليمن . وأثناء الإجتماعات المغلقة التى كنت أحضرها مع الرئيس السلال وحدنا أطلعنا المشير عامر على وجهة نظر الرئيس عبد الناصر فى الموقف الدولى المحيط بالثورة ، وضرورة حسم المعركة العسكرية فى أسرع وقت قبل أن يستفحل خطرها ، كما نصحنا بالحرص على القبائل الموالية للثورة وتعبئة جهودها للإشتراك الحاسم فى المعركة بعد أن كادت ساحات القتال تخلو تماما من الجيش اليمنى النظامى ولم يبق فى المعركة غير القبائل التى كان يقودها الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ، ومجموعات الحرس الوطنى من أبناء الجنوب الذين كان أكثرهم يهلكون فى شراك الكمائن التى كانت تنتظرهم وهم فى طريقهم إلى القتال دفاعا عن الثورة فى الشمال .

حتى ذلك الوقت لم تكن قد اعترفت بالحكومة اليمنية سوى أثنتين وعشرين دولة وكانت بقية الدول تنتظر ما سوف تسفر عنه المعارك الحربية ، ولم يكن عندى أدنى شك فى أن الموقف الأمريكى والبريطانى من الثورة اليمنية كان السبب الرئيسى فى تريث معظم دول العالم فى الإعتراف بحكومة الجمهورية العربية اليمنية ، فاستدعيت القائم بالأعمال الأمريكى المستر ستوكى ، وحملته رسالة ثانية إلى الرئيس الأمريكى جون كنيدى أشرح له فيها مدى الإستقرار الذى ينعم به النظام الجمهورى فى معظم أنحاء اليمن باستثناء مناطق جبلية متفرقة فى شمال البلاد يسهل فيها قطع الطرق من جانب البسطاء محترفى حمل السلاح ، الذين يسهل على القوى الأجنبية المعادية للثورة الجمهورية أن تغرر بهم وتضلل عقولهم وهى تغريهم بالمال مع السلاح الذى يعشقونه عشقا لا يدانيه حب الإمامة ولا بغض الجمهورية .

سألت الرئيس كنيدى عما إذا كان ينتظر حتى يعلن هؤلاء ولاءهم للنظام الجمهورى الذى كانوا يبايعونه فعلا حين يصبحون ثم ينقلبون عليه حين يمسون ؟ ..لقد كان أشقاء الأسرة الواحدة يوزعون أنفسهم بين مؤيد للجمهورية ومبايع للإمامة كى يحلب أحدهم بقرة السلال ويحلب الآخر شاة البدر .

قلت للرئيس كنيدى أن هذا السلوك من جانب القلائل الذين تجسم الإذاعات الأجنبية تمردهم لا ينبغى أن يؤخر الإعتراف الأمريكى بالجمهورية اليمنية فيعطل مساعدة الحكومة الأمريكية التى تسعى حقيقة إلى تحقيق الإستقرار فى شبه الجزيرة العربية ،

لأن ذلك التمرد الذى يستند على مثل تلك البواعث غير الحضارية يمكن أن يستمر لفترة قد تطول وعلى ساحة قد تتسع إذا لم نبدأ بغرس البذور الحضارية ، التى لا تعتمد على المواجهة العسكرية قدر إعتمادها على الإصلاحات العمرانية والمشروعات الإقتصادية .

ختمت رسالتى للرئيس كنيدى متسائلا عن الدولة العظمى التى أخطب ودها لمساعدة اليمن حضاريا إذا تخلفت أمريكا عن مساعدتها واستمرت فى مساعدة قطاع الطرق وهم يقطعون عليها طريق الإستقرار والحضارة .

واستدعيت القائم بالأعمال البريطانى وحملته رسالة إلى المستر ماكملاند رئيس وزراء بريطانيا شرحت فيها نفس هذا الموقف متسائلا عن نفسَ تلك الأسئلة .

وبعد يومين صرح متحدث رسمى بإسم الحكومة البريطانية بأن حكومته قد وعدت بالإعتراف بالنظام الجمهورى فى اليمن ، وقد نشرت صحيفة الأهرام المصرية أخبار هذه المقابلة وذلك التصريح يوم الأحد ٢٨ أكتوبر ١٩٦٢ .

سألت المشيرَ عبد الحكيم عامر عن سبب عدوله عن إيفاد الرائد صلاح المحرزى ضمن ضباط القوات المصرية ، على نقيض ما اتفقنا عليه أمام الرئيس جمال عبد الناصر للإستفادة من علاقاته الخاصة مع جميع ضباط الكلية الحربية ، الذى كان كبيرا لمعلميهم ، فصديقا شخصيا لهم ، فقال أنه بعد أن قرر إرسال الرائد صلاح المحرزى إلى صنعاء وصل إليه تقرير من السفارة المصرية فى اليمن يفيد بأنها تخشى من وصول المحرزى مع القوات المصرية فينشىء من هؤلاء الضباط مركز قوة وأن القائم بَالأعمال المصرى الأستاذ محمد عبد الواحد يحرص على بقاء زمام المبادرة فى يد السلال وفى يدى ، فاستحسن الرئيس جمال تأخير سفر الرائد صلاح المحرزى حتى يتضح له الموقف فى صنعاء بجلاء .

تألمت كثيرا من هذا الخبر ، وتألمت أكثر من عدم إنتباه الرئيسْ جمال والمشير عامر للبواعث الشخصية التى تفوح من رائحة هذا التحليل العجيب .

أعدت شرح وجهة نظرى للمشير عامر ، وأوضحت الأسباب الملحة التى تقتضى الإسراع بتجميع طاقات ضباط الثورة بأسلوب تعودوا عليه من معلم تدربوا على يديه ، وصديق وثقوا فى صدقه معهم ، وإخلاصه لهم .



في يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ١٩٦٢ وصلنا تقرير من القاهرة يفيد أنه فى صباح ذلك اليوم قام عبد الله جزيلان بزيارة السادات ومعه العميد حمود الجائفي الذى تم تعيينه رئيسا للوفد اليمنى بالقيادة العسكرية المشتركة بالقاهرة ، وشرح التقرير مأساة الهجوم الشخصى على شخص السلال ، وكيف أهال جزيلان تراب اليمن على رئيس مجلس قيادة الثورة .

كنا فى ذلك اليوم قد انتهينا من إعداد أول دستور للجمهورية العربية اليمنية ، كخطوة دستورية نحو إرساء دعائم الإستقرار فى اليمن ، الذى يعتمد على مجلس قيادة الثورة فى أعمال السيادة ، وعلى مجلس الوزراء فى شئون السلطة التنفيذية ، إلى جانب المؤتمر الوطنى الذى يضم هذين المجلسين ، ومجلس الدفاع الأعلى ، مع تحديد فترة إنتقال لمدة خمس سنوات يتم خلالها وضع قانون للإنتخاب حتى تجرى إنتخابات حرة فى جميع أنحاء اليمن للتصويت على الدستور النهائى ، وإنتخاب المجلس النيابى الذى ينتخب رئيس الجمهورية بعد إنتهاء فترة الإنتقال .

عندما ناقشنا الأسماء التى تضطلع بالعمل أثناء فترة الإنتقال لم يختلف الرأى على استبعاد العميد حمود الجائفى الذى رحب بالعمل الذى كلفناه به فى مصر تحت ضغط السلال وظنونه القاتلة ، رغم أننى كنت ولا زلت أحمل للجائفى أعظم تقدير وحب وإعجاب ، وهو من جانبه ، كما سبق شرحه ، قد حملنى مسئولية صنع تاريخ اليمن ، ونصحنى بأن اتطلع دائما إلى المستقبل ، ولا أستمع إلى الذى كان يعيش فى الماضى ، بغير أدنى تصور للمستقبل ، وكان يشير بذلك إلى السلال وهو فى طريقه إلى القاهرة مبعدا عن اليمن متأكدا من أنه فقد منصبه كعضو فى مجلس القيادة ووزير للدفاع .

غير أن الرأى قد اختلف حول المقدم عبد الله جزيلان ، حيث قال البعض أنه لا جدوى من إشراكه فى هذه التنظيمات نظرا لحالته الصحية ، ولأن أعصابه لا تمكنه من مواصلة العمل فى صنعاء ، ولا يحسن إستبداله بغيره فى وقت قريب عندما يترك منصبه شاغرا لفترة طويلة . وقال البعض الآخر أن استبداله بغيره فى وقت قريب يبرىء ذمتنا بتجربة تعيينه فى أحد المناصب ثم تركه يختار بنفسه إما أن يعود إلى صنعاء أو يطلب العمل خارج اليمن .

أذكر أننى تحمست للرأى الثانى حتى لا نبعد من مجلس قيادة الثورة إثنين من أعضائه العسكريين الجائفى وجزيلان ، فوافق السلال وتقرر تعيينه فى منصب وزارى ، لأول مرة منذ أن قامت الثورة ، فاقترحت ترقيته إلى رتبة عقيد لإزالة الحساسية التى كانت

بينه وبين العقيد حسن العمرى الذى رقيناه إلى هذه الرتبة بعد قيام الثورة ، حيث كان رجلا مدنيا يعمل نائبا لوزير المواصلات ومديرا للاسلكى بعد أن ترك الجيش برتبة ملازم أول منذ أربعة عشر عاما ، واخترنا لجزيلان منصب وزير الدفاع الذى خلا بتعيين العميد حمود الجائفى فى عمله الجديد بالقاهرة .

كذلك اختلف الرأى حول القاضى عبد الرحمن الاريانى الذى تأكدنا من أنه قد نجح فى إستثمار صلاته الخاصة مع بعض رجال القبائل فحرضهم على الوقوف فى وجه السلال . اقترح السلال تعيينه فى وظيفة خارج اليمن إبعادا له عن مجال التأثير على هذه القبائل ، لكننى وجدت أن تعيينه فى الخارج لا يمنعه من مكاتبة القبائل فى الداخل ، وقد يكون أكثر خطرا على الثورة فى تحريضه لهم من الخارج وهو يصور لهم أنه ضحية السلال من تحريضه لهم من الداخل وهو يشهد بنفسه أنه من أعوانه .

أضطر السلال إلى الموافقة على إبقائه فى منصبه عضوا فى مجلس قيادة الثورة ووزيرا للعدل مع العمل على سد الثغرات التى يفتحها لدى القبائل . وكان ذلك قدرنا الذى لا مهرب منه ما دمنا حريصين على ألا تأكل الثورة أبناءها .

وتقرر تعيين الشيخ محمد على عثمان وزيرا مفوضا فى السودان بعد أن تعذر تنسيق العمل فى محافظة تعز فيما بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة عبد الغنى مطهر وعبد القوى إبراهيم حاميم . وتعيين الأستاذ على الأحمدى وزيرا مفوضا فى ألمانيا الغربية حيث لم يكن له عمل رسمى بعد حل مجلس السيادة .

وتقرر تعيين الأستاذ محسن العينى رئيسا لوفد اليمن الدائم فى الأمم المتحدة حتى يتفرغ للدفاع عن قضية اليمن فى الخارج بعد أن ابتعد بإرادته عن وزارة الخارجية فترة طويلة منذ أن ترك صنعاء متجها إلى نيويورك للدفاع عن الجمهورية اليمنية بصفته وزيرا لخارجيتها ، لكنه أقام فى القاهرة وهو فى طريقه إلى نيويورك ، ولم يكن يرغب فى العودة إلى صنعاء فى ظروفها الحرجة ، كما تقرر تعيين الأستاذ أحمد حسين المرونى مساعدا له ، وتقرر تعيين الأستاذ محمد عبد الله الفسيل مستشارا فى المفوضية اليمنية بالقاهرة .

كان من ضمن أهداف التعديلات أن نتفرغ فى صنعاء لمواجهة الموقف العسكرى والسياسى الحرج الذى كان يهدد الجمهورية بالسقوط ، مع الإستفادة من المواقع القيادية الوزارية بشغل أكثرها بأصحاب الشجاعة الذين كانوا مستميتين فى الدفاع عنها سواء كانوا من العسكريين أو المدنيين . وكانت القدرة على المجازفة فى تلك الأيام من العملات النادرة حيث كانت اليمن لا تزال حديثة العهد بالإنقلابات الفاشلة التى ينتهى زعماؤها فى كل مرة إلى سيوف الجلادين كى تستقر رؤوسهم فوق الأشجار أو على باب اليمن .

وفى اليوم التالى (الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٦٢) أعلنا أول دستور للجمهورية اليمنية .

ونصه كما يلى :

إعلان دستورى

من مجلس قيادة الثورة للجمهورية العربية اليمنية

أنه رغبة فى تثبيت قواعد الحكم أثناء فترة الإنتقال وتنظيم الحقوق والواجبات لجميع المواطنين ، ولكى تنعم البلاد بإستقرار شامل يتيح لها الإنتاج المثمر والنهوض بها إلى المستوى الذى ترجوه الثورة للشعب ، فإن مجلس قيادة الثورة يعلن بإسم الشعب أن حكم البلاد فى فترة الإنتقال التى هى خمس سنوات سيكون وفقا للأحكام الآتية :

أولا مبادىء عامة

المادة الأولى

أهداف الثورة كما يلى :

أولا – العودة إلى شريعة الإسلام الحقة بعد أن أهدرها الأئمة السابقون خلال الألف والمائة عام الماضية .

ثانيا – إلغاء التفرقة العنصرية واعتبار اليمنيين جميعا سواء أمام القانون .

ثالثا – إزالة الأحقاد بين الزيود والشوافع .

رابعا – إصدار قانون يوضح حقوق المواطنين فلا جريمة إلا بنص ولا عقوبة إلا بعد محاكمة عادلة تتم على أساس قانون يستمد من الشريعة الإسلامية الغراء ، ينظم الإجراءات الجنائية ويكفل حرية الدفاع .

خامسا – إقامة الجمهورية العربية اليمنية والتمهيد لإجراء إنتخاب حر فى جميع أنحاء اليمن لإنتخاب المجلس النيابى الذى يختار رئيس الجمهورية .

سادسا – تحقيق أهداف القومية العربية من أجل أن تستعيد الأمة العربية مجدها العظيم فتتبوأ مركزها الخلاق فى طليعة الأمم الناهضة .

سابعا – تحقيق العدالة الإجتماعية .

ثامنا – إقامة جيش وطنى قوى يكون درعا لليمن وللأمة العربية .

تاسعا – إلغاء جميع المظالم التى يشكو منها الشعب .

عاشرا – رفع مستوى معيشة الشعب بالبدء فورا بوضع وتنفيذ خطط إقتصادية لإستثمار كافة موارد الدولة البشرية والطبيعية مع خلق أوجه للنشاط الإقتصادى فى المناطق الجدباء الآهلة بالسكان وتشجيع الزراعة والصناعة والتجارة والأعمال الأخرى المنتجة .

المادة الثانية

جميع السلطات مصدرها الشعب اليمنى العريق .

المادة الثالثة

الحرية الشخصية وحرية الرأى مكفولتان فى حدود القانون ، وللملكية والمنازل حرمة وفق أحكام القانون .

المادة الرابعة

تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

المادة الخامسة

جميع القوانين تستمد من الشريعة الإسلامية التى هى دين الدولة الرسمى .

المادة السادسة

القضاء مستقل ، ولا سلطة عليه بغير القانون ، وتصدر أحكامه وتنفذ وفق القانون باسم الشعب .

ثانيا نظام الحكم

المادة السابعة

يتولى مجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا ، وبصفة خاصة التدابير التى يراها ضرورية لحماية الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهداف الشعب ، وحق تعيين الوزراء وعزلهم .

المادة الثامنة

يتولى مجلس الوزراء والوزراء ، كل فيما يخصه ، أعمال السلطة التنفيذية .

المادة التاسعة

يتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر وطنى ينظر فى السياسة العامة للدولة ، وما يتصل بها من موضوعات ، ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير فى وزارته .

المادة العاشرة

يتألف من شيوخ الضمان ، مجلس الدفاع الأعلى ينظر فى شئون أمن الدولة ، ويكون كل شيخ من شيوخ الضمان فى رتبة وزير للدولة ، وفى أثناء عدم إنعقاد المجلس يتولى كل شيخ مهمة المحافظة على منطقته بصفته محافظا من قبل مجلس قيادة الثورة .

المادة الحادية عشر

يقرر مجلس قيادة الثورة إنتخاب قائد الثور الزعيم عبد الله السلال رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس الوزراء وقائدا أعلى للقوات المسلحة أثناء فترة الإنتقال ، وإنتخاب الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائبا للرئيس فى هذه الإختصاصات .

على أن يتم خلال فتره الإنتقال وضع قانون للإنتخاب كى تجرى الإنتخابات الحره فى جميع أنحاء الجمهورية العربية اليمنية للتصويت على الدستور النهائى الذى ستقدمه الحكومة ، وإنتخاب المجلس النيابى الذى ينتخب رئيس الجمهورية .

أيها المواطنون

إن مجلس قيادة الثورة إذ يعلن لكم هذه المبادىء والأحكام لا يسعه ألا أن يعلن أيضا عن إيمانه المطلق بضرورة قيام نظام دستورى ديمقراطى كامل الأركان ، أثر فترة الإنتقال ، كما يعلن المجلس أيضا عن إيمانه المطلق بضرورة توفير حياة حرة كريمة ومستقبل مشرق باسم لجميع أبناء الشعب ، والله ولى التوفيق .

(توقيع)
الزعيم عبد الله السلال
رئيس مجلس قيادة الثورة
(الوثيقة رقم ٢٧)

التشكيل الوزارى

الزعيم (العميد) عبد الله السلال رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس الوزراء وقائدا عاما للقوات المسلحة .

الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائبا للرئيس ووزيرا الخارجية .

العقيد عبد الله جزيلان وزيرا للدفاع . النقيب عبد اللطيف ضيف الله وزيرا للداخلية . النقيب محمد قائد سيف وزيرا للدولة لشئون رئاسة الجمهورية والإعلام . الطيار عبد الرحيم عبد الله وزيرا للطيران . السيد عبد الرحمن الاريانى وزيرا للعدل . السيد عبد السلام صبره وزيرا للأوقاف وشئون القبائل . العقيد حسن العمرى وزيرا للمواصلات . السيد عبد القوى حاميم وزيرا للشئون البلدية والقروية . السيد عبد الغنى مطهر وزيرا للتجارة . السيد محمد مهيوب ثابت وزيرا لشئون المغتربين . السيد على محمد سعيد وزيرا للصحة . الرئيس (النقيب) محمد الأهنومى وزيرا للتموين . الرئيس (النقيب) حسين الدفعى وزيرا للعمل . الرئيس (النقيب) محمد الرعينى وزيرا للزراعة . المهندس عبد الله الكرشمى وزيرا للأشغال . الدكتور عبد الغنى على أحمد وزيرا للمالية . الدكتور حسن مكى وزيرا للإقتصاد . السيد محمد محمود الزبيرى وزيرا للمعارف . الشيخ أمين عبد الواسع نعمان وزيرا للإرشاد القومى . النقيب على سيف الخولانى وزيرا للشئون الإجتماعية .

(توقيع)
الزعيم عبد الله السلال
رئيس مجلس قيادة الثورة
(الوثيقة السابقة)

تعيينات السلك السياسى الخارجى

الزعيم (العميد) حمود الجائفى رئيسا لوفد اليمن بالقيادة العسكرية المشتركة بالقاهرة . العقيد عبد الله الضبى عضوا فى وفد اليمن بالقيادة العسكرية المشتركة بالقاهرة . السيد محسن العينى رئيسا لوفد اليمن الدائم فى الأمم المتحدة . السيد أحمد المرونى نائبا لرئيس وفد اليمن الدائم فى الأمم المتحدة . السيد أحمد محمد نعمان مندوبا دائما لليمن فى الجامعة العربية . السيد يحيى منصور نائبا لمندوب اليمن فى الجامعة العربية . السيد أحمد قائد سيف وزيرا مفوضا فى سفارة الجمهورية العربية اليمنية بالقاهرة . السيد أحمد محمد باشا وزيرا مفوضا فى سفارة الجمهورية العربية اليمنية بالقاهرة . السيد محمد على عثمان وزيرا مفوضا فى سفارة الجمهورية العربية اليمنية بالسودان . السيد على الأحمدى وزيرا مفوضا فى ألمانيا الغربية . السيد هاشم الحوثى مستشارا فى مفوضية اليمن فى ألمانيا الغربية . السيد محمد سعيد قباطى وزيرا مفوضا فى الصومال .السيد محمد عبد الله الفسيل مستشارا فى سفارة الجمهورية العربية اليمنية فى القاهرة .

(توقيع)
الزعيم عبد الله السلال
رئيس مجلس قيادة الثورة
(الوثيقة السابقة)

كما تقرر ضم النقيب محمد الأهنومي ، والنقيب حسين الدافعي ، عضوين في مجلس قيادة الثورة ، بدلا من الشهيد الملازم أول علي عبد المغني ، والعميد حمود الجائفي الذي تقرر تعيينه في القاهرة[١]

وسافر من اليمن كل الذين شملهم القرار بتعيينهم في الخارج إلى البلاد التي تم تعيينهم فيها ، باستثناء الأستاذ علي محمد الأحمدي ، الذي إستأذن في إتمام مهمته التي سبق تكليفه بها ، وهي توصيل شحنة من الأسلحة والذخيرة إلى محافظة البيضاء وتوزيعها هناك على رجال القبائل ، حيث بدأ السلال يشك في ولاء محافظ البيضاء الشيخ صالح الرويشان الذي أفادت التقارير أنه على علاقة مع الحسن عم الإمام البدر المخلوع .

السلال يعلن الدستور المؤقت لليمن
تشكيلات ثورية جديدة لفترة الانتقال

أذيع أمس من صنعاء أن مجلس قيادة الثورة قد قرر انتخاب الزعيم عبد الله السلال رئيسا للجمهورية الى جانب منصبه كرئيس لمجلس قيادة الثورة ورئيس لمجلس الوزراء . كما قرر انتخاب الدكتور عبد الرحمن البيضاني نائبا للرئيس . واصدر الزعيم السلال امس بيانا باعلان « الدستور المؤقت » لجمهورية اليمن اثناء فترة الانتقال . كما اذيعت امس التشكيلات الثورية الجديدة لهذه الفترة .

وقد حدد الدستور اختصاصات التشكيلات الثورية ونظام تأليفها .

كما قضى اول دستور للحكم يعلن في اليمن ، بان جميع القوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية . ونص الدستور على اصدار قانون يوضح حقوق المواطنين ، والتعهد لاجراء انتخاب حر لتشكيل مجلس نيابي يختار رئيس الجمهورية ، وتحقيق اهداف القومية العربية ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، واقامة جيش وطني قوي ، والغاء جميع المظالم ، ورفع مستوى الشعب ، وازالة الخلافات بين الزيدية والشافعية .

البقية صفحة ٨ عمود ٤

الأهرام في أول نوفمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

(١) الوثائق الأصلية لهذه الوثائق منشورة في هذا الكتاب بالوثيقة رقم ٢٧ وسبق نشرها في حينه في صحيفة الجمهورية اليمنية في عددها السادس ثم نشر المكتب القانوني لرئاسة الجمهورية تشكيل هذه الوزارة في سجله الوثائقي سنة ١٩٨٣ .

٦

كانت محافظة البيضاء تمثل منطقة خطر بالنسبة إلى الجمهورية اليمنية ، لأنها تقع على حدود إمارة العوازل الخاضعة للإستعمار البريطانى ، وعلى مشارف مطار مكايرس البريطانى ، فكان من الضرورى إحكام سيطرة الثورة على تلك المنطقة حتى لا تنتقل عدوى التمرد إلى المحافظات الموالية للجمهورية ، فأصدر السلال أمره إلى الأستاذ على الأحمدى ، الذى ينتمى إلى منطقة رداع القريبة فى محافظة البيضاء بأن يعمل بلباقته المعروفة على إحضار محافظ البيضاء معه إلى صنعاء ، بعد توزيع السلاح والذخيرة على قبائل البيضاء ، حيث كان السلال يشك فى ولاء محافظ البيضاء للجمهورية وهو من شيوخ قبيلة خولان المتمردة وكان على علاقة مع أسرة الإمام .

توجه الأحمدى مع حملة السلاح والذخيرة إلى محافظة البيضاء ، غير أنه وهو فى طريقه إليها أراد بغير إذن من القيادة ، أن يوزع بعضها على أصحابه من رجال القبائل فى منطقة رداع الذين ما إن شموا رائحة الأسلحة والذخيرة التى بقيت فوق السيارات التى كانت معه حتى قتلوه واستولوا عليها ولم يفلت برأسه سوى سائقه الخاص الذى كان يقود سيارته الوزارية وعاد بها إلى صنعاء .

عندما وصلنى هذا الخبر المفجع أصدرت قرارا بمنح أسرته معاش وزير مدى الحياة مع تمليكها سيارته الوزارية التى أفلتت من قبضة القتلة .

قد أصدرت هذا القرار أسوة بالقرار الذى سبق أن أصدرته يوم وصولى إلى صنعاء على إثر قيام الثورة والذى نص على تقرير معاش وزير لأسرة الشهيد عبد الله اللقيه وتمليكها أحد البيوت التى صادرتها الثورة فى صنعاء من ممتلكات الذين هربوا من الأسرة الحاكمة السابقة .

وكان أحد الأطفال ينفخ فى مزماره عندما كنت ألقى أول خطاب لى من شرفة القصر الجمهورى عند وصولى مباشرة من القاهرة ، فإذا بجنود الأمن يتدافعون نحوه لكى ينزعوه من أحضان أمه ليخرجوا به من فناء القصر الجمهورى ، فاستوقفتهم وسألت عن ذلك الطفل ، فقالوا أنه ابن الشهيد عبد الله اللقيه ، فأمرت بإحضاره إلى جوارى وأكملت خطابى وهى محمول على ذراعى ،.وقلت للجماهير إذا لم يحتفل معنا ابن الشهيد اللقيه فى هذا اليوم الذى استشهد أبوه فى سبيله فمن ذا الذى أحق منه بهذا الإحتفال ؟ .

كان مصرع الشهيد على محمد الأحمدى من أشد الصدمات وقعا علينا فى صنعاء ، لأنه لا يمثل فقط فقدانا لصديق إنتهى أجله وحلت ساعته وإنما كان نذيرا بفقدان منطقة رداع بأسرها ، لأن رجال القبائل الذين قتلوه لا بد أنهم كانوا ينتظرون منا حملة شرسة من حملات التأديب التى عودهم الإمام عليها فى مثل هذه الأحوال ، مما يدفعهم إلى التمرد على الثورة كإجراء وقائى دفاعا عن أنفسهم .

غير أننى على نقيض الإمام ، سارعت بإرسال برقيات عزاء إلى شيوخ ورؤساء القبائل فى رداع أشاركهم الحزن على مصابهم فى مصرع إبنهم الوزير على أحمد الأحمدى ، وأعبر لهم عن ثقتى فى حكمتهم وقدرتهم على إقتفاء أثر القتلة قبل أن ينجحوا فى الهروب من رداع بعد أن نجحوا فى التسلل إليها .

جاءتنى والدة الشهيد الأحمدى وأرملته تطالبانى بالقصاص له ، فسلمتهما القرار بشأن المعاش والسيارة ووعدتهما بتنفيذ حكم الله إذا تمكنا من القبض على من قتله ، كما جاءتنى وفود من شيوخ ورؤساء قبائل رداع يستنكرون مصرع الشهيد ويضعون أيديهم فى يد الثورة .

ومن مفارقات القدر أن تصلنى فى نفس ذلك اليوم برقية عاجلة من سجن تعز بتوقيع الصديق الفلكى محمد حلمى ، العراف الخاص بالإمام السابق ، يقول فيها (هذا إليكم من سجن تعز . غدا إعدامى . أين الوعد) وكانت قيادة تعز قد ألقت القبض عليه وأصدرت حكمها بإعدامه باعتباره من مفسدى العهد البائد حيث كان يعمل عرافا خاصا للإمام السابق .

وقد سبق أن شرحت فى هذا الكتاب كيف اشترك المذكور فى تمكينى من الهروب من سيف الإمام عندما قرر قتلى فى الحديدة وكيف سلمنى محمد حلمى رموزا (شفرية) حتى يزودنى بالمعلومات السرية المتعلقة بالإمام كى استخدم ما أراه صالحا منها فى إثارة الشعب اليمنى ضده ، وقد أذعت الكثير منها من صوت العرب وسجلته فى مجلة روز اليوسف .

وكان المذكور قد أجرى حساباته الفلكية وتنبأ بقيام ثورة ناجحة فى اليمن وأننى سيكون فى وسعى أن أصدر أمرا بالعفو عنه حيث تنبأ أيضا بأن هذه الثورة سوف تلقى القبض عليه وتصدر حكما بإعدامه ، ولذلك قبل أن يشترك فى إنقاذى من سيف الإمام اشترط أن أتعهد له بالعفو عنه عندما يكون فى وسعى أن أفعل ذلك .

وبالرغم من عدم تصديقى لتنبآت الفلكيين فقد تعهدت له إنقاذا لرقبتى التى كان الإمام قد أصر على قطعها وحدد لذلك موعدا نهائيا بعد أن فشلت للمرة الأخيرة شفاعة الأصدقاء ، وتلاشت نهائيا كل الآمال فى حماية البدر .

وصلتنى تلك البرقية فى ذلك اليوم فأثارت ذكرياتى ودفعتنى إلى جهاز اللاسلكى حيث أصدرت أمرا إلى العقيد أحمد الآنسى قائد منطقة تعز قلت فيه (حال سماع هذا الأمر يكون إطلاق سراح العراف محمد حلمى وإرساله إلينا بأول طائرة إلى صنعاء . فالمذكور ساعدنى على الإفلات من سيف الإمام وكان يزودنى بجميع المعلومات السرية المتعلقة بالأسرة الحاكمة السابقة التى استعنت ببعضها فى تهيئة الشعب للثورة الجذرية) .

جاءنى محمد حلمى فى صباح اليوم التالى ، وتفاديا لأية ظنون يمكن أن تسرح بخيال أحد فيتصور أن قيادة الثورة تستعين بالفلكيين كما كان عليه الحال أيام الأئمة السابقين ، ومكافأة للرجل الذى اشترك فى إنقاذ حياتى ، رأيت أن أرسله إلى القاهرة للعلاج من أمراضه الكثيرة التى كان يعانى منها فى عهد الإمام . وأرسلت برقية إلى الصديق الأستاذ عبد القادر حاتم وزير الإعلام المصرى لكى يهيىء له مناخا إعلاميا فى مصر يشرح فيه وثائق الإمام الخطية التى كانت فى حوزته حتى يطلع الرأى العام على كيف كانت تحكم اليمن أيام الإمام أحمد .

وصدق رسول الله ﷺ حين قال (كذب المنجمون ولو صدقوا) .



من اليمين الرئيس السادات فالرئيس السلال فالمؤلف

ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ

قرآن كريم

السياسة والحرب

الفصل الثانى عشر

١

قبل أن يغادر المشير عبد الحكيم عامر صنعاء عائدا إلى القاهرة أراد أن يزور منطقة الحديدة ، فذهبت معه ولازمته حتى استقل طائرته من مطار الحديدة وعاد بها إلى مصر ، وفى طريقى إلى صنعاء طلبت من قائد طائرتى ونحن فى سماء الحديدة أن يحلق بى أولا فوق منطقة جيزان شمال غرب اليمن ، لأرى بعينى حجم الحشود التى تتجمع فى تلك المنطقة فى طريقها إلى إحتلال منطقة حرض داخل الأراضى اليمنية متجهة إلى الحديدة للإستيلاء على الميناء وقطع طريق الحديدة صنعاء .

هالنى منظر تلك الحشود التى حشدت معظم المتمردين اليمنيين وسلحتهم بمختلف أنواع الأسلحة وزودتهم بالمتطوعين من بعض الدول العربية والمرتزقة من الدول الأجنبية . وكانت معلوماتنا تنذر بأن عدد الحشود يتراوح بين الخمسة والثمانية آلاف مقاتل . وأن هذا الغزو الشمالى الغربى سوف يكون إستكمالا وإنتقاما من فشل الغزو الجنوبى الشرقى ، عندما قامت بريطانيا بتسليح وتمويل تجمعات كثيرة من المتمردين وشدت أزرهم بمرتزقة أجانب يجيدون إستخدام الأسلحة الثقيلة ، وجعلتهم يزحفون علينا من أراضى إمارة بيجان الواقعة تحت الإحتلال البريطانى ، مما جعلنا نرد عليهم ردا قاسيا وحاسما قصم ظهورهم وأعادهم إلى أوكارهم داخل بيجان بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة ، واستولينا على معظم أسلحتهم الثقيلة ، الأمر الذى دفع بريطانيا إلى الإدعاء بأن طائراتنا أغارت على قرى وتجمعات سكنية داخل إمارة بيجان نفسها ، فأسرعت بالرد على هذا الإدعاء البريطانى فى مؤتمر صحفى نفيته جملة وتفصيلا .

وأعلنت أن الحكومة اليمنية قد أمرت بالتحقيق فيما أدعته بريطانيا من قيامنا بضرب إمارة بيجان بالقنابل ومحاكمة من تثبت عليهم تهمة مخالفة الأوامر الصارمة التى أصدرتها الحكومة والتى تقضى بعد تجاوز الطيران اليمنى المجال الجوى لليمن .

استدعيت القائم بالأعمال البريطانى وسلمته نسخة من تصريحاتى التى أذاعتها إذاعة صنعاء (ونشرتها جريدة الأهرام بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٦٢) والتى أكدت للقائم بالأعمال أنه إذا ثبت حقيقة ما تدعيه حكومته فإن حكومة الثورة على إستعداد لتعويض أية خسارة .

كنت أحاول العمل على تبريد الموقف البريطاني حتى لا نحارب فى جبهتين متباعدتين متراميتى الأطراف ، وكانت معلوماتنا تفيد بأن بريطانيا قد حشدت فى إمارة بيجان قوات مدرعة مزودة بالمدفعية المتحركة إستعدادا لجولة ثانية على جنوبنا الشرقى ، فى الوقت الذى يتجمع فيه حشود المتمردين والمرتزقة والقوات المعادية فى شمالنا الغربى .

وفى يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٦٢ أذاعت وكالات الأنباء تصريحا منسوبا إلى الدوائر المطلعة فى حلف شمال الأطلنطى يفيد بأن الطيارين الأمريكيين سوف يساعدون بطائراتهم الأمريكية قوات البدر المخلوع التى تتأهب لغزو اليمن من جهة الشمال فى الوقت الذى تغزو فيه قواته الأراضى اليمنية من جهة الجنوب .

استدعيت ، على الفور ، القائم بالأعمال الأمريكى المستر ستوكى يوم الخميس أول نوفمبر ١٩٦٢ ، وأبلغته ما شاهدته بعينى من حشود معادية فى منطقة جيزان ، وأننا قد نضطر إلى تدمير هذه الحشود قبل أن تتحرك إلى أراضى الجمهورية العربية اليمنية عملا بحق الدفاع الشرعى عن النفس ، كما أبلغت القائم بالأعمال الأمريكى فى تلك المقابلة التى استغرقت أكثر من ساعتين بأننا لا ننوى طلب المساعدات العسكرية من الكتلة الشرقية إذا ما وقفت الكتلة الغربية على الحياد من العدوان المفروض على اليمن ، وأننا سوف نتأكد من وقوف الكتلة الغربية على الحيادمن هذا الصراع إذا لم تظهر أية طائرة فى سماء المعركة ، حيث لا يملك المتمردون طائرات ولا يحتلون أرضا تصلح لهبوط الطائرات ، كذلك لا تملك الطائرات العربية المعادية لنا المدى الذى يمكنها من الإغارة علينا أو حماية سماء المعركة فوق أراضينا ، وأكدت له أننا نبذل كل ما فى وسعنا لتجنب الوقوع فى محظور الحرب الباردة بين الكتلتين الدوليتين .

وعدنى القائم بالأعمال بإرسال مضمون حديثى معه إلى الحكومة الأمريكية ، مؤكدا وقوف بلاده خارج نطاق هذا الصراع الذى تتمنى أن ينتهى فى أسرع وقت ممكن .

كان هدفى من ذلك الحديث أن أشعر الولايات المتحدة الأمريكية بأننا لا نزال نحسن الظن فى حكومتها ، وأننا لا نزال نتطلع إلى توطيد أوثق العلاقات معها ، على نقيض ما يدعيه علينا أعداؤنا الذين لا يكفون عن وصفنا بأننا شيوعيون مرتمون فى قبضة الإتحاد السوفيتى ، الأمر الذى لو تأكدت منه الولايات المتحدة لوقفت ضدنا بشكل سافر وعنيف ، يرجح القضاء علينا أن هى أطبقت على رقبتنا ذراع المقص الشمالى المتمثل فى المتمردين على ذراعه الجنوبى المتمثل فى البريطانيين المتشوقين فى دخيلة أنفسهم إلى موقف أمريكى سافر ومعارض ، يقضى علينا فى صنعاء ليحمى وجودهم فى عدن .

كنت أعتقد بحق ، أن النجاح فى إشعار الولايات المتحدة الأمريكية بحرصنا على صداقتها رغم عدم إعترافها بنا هو فى نفس الوقت نجاح فى ضرب تجمعات البدر فى الشمال وإستراتيجية الإنجليز فى الجنوب .

تعمدت أن ألقى بيانا صحفيا بعد إنتهاء المقابلة نشرته صحيفة الأهرام فى ٢ نوفمبر ١٩٦٢ ، وكان مرادى أن أهزم الأعداء نفسيا حين يذاع على الملأ أننا نعرف خططهم وأن أمريكا لن تتورط بالوقوف معهم .

وهكذا بذلت قصارى جهدى كى أخلى سماء المعركة القادمة والحاسمة من الطائرات المعادية ، وكانت خطتنا العسكرية تقضى بأن ننتظر المرتزقة والمتمردين حتى يتوغلوا فى أراضينا ويصلوا إلى منطقة قفل حرض ، وتتقهقر قواتنا وتفر من أمامهم وهى تستدرجهم إلى هذا الوادى الذى لا بد أن يتجمعوا فيه طلبا للراحة وهم فى طريقهم إلى ميناء الحديدة .

فى نفس يوم الخميس أول نوفمبر ١٩٦٢ بدأ الرئيس عبد الله السلال زيارته لمدينة تعز التى استغرقت عدة أيام أصدر خلالها قرارا باعتبار صنعاء العاصمة الأولى للجمهورية وتعز العاصمة الثانية .

فى يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٦٢ وصلت جحافل المرتزقة والمتمردين إلى منطقة حرض فى الأراضى اليمنية الشمالية الغربية بعد أن تقدمت هذه الجحافل من منطقة جيزان وهى تزهو من نشوة الإنتصار الساحق على قواتنا التى كانت تفر من أمامها وتفسح لها طريق التقدم فى إتجاه ميناء الحديدة .

وكانت التعليمات التى أصدرتها إلى محطة الإذاعة تقضى بأن توقف برنامجها المعتاد ، وتواصل إذاعة الموسيقى العسكرية والأناشيد الوطنية إيهاما للمرتزقة والمتمردين باننا فى مأزق ، وأننا على وشك إذاعة بيان نبرر فيه هزيمتنا أمامهم ، حتى أن الزميل عبد اللطيف ضيف الله وزير الداخلية قد استنكر هذه الإذاعة وطلب أن تعود إلى إذاعة برامجها العادية ولم يكن يعرف الهدف من الأناشيد الوطنية والموسيقى العسكرية وأن الحرب خدعة ومكيدة ، حيث كان منهمكا فى شئون وزارة الداخلية ولا يتابع المعارك السياسية والعسكرية .

وما إن دخلت هذه الجحافل إلى قلب المصيدة حتى أغلقت عليها قواتنا جميع المنافذ الجبلية المحيطة بها وأصلتها مدافع الهاون جحيما من القذائف وجاءت طائراتنا لتحصدهم حصدا ، ولم ينج منهم سوى عدد لا يكاد يبلغ أصابع اليدين ، وحتى آخر نهار ذلك اليوم كانت إذاعة صنعاء تردد بين الحين والحين قرب إذاعة بيان هام ثم تعود إلى إذاعة الموسيقى العسكرية والأناشيد الوطنية ، وعندما اكتمل النصر الحاسم توجهت بنفسى إلى محطة الإذاعة فى تمام الساعة السادسة إلا عشر بعد ظهر ذلك اليوم العظيم وأذعت البيان الهام الذى نشرته صحيفة الأهرام فى اليوم التالى (السبت ٣ نوفمبر ١٩٦٢) والذى شرحت فيه خطتنا الحربية ، وقلت :

(إننا أصدرنا أومرانا إلى قواتنا بأن تنتظر حتى تدخل القوات المعتدية إلى منطقة معينة تبعد خمسة أميال شمال غرب حرض ، وما إن دخلت هذه القوات المعتدية إلى هذه المنطقة حتى انفجرت فيها حقول الألغام ، وفتحت قواتنا نيرانها الجبارة على هذه القوات المعتدية فأبادت منها نحو ثلاثة آلاف معتدى ،

واستولت قواتنا على أسلحتهم ، ثم لاذ الباقون بالفرار نحو الحدود الشمالية ، فتعقبتهم طائراتنا بالصواريخ والقنابل الحارقة فدفنت بقية الغزاة تحت أرضنا الطاهرة) .

وأضفت قائلا :

(أن حكومة الثورة كانت تعلم بتحركات الغزاة وكانت أخبار استعداداتهم تصل إلينا تباعا) .

ثم وجهت خطابى للشعب قائلا :

(قد قامت حكومتكم بتجهيز القوة اللازمة من القوات اليمينة والحرس الوطنى وقوات الجمهورية العربية المتحدة لتكون كافية لصد الغزو ، وأمرنا قواتنا بالتحرك صوب هذه المنطقة واتخاذ مواقعها الحصينة بحيث تسمح للقوات المعتدية أن تدخل أراضينا حتى يتم سحقها) .

وما أن أتممت إذاعة ذلك البيان حتى خرجت على أثره جماهير الشعب اليمنى فى جميع المدن اليمنية تهتف بانتصار الثورة ، وتردد نشيدها الشعبى الذى صاغته الجماهير تلقائيا مع انتصارات الثورة ، وهى تهتف من أعماقها « إرفع رأسك يايمانى عاش السلال والبيضانى » . مما أثار حماس السلال فى تعز فأرسل إلى برقية تهنئة على نجاحى فى قيادة هذه المعركة الحاسمة .

فى يوم السبت ٣ نوفمبر ١٩٦٣ أعلنت أن (تعزيزات القوات اليمنية فى اتجاه الحدود الشمالية لليمن لا تزال مستمرة لصد أى مغامرة أخرى قد يفكر فيها المعتدون ، وأن القوات الجوية والأسطول البحرى لا يزالان فى عملية مستمرة لكننا لم نعثر حتى الآن على عدو واحد جديد ، وعسى أن يكون المعتدون قد استفادوا من الدروس الماضية) .

عقدت فى صنعاء اجتماعا لمجلس قيادة الثورة حضره قادة الوحدات العسكرية ، وبعد أن انتهى هذا اللاجتماع صرحت بأن الغرض منه كان استعراض الإستعدادت التى جهزناها للدفاع عن الجمهورية العربية اليمنية عملا بحق الدفاع الشرعى .

كما صرحت من صنعاء بأننا (قد نضطر مستقبلا إلى أن تعمل قواتنا خارج حدود اليمن إذا دعت الضرورة إلى ذلك وفقا لأحكام القانون الدولى الذى يكفل حق الدفاع الشرعى عن النفس) وأضفت قائلا (إن حكومة االثورة عندما تقوم بمثل هذا الإجراء ستعلنه رسميا دون إخفاء) كما نفيت قيام طائراتنا بضرب ثلاثة قرى سعودية وأكدت (إن قواتنا الجوية لا تزال تعمل فوق أراضينا وأن حكومة اليمن تأمل فى ألا تضطر إلى العمل خارج أراضيها حتى لايصاب أى فرد من أفراد الشعب الشقيق فى نجد والحجاز والأردن بأى أذى) (الأهرام فى ٥ نوفمبر ١٩٦٢) .

وفى الساعة السابعة الا عشر دقائق من مساء امس اعلنت حكومة الثورة للشعب العربى نتائج المعركة وتفاصيلها الكاملة والخطة التى قررت حكومة الثوره تنفيذها لردع العدوان . ومن تعز وجه الزعيم عبد الله السلال رئيس جمهورية اليمن الذى بدأ جولته بتفقد منطقة الحدود الجنوبية تحذيرا جديدا الى سعود . بينما اذاع بيان حكومه الثورة الى الشعب عن ابادة قوات الملكيه الرجعيه ، الدكتور عبدالرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية ووزير الخارجية.

واعطى الدكتور البيضانى فى بيانه وصفا كاملا للمعركة التى دارت على الحدود الشمالية الغربية لليمن فقال « ان قوات سعود وحسين تقدمت متجهة صوب مدينة (حرض) فى الشمال الغربى، وكان قوام القوات المعتدية نحو ٥٠٠٠ رجل ومعهم بعض المتمردين الذين باعوا انفسهم بابخس الاثمـــان

وكانت اوامرنا التى اصدرناها الى قواتنا هى ان تنتظر حتى تدخل القوات المعتدية منطقة معينة تبعد ٥ اميـــال شمال غرب حرض .

وما ان دخلت القوات المعتدية هذه المنطقة حتى انفجرت فيها حقول الالغام وفتحت قواتنا نيرانها الجبارة على هذه القوات المعتدية فابادت منها نحو ٣٠٠٠ رجل واستولت قواتنا على اسلحتهم ثم لاذ الباقون بالفرار نحو الحدود السعودية »

ثم اعلن نائب رئيس اليمن ان الطائرات اليمنية تعقبت الهاربين بالصواريخ والقنابل الحارقة « فدفنت كثيرا من الغزاة المعتدين تحت اراضينا الطاهرة » . وقال ان القوات الجوية اليمنيـــة تربط « حزاما ناريا » حول حدود اليمن مع السعودية لتمنع الفلول المنهزمة من عبور الحدود .

وكانت قوات اليمن تنتظر قوات العدوان قرب الحدود الشمالية اذ دلت جميع التقارير التى تلقتها القيادة العليا فى صنعاء على ان قوات الرجعية تعمل للتحرك من منطقه جيزان صوب الحـــدود الشمالية الغربية لليمن ، واستطاعت طائرات الاستكشاف ان تحدد عدد هذه القوات واتجاهاتها

كما اشارت التقارير الى « العمليات المساعدة » التى دبرتها الرجعية بخلق مناوشـــات فى اماكن اخرى على الحدود الشمالية والحدود الشرقية المتاخمة لمحمية بيحان الخاضعة لبريطانيا.

قوات اليمن كانت فى انتظار العدوان

وقال الدكتور البيضانى فى بيانه ان حكومة الثورة كانت تعلم ان سعود وحسين يستعدان لغزو اليمن وكانت اخبار استعداداتهما تصل تباعا الى صنعاء رغم تكتم سلطات الرجعية لها. واضاف ان حكومة الثورة اذاعت بيانها الى الشعب يوم الثلاثاء الماضى تدعوه للاستعداد للنتائج التى قد يسفر عنها الغزو المنظم.

ثم قال للشعب « لقد قامت حكومتكم باعداد القوة اللازمة للقوات اليمنية والحرس الوطنى وقوات الجمهورية العربية المتحدة لتكون كافية لصـد الغزو والعدوان الســعودى . وامرنا قواتنا بالتحرك صــوب هذه المنطقة واتخاذ مواقعها الحصينة بحيث تسمح للقوات المعتدية ان تدخل اراضينا حتى يتم سحقها »

البيضانى — الســـلال

الأهرام ٣ نوفمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى) .



بسم الله الرحمن الرحيم

توجيه استراتيجي

الى القيادة العسكرية اليمنية المصرية المشتركة

خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة ستتعرض الجمهورية لغزو شامل من منطقة جيزان، قوامه ما بين خمسة الى ثمانية آلاف من المقاتلين تساندهم قوات سعودية وأخرى أردنية مزودة بأسلحة ثقيلة، بهدف احتلال منطقة تهامة وسواحل الجمهورية بما فيها ميناء الحديدة البحري لقطع خطوط الامداد والتموين لقواتنا ووقف مساعدات الدول الصديقة.

لذلك نكلفكم بالتصدي لهذه المعركة الفاصلة في تاريخ الجمهورية، وقد بذلنا كل الجهود ليخلو سماء المعركة من كل طيران يعادينا. على أن تلتزموا بما يلي:

١- حشد قواتنا الضاربة في المنطقة الحاكمة التي تبعد نحو خمسة أميال شمال غرب حرض.

٢- تحصين جميع المواقع المرتفعة والمشرفة على وادي حرض.

٣- استدراج قوات الغزو حتى تتوغل داخل أراضينا لتصل الى وادي حرض.

٤- عند وصولها الى الوادي يتم إغلاق جميع منافذ خروجها منه.

٥- يتجه جزء من قواتنا الضاربة الى الشمال لإغلاق حدودنا الشمالية الغربية بينما يتجه الجزء الباقي لأسر قوات الغزو المحاصرة في الوادي.

٦- هدفنا الأول أسر أكبر عدد من قوات الغزو حقنا لدماء جميع الأطراف، وحتى نستخدم قوائم الأسرى في الوصول الى تسوية سلمية تنهي التدخل الأجنبي ضدنا وتحقق السلام في منطقتنا.

٧- اذا لم تتمكن قواتنا من أسر الغزاة فلا أن نتعامل معهم بحسب طبيعة المعركة.

٨- يحظر على قواتنا أن تسيء الى أي أسير.

٩- يحظر على قواتنا أن تتخطى الحدود اليمنية، حتى نظل دائما في حالة دفاع شرعي عن النفس داخل أراضينا.

١٠- يحظر اعلان أية بلاغات عن سير المعركة أو عن نتائجها الا عن طريقنا.

عبدالرحمن البيضاني

أول نوفمبر ١٩٦٢

نائب رئيس مجلس قيادة الثورة
ونائب القائد الأعلى للقوات المشتركة

عبدالرحمن البيضاني

نسخة أصلية تحفظ في ملف رئاسة الجمهورية . سري جدا

وثيقة معركة حرض

٢

كان الرئيس السلال لا يزال فى زيارته لمدينة تعز حتى يوم الأحد ٥ نوفمبر ١٩٦٢ فأبرق إلىّ برقية رمزية قال فيها إنه قبل أن يغادر صنعاء أجرى الترتيبات اللازمة لسفر نحو خمسة وعشرين شيخا من شيوخ القبائل إلى القاهرة لاطلاع المسئولين المصريين على أحوال اليمن ، وطلب منى أن أقوم بإعداد جوازات سفرهم وتسليم كل منهم مبلغا من المال كمصروف طريق كما هى العادة التقليدية فى اليمن ، وحدد الرئيس السلال أسماءهم فى تلك البرقية وطلب منى العمل على ألا يتاخر أحد منهم عن السفر إلى مصر .

قام بحل رموز هذه البرقية الأستاذ على المطرى أمين رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت (والآن أيضاً) فقمت بعرضها على وزير شئون القبائل القاضى عبد السلام صبره ، الذى اتضح أنه كان على علم بالترتيبات التى أجراها السلال فيما يتعلق بهذا الموضوع قبل سفره من صنعاء .

أدركت الحيرة على وجه القاضى عبد السلام صبره ، وتساءلت لماذا لم يطلعنى الرئيس السلال على نيته هذه قبل أن يطلب هؤلاء الشيوخ إلى صنعاء ويقوم بإعداد ترتيبات سفرهم إلى مصر حتى أدرس معه أسباب هذا الرأى وأتدبر معه نتائجه الإيجابية والسلبية .

عللت عدم إستشارتى فى هذا الأمر بانشغالى فى معركة حرض التى إستنفذت معظم طاقتى خلال الأسبوع السابق .

تجمع رؤساء وشيوخ القبائل الخمسة والعشرون فى مكتبى بالقصر الجمهورى فصحبتهم إلى مطار صنعاء مودعا ومتمنيا لهم التوفيق فى مصر والعودة السريعة إلى اليمن .

عندما وصل الرئيس السلال إلى صنعاء سألته عن سبب تسفير هؤلاء الشيوخ إلى مصر قال أنه أراد بهذا القرار أن يتفادى تأثيرهم على قبائلهم بعد أن أصبح ولاؤهم للثورة أمرا مشكوكا فيه ، كما أراد أن يتيح لهم فرصة التعرف على الحضارة الحديثة فى مصر مقارنة بما تعانى منه اليمن ، لعلهم يعودون إليها متحمسين للدفاع عن الثورة التى تسعى إلى تطوير اليمن وتحسين أحوال معيشتها .

قلت للسلال أنه كان من المفروض أن يكون هؤلاء الشيوخ من بين أعضاء مجلس الدفاع الأعلى برتبة وزراء ، الأمر الذى لو تم إعلانه حسب خطة الثورة التى قمت بوضعها فى مصر وإرسالها إلى اليمن قبل الثورة لرأيناهم منذ قيامها أشد حماسا للدفاع عنها طالما كانوا شركاء فيها .

أما وقد أهملتهم الثورة واعتبرتهم مجرد موردى رجال للقتال فعندئذ لا تلوم الثورة إلا نفسها إذ هم استسلموا للأمر الواقع فاتقنوا دور الموردين ، ذلك الدور الذى يستجيب لمن يدفع أكثر من غيره ، فلا غرابة حينئذ إذا أصبح القتال مع الثورة والقتال ضدها مجرد مسألة تجارية ، تحكمها عوامل العرض والطلب وظروف السوق على أرض المعركة التى تحسمها المزايدة بين خزينة الثورة وخزائن أعدائها .

قلت للسلال أن علاج هذا الموقف الخطير يتوقف على قدرة إسراعنا بإشراكهم معنا فى حكم الجمهورية وليس على قدرة تسرعنا بإخراجهم منها .

لم يقتنع السلال بوجهة نظرى ولعل ذلك الموضوع كان من بين المواضيع التى اختلفنا عليها .

أو كان أخطرها على الاطلاق .

وعلى صعيد جمع المعلومات الخاصة بالجبهة الداخلية لاختيار الحلول الأكثر ملاءمة لها .

كنت قد طلبت من الرئيس جمال عبد الناصر أن يساعدنا على إنشاء جهاز أمن وطنى يمنى ، فأرسل إلينا بعثة مصرية يرأسها السيد عزت سليمان وكيل المخابرات العامة المصرية بالرغم من أنه كان يعلم علم اليقين أن السيد عزت لن ينسى مطلقا أن ثورة اليمن لم تولد على يديه ، وإنما ولدها الشعب اليمنى بموافقة عبد الناصر ولكن فى حجر السادات بعد أن فشل السيد عزت فى غرس اليأس فى قلبى عندما التقيت به مع الزميل محمد قائد سيف ، ولم يكتف بمحاولة غرس هذا اليأس وإنما اتبعها بمحاولة تمزيق علاقاتى التنظيمية مع الزميل محمد قائد سيف وبقية الزملاء فضلا عن تعاطفه المعروف والمعلن مع البدر قبل قيام الثورة وحتى بعد موت الإمام أحمد قبيل قيامها ببضعة أيام .

عندما فوجئت بوصول السيد عزت سليمان إلى اليمن وكان السادات لا يزال فى صنعاء قال لى أن الرئيس جمال عبد الناصر كان على وشك إصدار القرار بفصل عزت سليمان من منصبه من المخابرات المصرية ، بعد أن أسرف فى إهالة التراب على رأس البيضانى وأنه ، أى السادات ، هو الذى شفع له عند جمال عبد الناصر عندما تعهد ببذل كل طاقته وخبرته من أجل نجاح ثورة اليمن بعد أن قامت وأصبحت حقيقة واقعة لا مراء فيها .

لم أقتنع بتبرير السادات ، وقلت له أنه ، كما يعلم ، لا توجد أمور شخصية بينى وبين عزت سليمان ، وإن كل المرارة الشخصية التى يحس بها نحوى أننى استطعت أن أصل إلى قلب عبد الناصر والسادات متخطيا كل الحواجز التقليدية المتمثلة فى الأجهزة المصرية والتى كان على رأسها جهاز المخابرات العامة .

نصحنى السادات أن أنسى تلك القصة ولا أعترض على وجوده فى اليمن لا سيما وأن مهمته الرئيسية سوف تكون البدء فى إنشاء وتنفيذ عملية تسمى « صلاح الدين » وهو الاسم الرمزى لعملية الثورة ضد الانجليز فى جنوب اليمن المحتل ، وأن الرائد محمود عبد السلام هو الذى سوف يتولى المساعدة على إنشاء جهاز الأمن الوطنى اليمنى .

كانت عملية صلاح الدين المزعومة تعتمد أساسا على تعبئة وتنظيم العناصر اليمنية المرتبطة بحركة القوميين العرب وعلى رأسها قحطان الشعبى .

وأننى لا أجد مجالا هنا لشرح هذه العملية ، وكيف جسمتها مصر بعد أن انتزعتها من اليمن وكيف اختطفها الروس من مصر ، وكيف أطلقوها بعد ذلك ضد مصر ، وكيف استولى عليها الانجليز من الروس ، وكيف استردها الروس من الانجليز ، وكيف أصبحت الآن الخنجر المسموم فى ظهر الأمة العربية .

لا أجد مجالا لشرح هذه الأمور فى هذا الكتاب خشية أن يطول أكثر مما يتسع له صدر القارىء الكريم .

كنت واثقا من أن السيد عزت سليمات لن ينسى اننى قفزت إلى قلب عبد الناصر والسادات متخطيا باب المخابرات المصرية التى تورط وكيلها الأول فى استبعاد كل احتمال لقيام ثورة فى اليمن .

ولعله كان يزين للسلال كل رأى اختلف معه عليه ، فاستطاع عزت سليمان أن ينفذ إلى قلب الثورة اليمينة من نافذة السلال متخطيا باب البيضانى ، فأخذ يعمل على خلق أوجه للخلاف بينى وبين السلال .

وعندما قفز إلى قلب الثورة لم يكن عارفا بشرايينها وأوردتها ولا طبيعة سيولة أحداثها ، ولا صفائح أعضائها ، أو الحقائق الموضوعية التى تؤثر فيها وتتأثر بها .

وكان السلال (البشر) لا يتبين سطحية النصائح السياسية عندما يتلقاها من الرجل الثانى فى المخابرات المصرية ، التى يصورها لرئيس الجمهورية اليمنية وكأنها غاية الوفاء له وقمة الحرص عليه .



من اليمين الرئيس السادات فالرئيس السلال فالمؤلف فالسيد كمال رفعت



أرسلنا وزير شئون رئاسة الجمهورية الزميل محمد قائد سيف إلى موسكو فى يوم الخميس ٨ نوفمبر ١٩٦٢ كى يرأس وفد الثورة اليمنية فى إحتفالات الثورة الروسية . وكان الباعث على إرسال وفد يمنى على هذا المستوى ألا يخطىء الروس فهم الغزل الذى تبادلته مع الرئيس الأمريكى جون كنيدى ورئيس وزراء بريطانيا المستر ماكميلان .

اذ بينما كنا فى حاجة إلى أمريكا لإقرار السلام فى ربوع اليمن كنا فى حاجة إلى روسيا للدفاع عن أراضيها بتزويد اليمن بالسلاح والذخيرة لدعم إتفاقية الدفاع المشترك الجديدة اليمنية المصرية التى كنا سوف نوقعها مع السادات يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٩٦٢ . وكانت مدة هذه الإتفاقية خمس سنوات تتجدد تلقائيا ما لم تخطر إحدى الدولتين الأخرى برغبتها فى عدم تجديد مدتها قبل إنتهائها بعام واحد . وبمقتضى هذه الإتفاقية تعتبر الدولتان كل إعتداء مسلح على أية دولة منهما أو على قواتها إعتداء عليها ، وعملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى عن كيانهما تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدى عليها أو تتخذ على الفور التدابير وتستخدم ما لديها من وسائل بما فى ذلك إستخدام القوة المسلحة .

وبعد توقيع هذه الإتفاقية ركبت مع السلال والسادات سيارة مكشوفة اخترقت شوارع صنعاء حتى وصلنا إلى ساحة المؤتمر الشعبى الذى ألقى فيه السلال كلمة قال فيها (إن الإتفاق تدعيم لثورتنا وتدعيم لجمهوريتنا ومحافظة على إستقلالنا من كل إعتداء يقع عليه) .

وقال السادات فى كلمته (أرجو أن يعلم أولئك المعتدون أن أى إعتدأء سنرد عليه بعشرة أمثاله أو بمائة مثل إذا إقتضى الأمر) .

ثم قمت وختمت المؤتمر بكلمة شرحت فيها أهداف الثورة التى بدأت تتحقق والتى تضمنها الدستور الأول والمؤقت الذى تم إعلانه ، والتى من بينها إقامة جيش وطنى قوى يكون درعا لليمن ودرعا للأمة العربية . (الأهرام ١١ نوفمبر ١٩٦٢) .

وفى يوم الأحد ١١ نوفمبر ١٩٦٢ أعلنت المفوضية اليمنية فى واشنطن التى كانت لا تزال فى يد أنصار الإمام البدر المخلوع ، أن البدر يسيطر على ثلث اليمن .

ومن جهة أخرى عبرت الحكومة الأمريكية مرة أخرى عن استيائها لقيام طائراتنا بضرب التجمعات الإمامية داخل الأراضى السعودية ، مما قد يكون سببا فى تأخير إعتراف دول الغرب بحكومة الثورة وكانت ألمانيا الغربية هى الدولة الأوروبية الوحيدة حتى ذلك التاريخ التى اعترفت بحكومة الجمهورية اليمنية نظرا للعلاقات الشخصية التى كانت تربطنى بالزعماء الألمان كما سبقت الاشارة إلى ذلك فى هذا الكتاب .

رغم تعبير الحكومة الأمريكية عن إستيائها من قيام طائراتنا بتعقب تجمعات الإماميين والمرتزقة فإنها أعلنت فى نفس الوقت أن دول الغرب سوف تقدم على (الإعتراف بحكومة اليمن الجديدة فى وقت واحد تقريبا عندما يحين الوقت للإعتراف بها) ثم أضافت (أن الجيش اليمنى بعد أسابيع قليلة من الثورة قد استطاع إعادة تعبئة قواته واستطاع تعزيزها بعناصر كبيرة من الحرس الوطنى حيث تمكنت معسكرات التدريب ، التى افتتحت غداة الثورة ، من إعداد وحدات كثيرة صالحة للقتال ، وبذلك فإن قوات الجيش اليمنى أصبحت فى مقدورها أن تواجه العمليات العسكرية فى جبهات متعددة) .

حتى يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٩٦٢ كان الأستاذ محسن العينى رئيس الوفد اليمنى لدى الأمم المتحدة لا يزال فى القاهرة بعد أن غادر صنعاء قبل ذلك بأكثر من شهر وكان عذره فى الإقامة فى القاهرة أن الأمم المتحدة كانت لا تزال تعترف رسميا بالسيد أحمد محمد الشامى مندوب الإمام البدر المخلوع ممثلا شرعيا لليمن ، فأراد الأستاذ محسن العينى أن يتفادى حرج المزاحمة على هذا المنصب فى نيويورك .

طلبت منه أن يسافر فورا إلى نيويورك تكملة لمسرح عمليات الصراع الدولى الذى نديره من صنعاء ، ولا حرج عليه إن هو ظل فى نيويورك بعض الوقت بعيدا عن المقعد الرسمى لليمن فى الأمم المتحدة . بل كان ذلك فى نظرى من عناصر تسخين المعركة الدولية ضد الإمام المخلوع لأنه بمثابة فتح جبهة يمنية أخرى على أرض الولايات المتحدة الأمريكية نفسها حيث تبدأ أول مبارزة سياسية بين ممثل الجمهورية التى أيقظنا بها ضمير العالم . وممثل الإمامة التى عرينا جسدها المتعفن ، وجردناها من كل عطف دولى عليها .

استجاب الأستاذ محسن العينى لطلبى وغادر القاهرة فى اليوم التالى (الأحد ١١ نوفمبر ١٩٦٢) .

فى ذلك اليوم كان الرئيس السلال فى زيارة لمدينة الحديدة وأرسل إلىّ برقية رمزية قام بحل رموزها أمين رئاسة الجمهورية الأستاذ على المطرى (أمين رئاسة الجمهورية حاليا) وعجبت أشد العجب عندما عرفت من هذه البرقية أن السلال قد استدعى قبل سفره من صنعاء نحو عشرين شيخا آخرين من شيوخ قبيلة خولان لمقابلته فى صنعاء ثم سافر إلى الحديدة وطلب منى بموجب هذه البرقية أن ألقى القبض عليهم جميعا بمجرد وصولهم إلى القصر الجمهورى لمقابلتى نيابة عنه .

وقال فى تلك البرقية أن هؤلاء هم مصدر القلاقل فى منطقة خولان بأسرها وأنه يجب علينا سجنهم حتى تستقر الثورة .

لاحظت أن السلال سبق أن استدعى إلى صنعاء نحو خمسة وعشرين شيخا لمقابلته ثم سافر إلى تعز وطلب منى تسفيرهم إلى القاهرة دون استشارتى فى هذا الأمر البالغ الأهمية ، واستدعى هذه المرة شيوخ خولان ثم سافر إلى الحديدة ليطلب منى أن ألقى بهم فى السجن على زعم أن ذلك هو الطريق الأمثل إلى فرض الإستقرار فى منطقة خولان المتحكمة فى الطريق إلى صرواح ومأرب ، بينما لم يكن عندى أدنى شك فى أن مثل هذه الحيل مع شيوخ القبائل تؤدى حتما إلى المزيد من الإضطراب وحمل السلاح ضد الحكومة لأنها لا تتفق مع الشهامة القبلية والتقاليد العربية التى تقوم على شجاعة إتخاذ المواقف ، والصراحة فى الوفاء وفى العداء على حد سواء ، كما قال الشاعر القديم :

إما أن تكون أخى بصدق	فأعرف منك غثى من ثمينى
وإلا فاتركنى واتخذنى	عدوا أتقيك وتتقينى

استدعيت وزير شئون القبائل الزميل القاضى عبد السلام صبره وأطلعته على تلك البرقية ورأيى فى عدم تنفيذ طلب السلال فأبدى إرتياحه من موقفى ، وقال إن خبر إعتقال هؤلاء الشيوخ قد وصل إلى علمهم بعد أن وصلوا إلى صنعاء وبدأ بعضهم يهرب فعلا إلى خولان فطلبت منه أن يسرع إليهم ويطلب حضورهم إلى مكتبى وتحت حمايتى .

جاءونى جميعا مع القاضى عبد السلام صبره مطمئنين إلى كلمة الشرف التى حملها إليهم وزير شئون القبائل وهو رجل صادق لا أذكر أنه خدع أحدا قط ، أو كذب على أحد طوال حياته كلها .

قلت لهم أنهم الرجال الأشداء الذين تعتمد عليهم الجمهورية وهى تبنى لأولادهم المستقبل المشرق ، وأنهم وإن كانوا حتى تلك اللحظة قد وقفوا من الجمهورية موقفا سلبيا فذلك لأننا قد قصرنا فى شرح أهدافها ، وعجزنا عن أن ننفى عن أنفسنا ما يقال عنا أننا ورثنا السلطة المستبدة من الأئمة الظالمين الذين ثرنا على نظامهم ، رغم أن قيادة الجمهورية قد أصبحت من حق جميع أفراد الشعب اليمنى ، الذى سوف تتاح له الفرصة لإختيار من يشاء من الرؤساء والحكام بعد إنتهاء فترة الإنتقال التى تحتمها ضرورة الحفاظ على الثورة فى بداية مولدها ، كما أننا تأخرنا فى تشكيل مجلس الدفاع الأعلى الذى يضم معظم رؤساء وشيوخ وعلماء اليمن كى يكونوا السلطة العليا فى اليمن أثناء هذه الفترة الإنتقالية التى تحتاج إلى تكامل جميع القوى الوطنية للدفاع عن الثورة التى أعادت حقوق السيادة إلى أبناء الشعب دون إستثناء .

قلت لهم إننى لا ألومهم على موقفهم السلبى من الجمهورية ووعدتهم بالعمل على إشراك كبارهم فى السلطة ضمن مجلس الدفاع الأعلى الذى يجب أن يتم إعلانه فى أقرب وقت ممكن .

وقبل أن أختم كلمتى قلت لهم أننى أمرت وزارة الزراعة بأن تسلمهم عددا من مضخات المياه التى حصلنا عليها هدية من الحكومة الألمانية حتى يبدأوا فى استزراع أراضيهم كأولى ثمار الثورة الجمهورية التى سوف يكون من بينها إقامة المدارس والمستشفيات والطرق الحديثة فى بلادهم فى خولان .

أقسموا يمين الولاء للجمهورية وطلبت منهم أن يرسلوا برقية بتوقيعاتهم جميعا إلى الرئيس السلال فى الحديدة يؤكدون بيعتهم له رئيسا للجمهورية وقائدا للثورة اليمنية .

البيضاني يتحدى
اذاعة لندن
ان تحدد مكان البدر

صنعاء ـ وكالات الانباء :

عقب الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية العربية اليمنية ووزير الخارجية على ما اذاعه راديولندن من ان البدر المخلوع عقد مؤتمرا صحفيا شمالى اليمن دون أن يشير الى مكان هذا المؤتمر . تحدى الدكتور البيضانى اذاعة لندن ان تحدد مكان المؤتمر الذى عقده البدر وقال اننا لاندرى كيف يقبل الصحفيون ان يحضروا مؤتمرا فى مخبأ سرى لا يذاع من مكانه وما هى اذن قيمة هذا المؤتمر على هذا الوضع اللهم الا اذا كان مؤتمرا صحفيا يعقده قاطع طريق هارب من العدالة وتأتى الصحافة المضللة لتكتب من تاريخ حياته وتؤلف منه روايات بوليسية اشبهها خرافة ووهم وقال اننا نطلب من الصحفيين الذين حضروا هذا المؤتمر ومن البدر المخلوع ومن اذاعة لندن أن يوضحوا لنا المكان لان لدينا فى صنعاء عددا من الصحفيين يريدون أن يقابلوا البدر ويحضروا اى مؤتمر صحفى يعقده داخل الاراضى اليمنية كما ان قواتنا يسعدها كثيرا هى الاخرون ان تحضر هذا المؤتمر »

صحيفة الجمهورية ١٢ نوفمبر ١٩٦٢

قرارات هامة
لمجلس وزراء اليمن

عقد مجلس الوزراء اليمنى اجتماعا مساء امس برئاسة الدكتور عبدالرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية . وصرح الدكتور البيضانى عقب انتهاء الاجتماع بان المجلس قرر تكوين لجنة عليا للتموين مهمتها الاطلاع على حالة الاسواق والعمل فورا على استيراد كل ما يلزم الشعب من المواد الضرورية . وخفض اسعارها وأضاف ان المجلس قرر تكوين لجنة لشئون الموظفين لتوزيع طلبات الراغبين فى التوظف على الوزارات للعمل على الحاق كل راغب فى المكان المناسب لكفاءته .

صحيفة الأخبار ١١ نوفمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

٤

لجأ إلى القاهرة طيار أردنى بطائرته الحربية الأردنية يوم الإثنين ١٢ نوفمبر ١٩٦٢ حيث عقد مؤتمرا صحفيا أذاع فيه أسرار التورط الأردنى العسكرى فى القتال ضد الجمهورية اليمنية بينما كنا نعلن فى ذلك اليوم أننا قضينا على محاولة غزو جديدة دار رحاها فى منطقة صعده حيث تصدى لها قائدها الجمهورى النقيب عبد الرحمن الترزى ، وكانت رئيسة وزراء إسرائيل السيدة جولدا مائير تعلن أنها تتابع أبعاد التأييد المصرى لثورة اليمن حتى لا يكون هناك تهديد على أمن إسرائيل .

ردا على ذلك استدعيت القائم بالأعمال البريطانى فى اليمن يوم الثلاثاء ١٣ نوفمبر ١٩٦٢ وأبلغته أن حكومة الثورة اليمنية لن تقف مكتوفة الأيدى وهى تراقب المساعدات البريطانية للمتمردين وقيام القوات الجوية البريطانية بنقل القوات الأردنية إلى منطقة بيحان الواقعة تحت الإحتلال البريطانى . (الأهرام ١٤ نوفمبر ١٩٦٢) .

وكان المستر دنكان سانديز وزير المستعمرات البريطانى قد صرح فى مجلس العموم قائلا (إن الثورة اليمنية دعت شعب عدن من راديو صنعاء إلى أن يستعد للثورة على الإنجليز ، مما يوجب على بريطانيا الإسراع إلى دمج عدن بإتحاد الجنوب العربى جنوب اليمن المحتل) . فاقترح بعض أعضاء المجلس أن تقوم بريطانيا بإجراء إنتخابات عامة فى عدن قبل إقدامها على تلك الخطوة ، غير أن وزير المستعمرات رفض هذا الإقتراح قائلا (إن نتيجة مثل هذه الإنتخابات سوف تكون فى غير صالح بريطانيا حيث توجد فى هذه المنطقة أغلبية ساحقة تتطلع إلى الإنضمام إلى اليمن) .

كنت أضع فى اعتبارى ، من بين عناصر حساباتى الدولية التى تعكس أثرها على ظروفنا المحلية اليمنية ، تلك الأزمة المشتعلة بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتى بشأن القاذفات الإستراتيجية الروسية فى كوبا ، والتى كان من المعتقد أنها تبلغ أربعة وأربعين قاذفة مما دفع الأسطول الأمريكى إلى حصار الشواطىء الكوبية كرد فعل أمريكى للضغط على روسيا لسحب هذه القاذفات من الأراضى الكوبية .

وكان فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا قد أنذر بإسقاط أية طائرة أمريكية تنتهك المجال الجوى لكوبا للتجسس فوق أراضيها ، فرد الأمريكيون بأن أمريكا على استعداد لإرسال طائرات حربية مسلحة تسليحا ثقيلا لحماية طائراتها فوق كوبا ، وأنهم سوف يستخدمون القوة إذا نفذ كاسترو تهديده .

كنت أضع فى إعتبارى أن الولايات المتحدة تستحسن ، عقلا ، أن تكتفى بأزمة كوبا الساخنة التى فى متناول قبضة يدها ولا تختار بإرادتها أن تعمل على تسخين جبهة أخرى بعيدة عنها من أجل عيون البدر طالما أظهرت حكومة الثورة اليمنية حسن نيتها تجاه الولايات المتحدة بما يكفل تأمين مصالحها الحيوية فى الشرق الأوسط .

من أجل ذلك كررت فى مؤتمر شعبى أن دين اليمن الإسلامى يقف حائلا دون إنتشار الشيوعية ، فوق أراضيها وأكدت (أن الثورة اليمنية التى أعلنت فى أول هدف من أهدافها العودة إلى شريعة الإسلام الحقة تستطيع أن تميز بين صداقتها المثمرة وتعاونها الصادق مع الإتحاد السوفيتى (وهو أمر تمليه المصالح المشتركة من العلاقات الثنائية وضرورة التصدى للمعارك المعادية للثورة) ، وبين السماح بإنتشار الشيوعية فى اليمن ، (و هو أمر لا يقره دين الدولة وترفضه أهداف الثورة) .

عقدت إجتماعا يوم الأربعاء ١٤ نوفمبر ١٩٦٢ مع خبراء ألمانيا الغربية للبدء فى تنفيذ المشروعات العمرانية التى شملتها المساعدات الألمانية لليمن ، وأكدت فى مؤتمر صحفى (أننا ونحن ننشد السلام فى الشرق الأوسط فإننا سنقوم بتدمير مواقع العدوان بمجرد ظهور طائرات معادية فوق الأراضى اليمنية) (الأهرام فى ١٦ نوفمبر ١٩٦٢) .

وكان ذلك ردا على قيام الطائرات الأمريكية بعمليات إستعراضية فوق الأراضى السعودية بقصد إظهار العضلات لتطمين الحكومة السعودية .

فى نفس يوم الأربعاء ١٤ نوفمبر ١٩٦٢ استدعيت القائم بالأعمال الأمريكى المستر روبرت ستوكى وقلت له أننى مع كل الصداقة التى أحملها فى قلبى ، ومن جانب واحد ، للولايات المتحدة الأمريكية أرجو أن تعرف الطائرات الأمريكية التى حلقت فوق الأراضى السعودية أن المسافة التى قطعتها عندما طارت من قواعدها فى ألمانيا الغربية حتى وصلت إلى شبه الجزيرة العربية هى عين المسافة التى تقطعها الطائرات الروسية عندما تطير من قواعداها فى ألمانيا الشرقية حتى تصل إلى نفس شبه هذه الجزيرة .

وطلبت من القائم بالأعمال الأمريكى أن يحمل تحياتى إلى الرئيس كنيدى ويبلغه دهشتى من تصرف الولايات المتحدة الأمريكية الذى لا يتجاوب مع رغبة حكومة الثورة اليمنية فى الإسراع بإيجاد المناخ الشامل لإقرار السلام فى هذه المنطقة ذات المصالح الحيوية الأمريكية .

وفى يوم الجمعة ١٦ نوفمبر ١٩٦٢ اجتمعت بالمستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى بناء على طلبه ، وقد صرح عقب الإجتماع الذى إستغرق ساعة ونصف بأنه يأمل أن تعترف الولايات المتحدة الأمريكية قريبا بجمهورية اليمن ، ثم أدليت بتصريحات ذكرت فيها (إن ممثل أمريكا أكد لى أن الطائرات الأمريكية الحربية فى السعودية لن

تستخدم فى العدوان على اليمن وأن أمريكا لن تسمح لسلطات السعودية والأردن بإعتداء جوى علينا . وأنه إذا فرض وحدث هجوم جوى من جانب الملك سعود أو الملك حسين على أراضى اليمن فإن الطائرات الأمريكية إما أن تنسحب من الأراضى السعودية وإما أن تقف على الحياد) . وأضفت قائلا أننى أكدت للقائم بالأعمال الأمريكى (إن الطائرات اليمنية لن تبدأ بضرب مطارات السعودية أو الأردن أو غيرها من المراكز الإستراتيجية إلا إذا بدأت طائراتهما بالإعتداء على الأراضى اليمنية ، وفى هذه الحالة ستقوم قوات اليمن بكل استعداداتها بتدمير المنشآت الهامة فى السعودية والأردن مهما كانت النتائج الدولية ، وهذا حق يكفله القانون الدولى) وعندما إنتهت المقابلة قلت للمستر ستوكى (إننا نأمل أن تدرك أمريكا هذا الموقف الدفاعى من جانب اليمن وأن تلتزم بتأكيداتها بعدم التدخل إذا بدأ عدوان جوى من جانب الملك سعود أو الملك حسين) ونشرت الأهرام أخبار هذه المقابلة التاريخية والتصريحات التى أعقبتها فى عددها الصادر يوم ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ وعلقت عليها بقولها أنها (تمت بعد ٢٤ ساعة من مظاهرات الطائرات الأمريكية فوق الأراضى السعودية) . أى بعد ٢٤ ساعة من قيامى بتحديد موقفنا النهائى للرئيس كنيدى .

ممثل امريكا يؤكد للدكتور البيضانى

طائرات أمريكا فى السعودية لن تستخدم فى العدوان على اليمن

اجتمع الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية اليمنية امس ، بمستر روبرت ستوكى القائم باعمال امريكا فى اليمن ساعة ونصف ساعة . تم الاجتماع بطلب من القائم بالاعمال الامريكى . رفض ممثل امريكا ان يصرح بشىء عن الاجتماع . سئل عن اعتراف بلاده بالجمهورية اليمنية فقال انه لا يستطيع تحديد ذلك بالضبط .

وصرح الدكتور البيضانى بان القائم بالاعمال الامريكى إكد له ان الطائرات الامريكية الحربية التى وصلت الى السعودية لن تستخدم فى العدوان على اليمن . وان السلطات السعودية والاردنية لن تقوم بعدوان جوى على الجمهورية العربية اليمنية وان امريكا لن تسمح لهذه السلطات بهذا العدوان .

واضاف الدكتور البيضانى ان القائم

(البقية ص ١٥)

أثيوبيا تنفى مساعدتها لسعود وحسين

نفى القنصل العام الاثيوبى فى عدن الانباء التى نشرتها الصحف فى هذه المحمية البريطانية وقالت فيها ان اثيوبيا ارسلت خمس بوارج حربية وعشرة آلاف فدائى من القوات البحرية الاثيوبية الى المملكة العربية السعودية لمساعدتها ضد القوات الجمهورية فى اليمن .

صحيفة أخبار اليوم ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

البيضانى يذيع نص حديث هام جرى بينه وبين ممثل أمريكا فى اليمن

أمريكا أعطت أمس تأكيدا للحكومة الثورة بأنها لن تشترك فى العدوان على أراضيها

صنعاء فى ١٦ – لمندوب الاهرام – اجتمع اليوم الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس جمهورية اليمن ووزير الخارجية بمستر روبرت ستوكى القائم باعمال امريكا فى اليمن . وقد عقد الاجتماع الذى استغرق ساعة ونصف ساعة ، بناء على طلب ممثل امريكا . ورفض ستوكى التصريح بشيء عما دار من حديث ، ولكنه قال ردا على اسئلة الصحفيين ، انه يأمل ان يعترف امريكا قريبا بجمهورية اليمن.

وصرح الدكتور البيضانى بان ممثل امريكا اكد له ان طائرات امريكا الحربية فى السعودية ، لن تستخدم فى العدوان على اليمن . كما اكد ستوكى « ان امريكا لن تسمح لسلطات السعودية والاردن باعتداء جدى على اليمن ، واذا فرض وحدث هجوم جوى من سعود وحسين على اراضى اليمن ، فان الطائرات الامريكية اما ان تنسحب من الاراضى السعودية واما ان تقف على الحياد».

وقد رد الدكتور البيضانى على ممثل امريكا بقوله : «ان الطائرات اليمنية لن تبدأ بضرب مطارات سعود او حسين وغيرها من المراكز الاستراتيجية الا اذا بدأت طائراتهما بالاعتداء على اراضى اليمن».

واضاف وزير خارجية اليمن الى تلك قوله : « وفى هذه الحالة ، ستقوم قوات اليمن بكامل استعداداتها ، بتدمير جميع المنشآت الهامة فى السعودية والاردن ، مهما كانت النتائج الدولية ، وهذا حق يكفله القانون الدولى ».

وعندما انتهت المقابلة ، قال البيضانى لستوكى : « اننا نأمل ان تدرك امريكا هذا الموقف الدفاعى من جانب اليمن ، وان تلتزم تأكيداتها بعدم التدخل اذا بدأ عدوان جوى من جانب سعود وحسين ».

وقد بعث هذه المقابلة بعد ٢٤ ساعة من مبادرة القيادة الامريكية فى قاعدة الظهران فى السعودية الى اعلان أن طائراتها من طراز « ف – ١٠٠ » التى اشتركت فى مظاهرة القوة فوق الرياض وجدة ، سوف تعود الى قواعدها فى المانيا الغربية ، وانها لن تسلم للسعودية. وقد كان هذا الاعلان – طبقا للانباء التى خرجت من الرياض – النتيجة الاولى للضغط الشعبى ضد محاولة سعود سحر ضعفه بعد الانذار من حكومة اليمن بأنها ستدمر قواعد العدوان فى السعودية اذا جرت منها محاولة بهجوم جوى.

البقية صفحة ١١ عمود ٦

نداء من عدن بالتدخل

لاقرار حق الشعب فى تقرير مصيره



السلال والبيضانى فى لقائهما عقب عودة السلال من الحديدة امس ، مختتما جولته الثانية التى زار فيها المدن والقرى الواقعة بين صنعاء والميناء اليمنى على البحر الاحمر .

★

توقع تطورات خطيرة فى كوبا

أمريكا تهدد باستخدام القوة إذا أسقط كاسترو طائراتها

الامم المتحدة فى ١٦ – ى.ب.ا ك.ا.ب ت و – هدد فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا الولايات المتحدة امس باسقاط اى طائرة امريكية تنتهك مجالها الجوى لتتجسس على اراضيها. اذاع راديو هافانا هذا النبأ وقال ان التحذير ورد فى رسالة بعث بها كاسترو الى يوثانت السكرتير العام المؤقت للامم المتحدة

رد المسئولون الامريكيون بان الولايات المتحدة على استعداد لارسال طائرات حربية مسلحة تسليحا ثقيلا لحماية طائراتها فوق كوبا وانهم سيستخدمون القوة اذا نفذ كاسترو تهديده . وقال

٥

حتى يوم السبت ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ كان وزير الدفاع اليمنى العقيد عبد الله جزيلان الذى إنضم إليه وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى ووزير المعارف القاضى محمد محمود الزبيرى لا يزالون فى القاهرة بعد أن آثروا السلامة والإبتعاد عن الخطر المحدق بصنعاء واستملحوا الإطالة فى زيارتهم للقاهرة ، وكان من نتائج عدم توفيق الرئيس السلال فى قراره تسفير رؤساء وشيوخ القبائل إلى مصر أن التقى أولئك بهؤلاء فاجتمعوا على التشهير به ، الأمر الذى كان موضوع حديثهم مع رؤساء الدول التى بدأوا زيارتها فى ذلك اليوم ، والتى عندما انتهوا منها وعادوا إلى القاهرة التقوا بالرئيس جمال عبد الناصر ولخص جزيلان موضوع هذه المقابلة فى كتابه (التاريخ السرى للثورة اليمنية) صفحة ١٦٤ حيث كتب قائلا :

(قلت : إن أسرة بيت حميد الدين قد حكمت الشعب بإسم الدين والإنتماء إلى الرسول ﷺ ، وجلوس السلال الذى كان رئيسا للحرس الملكى على مقعد رئيس الجمهورية يعطى للأعداء أمضى سلاح للدعاية ضد الثورة . ولو دفع الإستعمار والرجعية ملايين الجنيهات ما تحقق لهم هذا المكسب الدعائى الكبير . فسأل الرئيس قائلا : ما هو المكسب هذا ؟ أجبت : سيذيعون بين القبائل وشبابها إن الذى يحكم اليمن هو رئيس حرس أبواب البدر ،وإنه من عائلة كذا ، وصفته كذا) .

قبل أن يعود جزيلان إلى صنعاء كان قد سبقه إلينا تقرير شامل عن نشاط الوفد اليمنى لدى رؤساء الدول العربية التى زارها ، والتى نفث فيها الوفد سمومه ضد السلال ، وكان هجوم الوفد على السلال أكثر من هجومه على البدر ، كما كانت قذائف ألسنتهم على السلال وعلى القوات المصرية التى تساند الثورة تسيطر على مزاجهم النفسى بالقدر الذى أنسى الوفد أى ذكر لقوات المتمردين والمرتزقة المطالبين بالإمامة .

لم يتأثر الرئيس السلال عندما قرأ هذا التقرير الذى حمله إلينا أنور السادات واكتفى بالتعليق عليه قائلا أنه (يرحب بأى شخص يقبل أن يقاسمه الخطر فى اليمن) ثم أضاف إلى ذلك قوله (إن جزيلان لن يستطيع البقاء فى صنعاء أكثر من يومين اثنين أو ثلاثة على الأكثر) . وكان يشير بذلك إلى ما كان يعانيه من أمراض نفسية وعصبية .

استدعينا جزيلان إلى صنعاء وجهزنا له مكانا ينام فيه إلى جوارنا فى غرفة نومنا فى القصر الجمهورى ، حتى يكف عن إنتقاد نومه فى دار الضيافة رغم أنه كان المكان الأكثر أمنا من القصر الجمهورى الذى كان الهدف الرئيسى لأعداء الثورة ، وعندما سمع فى جوف الليل طلقات الرصاص التى تعودنا على سماعها كل ليلة هب مذعورا وطلب أن يعود إلى القاهرة صباح اليوم التالى لوصوله إلى صنعاء ، غير أن الرئيس السلال رفض أن يأذن له بالسفر من صنعاء حتى يمارس عمله وزيرا للدفاع فانهارت أعصابه أكثر من أى وقت مضى .

تدخل السادات واشتركت معه فى إقناع السلال بالسماح لجزيلان بالعودة إلى القاهرة بعد أن تأكد للجميع أن السلال لم يبعده من صنعاء ولم يحرمه من شرف الإشتراك فى المعركة ، وأن السلال الذى وصفه جزيلان للرئيس جمال عبد الناصر بأنه (رئيس حرس أبواب البدر ، وأنه من عائلة كذا وصفته كذا) هو رجل وطنى يسعى إلى تثبيت أركان الجمهورية ، ويكفيه فخرا أن يكون أول رجل من أبناء الشعب اليمنى يتولى رئاسة أول جمهورية فى تاريخها .

يكفيه مجدا أنه من صلب أبناء الشعب الذى أراد أن يستعيد أمجاده .

كذلك عرفنا من السادات أن وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى يثير الزوابع ضد السلال حتى يزيحه من رئاسة الجمهورية التى يتطلع إليها ، وأنه يعمل على إيجاد شرخ فى العلاقات بين السلال والبيضانى حتى يسهل عليه إسقاط السلال.

كانت مصيدة الاريانى تلتقى مع أهداف الإماميين المتمردين والجمهوريين الحزبيين ، فبينما كان الأماميون المتمردون يريدون القضاء على الثورة كان الجمهوريون الحزبيون يريدون الإستيلاء عليها . وكان الطريق إلى كل هذه الأهداف المتناقضة هو التخلص من رئاسة السلال بعد تجريده من عقله البيضانى .

الأصدقاء البعثيون تجاهلوا الصداقة عملا بالأساليب الحزبية ، والحلفاء الشيوعيون توقعوا العداوة فزعا من الشريعة الإسلامية ، بينما لم يقاتل المتمردون حبا فى الإمامة ولا بغضا للجمهورية .

كان المتمردون يتذكرون من الإمامة مأساة سوداء ، ويتصورون فى الجمهورية وعودا جوفاء ، فانبهروا بالحقيقة المؤكدة ، حقيقة الريال السعودى والدولار الأمريكى والجنية الإسترلينى . ولا ضير عليهم إذا عادت الإمامة أو انتصرت الجمهورية .

فإذا عادت الإمامة شفع لهم تمردهم السابق على الجمهورية ، وإذا انتصرت الجمهورية شفع لهم تنكرهم اللاحق للإمامة .

اجتمع أولئك وهؤلاء حول مصيدة الاريانى ذى الوجه البرىء والإبتسامة الناعمة والصوت الخافت والمسبحة التى لا تفارق أصابعه ، وهى تبالغ فى إتقان التنسيق بين قضبان المصيدة ، التى صقلها الريال السعودى ذكاءً ، وزادها الدولار الأمريكى إغراء ، وتوجها الجنيه الاسترلينى خبرة ودهاءً .

ثم تشيع لهذه المصيدة عدد من أصحاب الأغراض المصريين ، الذين أكبروا فى السلال يدا توقع ، واستنكروا من البيضانى عقلا يفكر ، وكان التوقيع يرضيهم والتفكير يؤذيهم .

فطن عبد الناصر والسادات إلى خطورة هذه المصيدة التى لا تقتصر على إجهاض النظام الجمهورى فى اليمن ، وإنما تؤدى إلى إنهيار الأمل فى أية يقظة وطنية على مستوى الساحة العربية ، وتجريد الزعامة المصرية من مبرراتها التاريخية لتقديم المساعدات السياسية والعسكرية ذات الأبعاد القومية .

وبناء على توجيهات الرئيس عبد الناصر قام السادات بتقديم النصيحة إلى السلال محذرا أياه من مناورات الاريانى حتى يتجنب الوقوع فى مصيدته .

ومن الذكريات المؤسفة أن الرئيس السلال نقل حرفيا إلى القاضى عبد الرحمن الاريانى نصيحة السادات بكل تفاصيلها مما أحرج السادات عندما زاره الاريانى يقسم على أنه لا يضمر شرا للسلال ولا يتطلع إلى منصبه ، وإنه لا يحمل للبيضانى إلا أعظم التقدير لجهوده المضنية منذ أن بدأ يدعو للثورة حتى أصبح يقاتل بنفسه دفاعا عنها .

لم يكن هدف الاريانى من هذا القسم أن يؤكد للسادات ولاءه للسلال ولا تقديره للبيضانى ، وإنما أراد أن يقنع السادات بعدم جدوى نصيحته للسلال الذى لا يأخذ بنصيحة أحد ولا يحتفظ بسره . فتمكن من تجريد السلال من أهم مقومات الزعامة ، حتى امتنع السادات بعد هذه التجربة الفاشلة عن تقديم إية نصيحة إليه .



من اليمن الرئيس السادات فالرئيس السلال فالمؤلف



المؤلف يلقى كلمة فى حشود المتطوعين للدفاع عن الجمهورية

٦

عقدت اجتماعا لمجلس الوزراء وأصدرنا القرارات التالية :

١ - تعيين لجنة برئاسة وزير الإقتصاد لتصفية أعمال فرع البنك الأهلى التجارى السعودى فى اليمن خلال إسبوع واحد وتسليمها للجنة التأسيسية للبنك اليمنى للإنشاء والتعمير لإدارتها . (وكنت قد أعلنت فى وقت سابق إلغاء ترخيص هذا الفرع على نحو ما سبق شرحه) .

٢ - البدء فورا فى إعادة بناء مدينة الحديدة لتوفير المساكن الشعبية الحديثة بها حتى لا تتكرر حوادث الحريق فى البيوت الحالية .

٣ - إنشاء عدد من المدارس الزراعية فى جميع مناطق اليمن لتخريج العمال الزراعيين الفنيين الضروريين لتنفيذ الخطة الزراعية الكبرى .

٤ - الموافقة على القروض المقدمة من بعض اليمنيين سواء من كان منهم من المنتسبين إلى شمال اليمن المستقل أو إلى جنوبها المحتل ، وإنشاء فنادق سياحية فى الحديدة وصنعاء .

٥ - إنشاء مجمع للوزارات والمصالح الحكومية وطلب مهندسين من الجمهورية العربية المتحدة لتنفيذ المشروع .

٦ - إنشاء شركة للمقاولات العامة تضم مساهمين من الجمهوريتين اليمنية والعربية المتحدة .

٧ - إنشاء شركة طيران جديدة برأس مال مشترك تساهم فيه شركتا الطيران اليمنية والعربية المتحدة .

وفى يوم الأحد ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ طلب القائم بالأعمال الأمريكى مقابلتى وسلمنى رسالة من الرئيس الأمريكى جون كنيدى وصرح للصحفيين بأن (حكومته تدرس بعناية وجدية مسألة الإعتراف بحكومة اليمن) وقال (أنه لمس تأييد الشعب اليمنى للثورة والهدوء الذى يسود البلاد) . (الأهرام ١٩ نوفمبر ١٩٦٢) .

٨ قرارات هامة لمجلس وزراء اليمن
تصفية فروع البنك السعودى وانشاء بنك يمنى


البيضانى

عقد مجلس الوزراء اليمنى امس جلسة برياسة الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهوريه ووزير الخارجيه ، واتخذ القرارات الهامة التالية :

● الغاء الترخيص الممنوح لفروع البنك الاهلى التجارى السعودى فى اليمن وتعيين لجنه برياسه وزير الاقتصاد لتصفية هذه الفروع خلال اسبوع واحد ، وتسليمها الى اللجنه التاسيسية للحرس الوطنى للانشاء والتعمير لادارتها ، حتى يتم انشاء البنك اليمنى للانشاء والتعمير .

● البدء فورا فى اعادة بناء مدينة الحديدة ، لتوفير المساكن الشعبية الحديثه بها ، حتى لا تتكرر حوادث الحريق فى البيوت الحالية .

● إنشاء عدد من المدارس الزراعية فى جميع مناطق اليمن لتخريج العمال الزراعيين الفنيين اللازمين لتنفيذ الخطة الزراعية الكبرى .

● الموافقة على العروض المقدمة من بعض اصحاب رؤوس الاموال اليمنيين او الموجودين فى الاراضى اليمنية المحتلة ، وانشاء فنادق سياحية فى الحديدة وصنعاء .

● انشاء مجمع للوزارات والمصالح الحكوميه وطلب المهندسين من الجمهورية العربية المتحدة لتنفيذ المشروع .

● انشاء شركة للمقاولات العامة تضم مساهمين من الجمهوريتين اليمنية والعربيه المتحدة

● انشاء شركة طيران جديدة برأس مال مشترك تساهم فيه شركتا الطيران اليمنية والعربيه المتحدة .

● ايفاد وزير التجارة اليمنى السيد عبد الغنى المطهر على راس وفد تجارى الى القاهرة لدراسه وسائل الافاده من القرض المتفق عليه والذى يبلغ مليون جنيه ، وطلب السلع التى تحتاجها اسواق اليمن .

الأهرام ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

مالم ينشر عن هذه المقابلة أنه أعطانى قائمة بأسماء سبعة عشر يمنيا وصفهم بأنهم شيوعيون يشغلون مناصب حساسة فى أجهزة الحكومة اليمنية . قرأت هذه القائمة واستغرقت ضاحكا من سطحية معلومات المصادر التى يعتمد عليها ، وقلت له أن عدد الذين يمكن تسميتهم بالشيوعيين اليمنيين يتجاوز هذا الرقم ، وأن الذين نعرفهم يبلغون ثلاثة وأربعين فردا بدأ انتماؤهم للشيوعية منذ عهد الإمامة .

ثم سألت القائم بالأعمال الأمريكى ماذا كان يفعل بهم لو كان مكانى ؟ هل كان يستحسن ، عقلا ، أن يأمر بالقبض عليهم ويحاكمهم فتصدر أحكام بسجنهم وفصلهم من وظائفهم حتى يشفع السفير السوفيتى وأعوانه من سفارات الكتلة الشرقية فى اليمن وعندئذ أضطر إلى إحترام ظروف معركة البقاءالتى نخوضها فأصدر قرارا بالإفراج عنهم وإعادتهم إلى مناصبهم أبطالا مغاوير لا يعملون بعد ذلك أى حساب لهيبة الحكومة ، وينقلون نشاطهم من تحت الأرض إلى فوق رؤوسنا ؟ .

طلبت من القائم بالأعمال الأمريكى أن يتذكر جيدا أن حكومته لا تزال فى موقف معارض لحكومة الثورة اليمنية ، ولا تزال تساعد أعداءها للإنقضاض عليها ، ثم تقف علنا مع ممثل البدر المخلوع فى الأمم المتحدة الذى لا يزال يحتل مقعد اليمن بغير اليمن .

قلت للقائم بالأعمال الأمريكي أن أصدقاءنا الذين يقفون معنا على الساحة الدولية هم الروس ودول الكتلة الشرقية ، وأسلحتنا التي ندافع بها عن رؤوسنا هي أسلحة روسية شرقية ، والعشرين ألف طنا من القمح التي أبحرت من ميناء أدسا على البحر الأسود في طريقها إلينا هي محاصيل مزارع أوكرانيا ، هدية روسية لشعب اليمن الذى أصبح يعاني من نقص في الطعام بفضل المعارك التي تقتل رجالنا وتخرب حقولنا بالأسلحة الأمريكية والبريطانية .

وسألته لو أنه كان مكاني ، هل كان في وسعه أن يخرج على مقتضى العقل ويصدر قرارا طائشا بسجن هذه الحفنة من الشيوعيين ثم لا يلبث أن يضطر إلى إلغائه والإعتذار عنه ؟ .

قال المستر روبرت ستوكي أنه لم يقصد مطلقا أن ينصحني بإتخاذ أي إجراء ضد الشيوعيين اليمنيين لأن ذلك أمر يدخل في صميم الشئون الداخلية اليمنية ، وإنما أراد فقط أن يحيطني علما بمعلومات توفرت لديه قد أكون في حاجة إليها .

وفي اليوم التالي (الأثنين ١٩ نوفمبر ١٩٦٢) طلب القائم بالأعمال الأمريكي مقابلتي وأبلغني أن الرئيس الأمريكي جون كنيدي أصدر أوامره إلى سفينة الشحن الأمريكية التي كانت وسط المحيط الهندي في طريقها إلى الهند بأن تتجه إلى ميناء الحديدة لتقدم إلينا هدية أمريكية أولى عبارة عن عشرين ألف طنا من القمح ، وسألني هل أقبل هذه الهدية الأمريكية التي تحمل عبواتها علامات المعونة الأمريكية ؟ . سألني هذا السؤال لأن الإمام أحمد سبق أن اشترط على الولايات المتحدة ألا تذكر شيئا على عبوات القمح التي تهديها إلى اليمن .

قلت للقائم بالأعمال الأمريكي أن الإمام كان يشترط ذلك لأنه كان يبيع القمح الذى كانت تهديه أمريكا للشعب اليمني ، أما نحن فسوف نرسل هذا القمح لا طعام قواتنا في ساحة القتال ، ولا نمانع إذا حمل كل رغيف خبز من هذا القمح صورة الرئيس جون كنيدي نفسه ، الذى نأمل منه أن يسحب أسلحته الأمريكية من أيدي المرتزقة والمتمردين بعد أن طاب نفسا بإطعام المقاتلين الجمهوريين .

بعد خروج القائم بالأعمال الأمريكي من مكتبي استدعيت السفير الروسي وأبلغته موافقتي على قبول هدية قمح أمريكية تحمل عبواتها علامات المعونة الأمريكية ، وعرضت عليه إستعداد الحكومة اليمنية لوضع علامات المعونة الروسية على عبوات هدية القمح الروسية التي كانت في طريقها إلى اليمن . اغتبط السفير الروسي من هذا العرض وإن كنت قد لاحظت عليه عدم الارتياح عندما أدرك أنني اقتربت كثيرا من ساعة الوصال بين الجمهورية اليمنية والولايات المتحدة الأمريكية .

كلفت مجموعة من العاملين بميناء الحديدة بوضع علامات المعونة الروسية على عبوات القمح الروسي .

فى ذلك اليوم (الإثنين ١٩ نوفمبر ١٩٦٢) وصل إلينا فى صنعاء الطيارون الحربيون السعوديون والأردنيون الذين لجأوا بطائراتهم الحربية وأسلحتهم وذخيرتهم وأسرارهم إلى القاهرة ، وفى مؤتمر شعبى عقدناه فى صنعاء إحتفالا بوصولهم إلينا ألقى العقيد الأردنى الطيار سهل حمزة كلمة قال فيها (إننى هنا بين أيديكم لأعبر عن الشعور الصادق للشعب العربى فى الأردن نحوكم ، فهو معكم قلبا وقالبا ، لقد كلفنا حسين بضرب ثورتكم ، لكننا هنا نحن اليوم معكم ندافع عنكم) .

ثم ألقى المقدم السعودى الطيار رشاد شيشة كلمة قال فيها (إن جيش الجمهورية العربية المتحدة هو جيش العرب وسيقف دائما مع الشعوب العربية ضد أعدائها).

وثائق خطيرة

يسلمها قائد الطيران الاردني للبيضاني

سلم العقيد سهل حمزه قائد الطيران الاردني امس عده وثائق هامه الى الدكتور عبد الرحمن البيضاني نائب رئيس الجمهوريه العربيه اليمنيه تثبت تامر الملك حسين ضد الشعب العربي في اليمن .

وتضم هذه الوثائق اخر برقيتين تلقاهما سهل حمزه اثناء وجوده في الطائف قائدا لسلاح الطيران الاردني من الملك حسين للاعداد للعدوان السعودى الاردني المسلح على اليمن. وقد تضمنت البرقيتان تحديدا للاهداف اليمنية التى كان مقررا ان تقوم الطائرات السعودية الاردنية بضربها في بدايه العدوان. وهي المطارات القريبة من الحدود ومطارات صنعاء الثلاثة والقطع البحريه في البحر الاحمر والاذاعة صنعاء والاذاعة المقرر اقامتها في تعز وادارة اللاسلكي . كما سلم العقيد حمزه الدكتور البيضاني خريطة تفصيلية للجمهورية العربية اليمنية طبعت في عمان وحددت عليها هذه الاهداف التى كان مقررا ضربها .

انفجار في سفينة بريطانية

اثناء سيرها في الخليج العربى

الأهرام ٢٠ نوفمبر ١٩٦٢

وسلمنى قائد الطيران الأردنى العقيد سهل حمزة عدة وثائق هامة تشرح خطة الملك حسين فى الإعتداء على اليمن ، وتتضمن أخر برقيتين تلقاهما العقيد حمزة أثناء وجوده فى الطائف لإعداد عمليات الإعتداء السعودى الأردنى المشترك علينا ، وقد أوضحت هاتان البرقيتان الأهداف اليمنية التى كان من المقرر أن تقوم الطائرات السعودية والأردنية بضربها عند بداية غزو الأراضى اليمنية ، وقد شملت هذه الأهداف المقرر ضربها جميع المطارات اليمنية القريبة من الحدود اليمنية السعودية ، ومطارات صنعاء الثلاثة ، والقطع البحرية فى البحر الأحمر ، وإذاعة صنعاء والإذاعة التى بدأنا فى إقامتها فى تعز ، وإدارة اللاسلكى ، كما سلمنى قائد الطيران الأردنى خريطة تفصيلية للجمهورية العربية اليمنية كانت قد طبعت فى عمان بعد أن حددت عليها هذه الأهداف اليمنية الإستراتيجية .

وفى يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر ١٩٦٢ أذاع راديو لندن (أن وفدا برلمانيا بريطانيا سيسافر إلى صنعاء فى زيارة لليمن تلبية لدعوة من الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية اليمنية ووزير خارجيتها ، وسيرأس هذا الوفد وليم بيتس عضو مجلس العموم البريطانى عن حزب المحافظين ومعه إثنان من أعضاء المجلس المنتمين لحزب العمال) .

وفى يوم الأربعاء ٢١ نوفمبر ١٩٦٢ أجتمعت بالمستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى بناء على طلبه ، ونشرت وكالات الأنباء أن الإجتماع استمر ساعة كاملة ثم تأجل لليوم التالى (الأهرام ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢) ولم تعقب هذين اللقائين أية تصريحات سواء من الجانب اليمنى أو الجانب الأمريكى .

وفد برلمانى بريطانى يزور اليمن بدعوة من حكومتها

منشورات بلا توقيع ولا تاريخ توزع فى عدن وتروج أنباء كاذبة عن اليمن!

اذيع فى لندن امس ان وفدا برلمانيا بريطانيا سيسافر يوم الجمعة الى صنعاء فى زيارة لليمن تلبية لدعوة من الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس جمهورية اليمن ووزير خارجيتها .
ويرأس الوفد — الذى اعلن انه سيدرس الحالة فى اليمن — وليم بيتس عضو مجلس العموم عن حزب المحافظين ومعه اثنان من اعضاء المجلس المنتمين لحزب العمال .

وكانت حكومة الثورة قد وجهت الدعوة من قبل للمراقبين الاجانب الذين يريدون مشاهدة الاحوال فى اليمن بانفسهم ، وكان مما قالته فى هذا الشأن ان اليمن اصبحت مفتوحة وليست مغلقة وان حكومة الثورة لا تخفى شيئا . وقد لبى هذه الدعوة كثير من ممثلى الصحافة العالمية الذين شهدوا باستقرار الاحوال فى اليمن وسيطرة الثورة على جميع اراضيها .
وقد اذاع راديو لندن نبأ اعتزام الوفد البرلمانى للسفر الى صنعاء ، فى الوقت الذى نقلت فيه وكالات الانباء من لندن اخبارا غريبة من عدن . اذ قالت الوكالات ان منشورات وزعت فى هذه المستعمرة البريطانية دون ان تحمل اى توقيع او اى تاريخ وتروج اخبارا كاذبة عن اليمن.
وقد كان التعليق المباشر للشعب فى عدن ان هذه الحركة لا تحتاج الى عناء فى الوصول الى حقيقة القائمين بها او اهدافها .

الأهرام ٢١ نوفمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

فى اللقاء الأول سلمنى القائم بالأعمال الأمريكى رسالة من الرئيس جون كنيد يقترح فيها مخرجا من مأزق القتال الدائر على الحدود اليمنية ، وخلاصته أن تقوم الولايات المتحدة بالدعوة إلى عقد مؤتمر قمة رباعى يحضره الرجل الثانى لكل من الجمهورية اليمنية ومصر والسعودية والأردن للإتفاق على وقف القتال ، وانسحاب القوات الأردنية من الأراضى السعودية الملاصقة لحدود اليمن ، واحترام اليمن لحقوق جيرانها فى العيش فى سلام ، والإنسحاب التدريجى للقوات المصرية من الأراضى اليمنية بعد تنفيذ كل من السعودية والأردن لإلتزاماتهما ، ومساعدة الحكومة اليمنية على تحقيق الإستقرار فوق أراضيها والنهوض بمستوى معيشة شعبها .

أرجأت ردى على تلك الرسالة أربعا وعشرين ساعة حتى أدرسها بعناية مع الرئيس السلال ومجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ، وحتى يكون هناك متسع للوقت لإستشارة الرئيس جمال عبد الناصر .

وفى اليوم التالى (الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢) استدعيت القائم بالأعمال الأمريكى فى تمام الساعة العاشرة صباحا وأبلغته رد الحكومة اليمنية على رسالة الرئيس الأمريكى وكانت خلاصتها أننا نرحب بهذا الإقتراح ، وأضفت إقتراحا من جانبى وهو أن يكون المؤتمر خماسيا وليس رباعيا ، فلما سألنى عن الدولة الخامسة التى اقترح أن تحضر هذا المؤتمر قلت انها الولايات المتحدة الأمريكية حتى تشهد على حسن نوايانا ، وتلتزم بتنفيذ إلتزاماتها بمساعدة حكومة الثورة على النهوض بمستوى معيشة شعبها .

كان المقرر أن أقوم بتمثيل الحكومة اليمنية فى هذا المؤتمر ، ويقوم المشير عبد الحكيم عامر بتمثيل مصر والأمير فيصل بتمثيل السعودية ورئيس الوزراء وصفى التل بتمثيل الأردن .

فى يوم الجمعة ٢٣ نوفمبر ١٩٦٢ نشرت صحيفة نيويورك تايمز فى مقالها الإفتتاحى أن (حكومة الثورة اليمنية تسيطر سيطرة تامة على جميع أراضى اليمن وأن هذه السيطرة كافية للإعتراف بنظام الحكم الجديد) وقالت أن (الحكومة اليمنية استبدلت نظام الإمامة البائد بنظام يعد نواة لنشر الأفكار الديمقراطية والتقدمية فى سائر أنحاء الجزيرة العربية) .

فى نفس ذلك اليوم عقدت إجتماعا لمجلس الوزراء وأعلنت إنشاء مستودعات لبيع المواد الغذائية للجمهور بأسعار مناسبة ، وإلغاء الرسوم الجمركية على المواد الغذائية وجميع الأدوات والآلات الزراعية وأجهزة الراديو والمطبوعات الثقافية ، وإضافة ٣٠٪ على الرسوم الجمركية بالنسبة إلى السجائر والكماليات .

وفى يوم السبت ٢٤ نوفمبر ١٩٦٢ أذاع راديو لندن أن (الهدوء يسود جميع أنحاء اليمن وأن كل شىء هادىء إلى الحد الذى يصعب على المرء تصديقه) .

غير أننا بعد أن رحبنا بالإقتراح الأمريكى وأخذت الإذعات والصحف الأجنبية تميل إلى صفنا فوجئنا بتصعيد مفاجىء فى عمليات القتال ضد الثورة فى مختلف المناطق اليمنية ، مع إنتشار الإشاعات التى تقذف الرعب فى نفوس المقاتلين علاوة على إشاعة القلق بين سكان المدن الذين كانوا يترقبون فى كل لحظة هجوم القبائل على بيوتهم .

ومع قلق السلال لم يدهشنى هذا التصعيد المفاجىء ، بل أسعدنى أعظم السعادة لأنه أثبت صدق النوايا الأمريكية حين دلنى على مدى ذعر الغزاة والمعتدين الذين أدركوا إنفضاض الولايات المتحدة من حولهم عندما اكتشفت فشلهم ، فأرادوا أن يستعرضوا عضلاتهم أو يكسبوا مواقع جديده قبل انعقاد المؤتمر الذى لا يحضره الإمام المخلوع ، والذى يهم أعوانه الغزاه والمتمردون أن يطلبوا له نصيبا فى حكم صنعاء إذا كانت له أرض يضع عليها أقدامه بالقرب منها أو حتى بعيدا عنها .

كنت أعتبر إنعقاد ذلك المؤتمر الرباعى أو الخماسى ليس مجرد منطلق إلى إقرار السلام فى اليمن فحسب وإنما كان فى نظرى بمثابة إعتراف سعودى أردنى بحكومة الثورة اليمنية ، وتنازل نهائى من جانبهما عن تأييد الإمامة المخلوعة من اليمن ، وهو ما يفسح المجال لإستعادة أوثق العلاقات بيننا وبين الحكومتين السعودية والأردنية فندفن معا صفحة الصراعات الدموية ونبدأ معا صفحة التعاون المثمر والخلاق فى شتى المجالات السياسية والإقتصادية والعسكرية بما يحقق الإستقرار والرخاء فى شبه الجزيرة العربية .

كان حجم هذا الأمل يبرر فى نظرى حجم التصعيد المفاجىء فى العمليات الحربية ، لأن أعداء الثورة اليمنية لا بد أنهم يرون ما أرى ، ولذلك فإنهم يرمون بكل ثقلهم فى كل الجبهات لإشعال الصراع الدموى الذى يبرر وجودهم على الساحة العربية والدولية .

لم يدهشنى سلوك المتمردين بقدر ما أزعجنى رعب الجمهوريين الذين وقعوا ضحايا للإشاعات المتقنة التى روجها الأعداء فأضعفت صمود الأصدقاء ، فلاذ كثيرون منهم إلى الفرار من سفينتنا الجمهورية يبحثون عن جبل يعصمهم من طوفان الإمامة .

هلعت نفوسهم وإنخلعت أفئدتهم وطاش صوابهم وكأن السماء انفطرت ، والكواكب اندثرت ، والبحار فجرت ، والقبور بعثرت .

وصلتنى برقية عادية (غير رمزية) من قائد الحدود الجنوبية الشيخ إبراهيم حاميم (والد عضو مجلس قيادة الثورة الشيخ عبد القوى ابراهيم حاميم) يطلب منى نجدة سريعة حيث وصل إلى علمه أن القوات الأردنية قد وصلت إلى ميناء عدن وأنها تبلغ نحو خمسين ألف رجل وأنها سوف تزحف إلى تعز عبر المنطقة الجنوبية التى يتولى قيادتها .

كما وصلتنى برقية من قائد منطقة صعده (شمال اليمن) الرائد عبد الرحمن الترزى يطلب نجدة من قواتنا الجوية حيث وصل إلى علمه أن عشرات الألوف من المتمردين وقوات المرتزقة قد أحاطوا بالجبال المحيطة بمنطقته التى يتولى قيادتها .

ووصلتنى برقية من قائد منطقة الحديدة الرائد محمد الرعينى يطلب نجدة تساعده على التصدى لقوات المتمردين والمرتزقة التى أخبره المرشدون بأنها تتأهب للتحرك مرة أخرى من جيزان فى اتجاه ميناء الحديدة للإستيلاء عليه وقطع طريق الحديدة صنعاء كى تخنق العاصمة وتمنع الإمدادات المصرية عن قواتها المنتشرة فى أعماق اليمن .

كانت كل هذه البرقيات عادية (غير رمزية) ، وكما سبق القول فى هذا الكتاب ، تعود اليمنيون منذ أيام الإمامة على متابعة أخبار الحكومة عن طريق مكاتب الإتصالات السلكية واللاسلكية ولا شك فى أنه عندما تنتشر هذه البرقيات بين المقاتلين والمواطنين الآخرين فإنها تلقى بالهزيمة فى قلوبهم مما قد يؤدى إلى تغيير سلوكهم المؤيد للثورة .



برقية عاجلة من الحدود : يقرأها الدكتور البيضانى نائب الرئيس فى اليمن وهو مستلق على سريره المتنقل فى مبنى مجلس الثورة خلال ساعات الليل

صورة منقولة من مجلة آخر ساعة

كانت ظروف اليمن ، فى ذلك الوقت تتسم بالإنعزال والتخلف وغيبة التنظيم الجماهيرى ، فكان علينا أن نحافظ على الأمل فى نفوس الجماهير كى تثق فى قرب الإنتصار النهائى للثورة واستبعاد كل احتمال لليأس من هذا النصر المبين .

كان الأمل واليأس ، كما سبق القول ، يشتركان فى تحديد مصير الثورة اليمنية إلى درجة بالغة الخطورة ، ولذلك لم أقف مكتوف اليدين أمام برقيات الأصدقاء ، فأرسلت ردا فى برقية غير رمزية إلى الشيخ إبراهيم حاميم قائد المنطقة الجنوبية أقول فيها (لا تملك الأردن جيشا يبلغ عدده خمسين ألفا حتى ترسله كله علينا عن طريق عدن ، وقد جربتنا حكومة الأردن عندما دفنا لها بضعة آلاف من جيشها فى أرضنا الطاهرة فى معركة حرض ولا أظنها تفكر فى إعادة المحاولة فتصاب بنفس الكارثة ، أما إن هى جازفت بمحاولة أخرى فإنها لن تكون عن طريق عدن والمنطقة الجنوبية التى لن تجد فيها صديقا يقدم لها شربة ماء) .

وردا على برقية الرائد عبد الرحمن الترزى قلت له فى برقية غير رمزية (لقد أسعدنى ما جاء فى برقيتكم الذى أتمنى أن يكون صحيحا لأنه لو تجمع مثل هذا العدد من المرتزقة والمتمردين فإنه سوف يتيح لنا فرصة ذهبية لسحقهم جميعا فى ضربة جوية واحدة) .

ولم أكتف بإرسال هذه البرقية وإنما طرت بنفسى فى مقدمة مجموعة قاذفات قنابل ومعى قائد القوات الجوية المصرية المقدم على منصور وتفقدت بنفسى منطقة صعده وما حولها ولم أعثر على أية تجمعات ، غير أننى أمرت قائد إحدى القاذفات بأن يلقى حمولته فى الصحراء الملاصقة لمدينة صعدة كنوع من استعراض عضلات الجمهورية وتثبيت إيمان قواتنا المرابطة فى تلك المنطقة .

أرسلت برقياتى غير الرمزية بهدف انتشارها بين الجماهير ، ثم أصدرت تعليمات سرية إلى جميع قادة المناطق الحربية باستخدام الرموز عند الاتصال بالقيادة العامة .

عندما عدت إلى صنعاء ذهبت بنفسى فى طائرة إستطلاع إلى منطقة جيزان حيث شاهدت بعينى الأعمال المدنية التى كانت تجرى من أجل إعادة بناء ممرات المطار ، ولم أتبين حشودا غير عادية فى تلك المنطقة . لكننى استدعيت القائم بالأعمال الأمريكى وأبلغته ما شاهدته فى مطار جيزان وقلت له أن الحكومة السعودية لا تقوم بإعادة هذه الممرات إلا إذا كانت تنوى إعدادها كتسهيلات جوية للقوات الأردنية التى تتأهب للعودة مرة أخرى إلى الإعتداء علينا .



حشود المتطوعين فى الحرس الوطنى فى طريقهم إلى ساحات القتال .



جاءني اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن يوم الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ وأبلغنى بأن قواته المدرعة ومجموعات الصاعقة المصرية المسيطرة على منطقة جبل رأس العرقوب قد أصبحت مستعدة للزحف إلى منطقة جبل رأس الوتدة ، كى تصل منها إلى منطقة صرواح ثم مأرب ، التى كانت هدفا لتجمعات الأعداء التى تنطلق من إمارة بيجان الواقعة تحت الإحتلال البريطانى ، وطلب منى تعزيز هذه القوات بجيش شعبى من الحرس الوطنى ورجال القبائل وموافقتى على بدء الزحف .

شرحت له موقفنا الدولى ونجاحنا المنتظر فى المعركة الدولية ، الذى دفع الأعداء إلى إشعال حرائق صغيرة متعددة ومتفرقة فى أنحاء اليمن لأغراض دعائية ، حتى يعرقلوا نجاحنا فى هذه المعركة السياسية الدولية أو يشتركوا معنا بنصيب عند إنعقاد مؤتمر القمة الذى تقترحه الولايات المتحدة الأمريكية .

قلت أننا ، ونحن نطفىء هذه الحرائق الصغيرة التى فى متناول يدنا إخمادها ، لا استحسن أن نشعل بأنفسنا حريقا كبيرا لا نضمن نتائجه فى ذلك الوقت بالذات .

أوضحت أنه لا يحسن بنا أن نفرض على أنفسنا امتحانا قاسيا فى معركة حربية قد تؤدى نتيجتها غير المضمونة إلى إضعافنا فى معركة سياسية أوشكنا على النجاح فيها بإنتصار ساحق على أعدائنا . ولا ضرر علينا إذ نحن أجلنا هذه المعركة الحربية حتى ننجح فى معركتنا السياسية وبعد ذلك نؤدى كل الامتحانات الحربية الثقيلة وفى يدنا شهادة نجاحنا فى المعركة السياسية الدولية الحاسمة ، تلك الشهادة الدولية التى مجرد حصولنا عليها يؤدى حتما إلى إلحاق الهزيمة النفسية الكاملة فى نفوس أعدائنا ، وعندئذ يكون معنا أمضى الأسلحة فى معاركنا الحربية ، إن بقيت هنالك بعد ذلك ثمة معارك حربية .

ذلك لأن إعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالجمهورية اليمنية يؤدى حتما إلى فتح باب الإعتراف بنا أمام دول الغرب ، كما يؤدى حتما إلى طرد ممثل البدر المخلوع فى الأمم المتحدة وإستلام ممثلنا مقعد اليمن فى هذه المنظمة الدولية التى تستطيع عندئذ أن ترفع لنا علم الجمهورية بعد أن تطوى علم الإمامة إلى الأبد .

قلت للواء أنور القاضى إننى أستحسن تأجيل معركة رأس الوتدة حتى لا يهتز موقفنا الدولّى إذا ما فوجئنا ببعض المفاجآت التى لا يمكن التنبؤ بها فى منطقة وعرة مليئة بالكمائن نعتمد فيها على ولاء غير مؤكد ، بينما إذا أبقينا قواتنا الضاربة فى جبل رأس العرقوب فإنها تحافظ على وضعها الحاكم والمسيطر على المنطقة الشرقية كلها حتى صنعاء .

قال ا للواء أنور القاضى إنه يريد أن يساعدنى فى معركتنا السياسية الدولية بإحراز إنتصار ساحق فى المعركة الحربية التى يضمن نتائجها بعد أن وثق رائد الصاعقة المصرى عبد المنعم سند عرى العلاقات الخاصة مع شيوخ قبيلة بنى بهلول وقبيلة بنى ظبيان وهما القبيلتان اللتان ، بقيادة الشيخ يحيى الرويشان والشيخ عبد الخالق الطلوع أخلص أصدقاء الرائد المصرى عبد المنعم سند ، تتحكمان فى جانبى رأس الوتدة حتى صرواح ، وإنهما هما اللتان ستحميان زحف قواتنا من اليمين ومن اليسار ، أى أنهما ستكونان قوات جناحى الزحف ، ثم أكد لى أنه من ضرورياتنا الإستراتيجية أن نستغل هذه الفرصة الذهبية المضمونة النتائج .

وافقت اللواء أنور القاضى على رأيه إعتمادا على حسن تقديره للموقف العسكرى ، وحتى لا يظن أنه وهو متطوع للقتال فى وطنى ، أن رجل السياسة يسعى إلى كسب المعركة الحربية سياسيا على حساب رجل الحرب الذى يسره أن ينتصر فيها عسكريا .

أرسلت إلى منطقة جبل رأس العرقوب التعزيزات التى طلبها ، وأصدرت قرارا إلى العقيد حسن العمرى قائد منطقة حجانة (المتحكمة فى الطريق بين صنعاء ورأس العرقوب) بأن يزحف إلى رأس العرقوب لتطهير هذا الطريق من المتمردين حتى يسهل علينا أن ننقل إلى ساحة المعركة تعزيزات وإمدادات أخرى إضافية إذا لزم الأمر مستقبلا .

طلب العقيد حسن العمرى مصفحتين من صنعاء ليبدأ الزحف فأرسلتهما إليه ، ثم طلب كمية إضافية من الذخيرة فأرسلتها إليه ، ثم طلب مصفحتين أخريين فاعتذرت له وضربت له موعدا للزحف إلى رأس العرقوب كى ألتقى به هناك فنزحف معا إلى رأس الوتدة وأعقد هناك مؤتمرا صحفيا عالميا نستثمر فيه ذلك النصر عندما يتحقق كما أكد اللواء أنور القاضى .

لم يكن فى وسعى أن أرسل إلى العقيد العمرى من صنعاء مصفحة أخرى حيث لم يبق معنا فى صنعاء فى ذلك الوقت سوى خمس مصفحات كلفتها بألا تكف عن الدوران حول صنعاء كى تشعر أهلها بالإطمئنان أمام الدعايات والإشاعات المغرضة .

ثم وصلتنى برقية من العقيد حسن العمرى يؤجل فيها موعد زحفه إلى رأس العرقوب لعدم إكتمال إحتياجاته الضرورية ويقول فيها أنه قادم إلى صنعاء للتفاهم معى . فأرسلت إليه ردا قلت فيه (التفاهم فى رأس العرقوب ولا لقاء بيننا فى صنعاء قبل ذلك) .

عندما استلم العقيد حسن العمرى ذلك الرد جهز قواته وبدأ زحفه الساحق حتى وصل رأس العرقوب دون خسائر تذكر فى قواته وكان يرافقه عضو مجلس قيادة الثورة القاضى عبد السلام صبره وزير شئون القبائل الذى قام بدور كبير فى تجنيد قبائل منطقة جحانه فى صف الثورة .

عاد العقيد حسن العمرى إلى مقر قيادته فى جحانه بعد أن أتم مهمته بنجاح تام وسلم إلى اللواء أنور القاضى بقية إحتياجاته الأخرى التى كان قد طلبها منى فى وقت سابق حتى يعزز بها قواته المتقدمة فى رأس الوتده .

فى يوم الإثنين ٢٦ نوفمبر ١٩٦٢ بلغت ذروة الحملة الإعلانية التى بدأتها إسرائيل ضد حكومة الثورة اليمنية وضد الجمهورية العربية المتحدة وكررت السيدة جولدا مائير وزير خارجية إسرائيل ادعاءها بأن المساعدة المصرية للثورة اليمنية قد خلقت موقفا يهدد أمن إسرائيل وسلامة أراضيها وإنها لذلك لا تستطيع أن تقف كثيرا موقف اللامبالاة مما يجرى حولها .

كان الواضح من هذه الحملة الإسرائيلية أنها تستهدف إزعاج القيادة السياسية فى مصر بالقدر الذى يضطرها إلى تخفيف مساعدتها العسكرية للثورة اليمنية حتى يتمكن المتمردون اليمنيون ومن معهم من المرتزقة من كسب مواقع جديدة لحساب البدر قبل إنعقاد مؤتمر القمة الذى دعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى يوم الأربعاء ٢٨ نوفمبر ١٩٦٢ نشرت صحيفة الأهرام الناطقة بإسم الحكومة المصرية تلخيصا لموقف مصر وهى تساعد الثورة اليمنية التى لم تبدأ العداء مع الحكومة السعودية وقالت الصحيفة أن حكومة الثورة اليمنية قد (مدت يد الود لكن السعودية – على حد تعبير الدكتور عبد الرحمن البيضانى فى حديثه مع القائم بالأعمال الأمريكى فى تعز – حاولت قطع اليد الممدودة للسلام عليها) وأضافت الصحيفة قائلة (إن هدف حكومة الثورة اليمنية ما زال كما هو ، وهو حماية نفسها من أى تهديد خارجى ، ولو نجحت أمريكا بنفوذها فى السعودية لأمكن إقرار السلام فى اليمن) .

تطور الموقف الحربى تطورا خطيرا فى منطقة رأس الوتدة ورأس العرقوب حيث جاءنى اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية وأبلغنى أنه قرر تعديل مواقع قواته فى رأس الوتده بعد أن حوصرت مجموعة صاعقة بقيادة الرائد المصرى عبد المنعم سند فوق قمة جبل رأس الوتده ، وأبلغنى أن خطة تعديل هذه المواقع تقتضى سحب القوات المصرية المدرعة وجميع القوات اليمنية من رأس الوتده وإرجاعها إلى جبل رأس العرقوب ، وقال مبررا لهذا التعديل أن رجال قبائل البيضاء والحرس الوطنى الذين كانوا يحاربون فى مقدمة القوات المصرية قد امتنعوا عن القتال مطالبين باستبدال بنادقهم التشيكية التى زودناهم بها بالبنادق القديمة التى تعودوا على استخدامها ، والتى يسمونها « بنادق زكى كرم » نسبة إلى أول من استوردها إلى اليمن فى عهد الإمام يحيى ، وهى بنادق ألمانية ، وأن الرائد عبد المنعم سند يعتبر مفقودا لأنه ابتعد مسافة ثمانية كيلومترات عن القوة الضاربة فى مقدمة الزحف مع مجموعة صاعقة ويمنيين عددهم ستة أفراد حتى وصلوا إلى قمة جبل رأس الوتده حيث حوصرت خيمتهم من جميع جوانبها .

سألت اللواء أنور القاضى ماذا فعلت حراسة الجناحين (الأجناب) التى سبق أن أكد لى أنها تتكون من قبيلتى بنى بهلول وبنى ظبيان أصدقاء الرائد عبد المنعم سند ؟ فقال اللواء القاضى أن هاتين القبيلتين لم تظهرا على مسرح العمليات على وجه الإطلاق إلا أن شيخ بنى ظبيان الشيخ يحيى الرويشان كان مرافقا للرائد سند عندما صعد إلى قمة الجبل .

أدركت على الفور أن قواتنا قد وقعت فى كمين متقن ، وأننا قد وقعنا فى المحظور الذى كنت أتحاشاه ، والذى لم يتجاوب معى قائد القوات المصرية فى إدراك أبعاده عندما حاولت إقناعه بخطر الدخول إختياريا فى إمتحان مضمون النتيجة عندما نحارب فى وقت غير مناسب ، وفى أرض جبلية وعرة ، مليئة بالكمائن ، معتمدين على ولاء مشكوك فيه ، لمجرد أن الرائد المصرى عبد المنعم سند قد سمح بدخول الغرور إلى قلبه عندما ظن أنه بشخصيته القوية وفدائيته المعروفة قد حظى بولاء قبائل لم يكن يعرف شيئا عنها مثل ما كنا نعرفه تماماً ، فركب رأسه ورأس قائده اللواء أنور القاضى ، فوقعت الكارثة التى دفعت بنا إلى الوقوع فى المحظور .

غير أننا بعد أن وقعنا فى المحظور لم يكن أمامى سوى محاولة التقليل من أثاره الدولية أو تجميدها لأطول فترة ممكنة حتى ننتهى من معركتنا السياسية الدولية .

قلت للواء أنور القاضى أننى لا أوافق مطلقا على خطته التى مهما سماها بتعديل فى المواقع فإنها سوف تعتبر فى نظر اليمنيين إنسحابا مصريا يمنيا جمهوريا ، ولأول مرة ، أمام المتمردين والمرتزقة ، الأمر الذى يؤدى حتما إلى رفع روحهم المعنوية فيضاعفون من نشاطهم ضدنا فى كل الجبهات ، ويستعيدون أملهم فى إسقاط الثورة والقضاء على الجمهورية وإلحاق الهزيمة بالجيش المصرى فى اليمن وإجباره على الفرار منها .

حاول إقناعى بالموافقة على خطته لكننى رفضتها بكل إصرار وأصدرت إليه أمرا ببقاء القوات فى مواقعها ، ووقفت خلف مكتبى إعلانا لإنهاء الحديث والمقابلة .

وافقنى قائد القوات المصرية على رأيى الذى اعتبرته أمرا من القيادة اليمنية كلفته بتنفيذه . وسافرت فى الحال بطائرة عمودية (هليكوبتر) إلى منطقة جحانة وأخذت معى فى الطائرة اللواء أنور القاضى والعميد عباس فهمى مدير شئون القبائل بالقيادة المصرية والنقيب حسين الدفعى والنقيب محمد قائد سيف عضوى مجلس قيادة الثورة والعميد عبد الواسع نعمان مساعد مدير الأمن .

التقينا فى منطقة جحانة العسكرية بقائدها العقيد حسن العمرى الذى كان قد ضاعف عدد قواته هناك من رجال قبائل تلك المنطقة ، وأصدرت هناك قرارا بتعيين العميد محمد عبد الواسع نعمان مديرا لشئون الإمداد والتموين فى منطقة خولان على أن يتخذ من منطقة جحانة العسكرية مقرا له إلى جوار العقيد حسن العمرى .

ثم توجهت بنفس هذه الطائرة مع كل هؤلاء القادة إلى منطقة رأس الوتده بعد أن أضفت إليهم العقيد حسن العمرى كى يزداد معرفة بطبيعة المعركة التى فرضناها على أنفسنا فى وقت غير ملائم وبغير تخطيط محكم .

وعندما وصلنا إلى منطقة رأس الوتده وجدت المدرعات المصرية وقد أدارت ظهرها إلى منطقة القتال وأخذت وضع الإنسحاب منها متجهة إلى منطقة رأس العرقوب ولما استفسرت من اللواء أنور القاضى عن سبب الموقف المناقض لما كلفته بتنفيذه قال إن ذلك قد تم بناء على خطة تعديل المواقع قبل أن أصدر إليه الأمر بإلغائها وإنه لن ينسحب من هذه المنطقة تنفيذا لأمرى الذى أصدرته إليه فى صنعاء .

وقفت خطيبا فى رجال الحرس الوطنى وقبائل البيضاء الذى كان الشيخ عبد القوى الحميقانى يتولى قيادتهم فى تلك المعركة ، ووعدتهم بتغيير البنادق التى كانوا يشكون منها ، وقلت لهم أن ذلك يحتاج إلى وقت بينما مجموعة الصاعقة بقيادة الرائد عبد المنعم سند محاصره على مرأى من عيوننا فوق قمة الجبل ، وأن الواجب الوطنى يحتم علينا أن نسرع بضرب هذا الحصار وإنقاذ من بقى على قيد الحياة من هذه المجموعة حتى نحافظ على موقعنا فى رأس الوتده وأننا سوف نسلحهم بالبنادق التى يطلبونها قبل أن نزحف فى إتجاه صرواح ثم مأرب .

وقف أحدهم يصرخ فى وجهى قائلا أن البنادق التشيكية التى استلموها من قيادة الحرس الوطنى فى صنعاء بنادق فاسدة تتعثر فيها الطلقات فى كثير من الأحيان ، وعندما تنطلق منها ، إذا انطلقت ، فأنها تحدث شرارة وضوءً يجعلهم أهدافا مكشوفة سهلة للأعداء ، وبغير سلاح يدافعون به عن أرواحهم وبغير أى أمل فى أى نصر .

قلت لهم أن الوقت يمر ومجموعة الصاعقة فى خطر داهم ووعدتهم بالإستجابة إلى كل طلباتهم بعد إنقاذ من بقى من هذه المجموعة ثم توجهت نحو قمة جبل رأس الوتده سيرا على الأقدام أحمل رشاشا فى وضع قتال ومن خلفى اللواء أنور القاضى والعميد عباس فهمى والعقيد حسن العمرى والنقيب حسين الدفعى والنقيب محمد قائد سيف ورجال الحرس الوطنى وقبائل البيضاء ومن كان معهم من رجال قبائل خولان وعدد من رجال القوات المصرية والمصفحات والدبابات واقتربنا بعد ثمانية كيلومترات من جبل رأس الوتده وطهرنا الطريق إلى قمته المحاصرة بقصف مركز من الدبابات .

وبدأنا الصعود إلى قمة جبل رأس الوتده وإذا بالعقيد حسن العمرى يضربنى فى ظهرى ضربة مفاجئة وقوية أخذتنى معه إلى الأرض لحمايتى من طلقات الرصاص التى انهمرت علينا ومرت من فوق رؤوسنا .

كان معنى ذلك أننا اقتربنا من أحد أوكار المتمردين الذى كشف عن موقعه عندما أطلق النار علينا مما ساعد إحدى الدبابات التى كانت عند أسفل الجبل فاسكتت هذا الوكر بقذيفة موفقة بعد أن سقط من حولى سبعة شهداء أغرقت دماؤهم جبهتى عندما كنت منبطحا على الأرض بجوار منقذى العقيد حسن العمرى .

واصلنا زحفنا إلى قمة الجبل وإذا بأحد رسلنا الذى صعد إلى قمته يخبرنا بأنه وصل إلى خيمة الرائد عبد المنعم سند وأصحابه الستة فوجدهم جميعا مقتولين وقد فصلت رؤوسهم عن أجسادهم وألقيت خارج تلك الخيمة وأنه لم يجد من بينهم دليلهم الذى كان معهم وهو الشيخ يحيى الرويشان نفسه .

كان معنى ذلك أن هذا الكمين قد تم بمعرفة الشيخ يحيى الرويشان الذى استغل صداقة الرائد عبد المنعم سند وثقته فيه .

أثناء عودتنا إلى مخيمات قواتنا فى هضبة رأس الوتده دعانى اللواء أنور القاضى إلى الإحتماء داخل إحدى الدبابات ، غير أننى كرهت أن أفعل ذلك بينما كان رجالنا من الحرس الوطنى والقبائل يمشون على أقدامهم فمشيت معهم وتبعنى رفاقى العمرى والدفعى ومحمد قائد سيف .

لا أدرى لعلى أخطأت فى إختيارى المشى معهم ، لأننى ربما كنت بذلك قد فتحت شهية أعدائنا فى أوكارهم فأمطرونا بوابل من رصاصهم ، وكانت معركة حامية لم نبرحها حتى دفناهم فى أوكارهم بعد أن سقط منا ثلاثة عشر شهيدا آخرون .

عندما وصلنا إلى تلك المخيمات قررت المبيت وسط رجالنا كى أرفع من روحهم المعنوية فوق تلك الهضبة التى شهدت غدر أهلها .

كان الوقت قد إقترب من غروب الشمس ، وكان إبن الشيخ يحيى الرويشان من بين الرجال الذين وقع نظرى عليهم فأصدرت الأمر بالقبض عليه ووقفت خطيبا فوق إحدى الدبابات وأعلنت أن الدلائل تشير إلى خيانة والده الشيخ يحيى الرويشان ، وإننى سأنتظر فى خيمتى حتى الصباح فإذا لم يسلم نفسه قبل الساعة الثامنة صباحا حتى يثبت للحكومة اليمنية مابيرىء ساحته فإننى سوف أعتبر هروبه دليلا على إدانته وسوف تعقد محكمة عسكرية علنية وفورية عند حلول ذلك الموعد تتشكل من القادة العسكريين الذين كانوا معى لمحاكمة إبن الشيخ يحيى الرويشان المقبوض عليه بتهمة الإشتراك مع والده فى جريمة قتل الشهيد عبد المنعم سند ورفاقه الستة وتعريض أمن وسلامة القوات الجمهورية للخطر فى زمن الحرب وهى جريمة عقوبتها الإعدام الذى فور صدور الحكم سأصدر الأمر بتنفيذه على الفور وتعليق رأسه فوق جثة الشهيد عبد المنعم سند .

ودخلت إلى خيمتى وأصدرت أمرا إلى العقيد حسن العمرى بألا يسمح لأحد بدخولها إلا ومعه أعضاء المحكمة أو الشيخ يحيى الرويشان نفسه .

كان ينام إلى جوارى مع اللواء أنور القاضى العقيد حسن العمرى الذى سألنى :

هل ستنفذ قرارك ؟

قلت : نعم .

سألنى : هل ستعدم إبن الشيخ يحيى الرويشان ؟

قلت : لا .

سألنى : إذن كيف ستنفذ قرارك ؟

قلت : يوجد بين رجالنا متسللون من أعدائنا سوف يبلغون ما سمعوه إلى الشيخ يحيى الرويشان الذى لابد أن يكون قريبا منا يتابع حركاتنا ، وهو يعلم كغيره أننى أنفذ

ما أقول ، ولذلك سوف يحضر إلينا قبل الساعة الثامنة صباحا حتى ينقذ رأس إبنه ، لا سيما أنه يثق فى قدرته على تبرير موقفه الذى لا يقوم أى دليل مؤكد على إدانته بعد موت الشهيد سند ورفاقه وهم كل شهود الإدانة .

أضفت قائلا أننى أعلم مقدما أنه لن يمسه سوء ، كما أعلم أننى لن أقترب من رأس إبنه ، لكننى أردت أن أثبت لأفراد القوات المصرية أننا لا نترك مثل هذا الحادث يمر دون تحقيق ، وأن أرفع روح رجالنا المعنوية ، كما أقذف بالرعب فى نفوس أعدائنا ، ونكسب ولاء الشيخ يحيى الرويشان عندما يسلم نفسه لنا فى رأس الوتده ثم نطلق سراحه فى صنعاء إذا ما أثبت لنا أنه لم يغدر بنا ، وإن كنت أرجح فى قرارة نفسى أنه فعلا قد غدر .

قبل الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى دخل إلى خيمتى العقيد حسن العمرى ومعه الشيخ يحيى الرويشان فأصدرت أمرا بإطلاق سراح إبنه وأخذت الشيخ معى إلى صنعاء حيث سلمته للرئيس السلال بعد أن رويت له كل ما حدث . وأكدت على اللواء أنور القاضى ضرورة بقاء تلك القوات فى كل من رأس العرقوب وهضبة رأس الوتده التى لم أتركها إلا بعد أن ارتفعت فيها روح مقاتلينا الذين وعدتهم بتغيير بنادقهم وتعزيزهم بقوات من الحرس الوطنى ورجال القبائل الذين نضمن ولاءهم المطلق للجمهورية ، وأصدرت قرارا بتعيين النقيب حسين الدفعى قائدا لمنطقة رأس الوتده والنقيب محمد قائد سيف نائبا له ، على أن تتوقف قواتنا فى هذه المواقع الحصينة والحاكمة ولا تتحرك منها .

وحفاظا على موقفنا فى المعركة الدولية أصدرت الحكومة اليمنية بلاغا رسميا أذاعته إذاعة صنعاء ونشرته وكالات الأنباء كان نصه :

(عاد إلى صنعاء ليلة أمس الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية اليمنية ووزير خارجيتها بعد أن قام بجولة فى الخطوط الأمامية زار خلالها المواقع العسكرية فى منطقة رأس الوتده وأشرف على عملية تطهيرها من المتسللين بعد أن تم القضاء عليهم نهائيا . ورافق الدكتور البيضانى فى هذه الجولة النقيب محمد قائد سيف وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية والعقيد حسن العمرى وزير المواصلات والنقيب حسن الدفعى وزير العمل . وقد استقبل الدكتور البيضانى بعد عودته إلى العاصمة وزراء الداخلية والأوقاف والصحة والشئون البلدية والقروية كما قابل أعضاء مكتب العمليات وعددا من الضباط الأحرار وقائد منطقة ارحب وبعض رؤساء القبائل فى كل من خولان والبيضاء والأعروش وصرواح ومراد) (صحيفة المساء المصرية ٢ ديسمبر ١٩٦٢) .

البيضاني يزور المواقع العسكرية الامامية

وزارة الهجرة تدعو اليمنيين فى عدن الى عدم التسرع فى ترك اعمالهم حتى البدء فى الاعمال الانشائية

صنعاء فى ١٣ ـ ١٠ ش ١٠ ـ عاد الى صنعاء ليلة امس الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية العربية اليمنية ووزير خارجيتها بعدان قام بجولة فى الخطوط الامامية زار خلالها المواقع العسكرية فى منطقة راس الوفدة واشرف على عملية تطهيرها من المتسللين بعد ان تم القضاء عليهم نهائيا .

ورافق الدكتور البيضانى فى هذه الجولة الرئيس محمد قائد سيف وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية والعقيد حسن العمرى وزير المواصلات والمقدم حسن الضبعى وزير شئون العمل والعمال .

وقد استقبل الدكتور البيضانى بعد عودته الى العاصمة وزراء الداخلية والاوقاف والمواصلات والصحة والشئون البلدية والقروية كما قابل اعضاء مكتب العمليات وعددا من الضباط الاحرار وقائد منطقة ارحب وبعض رؤساء القبائل فى كل من محولان والبيضا والاعروش وصرواح ومراد .

وقد اذاعت وزارة الهجرة والمغتربين فى اليمن بيانا دعت فيه ابناء الجمهورية العربية اليمنية فى عدن الى عدم التسرع فى ترك اعمالهم والعودة الى اليمن حتى تنتهى الحكومة اليمنية من القضاء على مظاهر التخلف الذى نتج عن العهد البائد فى اليمن .

وذكر البيان ان الحكومة اليمنية تنوى استدعاء هؤلاء المواطنين عندما يبدا العمل فى المشروعات الانشائية التى تحتاج الى الايدى العاملة الكثيرة لان الحكومة اليمنية لا تعتبر ابناء عدن من المغتربين باعتبار أن عدن جزء لا يتجزأ من اليمن الطبيعى .

صحيفة المساء يوم ٢ ديسمبر ١٩٦٢

٨

على ساحة معركتنا الدولية نشرت صحيفة الأهرام فى أول ديسمبر ١٩٦٢ فى صفحتها الأولى تحت عنوان (الوفد البريطانى يقول إثر عودته لعدن أينما ذهبنا فى اليمن وجدنا حكومة الثورة تسيطر على الموقف) فكتبت الأهرام :

(إن راديو صنعاء أذاع أن الدكتور عبد الرحمن البيضانى اتهم بريطانيا بالتآمر ضد حكومة الثورة ، وقد أعلن نائب رئيس اليمن هذا الإتهام أمام الوفد البريطانى البرلمانى فى خطاب ألقاه فى إجتماع عام عقد فى منطقة عمران شمال غرب اليمن أثناء زيارة الوفد لليمن ، وقد قال فى خطابه إن بريطانيا تزود أعداء الثورة بالأسلحة والأموال و تتآمر ضدها مع الملك سعود والملك حسين وحاكم بيحان الذى تحميه بريطانيا على الحدود الشرقية اليمنية ، وقال الدكتور البيضانى أن بريطانيا نظمت وأثارت موجة من أعمال التمرد لتهديد الثورة فى المناطق النائية على الحدود اليمنية لإيجاد حجه لتأخير إعترافها بحكومة الثورة) .

وفى اليوم التالى صرح المستر بيتس رئيس الوفد البرلمانى البريطانى قائلا :

(إن أول شيء لاحظته فى اليمن أن اليمن فى ثورة ويكفى أنك تستطيع أن تصل إلى اليمن وتغادرها فى أى لحظة دون أن تحصل على إذن من الإمام مكتوب على ورقة صفراء صغيرة) وقال (أنه سيشرع بمجرد وصوله إلى لندن فى تأليف جمعية الصداقة البريطانية اليمنية التى ستكون مهمتها تحسين العلاقات بين البلدين ودعم الروابط بين الشعبين) وقال (إن أعضاء البعثة سوف يذكرون للمسئولين البريطانيين أن الوضع الآن يقتضى ضرورة البحث فى تقديم المعونة إلى اليمن لأن مسألة الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية أمر طبيعى وأن الدول الغربية يجب أن تسارع إلى الإعتراف بالحكومة اليمنية لأنه من الخطأ التشكيك فى سيطرتها على جميع المدن وجميع المرافق) .

نتائج زيارة وفد بريطانيا لليمن

وقد انتهت امس زيارة الوفد البرلماني البريطاني لليمن وعاد الى عدن بعد أن قضى في اليمن ٣ ايام . وبعد مدة قصيرة من عودته طار خمسة من اعضاء الوفد الى لندن ، بينما تخلف ولم يسبق رئيس الوفد ليسافر الى القاهرة اليوم في طريق عودته الى العاصمة البريطانية .

ونقلت وكالة « رويتر » من عدن تصريحات لاعضاء الوفد عن نتائج زيارتهم لليمن ، وقد تفقدوا خلالها مناطق واسعة بالهليكوبتر الذى وضع تحت تصرفهم ، كما اجتمعوا بالمسئولين في حكومة الثورة . وقالت الوكالة ان جون دوجديل العضو العمالى في الوفد والمتحدث بلسانه صرح بقوله « اننا ذهبنا وجدنا حكومة الثورة تسيطر سيطرة تامة على الموقف ».

وسيقوم الوفد الذى زار اليمن بدعوة من الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس اليمن ووزير الخارجية ، بتقديم تقرير الى حزبى المحافظين والعمال عن نتائج زيارته . وقد صرح اعضاء الوفد بان حكومة بريطانيا يهمها الوقوف على رأيهم .

لماذا اخرت بريطانيا اعترافها

واذاع راديو صنعاء امس ان الدكتور البيضانى اتهم بريطانيا « بالتآمر » ضد حكومة الثورة.

وقد اعلن نائب رئيس اليمن هذا الاتهام امام الوفد البرلمانى البريطانى في خطاب القاه في اجتماع عام عقد في منطقة عمران شمال غربى اليمن اثناء زيارة الوفد لها . وقد قال في خطابه « ان بريطانيا تزود أعداء الثورة بالاسلحة والاموال ، وتتآمر ضدها مع سعود وحسين ، وحاكم بيحان الذى تحميه بريطانيا على الحدود الشرقية لليمن ».

وقال الدكتور البيضانى ان بريطانيا نظمت واثارت موجة من اعمال التمرد المناهضة للثورة في المناطق النائية على الحدود اليمنية « لايجاد حجة لتأخير اعترافها بحكومة الثورة»

الأهرام أول ديسمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى) .

ومضى بيتس قائلا أن الوفد البريطانى (قد وصل إلى صنعاء حيث التقى فى اليوم التالى بالدكتور عبد الرحمن البيضانى وأستطيع أن أحدد النقاط التى دار فيها البحث فيما يلى :

أولا : مسألة الإعتراف بالحكومة اليمنية .

ثانيا : تقديم المعونة الفنية العسكرية والإقتصادية إلى اليمن .

ثالثا : إعداد بيان كامل بجميع الإحتياجات العاجلة لليمن) .

ثم قال رئيس الوفد البرلمانى البريطانى :

(لقد قدمت بإسم البعثة البريطانية هدية هى تمثال لطائر أبيض من الصينى الإنجليزى إلى الدكتور البيضانى رمزا للسلام وقد فهمنا منه أنه سيقدم إلى كل عضو من أعضاء البعثة سهما فى البنك اليمنى الجديد) وأضاف قائلا :

(إننا زرنا معسكرات الحرس الوطنى ، وهذا الحرس لا تنقصه روح القتال ، لكنه يحتاج إلى أسلحة ، ومن صنعاء أعطانا الدكتور البيضانى طائرة عمودية (هيلوكبتر) وزرنا منطقة عمران والتقينا بألف رجل مقاتل من رجال القبائل ، ومن عمران زرنا مدينة الجرف)(الأهرام ٢ ديسمبر ١٩٦٢) .

وفى يوم الأحد ٢ ديسمبر ١٩٦٢ صرح ناطق بإسم الأمم المتحدة أن هناك معلومات عن مقترحات سرية قدمتها واشنطن لمواجهة الموقف المهدد بالخطر فى شبه الجزيرة العربية وأنها تتلخص فيما يلى :

١ – سحب القوات الأردنية من السعودية .

٢ – سحب القوات السعودية من حدود اليمن .

٣ – وقف عمليات التحريض التى تقوم بها الحكومة السعودية لإمام اليمن المخلوع .

٤ – إعلان من جانب الحكومة اليمنية أنها لا تحتفظ بنوايا عدوانية تجاه جيرانها .

٥ – إعلان من جانب الحكومة المصرية بأنها سوف تسحب قواتها من اليمن على مراحل مع توقيت هذه المراحل بحسب زوال التهديد الخارجى على حدود اليمن .

وفى نيويورك صرح السيد محمود رياض رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة فقال (إن حكومته لا تجد ما يمنعها من قبول هذه المقترحات على الفور حيث أن هدفها الأصلى هو تدعيم ثورة اليمن وحمايتها من العدوان السعودى الأردنى) .

وفى لندن نشرت صحيفة صنداى تايمز فى يوم الإثنين ٣ ديسمبر ١٩٦٢ مقالا للمستر رتشارد تافرن عضو الوفد البريطانى الذى زار اليمن قال فيه (إن شعبية حكومة الثورة باليمن لا يرقى إليها الشك وهى تسيطر سيطرة كاملة وحازمة على البلاد) وأضاف قائلا :

(إن بريطانيا لا تستطيع أن تظل محل عداوة لثورات الشرق الأوسط ، وأن الأمل فى عودة الملكية إلى اليمن يعتبر وهما كبيرا وإغراقا فى الخيال ، وأن نظام الحكم الجديد فى اليمن هو أفضل كثيرا من نظام حكم الأئمة السابقين ، وأن كل إنسان فى بريطانيا يؤيد بحماس ما تحاول الحكومة الجديدة فى اليمن أن تقوم به) .

بينما كنت سعيدا بمتابعة النجاح المتواصل فى معركتنا السياسية الدولية إذا باللواء أنور القاضى يبلغنى بأنه أضطر إلى تنفيذ ما كان يسميه بتعديل المواقع وما كنت أعتبره ، كما أعتبره اليمنيون أنه إنسحاب مهين للقوات اليمنية المصرية المشتركة أمام تجمعات المرتزقة والمتمردين . وأبلغنى أنه أثناء عودة المدرعات المصرية من رأس الوتدة متجهة إلى رأس العرقوب التى ستستقر فيها هرع رجال القبائل والحرس الوطنى إلى تسلق هذه المدرعات وتركوا معظم أسلحتهم وذخيرتهم فى مخيماتهم فى رأس الوتده مع كل المواد الغذائية والأغطية (البطاطين) ، وأن الذى لم يجد له مكانا على ظهر المدرعات كان يجرى أمامها ليكون فى حمايتها .

وقعت هذه الأخبار على رأسى وقع الصاعقة لأن قائد القوات المصرية قد أخذ قرار الإنسحاب رغم أنفنا ولم يحطنا علما بإصراره على ذلك قبل تنفيذه حتى ننظم عملية إنسحاب القوات اليمنية مع القوات المصرية ، ثم بعد ذلك نراجع حساباتنا السياسية والعسكرية مع الرئيس عبد الناصر لترشيد المساعدات لليمن .

وكان معنى ذلك أن قواتنا التى تركت معظم أسلحتها وهرولت إلى رأس العرقوب على إثر انسحاب القوات المدرعة المصرية إليها سوف تصل إلينا فى صنعاء تحملنا مسئولية تعريض حياتها للخطر وإذلال كرامتها بالمهانه ، الأمر الذى يؤدى حتما إلى تصعيد درجة الذعر فى العاصمة التى كان بعض أهلها قد غادروها فعلاً إلتماسا لشىء من الطمأنينة .

لم أجد مجالا لمحاسبة قائد القوات المصرية حيث كان الأهم من ذلك هو وقف انهيار تلك الجبهة الأمامية ووقف مسيرة قواتنا المهزومة إلى صنعاء ، فأخذت اللواء أنور القاضى فى طائرتى إلى منطقة رأس العرقوب التى وصلت إليها قبل ساعة واحدة من وصول هذه القوات المنسحبة ، فتمكنت من أن أكون فى إستقبالها وألقيت كلمة قلت فيها أننا كنا قد اتفقنا على عودتها مع جميع القوات المصرية إلى منطقة رأس العرقوب حتى نخلى منطقة رأس الوتده من رجالنا كى تقوم طائراتنا بتمشيطها وسحق جميع الأوكار فيها قبل أن نصدر الأمر بالزحف إليها فى طريقنا إلى صرواح ومأرب لتأديب المرتزقة الذين ينطلقون من قاعدة العدوان البريطانى فى بيحان .

ثم بررت ، فى كلمتى ، سبب عدم وصول الإخطار إلى قواتنا بالعودة مع القوات المدرعة المصرية بأنه يرجع إلى عطل مفاجىء فى جهاز اللاسلكى الذى كان يحمله ضابط الإشارة الملحق بهذه القوات ، وختمت كلمتى بتوجيه الشكر إلى جميع أفراد القوات اليمنية والمصرية لأنهم قاموا بأداء الواجب الوطنى والقومى سواء عندما أمرناهم بالتوجه إلى رأس الوتده أو عندما أمرناهم بالعودة إلى رأس العرقوب حتى لا يصيب أحدهم جحيم طائراتنا التى أمرناها بدك الطريق إلى مأرب .

وأصدرت أمرا بتقسيم كميات المياه والطعام التى كانت مع القوات المصرية بالتساوى بينها وبين القوات اليمنية التى لم يكن معها فى ذلك الوقت شربة ماء ولا كسرة خبز بعد أن تركت مهماتها ومؤنها كلها فى رأس الوتده .

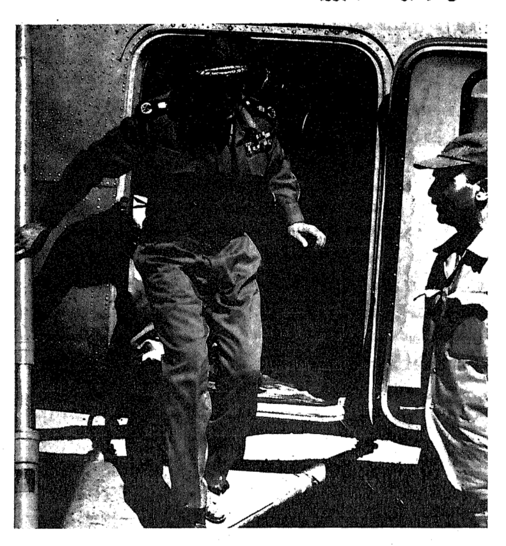
فى نفس الوقت قررت أن أستغل الذعر الذى تعمدت إحداثه فى نفوس المندسين من المرتزقة المتمردين فأرسلت مجموعة سيارات إلى هضبة رأس الوتده لتأتينى بالأسلحة والمهمات التى تركتها قواتنا هناك وهى تجرى مهرولة مع المدرعات المصرية . وقد تم ذلك فعلا واستعدنا هذه الأسلحة والمهمات قبل أن يتكالب عليها المتمردون .

عدت إلى صنعاء وعقدت إجتماعا مع الرئيس السلال لأشرح له تفاصيل ما حدث وانضم إلينا النقيب حسين الدفعى والنقيب محمد قائد سيف وقائد الحرس الوطنى النقيب هادى عيسى ووزير الداخلية النقيب عبد اللطيف ضيف الله الذى كان لا يطيق القوات

المصرية فى اليمن لأسباب حزبية ، فأثار موجه من الغضب على قرار الإنسحاب مما أدى إلى إشعال الإجتماع بثورة عارمة على القيادة العسكرية المصرية ، واقترح محاكمة المسئول عن اتخاذ ذلك القرار لإدانة القائد المصرى الذى اتخذ قراره رغم التنبيه عليه بعدم إتخاذه .

قرر المجتمعون ضرورة محاكمة المسئول عن الإنسحاب ، فقلت لهم أننى أويد القرار بمحاكمته ولكن يلزم إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر الذى يملك وحده سلطة الموافقة على قرار المحاكمة وإتخاذ ما يلزم نحو تنفيذه .

طلب منى الرئيس السلال أن أقوم بصياغة برقية إلى الرئيس جمال تشرح له الموقف وتطالب بمحاكمة المسئول عن قرار الإنسحاب ، فقمت بكتابة البرقية التى وقع عليها الرئيس السلال وسلمها بنفسه إلى النقيب محمد عبد السلام محجوب رئيس قسم الشفرة الملحق لدينا برئاسة الجمهورية .



المشير عبد الحكيم عامر يصل إلى اليمن

٩

وصل إلينا المشير عبد الحكيم عامر والسيد أنور السادات فى اليوم التالى (الأحد ٢ ديسمبر ١٩٦٢) ولم يكن لدينا علم مسبق بوصولهما وتوجها رأسا إلى الرئيس السلال وأمضيا معه نحو ساعه ثم جاءا إلى مكتبى وهما فى قمة الغضب .

سألنى المشير عبد الحكيم عامر قائلا (هل تريد حقا محاكمة المسئول عن قرار الإنسحاب ؟)

قلت : (نعم . ولست وحدى الذى يريد ذلك) .

قال : (إذن حاكم جمال عبد الناصر فهو الذى قرر الإنسحاب) .

قلت : (ليس الرئيس عبد الناصر هو الذى قرر الإنسحاب ، وإنما الذى أرسل إليه تقديرا خاطئا للموقف هو المسئول عن ذلك القرار ، وهو الذى يجب أن يحاكم ، لا سيما أنه أرسل ذلك إلى الرئيس عبد الناصر دون أن يطلعنى عليه وبالرغم من تحذيرى المسبق له من نتائج تلك المعركة قبل الإقدام عليها ، لكنه صمم على دخولها وتحمل نتائجها ثم انفرد بإرسال تقدير خاطىء للموقف إلى الرئيس جمال عبد الناصر) .

قال (هل حذرته من تلك المعركة قبل أن يدخلها ؟)

قلت (نعم ..) ثم شرحت للمشير عامر وأنور السادات ما كتبت فى مذكراتى عن حوارى مع اللواء أنور القاضى يوم الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ وسألت المشير عامر لماذا بادرنى بالسؤال قائلا (هل تريد حقا محاكمة المسئول عن قرار الإنسحاب) ولماذا حصر إرادة هذه المحاكمة فى شخص البيضانى وحده ؟ .

قال المشير إنه عندما التقى مع أنور السادات بالرئيس السلال وعاتباه على تلك البرقية اعتذر عنها قائلا أن الدكتور البيضانى هو الذى أصر على إرسالها إلى الرئيس عبد الناصر فأضطر ، أى السلال ، إلى التوقيع عليها أمام إصرار نائبه المسئول عن المعركة .

استطرد المشير عامر قائلا أنه إستدعى النقيب محمد عبد السلام محجوب وأطلع على أصل تلك البرقية ووجد أنها فعلا بخط البيضانى وأنها تحمل فقط توقيع السلال فصدق روايته .

عجبت من أمر هذه الرواية وشرحت للمشير عامر وأنور السادات ما دار فى الإجتماع الذى تقرر على إثره إرسال تلك البرقية .

تألم المشير عامر عندما شرحت له ذلك وأبدى سخطه على اللواء أنور القاضى كما أبدى استياءه من اسلوب السلال فى التخلص من المسئولية وتزييف الحقائق ثم قال إن ما مضى قد إنقضى ، والأهم من ذلك أنه يجب علينا أن نسعى إلى إنشاء جيش قبلى لحماية صنعاء من تقلب أمزجة القبائل المحيطة بها واقترح أن أسافر إلى منطقة البيضاء لنجمع أكبر عدد من قبائل البيضاء وما حولها بعد أن ثبت ولاؤهم للجمهورية وتأكدت صلابتهم فى القتال .

وافقت على اقتراح المشير عامر ، وحددت اليوم التالى موعدا للسفر وأبرقت إلى محافظ البيضاء الشيخ صالح الرويشان وقائدها حسين الرصاصى بموعد وصولى بالطائرة إلى مطار ذى ناعم الذى يبعد عن المدينة بنحو أربعين كيلو مترا وهو عبارة عن أرض ممهدة وليس مطارا .

استدعيت وزير الطيران اليمنى وعضو مجلس قيادة الثورة عبد الرحيم عبد الله وكلفته بمرافقتى إلى البيضاء لأنه يعرف الأرض الممهدة فى ذى ناعم منذ أن كان طيارا مع الإمام ، فقال إننا يجب علينا أن نبدأ رحلتنا مع أول ضوء فى النهار حتى نصل إلى البيضاء قبل انتشار الضباب الذى يغطيها بعد شروق الشمس بثلاث ساعات .

اعتبرت أن صحبتى للزميل الصديق عبد الرحيم عبد الله فى هذه المهمة الرسمية التاريخية سوف تحسن صورته أمام السلال الذى كان يلح على عزله بسبب نشاطه فى تعز الذى وصفه السلال بأنه نشاط طائفى عندما كان يردد فى الإجتماعات العامة شكاوى أفراد الحرس الوطنى من أبناء الطائفة الشافعية ضد قائدهم الزيدى هادى عيسى ، الذى كان يقال عنه فى ذلك الوقت أنه يزج بكتائب الحرس الوطنى فى كمائن تفتك بهم وتقضى عليهم عن بكرة أبيهم لأسباب طائفية لا علاقة لها لا بالجمهورية ولا بالإمامة .

وكانت الشكاوى قد كثرت ضد النقيب هادى عيسى دون أن يتوفر لدينا دليل قاطع على إدانته غير تكرار إبادة عدة كتائب من الحرس الوطنى فى مناطق ليس عليها للمتمردين من سلطان .

وكنت كلما كلفت وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله بالبقاء معنا فى صنعاء لممارسة عمله فى المطار الحربى لا يلبث أن يعود إلى بيته فى تعز بحجة أن قائد الطيران المصرى المقدم على منصور لا يطلعه على سير المعارك الجوية .

وكان كلما أعتذر بهذا العذر كنت أصحبه معى إلى المطار الحربى وأصدر تعليماتى أمامه إلى المقدم على منصور ألزمه فيها بأن تكون جميع أوامر ضرب الطيران بتوقيع وزير الطيران اليمنى ، لكنه رغم ذلك كان يفضل البقاء فى تعز مما أثار حفيظة السلال وأثارنى فى نفس الوقت لأنه حملنى عبء الدفاع عنه أمام السلال بغير عمل إيجابى يبرر ذلك الدفاع ، أو يزيل الغموض فى موقفه الذى كان يفسر أحيانا بأنه خوف من التواجد فى صنعاء التى لا ينقطع فيها إطلاق الرصاص .

طلب عضو مجلس قيادة الثورة الزميل عبد القوى حاميم أن يصاحبني فى رحلتى إلى البيضاء التى وصفها بأنها خطرة بعد أن أوضح له الزميل عبد الرحيم عبد الله بأن أى خطأ فى اتجاه الطائرة فوق منطقة البيضاء سوف يعرضها للمدافع البريطانية فى منطقة مكايرس المجاورة لها ، شكرت للزميل عبد القوى حاميم شعوره الصادق ووافقت على طلبه الذى انضم إليه الأستاذ محمد نصر مندوب صوت العرب والشيخ سالم حسين الرماح شيخ مشايخ البيضاء وأفراد حرسى الخاص .

ليلة سفرى إلى البيضاء ، ذكرنى الرئيس السلال بأن أحضر معى محافظها الشيخ صالح الرويشان الذى كان ولاؤه للجمهورية مشكوكا فيه والذى حال القدر دون قيام الشهيد الأستاذ على محمد الأحمدى بإحضاره إلى صنعاء على النحو السابق شرحه فى هذا الكتاب .

فى طريقى إلى مطار صنعاء مع شروق شمس يوم الإثنين ٣ ديسمبر ١٩٦٢ توجهت إلى مقر القيادة المصرية حيث التقيت بالمشير عبد الحكيم عامر لأطلب منه أن يكون جيش قبائل البيضاء الذى سأقوم بتجميع أفراده أثناء تلك الرحلة ملحقا بصفة مباشرة بالقيادة المصرية ، كى نتفادى الإشاعات التى تدور حول قائد الحرس الوطنى ، والتى أثرت على تدفق المتطوعين إلى الإنضمام إليه ، كما ثبطت عزيمة قبائل اليمن الأسفل وقبائل المشرق بعد أن كانت تندفع بكل ثقلها إلى المشاركة فى المعركة تأييدا للثورة .

استجاب المشير عامر لطلبى وزاد عليه أن القيادة المصرية ستتكفل بجميع إحتياجات جيوش القبائل التى تضع نفسها فعلا فى خدمة المعركة ، ونصحنى بالإتفاق مع الرئيس السلال على التحقيق سرا فيما ينسب إلى قائد الحرس الوطنى .

وصلت إلى مطار صنعاء متأخرا عن موعدى بمقدار الساعة التى قضيتها مع المشير عامر فأبلغنى وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله بأنه ينصح بتأجيل السفر إلى اليوم التالى . أعتذرت عن عدم قبول هذه النصيحة حيث كنا فى سباق رهيب مع الزمن ، والموقف العسكرى بدأ ينهار فى عدة جبهات نتيجة الدعايات المعادية التى جسمت أخبار إنسحاب القوات اليمنية المصرية المشتركة والمدرعة أمام تجمعات المرتزقة والمتمردين فى رأس الوتده ، والتى أحيت الأمل لدى أعداء الجمهورية فى إمكانية إستعادة سلطان الإمامة .

طارت الطائرة ، وبعد ربع ساعة من إقلاعها جاءنى وزير الطيران يكرر نصيحته بعد استئناف تلك الرحلة تفاديا للمجازفة بحياة جميع ركاب الطائرة فاعتذرت له للمرة الثانية لنفس الأسباب التى شرحتها له فى المرة الأولى .

وبعد خمس دقائق جاءنى الطيار المصرى أحمد نوح (وزير الطيران المصرى فيما بعد) ، الذى سبق أن طار بى من القاهرة إلى صنعاء فى رحلة الموت المذكورة فى هذا الكتاب ، وقال لى أن وزير الطيران أمره بالعودة إلى صنعاء ، فطلبت منه مواصلة الطيران إلى البيضاء .

وبينما كنت مشغولا فى الحديث مع الشيخ سالم حسين الرماح بشأن إنشاء جيش قبلى من رجال البيضاء ومراد وعبيدة وبقية المناطق الشرقية إذا بالطائرة تهبط فى المطار الذى حسبته مطار ذى ناعم فى البيضاء فإذا به مطار الروضة فى صنعاء .

كان ذلك بناء على أوامر مشددة أصدرها وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله إلى قائد الطائرة الذى فضل فى قرارة نفسه الإستجابة إليها . فتحت باب الطائرة وقلت لجميع من كانوا معى أنهم أحرار فى إختيار قرارهم لأننى عازم على مواصلة السفر إلى البيضاء . ولم ينزل من الطائرة سوى وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله وأصر الباقون على أن يظلوا معى يشاركون مصيرى .

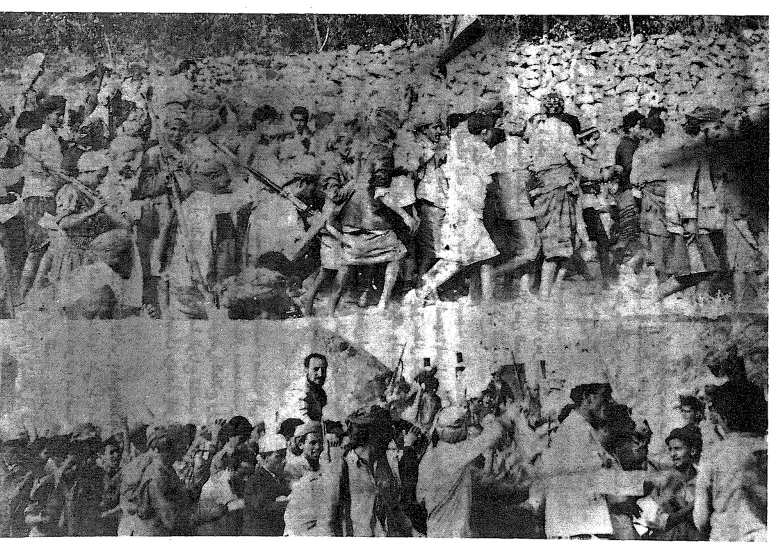
توجهت الطائرة نحو البيضاء بعد أن هرب منا دليلنا ومرشدنا واحتمى فى صنعاء ، وعندما وصلنا فوق مدينة البيضاء لم نعثر على الأرض الممهدة فسألنا موظف اللاسلكى بالمدينة عن مكان المطار فأجاب بأنه يبعد نحو خمسين كيلومترا فى شمال غرب الموقع الذى كنا نتحدث إليه منه .

طرنا إلى المكان الذى حدده لنا ولم نجد الأرض الممهدة فعدنا نسأله مرة أخرى فأرسل إلينا إشارة يصرخ فيها قائلا أننا كنا فى ذلك الوقت فوق مطار مكايرس البريطانى ، وحدد لنا مرة أخرى مكان الأرض الممهدة فاتجهنا إلى هناك ولم نجدها .

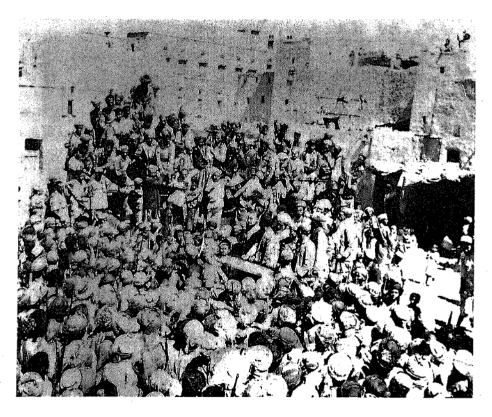
طلبت من قائد الطائرة أن يطير على مستوى منخفض لعلنا نرى ذلك المكان الممهد ، وعندما انخفضنا بالطائرة لاحظنا تجمعات أشبه بعش النمل فطلبت منه الإنخفاض أكثر وأكثر حتى رأينا تجمعات المستقبلين فهبطت الطائرة وسط حشود الألوف من أبناء تلك المنطقة .

كان هذا الاستقبال أشبه باستقبال منطقة تعز . وعندما وصلت إلى ساحة المؤتمر الشعبى الذى أعده المسئولون فى البيضاء أبلغنى الأستاذ محمد نصر مندوب صوت العرب بأن الملك سعود قد غادر ارض الرياض إلى سويسرا للعلاج وأن راديو مكة قد أذاع فى بيان الحكومة السعودية أن الملك قد سجل كلمة الوداع للشعب السعودى ، كما أبلغنى بأن وكالات الأنباء قد أكدت أن شقيقه الأمير فيصل بن عبد العزيز قد تولى كل سلطات المملكة .

أثلجت هذه الأخبار صدرى لأنها رجحت عندى إقترابنا من إعادة العلاقات الحسنة مع المملكة العربية السعودية ، والتى كان من الصعب إعادتها على يد الملك سعود الذى تورط فى الإعتداء علينا فأجبرنا على الرد عليه ، وكنت أعرف شخصية الأمير فيصل المتطلعة إلى الإصلاح والتى كثيرا ما تحدثت عنها مع المستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى فى اليمن ونحن نستعرض فرص السلام والإستقرار فى شبه الجزيرة العربية .



فى الطريق من مطار ذى ناعم إلى مدينة البيضاء



المؤلف يلقى كلمة فى أحد المؤتمرات الشعبية فى البيضاء ، وعلى يساره الشيخ عبد القوى حاميم عضو مجلس قيادة الثورة .

وفى المؤتمر الشعبى فى مدينة البيضاء تحدثت عن السلام الذى ننشده مع جميع جيراننا والإستقرار الذى نسعى إلى تحقيقه حين نعمل من أجل تحقيق أهداف الثورة التى تريد الإرتقاء بمستوى معيشة الشعب اليمنى فى إطار الشريعة الإسلامية التى تكفل تحقيق الديمقراطية والحرية الشخصية وتكافؤ الفرص والعدالة والمساواة بين جميع أبناء اليمن . ثم تمنيت لوكان ممثلو دول العالم معى فى هذا المؤتمر الشعبى ليشهدوا كيف احتشد أكثر من مائة ألف رجل مسلح من رجال قبائل المنطقة الشرقية يهتفون للثورة ويطالبون بالإشتراك فى الدفاع عن حكومتها الجمهورية .

فى المساء سلمنى الشيخ سالم حسين الرماح رسالة من الأمير جعبل بن حسين شقيق السلطان صالح بن حسين العوذلى سلطان إمارة العواذل الواقعة تحت الإحتلال البريطانى والملاصقة لمحافظة البيضاء ، وكان جعبل يقوم بإدارة هذه السلطنة نيابة عن شقيقه . كان مضمون الرسالة أنه يريد أن يصل لمقابلتى لإعلان ضم سلطنة العواذل إلى الجمهورية العربية اليمنية ، فأرسلت إليه أهنئه على شجاعته وأشيد بمشاعره الوطنية ، غير أننى نصحته بعدم الوصول لمقابلتى وعدم إعلان ما يسعى إلى إعلانه ، لأننا ونحن نسد الثغرات على أعداء الجمهورية لتثبيت قواعدها فى أعماق أرض اليمن لا يحسن بنا أن نفتح معركة حامية مع بريطانيا وبعض أمراء وسلاطين جنوب اليمن المحتل ، وطلبت منه أن يغلق حدود سلطنته فى وجه أى تسلل للمتمردين والمرتزقة ، وفى وجه تهريب



جانب من المؤتمر الشعبى فى البيضاء

السلاح إليهم داخل الأراضى اليمنية الجمهورية ، وقلت له أن الوقت المناسب سوف يأتى وسوف يعود كل جنوب اليمن المحتل إلى أمه اليمن بحدودها الطبيعية بغير حاجة إلى الدخول مع بريطانيا فى معارك حربية .

أمسيت تلك الليلة فى البيضاء وقبل أن أوى إلى فراشى وصلتنى برقية من الرئيس السلال يعبر فيها عن لومه الشديد وعتاب المشير عامر وأنور السادات لأننى لم أرسل إليهم برقية أشعرهم فيها بوصولى إلى البيضاء بعد أن برر لهم وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله تركه لطائرتى مؤكدا لهم أننى ومن ظلمتهم معى سوف نهلك لا محالة .

لاشك فى أننى قد أخطأت حين وصلت إلى البيضاء ولم أشعر الرئيس السلال بوصولى سالما ، وكان عذرى أننى تهت بين أمواج الجماهير التى حملتنى من مطار ذى ناعم حتى مدينة البيضاء وأخذت ألقى الكلمات تلو الكلمات فى وفود القبائل التى لم ينقطع وصولها حتى أويت إلى فراشى فاستلمت برقية السلال الذى فشل طول اليوم فى الإتصال بى عن طريق جهاز اللاسلكى فى البيضاء حيث كان الموظف الذى يقوم بإدارته مشغولا بمتابعة المؤتمرات الشعبية وملازمتى أثناء إلقاء كلماتى فى وفود القبائل ، فلم يعرف السلال شيئا عن وصولى إلى البيضاء إلا من إذاعة صنعاء عندما بدأت تذيع أول رسالة للأستاذ محمد نصر مندوب صوت العرب الذى وصف فيها مشاهد إستقبالى فى المطار وكلماتى فى المؤتمرات الشعبية وأحاديثى مع وفود القبائل .

وسط عشرات الألوف من رجال القبائل المسلحين من أبناء البيضاء وسائر أنحاء المنطقة الشرقية أبلغت محافظ البيضاء الشيخ صالح الرويشان رغبة الرئيس السلال فى وصوله معى إلى صنعاء لإستشارته فى بعض الأمور وأكدت له ثقتى الشخصية فى ولائه للثورة مما يجعلنى أفضل أن يعمل معنا فى صنعاء من أجل تطهير منطقة خولان المتمردة التى ينتمى إليها .

عدت إلى صنعاء ووجدت الرئيس السلال ثائرا على تصرف وزير الطيران عبد الرحيم عبد الله الذى وصفه بعدم تقدير المسئولية ، وافتقاره إلى الحد الأدنى من الشجاعة التى يتطلبها منصبه كوزير للطيران ، ولم يكن فى وسعى تبرير سلوكه الذى انتقده كل من عرف أنه هرب من رحلة البيضاء وتسبب فى إحداث المزيد من تأخير الطائرة عندما أمر قائدها بالعودة إلى صنعاء من منتصف الطريق متجاهلا الأمر الذى أصدرته إليه بمواصلة الطيران إلى البيضاء .

وافقت على إلغاء منصب وزير الطيران وتعيين الطيار عبد الرحيم عبد الله مديرا للطيران المدنى ، لكننى تمسكت باحتفاظه بمنصبه عضوا فى مجلس قيادة الثورة احتراما للدور الذى أداه قبل قيامها .

جاءنى الزميل محمد قائد سيف وأبلغنى بأن الزميل عبد الرحيم عبد لله قد أقدم على الانتحار عندما علم بقرار إلغاء منصبه كوزير للطيران وطلب منى محاولة تعيينه فى منصب وزارى آخر ، فقلت أنه ليس من طبيعة عبد الرحيم عبد الله أن ينتحر لأنه أعصابه الضعيفة لا تساعده على ذلك ، ومع أننى أسلم بأنه فى غاية الضيق إلا أننى

(كصديق) لا أستطيع أن أصنع من أجله شيئاً أكثر من الاحتفاظ له بمنصبه عضوا في مجلس قيادة الثورة ، أما إبعاده عن مجلس الوزراء فإنه ليس آخر المطاف على الأرض ففى وسعه أن يستعيد حسن الظن به عندما يقوم بأعمال إيجابية ثورية تؤهله إلى الصعود مرة أخرى على سطح تاريخ اليمن .

غير أن الزميل عبد الرحيم عبد لله رفض البقاء فى اليمن بعد اشتهار رغبته فى الانتحار وفضل أن يلحق بعديله (نسيبه) عبد الله جزيلان الذى اختار الإقامة فى فندق هيلتون فى القاهرة على حساب الحكومة اليمنية رغم تعيينه وزيرا للدفاع .

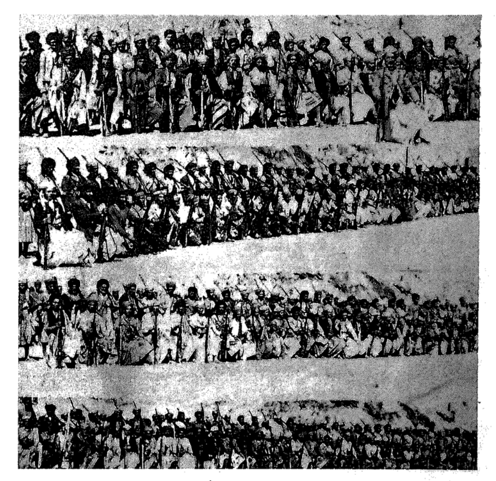
اقترح الزميل محمد قائد سيف تعيين عبد الرحيم عبد الله سفيرا فى الخارج ففوضته فى أن يتركه يختار البلد الذى يرغب العمل فيها فاختار إيطاليا وأصدرت قرارا بتعيينه سفيرا لدى حكومتها .



من اليمين النقيب محمد قائد سيف فالشيخ عبد القوى إبراهيم حاميم ثم الطيار عبد الرحيم عبد الله من أعضاء مجلس قيادة الثورة



من اليمن الشيخ صالح علوى القربى فالنقيب السيد محمد حسين الشامى رئيس حرس المؤلف ثم المؤلف فالشيخ عبد القوى حاميم عضو مجلس قيادة الثورة . وقف أمام المؤلف الأطفال الذين قدموا إليه باقة زهور باسم أهالى منطقة البيضاء .



جانب من الحملة العسكرية التى جهزها المؤلف أثناء زيارته لمدينة البيضاء لإرسالها للدفاع عن صنعاء والحدود الشمالية .

انذار البيضاني :

وصل مساء امس الى مطار مدينة البيضاء الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس الجمهورية العربية اليمنية ووزير خارجيتها .

وكان فى استقباله جمهور غفير من المواطنين كما خرج ابناء القبائل المجاورة فى مظاهرة شعبية رائعة تهتف للثورة اليمنية والجمهورية العربية اليمنية والرئيس السلال والدكتور البيضانى .

واخذ المتظاهرون يهتفون فى حماس حار للقومية العربية والوحدة العربية والجمهورية العربية اليمنية ورئيسها البطل الزعيم عبد الله السلال ورفاقه الاحرار .

ووصلت المظاهرة الى مبنى دار الحكومة بالبيضاء حيث عقد المتظاهرون مؤتمرا شعبيا ضخما ثم وقف الدكتور البيضانى والقى خطابا هاما

وقال الدكتور البيضانى فى خطابه .. لقد صبرنا كثيرا على بريطانيا التى حاولت خداعنا أول الثورة بالكلام المعسول وكنا نود أن تقوم الصداقة من اجل السلام وتعاون الشعوب. ولكن بريطانيا بدلا من أن ترد على هذه اليد الممدودة بالصداقة أخذت تتآمر علينا وتوزع السلاح على حاكم بيحان وعلى المتسللين لتثير الفتنه .واضاف الدكتور البيضانى قائلا : لتعلم بريطانيا اننا قد صممنا على الحرية ولن نتهاون أبدا فى حقوقنا وسندافع عن بلادنا بكل مالدينا من جهد .

صحيفة المساء ٤ ديسمبر ١٩٦٢

١٠

أذاع راديو لندن فى يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر ١٩٦٢ تصريحا للمستر بيتس رئيس الوفد البريطاني البرلماني الذى زار اليمن قال فيه (أنه لا توجد فى اليمن مدينة أو قرية أو أى مكان له أهمية عسكرية أو سياسية لا تسيطر عليه حكومة الثورة ، وإنه لم يشاهد أثناء زيارته أى دليل يؤكد الإدعاءات التى يذيعها راديو عمان وراديو الرياض عن القوات المزعومة للإمام البدر المخلوع ، وإنه يعكف على إنهاء تقريره إلى الحكومة البريطانية عن زيارة الوفد لليمن) .

فى يوم الأربعاء ٥ ديسمبر ١٩٦٢ قرر الرئيس عبد الناصر الإستجابة إلى نداء الرئيس الجزائرى أحمد بن بيلا وقدم للجزائر معونة إقتصادية عاجلة بعد أن أعلن رئيسها أن أربعة ملايين ونصف مليون مواطنا أصبحوا بغير مورد رزق بعد الثورة وكانت هذه المعونة عبارة عن قرض قيمته عشرة ملايين جنيها بدون فوائد ولمدة اثنتى عشرة سنة يبدأ تسديده بعد سنتين . وكانت مصر قد سبق أن قدمت للحكومة الجزائرية مرتبات قواتها المسلحة عند بداية إستقلالها قبل ذلك ببضعة أشهر .

فى نفس ذلك اليوم إنهارت عدة جبهات عسكرية أمام الضغط المتزايد من جانب المتمردين والمرتزقة وتحول ولاء بعض القبائل المحيطة بصنعاء ، التى أثر فى معنويتها إنسحاب القوات اليمنية المصرية المشتركة فى منطقة رأس الوتده ، الأمر الذى شجع المتمردين على تهديد قواتنا الضاربة فى رأس العرقوب .

وضح بجلاء تأثير العامل النفسى على رجال القبائل الذين أصبحوا يرجحون فشل الجمهورية ، لا سيما أنهم كانوا يتلقون سيلا من رسائل الإثارة التى كان رؤساء وشيوخ القبائل الذين أبعدهم السلال إلى مصر يكتبونها إليهم يطالبونهم برأس السلال ، ولا بأس إذا لحقتها أو سبقتها رأس البيضانى ، وكان وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى لا يقصر فى دفع أياديهم إلى رقبتينا ، بينما كان النقيب هادى عيسى قائد الحرس الوطنى متفرغا لإبادة المئات من الجمهوريين من رجال الحرس الوطنى من أبناء المنطقة الشافعية لأغراض طائفية خدم بها أعداء الجمهورية ، وبذلك نجح فى إغضاب الكثيرين من قبائل المنطقة الشرقية ومنطقة الحجرية وجنوب اليمن المحتل حتى عزفوا عن التطوع للقتال من أجل حماية صنعاء التى تزايدت هجرة أهلها . وكان السلال لا يصدق الإتهامات التى وجهت إلى النقيب هادى عيسى فأصر على إبقائه فى منصبه .



المؤلف يلقى خطابا فى مؤتمر شعبى فى أحد المواقع الأمامية ، يقف عن يمينه العقيد (الفريق فى وقت لاحق) حسن العمرى عضو مجلس قيادة الثورة ووزير المواصلات ، وعلى يساره الأستاذ محمد نصر مندوب إذاعة صوت العرب يحمل الميكروفون وجهاز التسجيل لإذاعة وقائع المؤتمر على العالم

وكانت القبائل المحيطة بصنعاء أمثال قبيلة بنى حشيش تتسلم الأسلحة والذخيرة والأموال من السلال ثم لا تظهر مطلقا فى ساحة القتال دفاعا عن صنعاء العاصمة مما دفع السلال إلى إقتراح نقل العاصمة إلى تعز كما كانت خطة الأحرار القدامى السابق نشرها فى هذا الكتاب .

لم أوافق السلال على نقل العاصمة من صنعاء ، ورفضت رأيه بشدة ، إذ أننا ونحن فى خضم المعركة السياسية الدولية فأن نقل العاصمة من صنعاء سوف يعتبر شهادة بوفاة الثورة والجمهورية فى المنطقة الشمالية ، الأمر الذى يهز كيان القبائل الشمالية المؤيدة للثورة كتلك القبائل الباسلة التى كان يتولى قيادتها الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ، كما يؤدى إلى انهيار جميع جبهات القتال فى جميع مناطق الشمال ثم يؤدى إلى اتحاد كلمتها ضد الثورة وإستدعاء البدر والخضوع لقيادته فى حرب طائفية لا هوادة فيها ضد الجمهورية التى تتخذ من تعز الشافعية عاصمة لها ، وعندئذ لن يقبل عبد الناصر أن يتورط فى موقف ينتهى به إلى معركة دفاعية يرفع فيها خصوم الجمهورية شعارات طائفية .

المؤلف يرفض اقتراح السلال بنقل العاصمة من صنعاء إلى تعز



فى الطريق إلى إحدى المعارك للدفاع عن العاصمة فى صنعاء

اقتنع السلال بكل هذه المحاذير ووافقنى على البقاء فى صنعاء مدافعين عنها ومستعدين للشهادة من أجلها ، وبدلا من التماسى الآمان فى تعز أرسلت برقية إلى عبد الناصر أطلب فيها وصول زوجتى وأولادى الأطفال من القاهرة إلى صنعاء حتى يشعر أهلها بأننى وأنا المشرف على المعركة الحربية لا زلت أشعر بالإطمئنان على حياتى وحياة زوجتى وأطفالى فوق أرضها الطاهرة .

أرسلت هذه البرقية يوم الأربعاء ٥ ديسمبر ١٩٦٢ ووصلت زوجتى وأطفالى إلى صنعاء يوم الجمعة ٧ ديسمبر ١٩٦٢ وقد تعمدت إذاعة خبر وصولها من إذاعة صنعاء كما نشرت صحيفة الأهرام ذلك الخبر فى نفس اليوم رغبة فى إحداث الأثر المعنوى المقصود وقالت الأهرام (حرم عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس جمهورية اليمن تطير من القاهرة اليوم إلى صنعاء لتستقر إلى جانب زوجها) .

وكان فى وداعها فى مطار القاهرة السيد أنور السادات والسيدة حرمه .

سلمتنى زوجتى رسالة بخط السادات (الوثيقة رقم ٢٦) يبلغنى فيها بأنه قرر إعادة المشايخ اليمنيين إلى اليمن حيث لم يستحسن الإبقاء عليهم فى مصر رغم إصرار السلال الذى كان قد أمر بإعادتهم إلى القاهرة عندما كانوا فى الجو على الطائرة فى طريقهم إلى صنعاء ، مما أثار المزيد من غضبهم عليه .

كذلك أبلغنى السادات فى هذه الرسالة أنه سوف يرسل الىّ مفروشات لتأثيث البيت الذى استأجرته فى صنعاء بعد أن أصدرت قرارا جمهوريا بإخلاء القصر الجمهورى من جميع النزلاء وفى مقدمتهم رئيس الجمهورية ونائبه ، حتى تستقل كل وزارة بطابق كامل من طوابق القصر الجمهورى فنبدأ عصر النظام الإدارى الحضارى لأول مرة فى تاريخ اليمن .

وكان القصر الجمهورى قبل هذا القرار محشورا بالضيوف اليمنيين الذين كانوا يصلون إلى صنعاء لتأييد الثورة ثم يطيب لهم المقام إلى جوارنا فى القصر الجمهورى .

فأردت أن أضرب المثل للجميع بادئا بالسلال والبيضانى .

ولم تكن هناك مشكلة فى إقامة السلال فى بيته عندما ينتقل معى من غرفتنا المشتركة فى القصر الجمهورى . وإنما كانت المشكلة تخصنى وحدى حيث كنت مضطرا إلى إستئجار بيت من طابقين فى صنعاء تولى أمين عام رئاسة الجمهورية تجهيزه باللوازم الضرورية لإعداد غرفة نوم وغرفة إستقبال وغرفة طعام من أثاث ومفروشات القصر الجمهورى ، أما الطابق الأرضى فكان مخصصا لرجال الحراسة .

وكان هذا الأمر يثير حساسيتى الشديدة حيث كنت لا أطيق أن يسىء بعض المغرضين تفسير استخدامى بعض أثاث القصر الجمهورى ، ولو بصفة مؤقتة ، رغم أنها كانت فى عهدة وتحت توقيع أمين عام الرئاسة ، فطلبت من السادات إرسال أثاث ومفروشات من

مصر فأرسلها فعلا لكنها عندما وصلت إلى صنعاء طلبها السلال فأعطيتها له ، وطلبت غيرها من السادات الذى وعد فى رسالته بإرسال مثيلها إلى صنعاء للسلال ولى ، ونصحنى فى رسالته بألا أكون شديد الحساسية من هذا الموقف الطبيعى .

كذلك أبلغنى السادات فى رسالته أنه يتكفل بأمر الشيخ سنان أبو لحوم وأنه لا داعى لسفره إلى الصين للعمل سفيرا لديها . وكان معنى ذلك أن السادات مقتنع بوجهة نظرى بالابقاء على الشيخ سنان فى مصر بعيدا عن سيف السلال فى اليمن ، مع تكريمه ومحاولة الإستفادة من قدراته الشخصية فى خدمة الجمهورية .

وفى بداية رسالة السادات لم ينس أن يبلغنى تحيات وتقدير الرئيس عبد الناصر ، كما أبلغنى رجاء المشير عامر أن أعين الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وزيرا تقديرا لجهوده التاريخية فى الدفاع عن الجمهورية حيث كان يقود القبائل الشمالية فى حرب العصابات الإمامية . وأذكر أننى عندما هممت بإعداد القرار الجمهورى بتعيين الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وزيرا للدولة وقائدا للمقاومة الشعبية وأرسلته إلى الإذاعة إعترض السلال عليه قبل إذاعته بنصف ساعة ، بدعوى أنه لا يريد أن يفتح شهية رؤساء القبائل فى الإشتراك فى السلطة السياسية ، وكانت وجهة نظره على نقيض ما كنت أصر عليه من وجوب تحريك جميع الطاقات الشعبية للدفاع عن الثورة اليمنية وهو ما سبق أن وافقنى عليه السلال نفسه . فاعتذرت للمشير عامر تحت ضغط السلال الذى هدد بالإستقالة إذا تولى أحد المشايخ أى منصب وزارى .

بعد يومين من وصول زوجتى وأطفالى إلى صنعاء وصلتنى برقية من الرئيس عبد الناصر يلومنى فيها على هذا التصرف غير الإنسانى الذى يعرض أسرتى للخطر فى صنعاء المحاصرة ، وطلب إعادة زوجتى وأطفالى إلى مصر ، فاعتذرت شاكرا له شعوره الكريم شارحا أسباب هذا التصرف ، فأرسل برقية أخرى وكررت نفس الإعتذار .

أخذت زوجتى تزور سيدات صنعاء وكثيرا ما كانت ، على غير عادتها ، تصحب معها أطفالى حتى تفسر نساء صنعاء ابتسامتها ومعها أطفالها بأنها دليل على إستقرار الأحوال العسكرية حول العاصمة ، بل وفى جميع المناطق المحيطة التى تتحكم فى سلامتها . وكانت تستعين فى هذه الزيارات اليومية بوالدة الشهيد عبد الله اللقيه التى سبق أن أصدرت قرارا بتعيينها مشرفة على القصر الذى تم فيه التحفظ على نساء الأسرة المالكة السابقة بعد أن تكررت مضايقات بعض الحراس لهن .

وكانت خطة الثورة أن يتم التحفظ على جميع نساء الأسرة المالكة السابقة فور قيام الثورة حتى لا يتكرر منهن ما فعلن بعد إنقلاب الثلايا سنة ١٩٥٥ عندما قمن بقص شعورهن وإرسال الرسل والرسائل إلى رجال القبائل يستنجدن بهم لإنقاذ من أدعين بأنهن من بنات الرسول . فهب رجال القبائل بضرب الإنقلاب بصرف النظر عن أهدافه السياسية وبواعثه الوطنية ، إكراما للرسول ﷺ ، كما سبق شرحه فى هذا الكتاب .

كان ذلك درسا من الدروس التى استخلصتها من إنقلاب ١٩٥٥ وتحاشيت تكرارها فى ثورة ١٩٦٢ .

وبعد أن كثرت شكاوى نساء الأسرة المالكة السابقة من مضايقات رجال الحراسة ، ولم تستطع والدة الشهيد عبد الله اللقيه حمايتهن من تلك المضايقات ، أصدرت قرار بنقلهن إلى مصر مع توصيتى للرئيس جمال عبد الناصر بالمحافظة على راحتهن أثناء إقامتهن فى مصر على حساب الحكومة اليمنية .

كان عددهن يتجاوز عدة عشرات وعندما وصلن إلى مصر على طائرات الأنتينوف ، أمر جمال عبد الناصر باستضافتهن فى قصر انطونيادس بالاسكندرية على حساب الحكومة المصرية .



رجال القبائل الجمهوريين فى طريقهم إلى إحدى المعارك لحماية العاصمة صنعاء .

١١

تفاقمت شكاوى رجال الحرس الوطنى من قائدهم النقيب هادى عيسى الذى قالوا عنه أنه كان يسرف فى إيذائهم والكيد لهم لأسباب طائفية ، وأنه كان يقوم بتسليحهم فى بعض الأحيان بنوع من الأسلحة مع تزويدهم بذخيرة لا تتفق معها ، وإنه كان فى أحيان أخرى يسوقهم إلى كمائن قريبة من صنعاء حيث يتم القضاء عليهم حتى انطلقت الشائعات فى صنعاء بأن المناطق المحيطة بها قد سقطت فى إيدى أعداء الثورة على خلاف الحقيقة . وكان ذلك سببا من أسباب الذعر الذى كان يخيم على العاصمة ، بقدر ما كان عاملا من عوامل التردد التى ضاعفت من إحجام الكثيرين عن التطوع فى الحرس الوطنى مما ترك القيادة العسكرية المصرية وكأنها وحدها فى ساحة القتال دفاعا عن الثورة .

أقنعت السلال بأن يستبدل قائد الحرس الوطنى النقيب هادى عيسى بشخص آخر ، سواء كانت الشكاوى التى وصلتنا عنه صادقة أو مبالغا فيها . وافق السلال على ذلك وأصدر قرارا بتعيين العميد محمد عبد الواسع نعمان قائدا للحرس الوطنى وترقية النقيب هادى عيسى إلى رتبة مقدم وتعيينه قائدا لأحد المواقع العسكرية الأمامية ، وأبلغنا هذين القرارين لكل منهما .

عندما توجه العميد محمد عبد الواسع نعمان إلى مقر الحرس الوطنى لمباشرة عمله تنفيذا لقرار الرئيس السلال رفض المقدم هادى عيسى تمكينه من ذلك وأمر بإخراجه من ثكنات الحرس الوطنى وأنذره بأنه سوف يطلق عليه الرصاص إن هو عاد مرة أخرى إلى ثكنات الحرس .

وجاء هادى عيسى إلى مكتب الرئيس السلال حيث كنا ندرس التطورات الحربية المفاجئة ، وقال موجها كلامه للرئيس (هل تريد أن نتعازل ؟) أى هل تريد أن يعزل كل منا الآخر ؟ . ثم قال (أنا لن أترك الحرس الوطنى إلا إذا تركت سيادتك رئاسة الجمهورية) .

ضحك الرئيس السلال الذى اعتبر ذلك مجرد دعابة من هادى عيسى ووافقه على الإستمرار فى منصبه قائدا للحرس الوطنى بعد أن أوصاه برعاية رجاله . وعندما خرج هادى عيسى قال لى أننا يجب أن نتحلى بالمرونة حتى لا نخسر أصدقاءنا . قلت للسلال أننى أتفق معه على مبدأ المرونة والحفاظ على الأصدقاء ، لكننى أختلف معه على بقاء مصدر الداء الذى لو تركناه يستشرى ويتفاقم لا ستحال علينا بعد ذلك أن نجد له أى دواء .

اعتبرت موضوع هذا الخلاف أمرا جوهريا يتوقف عليه وضع القوات المصرية فى اليمن ، وهل ستجد نفسها وحدها فى ساحة القتال دفاعا عن الجمهورية التى تفرق رجالها ، بعضهم ذهب فى نزهات رسمية إلى الخارج ويعمل على إثارة القبائل فى الداخل ، وآخرون يستشهدون فى المعركة ، ومنهم من ينتظرون الموت فى سبيل الجمهورية ، لكنهم يرفضون الموت فى كمائن هادى عيسى .

لماذا نعجز عن تصحيح مسار الثورة وترغيب المقاتلين فى الدفاع عنها حتى لو كان هادى عيسى بريئا مما كان منسوبا إليه ؟

تصورت أن هذا الحوار قد وصل إلى مسامع القاهرة فوصل المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات إلى صنعاء يوم الأربعاء ١٢ ديسمبر ١٩٦٢ وكنت فى إستقبالهما فى المطار وصحبتهما رأسا إلى الرئيس السلال حيث بحثنا هذا الموضوع من جميع جوانبه وتم الإتفاق على أن يتولى الرئيس السلال بنفسه البحث عن صحة ما كان منسوبا إلى قائد الحرس الوطنى والإسراع بتغييره إذا ثبت له صحة الإتهامات التى وجهها إليه الكثيرون من رجاله .

غير أننى عندما عدت مع المشير عامر وأنور السادات إلى مكتبى فاجأنى المشير عامر بقوله (يا أخ عبد الرحمن أعطانا الإنجليز والفرنسيون إنذارا مدته إثنتا عشرة ساعة قبل أن يبدأوا عدوانهم علينا سنة ١٩٥٦ وكانوا أعداءنا فكيف رضيت لنفسك وأنت صديقنا أن تعطينا إنذارا مدته ست ساعات فقط ونحن ندفع عنكم عدوان الأعداء ؟)

عجبت من أمر المشير عامر وتذكرت حادثا وقع ظهر اليوم السابق (الثلاثاء ١١ ديسمبر ١٩٦٢) إلا أننى رفضت أن أعلق على عتاب المشير حتى استدعيت اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن فبدأت أشرح تفاصيل ذلك الحادث بحضوره .

قلت أنه فى ظهر اليوم السابق أبلغنى قائد الحرس الجمهورى أن القيادة المصرية أخرجت جميع مكاتب وخزائن الوزارات اليمنية ورئاسة مجلس الوزراء من القصر الجمهورى ووضعت كل هذه المنقولات والملفات فى فناء القصر وأقامت مكانها أدوات ومفروشات لنوم طيارين وصلوا من مصر .

استأت من تصرف القيادة المصرية التى تعود قائدها على إخطارى بوصول الطيارين المصريين قبل وصولهم ، كما تعودت على تكليف السيد محمد المنصور رئيس لجنة الممتلكات المصادرة بتوفير الأماكن اللازمة لإقامتهم فى صنعاء ، فلم يكن اللواء أنور القاضى فى حاجة إلى تصرفه الذى أهان به كرامة حكومة اليمن قدر ما أساء به إلى سمعة مصر ، ووضعنى فى موقف بالغ الحرج أمام الذين يتلمسون الأخطاء المصرية فى اليمن ، فطلبت من اللواء أنور القاضى أن يعيد كل شىء إلى ما كان عليه قبل أن يجتمع مجلس الوزراء الذى كان من المقرر أن يجتمع فى تمام الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم .

حاول اللواء أنور القاضى أن يقنعنى بصعوبة توفير أماكن أخرى لنوم الطيارين المصريين فأكدت له أننى سوف أدبر لهم تلك الأماكن فى نفس ذلك اليوم كما جرت العادة ، فعاد اللواء القاضى محاولا تبرير تصرفه فأوضحت له أن فى مجلس الوزراء عددا من الوزراء الحزبيين لا يتركون فرصة دون استغلالها للتشهير بالمساعدات المصرية لليمن وأنهم لن يجدوا للتشهير بمصر فرصة أكثر من إحتلال القوات المصرية للقصر الجمهورى اليمنى وإلقاء مكاتب الوزراء ومقر مجلس الوزراء فى الطريق العام .

رغم كل ذلك الإيضاح أصر اللواء أنور القاضى على عدم إعادة مكاتب الوزراء إلى مكانها فوقفت خلف مكتبى معلنا إنهاء المقابلة ووجهت إليه أمرا عسكريا بإعادة كل شىء إلى ما كان عليه فى القصر الجمهورى قبل الساعة السادسة مساء ذلك اليوم وهو موعد إنعقاد مجلس الوزراء .

وتم ذلك فعلا واجتمع مجلس الوزراء برئاستى فى موعده وفي مكانه المعتاد بالقصر الجمهورى ولما أراد الزميل المهندس عبد الله الكرشمى وزير الأشغال وهو من اليمنيين الثوريين الوطنيين غير الحزبيين أن يناقش تصرف القائد المصرى حتى لا يتكرر مستقبلا رجوته أن يعتبر ذلك الموضوع كأن لم يكن ، على اعتبار أن خطأ قد وقع فعلا ثم ألزمت القائد المصرى بتصحيحه .

شرحت تفاصيل هذا الحادث للمشير عامر وأنور السادات بحضور اللواء انور القاضى الذى لم يجد مفرا من الإقرار بصحة كل ما جاء فيه رغم أنه هو الذى أبرق إلى القاهرة يشكو مما وصفه بأنه إنذار أعطاه البيضانى للقوات المصرية فى اليمن .

ثار المشير عامر ثورة عارمة على اللواء أنور القاضى ووجه إليه أقسى عبارات اللوم والتأنيب على تصرفه الذى كان سيضع مصر فى موقف خطير تستغله الدعايات العالمية للتشهير بها ، فضلا عن خلق حساسية يمنية ضد المصريين يعجز أعداء الثورة اليمنية أن يخلقوها ولو دفعوا عشرات الملايين ثمنا لها .

توقعت أن يصدر المشير عامر قرارا بنقل قائده من اليمن الذى سبق أن وجه إليه أقسى كلمات اللوم بمناسبة إنسحابه من رأس الوتده ، لا سيما أنه كان له دور فى سوريا أساء إلى مصر قبل الإنفصال ، غير أننى دهشت كثيرا عندما رأيته يداعبه بعد أن عاتبه ثم انتقل إلى الحديث عن تصرفات قائد الحرس الوطنى التى أدت إلى عدول الكثيرين من رجاله عن القتال إلا إذا كان القتال تحت قيادة ضباط مصريين .

وفى اليوم التالى أعاد الرئيس السلال إعلان أهداف الثورة ولخصها فى تحقيق العدالة الإجتماعية وبناء وتعمير البلاد والقضاء على التفرقة العنصرية والطائفية وقد ضغط السلال على إلغاء هذه التفرقة لطمأنة رجال الحرس الوطنى على ظهورهم التى قالوا أنها تطعن من الخلف قبل أن يواجهوا عدوهم الذى كان يقال أنه يتربص بهم من الأمام .

وبينما كنا نتناول طعام الغذاء فى السفارة المصرية بدعوة من المشير عبد الحكيم عامر وصل الرئيس السلال متأخرا عن موعده بنحو نصف ساعة وأبلغنا أنه تلقى برقية من العقيد أحمد الأنسى قائد منطقة تعز يخبره فيها أن شعب تعز الشافعى الذى أثلج صدره إعلان الرئيس السلال القضاء على كل صور التفرقة بين أبناء اليمن قرر منحه رتبة (مشير) وأنه ، أى السلال ، قبل قرار الشعب نزولا على إرادته وأذاع هذا القرار فعلا من إذاعة صنعاء .

لاحظنا أنه كان يضع على كتفيه رتبة مشير التى كان من غير المتصور أن يطلب شراءها من مصر ثم تصل إليه فى صنعاء بينما برقية العقيد الأنسى قد وصلت إليه منذ نصف ساعة فقط ، فسأله المشير عامر عن كيفية حصوله على علامات تلك الرتبة بمثل هذه السرعة . فقال الرئيس السلال أنه عندما دخل إلينا من باب السفارة المصرية وجد معطف المشير عامر معلقا على المشجب الذى بجواره ، فخلع رتبة المشير التى كانت على كتفى هذا المعطف ووضعها على كتفيه قائلا أن لدى المشير عامر علامات أخرى يضعها على كتفى حلته العسكرية التى كان يرتديها فعلا .

ضحك المشير عامر ضحكة لا تخلو من السخرية وسأل السلال عن هرم الرتب العسكرية فى الجيش اليمنى ، وكان المشير عامر يقصد الإشارة من وراء هذا السؤال إلى أن رتبة زعيم (عميد) كانت أعلى رتبة عسكرية يمنية فى ذلك الوقت ، ولا يحملها سوى ثلاثة ضباط فقط هم السلال وحمود الجائفى ومحمد الجرموزى (ضابط متقاعد هرم من بقايا المتحف التركى القديم فى اليمن) .

وكان معنى سؤال المشير عامر أنه حتى تكون فى الجيش اليمنى رتبة مشير يجب أن يكون فى الجيش اليمنى عدد من الضباط يحملون رتبة عميد ثم عدد آخر يرأسهم برتبة لواء وآخرون برتبة فريق وضابط واحد على الأقل برتبة فريق أول وعندئذ يكون هناك ثمة ما يبرر للسلال أن يحمل رتبة مشير . أى أن تسلسل الرتب العسكرية يعتمد على حجم الجيش وعدد تنظيماته الحربية وقياداته العسكرية .

ربما فهم السلال ما قصده المشير من هذا السؤال فقال أن الدكتور البيضانى رفض أن يحمل رتبة فريق أول كما فعل مارشالات روسيا والصين وفيتنام فقد كانوا معظمهم مدنيين تولوا قيادة الثورة الشعبية فأصبحوا مارشالات فى القوات المسلحة ، ثم أضاف أنه سوف يعلن حركة ترقيات فى الجيش اليمنى حتى تنسجم مع رتبة المشير التى منحها له شعب تعز .

كررت أمام المشير عامر أسباب إعتذارى عن عدم قبول أية رتبة عسكرية إكتفاء بـ (رتبة) دكتور فى الإقتصاد والتنظيم والإدارة لأننى أمضيت عمرى أحلم بتحقيق النهضة الحضارية اليمنية والعربية ، وأننى إذا كان القدر قد فرض علىّ أن أتولى قيادة المعارك العسكرية دفاعا عن الثورة اليمنية الشعبية ، فإننى قد اعتبرت ذلك فرضا وطنيا أملته الضرورة وينتهى بإنتهاء أسبابها .

لم يكن المشير عامر يبكى على علامات رتبة المشير التى انتزعها السلال عن معطفه . وإنما كان يرثى تصرف السلال الذى وضع نفسه فى موقف يسخر منه المتابعون لأحداث الثورة اليمنية والمؤرخون لسيرتها . وقد تحققت رؤية المشير عامر عندم علق المؤرخ الأجنبى هارولد انجرامز فى كتابه « اليمن » صفحة ١٣٦ ووصف المشير السلال بقوله أنه (المشير الذى رقى نفسه بنفسه Self promoted Field Marshal Sallal)

اثناء حديث المشير عامر تدفق العرق عل جبين السلال مما جعلنى أنقل الحديث إلى ساحات القتال فقد كان لإنسحاب القوات اليمنية المصرية المشتركة من منطقة رأس الوتده إلى منطقة رأس العرقوب أثر هام أدى إلى نشاط مكثف من جانب الأعداء ، فاستطاعوا قطع طريق الإمدادات الحربية من منطقة جحانة إلى رأس العرقوب كما استطاعوا تطويق رأس العرقوب بقبائل معادية من جميع الجهات ، وبدأت حشود المرتزقة تنطلق من بيجان لاحتلال المنطقة الشرقية الجنوبية ، كما تنطلق من نجران وجيزان لاحتلال المنطقتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية ، علاوة على جيوب المتمردين المنتشرة فى معظم شمال اليمن والضغوط المتواصلة التى كادت تخنق صنعاء .



المؤلف وعلى يمينه المشير عبد الحكيم عامر ثم اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن ، وعلى يسار المؤلف المقدم على شفيق مدير مكتب المشير عامر (داخل طائرة هيليكوبتر لتفقد المواقع الحربية الأمامية) .



المؤلف يصافح المقاتلين فى الجبهات الأمامية ، وخلفه المشير عبد الحكيم عامر ثم اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن .

فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ
ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا

قرآن كريم

نجـــاح سياستنا الـدولية

الفصل الثالث عشر

١

أنذرتنى المعركة العسكرية بأننا على أبواب الفشل فى معركتنا السياسية فأردت أن ألقى بأسهم نارية على الساحة الدولية كى ألفت نظر الحكومة الأمريكية إلى خطورة الموقف فى شبه الجزيرة العربية حتى تتعجل بدورها الذى كنت أحترق شوقا إليه من أجل وقف صراعنا مع خصوم الثورة اليمنية ، فأصدرت يوم السبت ١٥ ديسمبر ١٩٦٢ بيانا قلت فيه :

(إن حلفا عدوانيا قد اكتمل ضد ثورة اليمن ، وإن السلطات البريطانية تقوم بتهريب الأسلحة والأموال إلى الأراضى اليمنية مستخدمة فى ذلك إمارة بيحان بقصد إيفاد المتسللين وتشجيع قطاع الطرق على أعمال التخريب ، وأن هذا الحلف العدوانى قد استعان بالخبراء البريطانيين ويهود اليمن الذين هاجروا إلى إسرائيل منذ احتلال أرض فلسطين) .

وأضفت قائلا أن (ذلك الحلف العدوانى قد أقام مركزين فى نجران وجيزان لتدريب المرتزقة تمهيدا لدفعهم إلى داخل الأراضى اليمنية بعد تزويدهم بالأسلحة التى تنقلها إليهم الطائرات الأردنية التى يقودها طيارون بريطانيون من عمان فى الأردن إلى الطائف فى المملكة العربية السعودية ، حيث تنقلها بعد ذلك الطائرات السعودية التى يقودها طيارون أجانب إلى نجران وجيزان .) .

وختمت إعلان الحكومة اليمنية بقولى :

(إننا لا نستطيع أن نقف مكتوفى الأيدى أمام استخدام السلطات السعودية والأردنية منطقتى نجران وجيزان قواعد للعدوان على اليمن ، وإننا نحتفظ لنفسنا بكامل الحق فى إتخاذ ما نراه من إجراءات للدفاع عن الشعب اليمنى فى مواجهة العدوان ، الأمر الذى لا يخل بما سبق أن أعلناه من قبل بأننا نحترم ونتمسك بجميع المعاهدات والإلتزامات الدولية التى وقعت عليها حكومات اليمن السابقة) . (الأهرام ١٦ ديسمبر ١٩٦٢) .



المؤلف يلقى كلمة جماهيرية لتعبئة الشعور الوطنى للدفاع عن صنعاء

بعد أن أعلنت ذلك البيان زارنى ، كما توقعت ، المستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى وأبلغنى أن الحكومة الأمريكية تفكر جديا فى الإعتراف بالحكومة اليمنية وأنه يرجونى ألا نقدم على أى إجراء عنيف ضد جيراننا حتى لا نعرقل اعتراف الحكومة الأمريكية الذى أوشكت على إعلانه ، وقال أنهم فى واشنطن يبحثون عن الأسلوب الأمثل لإخراج بيان الإعتراف الأمريكي بعد أن رفضت كل من السعودية والأردن الاشتراك فى مؤتمر القمة الذى اقترحته أمريكا .

قلت للقائم بالأعمال أنه لا داعى لأن تجهد واشنطن نفسها فى البحث عن ذلك الأسلوب لأنه فى وسعى بإسم حكومة اليمن أن أعلن ، من جانب واحد ، إلتزامها بجميع ما كان المطلوب من هذا المؤتمر أن يضعه على كاهلها ، مثل رغبتنا فى السلام مع جيراننا وتكريس جهودنا فى شئوننا الداخلية ، وغير ذلك من المبادىء التى نعتنقها فعلا ولا نتطلع عند إعلانها من جانب واحد إلى أكثر من تأكيد حقيقة نوايانا ورغبتنا فى إقرار السلام فى المنطقة .

فى اليوم التالى جاءنى القائم بالأعمال الأمريكي برد الرئيس كنيدى الذى استحسن ألا نعلن شيئا من جانب واحد ، وأن أمريكا تثق فى حسن نوايانا ، وأنه يحسن الإنتظار قليلا من الوقت حتى نعلن ذلك عند إعلان أمريكا إعترافها بالحكومة اليمنية فيكون الإعتراف الأمريكى ردا على البيان اليمنى .

شكرت له نصيحة الرئيس كنيدى الصادقة ووعدته بضبط أعصابنا ما دامت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية سوف ترمى بثقلها لإقرار السلام فى شبه الجزيرة العربية الذى هو إنتصار تاريخى لثورتنا .

فى يوم الأحد ١٦ ديسمبر ١٩٦٢ طار المشير السلال مع المشير عامر إلى الجبهة الشمالية حيث تفقدا المواقع المتاخمة للحدود السعودية التى ادعت إذاعة البدر أنه سيطر عليها ، بينما قمت فى صنعاء بحشد ما أمكننى حشده من قوات من الحرس الوطنى بعد أن أكدت لرجاله حرص الحكومة على تمكينهم من مواجهة أعداء الثورة بأسلحة حديثة وتحت قيادة مكتب العمليات الحربية الذى تم تشكيله برئاسة المشير السلال . والذى كنت أتولى إدارته بنفسى من الناحية الفعلية .

فى يوم الإثنين ١٧ ديسمبر ١٩٦٢ إنعقد إجتماع عسكرى فى مقر القيادة العربية فى صنعاء حضره المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات عن الجانب المصرى وحضرته مع المشير السلال عن الجانب اليمنى ودرسنا فى هذا الإجتماع أبعاد الموقف العسكرى وسياسة حكومة الثورة اليمنية وحكومة الجمهورية العربية المتحدة تجاه الحلف العدوانى (الأهرام ١٨ ديسمبر ١٩٦٢) .

مالم ينشر عن هذا الإجتماع أن المشير عبد الحكيم عامر ألح على ضرورة إزالة ما يشكو منه رجال الحرس الوطنى حتى يمكن تجنيد أكبر عدد ممكن من أبناء الجمهورية اليمنية للدفاع عنها ، وحتى لا تكون الشائعات المعلقة على رأس قائد الحرس الوطنى من العوامل التى يعتمد عليها أعداء الثورة على المدى الطويل . فتعهد السلال بمعالجة هذا

الموقف الحرج بنفسه ، وإن لم يستطع إخفاء شعوره بالضعف الشخصى نحو المقدم هادى عيسى قائد الحرس الوطنى ، مما أشعر المجتمعين بأن عددا من الشخصيات الزيدية تؤيد تصرفات هادى عيسى ضد رجال الحرس الوطنى من أبناء المناطق الشافعية ، سواء كان ذلك لأغراض طائفية أو لمحاولة القضاء على الجمهورية . وكان السلال ضعيفا أمام هذه الشخصيات ولو أنه كان رافضا لهذه التصرفات .

فى نفس ذلك اليوم استدعيت المستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى وأبلغته أن حكومتي اليمن ومصر تلتزمان بضبط النفس وتنتظران من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن تقوم بدورها الطبيعى نحو إيقاف العدوان على اليمن والمساعدة على إقرار السلام فى المنطقة .

زارنى القائم بالأعمال الأمريكى فى اليوم التالى (الثلاثاء ١٨ ديسمبر ١٩٦٢) وأبلغنى رسميا أن حكومته سوف تعترف بحكومة الجمهورية العربية اليمنية فى تمام الساعة الثانية عشر من صباح اليوم التالى أى السادسة مساء بتوقيت صنعاء ، وأبلغنى أن حكومته قد استحسنت إقتراحي بأن أقوم بإسم الحكومة اليمنية بإعلان ما سبق أن عرضت إعلانه من جانب واحد طالما أنه يمثل حقيقة نوايانا ، فقمت فى نفس اليوم (الثلاثاء ١٨ ديسمبر ١٩٦٢) بإذاعة البيان التالى :

(أعلنت الجمهورية العربية اليمنية منذ اليوم الأول للثورة عزمها على تركيز جهودها لرفع مستوى معيشة الشعب اليمنى والسعى إلى إقامة علاقات ودية مع جميع الدول .

ثم اضطررنا خلال الأسابيع الماضية إلى الدفاع عن أراضى جمهوريتنا أمام الغزو الخارجى ونشاط العناصر المرتبطة بالقوى الخارجية التى تمدها بالتأييد والدعم .

وربما حجبت هذه الأحداث المؤسفة جوهر المبادىء والأهداف الأساسية لثورة الشعب اليمنى . لذلك نعلن مرة أخرى أن سياسة الجمهورية العربية اليمنية لا تزال عازمة على إحترام إلتزاماتها الدولية بما فى ذلك جميع المعاهدات التى التزمت بها الحكومات اليمنية السابقة وميثاق الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية .

إننا نرغب فى العيش فى سلام مع جميع جيراننا إلى المدى الذى يشاطروننا عنده هذه الرغبة .. ونطلب من جميع اليمنيين أن يحترموا القانون فى البلاد التى يقيمون على أرضها وسوف نركز جهودنا فى أمورنا الداخلية لتحقيق المساواة بين جميع مواطنينا أمام القانون واستثمار موارد البلاد التى أهملت حتى الآن كى نرفع المستوى الإقتصادى والإجتماعى لجميع أبناء الشعب اليمنى .

وأننا نأمل فى أنه بالعزيمة الصلبة ومؤازرة الدول الصديقة سوف نتقدم نحو هذه الأهداف المقدسة ترعانا عناية الله وتوفيقه .) .

أذعت هذا البيان فى مؤتمر صحفى عالمى فى مكتبى برئاسة الجمهورية بحضور جميع ممثلى الدول العربية والأجنبية في اليمن ، وكان يقف بجوارى المستر روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكي . وبعد أن أعلنت بيان الحكومة اليمنية صرحت (بأننى أجريت مفاوضات مع الحكومة الأمريكية استغرقت أكثر من شهرين وقد انتهت بنجاح تام وأننى أنتظر إعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة الجمهورية العربية اليمنية خلال أربع وعشرين ساعة طبقا للإتفاق الذى تم بيننا ، وأننا سوف نبدأ صفحة جديدة من العلاقات مع الولايات المتحدة كى نتعاون على المستوى العالمى من أجل رفع مستوى شعب الجمهورية العربية اليمنية ، ونشترك بدور فعال فى خدمة السلام العالمى ورفاهية الجنس البشرى) .

على إثر إذاعة بيان الحكومة اليمنية أذاع الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والإرشاد القومى المصرى بيانا باسم حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، كما سبق أن اتفقت عليه مع الرئيس عبد الناصر ، قال فيه :

(تعلن الجمهورية العربية المتحدة تأييدها لكل ما جاء فى البيان الذى أصدرته الجمهورية العربية اليمنية ، وأن الجمهورية العربية المتحدة لتشعر بالفخار إزاء كل ما قامت به تجاه ثورة اليمن منذ الساعات الأولى لإنطلاقها ، حينما قدمت لها على الفور التأييد المطلق تلبية لرغبة الشعب اليمنى الذى تعرض لتحديات شتى من البلاد المجاورة وتمشيا مع الإتفاقات القائمة بين البلدين .

ولقد استطاعت الجمهورية العربية اليمنية اليوم أن تثبت أقدامها فى حزم وأصبحت هى الحكومة الشرعية القائمة فى اليمن ، وأن الجمهورية العربية المتحدة إذ تبدى كراهيتها لإستمرار سفك الدماء ، تعبر فى الوقت نفسه عن إستعدادها لوقف الإشتباك المسلح من جانبها ، وأن تبدأ فى سحب قواتها الموجودة فى اليمن بالتدريج إذا ما انسحبت القوات السعودية والأردنية المشتركة من تأييد الملك المخلوع من مناطق الحدود ، وإذا ما توقفت المساعدات السعودية والأردنية والخارجية للملكيين ، وحينما تطلب منها الجمهورية العربية اليمنية .

وسوف تكون الجمهورية العربية المتحدة عند وعدها إذا ما جرت الأمور بالنسبة لتنفيذ تلك الشروط على هذا النحو) . (الأهرام ١٩ ديسمبر ١٩٦٢)

أمريكا تعلن في السادسة مساء اليوم بتوقيت القاهرة اعترافها بحكومة الثورة في اليمن

واشنطن تقوم بتبليغ صنعاء والقاهرة ظهر أمس - رسميًا - بقرارها وبموعد تنفيذه

الدكتور البيضاني يذيع باسم حكومة اليمن بيانًا عن سياستها والقاهرة تؤكد البيان اليمني وتعززه

الجمهورية العربية المتحدة تسحب قواتها من اليمن بالتدريج عندما نتأكد من زوال كل خطر للعدوان الخارجي ضد اليمن

حدثت امس تطورات سياسية هامة ، فقد اتصلت حكومة امريكا — عن طريق ممثليها الدبلوماسيين — بكل من صنعاء والقاهرة ، وابلغتهما انها ستعلن الاعتراف بحكومة الثورة في اليمن في خلال ٢٤ ساعة .

وفي صنعاء طلب مستر روبرت ستوكي ممثل امريكا في اليمن الاجتماع بالدكتور عبد الرحمن البيضاني نائب رئيس اليمن ووزير الخارجية ، حيث ابلغه القرار في الاجتماع الذي تم بينهما امس .

وفي القاهرة استقبل امس السيد علي صبري رئيس المجلس التنفيذي مستر وليم بوزويل القائم باعمال سفارة امريكا في القاهرة ، بناء على طلب ممثل امريكا الذي ابلغه بان اعتراف حكومته بثورة اليمن سيتم في خلال ٢٤ ساعة .

وعلم مندوب « الاهرام » ان حكومة امريكا ستذيع بيان اعترافها بحكومة الثورة في اليمن في الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم « بتوقيت واشنطون » ، اي في الساعة السادسة مساء « بتوقيت القاهرة » .

بيان لصنعاء يعززه بيان القاهرة

وفي صنعاء اصدرت حكومة اليمن بيانا عن سياستها العامة ، وفي القاهرة صدر بيان يؤكد البيان اليمني ويعززه . وقال بيان القاهرة ان الجمهورية العربية المتحدة لتشعر بالفخار ازاء ما قامت به تجاه ثورة اليمن ، وقال ايضا ان جمهورية اليمن تثبت اقدامها واصبحت الحكومة الشرعية القائمة في اليمن.

وقد اذاع الدكتور البيضاني بيان حكومة اليمن في مؤتمر صحفي حضره ممثل امريكا . وقال البيان الذي صدر ظهر امس:

« ان الاحداث المؤسفة التي نتجت عن العدوان الاجنبي على اليمن كانت سببا في عدم ادراك بعض الجهات لحقيقة المبادئ الاساسية لثورة الشعب اليمني واهدافه .. لذلك اجرينا مفاوضات مع ممثل الولايات المتحدة استغرقت اكثر من شهر ، ثم انتهت هذه المفاوضات بنجاح تام. واننا ننتظر اعتراف الولايات المتحدة بحكومة الجمهورية العربية اليمنية خلال الاربع والعشرين ساعة القادمة طبقا للاتفاق الذي تم بيننا »

واضاف البيان « وبذلك نبدأ صفحة جديدة من علاقتنا مع الولايات المتحدة لنتعاون على المستوى العالمي تعاونا تاما من اجل رفع مستوى شعب الجمهورية العربية اليمنية ، ولنشارك بدور فعال في خدمة السلام العالمي ورفاهية الجنس البشري ».

ثم قال البيان « منذ اليوم الاول لثورة اليمن اعلنت حكومة الجمهورية العربية اليمنية عزمها الاكيد على تركيز جهودها في رفع مستوى معيشة الشعب اليمني وتنمية علاقات الصداقة مع جميع الدول . غير اننا في الاسابيع الماضية وجدنا انفسنا مضطرين الى الدفاع عن جمهوريتنا ضد الغزو الاجنبي وضد العناصر التي بقيت متصلة به تتلقى منه العون والتشجيع.

وربما كانت هذه الاحداث المؤسفة سببا في عدم ادراك بعض الجهات لحقيقة المبادئ الاساسية لثورة الشعب اليمني واهدافه ، وكذلك فاننا نعلن مرة اخرى ان الجمهورية العربية اليمنية ما زالت ثابتة على سياستها في احترام التزاماتها الدولية بما في ذلك جميع المعاهدات التي وقعتها الحكومة السابقة ، كما نعلن تمسكها بميثاق الامم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية ».

وقال بيان جمهورية اليمن في الختام « واننا نأمل ان نعيش في سلام وانسجام مع جيراننا الى المدى الذي يشاركوننا فيه هذا الامل كما ننشد المواطنين اليمنيين المقيمين في المناطق المجاورة ان يحافظوا على القانون والنظام . وسوف نكرس جهودنا في شئوننا الداخلية من اجل تحقيق المساواة بين المواطنين ليكونوا جميعا سواء امام القانون ، كما سنجند انفسنا من اجل رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي للشعب اليمني واستثمار موارد الدولة التي اهملت في الماضي كي ينتفع منها جميع ابناء الشعب . وسوف نخطو قدما نحو تحقيق هذه الاهداف المقدسة بعزيمتنا الصادقة وبمساعدة الدول الصديقة معتمدين على الله الذي سيتوج جهدنا بالنصر والنجاح ».

شروط الجمهورية العربية لسحب قواتها

واذاع بيان القاهرة ، الدكتور عبدالقادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومي . وقال البيان:

« تعلن الجمهورية العربية المتحدة تأييدها لكل ما جاء في البيان الذي اصدرته الجمهورية العربية اليمنية . وان الجمهورية العربية المتحدة لتشعر بالفخار ازاء ما قامت به تجاه ثورة اليمن منذ الساعات الاولى لانطلاقتها ، حينما قدمت لها على الفور التأييد المطلق تلبية لرغبات

الأهرام ١٩ ديسمبر ١٩٦٢

كان المقرر أن تنعقد فى الأمم المتحدة لجنة فحص أوراق إعتماد ممثلى الحكومات الأعضاء فى تلك المنظمة يوم الأربعاء ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ بناء على برقية قمت بإرسالها إلى السكرتير العام للأمم المتحدة أطالبه فيها بطرد ممثل البدر المخلوع الذى يحتل مقعد اليمن بغير وجه حق ، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية أبلغتنى بأنها تفضل تأجيل هذا الموضوع يوما واحدا فقط حتى تعلن إعترافها بنا قبل إنعقاد تلك اللجنة فوافقتها على ذلك وطلبت بإسم الحكومة اليمنية تأجيل إنعقاد تلك اللجنة أربعا وعشرين ساعة ، وكانت تتكون من ممثلى أمريكا والاتحاد السوفيتى وأندونيسيا وكينيا ولبنان ونيجيريا والسلفادور والمكسيك .

وفى صنعاء أعلنت عن إنشاء أول معهد زراعى فى اليمن يتسع لخمسة وثلاثين طالبا لتخريجهم مرشدين زراعيين لتوجيه الزراع فى حقول الإرشاد النموذجية التابعة لوزارة الزراعة وإعتماد خطة وزارة الصحة الخمسية بإنشاء إدارتين للطب العلاجى والصحة الوقائية وإدارة صحية فى كل محافظة من محافظات اليمن ووحدات طبية من بينها سبع وجدات فى محافظة صنعاء وأربع فى محافظة الحديدة وثلاث فى محافظة تعز ووحدتان فى محافظة حجة ووحدة فى كل من محافظات البيضاء وإب وصعدة .

جاء إلى مكتبى المستر ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى فى يوم الأربعاء ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ ، وطبقا لما اتفقنا عليه ، أعلن أمامى فى مؤتمر صحفى عالمى قرار إعتراف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة الجمهورية العربية اليمنية حيث قال :

(نظرا إلى عدد من البيانات المتضارة والمثيرة للحيرة التى ألقت الشك على ثبات الحكومة الجديدة فى اليمن ترحب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بقيام الجمهورية العربية اليمنية بإعادة تأكيد نواياها نحو إحترام إلتزاماتها الدولية ورغبتها فى تحسين وإقامة علاقات صداقة مع جيرانها وعزمها على التركيز على شئونها الداخلية للنهوض بمستوى معيشة الشعب اليمنى .

وقد سرت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أيضا بالنداء الذى جاء فى صورة بيان من الجمهورية العربية اليمنية إلى اليمنيين المقيمين فى المناطق المتاخمة لليمن بأن يكونوا مواطنين يخضعون للقانون ، وأحيطت علما باحترام جميع المعاهدات التى أبرمتها الحكومات اليمنية السابقة ويشمل ذلك بدون شك المعاهدة التى أبرمتها صنعاء مع الحكومة البريطانية عام ١٩٣٤ التى تنص على ضمانات متبادلة بضرورة عدم تدخل أى من الطرفين فى شئون الآخر عبر الحدود الدولية الحالية التى تفصل اليمن عن الأراضى الخاضعة للحماية البريطانية .

كذلك ترحب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالبيان الذى أصدرته حكومة الجمهورية العربية المتحدة (مصر) معلنة عزمها على تنفيذ فك

إرتباط متبادل من النزاع اليمنى واستعجال مراحل سحب قواتها من اليمن عندما تنسحب القوات الخارجية التى تقوم بتأييد الملكيين من خارج الحدود وعندما يكف التأييد الخارجي لليمنيين الملكيين .

وتعتقد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن هذه البيانات تمثل الركيزة الأساسية لإنهاء النزاع حول اليمن وتعبر عن الأمل فى أن جميع الأطراف المشتركة فيه سوف تتعاون من أجل ترك الشعب اليمنى يصوغ مستقبله .

لذلك فإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قد قررت الإعتراف بحكومة الجمهورية العربية اليمنية والتقدم إليها بأصدق التمنيات بالنجاح والإزدهار .)

فى ذلك اليوم أعلنت الحكومة البريطانية أنها لا تنوى فى الوقت الحاضر أن تعترف بحكومة الثورة غير أن مصدرا بريطانيا مسئولا صرح قائلا (إن إعتراف أمريكا بجمهورية اليمن يقضى على أخر أمل لمحمد البدر إمام اليمن المخلوع فى عودة الملكية المنهارة إلى اليمن) كما أذاعت وكالة أنباء اليونيتدبرس (إن إعتراف أمريكا سيفتح باب الإعتراف أمام الدول الغربية الأخرى) .

كان الإعتراف الأمريكى بحكومتنا الثورية الجمهورية تتويجا للجهود المتواصلة والمضنية التى بذلت قصارى جهدى فى ساحتها السياسية الدولية ، ولم يكن بعد ذلك أمامى سوى مواصلة التقدم نحو إنتزاع الإعتراف بنا من فم الأسد البريطانى الذى بدأ يزأر فى وجه الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد أثبت ذلك الإعتراف إننى كنت على حق حين اعتذرت للرئيس عبد الناصر ورفضت إغلاق السفارة الأمريكية فى اليمن ورفضت طرد القائم بالأعمال الأمريكى من أراضيها لمجرد عدم إعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة الثورة اليمنية عند قيامها ، الأمر الذى لو كنت قد وافقت عليه تحت الضغط المصرى السوفيتى لخلقت بنفسى قطيعة صريحة مع أمريكا دون أن نحصل على أى مقابل سوى المزيد من توسيع ساحات القتال فى اليمن والمزيد من سفك الدماء على أراضيها التى نسعى إلى إقرار السلام عليها لاستثمارها وتفجير طاقاتها لخير شعبها .



ظهر بوضوح أن الكرم المفرط الذى ساد تصرفات القيادة العسكرية المصرية فى اليمن والسفارة المصرية فى صنعاء وإسرافهما فى بذل الأموال للكثيرين من رجال القبائل بإسم شراء ولائهم للثورة قد أدى إلى توسيع ساحة القتال فى اليمن مما أساء إلى سمعتنا الدولية .

كان بعض شيوخ القبائل يدفعون أصحابهم إلى التمرد ثم يستنزفون الأموال المصرية باسم إعادة المتمردين إلى حظيرة الجمهوريين . وكان الآخرون يوزعون الأدوار فيما بينهم ، بعضهم يحلب بقرة المصريين والبعض الآخر يحلب بقرة السعوديين ، ثم يقسمون ما يحلبون بالعدل والقسطاس ، دون أن يجحف أحدهم حقوق الآخر .

وكثيرا ما شاع بين الناس أن القائد المصرى كلما أراد أن يسترجع موقعا فإنه يعطى شيخ الجمهوريين عددا من الملايين فيذهب إلى شيخ المتمردين ويقتسمها معه فينسحب برجاله المسلحين المسالمين ، وعندئذ يغضب الممول السعودى ويعطي شيخ المتمردين مزيدا من الملايين فيذهب إلى شيخ الجمهوريين ويقتسمها معه فينسحب برجاله المقاتلين المنتفعين .

وتتبادل إذاعة صوت العرب وإذاعة السعودية أخبار نفس المواقع العسكرية ، مرة هنا ومرة هناك . واتقن الكثيرون من رجال القبائل مهنة التسلط على أموال المصريين والسعوديين . تلك المهنة التى سبق أن اتقنوها فى مطلع هذا القرن أيام الحرب التى دارت فى اليمن بين الإمام يحيى وغريمه السنوسى ، وكان المقاتلون يقفون مع من يدفع لهم أكثر من الآخر ، وكانت موازين القتال تتحول من يوم إلى آخر بحسب درجات المزايدة التى كانت تتأرجح بينهما فى سوق المعركة تحت بصر الإمام وغريمه .

واليمنيون المخضرمون يحفظون المثل اليمنى الشعبى الدارج الذى يقول (اللهم احفظ الإمام يحيى إلى نصفه واحفظ السنوسى إلى نصفه) أى أنهم يدعون الله أن يحفظ الإمام وغريمه حتى تستمر المعركة فيما بينهما بغير نهاية ، فلا ينضب المورد الذى يرتزق منه المقاتلون الوهميون .

كرهت أن يفعل بنا بعض رجال القبائل كما فعلوا بالإمام يحيى وغريمه السنوسى ، فطلبت من القيادة العربية فى صنعاء والسفارة المصرية فى اليمن أن تتوقفا عن دفع أية مبالغ لرجال القبائل على هذا النحو الذى يستخف بعقل مصر ويستنزف أموالها ، كما

يسيء إلى سمعة الثورة ويشوه أعمالها ، ويعطى للعالم الخارجى صورة مبالغا فيها لحجم المعارك الحربية الحقيقية على الساحة اليمنية .

أوضحت للقيادة والسفارة مدى خوفى من إنتشار هذه العدوى إلى المناطق ذات الولاء المطلق للجمهورية ، لأن المال الذى ذكره الله تعالى قبل البنين زينة للحياة الدنيا كفيل بإغراء البسطاء قبل الأذكياء على الإحتيال عليه ، لا سيما إذا كان صاحب المال خالى البال ، لا يعرف شيئا عن طبيعة الحال .

لاأدرى هل أصبت أو أخطأت حين ذكرت للقيادة والسفارة أن بعض رجال القبائل يشكون من أنهم يوقعون على سندات أكثر مما كانوا يأخذون ، ولا أدرى هل كانوا يريدون تشويه سمعة القيادة والسفارة أو كانوا يخفون كثيرا مما يأخذون ويوزعون قليلا على من كانوا معهم يقتسمون .

نصحت القيادة والسفارة بأنهما إذا أرادا أن ينفقا مالا فائضا عن حاجة الحكومة المصرية وليس له مكان فى المشروعات اليمنية العمرانية ولا بد من صرفه على شراء الولاء للجمهورية فليكن ذلك بواسطة أمين مال مصرى يلتزم بتسجيلات مالية ترفع الشبهة وتحمى السمعة ، وتحت سمع السلال ونظرى لحصره فى الحالات التى تنفع البلاد ولا تشيع الفساد .

قالوا إن تلك هى طبيعة المعركة فى معظم مناطق اليمن الشمالية ، وإن رجال القبائل لا يقبلون أن يعرف أحد من غير المصريين أنهم يأخذون تلك الأموال حتى لا يتعرضون لخطر الإنتقام من المتمردين .

قلت أن أخبارهم معروفة للجميع وأنهم هم الذين يذيعونها ، ويزعمون أنهم يوقعون على سندات يأخذون نصفها ، وأحيانا يقبضون ثلثها ، وفى أغلب الأحيان ينقذون (بشق الأنفس) ربعها .

قالوا إن هذه أكاذيب من عناصر الحرب النفسية التى يتقنها أعداء الجمهورية .

قلت .. إننى لا أشك فى ذلك . وما مضى قد مضى . والأهم من كل ذلك هو أن نفكر فى كيفية ترشيد استخدام هذه الأموال ، وأننا ونحن قادة الثورة وحكام الجمهورية الذين نعرف تاريخ اليمن وظروفها الموضوعية فإننا نعلم علم اليقين أن صرف هذه الأموال بهذه الطريقة قد أصبح مصدرا رهيبا من مصادر الخطر على الثورة ، وسببا رئيسيا من أسباب إنصراف المقاتلين من حول الجمهورية التى أصبح الولاء لها محلا للمزايدة بين الجنيه المصرى والريال السعودى .

قالوا أنهم سيعرضون هذا الأمر على السلطات العليا فى القاهرة .

ولعل ذلك ما أشار الرئيس محمد أنور السادات إلى جزء منه فى كتابه « البحث عن الذات » صفحة ٢١١ حيث قال عن حرب اليمن أنها (انقلبت إلى تجارة ومنفعة) .

لم أنتظر رد السلطات العليا فى القاهرة على إعتراضى على أسلوب صرف المال المصرى فى اليمن بالشكل الذى يؤدى إلى توسيع ساحات القتال ، وإعتقادا منى فى أنها سوف تستجيب لضرورة ترشيد صرفه فى المشروعات العمرانية ، وتأكيدا للتركيز على النهوض بمستوى الشعب اليمنى ومواصلة تنفيذ خطة شحن أهالى صنعاء العاصمة بجرعات الأمل والطمأنينة ، اجتمعت فى نفس ذلك اليوم بالدكتور محمد حسن حسنى رئيس بعثة الخبراء الزراعيين المصريين وبحثت معه إستغلال بعض هذه الأموال فى تشغيل الآلات الزراعية التى حصلنا عليها فى زراعة نحو مائة معاد (فدان) فى منطقة صنعاء لإنتاج الخضروات المختلفة ، كما اجتمعت ببعض رجال الأعمال اليمنيين وبحثت معهم المشروعات العمرانية التى يرغبون فى تنفيذها . (الأهرام ٢٠ ديسمبر ١٩٦٢) .

نفذت أمريكا ما وعدتنى به وفى الموعد الذى اتفقنا عليه فصرح مصدر رسمى أمريكى بأن حكومته قد قررت سحب إعترافها بممثل البدر المخلوع فى الأمم المتحدة ، وأعلن كارل براون مساعد وزير الخارجية الأمريكية أنه قد أبلغ الممثل السابق لليمن إعتراف أمريكا بجمهورية اليمن .

وفى لندن تولى وليم بيتس العضو المحافظ فى مجلس العموم البريطانى ورئيس البعثة البرلمانية البريطانية ، التى سبق أن استضفتها فى اليمن ، مهاجمة برنامجا تليفزيونيا سيئا عرضته هيئة الإذاعة البريطانية عن جمهورية اليمن ووصفه بيتس بأنه (غير دقيق ومشوه ويعتبر إهانة دبلوماسية مؤسفة) وقال (إن برنامج التليفزيون الذى سجل أثناء زيارة البعثة البرلمانية البريطانية لليمن قد فشل فى نقل صورة صادقة عن الموقف اليمنى) وأضاف (إن البعثة البرلمانية التى رأسها لم تر أثرا لقوات ملكية يمينة تهدد بالقضاء على النظام الجمهورى) وختم مهاجمته للتلفزيون البريطانى قائلا (إن رجال التلفزيون البريطانى أساءوا إلى الذين نزلوا فى ضيافتهم كما أن اساءتهم غير المباشرة قد وجهت إلى دولة نتبادل معها التمثيل الدبلوماسى الكامل) وهو يقصد الجمهورية العربية المتحدة .

وتنفيذا لما اتفقت عليه مع الولايات المتحدة الأمريكية انعقدت فى نيويورك لجنة فحص أوراق الإعتماد فى الأمم المتحدة فى يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦٢ ووافقت اللجنة بالإجماع على قبول أوراق إعتماد وفد حكومة الثورة اليمنية ممثلا لجمهورية اليمن لدى الأمم المتحدة . وأعلنت أستراليا ونيوزيلانده إعترافهما بالنظام الجمهورى فى اليمن . وأخذت الصحف الغربية تتوقع أن يتوالى إعتراف حكومات العالم بحكومة الثورة اليمنية التى أصبحت تسيطر على جميع الأراضى اليمنية ، وقالت وكالة أنباء تاس (إن إعتراف أمريكا دليل على أن واشنطن قد فقدت الأمل فى إعادة الملكية إلى اليمن) بينما كرر وليم بيتس رئيس البعثة البرلمانية البريطانية دعوة حكومته إلى الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية حرصا على مصالح بريطانيا نفسها ، وطالب مجلس العموم البريطانى بسرعة مناقشة هذا الموضوع ، غير أن رئيس المجلس رفض طلبه ، ومن جهة أخرى أذاع راديو لندن (أن الدوائر البريطانية المسئولة فى عدن تعتبر إعتراف أمريكا بحكومة الثورة فى اليمن إنتصارا هاما لهذه الحكومة ، ثم كررت تأكيدها أن بريطانيا وفرنسا لا تعتزمان الإعتراف بها فى الوقت الحاضر) .

وصرح مسئول رسمى فى لندن بأن (بريطانيا أقامت منشآت عسكرية جديدة على حدود اليمن ، وأضاف أن بريطانيا أقامت في محمية بيحان المتاخمة للحدود الشرقية لليمن شبكة رادار ومدافع مضادة للطائرات وأن الجنود البريطانيين يتولون تشغيلها وأن الأمر قد صدر بمنع الطيران فوق بيحان بغير إذن مسبق بعد أن قامت طائرات قادمة من جهة اليمن بعمليات استكشاف فوق بيحان منذ أيام) .

ردا على ذلك ، كشفت النقاب عن مستوى التمثيل الدبلوماسى بين الجمهورية العربية اليمنية والولايات المتحدة الأمريكية وأعلنت أنه قد تقرر رفعه إلى درجة سفارة ، وإمعانا منى فى إلحاق الهزيمة فى نفوس أعداء الثورة اليمنية شرحت أسباب رفع درجة التمثيل بيننا وبين أمريكا بقولى (إن الولايات المتحدة قد ضربت بإعترافها صفوف الأعداء ، وأكدت للجميع أنه لا مفر من الإعتراف بالحقيقة) (الأهرام ٢١ ديسمبر ١٩٦٢) .

وهكذا احتلت الجمهورية اليمنية مقعد اليمن فى منظمة الأمم المتحدة وفى يوم الجمعة ٢١ ديسمبر ١٩٦٢ عندما دعا رئيس الجمعية العمومية رئيس وفد الحكومة اليمنية الأستاذ محسن العينى إلى إلقاء خطابه أمام الجمعية بينما كان ممثل إمام اليمن المخلوع (السيد أحمد محمد الشامى) يحمل أوراقه ويخرج من مبنى الأمم المتحدة فى صورة مهينة .

ووصلتنى برقية من الأستاذ محسن العينى قال فيها :

(أهنئكم على نجاح جهودكم السياسية العظيمة التى أدت إلى إعتراف الأمم المتحدة بحكومة الجمهورية العربية اليمنية وأدعو الله أن يحفظكم ويرعاكم ويديم توفيقه لكم حتى تحققوا بقية آمال الشعب اليمنى) .

فأرسلت إليه ردا قلت فيه :

(أشكركم على شعوركم العظيم وأشاركم الإبتهاج بهذا الإنتصار الدولى الساحق وأدعو الله أن يوفقكم فى إطلاع العالم على صورة الشعب اليمنى الحقيقية التى مسخها حكام اليمن السابقون ، كما أتمنى لكم التوفيق فى شرح آماله العريضة المتطلعة إلى السلام والتعاون مع جميع الدول التى تسعى إلى تحقيق رفاهية الجنس البشرى ، وأن الشعب اليمنى وهو يعيد صياغة تاريخه ويصحح مسار حياته سوف يذكر بكل فخر جميع الرجال الذين وقفوا معه ساعة ميلاد هذا المستقبل العظيم) .

حاولت إحدى الدول إثارة زوبعة حول إعتراف الأمم المتحدة بحكومة الثورة اليمنية على أساس أن القوات المصرية تتدخل فى شئون اليمن الداخلية ، وأنه لولا هذا التدخل لسقطت حكومة الثورة فرد على ذلك رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة السيد محمود رياض قائلا :

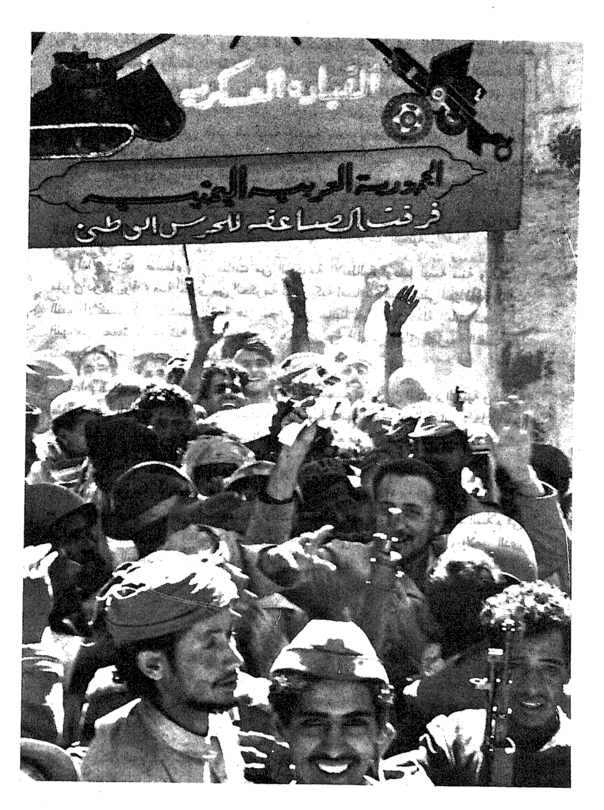
(كان طبيعيا أن يتعاطف شعب الجمهورية العربية المتحدة مع شعب اليمن وحكومته الثورية ويشاركه فى تصميمه على تحقيق آماله وخلق مجتمع متقدم) واستطرد قائلا (لقد قيل أن قوات الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن تتدخل فى الشئون الداخلية للجمهورية اليمنية وليس هناك ما هو أكثر مخالفة للواقع من ذلك ، إذ أن الجمهورية العربية المتحدة أرسلت قواتها إلى اليمن بناء على طلب الحكومة اليمنية وقد وضعت هذه القوات تحت القيادة العليا للجيش اليمنى بغرض واحد هو تمكين الشعب اليمنى من ممارسة حقه الفطرى فى الدفاع عن النفس فى حرب شنها أعداء الثورة من الخارج) .

فى ذلك اليوم صدر بيان فى العاصمة الكندية (أتاوا) على لسان هوارد جرين وزير الخارجية يعلن إعتراف الحكومة الكندية بالجمهورية العربية اليمنية .

وأذاع راديو صنعاء أننى طلبت من الحكومة الإيطالية قرضا قيمته ستة وخمسين مليون دولار وقروضا أخرى من الحكومة الأمريكية لمساعدة اليمن على تنفيذ مشروعات النمو الإقتصادى . وكانت إذاعة هذا الخبر من جانبنا جزءً من حملة إثبات سعينا إلى النهوض بمستوى معيشة الشعب اليمنى وعنصرا من عناصر إلحاق الهزيمة النفسية فى صدور أعداء الجمهورية اليمنية .

أعلن الملك حسين فى نفس اليوم أنه قد بدأ فى سحب قواته من الحدود اليمنية وخاصة أطقم مدافع الهاون ، كما أذاعت الحكومة السعودية أنها ليست لديها قوات داخل اليمن حتى تسحبها . بينما أعلن جمال عبد الناصر فى بورسعيد أن مصر قد فقدت حتى ذلك اليوم ١٣٦ شهيدا من بينهم ٢١ ضابطا و ١١٥ جنديا .

وكان المفروض أن تكون هذه الأرقام آخر الخسائر المصرية فى اليمن ، بعد أن بدأنا مرحلة الإستقرار السياسى وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية متعهدة بحفظ السلام فى شبه الجزيرة العربية ، ومساعدة الحكومة اليمنية على النمو والإزدهار ، الأمر الذى قامت الثورة اليمنية من أجله ، وذهبت القوات المصرية إلى اليمن سعيا إلى تحقيقه .



المؤلف يزور ثكنات الحرس الوطني



أدى حصولنا على الإعتراف الأمريكى إلى أعتراف الأمم المتحدة بنا حيث كان عدد الدول المعترفة بنا أقل كثيرا من ثلث عدد الدول التى وافقت على طرد ممثل الإمام المخلوع وإحتلالنا مقعد اليمن فى الأمم المتحدة خلال يومين أثنين من الإعتراف الأمريكى بالجمهورية اليمنية ، مما يؤكد ثقل الوزن الأمريكى العالمى الذى كنت حريصا أشد الحرص على جذبه إلى صفنا ، لا سيما أننا لسنا شيوعيين وبذلك لا يوجد تناقض جوهرى بيننا وبين أمريكا ، ولم يكن لدينا ما نخشى عليه سوى أرضنا القاسية التى لا تبتسم لنا بالقدر الذى يسرنا إلا إذا حققنا عليها السلام واستفدنا من المساعدات الدولية التى تقف منها أمريكا موقف الصدارة .

وبقيت أمامنا مشكلة الإسراع فى الحصول على الإعتراف البريطانى بنظامنا الجمهورى فاستدعيت كريستوفر جاندى الوزير المفوض البريطانى المقيم فى تعز فى يوم الإثنين ٢٤ ديسمبر ١٩٦٢ للحضور إلى صنعاء وحددت له موعدا لمقابلتى الساعة العاشرة من صباح الأربعاء ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢ ، وكلفت الإذاعة اليمنية بأن تذيع عدة مرات فى نشرة الأخبار أن مجلس وزراء اليمن بحث موضوع العلاقات مع بريطانيا وإعادة النظر فى موقف الدول التى لم تعترف بحكومة الثورة ولا يزال ممثلوها موجودين فى اليمن .

وفى صباح ذلك اليوم أذاع راديو صنعاء أن (كريستوفر جاندى الوزير المفوض البريطانى سوف يصل إلى صنعاء لمقابلة الدكتور عبد الرحمن البيضانى بناء على دعوة نائب رئيس الجمهورية اليمنية ووزير خارجيتها لبحث العلاقات السياسية بين حكومتى اليمن وبريطانيا بعد أن قام مجلس وزراء اليمن بمناقشة هذا الموضوع يوم الإثنين) .

كان هدفى من إذاعة ذلك الخبر مع إبراز أهمية مناقشته فى مجلس الوزراء أن يحاط الوزير المفوض البريطانى علما بأن صبرى أوشك أن ينفذ مع طول إنتظارى لإبتسامة الأسد البريطانى ، وأن صدرى كاد يضيق ببقاء مفوضية بريطانية فى اليمن لا تعترف بالحكومة التى تمنحها جميع الإمتيازات الدبلوماسية على أرضها وتحت حمايتها ، على أمل أن يتهيأ الوزير البريطانى نفسيا للمفاجأة التى أعددتها له فى تلك المقابلة .

ولم يكن عندى أدنى شك فى أن بريطانيا لا تستطيع أن تقف وحدها ضدنا فى المعركة السياسية الدولية ، بعد أن انتزعت من جانبها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ومعها

المملكة العربية السعودية والأردن ، وبعد أن انتزعت من الإمام المخلوع مقعد اليمن فى الأمم المتحدة ، وأصبحت أتلقى يوميا إعتراف دول العالم بنا ، مما حاصر الحكومة البريطانية فى موقف معزول فى الساحة الدولية ، لا تسنده أية مبررات عقلانية .

حددت للوزير البريطانى موعدا لمقابلتى فى يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢ وهو اليوم الذى كان من المقرر أن ترفع فيه منظمة الأمم المتحدة علم الجمهورية العربية اليمنية فوق مقرها وتنزل علم الملكية القديم ويقدم الأستاذ محسن العينى أوراق اعتماده كأول مندوب دائم للجمهورية اليمنية لدى المنظمة . وقبل أن أستقبل الوزير البريطانى فى مكتبى احتفلت بمناسبة رفع علم اليمن فى الأمم المتحدة حيث عقدت مؤتمرا صحفيا فى صنعاء كجزء من الحملة الدبلوماسية فى مواجهة بريطانيا ، وأعلنت فى ذلك المؤتمر أن (الإستعمار يريد أن يقضى على ثورة اليمن لأنه لا يتصور قيام جمهورية متحررة من كل قيد فى الجزيرة العربية ، لأن قيام جمهورية فى اليمن تؤمن بالوحدة والقومية العربية لا يعنى شيئا سوى القضاء على الأستعمار فى كل أنحاء هذه الجزيرة) (الأهرام ٢٧ ديسمبر ١٩٦٢) .

رفع علم جمهورية اليمن
فوق مقر الامم المتحدة

نيويورك فى ٢٦ — من ليلون كيشيشيان قدم اليوم السيد محسن العينى اوراق اعتماده كمندوب دائم لجمهورية اليمن لدى الامم المتحدة الى يوثانت السكرتير العام للمنظمة الدولية وقد انزل اليوم العلم القديم لليمن من فوق مقر الامم المتحدة ورفع بدله علم الجمهورية العربية اليمنية

البيضانى

البقية صفحة ٢ عمود ٦

اليمن تطالب بريطانيا
بتفسير رسمى لموقفها من الثورة

صنعاء فى ٢٦ — لمراسل الاهرام — طلبت حكومة الثورة فى اليمن تفسيرا رسميا من بريطانيا عن موقفها من الثورة وكيف يتأتى ان تبقى لها مفوضية فى اليمن لمدة ثلاثة اشهر تمتع فيها بكل الامتيازات الدبلوماسية ومع ذلك لم تعترف بعد بجمهورية اليمن ، وانما استمرت فى تهريب الاسلحة والمسللين لمقاومة الثورة .

وقد جاء هذا الطلب فى اجتماع الدكتور عبد الرحمن البيضانى وزير الخارجية مع كريستوفر جاندى ممثل بريطانيا . والمستشار الدبلوماسى البريطانى الى امرين : تصريح المتحدث الرسمى البريطانى عن مصاير الاعتراف باليمن ، والاخبار الكاذبة التى يرددها راديو لندن نقلا عن اذاعات عمان ومكة واسرائيل .

كما استقبل وزير الخارجية اليمنى نيكولاى سولنسكى ممثل الاتحاد السوفيتى واطلعه على الموقف العسكرى على حدود اليمن وتدخل بريطانيا وقال البيضانى فى مؤتمر صحفى بعد ذلك ، ان استمرار التدخل البريطانى قد يضطر حكومة الثورة لمواجهة العدوان بتدابير اخرى.

الأهرام ٢٧ ديسمبر ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

بعد إنتهاء المؤتمر الصحفى الذى عقدته فى مكتبى بالقصر الجمهورى استقبلت كرستوفر جاندى الوزير المفوض البريطانى فى اليمن الذى أبلغه الصحفيون البريطانيون مضمون تصريحاتى فى ذلك المؤتمر ، وقد بادرنى بقوله أنه يدرك مدى الحرج الذى أشعر به من تأخر الإعتراف البريطانى بحكومة الثورة اليمنية حتى ذلك التاريخ .

شكرته على صدقه مع نفسه ، وأشدت بأمانته فى بذل كل ما أمكنه من جهد نحو إقناع حكومته بأهمية الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية ، وبعد أن أكدت له حرصى على قيام علاقات صداقة متينة مع حكومته طلبت منه أن يسألها عما إذا كانت الثلاثة أشهر التى تمتعت خلالها مفوضيتها فى اليمن بجميع الإمتيازات الدبلوماسية تحت حماية ورعاية

حكومة الثورة غير كافية لإقناعها بأن هذه الحكومة هى الحكومة الشرعية الوحيدة فى اليمن ؟ وإذا كانت الحكومة البريطانية تعتقد أن فى اليمن حكومة شرعية أخرى غير حكومة الثورة فلماذا لم تنقل مفوضيتها إلى أراضيها ؟

قلت للوزير البريطانى أننا نراقب الأعمال العدوانية التى تقوم بها حكومته ضد حكومة الثورة اليمنية ، ونحصى عليها قيامها بتهريب الأسلحة والذخيرة والأموال إلى المتمردين مع تزويدهم بالخبراء والفنيين والمدربين ، كما أننا نتابع الإستماع إلى إذاعتها المعادية لنا التى تردد أكاذيب وإذاعات الدول التى تشهر بشعب اليمن ، ومع كل ذلك نتجاهل ما تراه عيوننا وتسجله أذاننا على أمل أن تقتنع الحكومة البريطانية بأنه لا فائدة من هذه الأعمال العدوانية ، التى لا يمكن أن تعيد الشعب اليمنى إلى الماضى المتخلف بعد أن قفز فوق حواجز المستقبل الناهض .

أكدت للوزير البريطانى أننى لا أتصور أن تكون بريطانيا العظمى راغبة حقا فى إعادة عقارب الزمن إلى الوراء لأن عظمة بريطانيا يمكن أن تتجلى أكثر عندما تتجاوب عقلانيا مع المتغيرات العالمية ، فتختار لنفسها مواقع سياسية جديدة تستطيع من فوقها أن تحقق منافع أكثر أو أقل مما كانت تحققه من المواقع القديمة التى أصبحت فى ذمة التاريخ ، حتى لا تجد نفسها وقد خسرت الأكثر والأقل وهى متشبثة بذيول الماضى بينما لا تمسك بأى خيط من خيوط المستقبل .

أوضحت للوزير البريطانى أننى مع شدة حرصى على صداقة بريطانيا فإننى أكثر حرصا على سلامة بلادى وأهداف شعبها الذى شرفنى بالتحدث بأسمه فحملنى مسئولية تحديد علاقاته مع أصدقائه الذين يقفون معه ، وغيرهم الذين يقفون ضده .

ختمت حديثى معه راجيا أن يقوم بإبلاغ حكومته بتفاصيل هذا الحديث على أمل أن أحاط علما ، وفى أسرع وقت ممكن ، بما إذا كانت الحكومة البريطانية تختار أن تكون من أصدقاء الشعب اليمنى أو من غير هؤلاء الأصدقاء .

لم يكن عندى أدنى شك فى أن كرستوفر جاندى الوزير المفوض البريطانى كان متعاطفا مع حكومة الثورة أعظم التعاطف ، ولعله كان يشعر بكثير من الحرج عندما كنت أجهد ذهنى فى حسن اختيار الألفاظ وأنا أتحدث عن حكومته التى كنت أطلب ودها وهى تطلب رأسى ، ولعله كان يريد أن يسمع منى ألفاظا أخرى يرسلها إلى حكومته فيوقظها من غفلة القرون الوسطى .

كان شأنه فى ذلك شأن كل مواطن بريطانى استضفته فى اليمن وأطلعته على أحوال شعبها فلا يملك غير أن يبدى أسفه على ما يراه فى اليمن فى النصف الثانى من القرن العشرين ، فيثور معنا على حكام اليمن الذين دفنوا هذا الشعب تحت أنقاض تاريخه المجيد الذى هو كل ما كان يعرفه الأجانب عن اليمن .

تجاوب معى كرستوفر جاندى ممثل بريطانيا ، مثل ما تعاطف معى جميع أعضاء الوفد البرلمانى البريطانى الذين أصبحوا منابر يمنية ثورية على إمتداد الساحة البريطانية . وقبل

أن يخرج الوزير البريطانى من مكتبى أمسكت بتمثال الطائر الأبيض الذى أهداه لى الوفد البريطانى وقلت أننى قد وضعته فى أبرز مكان فى مكتبى ليذكرنى بصداقة الشعب البريطانى ، وأن أخطر ما أخشاه هو أن تحطمه الحكومة البريطانية عمدا أو على سبيل الخطأ .

بينما كنت أتحدث مع الوزير البريطانى كان ينتظرنى فى الغرفة المجاورة نيكولاى سولتسكى السفير الروسى فى اليمن الذى اطلعته على الموقف العسكرى على حدود اليمن ، وأفهمته أن حكومة الثورة اليمنية تبذل كل ما فى وسعها من أجل تحقيق السلام على أرضها ، وهى فى سبيل ذلك لا تبخل بأى جهد لإطفاء نار الشكوك من حولها ، رغبة فى توفير المناخ المناسب لتنفيذ مشروعات النهوض الحضارى لشعبها وهو الهدف الأول والأخير من أهداف الثورة . وشرحت للسفير الروسى الأسباب التى تجعلنى أعتقد أن استمرار المعارك الحربية على أرض اليمن ليس فى مصلحة الثورة التى تعانى من قصور خطير فى وعى الكثيرين من رجال القبائل الذين يتوقف عليهم حياة الثورة وموتها فى الشهور الأولى لميلادها .

أوضحت للسفير السوفيتى أن التركيب العضوى للشعب اليمنى تركيب بالغ التعقيد ، تسوده مخلفات ألف ومائة عام غرست فى أبنائه تصورات إقليمية وعنصرية وطائفية لا تتفق مع حاجته الملحة إلى رفع مستوى معيشته والإرتقاء به إلى حضارة القرن العشرين ، وهذه المخلفات هى الساحة الحقيقية التى يقاتل عليها أعداء الثورة ولذلك فإننى لا أشعر بالإستقرار من مجرد الاطمئنان على (الحدود الدولية اليمنية) التى فى وسعنا أن نستورد لها السلاح من الاتحاد السوفيتى والقوات العسكرية من مصر فنرصعها بالدبابات والمدافع والطائرات ، طالما كنت قلقا على (الحدود النفسية اليمنية) التى لا تستطيع أن نحميها بمثل هذه الدبابات والمدافع والطائرات ، لأن هذه الأسلحة يمكن أن تتجه إلى صدورنا إذا اخترق أعداء الثورة هذه الحدود النفسية وهم يتقنون إثارة المصالح الذاتية التى تغلفها الشعارات العنصرية والطائفية والحزبية .

قلت للسفير السوفيتى أنه عندما يكون فى موقفى مسئولا عن سياسة حكومة الثورة الخارجية يجد نفسه مضطرا إلى محاولة كسب أكبر عدد ممكن من خصومها حتى يمر الوقت ، يوما بعد يوم ، فيتذوق الشعب اليمنى حلاوة أهداف الثورة ويكتسب المناعة الذاتية ضد كل إثاره خارجية أو داخلية تعزف على الأوتار العنصرية والطائفية و الحزبية .

ومادامت السياسة الخارجية لأية دولة من الدول هى فن قيادة سفينتها وسط الأمواج والصخور والرياح حتى تشق طريقها نحو بلوغ أهدافها ، فإننى وأنا أقود سفينة الثورة اليمنية ، بين أعداد لا تحصى من الصخور الصلبة القاسية وأعاصير لا تهدأ من الأمواج العاتية والدوامات القاتمة ، ينبغى ألا ينسينى الدفاع عن أحلام الجمهوريين أهمية الدفاع عن دماء اليمنيين . وهو ما يجعلنى استخدم كل الوسائل السياسية والعسكرية لحقن الدماء فى اليمن .

لاحظ السفير السوفيتى أننى كنت أخفف عليه وقع المحاولات المتواصلة لكسب صداقة بريطانيا بعد أن نجحنا فى كسب صداقة أمريكا مما يعنى أننا مقبلون على سلام مع

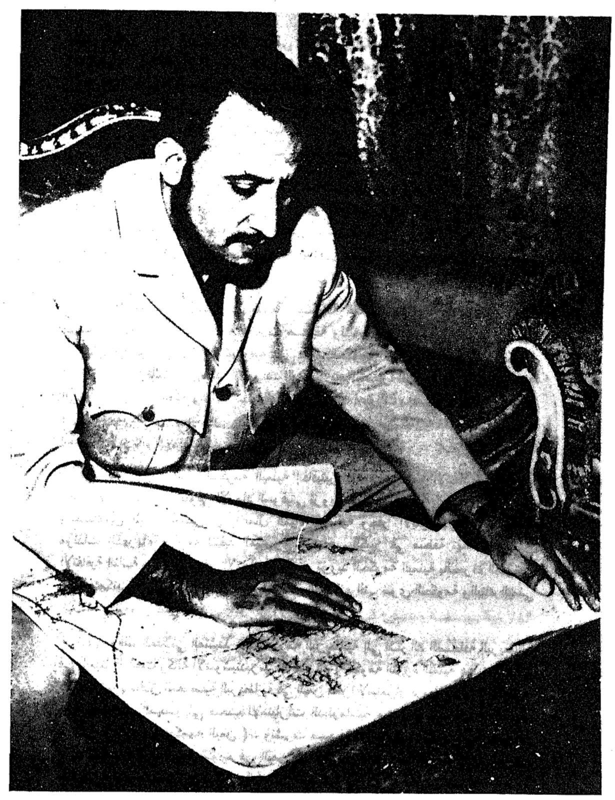
القوى المؤثرة فى الحرب الدائرة على الأراضى اليمنية . ولا شك فى أن الإتحاد السوفيتى كان يتطلع إلى إشتداد القتال فى اليمن وإمتداد المعركة خارج أراضيها ، لأن ذلك وحده يؤدى إلى مضاعفة احتياج اليمن إلى الأسلحة السوفيتية كما يؤدى بمرور الوقت إلى إحتياجها إلى تدريب أبنائها من رجال القوات المسلحة فى الإتحاد السوفيتى وبذلك يتم التوسع فى إنشاء خلايا شيوعية يمنية مسلحة فى وقت تتسع فيه ساحة القتال فى الجزيرة العربية بتشجيع العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية .

وحتى لا يستبد القلق بالسفير السوفيتى من جلستى الطويلة مع الوزير المفوض البريطانى ذكرته بموعد توقيعنا على اتفاقيتين اقتصاديتين فى اليوم التالى كما عقدت مؤتمرا صحفيا بعد انتهاء اجتماعى مع السفير أعلنت فيه (إن استمرار التدخل البريطانى قد يضطر حكومة الثورة إلى مواجهته بتدابير أخرى) . (الأهرام ٢٧ ديسمبر ١٩٦٢) .

كانت الصحف الأمريكية فى طليعة الصحافة العالمية التى دعمت موقفى الجديد المتشدد مع الحكومة البريطانية فنشرت صحيفة واشنطن بوست مقالا افتتاحيا فى يوم الخميس ٢٧ ديسمبر ١٩٦٢ أثنت فيه على قرار الحكومة الأمريكية بالإعتراف بحكومة الثورة اليمنية وقالت (إن ذلك الإعتراف الرسمى يعد انتصارا للعقل) وأشارت الصحيفة إلى (إن الأمم المتحدة وغالبية دول العالم العربى قد اعترفت بجمهورية اليمن) وقالت (إن شعب اليمن يجب أن يعطى فرصة التصرف فى شئونه الداخلية بطريقته الخاصة) .

فى ذلك اليوم وقعت الحكومة اليمنية إتفاقيتين إقتصاديتين مع الإتحاد السوفيتى ، تنص الأولى على أن يتولى الإتحاد السوفيتى تزويد الحكومة اليمنية بالخبراء الزراعيين والمهندسين المتخصصين فى أعمال المياه الجوفية وحفر الآبار الإرتوازية وإقامة مولدات الكهرباء اللازمة لتنفيذ المشروع الزراعى الكبير فى منطقة تهامة . وتنص الإتفاقية الثانية على أن يتولى الإتحاد السوفيتى تزويد الحكومة اليمنية بالخبراء اللازمين لإنشاء مكتب فنى يقوم بدراسة المشروعات والمصانع التى تنوى الحكومة والبنك اليمنى للإنشاء والتعمير تنفيذها .

أدى موقفنا العقلانى المتشدد مع الحكومة البريطانية إلى اشتراك الصحافة البريطانية فى تأييدنا فأذاعت وكالة الأسوشيتدبرس للأنباء أن (حكومة الثورة اليمنية هددت بطريق غير مباشر بإغلاق المفوضية البريطانية فى اليمن نظرا لإستمرار بريطانيا فى موقفها من ثورة اليمن إذ ألمحت إلى سحب الإمتيازات الدبلوماسية من المفوضية ما دامت تمثل حكومة لا تعترف بحكومه اليمن) . ونشرت صحيفة التايمز البريطانية خبرا قالت فيه (إنه يمكن الآن لحكومة الثورة فى اليمن أن تطلب ضروره مغادره كرستوفر جاندى ممثل بريطانيا عن الأراضى اليمنية) .



الدكتور البيضانى يتابع تطورات المعارك
الحربية على الخريطة .

(منقولة من كتاب مخبر وراء ١٠ ثورات للأستاذ موسى صبرى)

٤

شعرت إسرائيل بنجاحنا فى معركة السياسية الدولية ، وتأكدت من إننا قد انتزعنا إلى صفنا الرأى العام العالمى من بين أنيابها ومخالبها ، فضاعفت من حملتها الإعلامية ضدنا حتى تستغلها فى الحصول على المزيد من المساعدات الأمريكية وغير الأمريكية تحت قناع الحفاظ على توازن القوى فى الشرق الأوسط . وتحت هذا القناع وعلى صراخ إسرائيل قام السياسى الأمريكى جاكوب جافيتش عضو مجلس الشيوخ الأمريكى ، بزيارتها يوم الجمعة ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ ، وفى خطاب القاه فى إجتماع عام عقد فى تل أبيب بعد إجتماعه بديفد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل قال :

(إن أمريكا ستعمل بالتأكيد بما تقدمه من مساعدات عسكرية لإسرائيل فى المستقبل على أن تضع فى حسابها استياء إسرائيل من إعتراف أمريكا بثورة اليمن التى تناصرها الجمهورية العربية المتحدة حتى يكون هناك توازن بين ذلك الإعتراف وبين الأسلحة التى ستقدمها أمريكا إلى إسرائيل) .

هذا التصريح وضع الإمام البدر المخلوع وكل أعوانه فى مأزق تاريخى خطير لأنه وضع كل هؤلاء كما لو أنهم يقفون فى خندق واحد مع إسرائيل حيث جمع بينهم غضبهم على أمريكا عندما اعترفت بحكومة الثورة اليمنية ، إلى الحد الذى جعلهم يدسون إلى إذاعة لندن أخبارا كاذبة روجتها يوم الثلاثاء أول يناير ١٩٦٣ حين أذاع راديو لندن (إن العمليات الحربية ضد ثورة اليمن تدار من نجران فى السعودية ، وأن الأمير السابق محمد بن الحسين (إبن عم البدر) قد اتخذ من منطقة نجران قاعدة لغزواته ضد ثورة اليمن) .

أرسلنا طائراتنا لإستطلاع الموقف فى هذه المنطقة حتى لا نفاجأ بغزوة أخرى داخل عمق أراضينا فتأكدنا من عدم وجود هذه التجمعات المعادية ، ورغم ذلك استغلت العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية هذه الأخبار الكاذبة وأرسلت قاذفات قنابل ثقيلة (تبيلوف) من مطار غرب القاهرة فدكت منطقة نجران .

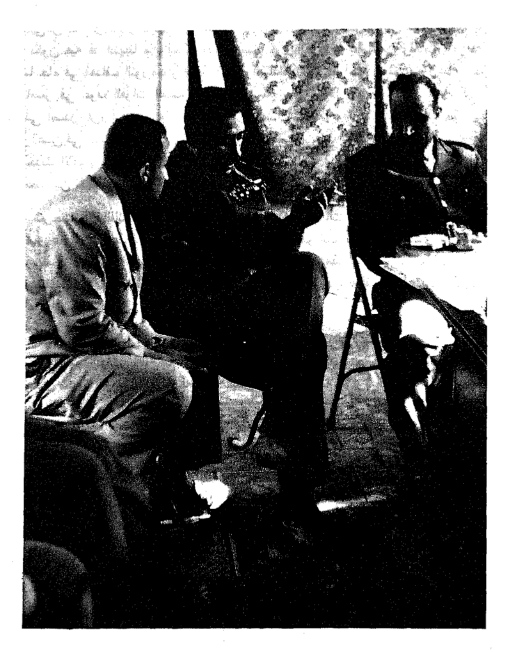
على إثر ذلك أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بيانا يوم الخميس ٣ يناير ١٩٦٣ أعربت فيه عن قلقها من قيام القاذفات المصرية بإلقاء قنابلها على إحدى الواحات السعودية فى نجران وقالت :

(أنها تأسف لوقوع هذه الحوادث التى تهدد بتوسيع النزاع اليمنى) وأنها (تتمتع بعلاقات ودية وثيقة مع الحكومة السعودية وأنها مهتمة بصون سلامتها وسلامة الدول الأخرى بالمنطقة ، وهى إذ تراقب هذه الحوادث والتدابير الأخرى التى تمثل تأييدا خارجيا للعمل العسكرى الذى يجرى داخل اليمن فإنها تظل مقتنعة بوصفها صديقة غير متحيزة لجميع الحكومات صاحبة الشأن بأن خير ما تخدم به الشعب اليمنى هو خروج القوات العسكرية الأجنبية وإنهاء التدخل الخارجى) .

وأجاب لنكولن هوايت وكيل وزارة الخارجية الأمريكية بأن (الجمهورية العربية المتحدة وعدت بأنها ستسحب قواتها من اليمن فى الوقت الذى تتوقف فيه المساعدات التى تتلقاها القوات الملكية من السعودية والأردن) وأضاف (إن الموقف لسوء الحظ هو أن الإنسحاب لم يتم وأن المساعدات للملكيين لم تتوقف وهذا لا يعنى أن نكف عن بذل جهودنا فى سبيل وقف هذه المساعدات وضمان الإنسحاب فى أقرب وقت ممكن) .

طلبت القائم بأعمال السفارة الأمريكية وأكدت له ترحيب الحكومة اليمنية ببيان وزارة الخارجية الأمريكية المتوازن غير المتحيز ، وناشدت حكومته أن تنفذ على وجه السرعة ما تضمنه ذلك البيان وما جاء على لسان لنكولن هوايت من بذل جهودها فى سبيل وقف هذه المساعدات . وذكرت له أن الرئيس جمال عبد الناصر أبدى عدة مرات رغبته فى عودة القوات المصرية من اليمن إلا أن الرئيس السلال وأنا قد ناشدناه أن يؤجل عودتها حتى يتأكد وقف المساعدات الأجنبية لفلول الإمام المخلوع ، وقد وعد جمال عبد الناصر أن يبقيها عندنا حتى موعد أقصاه آخر يناير ١٩٦٣ وبعد ذلك يبدأ فى إعادتها إلى مصر .

لم أبالغ عندما قلت ذلك للقائم بالأعمال الأمريكى ، كما لم أفش له سرا ، ذلك لأن أنور السادات كان قد اتفق معى على نقل هذا الخبر إلى القيادات اليمنية المسئولة حتى تبدأ فى الإعتماد على نفسها لأن الرئيس السلال كان يعارض فى عودة القوات المصرية من اليمن فى أى يوم من الأيام ، وكان الحل الوسط الذى اقترحته من جانبى بحضور المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات واللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن أن نكتفى بالقوات المدرعة المصرية والطيران المصرى لحماية العاصمة صنعاء وميناء الحديدة وطريق الحديدة صنعاء وأن نبدأ فى تكوين جيش المشاة من المتطوعين اليمنيين حتى نضمن ولاءهم للجمهورية فلا يقومون باستخدام أسلحتنا ضدنا . وبذلك يقل عدد القوات المصرية إلى أدنى حد ممكن ونتلافى الخسائر فى أرواح أفرادها وهم داخل مدرعاتهم ، ويتحمل المشاة اليمنيون مسئولية التصدى لأعمال التمرد وقطع الطرق الرئيسية ، على أن نضع فى إعتبارنا أن إحتمال قيام تجمعات معادية للثورة فى بعض المناطق النائية يجب ألا يشغل بالنا لأنها لا تؤثر فى بقاء الجمهورية ولا فى عودة الإمامة . وعندئذ نركز جهودنا فى الإصلاحات العمرانية التى تلفت الأنظار وتحقق الإستقرار .



المؤلف يحاول إقناع المشير عبد الحكيم عامر والرئيس السلال بالاكتفاء بصفة مؤقتة بالقوات المدرعة المصرية والطيران المصرى وعودة بقية القوات المصرية إلى مصر واستبدالها بجيش نظامى يمنى من المتطوعين المدربين .

كنت أستبعد أحلام السلال فى أن تبقى القوات المصرية فى اليمن إلى مالا نهاية وكنت أخشى أن تضطر مصر لأسباب إقتصادية أو سياسية أن تسحب قواتها من اليمن فى وقت لا نكون فيه قد انتهينا من إنشاء جيش يمنى قوى يكون درعا لليمن وللأمة العربية كما جاء فى أهداف الثورة . وافقنى عامر والسادات لأن أقتراحى يتمشى مع رغبة عبد الناصر فى عودة القوات المصرية من اليمن فاضطر السلال إلى الموافقة على ذلك ، حتى أصدر قرارا جمهوريا فى يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢ بفتح باب التجنيد للراغبين فى الجندية ، وتشكيل لجنة عسكرية للإشراف على إعداد جيش يمنى قوى وفقا لأحدث الأساليب . ووصل فعلا إلى اليمن العميد وحيد الدين رمضان كبير المدربين المصريين للإشراف على عمليات تدريب رجال الحرس الوطنى .

شرحت ذلك للقائم بالأعمال الأمريكى حتى تتأكد الولايات المتحدة الأمريكية من أن مصر عازمة حقا على سحب قواتها من اليمن على النحو المحدد فى بيانها الذى كان أحد شروط الإعتراف الأمريكى بحكومة الثورة اليمنية ، وأن هذه الحكومة يمكنها أن تعتمد على نفسها إذا ما استطاعت أمريكا إلزام السعودية والأردن بوقف مساعداتهما لفلول الإمام المخلوع .

أطمأن الممثل الأمريكى من هذا الإيضاح ، غير أن السيد على صبرى رئيس المجلس التنفيذى المصرى فى لقائه مع السفير الأمريكى بالقاهرة دكتور جون بادو استخدم ألفاظ التحدى شديدة اللهجة أثناء تعليقه على البيان الذى أصدرته وزارة الخارجية الأمريكية حيث قال :

(إن الحكومة الأمريكية تستطيع أن تعرف قبل غيرها طبيعة الإستعدادات التى تقوم بها الحكومة السعودية فى هذا التآمر العدوانى على ثورة اليمن ، وأن الطيارين الأمريكيين العاملين فى خدمة الحكومة السعودية لا يمكن أن يكون نشاطهم سرا على الحكومة الأمريكية .. وأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لا تقيم أى وزن لبيانات الحكومة السعودية التى تقول فيها أنها لا تتدخل فى اليمن ولا تحشد عسكريا ضدها فى نجران ، ذلك لأن الحكومة السعودية نفسها أول من يعرف كذب هذه البيانات ولا تستطيع الجمهورية العربية المتحدة إلا أن تعتبر هذه البيانات محاولة دبلوماسية على الطريقة الملكية السعودية رخيصة بقدر ما هى منافقة) .

فى إعتقادى أن استخدام السيد على صبرى مثل هذه الألفاظ لم يكن جائزا ، لا سيما وقد تضمن البيان الأمريكى إعتراف الولايات المتحدة بأن المساعدات السعودية والأردنية لتجمعات الإمام المخلوع لم تتوقف وأنها ، أى الولايات المتحدة ، لن تكف عن بذل جهودها فى سبيل وقف هذه المساعدات ، فكان الأفضل أن يستخدم رئيس المجلس التنفيذى المصرى الألفاظ والعبارات التى تشجع أمريكا على بذل جهودها فى سبيل وقف هذه المساعدات لا سيما أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يتعجل عودة قواته من اليمن .

ومن جهة أخرى كانت تصريحات السيد على صبرى تدخلا سافرا فى شئون اليمن ومناقضة لسياسة التهدئة التى كان سيادته يعرف أنها السياسة التى اختارتها الحكومة اليمنية ، ومناقضة لتصريحات السيد محمود رياض مندوب مصر فى الأمم المتحدة الذى أعلن أن مصر لا تتدخل فى الشئون اليمنية. وقد أدلى على صبرى بهذه التصريحات بعد إطلاعه على حديثى مع القائم بالأعمال الأمريكى الذى كنت قد أرسلت نصه حرفيا إلى الرئيس عبد الناصر فى برقية رمزية عاجلة .

وكرد فعل سريع لتصريحات السيد على صبرى انتقد الملك حسين فى نفس ذلك اليوم سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط ، وقال الملك أن (إعترافها السابق لأوانه بالنظام الجمهورى فى اليمن قد يؤدى إلى القضاء علي الإستقرار فى الشرق الأوسط) وقال (إن أصدقاء الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط قد أصيبوا بصدمة وألم من ذلك الإعتراف الأمريكى الذى وضعهم فى موقف خطير) وأشار ملك الأردن بشيء من السخرية إلى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى كوبا وقال أنها (إتخذت موقف الدفاع عن حقها وحق غيرها فى العيش فى مأمن من العناصر التخريبية ووجود أسلحة هجومية على مسافة قريبة منها) وقال (ولكن عندما ينطبق نفس المبدأ بالنسبة للشرق الأوسط تتجه الولايات المتحدة الأمريكية وباقى الدول الغربية بأنظارها وجهة أخرى بينما تتم أعمال تخريبية ضد اليمن من الخارج ويتم غزوها بوحشية بنفس أنواع الأسلحة التى كانت فى كوبا ومن نفس المصدر) .

أما على الجانب السعودى فكان رد فعل تصريحات السيد على صبرى هو قيام الحكومة السعودية بوضع قواتها المسلحة فى حالة إستعداد للطوارىء بعد أن أعلن الأمير فيصل أنه صمم على أن يرد بالقوة على أى هجوم جديد تشنه القوات التابعة للجمهورية العربية المتحدة أو قوات جمهورية اليمن على الأراضى السعودية . وأذاع راديو مكة بلاغا صادرا من وزارة الدفاع السعودية يطلب من جميع الضباط وضباط الصف والجنود العودة إلى وحداتهم كما أصدرت الوزارة قرارا بإلغاء جميع الأجازات فى القوات السعودية وتكليف شركة الخطوط الجوية السعودية بإتخاذ التدابير اللازمة لنقل العسكريين فورا إلى وحداتهم .

وفى صنعاء عقب السيد أحمد حسين المرونى وزير الإعلام على إعلان الأمير فيصل التعبئة العامة فى السعودية فقال (إن هذا الإجراء يعبر عن القلق الذى يساور فيصل من قيام ثورة فى السعودية) وقال (إن جمهورية اليمن تعرف كيف تسحق أى عدوان يدبره فيصل وأتباعه ونحن نعرف أى تعبئة يعنيها فيصل ، إنها قوى إسرائيل والإستعمار) وأضاف (ونحن على ثقة من إيمان الشعب العربى فى السعودية بالعروبة وبالثورة والتحرر) . (الأهرام ٥ يناير ١٩٦٣) .

سمعت تصريحات وزير الإعلام اليمنى من صوت العرب فساءنى أن تشترك الحكومة اليمنية فى إشعال حريق يلزمنا إخماده ، فطلبت من السيد أحمد حسين المرونى مقابلتى على الفور وشرحت له أبعاد موقفنا الدولى وكيف جاءت تصريحات الملك حسين

والأمير فيصل كردود فعل طبيعية لتصريحات السيد على صبرى اللازعة والمناقضة لسياسة الحكومة اليمنية والتى فات أوانها بعد أن تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية ببذل مساعيها نحو إيقاف المساعدات السعودية والأردنية لفلول الإمام البدر المخلوع .

قلت لوزير الإعلام إننى سأستوضح من الرئيس عبد الناصر البواعث التى دفعت بالسيد على صبرى إلى الإدلاء بتلك التصريحات فى وقت يريد فيه إعادة معظم قواته إلى مصر ، وبعد أن بدأت عناصر الإستقرار تسيطر على معظم أنحاء الجمهورية اليمنية التى اعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت بريطانيا هى الأخرى على وشك الإعتراف بها ، علاوة على أن العناصر المصرية التى أمرت بضرب نجران لم تستشر القيادة اليمنية ، ولم يكن هناك أى مبرر للغارة الجوية على نجران ، لا سيما وأننا ونحن نعمل على تضميد الجراح القديمة ما كان لأصدقائنا أن يفتحوا علينا جراحا جديدة .

بالرغم من هذا الشرح الواضح قال وزير الإعلام الذى كان قد وصل من بغداد أن الرئيس عبد الكريم قاسم يرغب فى إرسال قوات عراقية لمساعدة الثورة اليمنية وأن العراق على إستعداد لنقل قواتها وتسليحها والإنفاق عليها فى اليمن . بحثت هذا العرض العراقى مع السلال الذى وافقنى على أننا لم نكن فى حاجة إلى قوات عربية أخرى فى اليمن علاوة على أن الخصومة التى كانت سائدة بين الرئيسين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم يمكن أن تؤدى إلى اقتتال فيما بين القوات المصرية والعراقية على أرض اليمن ، فضلا على أننا كنا نسعى إلى إقرار السلام عن طريق الجهود الدولية إلى جانب الجهود اليمنية .

كان وزير الإعلام اليمنى يسعى إلى إقناعنا بالإستعانة فى اليمن بقوات عراقية حتى تتصارع مع القوات المصرية على أرض اليمن لأنه يعلم أن ذلك يؤدى إلى إجهاض الثورة اليمنية ولعله كان يريد إجهاضها فعلا لأسباب عنصرية كما أنه عندما عرض علينا ذلك العرض مؤكدا أن العراق سوف تتحمل تكاليف قواتها فى اليمن كان يريد أن يتحاشى الأسباب التى استندت عليها عندما رفضت العرض الذى سبق أن نقله إلينا وزير العدل اليمنى القاضى عبد الرحمن الاريانى عندما عاد من الجزائر ، وقال لنا أن الرئيس أحمد بن بيلا قد أبدى استعداده لإرسال قوات جزائرية لمساعدة ثورة اليمن ، وقال أنه أبلغ ذلك إلى اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن الذى رحب بالقوات الجزائرية ، فأوضحت لمجلس الوزراء أن الجزائر لا تملك الإمكانيات المادية التى تمكنها من ذلك حيث كنت على علم سابق بأن مصر هى التى سددت مرتبات الشهور الأولى للجيش الجزائرى بعد نجاح الثورة فى إستلام السلطة . فقال القاضى الاريانى أن الرئيس بن بيلا عرض فقط إرسال الرجال على أن تقوم مصر بنقلهم إلى اليمن وتسليحهم والإنفاق عليهم . فقلت إننا لم نكن فى حاجة إلى مزيد من الرجال وقد بلغ أفراد الحرس الوطنى أكثر من مائة وخمسين ألف متطوعا ينتظرون تدريبهم وتنظيمهم وتسليحهم وقد تم الإتفاق على ذلك فعلا مع الجمهورية العربية المتحدة التى رحبت بإنشاء جيش يمنى حديث وسحب معظم قواتها من اليمن والإكتفاء فى المرحلة الأولى بالقوات المدرعة والقوات الجوية حتى يتم إنشاء وحدات مدرعة يمنية وتدريب الطيارين اليمنيين .

في مساء ذلك اليوم تناول وزير العدل القاضي عبد الرحمن الارياني طعام العشاء على مائدتي ليشرح نتائج زيارته لرؤساء الدول العربية الذين زارهم على رأس الوفد اليمني ، وتطرق الحديث إلى الإستقرار الذي بدأ يسود اليمن فأبدى قلقه من النشاط الهدام الذي يقوم به الشيوعيون من جهة والهاشميون من جهة أخرى ، ونصحني بإتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من نشاط أولئك وهؤلاء .

قلت له إنني أراقب نشاط الشيوعيين ولم تحصل دوائر الأمن على أي دليل لإدانة أحدهم سوى أنهم يروجون مفاهيم لا يدركون معانيها ويترددون على رعايا دول الكتلة الشرقية ، الأمر الذي لا يعتبر في حد ذاته جريمة يعاقب أحدهم عليها . وأضفت قائلا إن الذي يدينهم حقا هو قيامهم بنشر أخبار كاذبة عن سير المعارك الحربية وترويجهم لإنتصارات وهمية ينسبونها للمتمردين وإعطاء بيانات مضلله للقوات اليمنية المصرية لتوسيع ساحة القتال ، لكننا لا نستطيع أن نحاكمهم وحدهم على هذه الجرائم التي يشترك في إرتكابها كثيرون من اليمنيين غير الشيوعيين .

أما عن نشاط الهاشميين الذي أشار إليه القاضي عبد الرحمن الارياني فقد أوضحت له أن من بين اليمنيين ، الهاشميين وغير الهاشميين ، من هو صادق في ولائه للجمهورية ، يحارب في صفها ويستشهد من أجلها ، ومن هو متستر بها أو منافق لها سواء لأسباب هاشمية أو غير هاشمية ، وإننا عندما فرض علينا القتال وهو كره لنا ونحن دعاة عدالة ومساواة ووحدة وطنية فإننا نقاتل حرصا على الجمهورية وتحقيقا للوحدة الوطنية . ولذلك أكدت للقاضي الارياني أنني لا أقره على إتخاذ أي إجراء تحت شعار التصدي لما وصفه بالنشاط الهاشمي .

أبلغت الرئيس السلال بمضمون حديثي مع القاضي الارياني ، وعندما زارني في اليوم التالي وزير الإعلام الهاشمي السيد أحمد حسين المروني أبلغني أن القاضي الارياني حذره من إجراءات صارمة يتأهب الدكتور البيضاني لإتخاذها ضد النشاط الهاشمي الهدام فرويت له حديث الارياني معي واستشهدت بالرئيس السلال الذي كان السادات قد حذره بحضوري من الارياني على النحو السابق شرحه في هذا الكتاب .

٥

عاد إلى صنعاء الدكتور حسين خلاف رئيس البعثة المصرية الإقتصادية يوم الجمعة ٤ يناير ١٩٦٣ لإعادة البحث فى موضوع فتح فرع لبنك مصر فى اليمن وكان بنك مصر يرغب فى إنشاء فرع آخر له فى الجزائر ، وأوضحت له مرة أخرى الأسباب اليمنية التى جعلتنى أعتذر عن عدم الموافقة على طلب البنك ، وأضفت إليها الأسباب المصرفية التى تجعلنى أنصح البنك بعدم إنشاء فرع له فى اليمن ولا فى الجزائر حتى لا يتعرض لخسائر جسيمة .

قلت أن من العناصر الجوهرية التى ينبغى أن تتوفر فى البلد الذى يريد أى بنك أن يفتح له فرعا فيها أن يتناسب المستوى المصرفى فى هذا البلد مع الحد الأدنى للمستوى المصرفى الذى يسود فى بلد المركز الرئيسى والذى يحكم تقاليده المصرفية . وحيث أن المستوى المصرفى فى اليمن فى ذلك الوقت كان أقل كثيرا من المستوى المصرفى المصرى فإن فرع بنك مصر فى اليمن لا بد أن يخسر ، وبما أن المستوى المصرفى الجزائرى فى ذلك الوقت كان أعلى كثيرا من المستوى المصرفى المصرى فإن فرع بنك مصر فى الجزائر لا بد أن يخسر .

اعتذرت للمرة الثانية وحولت الحديث إلى مناقشة الإتفاقيات التى تأهبنا لتوقيعها مع مصر لتزويد اليمن بالسلع اللازمة لأسواقها وتسهيل تصدير السلع اليمنية إليها ، وبحثنا وسائل تنشيط الزراعة فى اليمن وتصنيع بعض المحصولات الزراعية وقررنا أن يسافر إلى مصر المهندس الزراعي على محمد عبده نائب وزير الزراعة لبحث إحتياجات اليمن من المعدات الزراعية (الأهرام ٥ يناير ١٩٦٢) .

كان من بديهيات خطتنا الإقتصادية أن نبذل أقصى إهتمام بتنمية مواردنا الزراعية ، لأنه لم يكن مقبولا ولا معقولا أن تكون فى اليمن مساحات شاسعة صالحة للزراعة وغير مزروعة ، وأن يعتمد المزروع منها على الوسائل الزراعية البدائية مما جعل اليمن تضطر إلى إستيراد طعامها من الخارج .

وعلى عكس الثوار فى معظم بلاد العالم الذين عندما يستولون على السلطة يتطلعون إلى صناعة الفولاذ ويدورون حول القمر فإننى كنت أتطلع إلى إستعادة رخاء اليمن السعيدة فتشبثت بالأرض . كنت أحلم باستثمار مواردنا المائية وزيادة رقعتنا الزراعية أفقيا ورأسيا ثم تصنيع ما يمكن تصنيعه من حاصلاتها الطيبة .

لذلك كنت مهتما بإنشاء المعاهد الزراعية لتدريب الزراع على إستخدام الأساليب والوسائل الزراعية الحديثة ، وشغوفا باستثمار القرض الألمانى لزراعة معظم مناطق تهامة وريها بالمضخات المائية التى تعتمد على الطاقة الكهربائية التى كنت أنوى إنتاجها من محطات المولدات الكهربائية الكبرى التى اتفقت مع الشركات الألمانية على إقامتها فى الحديدة حتى تمتد شبكاتها إلى العاصمة صنعاء ، وتتفرع على جانبى الطريق لتنتشر فى مناطق تهامة والمناطق الزراعية فى الجبال ، على سبيل المثال .

كنت حريصا على إستثمار الخبرة السوفيتية الزراعية التى وقعنا على إتفاقية بشأنها تنفيذا لخطتنا الإقتصادية .

وكنت كلما حدثنى الدكتور حسين خلاف كبير الخبراء المصريين عن الإقتصاد اليمنى أحدثه عن الزراعة اليمنية ، وكلما عاد يفكر فى إنشاء فرع لبنك مصر فى اليمن عدت أذكره بحاجة اليمن إلى خبرات مصر الزراعية أكثر من خبراتها المصرفية .

وعندى ألف سبب وسبب ، ليس هنا مجال لشرحها ، من الأسباب التى تجعلنى فى اليمن بالذات أبدأ بالإهتمام بالزراعة ، ثم الصناعة التى تقوم على حاصلات الزراعة ، وهذا لايعنى إهمال الصناعات الأساسية ، أو تلك التى يمكن أن تشترك فيها الحكومة أو ينفرد بها أفراد الشعب .

اجتمع مجلس الوزراء يوم الأحد ٦ يناير ١٩٦٢ لمناقشة مشروع قانون تجنيد المتطوعين فى سلك الجيش النظامى الجديد الذى أعده العميد وحيد الدين رمضان رئيس خبراء التدريب العسكرى فى اليمن . وأثناء نظر ذلك المشروع أبلغ وزير الصحة الأستاذ على محمد سعيد المجلس بأنه وصل إلى علمه أن المسئولين فى مستشفى صنعاء قد رفضوا إنقاذ جرحى المتطوعين من أبناء اليمن الأسفل (الشوافع) بناء على تعليمات من قائد الحرس الوطنى المقدم هادى عيسى ، فقرر المجلس تشكيل لجنة وزارية برئاسة وزير الصحة وعضوية وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية النقيب محمد قائد سيف ، ووزير الشئون البلدية عبد القوى إبراهيم حاميم ، ووزير المعارف القاضى محمد محمود الزبيرى ، ووزير شئون القبائل القاضى عبد السلام صبره ، كى يذهبوا فورا إلى المستشفى فيقدموا تقريرا للمجلس الذى ظل فى حالة إنعقاد حتى تنتهى اللجنة من بحثها .

انتشر هذا الخبر فى أنحاء العاصمة صنعاء بعد أن تسرب إلى تعز حيث يقيم أهالى هؤلاء الجرحى . وعندما وصلت اللجنة الوزارية إلى المستشفى تبينت حقيقة الأمر فأصدرت تعليماتها بسرعة إنقاذ أولئك الجرحى وتحذير المسئولين فى المستشفى من نتائج تكرار مثل هذا العمل مرة أخرى .

وبعد نظر تقرير اللجنة فى مجلس الوزراء استحسنت عرضه على الرئيس السلال لإتخاذ ما يراه ضروريا لإيقاف مثل هذه الأعمال غير الوطنية التى تكررت من قائد الحرس الوطنى . وأذاع راديو صنعاء نقلا عن مندوب الإذاعة فى رئاسة الجمهورية

السيد عبد الوهاب جحاف (إن مجلس الوزراء ناقش المضايقات التى يشكو منها رجال الحرس الوطنى من بعض المسئولين اليمنيين وأن المجلس قد اتخذ القرارات المناسبة لإزالة أسباب هذه المضايقات تأكيدا للوحدة الوطنية) .

عندما سمع الرئيس السلال هذا الخبر ضمن نشرة أخبار الإذاعة اليمنية اتصل بى وسألنى هل وافقت على إذاعته ؟ قلت أنه من المستحسن أن يذاع على هذا النحو لإعادة الطمأنينة إلى نفوس أهالى الجرحى ، وإستعادة الثقة فى حرص الحكومة على حماية من يقاتلون فى سبيلها ، فقال أنه ينصح بعدم تكرار إذاعته فى نشرات الإذاعة الأخرى حتى لا يثير الحساسية الطائفية . فوافقته على رأيه حيث أن إذاعته ولو مرة واحدة تكفى لإحداث الأثر الذى أردته ولا يثير الحساسية الطائفية التى يخشاها السلال .

لا شك فى أن السلال كان حريصا على الوحدة الوطنية فقد كان رئيسا للجمهورية اليمنية من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها ، ولا شك فى أنه فى قرارة نفسه يبغض جميع أنواع التفرقة التى تمزق صفوف أبناء الوطن ، لكنه كان ضعيفا أمام هادى عيسى الذى لم يتأكد السلال من خيانته الوطنية إلا بعد أكثر من أربعة أعوام وعندئذ نفذ فيه حكم الإعدام رميا بالرصاص .

٦

جاء رد الفعل الأمريكى على تصريحات السيد على صبرى بعد يومين إثنين من أدلاته بها حيث أعلنت المصادر الأمريكية المطلعة فى واشنطن أن :

(طائرات حربية للولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط تزور المملكة العربية السعودية الآن فى مظاهرة من مظاهرات التأييد الأمريكى لهذه الدولة التى تشعر بأنها مهددة من جانب القوات المصرية الموجودة فى اليمن ، وقد ازداد قلق الولايات المتحدة بسبب الموقف فى شبه الجزيرة العربية هذا الأسبوع عندما أبلغ الأمير فيصل أمريكا أن طائرات من الجمهورية العربية المتحدة تعمل فى اليمن ألقت قنابلها وضربت بمدافعها الرشاشة واحة نجران فى المملكة العربية السعودية ، ولا تزال للجمهورية العربية المتحدة قوات فى اليمن تؤيد الجمهورية اليمنية التى أطاحت بحكومة الإمام فى سبتمبر الماضى) .

وقال المتحدث بإسم وزارة الخارجية الأمريكية (أننا قلقون قلقا عميقا بسبب الحوادث الجارية فى شبه الجزيرة العربية ونحن نفكر فى ما يمكن إتخاذه من تدابير أخرى لتخفيف حدة التوتر) .

فى نفس الوقت وصلتنى أخبار بأن عدد الطائرات والمدمرات الأمريكية التى تزور المملكة العربية السعودية قد يزيد أثناء المناورات الحربية التى تجريها القوات الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط ، والتى تتجه إلى السعودية كاستعراض للعضلات الأمريكية لتأكيد رغبة الولايات المتحدة فى أن ترى القوات المصرية وهى تنسحب من اليمن .

وصرحت المصادر الأمريكية المطلعة بأن (قرار إرسال السفن والطائرات الأمريكية إلى المملكة العربية السعودية قد اتخذ بعد أن أعربت حكومة السعودية عن قلقها العميق من التطورات التى حدثت فى اليمن) .

ومن جهة أخرى حذر دافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل من أن إسرائيل ستضطر إلى شد الأحزمة على البطون لتوفير ما يلزم لشراء مزيد من الأسلحة ، وقال فى إجتماع لحزب لافاى (إن الرئيس جمال عبد الناصر يحاول تطويق إسرائيل بتعزيز الثورة فى اليمن وغيرها من الدول المحيطة بإسرائيل) وأضاف يقول (إن على إسرائيل أن تكون مستعدة بالقوة لمواجهة التهديد بالقوة) .

على إثر ذلك طلبت روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى وأوضحت له إننى لا أجد مبررا لحالة القلق التى سيطرت فجأة على ذهن الحكومة الأمريكية ، وأن اليمن لاتزال تعمل بكل ثقلها من أجل إقرار السلام مع جيرانها وعدم التدخل فى شئونهم الداخلية وإحترام إستقلالهم الوطنى ، فلفت القائم بالأعمال نظرى إلى خطورة الغارة الجوية على نجران التى تفصح عن عدم رغبة الحكومة المصرية فى إقرار السلام ، وتصريحات السيد على صبرى التى وصفها بأنها تمثل تهديدا سافرا للحكومة السعودية وغيرها من الحكومات المعنية بهذا النزاع مما وضع الحكومة الأمريكية فى موقف حرج بعد أن اعترفت بحكومة الثورة اليمنية وتعهدت بمساعدة جميع أطراف النزاع على حقن الدماء وإقرار السلام .

أكدت للقائم بالأعمال الأمريكى أننى لا أشعر بأى قلق من ذهاب الطائرات والمدمرات الأمريكية إلى السعودية طالما كان ذلك سيؤدى إلى إشعار الحكومة السعودية بالأمن والإطمئنان ، لأنه لا توجد لدينا أية نوايا عدوانية على أحد ، وإما تصريحات السيد على صبرى فإنها لا تمثل وجهة نظر الحكومة اليمنية كما لا تعتبر إعلانا بحرب ولا إنذارا بقتال داخل الأراضى السعودية يبرر كل ذلك القلق الذى يحرك الطائرات والمدمرات والقوات والأساطيل .

قلت للقائم بالأعمال الأمريكى أنه قد بلغنى أن قيادة الطيران الأمريكى فى ألمانيا الغربية قد تلقت الأوامر بأن تكون أسراب مقاتلاتها من طراز F100 جاهزة للسفر عن طريق روما إلى المفرق فى الأردن ثم إلى الطائف فى السعودية فتمنيت أن تسمح الظروف بأن أطلب منها مواصلة رحلتها إلى صنعاء فى اليمن ويا حبذا لو كان معها الملك حسين والأمير فيصل كى نعقد المؤتمر الذى سبق ، ذات يوم ، أن اقترحته أمريكا لإقرار السلام فى الجزيرة العربية وهو غاية ما نسعى إليه فى الجمهورية اليمنية . (الأهرام ٦ يناير ١٩٦٣) .

كان روبرت ستوكى يثق فى صدق حديثى معه ، فهو الذى عاصر الضغوط المصرية السوفيتية التى تحملتها ولم أطلب منه مغادرة الأراضى اليمنية عندما تأخرت حكومته فى الإعتراف بنا ، وهو الذى سمعنى أنفى عن ثورتنا تهمة الشيوعية صراحة وعلنا فى كل المؤتمرات الشعبية التى عقدتها سواء قبل الإعتراف الأمريكى أو بعد الإعتراف الأمريكى ، فلم يعرف عنى كذبا ولا خداعا ، وإنما إصرارا على حماية الثورة اليمنية ودفاعا عن شعبها وسعيا إلى كسب صداقة جميع الدول التى يمكنها أن تساعد هذا الشعب فى تحقيق هدفه الأول والأساسى وهو النهضة الحضارية التى تلحقه بحياة العصر .

كان روبرت ستوكى يصدقنى حين أؤكد أن هذا الهدف الأول والأساسى لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إقرار السلام فى اليمن ، ويسلم بأننى بحكم ثقافتى الإقتصادية الإسلامية والأوربية أعرف هذه الحقيقة الأساسية ، ولذلك كان يثق فى أننى كنت أسعى مخلصا إليها ، علاوة على أنه لم يكن لدى الحكومة الأمريكية أى سبب يحملها على اليقين بأن مصر تريد إبقاء قواتها فى اليمن لفترة أطول .

كانت أمريكا تتابع نشاط العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية المحيطة بالرئيس عبد الناصر وتعرف كيف تؤثر عليه عند إتخاذ قراراته ، وكنت واثقا من أنها تعرف مثلى أن إبقاء القوات المصرية فى اليمن لفترة أطول ما هو إلا عملية إنتحارية لزعامة عبد الناصر الشخصية ، وهو يعرف ذلك جيدا ولذلك توقعت من أمريكا أن تستنتج مثلى أن عبد الناصر لن يستجيب لهذه العناصر بالنسبة إلى هذا القرار بالذات .

وعدنى القائم بالأعمال الأمريكى بأن ينقل هذا الحديث إلى حكومته كما وعدنى بأن ينقل إلى حكومته رغبتى فى ألا تترتب أية نتائج سلبية أمريكية على أية تصريحات حماسية مصرية ، وأن تركز أمريكا ثقلها فى إيجاد الثقة فيما بين جميع أطراف النزاع كخطوة أولى وضرورية نحو إقرار السلام فى شبه الجزيرة العربية .

فى نفس ذلك اليوم وصل سير شارلز جونسون حاكم عدن إلى لندن ليبحث مع المسئولين البريطانيين ما إذا كان على بريطانيا أن تعترف بالنظام الجمهورى فى اليمن .

وفجأة استدعى الرئيس السلال روبرت ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى يوم الإثنين ٧ يناير ١٩٦٣ ولم أحضر تلك المقابلة بالرغم من كونى وزير الخارجية إلى جانب منصبى كنائب لرئيس الجمهورية ، وعلمت من القائم بالأعمال أن الرئيس السلال هدده بالزحف على السعودية وضرب الأردن لإسقاط حكومتيهما الرجعيتين عميلتى الإستعمار ، والأغرب من ذلك أننى علمت أن الرئيس السلال قد صرح بذلك بناء على نصيحة السيد عزت سليمان وكيل المخابرات المصرية الذى كان أهم شخصية مصرية مقيمة فى اليمن فى ذلك اليوم لها حق إبداء النصح السياسى للرئيس السلال .

كما علمت أن السيد عزت سليمان قدم تلك النصيحة للسلال بناء على تعليمات السيد على صبرى ليثبت للسفير الأمريكى أننى لا أمثل السياسة اليمنية ، حتى يزداد قلق الحكومة الأمريكية وإقتناعها بجدية التهديدات المصرية ، التى يباركها السلال رئيس الجمهورية اليمنية ، والتى تستهدف الإطاحة فعلا بالحكومتين السعودية والأردنية .

وكان من الواضح أن الإتحاد السوفيتى الذى غضب من الإعتراف الأمريكى بحكومة الجمهورية اليمنية ، وخشى من إنهاء القتال فى اليمن ، أخذ يحرك عناصره المصرية ذات العلاقة السوفيتية للعمل على قلب مائدة السلام فى صنعاء فى وجه الولايات المتحدة الأمريكية ، التى بذلت أقصى ما استطعت لكسب ثقتها ، وعيناى على السلام مع السعودية والأردن ، وعقلى فى الحوار مع بريطانيا .

ويبدو أنه مع تزايد العلاقات الشخصية الخاصة مع الإتحاد السوفيتى نسى السيد على صبرى أن الثورة المصرية نفسها عندما قامت يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ اعتمدت على علاقات طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، التى ساعدت الثورة على تحييد القوات البريطانية المرابطة فى مصر ، ثم ساعدتها على إيجاد الحلول الوسطى التى أدت إلى توقيع إتفاقية جلاء هذه القوات ، التى احتلت مصر أكثر من سبعين عاما ، وكانت قيادة الثورة المصرية على صلة خاصة ووثيقة برئاسة الجمهورية الأمريكية بالإضافة الى صلتها الطيبة مع وزارة الخارجية والسفارة الأمريكية بالقاهرة .

وقد كشف الرئيس السادات النقاب عن جزء من هذه الحقيقة التاريخية فى كتابه (البحث عن الذات صفحة ١٤٣) حين كتب :

(قبل أن أعلن قيام الثورة ، وفى فجر ليلة ٢٣ يوليو ، فكرنا فى الإتصال بالأمريكان لنعطيهم فكرة عن أهداف الثورة وطبيعتها .. فقد كانت صورة أمريكا فى أذهاننا مقترنة بحماية الحرية ومناصرة حركات التحرر .. وكنا نهدف من هذا الإتصال أيضا إلى تحييد الأنجليز .. ولكن كيف نتصل ونحن لا نعرف أحدا بالسفارة الأمريكية ؟ هدانا البحث إلى ضابط مسئول عن مخابرات الطيران إسمه على صبرى ، وكان فى ذلك الوقت صديقا للملحق العسكرى الأمريكى .. فأرسلنا فى طلبه وحملناه رسالة إلى صديقه .. الذى نقلها بدوره إلى مستر كافرى السفير الأمريكى فى ساعة مبكرة من صباح ٢٣ يوليو ..

اعتبر السفير الأمريكى كافرى هذا لفتة طيبة منا وخاصة أنه كان صديقا شخصيا لفاروق أو هكذا كان يعتبره الملك ، وبالفعل كان اتصالنا به بداية علاقة طيبة بيننا وبينه .. حتى أنه فى الوقت الذى كان فيه الإنجليز يبذلون كل جهدهم لمعرفة من هم رجال الثورة ، كان السفير الأمريكى قد دعانا إلى العشاء فى بيته بالسفارة ، فلبينا جميعا دعوته .. أعضاء مجلس الثورة جميعا ..)

ثم أكد هذه الحقيقة السيد عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة المصرية فى مقال منشور فى صحيفة الأحرار القاهرية بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٨٣ فى الصفحة السابعة فكتب مشيرا إلى منزله قائلا (فى هذا المنزل كان إتصال الثورة بالسفير الأمريكى طلبا لإستمرار التأييد الأمريكى لمصر ، إذ إنها فى أول أيام الثورة أوقفت الجيش الأنجليزى الذى كان على بعد ٦٠ كيلومترا من القاهرة من التقدم لإحتلال القاهرة ليسحق الثورة ويثبت عرش فاروق كما سبق أن قام بتثبيت عرش توفيق ضد عرابى سنة ١٨٨١) .

هذا ما سجله السادات ثم أكده عبد المنعم أمين إختصارا لقصة ذات حلقات متعددة الجوانب متكاملة الجهود أقنعت أمريكا بعدالة المطلب المصرى ودفعت بريطانيا إلى الرحيل عن مصر بينما كانت تأمل فى أن تعود إليها فى صورة أخرى وفى أقرب وقت ممكن .

إذن .. أدركت قيادة الثورة المصرية أنه (حتى تنجح فى الوصول إلى الحكم) عليها أولا أن تعمل على توثيق أعظم الروابط مع الولايات المتحدة الأمريكية لأنها لا تستطيع أن تصل إلى الحكم في مصر ثم تجلى بريطانيا عن السودان فتحرر كل وادى النيل شماله وجنوبه وهى تعادى أمريكا وبريطانيا فى وقت واحد .

هذا هو درس التاريخ الذى عرفته فى مصر ، فلماذا أنساه فى اليمن ؟

وإذا كان حسن تقدير المواقف السياسية العسكرية ، وحكمة العقلاء يقتضيان استخدام العقل والسياسة وضبط النفس فلماذا يفقد الحكام حكمتهم ويجازفون بتوسيع ساحات القتال وإزهاق الأرواح واستنزاف طاقات شعوبهم البشرية والمادية والمعنوية فى معارك يمكن كسبها بالسلام دون اللجوء إلى الحرب ؟

على أى حال ، يبدوا أن أمريكا وبريطانيا لم تأخذا تصريحات السلال على محمل الجد وإنما فسرتاها بأنها مجرد ترديد لكلمات العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية التى لم تصل فى تلك الأيام إلى حد القدرة على دفع الرئيس عبد الناصر إلى الإنتحار ، فاستقبلت كرستوفر جاندى الوزير المفوض البريطانى فى اليمن بناء على طلبه وأبلغنى بأنه (تلقى تأكيدات قاطعة من حكومته بأنها قررت الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية وإن إعلان ذلك قد يستغرق وقتا لإستيفاء الأجراءات الشكلية لكنه لن يطول أكثر من عشرة أيام) . (الأهرام ٨ يناير ١٩٦٣) .

نشرت فى لندن كل من صحيفة الأكونوميست وصحيفة الأسبكتيتور أنه (كان من الأفضل لو قوبلت الجمهورية الجديدة فى اليمن بعبارة ترحيب واعتبر ظهورها فرصة لتحقيق التقدم الإجتماعى فى البلاد) ثم قالتا (أن موقف بريطانيا الحالى موقف غير منطقى ولا يستند إلى مخيلة العقلاء) .

غير أن تصريحات السيد على صبرى النارية التى زاد عليها الرئيس السلال إشتعالا قد بلغت هدفها حيث أدت إلى زيادة حدة التوتر فى المنطقة تنفيذا لمخطط يستهدف عرقلة سحب معظم القوات المصرية من اليمن على خلاف ما أصر جمال عبد الناصر على تنفيذه فى موعد أقصاه آخر يناير ١٩٦٣ أى خلال أقل من شهر من الإدلاء بتلك التصريحات .

اجتمع مجلس الوزراء السعودى برئاسة الأمير فيصل لبحث الموقف على الحدود السعودية اليمنية وأذاع راديو مكة أن (السفن والطائرات المقاتلة الأمريكية قد تحركت نحو المملكة العربية السعودية) .

ثم أذاع راديو مكة يوم السبت ٨ يناير ١٩٦٣ النص الكامل لخطاب الرئيس الأمريكى جون كنيدى إلى الأمير فيصل رئيس الحكومة السعودية الذى قال فيه :

(فى الوقت الذى تنهضون فيه سموكم بمسئولية جديدة وهامة لدى عودتكم إلى المملكة العربية السعودية أرغب فى أن أذكركم بزيارتكم للبيت الأبيض يوم ٥ أكتوبر وأود أن يكون مفهوما وبوضوح أن المملكة العربية السعودية يمكنها أن تعتمد على صداقة وتعاون الولايات المتحدة فى معالجة المهام العديدة التى تنتظرها فى الأيام المقبلة ، إن الولايات المتحدة تشعر بإهتمام عميق ودائم نحو المملكة السعودية وإستقرارها ، وإننى واثق فى أن المملكة بقيادتكم الحازمة الحكيمة ستمضى قدما وبنجاح فى طريق التمدن والإصلاح اللذين إختارتهما لنفسها بالفعل ، وباتباع هذا الطريق يمكنكم أن تتأكدوا من تأييد الولايات المتحدة التام للمحافظة على كيان المملكة العربية السعودية ، وأننى

على تمام العلم بأنكم كي تبلغوا أهدافكم ينبغي أن يتوفر لكم الهدوء الذى لا غنى عنه ، والذى يتمثل فى جو خال من المهاترات والتحريض من الداخل أو الخارج ، وإننى أشارككم قلقكم من التوتر الذى يخيم على المنطقة والذى يعرقل خطتكم لتقوية الجهاز الحكومى والكيان الإجتماعى فى المملكة السعودية ، وكما أبلغتكم فى واشنطن فإن الولايات المتحدة ترغب فى أن تساهم فى إيجاد الوسائل الكفيلة بتخفيف حدة هذا التوتر ، والذى أتنبأ به لبلدينا فى المستقبل وأنه ليس فقط مجرد الإستمرار فى العلاقات الودية التى بدأت موفقة للغاية فى عهد والدكم المجيد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بل أننى أتنبأ بإفتتاح فصل جديد فى العلاقات السعودية الأمريكية تكون فيه العروة التى تربط بيننا من تعهد كل منا برعاية مصالحه قد ازدادت قوة باشتراكنا فى العمل على تقوية حقوق الإنسان فى التقدم والحرية . إننى أتمنى لكم النجاح وأبعث لكم بأحر التمنيات كما أدعو الله أن يحفظكم ويحفظ الشعب السعودى وليمنحكم السلام .)

وفى واشنطن أذاع سالنجر السكرتير الصحفى للبيت الأبيض أن الغرض من إعلان نص خطاب الرئيس كنيدى للأمير فيصل هو (تاييد سياسة الأمير فيصل) ، بينما وصفه الأستاذ محمد حسنين هيكل فى صحيفة الأهرام بأنه (خطاب الحماية الذى بعث به كنيدى إلى فيصل) (الأهرام ٩ يناير ١٩٦٣) .

أما فى صنعاء فقد عقدت مؤتمرا صحفيا رحبت فيه بخطاب الرئيس كنيدى الذى أرسله إلى الأمير فيصل والذى أعلن أن المملكة العربية السعودية تحت قيادة الأمير فيصل الحازمة الحكيمة ستمضى قدما وبنجاح فى طريق التمدن والإصلاح وأنه باتباع هذا الطريق يمكن أن تعتمد المملكة على (تأييد الولايات المتحدة) وأنه كى تبلغ هذه الأهداف ينبغى أن يتوفر لها الهدوء الذى لا غنى عنه والذى يتمثل فى جو خال من المهاترات والتحريض من الداخل أو الخارج .

كان من منطق السلام الذى تحتاج إليه حكومة الثورة اليمنية أن أرحب بهذا الخطاب الذى تضمن مرة أخرى تعهد الولايات المتحدة الأمريكية بالمساهمة فى إيجاد الوسائل الكفيلة بتخفيف حدة هذا التوتر ، وهى تشارك المملكة السعودية فى قلقها الذى يخيم على المنطقة والذى يعرقل خطة الأمير فيصل لتقوية الجهاز الحكومى والكيان الإجتماعى فى المملكة .

استدعيت القائم بالأعمال الأمريكى يوم الخميس ١٠ يناير ١٩٦٣ وطلبت منه إبلاغ الرئيس كنيدى ترحيب الحكومة اليمنية بخطابه إلى الأمير فيصل وأعربت له عن أملى فى أن يفتتح الرئيس كنيدى فصلا جديدا فى العلاقات اليمنية الأمريكية بينما يفتتح فصلا جديدا فى العلاقات السعودية الأمريكية ، حيث أن السلام فى الجزيرة العربية كل لا يتجزأ ، والخطر الشيوعى الذى يمكن أن ينتشر فى أرجائها مع انتشار القلق والتوتر والحرب النفسية والمواجهة العسكرية لا يمكن أن يقتصر على جزء من هذه الجزيرة دون بقية الأجزاء الأخرى .

أضفت للقائم بالأعمال الأمريكى قائلا أنه ما دام الأمير فيصل يسعى إلى التمدن والإصلاح وتقوية الجهاز الحكومى والكيان الإجتماعى فى المملكة فإنه فى حاجة مثلنا إلى الإستقرار وتنمية فرص السلام ، ولذلك أتمنى أن تقوم أمريكا بإقناع الأمير فيصل بعدم جدوى أى نشاط ضد حكومة الثورة اليمنية التى تشاركه الحاجة الماسة إلى الإستقرار وتدعيم السلام فى هذه الجزيرة .

كان حديثى مع القائم بالأعمال بحضور عدد من الصحفيين الأجانب حتى ينقلوا مضمونه إلى الرأى العام العالمى إثباتا لحسن نية الحكومة اليمنية ورغبتها الصادقة فى تحقيق السلام على أراضيها وإقامة أوثق العلاقات مع المملكة العربية السعودية . وتوقعت أمام هؤلاء الصحفيين أن تعترف بقية دول العالم بالنظام الجمهورى فى اليمن فى وقت قريب ومن بينها بريطانيا لأنه ليس هناك حل آخر بعد أن شهد العالم سيطرة هذا النظام على جميع الأراضى اليمنية . (الأهرام ١١ يناير ١٩٦٣) .



المؤلف أثناء زيارته لأحد المواقع على الحدود



أبطال الثورة يصعدون إلى قمة جبل فى أقصى الحدود الشمالية لحماية الجمهورية

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ
حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ
وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ

قرآن كريم

خديعة الأصدقاء

الفصل الرابع عشر

١

ثارت بعض العناصر التى ظهر لها أنياب سوفيتية فى مصر على تصريحاتى التى أعلنتها أمام القائم بالأعمال الأمريكى والصحفيين الأجانب فى صنعاء والتى نشرتها الأهرام فى القاهرة ، وعلى نقيض سياسة حكومة الثورة الثابتة التى تتفق مع اتجاهات الرئيس جمال عبد الناصر والتى تستهدف الإسراع إلى تحقيق الإستقرار فى اليمن لإعادة أكبر قدر من القوات المصرية إلى مصر ، فوجئت بالرئيس عبد الله السلال يعلن فى يوم السبت ١٢ يناير ١٩٦٣ (التعبئة العامة وتجنيد الشعب لخوض معركة فاصلة للقضاء على الرجعيين والدخلاء من بقايا أسرة سعود وفيصل وحسين ، وقال إن الدول الصديقة المحبة للسلام على إستعداد لتقدم لنا كل ما نطلبه من مساعدات للقضاء الإستعمار والفساد وتطهير البلاد العربية من الحكام الخونة وأن الجمهورية اليمنية ستقوم مع الجمهورية العربية المتحدة فى طريق الزحف العربى المقدس لرفع راية العروبة عالية فى فلسطين) . نشرت الأهرام بيان الرئيس السلال فى صفحتها الأولى تحت عنوان (تعبئة عامة فى اليمن لخوض أى معركة ضد الرجعية) (الأهرام ١٣ يناير ١٩٦٣) .

كما فوجئت بإجتماع الرئيس السلال مع كبار ضباط القيادة المشتركة بغير حضورى ولأول مرة منذ أن قامت الثورة . (الأهرام نفس العدد السابق) .

ظهر على الملأ التناقض الحاد داخل إطار السياسة المصرية من جهة ، وداخل إطار السياسة اليمنية من جهة أخرى .

ففى مصر ظهرت عناصر ذات أنياب داخلية وخارجية ترفع راية عبد الناصر لكنها تتحدى سياسته وتتجاهل توجيهاته .

وفى اليمن أعلن رئيس الجمهورية (الحرب الفاصلة للقضاء على الرجعيين والدخلاء من بقايا أسرة سعود وفيصل وحسين استنادا على الدول الصديقة المحبة للسلام) وهذا وصف يطلقونه عادة على دول الكتلة الشرقية التى قال رئيس الجمهورية اليمنية (إنها على إستعداد لتقدم لنا كل ما نطلبه من مساعدات للقضاء على الإستعمار .. وتطهير البلاد العربية من الحكام الخونة) بينما أعلنت بصفتى نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للخارجية (أن اليمن تسعى إلى إقرار السلام وتعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية فى تخفيف حدة التوتر فى المنطقة ، وخلق المناخ الملائم لإيجاد علاقات وثيقة بين الجمهورية اليمنية

والمملكة العربية السعودية كدعامة أساسية للإستقرار فى الجزيرة العربية ، كما تسعى اليمن إلى حصولها على إعتراف بريطانيا بحكومتها الثورية الجمهورية تمهيدا لإيجاد علاقات تعاون وصداقة بين البلدين على أساس إعطاء جنوب اليمن المحتل حق تقرير المصير) .

وضح على الملأ أن الرئيس السلال رفع راية الحرب ليسقط من يدى راية السلام التى سبق أن اشترك فى صنعها وساندنى فى رفعها .

ولا أدرى لماذا رفع راية الحرب على حكام الجزيرة العربية بعد أن ضمنا صداقة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، واقتربنا من شهر العسل مع المملكة العربية السعودية والأردن ، وبالرغم من أننا كنا عاجزين عن الدفاع عن صنعاء إلا بمعونة القوات المصرية التى وعد الرئيس عبد الناصر ، بعد إلحاح من السلال ومنى ، ببقائها فترة لا تتجاوز آخر يناير ١٩٦٣ على أمل أن نتمكن من إعداد وتدريب قواتنا اليمنية .

ولم يكن عجزنا عن الدفاع عن صنعاء راجعا إلى تماسك فلول الإمامة ، وإنما كان نتيجة لتفكك رجال الجمهورية ، ومعارضة السلال المستمرة فى إنشاء الجيش اليمنى الحديث ، وتنازع العناصر المصرية على الإنفراد بإدارة الشئون اليمنية .

كانت القيادة المصرية تستقطب نشاط القبائل عن طريق العميد عباس فهمى مدير شئون القبائل بهذه القيادة وتغدق عليهم المال والسلاح بعيدا عن السلال والبيضانى وضباط الثورة والسفارة المصرية .

وكان القائم بالأعمال المصرى الأستاذ محمد عبد الواحد يحرك نشاط السلال بعيدا عن البيضانى والقبائل وضباط الثورة والقيادة المصرية .

وكانت عناصر المخابرات المصرية فى اليمن تستدرج نشاط من تعرفهم من ضباط الثورة وتبعدهم عن السلال والبيضانى والقبائل والقيادة المصرية والسفارة المصرية .

ولم يكن البيضانى محل استقطاب من جانب أحد ، لأنه كان متهما من جانب كل هؤلاء بأنه هو الذى كان يدير شئون اليمن . فاجتمعوا عليه يشلون حركته ويقتسمون تركته .

وكان ذنب البيضانى أنه أدرك أبعاد الموقف الخطير الذى يسود الظروف المحيطة بالثورة والثغرات المتعددة التى اخترقت جدرانها ، فاستمات من أجل إنقاذها والدفاع عنها ، والتحرك المرن فى كل الجهات لسد ما أمكن من الثغرات .

ولا أدرى كيف تطلع القائم بالأعمال المصرى إلى حكم اليمن من خلال السلال .

وكيف تطلع ضباط القيادة المصرية إلى حكم اليمن من خلال القبائل اليمنية .

وكيف تصورت المخابرات المصرية فى اليمن أنه كان فى وسعها أن تحكم اليمن من خلال المتناقضات اليمنية المصرية .

ثـم ..

لماذا تعمل المساعدات المصرية على تمزيق قوى الثورة اليمنية ؟

كانت هذه أقوى وأمضى الأسلحة التى اعتمد عليها أعداء الثورة ، الذين ساعدهم رئيس الجمهورية بإعلان الحرب على حكام الجزيرة العربية .

وبعد أن سبق لصحيفة واشنطن بوست الأمريكية أن كتبت يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ مقالا إفتتاحيا أثنت فيه على قرار الحكومة الأمريكية بالإعتراف بحكومة الثورة اليمنية وقالت إن الإعتراف الرسمى يعد انتصارا للعقل ، وأن شعب اليمن يجب أن يعطى فرصة التصرف فى شئونه الداخلية نراها فى ١٤ يناير ١٩٦٣ تعدل عن موقفها السابق كرد فعل لإعلان الرئيس السلال وتقول :

(إن إشتراك الرئيس جمال عبد الناصر بصورة سافرة فى تأييد ثورة اليمن وعداوته لرؤساء الدول فى السعودية والأردن يثيران التساؤل حول حكمة برنامج المساعدات الأمريكية للجمهورية العربية المتحدة) وأضافت قائله (إن المسئولين الأمريكيين يعلمون تماما أن تدخل عبد الناصر فى الدول العربية الأخرى يتعارض مع سياسة أمريكا التى تهدف إلى المحافظة على إستقرار الشرق الأوسط وتحاشى المنازعات فى المنطقة) .

كان من واجبي الوطني والقومى أن أشرح للرئيس السلال مدى خطورة تحدى كل القوى العالمية المحيطة بالثورة اليمنية ، مما يؤدى حتما إلى إتساع رقعة القتال فى كل أنحاء اليمن فنتحول إلى وقود لمعركة نفوذ دولية بين الشرق والغرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل .

أوضحت له أن القوى الكبرى تتصارع علينا من أجل موقعنا الجغرافى وأهميتنا الإستراتيجية ، ولا يهمها منا أكثر من ذلك ولا أقل ، ولا يضيرها أن نكون ملكيين أو جمهوريين ، رجعيين أو تقد ميين . فلماذا لا نحدد مصلحتنا اليمنية وحدها دون غيرها ؟ ثم نسعى إلى تحقيقها وحدها دون سواها ، وهى فى النهاية لا تخرج عن دائرة مصلحتنا القومية التى يجب أن نشارك فى رسم كيانها ما دمنا جزء منها .

أكدت للرئيس السلال أن مصلحتنا الوطنية التى لا تخرج عن دائرة مصلحتنا القومية تنحصر فى تسخير كل جهودنا لتثبيت دعائم جمهوريتنا ، وتنمية عناصر الإستقرار فى بلدنا ، حتى نستأنف السير على طريق تحقيق أهدافنا ، ولا دخل لنا فى أنظمة الحكم خارج حدودنا . وما دامت أمريكا قد تعهدت بمساعدتنا وبريطانيا قد التزمت بالإعتراف بنا وإعطاء حق تقرير المصير لجنوبنا فلماذا نرفع شعارات الحرب على الإستعمار ونحن نعلم أن معظم النار من مستصغر الشرار ، وبلادنا مفتوحة ، وأراضينا مليئة بالوقود ، وشعبنا يرقص على أوتار البارود .

اقتنع الرئيس السلال بهذا المنطق اليمنى المجرد والمستخلص من واقع الحال الذى كنا فيه فى ذلك الوقت ، وكان كريستوفر جاندى الوزير المفوض البريطانى على وشك السفر إلى بريطانيا للتشاور مع حكومته حول الإعتراف بالجمهورية اليمنية فاستدعيته لمقابلة

الرئيس السلال بحضورى ، حتى يؤكد له الرئيس بنفسه حرص الحكومة اليمنية على إقرار السلام فى المنطقة فيمتص الآثار السلبية التى أوجدها بنفسه عندما أعلن التعبئة العامة والحرب على الرجعية والاستعمار .

فى تلك المقابلة أكد الوزير البريطانى إتجاه حكومته إلى الإعتراف بالجمهورية اليمنية بعد أن أكد له الرئيس السلال نية الحكومة اليمنية التى تتجه إلى إزالة أسباب التوتر والقلق حول حدودنا ، فأراد الوزير البريطانى أن يفسر كلمة « حدودنا » بالعلامات المؤقتة التى تفصل بين الجمهورية اليمنية وجنوبها المحتل فقلت له أن الرئيس يقصد بكلمة « حدودنا » الحدود اليمنية الشمالية مع السعودية ، أما العلامات المؤقتة فى الجنوب فإن أمرها ، كما سبق أن اتفقنا ، متروك لأهالى ذلك الجنوب عندما يقررون مصيرهم طبقا لقواعد القانون الدولى .

قدم الوزير البريطانى إلينا صورة الخطاب الذى سوف يلقيه أمام الرئيس السلال عندما يقدم إليه أوراق إعتماده بعد أن تعترف الحكومة البريطانية بنا ، وقدمت إليه صورة الرد الذى سوف يلقيه الرئيس ردا على خطابه . وكنت قد اتفقت مع الوزير البريطانى قبل ذلك ، خلال عدة جلسات ، على صيغة الخطاب البريطانى والرد اليمنى حتى نتفادى الكلمات الخاصة بالجنوب المحتل والتى يجب ألا يفاجىء بها أحدنا الآخر عند إلقائها .

وبعد إنتهاء المقابلة صرح الوزير البريطانى للصحفيين بأنه (أبلغنى أن حكومته ترغب فى إقامة علاقات ودية مع جمهورية اليمن ، وإننى أبلغته أن حكومة الثورة كانت تسعى إلى ذلك منذ قيامها ، لكن بريطانيا لم تفسح المجال لتنمية هذه العلاقات بتأخرها فى الإعتراف بالوضع الشرعى الذى تمثله حكومة الثورة) . (الأهرام ١٥ يناير ١٩٦٣)

وأعلن راديو لندن يوم ١٥ يناير ١٩٦٣ أن (جاندى سوف يقدم تقريرا شخصيا إلى اللورد هيوم وزير الخارجية عن إجتماعه مع قادة اليمن كما يبحث معه مسأله الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية) .

وتأكيدا لنجاح سياستى اليمنية مع الحكومة البريطانية صرحت مصادر بريطانية رسمية فى لندن يوم الأربعاء ١٦ يناير ١٩٦٣ بأن (بحث الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية يمر بمراحله النهائية) وقالت (إن المشاورات التى دارت خلال الاسبوعين الأخيرين فى العاصمة البريطانية كانت تستهدف إيجاد وسيلة لإعلان الإعتراف) .

فى صنعاء صرح ستوكى القائم بالأعمال الأمريكى أنه (ينتظر رسالة هامة من حكومته تتعلق بموضوع العلاقات بين اليمن وأمريكا) وقال أنه (يتوقع أن تكون لها صلة بموضوع إعتراف بريطانيا باليمن) .

ثم أذاع راديو لندن فى يوم الخميس ١٧ يناير ١٩٦٣ أن (وزير بريطانيا فى اليمن فى طريقه إلى لندن للتشاور بعد أن وصل إلى عدن) وقال الراديو أن (جاندى قد استدعى لتقديم تقرير إلى اللورد هيوم وزير الخارجية البريطانية حول محادثاته الأخيرة مع زعماء الثورة فى اليمن وحول التطورات هناك منذ قيام الثورة حتى الآن) . (الأهرام ١٨ يناير ١٩٦٣) .

فى ذلك اليوم دعانى الرئيس السلال إلى بيته لبحث آخر التطورت الحربية بدعوى إنهيار عدة جبهات فى عدة مناطق قريبة من صنعاء . فوجئت بهذا الخبر لأننى كنت أعرف جيدا أن موقفنا الحربى على أحسن ما يرام وأنه لم تحدث أية تطورات تناقض ذلك .

اتصلت بجميع قيادات المناطق الحربية ، على سبيل الإحتياط ، وتأكدت من سلامة الموقف لكننى عندما اتصلت باللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية أخبرنى نقيض ذلك قائلا أن الموقف العسكرى متدهور وأنه تلقى من الرئيس السلال طلبا لاستدعاء المزيد من القوات المصرية من مصر وأنه أرسل هذا الطلب مدعما بالتوصية منه إلى القاهرة لكنها اعتذرت للسلال معتقدة أن الموقف العسكرى لا يحتاج إلى شيء من ذلك ، وأضاف أنه لمن المؤسف أن يصر الرئيس عبد الناصر على عودة الجانب الأكبر من القوات المصرية إلى مصر فى أسرع وقت . وكنت واثقا من صدق تقدير اليمنيين العسكريين من رجال قيادات المناطق الحربية وغير مقتنع بأخبار اللواء أنور القاضى .

ذهبت إلى بيت الرئيس السلال فوجدت عنده وزير العدل القاضى عبد الرحمن الاريانى وبعض الزملاء الذين كان من بينهم النقيب حمود بيدر المكلف بالسفر إلى الجزائر يحمل رسالة إلى الرئيس الجزائرى أحمد بن بيلا ردا على رسالته إلى الرئيس السلال ، وكررٌ السلال ما سبق أن قاله لى عن الموقف الحربى ، وقال أنه قرر إرسال وفد إلى الرئيس جمال عبد الناصر برئاسة القاضى عبد الرحمن الاريانى ليشرح له خطورة الموقف العسكرى فى اليمن ويطلب منه المزيد من القوات المصرية أو يأذن لليمن بطلب قوات أخرى من العراق قائلا أنه إذا كان لم يعد يشعر بالأمن على نفسه ذاتها فكيف يطمئن على سلامة الجمهورية كلها .

كان السلال يسند حراسته كلها إلى القوات المصرية ، على عكس ما فعلت حيث كانت حراستى مشكلة كلها من قوات يمنية ، بعضها من قبائل البيضاء ومعظمها من شباب صنعاء وعلى رأس هذه القوات النقيب الهاشمى السيد محمد حسين الشامى .

فسرت قرار الرئيس السلال إرسال ذلك الوفد إلى القاهرة بأنه كان لا يزال معارضا فى عودة الجانب الأكبر من القوات المصرية إلى مصر وأنه لم يكن مطمئنا إلى الإكتفاء بالقوات المدرعة والجوية المصرية ، كما أنه قد عدل عن إنشاء جيش يمنى من المشاة المتطوعين لأنه لم يكن مطمئنا إلى ولاء الجمهوريين . كان السلال قلقا على مركزه كرئيس للجمهورية فأراد أن يحرج عبد الناصر بأن يقبل إرسال المزيد من القوات المصرية إلى اليمن ويعدل نهائيا عن رغبته عودة القسم الأكبر منها إلى مصر ، أو يضطر إلى قبول قوات من العراق ، فينتهى الدور المصرى فى اليمن نهاية مأساوية .

لم يكن عندى أدنى شك فى أن السلال الذى أصبح قلقا على منصبه لم يعد قادرا على إدراك خطورة إحراج عبد الناصر بطلب قوات غير مصرية لحماية الجمهورية اليمنية ، فاستغل القاضى عبد الرحمن الاريانى قلق السلال المتزايد على منصبه ، كما قامت العناصر المصرية ذات العلاقات السوفيتية بمساعدة الاريانى على استثمار قلق السلال للضغط على الرئيس عبد الناصر ، حتى يعدل عن سحب تلك القوات المصرية من

اليمن ، فتتسع ساحة القتال فى الجزيرة العربية ، وتنهار محاولات السلام اليمنية ، التى كانت الركيزة الأساسية التى مكنت الجمهورية اليمنية من الحصول على إعتراف الولايات المتحدة الأمريكية .

كنت أدرك أن توريط القوات المصرية فى اليمن يؤدى إلى إستنزاف رئاسة عبد الناصر فى مصر وتقويض زعامته بين العرب .

شعرت بمسئوليتى نحو اليمن ومصر ونحو الرئيس عبد الناصر الذى سبق أن حصلت على وعده بمساعدة الثورة ، ذلك الوعد الذى لولاه لما قامت الثورة اليمنية على الإطلاق .

رأيت أن أسافر على رأس هذا الوفد إلى مصر لأدرس هذا الموقف الحرج مع الرئيس عبد الناصر ، وأشرح له ما يحيط بإصرار السلال على طلب المزيد من القوات المصرية ، فى وقت لاحت فيه بوادر الإستقرار والسلام ، ولم يكن عندى ثمة شك فى أن السلال بعد أن سقط فى مصيدة الاريانى والعناصر المصرية ذات العلاقات السوفيتية قد استجاب إلى خطة توسيع رقعة القتال فى اليمن على عكس ما كان يسعى إليه جمال عبد الناصر وأنور السادات .

أبديت للمجتمعين رغبتى فى السفر على رأس ذلك الوفد إلى مصر فاستحسن السلال هذا الرأى وانسحب الاريانى من عضوية الوفد ، واكتفى السلال بأن يصاحبنى إلى مصر النقيب حمود بيدر[١] الذى كان فى طريقه إلى الجزائر يحمل رسالة إلى الرئيس بن بيلا .

وفى المساء زارنى السلال وسلمنى رسالة خطية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يشرح فيها الموقف الحربى فى اليمن من وجهة نظره التى أملوها عليه .

وفى صباح اليوم التالى (الجمعة ١٨ يناير ١٩٦٣) وقبل توجهى إلى المطار فى طريقى إلى القاهرة جاءنى العميد محمد الجرموزى يحمل رسالة من الرئيس السلال (الوثيقة رقم ٢٨) يقول فيها :

الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضانى

بعد التحية أرجو أن تضيفوا اسم العميد الحاج محمد الجرموزى معكم ليرافقكم فعنده من الحقائق والتجارب ومعرفة مجهود الجيش اليمنى ونظامه ما لا يوجد عند أحد ومرافقته لكم مهمة جدا وقد أبلغته بهذا ختاما تقبلو تحياتى ،

أخوكم
رئيس الجمهورية
عبد الله السلال

---

(١) رئيس أركان حرب القوات اليمنية المسلحة فى وقت لاحق وحاليا سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية .

٢

وصلنا إلى القاهرة وكان فى استقبالنا فى المطار أنور السادات ، وفى المساء اجتمعنا بالرئيس عبد الناصر وشرحنا له الموقف الحربى فى اليمن وكافة وجهات نظرى حول خطورة توسيع رقعة القتال فى اليمن وضرورة الاسراع بعودة وحدات من القوات المصرية إلى مصر لتمكين الولايات المتحدة الأمريكية من إزالة مخاوف السعودية . فقال الرئيس عبد الناصر أن برقية قد سبقتنا إليه من الرئيس السلال تلح على طلب المزيد من القوات المصرية إلى اليمن ملوحة بامكانية الاستعانة بقوات عراقية إلى جانب القوات المصرية ثم قال إنه استجاب لرغبة السلال وأمر بإرسال المزيد من القوات المصرية إلى اليمن . (الأهرام ١٩ يناير ١٩٦٣)

ودعت الرئيس جمال عبد الناصر الذى طلب أن التقى به فى مساء اليوم التالى لأتحدث معه فى طريق عودتى إلى اليمن حيث كان النقيب حمود بيدر فى طريقه إلى الجزائر حاملا رسالة السلال .

فى صباح اليوم التالى (السبت ١٩ يناير ١٩٦٣) طلب السفير السوفيتى فى مصر مقابلتى على وجه السرعة فحددت له موعدا ظهر ذلك اليوم فى دار السفارة اليمنية بالقاهرة .

سألنى السفير السوفيتى عن مستقبل علاقتنا اليمنية مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على ضوء أعمال التخريب ضد الثورة اليمنية التى تقوم بها الحكومتان الأردنية والسعودية ، فقلت أننا واثقون فى أن كل هذه الأعمال سوف تتوقف قريبا حتى نركز جهودنا فى أعمال التنمية الإقتصادية التى أرجو أن يقوم الإتحاد السوفيتي بدور كبير فيها . فسألنى عن مدى استجابة الرئيس عبد الناصر لرأيى فى إعادة القسم الأكبر من القوات المصرية إلى مصر على ضوء قراره الأخير بإرسال المزيد من القوات المصرية إلى اليمن ، فقلت أن الرئيس عبد الناصر مقتنع بعودة كل القوات المصرية من اليمن بعد أن نجحت هذه القوات فى تثبيت دعائم الجمهورية اليمنية ، كما نجحت فى مساعدتنا على إقناع الولايات المتحدة بالقيام بدور إيجابى بوقف العدوان علينا من الخارج وتهريب السلاح ضدنا فى الداخل ، لكن الرئيس عبد الناصر قد استجاب لإرسال المزيد من القوات المصرية إلى اليمن بصفة مؤقتة لتهدئة السلال الذى تثيره تقارير عسكرية مصرية غير واقعية جاءته من اليمن ونصائح سياسية قدمت إليه من مصر ، وهى نصائح غير عقلانية لأنها لم تدرس طبيعة المصالح اليمنية ولا حقيقة المصالح المصرية .

اقتصر الحديث على هذين السؤالين وحدهما واستعجل السفير السوفيتى الاستئذان فى الإنصراف ، فعجبت كيف يطلب السفير السوفيتى مقابلتى على وجه السرعة لمجرد أن يسألنى هذين السؤالين وحدهما دون سواهما ثم يتعجل إنهاء المقابلة وكأنه كان مرتبطا بإرسال نتيجة هذه المقابلة إلى موسكو فى وقت معين .

وفى المساء وصل أنور السادات إلى بيتى ليصحبنى إلى بيت الرئيس جمال عبد الناصر فى طريقى إلى المطار عائدا إلى صنعاء .

السادات يجتمع بالبيضانى

اجتماع هام فى سفارة اليمن

عقد السيد انور السادات عضو مجلس رياسة الجمهورية اجتماعا قبل ظهر امس بالدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس جمهورية اليمن ووزير الخارجية لمدة ساعة تناول البحث فيها الموقف على حدود اليمن.

وفى المساء عقد اجتماع بدار سفارة اليمن اشترك فيه الدكتور البيضانى والسفير السوفيتى والعقيد عبد الله جزيلان وزيرالدفاع وعضو مجلس قيادة الثورة والسيد احمد محمد باشا الوزير المفوض لسفارة اليمن.

قاذفات قنابل ثقيلة

وصلت الى جمهورية اليمن

اذاع راديوصنعاء امس ،ان الرئيس عبدالله السلال ، رئيس جمهورية اليمن ، قام امس بتفقد قاذفات القنابل الثقيلة بعيدة المدى التى وصلت اخيرا الى اليمن .

مشاورات هيوم تبدأ

مع وزير بريطانيا فى اليمن

لندن فى ١٩ — ى.ب.ا — وصل كريستوفر جاندى الوزير المفوض لبريطانيا فى اليمن الى لندن ليبدأ مشاوراته مع حكومته حول مسألة اعتراف بريطانيا بحكومة الثورة ، وقد صرح جاندى الذى استدعته حكومته للتشاور بانه سيعود الى صنعاء بعد انتهاء مهمته ووصف الحالة فى اليمن بانها هادئة . كما اثنى على المعاملة الطيبة التى لقيها من حكومة الثورة.

الأهرام ٢٠ يناير ١٩٦٢ (الصفحة الأولى)

ذهبت معه إلى الرئيس جمال فوجدته حائرا على غير عادته ، وبعد صمت طويل وعيناه شاخصتان على ورقة فوق مكتبه قال الرئيس (يا أخ عبد الرحمن لقد قمت بدور لا ينساه لك تاريخ اليمن ومسيرة الأمة العربية . ورجال التاريخ قد يصنعونه في يوم ، وقد يصنعونه فى سنة ، أو عشرات السنين ، لا تهم المدة وإنما يبقى الأثر . وأنت قد قمت بدورك فى الثورة اليمنية وحققت ما كنت تنادى به) . ثم سكت الرئيس جمال وعاد إلى الإستغراق فى الصمت بينما لا توحى ملامحه بشىء من الإطمئنان ، فحيرنى صمت الرئيس حتى سألته (هل اعتبر كلماته كلمات ثناء أو رثاء ؟) .

قال الرئيس أنه فى صباح ذلك اليوم سلم عضو الوفد اليمنى العميد محمد الجرموزى إلى مدير مكتبه رسالة من المشير السلال يطلب منهابقائى فى مصر لأننى أيقظت فى اليمن النعرات الطائفية ، عندما دافعت عن الشوافع بطريقة أساءت إلى الزيود ، وأستشهد

ببرقية أرسلها إليه الشيخ أحمد عبد ربه العواضى أحد أبناء منطقة البيضاء ، الذى لم أسمع عنه من قبل ذلك قط ، يقول فيها إننى طلبت من القبائل الشافعية أن تتصدى للنفوذ الزيدى[1] .

أبدى الرئيس جمال أسفه من رسالة السلال وأسلوبه فى التخلص من نائبه الذى كان ذراعه الأيمن . أما أنور السادات فقد كان حزينا أشد الحزن ، ساخطا على أسلوب السلال أعظم السخط ، مشفقا على مصير الجمهورية اليمنية عندما ينفرد برئاستها السلال الذى يستجيب لكل المتناقضات وجميع التيارات ، ويفتقد إلى طاقة التركيز الذهنى لا ستيعاب بواعثها واستخلاص نتائجها ، ويتأثر بما يمليه عليه المحيطون به ، المجتمعون حوله .

شكرت للرئيس عبد الناصر شعوره الكريم نحوى وكلماته التاريخية التى اعتبرتها وساما على صدرى ، كما شكرت السادات الذى أسهب فى استعراض مواقف السلال منذ قيام الثورة .

أبديت أسفى للرئيس جمال على اختيار السلال المبررات الطائفية ليزيحنى من جانبه على أمل أن ينفرد بالسلطة ، وهو أول من يعلم فى قرارة نفسه أننى لست الرجل الذى يستند فى مقوماته الشخصية والذاتية إلى عصبيات طائفية ، ولو كنت كذلك لما كنت قد عارضته عندما اقترح نقل العاصمة إلى تعز عاصمة الشوافع ، وما كنت أطلب زوجتى وأطفالى إلى صنعاء قلعة الزيود ليشاركوا أهلها حظهم عندما أشرفوا على السقوط فى يد المتمردين ، وما كنت أحارب بنفسى فى رأس الوتده ومعظم معارك الشمال إكتفاء بولاء الجنوب .

قلت للرئيس جمال وأنور السادات أننا لم نكن فى صنعاء نتكلم لغة واحدة ، ولم نكن نعزف نشيدا وطنيا يمنيا متفقا عليه ، لقد سعيت إلى السلام وسعى السلال إلى الحرب ، ولكل منا فلسفته ومبرراته . لقد استعنت بأمريكا وبريطانيا لتهدئة مخاوف الأردن والسعودية ، والابتعاد عن محظور تدويل الحرب اليمنية ، وتثبيت جذور الثورة فى اليمن وتخفيف الأعباء العسكرية والمالية عن مصر ، والحفاظ على قواتها الإستراتيجية لمواجهة الأطماع الصهيونية رغم أن المشير عبد الحكيم عامر كان يطمأننى على الإستراتيجية المصرية ، ويؤكد أنه كلما أرسل جنديا إلى اليمن كان (يزرع) بدله عشرين فى مصر ، وكان يستغرب خوفى من أن تستغل إسرائيل فرصة وجود الجيش المصرى فى صنعاء فتحاول إسقاط قلعة العروبة فى القاهرة .

استرسلت قائلا للرئيس جمال وأنور السادات أن تلك كانت فلسفتى ومبرراتى التى أقنعت بها السلال ، فارتبط بها طوال الأشهر الماضية حتى فاجأنى بالخروج عليها ، فأعلن الحرب على الدول الغربية وحكام الجزيرة العربية معتمدا على القوات المصرية والدول الإشتراكية ، ملوحا بالإستعانة بالقوات العراقية ، ضاربا عرض الحائط بالأساطيل الأمريكية والقوات البريطانية ، ناسيا أنه لا يستطيع أن يعتمد فى اليمن سوى

---

(١) ومن مفارقات القدر أن ذلك الرجل الذى أصبح ، فيما بعد ، رجل السلال الأول فى القسم الشافعى اتهمته الحكومة اليمنية فى وقت لاحق بإثارة النعرة الطائفية الشافعية فضربت بيته بالصواريخ والدبابات حتى هدمته على رأسه مع العشرات من رجاله .

على ولاء صاحبه عبد الرحمن البيضانى ، وأما بقية اليمنيين من أصحاب الحل والعقد فهم إما جمهورى يرى أنه أحق من السلال بالرئاسة ، وإما ملكى يسعى إلى عودة الإمامة ، فكان الأولى به أن يسعى إلى السلام حتى تستقر الثورة مع الحفاظ على القيادة الجماعية كى يحتفظ برئاسة الجمهورية .

قال السادات أنه نصح السلال بألا يستمع إلى نصيحة الاريانى الذى يسعى إلى إزاحته بعد كسر ذراعه البيضانى . فقال الرئيس جمال إن السلال لم يقدر الموقف الدولى ، وأنه حتى لو كان يريد الإستئثار بالسلطة لاختار الوقت المناسب بعد أن تستقر الثورة ، ولذلك فإنه فى حاجة إلى من يشرح له خطورة تفتيت قوى الثورة اليمنية وخطورة تحميل مصر كل أعباء الدفاع عنها ، وإذا كانت هناك حساسية معينة فإنه يمكن علاجها بما يدعم الثورة ولا يشتت شملها . وقال الرئيس عبد الناصر إنه سيرسل إلى السلال خطابا ينصحه بإعادة التفكير فى رسالته ، وطلب منى أن أكتم ما سمعت وأن أتصرف فى مصر كما لو أننى لم أعرف شيئا عن رسالة السلال .

وقبل أن أخرج مع السادات من مكتب الرئيس جمال وصلتنا أخبار تفيد أن قاذفات قنابل روسية ثقيلة بعيدة المدى وصلت إلى جمهورية اليمن وأن الرئيس السلال قام بتفقدها فى مطار صنعاء .

استدعى أنور السادات النقيب حمود بيدر وطلب منه أن يؤجل سفره إلى الجزائر حتى يعود إلى صنعاء يحمل رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر إلى الرئيس السلال . ونظرا للتقدير الخاص الذى كانت تحمله مصر لجميع ضباط الثورة ومن بينهم النقيب حمود بيدر فقد أطلعه السادات على مضمون رسالة الرئيس عبد الناصر إلى السلال وأبدى له إستياءه واستياء الرئيس جمال عبد الناصر من تصرف السلال نحوى ، وكان حمود بيدر صريحا فى استيائه من ذلك أيضا .

فى يوم الأحد ٢٠ يناير ١٩٦٣ تلقى الرئيس السلال أول رسالة من خروشوف نشرت عنها الأهرام أنه أكد فيها للسلال أن (قيام ثورة اليمن قد هيأ الظروف المناسبة كى تزداد الصداقة السوفيتية توافقا وتطورا) .

أدهشتنى رسالة خروشوف العاجلة إلى السلال بعد مقابلتى مع السفير السوفيتى فى اليوم السابق على تلك الرسالة ، ثم وصول الطائرات الروسية الثقيلة قاذفة القنابل بعيدة المدى إلى صنعاء ، كما لو كان ذلك مقدم الثمن الذى دفعه الإتحاد السوفيتى إلى السلال كى يصر على إبعادى فى مصر فيبدأ فى تشييع جنازة السلام فى اليمن ، ودفن جثمان الصداقة التى عقدتها مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وإطفاء بريق الغزل الذى داعبت به الأردن والمملكة العربية السعودية ،وإخلاء المسرح لممثلى الإتحاد السوفيتى اليمنيين والمصريين المكلفين بإشعال الحريق فى الجزيرة العربية ، وهم يتظاهرون برفع راية عبد الناصر بينما يعملون فعلا على إسقاطها .

فى نفس اليوم وصل إلى صنعاء الفريق محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية المصرية وقابل المشير السلال ثم حضر إجتماعا برئاسة السلال شهده كبار ضباط القيادة

المصرية واليمنية لبحث تطورات الموقف على الحدود والإجراءات الكفيلة بسحق محاولات التسلل إلى الأراضى اليمنية كما جاء فى صحيفة الأهرام يوم ٢١ يناير ١٩٦٣ ، التى نشرت إلى جانب ذلك الخبر أن (خروشوف أعطى أمريكا درسا لا تنساه) وقالت على لسان خروشوف (إننا لا نضع أملنا فى الله أو فى الشيطان . إننا نؤمن بقوتنا ، نؤمن بقوة ما يمكننا أن نضعه بأنفسنا) وقال (إن الأمريكيين وإن كانوا كشروا عن أنيابهم كالذئاب أثناء الأزمة الكوبية فإنهم لم يعضوا مطلقا) .

تأخر الموعد المحدد لاستلام النقيب حمود بيدر رسالة الرئيس جمال عبد الناصر يومين ثم سافر بها إلى صنعاء ولم يكن السلال قد أعلن شيئا عن تصرفه معى إنتظارا لرد فعل الرئيس جمال عبد الناصر .

وتنفيذا لنصيحة الرئيس عبد الناصر ، بأن أتصرف فى مصر كما لو أننى لم أطلع على رسالة السلال ، استقبلت بعض الصحفيين الأجانب فى ظهر ذلك اليوم فى دار السفارة اليمنية ، وكان هؤلاء الصحفيون يستوضحون موقف الحكومة اليمنية من إقتراح السكرتير العام للأمم المتحدة بإرسال ممثل دائم إلى اليمن فقلت (إن حكومة الثورة فى اليمن ترحب بالتعاون الكامل مع الأمم المتحدة وأنها على إستعداد لاستقبال أى مندوب يوفده السكرتير العام ، ولكن حكومة اليمن لا يمكنها قبول مندوب دائم للأمم المتحدة فى اليمن ، وأن السكرتير العام يستطيع أن يبذل مساعيه الحميدة لدى الدول التى تحرك العدوان ضد جمهورية اليمن لإيقاف هذا التدخل ، كما أن أمريكا يمكنها أن تؤدى دورها فى هذا الصدد لما لها من صلات مع الحكومة السعودية) وشرحت الاتصالات التى دارت بيننا وبين يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة وقلت (إن يوثانت اقترح تعيين ممثل دائم للأمم المتحدة فى اليمن لكن حكومة الثورة ردت عليه بأنها لا يمكنها قبول تعيين ممثل دائم مع ترحيبها بأى مندوب يوفده السكرتير العام للتشاور مع المسئولين فى اليمن) (الأهرام ٢٢ يناير ١٩٦٣) .

وفى مساء يوم الخميس ٢٤ يناير ١٩٦٣ أقامت نقابة المحامين حفل تكريم لى حضره نقيبهم الأستاذ عبد العزيز الشوربجى والسيد كمال رفعت عضو مجلس الرئاسة فى مصر والوزراء والسفراء العرب والأجانب . وردا على كلمات التكريم التى ألقاها الخطباء والشعراء ألقيت كلمة شرحت فيها أهداف الثورة اليمنية ورغبتنا فى تحقيق الإستقرار والسلام فى الجزيرة العربية ، وأشدت فيها بدور القوات المصرية فى اليمن التى عبرت عن آمال الأمة العربية فى النهضة والتحرر من قيود التخلف وتحقيق الوحدة العربية التى هى حلم العرب من الخليج إلى المحيط . ثم أثنيت على الرئيس الأمريكى جون كنيدى الذى تجاوب مع إرادة الشعب اليمنى فاعترف بحكومته الثورية الجمهورية ووعد ببذل مساعيه الحميدة لوقف التدخل الخارجى فى شئون اليمن الداخلية .

أكملت مراسم الحفل بصفتى نائبا لرئيس جمهورية اليمن ورئيس وزرائها كما نصحنى الرئيس عبد الناصر وكأننى لم أعرف شيئاً عن رسالة السلال .



عاد النقيب حمود بيدر حزينا من اليمن وقال لى بحضور السادات أنه قبل أن يسلم السلال رسالة الرئيس جمال أبلغه استياء السادات من ذلك التصرف الذى انتقده الرئيس جمال عبد الناصر لصدوره فى ذلك الوقت غير المناسب ، المليء بالمفاجآت العسكرية ، فرد السلال بأنه يرحب بعودة البيضانى مبديا غضبه على الذين حرضوه على التخلص من نائبه . غير أنه عندما فتح رسالة الرئيس جمال عبد الناصر وجد فيها تأييدا مطلقا فصرخ فى وجه حمود بيدر متهما إياه بأنه كذب عليه عندما أبلغه غضب السادات واستياء عبد الناصر(١) .

عجبت من هذه الرواية ونظرت إلى عيون السادات التى أكدت أن الرسالة التى أعدها الرئيس جمال عبد الناصر قد تغيرت فى آخر لحظة وكان ذلك سببا فى تأخير تسليمها لحمود بيدر يومين كاملين .

عدت إلى منزلى فلحق بى أنور السادات وأبلغنى ما لم يشرحه أمام النقيب حمود بيدر وقال أن الرسالة الأولى التى كتبها الرئيس جمال عبد الناصر ووقع عليها بحضوره وشرحها للنقيب حمود بيدر لم يعرف أنها تغيرت إلا بعد سفر حمود بيدر إلى اليمن يحمل الرسالة البديلة ، ولذلك فإنه لم يخدعنى ولم يكذب على حمود بيدر حين سلمه الرسالة المغلقة التى كان يعتقد أنها الرسالة التى وقع عليها جمال عبد الناصر بحضوره ، واستطرد قائلا أن الرئيس جمال أبلغه فيما بعد أنه اضطر إلى تغيير الرسالة الأولى تحت إلحاح بعض الأشخاص ورفض أن يذكر لى أسماءهم فى ذلك اليوم .

غير أن السادات فى وقت لاحق ، أوضح لى بقية التفاصيل فقال أنه بعد أن كتب الرئيس جمال عبد الناصر رسالته الأولى ووقع عليها بحضوره جاءه المشير عبد الحكيم عامر واعترض على تلك الرسالة ، وقال له إن الجهات المصرية المكلفة بشئون اليمن لا تستطيع أن تمارس دورها هناك مع وجود البيضانى لأنه يتمسك بسياسة الإتفاق مع بريطانيا على تمكين جنوب اليمن المحتل من حق تقرير المصير ، وهى سياسة تتعارض مع عملية صلاح الدين التى رسمتها بعض عناصر المخابرات المصرية .

---

(١) شرح النقيب حمود بيدر للعميد حمود الجائفى فى القاهرة كيف ثار عليه السلال فى اليمن عندما قرأ هذه الرسالة ، ثم شرح له كيف ثار عليه الفريق أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن محذرا إياه من أية إساءة بيديها نحو السلال أو تعاطف بيديه نحو البيضانى .

كانت هذه العناصر تحلم ببطولات وهمية وفتوحات خيالية بمحاولة طرد بريطانيا من هذا الجنوب عن طريق نسف منشآتها واغتيال رجالها والقيام بثورة شعبية جنوبية .

كان المشير عامر يؤيد هذه العناصر لأنها كانت من رجال القطاع المرتبط به ، وكان يهمه أن يكون صاحب القرار الأول والأخير فى اليمن ، الأمر الذى يتعارض مع وجود البيضانى صاحب العلاقات المباشرة مع جمال عبد الناصر وأنور السادات .

حاول أنور السادات أن يشرح للرئيس جمال عبد الناصر مدى سطحية وخطورة سياسة الجهات المصرية المكلفة بشئون اليمن والتى تؤدى حتما إلى إغراق الثورة اليمنية فى خضم الصراعات الشخصية ، واستنزاف الإمكانيات المصرية فى حرب مع المتمردين لا يريدون لها نهاية ومغامرات مع الإنجليز لا يحسبون لها حساب . فقال الرئيس أنه يدرك أكثر من أى شخص آخر مدى سطحية هذه الأراء وبواعثها الشخصية ، لكنه اضطر إلى العدول عن رسالته الأولى عندما أبلغه المشير عبد الحكيم عامر أن الإتحاد السوفيتى الذى انهزم أمام أمريكا فى كوبا يريد أن يسترد اعتباره فى اليمن ، وهذا ما يتعارض مع عودة البيضانى إليها ليستأنف سياسته المتعاطفة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر أنه كان بين أمرين ، أحلاهما أشد مرارة من الآخر ، إحدهما أن يصر على عودة البيضانى إلى اليمن ، وعندئذ قد يتوقف الإتحاد السوفيتى عن مساعدة الثورة اليمنية بالإمدادات العسكرية فيتحملها الإقتصاد المصرى مما يثير الرأى العام فى مصر ، والآخر أن يؤيد السلال ومن خلفه العناصر المصرية التى صممت على إبعاد البيضانى عن اليمن فيحافظ بذلك على العلاقات والمساعدات السوفيتية . ثم قال الرئيس للسادات أنه اختار الأمر الثانى على مضض .

وختم السادات حديثه معى قائلا أن الرئيس عبد الناصر قد بدأ يشم رائحة المأزق المصرى فى اليمن ورائحة العناصر الخفية التى تعمل لخدمة الأغراض السوفيتية .

بعد أن أتم السادات حديثه قلت أن ذلك ليس مأزقا مصريا فى اليمن ، ولكنه ، وبكل المقاييس ، مأزق مصرى فى مصر ، لأن توريط القوى المصرية واليمنية فى حروب ذات بواعث دولية على الساحة اليمنية من شأنه أن يضاعف حجم الخسائر المصرية اليمنية ، فيلقى الشك على كفاءة القيادة السياسية المصرية ، ويقلل من حجم نجاح الثورة اليمنية بالقياس إلى حجم هذه الخسائر التى ليس فيها لليمن أو لمصر ناقة ولا جمل .

أوضحت للسادات إننى عندما كنت أرفض بعض رغبات الأجهزة المصرية فى اليمن كنت لا أرفض ذلك حرصا على مصلحة اليمن وحدها ، لأنها فى حقيقة أمرها مصلحة مصر ذاتها . لأننا كلما استبعدنا التصرفات الشاذة التى لا تتفق مع طبيعة الظروف اليمنية ، وضيقنا ساحة التوتر ، كلما قللنا حاجة اليمن إلى المساعدات المصرية فضاعفنا من حجم مزاياها التاريخية . كذلك عندما يشعر المواطن فى مصر بأن بلاده لم تخسر كثيرا فى اليمن فإنه يرحب بالإنتماء الأكثر إلى الأمة العربية والتطوع الأكرم فى معاركها القومية .

قلت لأنور السادات إننى أريد مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر .

سألنى ماذا ستقول له ؟

قلت سأشكره على حسن ظنه بى ووقوفه إلى جانب ثورة الشعب اليمنى ، وأقول له أننى أشفق على اليمن ، وعلى مصر ، وعلى زعامة جمال عبد الناصر ، وأحلام الأمة العربية .

كانت الصدمة ثقيلة على صدرى لأنها لم تكن ضياعا لمنصب ، وإنما كانت تشويها لتاريخ ، تاريخ ثورة اليمن والمساعدات المصرية وإنتقال الصراع الدولى إلى الساحة العربية .

نصحنى السادات أن أكتم جراحى فى صدرى فلست أول من أوذى فى سبيل رسالته ووطنه وقومه . قلت أننى لا أتألم لنفسى ولا أشفق عليها مما قيل عنها أو وقع بها فإننى أعرف أنهم قذفوا النبى ﷺ بالحجارة وواجهوه بأغلظ الألفاظ ، وقالوا أنهم صلبوا المسيح عليه السلام ودقوا المسامير فى رأس من شبه لهم وكفيه وقدميه وهو على قيد الحياة .

إننى أذكر جيدا عذاب الأنبياء وتضحية الثوار والمصلحين ، ولذلك رحبت بالموت من أجل ثورة الشعب فى اليمن ، لكننى أربأ بأن تكون نهاية ثورة اليمن على إيدى قيادة مصر . ولا يهمنى أن يبقى البيضانى فى القاهرة أو يعود إلى صنعاء ، وإنما أريد أن تفطن القاهرة وصنعاء إلى خطورة توسيع ساحات القتال وتدويل الحرب فى اليمن ، واستنزاف الطاقات المصرية فى وديانها الوعرة وجبالها المزروعة بكهوف المتمردين اليمنيين ومغارات المرتزقة الأجانب ، وفى حرب لا يعرف أسرارها سوى من ينفخ نارها ويدير أزرارها من أعالى البحار ، ومن خلف الستار .

لم تعد المشكلة فى نظرى قاصرة على ثورة اليمن ، وإنما أصبحت تحيط بثورة مصر .

هالنى أن يسلم الرئيس جمال عبد الناصر بسطحية معاونيه ثم يسلم لهم شراع السفينة المصرية بعد أن سلحهم بشرعية قيادتها ، واكتفى منهم بمقعد القائد بغير دفة وموقع الربان بغير شراع .

حان موعد صلاة العشاء فأديتها فى بيتى خلف السادات داعيا الله أن يحقن الدماء فى اليمن فيحفظ الشعب المصرى فى مصر مما ينتظره من خلف ذلك الستار .

بعد أداء الصلاة طلب منى السادات أن أكتب استقالتى للسلال حتى أرفع عنه الحرج حيث لم يعلن شيئا عن غيابى فى القاهرة حتى تلك اللحظة رغم تساؤل الأجانب واستنكار اليمنيين من الذين لم تكن لهم مصلحة فيما أرغموا السلال عليه . فكتبت الإستقالة التالية : (الوثيقة رقم ٢٨) .

سيادة المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية الأفخم

وأخوانى أعضاء مجلس قيادة الثورة المحترمين

تحية طيبة وبعد

لقد كانت ثورة شعبنا اليمنى العظيم هى الأمل الكبير الذى تناقلته الأجيال جيلا بعد جيل ثم تحقق بإرادة جيلنا الحاضر فأصبح الأمل الكبير حقيقة كبيرة دخلت إلى صفحات التاريخ من أوسع أبوابها .

ولما كان إخطارى بإبعادى فى القاهرة ، على إثر وصولى إليها فى مهمة رسمية مستعجلة ، فلم أعد بعد ذلك قادرا على قيامى بواجبى كنائب لرئيس الجمهورية ، الأمر الذى كلفنى به مجلس قيادة الثورة فى المادة الحادية عشر من الدستور المؤقت ، الذى أعلنه المجلس الموقر لتثبيت قواعد الحكم أثناء فترة الإنتقال .

ولما كنت حريصا على وحدة الصف ، التى هى دعامة الثورة الأساسية ، فإننى أقدم إليكم إستقالتى من هذا المنصب ، أملا فى تسهيل مهمتكم التاريخية ، التى لا أشك أبدا فى أنكم عاملون عليها ، مخلصون لها ، متفانون فى سبيلها .

وفقكم الله وثبت خطاكم وحفظ شعبنا الخالد ووحد أمتنا العربية المجيدة .

وتفضلوا عظيم احترامى وتقديرى

أخوكم

دكتور عبد الرحمن البيضانى

ذهبت مع أنور السادات إلى الرئيس جمال عبد الناصر لأسلمه استقالتى كى يرسلها إلى السلال ردا على رسالته للرئيس ، فاعترض الرئيس على إشارتى إلى المادة الحادية عشر من الدستور التى نصت على أن مجلس قيادة الثورة انتخب السلال رئيسا للجمهورية وانتخبنى نائبا لرئيس الجمهورية (الوثيقة رقم ٢٧) . وقال عبد الناصر أن هذه الإشارة تعنى بطلان قرار السلال بإبعادى عن اليمن . فقلت أنه لو كان قراره شرعيا لما احتاج إلى إستقالتى ، وإننى عندما أقدم إليه إستقالتى على هذا النحو فإننى أعلن استقالتى بإرادتى ، مع الحفاظ على نفس تلك المادة التى يكتسب منها السلال شرعية بقائه رئيسا للجمهورية طوال فترة الإنتقال المنصوص عليها فى الدستور .

قال الرئيس عبد الناصر أنه سيدرس هذه الصيغة ، وطلب منى أن أزوره مع السادات فى اليوم التالى . وفى الموعد المحدد لتلك الزيارة قال الرئيس أن السلال سيعلن إلغاء مجلس قيادة الثورة والدستور المؤقت ولذلك فإنه لم يعد هناك داع كى أوجه استقالتى للسلال وأعضاء مجلس قيادة الثورة وأن اكتفى بتوجيهها إلى السلال وحده ، كما اقترح أن أحذف الإشارة إلى المادة الحادية عشر من الدستور بل وأحذف الإشارة إلى الدستور نفسه .

قلت أنه ما دام السلال سيعلن إلغاء مجلس قيادة الثورة وإلغاء الدستور نفسه فإنه لن يكون فى حاجة إلى إستقالتى لأنه سوف تسقط تلقائيا أسماء جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة عند إلغاء هذا المجلس كما تسقط صفة السلال كرئيس للجمهورية اليمنية الأولى وصفتى كنائب له عند إلغاء الدستور ، وبعدئذ يعلن السلال ما شاء بصفته قائدا لثورة يمنية جديدة غير ثورة ٢٦ سبتمبر فيقيم جمهوريته الثانية بالشكل الذى يراه .

تدخل السادات فى الحوار حرصا على حساسية موقف الرئيس عبد الناصر ونصحنى بحذف ما أراد الرئيس حذفه . وتحت ضغط السادات وافقت على توجيه إستقالتى إلى السلال وحده مع حذف الإشارة إلى الدستور ، وحصر الإستقالة من منصب نائب رئيس الجمهورية وحده ، لأن موقعى التاريخى كنائب رئيس مجلس قيادة الثورة اليمنية يعتبر حقيقة تاريخية ، لا علاقة لها بمنصب نائب رئيس الجمهورية ، لأن المناصب التنفيذية تتغير من حين إلى آخر ، أما المواقع التاريخية فإنها هى التى تبقى على وجه الزمن .

أخذ الرئيس عبد الناصر استقالتى على هذا النحو وأرسلها إلى السلال الذى طلب من عبد الناصر أن أعلن من جانبى إننى استقلت لأسباب مرضية . وتحمس عبد الناصر لهذا الرأى فقلت له كيف يصدق الناس إننى مريض وأنا بينهم فى أتم صحة وعافية والحمد لله ، ثم أننى لوكنت مريضا لكان الأجدر بى أن أعود إلى صنعاء واعلن استقالتى المرضية وسط قومى فى اليمن ؟ . اعتذرت عن عدم إعلان هذا السبب وقلت للرئيس جمال أنه فى وسعه كما فى وسع السلال أن يعلن كل منهما ما يشاء من الأسباب وإننى من جانبى لن أكذب أى سبب يرى أحدهما إعلانه .

٤

كان إبعادى من اليمن نصرا عزيزا لأعداء الجمهورية الذين ملأوا إذاعات وصحف العالم بأخبار الإنقسام فى صفوف الجمهوريين . وبدأ المحللون السياسيون يتوقعون إنهيار النظام الجمهورى من داخله . وذهب كل محلل سياسى إلى ما خطر على قلبه من الأسباب التى أدت إلى إبعادى عن السلطة ، بينما كنت داعيا للعلاقات الودية فى سياسة الحكومة الخارجية .

اتفق المحللون الدوليون على أن القيادة السياسية فى كل من القاهرة وصنعاء قد أدارت ظهرها للسلام وأنها تنوى فعلا القتال داخل الأراضى السعودية ، ليس فقط لتثبت الثورة اليمنية وإنما لتصفية الملكية السعودية تنفيذاً لأغراض التعبئة العامة التى أعلنها السلال قبل ستة أيام من إبعادى فى القاهرة لتجنيد الشعب اليمنى (لخوض معركة فاصلة للقضاء على الرجعيين والدخلاء من بقايا أسرة سعود وفيصل وحسين .. وتطهير البلاد العربية من الحكام الخونة) .

على إثر إبعادى فى القاهرة سافر المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات إلى صنعاء يوم الخميس ٣١ يناير ١٩٦٣ لعلاج المضاعفات التى بدأت تظهر على سطح الأحداث فى اليمن نتيجة للإنقلاب الذى قام به السلال فى مجال السياسة الخارجية للثورة اليمنية ، ذلك الإنقلاب الذى كان دور السلال فيه مجرد إعلانه والتوقيع عليه طبقا للتخطيط الذى اشتركت فيه العناصر المصرية التى وصفها الفريق صلاح الحديدى رئيس المخابرات الحربية المصرية فى ذلك الوقت بأنها كانت تدرك فعلا أنها تعمل لحساب السوفييت ، حيث أوضح هذه الحقيقة فى مجلة روز اليوسف بتاريخ ٩ يونية ١٩٨٠ حين أشار إلى بواعث توسيع رقعة القتال فى اليمن استجابة للأطماع السوفيتية فى المنطقة ، فقال :

(إن العلاقات المصرية السوفيتية كانت تمر فى ذلك الوقت بأحسن ظروفها ومنعطفاتها ، والقضية من الناحية العامة كانت تهم الإتحاد السوفيتى ، فخروج اليمن من المعسكر الذى عاشت فيه آلاف السنين لا شك فى أنه كان إضافة إلى المعسكر الجديد ، وهى لم تبذل فى هذا أكثر من الإعتماد على صداقة مصر ، فمصر هى رأس الحربة ويمكن للإتحاد السوفيتى أن يكون جسمها) إلى أن قال أنه (عن طريق الوجود المصرى فى اليمن يمكن أن ينشأ وجود سوفيتى أكثر وأبعد أثرا ، فالإقتراب من مناطق النفط الغنية ومن المدخل الجنوبى

للبحر الأحمر ومن دول شرق أفريقيا والعديد من الدول النامية يفتح آفاقا جديدة أمام الإتحاد السوفيتى تفيده فى الصراع القائم بينه وبين المعسكر الغربى حاضرا ومستقبلا ..)

معنى ذلك أن الفريق صلاح الحديدى ، بحكم منصبه كمدير للمخابرات الحربية فى ذلك الوقت ، كان يعرف نوايا الإتحاد السوفيتى ، ومدى سيطرته على مراكز إتخاذ القرار المصرى ، فلم يكتب ما كتب من فراغ ، وإنما من واقع معلومات وتقارير .

ولذلك فإنه بعد إعلانى للبيان اليمنى الذى أعقبه الإعتراف الأمريكى جن جنون الإتحاد السوفيتى الذى كان حريصا على تطوير القتال فى اليمن حتى يشمل الجزيرة العربية بأسرها ، ثم زاد جنون الإتحاد السوفيتى بعد ذلك بأسبوعين حيث كانت الرسائل التى كنت قد تبادلتها بإسم الحكومة اليمنية مع المستر ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا قد أوشكت على إعلان الإعتراف البريطانى بحكومة الجمهورية العربية اليمنية ، ذلك الإعتراف الذى كان من شأنه أن يؤدى إلى وقف التسلل من الجنوب بعد أن تم الإتفاق بالإعتراف الأمريكى على وقف التسلل من الشمال .

وأخذ المشير عامر يدير بنفسه شئون اليمن بواسطة عناصره المصرية ذات العلاقة السوفيتية ، وحصر دور المشير السلال فى مجرد حضور الإجتماعات العسكرية والسياسية حضورا شكليا لا يمنيا .

وعلى إثر وصول المشير عامر والسادات نشرت الأهرام فى أول فبراير ١٩٦٣ أنه قد (بدأت إجتماعات هامة فى مقر القيادة العربية حيث اجتمع المشير عامر والسادات بكبار الضباط ثم اجتمعا بالسلال فى دار السفارة المصرية ، كما اجتمعا مع عدد من الوزراء والضباط لبحث الشئون العسكرية والمسائل التى تهم البلدين ، ثم قام المشير عامر بزيارة مواقع القيادة العربية فى المناطق النائية للمرة الأولى منذ وصول القوات المصرية إلى اليمن ، واجتمع بكبار ضباطها حيث بحث معهم المسائل المتعلقة بالقوات العربية ، وعندما عاد إلى صنعاء استأنف إجتماعه مع المشير السلال) .

فى يوم الجمعة ٨ فبراير ١٩٦٣ قامت ثورة فى العراق أتت بالرئيس عبد السلام عارف على أنقاض عبد الكريم قاسم .

وأذاعت وكالة رويتر فى يوم الأحد ١٠ فبراير ١٩٦٣ أن المتحدث بلسان وزارة الخارجية البريطانية صرح بأن حكومته تبحث مسألة الإعتراف بالحكومة الجديدة فى العراق ، وقال أن هذا الإعتراف سيتم تمشيا مع الظروف التى ترى بريطانيا ضرورة توفرها من أجل الإعتراف ، وقال المتحدث أن روجير ألن سفير بريطانيا فى العراق أجرى محادثات مع وزير خارجية العراق .

فى نفس ذلك اليوم أعلن السلال أنه سيطلب ترحيل جميع الدبلوماسيين البريطانيين من اليمن خلال أسبوع إذا لم تعترف بريطانيا بالحكم الجديد فى اليمن . ولم يدرك السلال أن الحكومة البريطانية قد ساورها الكثير من الشك فى نواياه نحو الإستقرار والسلام فى اليمن ، بعد إنقلابه على نائبه الذى كان حريصا على تثبيت الجمهورية اليمنية عن طريق

العلاقات الودية مع القوى المؤثرة فى مسار الأحداث فى الجزيرة العربية ، وليس عن طريق المزيد من الأعمال الحربية التى تستنزف طاقات الثورة ، وتقودها إلى مذبحة الصراعات الدولية لحساب الأغراض السوفيتية ، التى بدأت منذ ذلك الوقت تحفر قبر الزعامة الناصرية .

وكان توقيت إنقلاب السلال على نائبه يدعو إلى الدهشة لأنه جاء على إثر إعلان الحكومة البريطانية أنها على وشك الإعتراف بالحكومة اليمنية ، وفى أعقاب مقابلة الوزير البريطانى للسلال بحضورى ، وبعد أن عرض علينا نص الخطاب الذى يلقيه أمام السلال عند تقديم أوراق إعتماده بعد إعلان إعتراف حكومته بحكومة الثورة اليمنية وبعد أن عرضت عليه نص الخطاب الذى سوف يرد به السلال على خطابه ، فسافر إلى لندن لإتمام الإجراءات الخاصة بهذا الإعتراف .

وقوع إنقلاب السلال فى هذه اللحظات بالذات جعل دول العالم تفسره بأنه ليس إنقلابا على شخص البيضانى وإنما على ما كان يمثله من إتجاهات فى السياسة الدولية .

وهذه الدول لا ينقصها الذكاء الذى افتقدته بعض العناصر التى تصورت أنها تصول وتجول وحدها فى المسرح العالمى فاستخدمت السلال لمجرد أن تعطى لسياستها رائحة البن اليمنى .

لا شك فى أن السلال لم يدرك ذلك حين أعلن أنه سيطلب ترحيل جميع الدبلوماسيين البريطانيين من اليمن لأنه كان مجرد اللسان اليمنى الذى ينطق بالتوجيهات غير اليمنية ، بل وغير القومية ، التى كانت تسعى إلى إشعال النار فى الجزيرة العربية ، وإلا فما هو الضرر الذى يقع على الجمهورية اليمنية من بقاء ثلاثة دبلوماسيين بريطانيين فى اليمن تحت سمع وبصر الحكومةاليمنية ، حتى ولو كانت فى حالة حرب فعلية مع الحكومة البريطانية ؟ وما هو النفع الحقيقى الذى تحققه الإستراتيجية اليمنية من مجرد نقل هؤلاء من شطرها المستقل فى تعز حيث المفوضية البريطانية إلى شطرها المحتل فى عدن حيث الإدارة الإستعمارية البريطانية ، بينما المسافة من تعز إلى عدن لا تتعدى مائة وخمسين كيلو مترا ؟ علاوة على أنه كانت لبريطانيا آذان يمنية فى معظم أنحاء الجمهورية ، وكانت أخبار مجلس وزراء اليمن تذاع أحيانا من لندن قبل أن تذاع فى صنعاء .

نطق السلال بتوجيهات العناصر ذات العلاقات السوفيتية فقلب المائدة الدبلوماسية فى وجه الحكومة البريطانية .

أسرعت بريطانيا بالإعتراف بحكومة الثورة فى العراق ، ولم تعترف بحكومة الثورة فى اليمن ضاربة عرض الحائط بإنذار السلال بترحيل الدبلوماسيين البريطانيين من اليمن ، وأثنى كرستوفر ماليهيو بالنيابة عن حزب العمال البريطانى على قرار الحكومة البريطانية بالإعتراف بحكومة الثورة العراقية .

وكان من الطبيعى أن ينتقد المعلقون السياسيون تسرع الولايات المتحدة بالإعتراف بحكومة الثورة اليمنية وسجل ذلك دانا آدمز شميدت فى كتابه (اليمن .. الحرب المجهولة) صفحة ١٨٨ حين قارن بين هذا الإعتراف وبين قيام الولايات المتحدة بالوقوف إلى جانب جمال عبد الناصر أثناء العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ فقال :

(إن عبد الناصر كان يدافع عن مصر ضد العدوان البريطانى الفرنسى الإسرائيلى وكان العالم العربى كله مؤيدا له ، أما فى اليمن فإن أهداف عبد الناصر تمتد خارج حدودها وتتجه إلى إسقاط الملكية السعودية للسيطرة عليها وعلى بقية الدول البترولية فى شبه الجزيرة العربية) .

انتقد هذا الكاتب الإعتراف الأمريكى بحكومة الثورة اليمنية بدعوى أنه ساعد عبد الناصر وحملته العسكرية فى اليمن على تحقيق أغراضه خارج حدودها[١] .

ثم قارن هذا الكاتب بين الموقف الأمريكى والموقف البريطانى فكتب فى صفحة ١٩٠ (إن الحكومة البريطانية حسمت موقفها فى مطلع ١٩٦٣ ورفضت الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية وكان يقف مع هذا الرأى هارولد ماكميلاند رئيس الوزراء البريطانى ودنكان ساندر وزير الدولة لشئون المستعمرات وبيتر ثور نيكروفت وزير الدفاع وهيوج فراسر وزير الدولة للطيران وجوليان اميرى وزير الطيران) .

وكان الباعث من وراء رفض بريطانيا الإعتراف بحكومة الثورة اليمنية ما ذكره ذلك الكاتب فى مقدمة هذه الصفحة حين قال أنه :

(على المصريين أن يقرروا الإستمرار فى حرب لا يطيقون الإستمرار فيها ، أو يقرروا الإنسحاب منها ويواجهون هزيمة أصدقائهم المحتملة . وفى الحالتين يتوقع الخبراء البريطانيون نتائج مدمرة لجمال عبد الناصر ، أما الولايات المتحدة الأمريكية التى تسرعت فى ذلك الإعتراف ، فإنها فى نظر هؤلاء الخبراء البريطانيين كاللاعب الذى يتعجل القفز وهو ينزلق بين الأمواج الهادرة فلا يلبث أن تتكسر الأمواج فوق رأسه) .

هكذا أثار إنقلاب السلال على السياسة الخارجية لحكومة الثورة اليمنية شكوك بريطانيا وتبرم أمريكا ، وحفز دول الغرب على التصدى لدول الشرق وكانت الضحية شخصية الثورة اليمنية والخسائر المصرية .

عندما عاد النقيب حمود بيدر من الجزائر بعد أن سلم رسالة السلال إلى بن بيلا زارنى فى بيتى بالقاهرة مع العميد حمود الجائفى . وأخذنا ندرس المستقبل المظلم الذى اتجهت إليه اليمن ، والكارثة العربية التى بدأت تزحف نحوها القاهرة . فأشرت عليهما بأن نخرج للعشاء فى أحد الفنادق السياحية فى الهرم بعيدا عن أجهزة التسجيل التى يحتمل أن

---

(١) بطبيعة الحال لم يكن هذا الكاتب يعرف أن الرئيس عبد الناصر كان يلح شخصيا على سحب القسم الأكبر من قواته قبل نهاية يناير ١٩٦٣ ولا يعرف أسرار تحول عبد الناصر عن هذا الموقف .

تكون فى بيتى . وكانت فى خدمتى فى ذلك الوقت سيارة من رئاسة الجمهورية ومرافق عسكرى بالسيارة بخلاف حراسة البيت . ذهبنا إلى أحد الفنادق بشارع الهرم وسبقنا إلى مائدة العشاء مرافقى العسكرى لإختيار مائدة فى أحد أطراف قاعة العشاء ، وفى أقل من نصف دقيقة وصلنا نحن الثلاثة وجلسنا حول المائدة وبدأنا ندرس أحوال اليمن .

وانتهى الحديث إلى إتفاق شفوى يحمله حمود بيدر إلى اليمن ويبلغه إلى أصدقائنا من القيادات الجمهورية بغرض إظهار إستيائها من تدهور الأحوال فى اليمن ورغبتها فى إعادة القيادات القادرة على حماية الجمهورية ، فى نطاق الإسترشاد بنصائح القيادة المصرية ، دون الخضوع لها والإمتثال لأوامرها ، تفاديا لمزيد من التورط المصرى فى اليمن ، وتجنبا لإخلاء الساحة المصرية من قواتها الضاربة مما يثير شهوة إسرائيل فى الإنقضاض عليها .

وصل حمود بيدر إلى اليمن فوجد جميع تفاصيل حديثنا قد سبقته إليها ، ووجد المشير عامر فى حالة هياج لم يعرف عنه قبل ذلك قط . وبدأت القيادة المصرية تحذر كل من شملهم حديثنا ، أما حمود بيدر فقد كان محل غضب السلال والقيادة المصرية وسخط المشير عامر .

وفى القاهرة زارنى السادات وسلمنى نسخة من شريط التسجيل الذى استطاع مرافقى العسكرى أن يضع جهازه أسفل مائدة الطعام فى ذلك الفندق ، وأبلغنى غضب الرئيس عبد الناصر .

على إثر ذلك قام العميد حمود الجائفى بزيارة الرئيس عبد الناصر وحاول إقناعه بأنه ليس من مصلحة اليمن ولا مصلحة مصر أن تتورط القوات المصرية فى حكم اليمن حكما مباشرا ، وأنه ينبغى ترك اليمن لليمنيين الجمهوريين ، فهم أدرى بإدارة شئونهم الداخلية وعلاقاتهم الخارجية فى نطاق الزعامة الناصرية . وحاول العميد حمود الجائفى إقناع عبد الناصر بأن حديثنا لم يكن تآمرا على الوجود المصرى فى اليمن ، بل كان تفكيرا يمنيا فى كيفية ترشيد هذا الوجود . والتعاون معه إلى الحد الذى لا يضر بسمعة مصر ، ولا يستنزف طاقاتها العسكرية والمالية .

٥

على نقيض خطة ترشيد الوجود المصرى فى اليمن التى طرحتها على المشير عامر والسادات والسلال ، والتى كانت تكتفى بقوات المدرعات والطيران المصرى والتمركز فى الأماكن الإستراتيجية وحدها ، وإنشاء جيش من المتطوعين اليمنيين ، مع عدم التصدى للمتمردين فى الأماكن الوعرة غير الإستراتيجية ، وتوفير إمكانيات الحكومة اليمنية والطاقات المصرية للقيام بالمشروعات العمرانية التى تلفت الأنظار إلى مزايا الثورة الجمهورية ، بدأ مخطط يناقض ذلك تماماً حيث بدأت سياسة توسيع رقعة القتال فى اليمن وضرب الأهداف العسكرية داخل الأراضى السعودية .

ففى يوم الأربعاء ١٣ فبراير ١٩٦٣ أعلنت الحكومة اليمنية أنها :

(لقنت السعودية درسا آخر لن تنساه ، بعد أن قامت بمحاولة جديدة للتسلل عبر الحدود الشمالية لليمن فلقيت على الفور ردا حاسما رادعا اشتركت فيه الطائرات مع المدرعات والمدفعية لضرب أوكار التجمع الرجعى والمعسكرات التى حشد فيها سعود وحسين الجنود والعتاد فى محاولة يائسة لضرب ثورة اليمن بعد أن ثبتت أقدامها رغم أنف بريطانيا التى تدفع هذه الرجعية دفعا وتحاول أن تقيمها وأن تسندها وهى تسقط وتتهاوى فى المنطقة العربية جزء بعد جزء ، ولقد طردت الحكومة اليمنية البعثة البريطانية الدبلوماسية من اليمن وأعطتها مهلة يومين تنتهى يوم السبت القادم لتغادر الأراضى اليمنية) (الأهرام ١٤ فبراير ١٩٦٣) .

هكذا نفذ المشير عبد الحكيم عامر الذى كان لايزال فى اليمن النصيحة السوفيتية بطرد البعثة البريطانية من اليمن ، تلك النصيحة التى رفضت تنفيذها عند قيام الثورة وأبقيت على المفوضتين الأمريكية والبريطانية كى استخدمهما فى تهيئة المناخ الدولى لصالح الثورة اليمنية حتى حصلت على الإعتراف الأمريكى ، فتمكنت عن طريقه من طرد ممثل البدر من منظمة الأمم المتحدة وقبول الحكومة الجمهورية عضوا فيها ، كما حصلت على وعد أمريكى بالمساعدة على إقرار السلام فى المنطقة عن طريق وقف المساعدات الأردنية والسعودية للمتمردين وتقديم المعونات السياسية والإقتصادية للجمهوريين . وكنت على وشك الحصول على الإعتراف البريطانى بحكومة الثورة اليمنية وحق أهالى جنوب اليمن

المحتل فى تقرير مصيرهم طبقا لنصوص القانون الدولى ، وتركيز المساعدات السوفيتية للثورة اليمنية فى نطاق المجالات الإقتصادية . ولكن كما قال الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظافرها ألفيت كل تميمة لا تنفع

واجتمع فى مقر القيادة المصرية فى اليمن المشير عامر والسادات والسلال فى يوم الخميس ١٤ فبراير ١٩٦٣ مع عدد من مشايخ القبائل حيث القى السلال كلمة جاء فيها أنه (تقرر تشكيل مجلس رئاسة فى جمهورية اليمن وأنه سيضم جميع مشايخ القبائل وسيكون مختصا بالنظر فى كل مصالح الشعب اليمنى وخيره) ونسى أنه ، فى أيامى ، عارض فى تعيين الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وزيرا ثم هدد بالإستقالة إذا صممت على تعيينه فى مجلس الوزراء . وفى نهاية الكلمة ردد السلال قسما حاول أن يقلد به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال (أقسم بالله الذى لا أله إلا هو فى هذا المشهد الكريم أن أكرس حياتى وجهدى من أجلكم ، وإذا تبدلت أو تحولت أو انحرفت فعليكم لعنة الله إذا لم تقومونى أو تقصونى) .

ثم أصدر الرئيس السلال فى يوم الجمعة ١٥ فبراير ١٩٦٣ إنذارا إلى البعثة الدبلوماسية الأثيوبية فى اليمن بمغادرة البلاد إذا لم تعترف الحكومة الأثيوبية بحكومة الثورة اليمنية ، وفى نفس ذلك اليوم صرح خروشوف فى حفل أقامه ملك لاوس فى موسكو بأن (الصداقة بين الإتحاد السوفيتى والصين قديمة وإنها مستمرة وسوف تستمر وإنه عندما يحين الوقت الذى تتمكن فيه الشيوعية من دفن الرأسمالية ستقوم روسيا والصين معا بإلقاء آخر حفنة من التراب على قبرها).

كما أصدر السلال فى يوم السبت ١٦ فبراير ١٩٦٣ أمرا بترحيل جميع الدبلوماسيين الإنجليز والأثيوبيين من الأراضى اليمنية ، ثم ذهب إلى مقر القيادة المصرية حيث اجتمع بالمشير عامر لإستعراض النتائج العسكرية للعمليات الأخيرة وتمت فى هذا الإجتماع دراسة الأعمال العسكرية المقبلة . وقد حضر هذا الإجتماع الفريق على عامر رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية واللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن .

فى يوم الثلاثاء ١٩ فبراير ١٩٦٣ أعلن الرئيس السلال أنه سيتولى منصب وزير الخارجية إلى جانب رئاسة الحكومة .

وبعد ذلك استقبل السلال فى يوم الأربعاء ٢٠ فبراير ١٩٦٣ نيكولاى سوليتسكى أول سفير للإتحاد السوفيتى فى اليمن الذى صرح بأن (الإتحاد السوفيتى لن يقف عند حد فى مساعداته التى يقدمها لليمن) .

وعلى إثر مقابلة السلال للسفير السوفيتى أذاعت وكالة الأسوشيتدبرس فى يوم الجمعة ٢٢ فبراير ١٩٦٣ أن السلال أعلن أن (حكومته ستؤيد بالسلاح والرجال أية ثورة شعبية فى الجزيرة العربية ضد سعود وأخيه فيصل ، وإن الثورة العراقية قد قربت النهاية التى يحتمها التاريخ للأنظمة الرجعية الفاسدة فى السعودية والأردن ، وأن هناك ما يدل على قرب تعرض الأسرة الملكية السعودية الفاسدة لثورة شعبية .)

وكان هذا التصريح بمثابة إلقاء المزيد من الوقود على النار المشتعلة فى اليمن حتى أعلن راديو صنعاء يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير ١٩٦٣ أن بريطانيا أعتدت بطائراتها وقواتها على الأراضى اليمنية وأن السلال قد أبلغ نبأ هذا العدوان إلى يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ، كما أعلن أن حكومة اليمن تحتفظ بكامل حقها فى الدفاع عن سيادتها وعن سلامة أراضيها ومواطنيها بكافة الطرق ، ثم استدعى القائم بالأعمال الأمريكى فى اليمن ولفت نظره إلى تصرفات بريطانيا ونتائجها نحو ثورة اليمن .

ثم وجه الرئيس السلال إنذارا إلى الحكومة البريطانية عن طريق السفارة الأمريكية فى يوم الخميس ٢٨ فبراير ١٩٦٣ بأنها (إذا لم تتوقف فورا عن أعمال التحرش والإستفزاز على حدود اليمن فإن على بريطانيا أن تواجه سويس أخرى) .

وعندما قام إنقلاب فى سوريا فى يوم الجمعة ٨ مارس ١٩٦٣ أرسل السلال برقية إلى الرئيس عبد الناصر قال فيها (من أعماق قلبى أهنىء شعب الجمهورية العربية المتحدة وأهنئكم بقيام ثورة سوريا الشقيقة وأنه لنصر عظيم حقق الله بكم الآمال والله يحرسكم ويرعاكم) . كما أرسل برقية إلى مجلس قيادة الثورة فى دمشق قال فيها(إننا نؤيد ثورتكم ونقف بجانبكم ونشعلها حربا شعواء ضد من تحدثه نفسه أن يمس ثورتكم أو يحاول الدس أو الخداع) . كما أرسل السلال برقية تهنئة إلى كل من المشير عامر وأنور السادات وكانا لا يزالان فى اليمن .

ولا أدرى لماذا اختار السلال ألفاظ الدس والخداع فى برقية يهنىء فيها مجلس قيادة الثورة السورية ولعل مزاجه العام كان غارقا فى مناخ الدس والخداع الذى أخذ يتجلى فى اليمن أكثر فأكثر .

أثناء وجود المشير عامر والسادات فى اليمن انتشرت إشاعات حول ضغط بعض عناصر الثورة اليمنية للمطالبة بعودتى إلى صنعاء ، وحول قلق عبد الناصر والسادات من سلوك العناصر المصرية اليمنية التى يهمها توريط اليمن ومن خلفها مصر فى متاهة الصراعات الدولية ، فاستجاب السلال لنصيحة هذه العناصر بأن يقطع على السادات ومن خلفه عبد الناصر خيط التفكير فى عودة البيضانى فقال للسادات إننى (أرسلت عن طريق الأستاذ محمد سالم باسندوه ممثل حزب الشعب الإشتراكى فى عدن إلى أصدقائى من الوزراء الشوافع كى يستقيلوا من مناصبهم الوزارية لإحراج السلال مما يعتبر عملا طائفيا من جانبى يؤكد ما شكى منه فى رسالته التى طلب فيها من عبد الناصر إبقائى فى مصر) .

أرسل السادات يحيطنى بما زعمه السلال مؤكدا أنه لم يصدقه فيما قاله عنى ، لأنه يعرف مدى تقديرى لمصلحة الثورة اليمنية ، وتصادف أن استلمت رسالة السادات وكان فى زيارتى الأستاذ محمد سالم باسندوه (وهو حاليا مستشار رئيس الجمهورية اليمنية) فاطلعته على هذه الرسالة فثار ثورة عارمة وكتب رسالة خطية إلى السادات وسلمنى إياها لإرسالها إليه فى صنعاء (الوثيقة رقم ٢٩) ونصها :

سيادة الأخ الكبير السيد أنور السادات

تحية أخوية صادقة .. وبعد

بلغنى أنه أشيع لديكم أن حزب الشعب الإشتراكى أرسل إلى الوزراء الشوافع كى يستقيلوا من مناصبهم بناء على طلب الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضانى . وأرجو أن أؤكد لسيادتكم أن هذه الإشاعة لا أساس لها من الصحة فلم يطلب منى الأخ الدكتور عبد الرحمن تبليغ مثل هذه الرغبة إلى الحزب فى عدن . ويهمنى أن اؤكد لكم أنه لو كان هذا السعى رأينا لما أخفيناه الآن ، بل كنا سنواصل المطالبة به ، لكنه لا يمثل إطلاقا وجهة نظرنا ، كما لا أعتقد أنه يمثل وجهة نظر الدكتور عبد الرحمن البيضانى حيث أننى لم أسمع أنه صرح بمثل هذا .

لذلك أرجو العمل على تشكيل لجنة تحقيق للتأكد من كذب هذه الإشاعة ، ومن معرفة مصدرها والمستفيد منها . وإنى على إستعداد للحضور إلى صنعاء فى أى وقت شئتم . وأرجوكم إبلاغ هذا إلى السيد الرئيس المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية .

ولكم جزيل الشكر

محمد سالم باسندوه
ممثل حزب الشعب الإشتراكى
فى البلاد العربية
٩ مارس ١٩٦٣

أرسلت هذه الرسالة فى نفس اليوم إلى السادات فى صنعاء بناء على إلحاح الأستاذ باسندوه لأننى كنت ، وبغير حاجة إلى تحقيق ، أعرف مقدما مروج تلك الإشاعة والذى اختلقها وسعى إلى الإستفادة منها ، كما كنت واثقا من أنه لا يجدى إثبات كذبها لأن الذى اختلقها قادر على إختلاق غيرها وإختلاق ما هو أخطر منها . فتلك حيلة الضعفاء الذين لا يقدرون على خلق ما ينفع ، ويتفوقون فى إختلاق ما يضر .

٦

اضطر المشير عامر وأنور السادات إلى العودة إلى القاهرة فى يوم الأحد ١٠ مارس ١٩٦٣ لمتابعة أحداث الثورة السورية (قبل أن يشعلها السلال حربا شعواء على من تحدثه نفسه أن يمسها بسوء) . وكانا قد أمضيا فى اليمن أربعين يوما بصفة متصلة أرسى خلالها المشير عامر قواعد النظام الجديد لحكم اليمن ، الذى يعتمد أساسا وبصفة كاملة على العناصر المصرية المرتبطة به تحت واجهة السلال وحده دون غيره من سائر اليمنيين ، كما قاد المشير عامر خلال تلك الفترة هجوم رمضان الذى وصفه بأنه هجوم ناجح حاسم أدى إلى إستعادة مأرب وحريب وصرواخ وإغلاق المنافذ الشمالية لتسلل المتمردين .

فات على المشير عامر أن مثل هذا النجاح الحاسم الذى لا تعقبه إقامة معسكرات دائمة فى تلك المناطق النائية لا يلبث أن يتحول إلى فشل ذريع بمجرد أن تتركها القوات الضاربة ، التى لا مفر من أن تعود إلى مواقعها الأصلية تحت ضغط الظروف الإقتصادية والمعاناة البشرية التى لا تتحملها مصر ولا تطيقها اليمن .

خلط المشير عامر بين النصر العسكرى الذى تحققه الجيوش النظامية عندما تطرد الأعداء من بلادها وتغلق خلفهم أبواب الحدود الدولية ، وبين النصر السياسى الذى تحققه هذه الجيوش النظامية عندما تفرض الأمن والنظام فوق أراضيها ، وتقنع رعاياها بأن السلام فى مصلحتهم عندما تفتح أمامهم أبواب المشاركة الوطنية .

لم يميز المشير عامر بين النصر العسكرى الذى يعتمد على قدرة الضرب وفن الحرب . وبين النصر السياسى الذى يعتمد على قدرة الدفاع وفن الإقناع .

اكتفى المشير عامر بالنوع الأول من النصر وكأنه لا يعرف طبيعة المعركة ، ولا يدرك أنه لم يكن يحارب قوما غرباء عن اليمن وإنما قوما من أهلها وأصحابها وسكانها فى جبالها ووديانها ، وماضيها وحاضرها ومستقبلها .

مثل هؤلاء قد يستسلمون أمام القوة عندما تنزل عليهم فيرفع المشير عامر راية النصر ، ثم ينقلبون من خلفها عندما ترحل عنهم ، ويرفعون فوق راية المشير راية الهزيمة .

وكان لا مفر من أن ترحل عنهم قوات المشير لأنها لا تستطيع أن تبقى عندهم وقتا لا يعرف المشير مداه ، متقبلا مصيرا لا يعرف أحد منتهاه ، مهما ظلت قواته منقضه على رقابهم ومعها آلاف الجنود ، جاثمة على جيوبهم ومعها ملايين الجنيهات ، فى سوق المزايدات .

اجتمع المشير عامر وأنور السادات بالرئيس جمال عبد الناصر بمجرد عودتهما ، فى اليوم الأربعين من سفرهما إلى اليمن للإشتراك فى تشييع جنازة السلام على أرضها ودفن الشخصية اليمنية فى مقبرة رئاسة الجمهورية .

وفى اليوم التالى زارنى أنور السادات كصديق رافق الثورة من أول الطريق ، ويعرف كيف كانت الثورة نطفة فى قرار مكين ، وكيف أصبحت نطفة الثورة علقة ، وكيف صارت بعد ذلك مضغة ، ثم أصبح تنظيمها عظاما ، ومن كساه لحما فكانت لليمن ثورة .

زارنى رفيق الطريق وأعاد الىّ رسالة باسندوه قائلا أنه عندما قرأها على السلال قرأ فى وجهه أنه مصدر تلك الإشاعة وأنه قائلها وناقلها ، فلم يجد هنالك حاجة إلى تحقيق يدين قائد الثورة ورئيس الجمهورية حرصا على سمعة الثورة وكرامة الجمهورية .

أعطانى السادات رسالة باسندوه لعلنى أحتاج إليها ذات يوم عندما يختلق السلال غيرها أو ما هو أخطر منها .

قص على السادات قصة النصر الحاسم الذى أحرزته القوات المصرية خلال الأربعين يوما التى قضاها مع المشير عامر فى اليمن . روى كيف سلم السلال حكم اليمن للمصريين .

أوضحت للسادات عدم إقتناعى بوصف ذلك النصر بأنه حاسم لأنه لا يعتمد عل إية مقومات للإستمرار ، ولا توجد فى قاموس السلال معانى الإستقرار ، كما أن العناصر المصرية التى استلمت الحكم الفعلى من السلال لا تعرف طبيعة اليمن ، وإن كانت تدعى معرفتها فإنها ، وبكل تأكيد ، تجهل الظروف الدولية المحيطة بها المؤثرة فيها ، فهى تلعب بالنار وقد لا تعرف أنها نار ، لأنها لم تصل إلى تلك السلطة عن طريق العقل والحكمة وحسن القرار ، وإنما عن طريق الوقيعة والخديعة والاستخفاف بعقل سلطان الدار ، ولا تدرى أن رجال اليمن من الثوار والعلماء والحكماء والشيوخ والمثقفين لا يزالون يرون ويسمعون ، وإن سكتوا على مضض فإنهم لا يخضعون ولا يستسلمون ولن يطول بهم الإنتظار حتى نراهم ينقلبون .

طلبت من السادات رفيق الطريق أن ينقل إلى الرئيس جمال عبد الناصر قلقى على مستقبل الثورة فى اليمن ، ومسار الصراع الدائر على أرضها الذى لا بد أن يتحول ، ذات يوم ، من صراع بين جمهوريين ومتمردين إلى صراع بين يمنيين ومصريين .

وبذلك تخسر اليمن ثورتها ، وتفقد مصر سمعتها ، وتنسى الأمة العربية عروبتها .

قال السادات أنه يشاركنى هذا الرأى وأنه سوف ينقله إلى جمال عبد الناصر ويحاول إقناعه بالعودة إلى إقتراحى بسحب القدر الأكبر من القوات المصرية من اليمن ، والإكتفاء بالقوات المدرعة والطيران والتجمع فى المناطق الإستراتيجية لحماية المدن الرئيسية ، ومطالبة السلال بإنشاء جيش يمنى نظامى من المتطوعين يتولى المصريون تدريبه .

كنت أعرف أن السادات يشاركنى الرأى ، وإلا لما قلت له لفظا ولما سمع منى حرفا ، فقد عشنا معا قصة الثورة ، فأضفت إلى ذلك رجائى أن يضع عبد الناصر فى إعتباره ألا ينتهى أمر الوجود المصرى فى اليمن إلى مجرد حماية لشخص السلال ، وينسى حمايته لثورة اليمن .

لو حدث ذلك ، لا قدر الله ، لكان معناه أن الشخص الذى يحميه الوجود المصرى بعشرات الألوف من الجنود قد انقلب وحده على أهداف الشعب الذى أهدى إليه ذلك الوجود .

ومعنى ذلك أن القوات المصرية فى اليمن سوف تجد نفسها تقاتل وحدها جبهة يمنية معادية لوجودها ، وبصرف النظر عن دوافع هذه الجبهة المعادية ، سواء كانت جمهورية أو إمامية .

وتلك قمة كل فشل ، وبداية كل نكسة .

أبلغ السادات الرئيس عبد الناصر بوجهات نظرى الذى دعمها السادات بأسانيد أخرى كثيرة فاستقر رأى الرئيس عبد الناصر فى مطلع إبريل ١٩٦٣ على سحب القدر الأكبر من القوات المصرية من اليمن على النحو الذى تضمنه إقتراحى الذى سبق أن أقنعت به المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات عندما كنت فى الحكم ، والذى أدى إلى قيام السلال بإصدار القرار الجمهورى يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢ (بفتح باب التجنيد للراغبين فى الجندية وتشكيل لجنة عسكرية للإشراف على إعداد جيش يمنى قوى وفقا لأحدث الأساليب) .

ذلك القرار الذى تعثر تنفيذه للأسباب السابق شرحها .

وفى يوم السبت ١٣ أبريل ١٩٦٣ أعلن السلال قيام الجمهورية الثانية حين أعلن الدستور الثانى الذى ألغى به الدستور الأول ، كما ألغى به مجلس قيادة الثورة وأعلن تشكيل مجلس أخر سماه مجلس الرئاسة . ثم أعاد تشكيل مجلس الوزراء وجرد العقيد عبد الله جزيلان من جميع مناصبه ، كما استبعد من كل هذه المجالس رجال اليمن الذين سبق تعيينهم فى الخارج فى عهد الجمهورية الأولى وفى مقدمتهم العميد حمود الجائفى والأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محسن العينى ، الأمر الذى يثبت تاريخيا أن السلال وليس البيضانى هو الذى قرّر إبعادهم فى تلك الوظائف خارج اليمن ، لأنه بعد أن أصبح البيضانى بعيدا عن السلطة لم يكن أمام السلال أى مانع من إعادتهم إلى اليمن إذا كان يريد ذلك .



أبلغ الرئيس عبد الناصر الرئيس السلال بعزمه على عودة القدر الأكبر من القوات المصرية من اليمن ، مما أثار قلقه على رئاسة الجمهورية ، كما أثار غضب العناصر ذات العلاقة السوفيتية التى كانت شديدة الحرص على استكمال مخطط إشعال النار فى الجزيرة العربية .

ولعل السلال وأولئك وهؤلاء كانوا واثقين فى أن البيضانى عن طريق السادات يقف وراء قرار عبد الناصر ، فاجتمعوا على إبعاد البيضانى عن أذن عبد الناصر ، وقدموا للسلال معلومات مختلقة ليشترك معهم بإرسالها بخطه وتوقيعه إلى الرئيس عبد الناصر .

وفعلا قام السلال فى يوم الثلاثاء ١٦ أبريل ١٩٦٣ بإرسال برقية رمزية (بشفرة السفارة المصرية) سجلها بالتاريخ الهجرى (١٣٨٢/١١/٢٢) وكتبها بخطه بعد أن أوضح مصدر معلوماتها (الوثيقة رقم ٣٠) ونصها :

سيادة الأخ الرئيس جمال عبد الناصر

تحية أخوية صادقة .

تلقيت من المخابرات العربية بصنعاء معلومات خطيرة ، ما كنت أتصورها ، وهى أن البيضانى يتصل بالرصاص أمير البيضاء ويدفعه للإتصال بالسلطات الأجنبية ويحفزه على الإنفصال ، ويمنيه بأنه سيكون كسائر سلاطين الجنوب ، حتى قام الرصاص بإرسال كمية من أسلحة الجمهورية الخفيفة والثقيلة إلى بيته بمسورة . وقد كنت سمعت من قبل أن البيضانى يتصل ببعض الوزراء ويحاول خلق المشاكل ويثير نعرة الإنفصالية ، ولكنى لم أصدق حتى تلقيت قرارا من المخابرات العربية بصنعاء ، وهذا إشعار لسيادتكم لتكونوا على علم وبينة من عمل هذا الحاقد ولو على حساب وطنه وتقبلوا أصدق حبى وتقديرى .

١٣٨٢/١١/١٢ (الموافق ١٦ إبريل ١٩٦٣)

أخوكم
عبد الله السلال
رئيس الجمهورية اليمنية

عندما اطلع جمال عبد الناصر على تلك البرقية سخر منها لأنها لو تضمنت معلومات مؤكدة من جهاز المخابرات العربية لكان هو أول من يطلع على وثائقها قبل السلال ، وكان السلال فى غير حاجة إلى إرسال أخبارها إليه مجردة من أى دليل سوى نسبتها إلى عناصر المخابرات العربية فى صنعاء ، وصدورها بشفرة السفارة المصرية هناك ، وهى العناصر التى يعرف جمال عبد الناصر موقعها من البيضانى . كما كان الرئيس جمال يعرف قصة ما أشاعه السلال منسوبا إلى الأستاذ باسندوه الذى كذبه خطيا على يد السادات ثم عاد السلال يذكر نفس هذه الإشاعة الكاذبة فى تلك البرقية .

كان عبد الناصر يعرف مدى قلق السلال من قرار عودة القدر الأكبر من القوات المصرية إلى مصر فاستسلم أكثر للعناصر المصرية التى تخشى من عودة البيضانى إلى اليمن بعد ترشيد الوجود العسكرى المصرى على أراضيها وحصر الإهتمام اليمنى داخل حدود اليمن مما ترحب به أمريكا وترتضيه السعودية ولا يزعج الإنجليز فى نطاق حق الجنوب اليمنى فى تقرير المصير .

كان عبد الناصر يعرف ما يدور على مسرح صنعاء من تأليف وإخراج هذه العناصر وتمثيل وتصفيق السلال فسخر من محاولة نقله إلى أرض القاهرة .

سلم جمال عبد الناصر صورة تلك البرقية للسادات وطلب منه أن يطلعنى عليها مؤكدا لى كذبها فسخرت مع عبد الناصر منها وضحكت مع السادات عليها .

ثم وصلت إلى أنور السادات برقية رمزية أخرى من الأستاذ محمد عبد الواحد القائم بأعمال السفارة المصرية فى اليمن يوم الخميس ١٨ إبريل ١٩٦٣ يستعرض فيها كيف يحكم اليمن بإسم الرئيس السلال ويؤكد ما جاء فى برقية السلال إلى الرئيس عبد الناصر التى وصفنى فيها بالحاقد واتهمنى بها بأننى إنفصالى .

ومن الأمور الجديرة بالتأمل أن الأستاذ محمد عبد الواحد سبق أن كتب فى تقريره رقم (١) عن (الفترة ما قبل قيام الثورة وبعد نجاحها) والذى نشرته لجنة من الضباط الأحرار فى كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) الصادر عن مركز البحوث التابع لرئاسة الجمهورية فى صنعاء سنة ١٩٨٢ فقال فى الصفحة الرابعة من التقرير والثانية والعشرين بعد المائتين من الكتاب مايلى :

(بذلت محاولة جدية صادقة فى نفس هذه الفترة التى بدأ يتبلور فيها تنظيم الضباط الشبان من أجل توحيد الجهود لكافة العناصر التى تعمل فى ميدان الحركة الوطنية وذلك لحسم المعركة مع نظام الحكم الرجعى الإمامى .

وكان صاحب هذه الدعوة والمشرف على تنفيذها هو الدكتور عبد الرحمن البيضانى اللاجىء السياسى اليمنى فى القاهرة . وبعد أن استطاع (البيضانى) استطلاع الموقف بالإتصال الشخصى مع عناصر الأحرار فى الداخل تم وضع مخطط مقترح للعمل الثورى . وتم عرض هذا المخطط للحصول على موافقة الأحرار فى الداخل .

وبالفعل تمت إتصالات من أجل تحقيق ذلك .

هذا بالإضافة إلى قيام الدكتور عبد الرحمن البيضانى بالمساندة المعنوية للعناصر الوطنية فى الداخل ، وذلك بإذاعة أحاديث فى راديو القاهرة ونشر مقالات لفضح نظام الحكم فى اليمن .

حدث بعد ذلك إتصال بين تنظيم الضباط الأحرار ونواة التشكيل الذى بدأ يمسك بخيوطه الدكتور عبد الرحمن البيضانى .) (الوثيقة رقم ٣١)

هكذا اعترف الأستاذ محمد عبد الواحد وبصفة رسمية فى الوثيقة التى نشرتها لجنة من الضباط الأحرار بالدور الذى قمت به فى تخطيط الثورة وإعدادها وكان محمد عبد الواحد يقصد بتنظيم الضباط الأحرار ، ما وصفه فى الصفحة الأولى من تقريره السرى المنشور فى ذلك الكتاب صفحة ١٩٩ حيث وصفه بأنه (نشاط الضباط الأحرار الصغار الذين تخرجوا من الكلية الحربية فى صنعاء وأن زعيم هؤلاء الضباط هو على عبد المغنى (الوثيقة رقم ٣٢) .

كتب هذه الحقيقة محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصرى قبل أن يظهر السلال على المسرح بعد قيام الثورة ، فكيف سمح محمد عبد الواحد لنفسه بعد ذلك أن يصفنى بالحقد ؟ .. وعلى من .. ؟

وفى الصفحة السادسة عشر من تقريره المذكور والرابعة والثلاثين بعد المائتين من كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) الذى نشرته هذه اللجنة ذكر الأستاذ محمد عبد الواحد فى معرض تحلية لشخصية المقدم عبد الله جزيلان فقال ما يلى :

(من المعروف أن جزيلان كان الذراع الأيمن للزعيم حمود الجائفى أثناء قيادتة للكلية الحربية ، وكان أمين سره وكان هذا أمرا معروفا للجميع . ثم بعد أن تمكن الجائفى من الفرار من سجنه إلى عدن فى أواخر عام ١٩٦١ بدأ جزيلان يتقرب من حاشية البدر بغرض تعيينه مديرا للكلية الحربية خلفا للجائفى . وقد نجح فى هذا السعى ورقى من رتبة رئيس إلى رتبة مقدم . وأصبح الضباط الأحرار ينظرون إليه نظرة شك وريبة. وبعد أن ظهر المخطط الذى كان يدعو له الدكتور البيضانى وأسند إليه دور قيادى فيه بدأ يمارس نشاطا محدودا تركز بصفة خاصة فى الناحية الدعائية .

بعد أن تمت عملية الربط بين تشكيل الضباط الأحرار والتشكيل الذى كان يدعو له البيضانى ، فبالتالى تم إتصال جزيلان بتشكيل الضباط الأحرار ومن هنا كان دوره المشاركة فى الإعداد للثورة وكذا التنفيذ وبتحليل شخصية جزيلان يمكن القول بأنه شخصية مهزوزة – وصولى – سهل الإنقياد – يدعى العلم عن جهل – يكره البيضانى كذا عبد اللطيف ضيف الله لأنه يطمع أن يكون الرجل الثانى بعد السلال) . (الوثيقة رقم ٣٣)

هذه ما يؤكده الأستاذ محمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصرى فى صنعاء وقت الثورة ، وهو يشرح الدور الرئيسى الذى قمت به فى تخطيط الثورة كما يشرح كيف ظهر المقدم عبد الله جزيلان على مسرح هذه الثورة بالرغم من شك الضباط الأحرار وعداوتهم له ، ويؤكد للتاريخ أن جزيلان لم يظهر على ذلك المسرح إلا بعد أن قمت بإسناد أحد الأدوار الرئيسية له رغم شك الضباط فيه ، فبدأ يمارس نشاطا محدودا فى الناحية الدعائية .

ولو أننى لا أستسيغ استباق الأحداث ، وأفضل روايتها بحسب تاريخ حدوثها ، إلا أننى فى هذا الموقف بالذات أجد نفسى عاجزا عن مقاومة إغراء إحدى الحقائق الهامة التى اضطر الآن إلى ذكرها قبل أوانها .

ذلك لأن الأستاذ محمد عبد الواحد الذى اشترك فى خطة إبعادى عن اليمن ثم وصفنى بالحقد والإنفصالية اتضح له ، فى وقت لاحق ، فشل إنفراده بشئون اليمن إعتمادا على شخص السلال ، وأنه فى وسعه أن يحكم اليمن عن طريق الضباط الشبان فانقلب على السلال وكتب فى الصفحة الرابعة من تقريره السرى المنشور فى نفس ذلك الكتاب صفحة ٢٨١ ما يلى :

(٢٣ - أثار الضباط موضوع السلال وظهرت معارضتهم لمبدأ تركيزه فى السلطة وأكدوا أن الأمور فى اليمن لا يمكن أن تنصلح ما دام رأس الدولة فاسدا ، وأضافوا أن العمليات الحربية فى اليمن وتعقيدات الموقف السياسى سوف تستمر ما دام السلال يحكم بيده جميع السلطات التى يستغلها لغير صالح الأمة ، وتؤدى بطريق غير مباشر إلى تخريب يؤثر فى الوجود العربى فى اليمن) (الوثيقة رقم ٣٤)

٨

وصل إلى صنعاء المشير عامر وأنور السادات يوم الأربعاء ٢٤ إبريل ١٩٦٣ للإشراف على عودة القوات المصرية إلى مصر وعادا إلى القاهرة يوم الأحد ٢٨ إبريل ١٩٦٣ بعد أن أتم المشير عامر جميع الإجراءات النهائية لعودة هذه القوات من اليمن .

وكانت تنتظر المشير عامر فى مصر دعوة لزيارة الإتحاد السوفيتى كان قد تلقاها السيد على صبرى من نيكيتا خروشوف أثناء وجوده فى موسكو خلال وجود المشير عامر فى اليمن ، وبناء على إلحاح السيد على صبرى ، قبل المشير عامر هذه الدعوة على أن يقوم بها بعد عودة الرئيس جمال عبد الناصر من زيارته للجزائر .

وبدأت القوات المصرية تعود إلى مصر حيث كان الرئيس جمال عبد الناصر على رأس الإحتفالات التى أقيمت تكريما لإستقبالها ، وكان الرئيس فخورا بنجاح هذه القوات التى انجزت مهمتها واسهمت في تثبيت اقدام الثورة اليمنية حتى اصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها ، كما كان سعيدا بوقف النزيف المصرى فى اليمن .

غير أن اللواء أنور القاضى الذى وصل من اليمن للمشاركة فى هذه الإحتفالات القى الشك فى قدرة الثورة اليمنية على الاعتماد على نفسها ، ثم ردد نفس العبارات والتهديدات التى تطيل الحرب ولا تمهد للسلام ، حيث نشر تصريحات نارية فى صحيفة الأهرام يوم السبت ٢٥ مايو ١٩٦٣ قال فيها :

(إن اليمن تستطيع أن تحمى ثورتها بجيشها القوى بعد خمس سنوات ، وأن الرجعية لا تريد أن تطوى أحقادها داخل قلبها ، فالسعودية لم تلتزم حتى الآن تماما بما تعهدت به ، ولم تقدم ما يثبت حسن نيتها وما زالت محاولتها اليائسة مستمرة بدفع الإمدادات من مسالك الوديان الصغيرة إلى مناطق اليمن ، لكن الأمر الذى ينبغى أن يكون واضحا أن ردود الفعل بالنسبة لنا سوف تختلف إذا ما استمرت الرجعية فى محاولتها . أنهم لا يرضون أن يدعوا للشعب اليمنى فرصة ومدة ليبنى فيها آماله بعيدا عن التأثيرات الخارجية . وإذا لم تتوقف هذه الإمدادات فأظن أن هناك سبلا أخرى لوقفها وأظن أن الرجعية تعلم يقينا أننا قادرون على إرغامها بإجراء أكثر حزما ، إجراء يستهدف الأصل والمنبع).

نشر اللواء أنور القاضى هذه التصريحات وسط الإحتفالات بعودة القوات المصرية من اليمن وكأنه كان يهتف ببقائها هناك بأعدادها الهائلة ، متورطة بين الجبال ومبعثرة بين الوديان ، فلا يتحقق ما أراده عبد الناصر من ترشيد الإستفادة من القوات المدرعة ، التى بقيت فى اليمن رمزا لدعم الثورة ، وفى نقاط تكفى لحماية الجمهورية ، التى يجب أن يدافع عنها قادتها ورجالها ، إذ لم يكن مقبولا تاريخيا ولا مفهوما عقليا أن يحارب فى اليمن المقاتلون من المصريين بينما يقف قادة الجمهوريين موقف المشاهدين غير المبالين ، يكتفون بمقعد الصدارة على أوراق الصحف ويمسكون بصولجان القيادة على شاشات التليفزيون .

لا يحتاج الإنسان العادى إلى عقل فوق عقله كى يدرك النتائج المباشرة لتصريحات اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن ، حين يعلن فى الإحتفال بعودة القوات المصرية أن (اليمن تستطيع أن تحمى ثورتها بجيشها القوى بعد خمس سنوات .) وحين يهدد بإعادة هذه القوات مرة أخرى بكل عتادها وعدتها وإعدادها وخزائنها إلى اليمن لإستئناف المعارك اللانهائية ، التى بعضها كيدى وأكثرها وهمى ، ومعظمها لمجرد مبررات صحفية لإغداق الملايين على المحاربين الوهميين بغير حسيب ولا رقيب ، تحت شعار تهديد السعودية بإجراء (يستهدف الأصل والمنبع) .

وليبق بعد ذلك فى الجمهورية من يبقى ، وليعد من وراء ذلك من الإمامة من يعود ، تنتصر الثورة أو تنهزم ، تفوز روسيا أو تنجح أمريكا ، تنتشر الشيوعية أو يسود الإسلام ، يعبدون الله أو يرضون الشيطان .

كل ذلك لا يهم ما دامت الأسماء لامعة والأنوف خاشعة والخزائن دافعة ، والسلال يحمل الأختام الجمهورية ، يوثق بها سياسة العناصر المصرية التى استغلت راية الزعامة الناصرية .

فاتضح من تصريحات اللواء أنور القاضى أن فى مصر صراعات فى الاتجاه : بعضهم يريد ترشيد الوجود العسكرى فى اليمن . وبعضهم يريد تبديد الوجود العسكرى فى مصر .

قلت كل ذلك للسادات رفيق الطريق ، وكان كل ذلك فى ذهنه قبل أن يخطر على قلبى ، وعرفت أنه كان أيضا فى وجدان عبد الناصر قبل أن يسافر المشير عبد الحكيم عامر إلى موسكو .

فى أعقاب وصول الأفواج الأولى من القوات المصرية إلى القاهرة لحق بها السلال يوم السبت أول يونية ١٩٦٣ فى زيارة قالوا عنها أنها تستغرق أسبوعا واحدا ، واقترح السادات أن أذهب معه لإستقبال السلال فى المطار فتمنيت للسلال التوفيق فى هذه الزيارة غير أننى رفضت استقباله فى المطار أو فى أى مكان آخر طالما كنت فى نظره من الحاقدين .

وسافر المشير عبد الحكيم عامر يوم الجمعة ٧ يونية ١٩٦٣ إلى موسكو تلبية لدعوة خروشوف ومعه وفد عسكرى كان من بين أعضائه الفريق محمد صدقى محمود رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية والفريق سليمان عزت رئيس هيئة أركان حرب القوات البحرية والفريق حليم إمام مدير هيئة التنظيم والإدارة واللواء عبد المنعم رياض قائد المدفعية المضادة للطائرات .

وسافر اللواء أنور القاضى يوم الخميس ١٣ يونية ١٩٦٣ عائدا إلى اليمن لإستئناف عمله قائدا لما تبقى من القوات المصرية فوق أرضها .

٩

عدت من بيت السادات فى ساعة متأخرة من الليل فى مساء يوم الجمعة ١٤ يونية ١٩٦٣ فوجدت مع الجنود المكلفين بحراسة بيتى رسالة تركها الشيخ محمد راجح رئيس الجالية اليمنية فى بريطانيا (الوثيقة رقم ٣٥) قال فيها :

(أخى عبد الرحمن حاولت أن اتصل بك فلم أقدر ، وكان فى أخر ودى أن ألتقى بك . على كل حال أنا متوجه إلى إنجلترا بعد أن زرت اليمن وللأسف .

أرجو أن تكتب لى على العنوان

21 CORNWALLIS SQ.
SOUTH SHIEFLD
ENGLAND

محبكم محمد راجح)

وبعد أن وقع عليها أضاف ملاحظة نصها كما يلى :

(غبت عن اليمن ٢٧ عاما عدت إليها الآن فلم أجد شىء غير اسم البيضانى ويا اسف) .

كانت الرسالة مكتوبة على ورقة من أوراق فندق نيتوكريس بشارع ٢٦ يولية بالقاهرة فأسرعت إلى هناك حيث وجدته يتأهب للذهاب إلى المطار فى طريق عودته إلى لندن .

قال أنه وأفراد الجالية اليمنية فى بريطانيا قد استجابوا للدعوة التى ناديت بها جميع أصحاب الأموال من اليمنيين المهاجرين كى يعودوا إلى اليمن ، للإسهام فى بناء الإقتصاد اليمنى الوطنى بأموالهم وخبراتهم . وقد باع الكثيرون من اليمنيين المقيمين فى بريطانيا ممتلكاتهم ، كما فعل الكثيرون غيرهم فى كل المهاجر اليمنية فى شتى أنحاء العالم ، تلبية لهذه الدعوة التى أرسلتها إليهم مع الزميل محمد مهيوب ثابت عضو مجلس قيادة الثورة ووزير شئون المغتربين . وقال أنهم تابعوا نشاطى فى إنشاء البنك اليمنى للإنشاء والتعمير ، وقيامى بإرساء حجر الأساس لصرح التطور الحضارى اليمنى ، فوهبوا أنفسهم وأموالهم لإعادة مجد اليمن ، وذهب إلى صنعاء مندوبا عنهم ومعه شيكات وحوالات قيمتها خمسة ملايين جنيها إسترلينيا .

ولما وصل إلى صنعاء كنت قد غادرت اليمن فانتظر عودتى إليها دون طائل . وأثناء ذلك الإنتظار علم أن الرئيس السلال كلما احتاج إلى مبلغ من المال لإنفاقه على شئون القتال أمر البنك اليمنى للإنشاء والتعمير بصرفه للضابط الذى يحمل ذلك الأمر ،وعندما كان المسئولون فى البنك يعتذرون بأن الأموال النقدية فى البنك ليست أموال الحكومة وإنما ودائع المواطنين وحساباتهم الجارية ، وأن حصة الحكومة لا تزال مجرد إذن ورقى على الخزانة اليمنية كان السلال يرسل المصفحات إلى البنك ويعتقل المسئولين فيه ، ويأخذ منه ما يشاء من أموال المساهمين بإسم الصرف على المقاتلين .

فما كان أمام المهاجرين اليمنيين الذين وصلوا إلى صنعاء بأموالهم لإيداعها فى البنك غير الإحتفاظ بها فى حقائبهم ، لإعادتها إلى مهاجرهم ، حتى لا يتورطوا كما تورط غيرهم عندما استولى السلال على أموالهم . أبدى الشيخ محمد راجح أسفه لأنه كان من الذين عادوا من صنعاء بأموال أصحابهم ، وأنه سيعود إلى بريطانيا ليرد الأمانات إلى أهلها .

تأثرت كثيرا من هذه الرواية التى سبق أن وصلتنى أخبارها دون تفاصيلها . وكان حلم حياتى أن أبنى إقتصاد اليمن . وكان ذلك هو الدافع الرئيسى الذى دفعنى إلى الثورة على الإمام أحمد وركائز النظام الإمامى فى اليمن ، والسبب الأول الذى دفعنى إلى الثورة على الإمام البدر وكل من يسعى إلى إعادة عقارب الزمن إلى الوراء .

طلبت من الشيخ راجح أن يحمل إلى أفراد الجالية اليمنية فى بريطانيا تحياتى واعتزازى بمشاعرهم الوطنية ، ويقول لهم على لسانى أنهم بعد أن نجحوا فى إنشاء علاقة مالية فيما بينهم عندما جمعوا خمسة ملايين جنيها إسترلينيا لا يجدر بهم ، بعد ذلك ، أن يفتتوا هذه العلاقة بتوزيع هذه الأموال على أنفسهم ، وأنهم فى وسعهم أن يؤسسوا بها مشروعا يمنيا فى بريطانيا يجمع شملهم ويحسن إستثمار ثرواتهم حتى يأتى يوم يعودون فيه مرة أخرى إلى بلادهم .

ضاعت الفرصة الذهبية التى أتاحها القدر عندما توافد على صنعاء عدد كبير من رجال المال والأعمال اليمنيين من المهاجرين ، الذى دفعهم الحماس الوطنى والثقة فى السياسة الإقتصادية الجديدة إلى تصفية أعمالهم فى مهاجرهم لينقلوها إلى وطنهم ، الذى كانوا سينقلون إليه حضارة حديثة تعلموها وتعودوا عليها فى تلك المهاجر ، مع أحدث ما عرفوه من أساليب العمل وإدارة الشئون الإقتصادية .

كنت أعتبر ذلك من أهم عناصر النهضة الحديثة فى اليمن .

وكان توافد رجال المال والأعمال اليمنيين على صنعاء ، وتصفية أعمالهم فى مهاجرهم ، شهادة تاريخية لنجاح السياسة الإقتصادية ، التى قمت بإعدادها وإعلانها بعد قيام الثورة ، بعد أن رفضت الإستجابة لنظريات الوفد الإقتصادى المصرى ، الذى أرسله جمال عبد الناصر إلى اليمن عندما وجدت أنها لا تتفق مع ظروف التطور فى اليمن بالذات ، ولم يكن لى شأن بما يتناسب مع غير اليمن من مذاهب إقتصادية .

وقد أشار إلى إختلاف السياسة الإقتصادية اليمنية عن السياسة الإقتصادية المصرية المؤرخ البريطانى دانا آدمز شميدت فى كتابه (اليمن . الحرب المجهولة) صفحة ٧٥ حيث قال :

(كان الدكتور البيضانى مستغرقا فى صياغة خطته الإقتصادية . لقد حاول ذلك عندما كان من أنصار الإمام أحمد . والآن قد حصل على هذه الفرصة . وبالرغم من أن البيضانى كان من أنصار عبد الناصر وأن سياسته كانت جذرية فإنه لم يطبق فى اليمن سياسة عبد الناصر الإشتراكية . لقد أعلن البيضانى أن اليمن ليست فى حاجة إلى إعادة توزيع الملكيات كما حدث فى مصر ، لأنه لا يوجد فى اليمن ضغط سكانى على الأراضى الزراعية . كما أعلن إصلاحاته الضرائبية وألغى الضرائب المفروضة على حواجز المرور ، وأوضح ضرورة العمل على إستعادة التجارة اليمنية إلى ميناء الحديدة بدلا من ميناء عدن قائلا أن التجارة اليمنية تخسر خمسين فى المائة نتيجة لمرورها بعدن ، حيث يذهب نصف هذه الخسارة إلى الوسطاء الأجانب ويضيع النصف الآخر فى صورة نفقات نقل) .

On the floor of the building below President Sallal, Doctor Baidani, his deputy, was busy fashioning a new two-year economic plan. In the days when he was a protégé of the Imam Ahmed, he had aspired in vain to become the kingdom's economic adviser. Now he had his chance. Although he was obviously the spearhead of Egyptian influence in Yemen and his political ideas were radical, Baidani did not reflect Nasser's socialism. He explained that there was no need for land reform such as had been carried out in Egypt, because 'Yemen does not have Egypt's population and land pressures'. He spoke about the need for tax reform, for eliminating burdensome road tolls, and the desirability of re-routing the flow of trade from the port of Hodeidah. He complained that Adeni

75

merchants charged twenty-five per cent commission and twenty-five per cent for transport. 'This survival from the feudal past must be expunged,' he said.

كنت المسئول الثانى عن حكم الجمهورية اليمنية ، والمسئول الأول عن إدارة شئونها الإقتصادية وسياستها الخارجية ، وتصادف أن كنت من خبراء الإقتصاد الذين يسعدهم أن يتحملوا مخاطر المسئولية ولا يختصرون الطريق ويلقون بها على أكتاف الآخرين .

لم أكن موظفا فى اليمن بل كنت ثائرا على أوضاعها المتخلفة مجتهدا فى بعث ماضيها المجيد وإرساء قواعد نهضتها الحديثة .

كنت لا أخاطب أحدا غير التاريخ . ولا أشعر بأية مسئولية إلا تجاه المصلحة اليمنية الحقيقية ، التى يحاسبنى عليها شعب اليمن صاحب المصلحة الحقيقية من الثورة ، إذا كان فى وسعه أن يعبر عن رأيه فى حياتى ، أو تحاسبنى عليها الأجيال اليمنية القادمة عندما تستطيع أن تنطق بالحق وتحكم بالإنصاف ، ولا يضيق أحد بحق ولا يغضب آخر من إنصاف ، لأننى أكون حينئذ فى ذمة التاريخ بعيدا عن صراع السلطة .

كنت ولا زلت أعتبر أن الثورة ليست سوى مفتاح الطريق إلى النهضة الإقتصادية والإجتماعية التى هى جوهر التقدم ورفاهية الشعوب وسعادة الإنسان على الأرض .

ولو أننى استطعت تحريك هذا المفتاح للنهوض باليمن أيام الإمام أحمد ، كما كتب دانا آدمز شميدت ، لما ثرت عليه ولا على إبنه البدر إذ لا يهمنى نظام الحكم ، سواء كان ملكيا أو جمهوريا ، ما دام لا يقيم العقبات السياسية والإجتماعية التى تحول دون تقدم الشعب اليمنى الذى أنتسب إليه .

ولما عجزت عن النهوض باليمن عن طريق الإمام لجأت إلى النهوض بها عن طريق الشعب ، وهو ما لا يتحقق بغير الدعوة إلى الثورة الجذرية لتغيير نظام الحكم المتشبث بعقبات النهضة اليمنية .

لقد فصلت مناهج النهضة الإقتصادية اليمنية على مقاس اليمن ، فاستجاب لها اليمنيون فى داخل اليمن ، ومن شتى أنحاء الأرض ، فكانت صدمتى بالغة القسوة عندما أبلغنى الشيخ محمد راجح أنهم بدأوا ينسحبون من صنعاء ، ويعودون من حيث جاءوا ، لأن الذى أغراهم بالإشتراك فى بناء النهضة اليمنية هو أملهم وحلم حياتهم فى تحقيقها ، فلما وجدوا الثورة قد أدارت ظهرها للنهضة فزعوا من أن يكون الحكم الجديد مجرد تكرار لنظام الإمامة بغير عمامة ، فعادوا من حيث أتوا لأنهم لم يهاجروا من اليمن كرها فى عمامة الإمام وإنما سخطا على نظامه .

شعرت بمسئوليتى الشخصية والتاريخية نحو أولئك الذين عاشوا مع حلم الحضارة الحديثة والنهضة اليمنية الكبرى ، فصفوا ممتلكاتهم فى مهاجرهم وتبادلوا التهانى والدعوات الصالحة فى حفلات الوداع والتكريم وهم يعودون فى رحلة الشتاء إلى اليمن .

ووصلوا إلى صنعاء ، وهربوا من صنعاء .

ثم استقيظوا من الحلم السعيد عندما دفعهم السلال إلى السقوط فى بئر الواقع المؤلم .

ماذا يقولون حين يعودون ؟ ماذا يعملون بأموالهم التى جمعوها عندما بلغت بهم ذروة الأمل فأتوا على ممتلكاتهم فى مهاجرهم وباعوها وحصروا تجارتهم وصفوها ، وانقلبوا على فنادقهم ومنشآتهم وأغلقوها .

ماذا يفعلون حين يعودون ؟

وكيف يبدأون ؟ .

سؤال خطير .. عصر فؤادى ، وعذب ضميرى ، وأشعل النار فى صدرى . وكنت فى قمة الحيرة عندما ودعت الشيخ محمد راجح داخل الطائرة ، وسلمته رسالة عزاء إلى إخوانى اليمنيين ، كتبتها بخط حزين ، يرتعش من صدمة المهاجرين الحالمين ، فشعرت بأننى أرسل إليهم كفنى ليدفنوا فيه حلم النهضة اليمنية الكبرى ، الذى ثرنا من أجله ، وباعوا أملاكهم فى سبيله .



بعد أن ودعت فى المطار الشيخ محمد راجح رئيس الجالية اليمنية فى بريطانيا خطرت فى ذهنى إجابة على حيرتى وحسرة اليمنيين المهاجرين ، وهى أن أدعو أصحاب الأعمال والأموال اليمنيين المهاجرين إلى الإحتفاظ بأموالهم كى نقيم بها بنكا يمنيا فى عدن . وبذلك ننشىء رابطة مالية بين اليمنيين المهاجرين ونرفع عنهم حرج البحث عن أعمال بديلة للأعمال التى قاموا بتصفيتها ، وفى نفس الوقت نسهم فى بناء إقتصاد يمنى وطنى فى جنوب اليمن المحتل يساعدنا على إيجاد البديل الإقتصادى الوطنى اليمنى الذى كان يعتمد فى ذلك الوقت على الإنفاق العسكرى البريطانى فى عدن ، والذى كان لا يشجع على المطالبة بسرعة جلاء بريطانيا عن هذه المنطقة .

لم تكن فى تلك المنطقة المحتلة صناعات ذات شأن ، ولا زراعات على المستوى الإقتصادى ، الذى يحتاج إليه السكان الذين كان معظم دخلهم يأتى من قيامهم ببناء المساكن والعمارات وتأجيرها لأفراد القوات البريطانية ، مما جعلنى أطلق على اقتصاد الجنوب اليمنى المحتل اسم (إقتصاد العمارات) . وكانت البنوك الأجنبية فى عدن ترفض أن تعطى أية تسهيلات مصرفية للمشروعات الصناعية أو الزراعية ، وتحصر هذه التسهيلات على الأعمال التجارية وحدها ولأشخاص معينين بالذات .

وجدت أننى لو أنشأت بنكا يمنيا وطنيا بأموال المهاجرين اليمنيين يمكن أن يكون قلعة إقتصادية ينشر الزراعة والصناعة فى هذه المنطقة ، ويبنى صرحا إقتصاديا يحمى أهلها عندما يقررون مصيرهم فلا يحتاجون إلى إعتماد إقتصادى على الوجود البريطانى .

علاوة على ذلك فإن النجاح الإقتصادى اليمنى فى جنوب اليمن يؤدى حتما إلى انتقاله تدريجيا إلى شمالها ، إذا لم ينتقل فورا إليها عندما تتهيأ الظروف الموضوعية لذلك الإنتقال .

زارنى فى اليوم التالى رجل الأعمال اليمنى عبد العزيز علوان وشرحت له مشروع إنشاء بنك يمنى فى عدن فتحمس للفكرة حماسا عظيما ، وجاءنى بعد ذلك بسبعة من كبار أصحاب الأعمال اليمنيين يباركون هذا المشروع مشترطين أن أتولى إدارة هذا البنك بنفسى فى عدن ، فاعتذرت عن ذلك مكتفيا بالقيام بأعماله التحضيرية التأسيسية ، ثم أعود إلى القاهرة لأننى لا أبحث عن وظيفة وإنما أؤدى رسالة وطنية .

عرضت هذا الموضوع على أنور السادات فاستحسنه وتولى شرحه للرئيس جمال عبد الناصر الذى أقره مشترطا أن يوافق عليه السلال حتى لا يسىء فهم وجودى فى عدن وشروعى فى إقامة بنك يمنى هناك . وكان السلال لا يزال فى مصر وينوى السفر فى اليوم التالى إلى الأسكندرية لإجراء فحوص طبية فى مستشفى المواساة ، وقد أعد له الرئيس عبد الناصر قطارا خاصا لهذه الرحلة فعرض الرئيس جمال أن أسافر مع السلال فى نفس هذا القطار لإزالة الشوائب النفسية التى أثرت على مشاعرى نحوه ، وإثبات عودة العلاقات الأخوية بيننا .

وافقت على إقتراح الرئيس مشترطا أن يقوم السادات بإبلاغ السلال بأننى سألتقى به فى القطار حيث كان ذلك هو اللقاء الأول منذ وصوله إلى القاهرة قبل أكثر من أسبوعين .

مهد السادات لهذا اللقاء وعندما وصلت إلى القطار وجدته قد ترك لى المقعد المجاور لمقعد السلال وكان ذلك يوم الثلاثاء ١٨ يونية ١٩٦٣ .

كان عناقنا فى القطار محلا لتعليقات المشاهدين ، وأما قبلاتنا الطويلة فقد كانت إشعارا لليمنيين بأننا أصبحنا متفاهمين وأن هذه القبلات ليست سوى التوقيع النهائى على إتفاق بعودتى معه إلى اليمن .

أسرعت إلى نفى أى موضوع يتعلق بعودتى إلى اليمن ، مع تأكيدى المطلق بأننى كنت لا أزال مؤيدا لرئاسة السلال إظهارا منى لوحدة الصف الجمهورى ، حيث كان السلال لا يزال رئيس الجمهورية التى ناديت بها وقاتلت من أجلها .

كان السلال ، ولا يزال ، زميلا عشت معه أعسر أيام الثورة ، وهى الشهور الأولى لميلادها ، والأيام المجيدة فى حياتها . تلك الأيام التى سيرويها التاريخ فى صفحات أبرز من غيرها لأنها أيام ميلادها عندما كانت فى حضن أمها ترضع من ثديها .

كان الثمن الفورى الذى حصلت عليه من قبولى السفر مع السلال إلى الأسكندرية أنه كان بمثابة إعلان صريح من عبد الناصر بتكذيب عناصر المخابرات المصرية فى صنعاء التى نقلت إلى السلال أكذوبة طلبى من السلطان الرصاص أمير البيضاء أن ينفصل عن الجمهورية اليمنية ، إذ لو كان عبد الناصر يصدق هذه الأكذوبة لما أعد لى مقعدا بجوار السلال في قطار رئاسة الجمهورية الذى لا أستطيع أن أقحم نفسى عليه . وكان الثمن الفورى الآخر هو اعتراف السلال بأننى لا أحقد عليه وإنما أتمنى له النجاح والتوفيق .

وكيف لا أتمنى له النجاح والتوفيق بينما أعتبر نجاحه ، ونجاح أى رئيس لليمن غيره ، ما هو إلا نجاح للثورة الجذرية التى ناديت بها ووضعت الركائز الأساسية فى بناء صرحها .

وصلنا إلى الإسكندرية وكان فى استقبالنا محافظ المدينة السيد حمدى عاشور ، وبدأنا حديثنا فى قصر الصفا عن فكرة إنشاء البنك اليمنى فى عدن ، وكان السادات قد شرحها للسلال فى القاهرة بعد أن وافق جمال عبد الناصر عليها .

لعل السلال قد تصور أن جمال عبد الناصر والسادات قد وافقا على فكرة إنشاء هذا البنك لمجرد الضغط عليه حتى أعود معه إلى اليمن ، فأظهر ترحيبه بعودتى معه وأن أقبل مؤقتا منصب وزير الخارجية . فاعتذرت عن عدم قبولى القيام بأى عمل رسمى مؤقت ، مع استعدادى الكامل للنصح من بعيد إذا كان يريد النصيحة ، علاوة على أننى كنت معارضا للإنقلاب الذى قام به السلال على السياسة الخارجية التى قمت بغرس جذورها منذ قيام الثورة ، ثم قام بخلعها تنفيذا لسياسة من أخرجونى من اليمن ، الأمر الذى لا يؤهلنى للقيام بأى عمل رسمى نافع فى ظل السياسة الخارجية الجديدة التى كنت واثقا من أنها سوف تنتهى إلى فشل يمني ذريع لا أستطيع أن أتحمل نتائجه ، كما تؤدى إلى كارثة عربية قومية محققة لا أقبل أن أتحمل مسئوليتها التاريخية .

عدت إلى الحديث مع السلال عن فكرة إنشاء البنك ، تلك الفكرة التى كنت مقتنعا بأنها المخرج الوحيد لليمنيين المهاجرين من المأزق الذى وجدوا أنفسهم غارقين فيه .

فلم تكن هذ الفكرة لمجرد الضغط على السلال ، ولم يكن هدفى أن أعود إلى اليمن فى ظل المناخ السياسى الذى شجع المتمردين وطارد الجمهوريين وقذف اليأس فى نفوس الممولين المقيمين والمهاجرين . كما لم يكن فى وسع عبد الناصر ولا السلال أن أعود معه إلى اليمن فى وقت يعتقد فيه الإتحاد السوفيتى أن سياسة المهادنة مع الدول الغربية تهدد المصالح السوفيتية على امتداد الساحة العربية .

وافق السلال على هذه الفكرة وكان سعيدا عندما لمس عزوفى عن العودة معه ، وعلمت فيما بعد أنه هو نفسه كان مترددا فى العودة إلى اليمن بعد أن تأكد من إصرار جمال عبد الناصر على الإستمرار فى سحب قواته منها .

فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْـلَ ٱلذِّكْرِ
إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

قرآن كريم

الفرص الضائعة

الفصل الخامس عشر

١

عاد المشير عامر من موسكو يوم الأربعاء ١٩ يونية ١٩٦٣ بعد أن عقد إتفاقية مع الحكومة السوفيتية ، وقعها عن الجانب الروسى المارشال مالينوفسكى وزير الدفاع السوفيتى بحضور رئيس الوزراء نيكيتا خروشوف ، مما يؤكد أن تلك الإتفاقية كانت إتفاقية عسكرية ، وعلى إثر وصول المشير عامر إلى القاهرة إجتمع لمدة أربع ساعات مع الرئيس عبد الناصر ، ليطلعه على نتائج زيارته فى موسكو ومحادثاته مع خروشوف ومساعدات الإتحاد السوفيتى العسكرية الجديدة لمصر والقرض السوفيتى الذى بلغت قيمته عشرين مليونا من الجنيهات فتقرر تدعيم الوجود العسكرى المصرى فى اليمن وإعادة القوات المصرية إليها . بعدئذ قام المشير عامر بإقناع السلال كى يعود مع القوات المصرية إلى اليمن يوم الثلاثاء ٢٥ يونيه ١٩٦٣ حيث اجتمعا فى نفس اليوم فى مقر القيادة العسكرية المصرية فى صنعاء باللواء أنور القاضى لبحث الشئون العسكرية وتطوير القتال فى اليمن .

على إثر هذا الإجتماع أعلن السلال (استئناف العمل على إسقاط الأنظمة الرجعية فى الجزيرة العربية) بعد عدول مصر عن سحب قواتها من اليمن وأصدر مرسوما بتشكيل القيادة العسكرية المصريةاليمنية المشتركة ، التى ضمت الفريق أنور القاضى قائد القوات المصرية واللواء حسن العمرى والعقيد حسين الدفعى وزير الدفاع والعقيد أحمد الأنسى ، بعد أن صدر قرار فى القاهرة بترقية أنور القاضى إلى رتبة فريق وقرار آخر فى صنعاء بترقية حسن العمرى إلى رتبة لواء وتعيينه نائبا لرئيس الجمهورية ونائبا للقائد العام .

ثم استقبل السلال فى يوم الخميس ٢٧ يونية ١٩٦٣ الجنرال كارل فون هورن رئيس بعثة المراقبين الدوليين فى اليمن وأبلغه (أن المملكة العربية السعودية لا تزال ترسل المتسللين والأموال والأسلحة إلى اليمن بما فى ذلك من نقض صريح لتعهداتها للأمم المتحدة) .

فى نفس اليوم أذاع راديو لندن تصريحا للأمير فيصل لمراسل جريدة التايمز البريطانية فى الشرق الأوسط قال فيه (إن الحكومة السعودية أجرت مباحثات مع أمريكا بشأن توفير الحماية الجوية الأمريكية للجزء الجنوبى من السعودية) وبدأت القوات الأمريكية الجوية والبحرية تصل إلى السعودية .

معنى ذلك أنه بينما كان المشير عامر فى موسكو يستجيب لطلب خروشوف إعادة القوات المصرية إلى اليمن وتوسيع ساحة القتال فى شبه الجزيرة العربية كانت الحكومة السعودية تبحث مع الحكومة الأمريكية عناصر الرد على الإتحاد السوفيتى والإستجابة المصرية على الساحة اليمنية . فكان ذلك بمثابة إنذار علنى وجهته أمريكا والسعودية للإتحاد السوفيتى وعبد الناصر والسلال بأنهم لا يلعبون وحدهم فى هذا الميدان .

ظهر أكثر من أى يوم مضى ما كنت أخشاه وهو أن تصبح الساحة اليمنية حلبة للصراع الدولى بين الكتلتين العالميتين ، إحداهما تستخدم الجمهوريين والمصريين للوصول إلى منابع البترول وإحتلال المواقع الإستراتيجية فى الجزيرة العربية ، والأخرى تستخدم المتمردين وتساعد السعوديين والأردنيين للحفاظ على هذه المنابع وتلك المواقع .

كان وقود الصراع مستخلصا من دماء اليمنيين والمصريين والسعوديين والأردنيين وإمكانياتهم الإقتصادية والعسكرية ، وكان من الواضح أن دماء المصريين واليمنيين سوف تذهب سدى ، سواء انتصر الشرق أو الغرب ، فلم يكن فى أعظم أحلام اليمنيين ولا فى أوسع خيال المصريين أن يكونوا سدنة هذه المنابع ولا سادة تلك المواقع .

لقد فرحوا بتوسيع ساحة القتال وظن بعضهم أنه يدافع عن الجمهورية اليمنية ، وتصور البعض الآخر أنه يدافع عن القومية العربية ، بينما لم تكن الصراعات الدولية لتهتم كثيرا أو قليلا بالجمهوريات أو الملكيات أو القوميات لأنها تعتبرها مجرد كماليات شكلية ومحسنات لفظية فى سوق الصراعات الإقليمية ، دون أن يكون لها أى أثر فى ثقل الموازين الدولية ، إلا بالقدر الذى يدخل فى عناصر إشعال هذه الصراعات ، وطبقا للأصول المرعية فى الغابة العالمية ، والقواعد المتفق عليها فى لعبة الأمم ، التى ليس فيها للشعوب النامية ناقة ولا جمل .



سافرت إلى ألمانيا بناء على موافقة عبد الناصر والسادات والسلال للإجتماع بعدد من رجال الأعمال اليمنيين من المهاجرين ، حيث كانت العاصمة بون مقرا وسطا للدول التى يقيمون فيها فى أوروبا وأمريكا . وكان الغرض من هذا الإجتماع ، الذى استغرق الإعداد له معظم خمسة عشر يوما قبل سفرى إلى ألمانيا ، هو التأكد من إقبال الجاليات اليمنية فى شتى البلاد على الإشتراك فى تأسيس هذا البنك .

وأذاع راديو بيروت فى يوم الثلاثاء ٩ يولية ١٩٦٣ أن (الدكتور عبد الرحمن البيضانى قد وصل إلى بون عن طريق الجو من القاهرة لإتخاذ خطوات جديدة نحو إنشاء مصرف يمنى فى عدن . وقال أنه سيدعو خلال هذا الأسبوع إلى مؤتمر إقتصادى مع وفد من رجال الأعمال اليمنيين لدراسة الخطوات التنفيذية نحو إنشاء هذا المصرف وأن الغرض منه هو تجميع المال اليمنى من بلدان مختلفة بالإضافة إلى عدن) .

وأذاع راديو لندن فى يوم الأربعاء ١٠ يولية ١٩٦٣ نفس ما سبق أن أذاعه راديو بيروت .

نجح هذا الإجتماع وسبقنى إلى عدن كل الذين اشتركوا فيه ، وأرسلت معهم رسالة إلى صديقى الأستاذ عبد الرحمن جرجرة صاحب مجلة اليقظة فى عدن كى ينشرها لتحدد الهدف من وصولى إليها ، وهو مجرد إنشاء بنك يمنى هناك حتى لا يساء تفسير وصولى إلى عدن وحتى استبعد من ذهن كل صاحب ذهن إننى أنوى القيام بأى نشاط سياسى .

وكان الأستاذ عبد الرحمن جرجرة زميلا لى ، أثناء دراستى المسائية فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، إلى جانب دراستى الصباحية فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وهو من أبناء البيضاءالذين اختاروا الإقامة فى عدن ، وكان يشغل فى ذلك الوقت منصب وزير المعارف فى حكومة إتحاد الجنوب العربى .

نشر الأستاذ جرجرة رسالتى إلى أهالى الجنوب فى صحيفته (اليقظة) يوم ٣٠ يولية ١٩٦٣ ونصها :

إخوانى أبناء الجنوب اليمنى .

أيها الأحرار .

للشعب اليمنى أهداف ثورية محددة كافح فى سبيلها ولا يزال .. لا يرضى عنها بديلا ممسوخا .. ولا يقبل منها حلا مقلوبا .

وليشهد الله أننى عندما كنت فى الحكم حاولت جهد طاقتى أن أشارك زملائى فى وضع هذه الأهداف موضع التنفيذ .

وخرجت من الحكم ، وخرج الكثيرون غيرى ، ولا زلنا ندعو الله أن يلهم من بقوا فى الحكم إلى الرشد والصواب حرصا على وحدة الصف ، وتحقيقا لأهداف الشعب ، وتثبيتا للجمهورية ، وتدعيما للقومية العربية .

وكان لا بد للناس من مخرج من اليأس يأملون فيه ، وملاذ من الضياع يلجأون إليه ، ورجاء فى المستقبل يلتفون حوله ، فكانت فكرة إنشاء بنك يمنى فى عدن لتوظيف أموال اليمنيين المهاجرين لرد الجميل إلى أهالى الجنوب اليمنى ، الذين ساهموا منذ اليوم الأول للثورة بدمائهم وأموالهم فداء لها من أجل تحقيق أهدافها .

ولا زلت أذكر نساء الجنوب اليمنى يتبرعن بجواهرهن النفيسة فداء للثورة .

ولازلت أذكر رجال الجنوب اليمنى يرسلون أموالهم بغير توقف فداء للثورة .

ولا زلت أذكر شباب الحرس الوطنى من أبناء الجنوب يجودون بدمائهم الزكية فداء للثورة .

ثم كان ما كان .

مما لا يعلم مغزاه إلا الله .

ولا يعلم منتهاه إلا هو العلى القدير .

عبد الرحمن البيضانى

أوضحت للرأى العام فى هذه الرسالة أننى أشد حرصا على تحقيق أهداف الثورة ، وأكثر تمسكا بوحدة الصف ، وأعظم أملا فى تثبيت الجمهورية اليمنية ، وأقوى دعوة إلى تدعيم القومية العربية . كما أثبت فيها أن فكرة إنشاء بنك يمنى فى عدن ليست سوى فكرة إقتصادية لتوظيف أموال اليمنيين المهاجرين ، الذين بدأوا يهربون من صنعاء .

لذلك ترددت السلطات البريطانية فى عدن فى السماح لى بالوصول إليها حتى تعهد صديقى الأستاذ عبد الرحمن جرجره باستضافتى فى بيته ، والتزم نيابة عنى بأننى لن أقوم بأى نشاط سياسى أثناء زيارتى لتأسيس البنك ، وسانده فى ذلك التعهد السلطان صالح بن حسين العوذلى سلطان منطقة العوازل الملاصقة لمنطقة البيضاء ، وشقيقه المجاهد جعبل بن حسين والشيخ محمد فريد عولقى وزير خارجية الإتحاد وكبير زعماء منطقة العوالق ، فسمحت بريطانيا بزيارتى لعدن لتأسيس ذلك البنك .

كنت سعيدا بعلاقتى الشخصية مع هؤلاء الرجال ، الذين وثقت فى مشاعرهم الوطنية ، وكانوا مؤهلين لقيادة ذويهم عند تقرير مصيرهم ، وكانت بريطانيا تعرف مقدما أنهم سوف يختارون العودة إلى أمهم اليمن .

ولا أدرى لماذا كانت عناصر المخابرات المصرية المتحمسة لعملية صلاح الدين الخرافية ترفض إستعادة جنوب اليمن عن طريق رجاله العقلاء فى وقت تقتضى فيه الحاجة الوطنية إلى أعمال العقل أكثر من إطلاق البندقية .

قالوا أن عقلاء الجنوب رجعيون فقلت أننى أفهم أن الرجعية تعنى الرجوع إلى الوراء ، وأنهم ما داموا سوف يشتركون معنا فى جمهورية الثورة اليمنية ، شأنهم فى ذلك شأن علماء اليمن ورؤسائها وزعمائها وشيوخ قبائلها ، فإنهم سوف يتقدمون معنا إلى الإمام

قالوا أنهم يرفضون الإشتراكية قلت إننا لم نرفع شعارها فى اليمن الشمالية لأنها ليست ذات مضمون معروف يختلف عن المضمون الماركسى مما جعلنا نرفع شعار العدالة الإجتماعية المستمد من القيم الدينية والتقاليد العربية الإيجابية .

كان شعار الإشتراكية ساحة القتال الواسعة التى قاتلنى عليها من كانوا يتقربون إلى الرئيس عبد الناصر تحت رايتها ، بالإضافة إلى ساحة القتال الأكثر خطرا وهى أننى رجل مدنى لا يجوز أن ينجح فى تحقيق الأهداف الوطنية ، لأن مثل هذا النجاح لا يتفق مع مبدأ حصر الزعامة السياسية فى الشخصيات العسكرية .

فى الموعد المحدد وصلت إلى عدن وكانت جموع الشعب اليمنى تنتظرنى فى المطار فأخذتنى إلى ساحة المؤتمر الإقتصادى الذى نظمه أصدقائى رجال الأعمال اليمنيون ، وكانت هتافات الحاضرين تشق عنان السماء تطالبنى بالحديث عن الأمور السياسية غير راغبة فى أن تسمع منى شيئا عن مهمتى الإقتصادية التى لا يختلف عليها أحد ولا يحتاج شرحها إلى خطاب .

تزايد حماس الحاضرين وطالبونى بالعودة إلى اليمن على أسنة الرماح ، فاضطررت إلى تهدئة الموقف ، فقلت ما أذاعه راديو لندن نقلا عن كلمتى فى ذلك الإحتفال وسجلته جميع أقسام الإستماع الإذاعى فى كل أنحاء العالم ، كما جاء فى نشرة إستماع الإذاعة المصرية بتاريخ الجمعة ١٦ أغسطس ١٩٦٣ أننى صرحت بأننى (لا أحتاج إلى رماح

حتى أعود إلى وطنى ، وأننى فى وسعى أن أستأجر إحدى السيارات وأذهب إلى جميع المناطق الموالية للجمهورية ، لكننى لن أقدم على ذلك إحتراما للرئيس جمال عبد الناصر ، ولثقتى فى أن إخوانى من رجال الجمهورية فى صنعاء لن يترددوا فى تحريض الطائرات المصرية على قصف هذه المناطق المسالمة المؤمنة بالجمهورية ، وعندئذ أكون سببا فى تصعيد المشاكل أمام القوات المصرية ، وإننى ينبغى علىّ أن أنتظر حتى يقوم الزميل السلال بإجراء الإنتخابات فى اليمن فيجدد الصفة الدستورية للجمهورية ، وعندئذ يقرر ممثلو الشعب ما إذا كنت رجلا مؤهلا للإشتراك فى إدارة شئون الوطن أو كنت دون ذلك) .

أشرت فى هذه العبارات إلى ما سبق أن أعلنه السلال فى يوم الجمعة ٢٢ فبراير ١٩٦٣ عندما أصدر قرارا بإجراء (إنتخابات فى جميع أنحاء اليمن لانتخاب أعضاء مجلس شيوخ القبائل) فهدأت جماهير المؤتمر الإقتصادى التى قدرتها وكالات الأنباء بعشرات الألوف من اليمنيين الشماليين والجنوبيين .

وعندما احتشد عندى فى يوم الأحد ١٨ أغسطس ١٩٦٣ عدد من الأصدقاء كعادتهم منذ وصولى إلى عدن كان بينهم هذه المرة أحد المصريين الذى قدم نفسه بأنه من الإخوان المسلمين الهاربين من مصر وسألنى عن إشتراكية عبد الناصر وعلاقتها بالماركسية .

خطر على ذهنى ، لأول وهله ، أنه رجل يريد أن يستدرجنى إلى أن أقول ما يسىء إلى عبد الناصر ، ولا يعلم أننى رجل علم .مشكلته الأولى أنه يخاطب التاريخ ، ولا شىء غير التاريخ ، ولذلك لا أقول غير ما أعتقد ، وأن الذى أقوله فى عدن عن الإشتراكية سبق أن قلته عنها فى صنعاء .

كنت بين أمرين أحلاهما أمر من الآخر ، إما أن أواصل الحديث معه بكل أمانة وصدق ولينقل عنى ما يشاء محتفظا لنفسى بأهم خصائص العلماء ، وإما أن أعتذر له ملتمسا لرقبتى سلامة الجبناء .

اخترت ، كعادتى ، الحل الأول لا سيما أننى لم أكن أشعر بوجود أى تناقض بين إقتناعى بزعامة عبد الناصر السياسية وامتناعى عن الأخذ باختياراته الإقتصادية ، فقد كان زعيما سياسيا موهوبا وليس عالما إقتصاديا مجتهدا . ولا حاجة إلى القول أن الإقتصاد علم ، شأنه شأن سائر العلوم ، يحتاج الإجتهاد فيه إلى دراسات واسعة متصلة ، وأبحاث عميقة مستفيضة تستند إلى خلفيات فلسفية وإجتماعية وسياسية ، وبغيرها أو بأقل منها فإن الزعامات السياسية لا سيما التى تستند على الخلفيات العسكرية ، لا تستطيع أن تستغنى عن علماء الإقتصاد عندما تختار نظرياتها الإقتصادية .

القول بغير ذلك معناه أن يكون مسموحا للإقتصاديين بأن يصيغوا النظريات الكيميائية ، وأن يتولى الأطباء صياغة النظريات الهندسية وأن يقوم المهندسون بإجراء العمليات الجراحية فتختل موازين الحكمة وتنهار أعمدة الحضارة .

أشار محدثى إلى حديث جرى ، أثناء وجودى فى بون بألمانيا الغربية ، بين الرئيس جمال عبد الناصر والوفد اليمنى برئاسة القاضى عبد الرحمن الاريانى يوم ٢٨ يولية ١٩٦٣ حيث شرح الرئيس الإشتراكية التى طبقتها مصر بإعطاء سلفيات زراعية للفلاحين بدون فوائد ربوية فقلت أننى أوافق على إعطاء الفلاحين سلفيات بدون فوائد ربوية ضمن سياسة زراعية شاملة ، تعتمد على إنشاء جمعيات زراعية فى إطار خطة إقتصادية متكاملة . وأضفت قائلا أن مجرد إعطاء هذه السلفيات أمر ليس وقفا على الإشتراكية .

فسألنى عن رأيى فى بيت الشعر الذى استشهد به الرئيس أمام الوفد اليمنى نقلا عن قصيدة أحمد شوقى حين قال :

الإشتراكيون أنت إمامهم لولا دعاوى القوم والغلواء

قلت أننى مؤمن برسالة الرسول ﷺ بغير دعاوى القوم والغلواء . وأننا إذا تحررنا من دعاوى القوم والغلواء نجد أنفسنا مع العدالة الإجتماعية الواضحة المعالم والمحددة المدلول ، دون خطر الإنزلاق إلى الماركسية .

سألنى عن موقعى من القومية العربية ؟ قلت إننى من دعاتها وأنصارها ولذلك وضعتها ضمن أهداف الثورة فى مقالاتى فى روز اليوسف يوم ٢٣ أبريل ١٩٦٢ أى قبل أن تقوم الثورة بما يقرب من نصف عام ، ثم أعلنتها ضمن أول دستور للثورة بعد قيامها .

سألنى كيف أكون من دعاة القومية العربية ولا أكون من دعاة الإشتراكية ؟

قلت إن روابط القومية العربية تجرى فى دماء العرب قبل أن يسمع أحدهم عن شعار الإشتراكية .

ثم سألت محدثى بدورى كيف أدعو أصحاب الأموال اليمنيين المهاجرين أن يتركوا البلاد المستقرة التى كونوا فيها أموالهم كى يعودوا بها إلى اليمن فنؤممها ونضعها معهم تحت الحراسة ؟ .

وهل يقبل أحد العقلاء دعوة على العشاء ، وهو يرى السكين مهداة إليه مع بطاقة هذه الدعوة ؟ .

قلت لمحدثى أن المدعوين على عشاء الإشتراكية فى مصر كانوا جميعا مقيمين فيها ، أما الذين تريد مصر دعوتهم على عشاء الإشتراكية فى اليمن فإنهم جميعا بعيدون عنها .

وهذا فارق جوهرى بين العشاء المصرى الإشتراكى فى مصر والعشاء المصرى الإشتراكى فى اليمن .

قلت لمحدثى إننى أريد تجميع أموال اليمنيين بمحض إرادتهم وحسن اختيارهم تحقيقا لمصلحتهم الشخصية ومصلحة اليمن الوطنية . ومعنى ذلك أنهم يجب أن يجدوا بأنفسهم ولأنفسهم مصلحة خاصة من عودتهم بأموالهم إلى وطنهم ، وهذا حقهم الذى

ينبغى ألا يكون محل منازعة . وعلينا فى نفس الوقت أن نقيم النظام الإقتصادى الذى يمنع استغلال الإنسان للإنسان ، بينما يسمح باستثمار الموارد الطبيعية والطاقات البشرية فى إطار من العدالة الإجتماعية المنبثقة من الشريعة الإسلامية .

كان محدثى حريصا على إحراجى أمام الزائرين ، وكنت حريصا على إيضاح موقفى الإقتصادى أمامهم وكان معظمهم من أصحاب الأموال المهاجرين .

بدأنا إجراءات تسجيل مشروع البنك لدى السلطات المسئولة عن تسجيل البنوك وإذا بإذاعة صنعاء تذيع يوم الأربعاء ٢١ أغسطس ١٩٦٣ قرار مجلس الرئاسة للجمهورية اليمنية والمجلس التنفيذى فى إجتماع مشترك إنعقد برئاسة الزميل اللواء حسن العمرى نائب رئيس الجمهورية بسحب جنسيتى اليمنية لأننى (أفسدت الوحدة الوطنية بين صفوف الشعب اليمنى) .

وكان إسلوب التخلص من الجمهوريين يعتمد على إدانتهم بإحدى التهمتين ، أما تهمة الطائفية إذا كان المواطن الجمهورى شافعيا ، أو تهمة التمرد إذا كان المواطن الجمهورى زيديا . وتصادف أن ولد أبى فى مراد وعاش فى البيضاء قبل أن يجيء إلى مصر ليتعلم فى الأزهر فأصبحت شافعيا مؤهلا (جغرافيا) لاتهامى بالطائفية عندما حرصت على تحقيق السلام فى اليمن ، مما أغضب الأطماع السوفيتية وكأنها اعتنقت الزيدية .

جريمتى أننى ناديت بالوحدة الوطنية التى ترفض كل أنواع التفرقة العنصرية والمذهبية وأننى أعلنت ، كرجل إقتصاد يرسم نهضة وطنه الإقتصادية فى إطار من العدالة الإجتماعية ، إننى أحمى اليمن من الإنزلاق إلى مخاطر الإشتراكية التى تقترب من الماركسية .

أصبحت مؤهلا لإتهامى بالطائفية لأننى من المناطق الشافعية ولو كنت من المناطق الزيدية لكنت مؤهلا لإتهامى بالعمل مع المتمردين من أجل إعادة الملكية .

ضحكت لهذه التهمة وتألمت من تصرف الزملاء فى صنعاء ، الذين يعرفون كل الحقيقة ، وكان الأجدر بهم أن يعلنوا الأسباب الحقيقة لقرار سحب الجنسية المخالف لدستور الجمهورية . ومما هو جدير بالذكر أننى عندما كنت نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للخارجية رفضت سحب الجنسية من اليمنيين الملكيين وأصدرت أمرا للسفارات اليمنية بأن تعطى جوازات جمهورية لمن يريد منهم أن يحمل جوازا يمنيا ، وقلت للسلال أننا لانستطيع أن نسحب منهم يمنيتهم ، فهذه حقيقة لانستطيع ان ننكرها عليهم لمجرد أننا غيرنا لهم نظام الحكم . إنهم فعلا لم يصبحوا ملكيين لأننا أسقطنا الملكية ، لكنهم مازالوا يمنيين لأننا لم نسقط اليمن .

كرر راديو صنعاء اذاعة قرار سحب جنسيتى ، وأضاف إلى تهمة الطائفية تهمة العلاقات المشبوهه مع السلطات البريطانية ، لمجرد وجودى فى عدن لإنشاء ذلك البنك مع أن وجودى هناك كان بموافقة عبدالناصر والسادات والسلال .

كان الأشد ألما على نفسى ان يصدر قرار مجلس الرئاسة والمجلس التنفيذى بسحب جنسيتى بتوقيع الزميل اللواء حسن العمرى ، لأننى ، وبصرف النظر عن عدم دستورية ذلك القرار ، أعرف حقيقة مشاعره نحوى ، لأنه يعرف حقيقة إستماتتى فى الدفاع عن مصلحة اليمن كما يشهد لى بذلك (الوثيقة رقم ١) فتألمت كثيرا من توقيعه على ذلك القرار لأننى فسرت موقفة بأنه كان مغلوبا على أمره ، تحت ضغط العناصر ذات العلاقة السوفيتية التى اتخذت من نجاحها فى التخلص من البيضانى عبرة لكل من أراد أن يعتبر .

ومرة أخرى أجدنى ضعيفا أمام إغراء حقيقة هامة أذكرها قبل أوانها ، مخالفا أسلوبى فى عرض التاريخ بحسب تدفق أحداثه .

ذلك لأن الرئيس السلال عندما أطاح به إنقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ بينما كان فى زيارته للعراق فى طريقه إلى الإتحاد السوفيتى أعلن تصريحا سجلته عليه صحيفة الحياة اللبنانية فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ قال فيه :

(لن أقبل بوجود حكومة الإنقلاب فى صنعاء ، أنا زعيم الجمهورية العربية اليمنية الذى انقلب على الإمام البدر . وجمُيع أولئك الاشخاص الذين خلعونى كانوا فى وقت من الأوقات أعوانى ، وسأبذل غاية جهدى للعودة إلى وطنى حيث ينتظرنى شعبى) واضاف قائلا (إن جنوب اليمن المحتل جزء لايتجزأ من الجمهورية العربية ومن السهل جدا علىّ أن أتوجه إلى الجنوب ومن هناك أزحف على الشمال . وأعود إلى صنعاء وسأكون هناك قريبا جدا)[1]

إذن لا يرى السلال أية غرابة أو جريمة فى ذهابه إلى عدن رغم وجود الإحتلال البريطانى لأن عدن كما قال (جزءً لا يتجزأ من الجمهورية العربية اليمنية) .

أما عن تهمة الطائفية التى حاولوا إلصاقها بى والتى سجلها الدكتور محمد على الشهارى أحد أعمدة الهاشميين فى كتابه (الثورة فى الجنوب والإنتكاسة فى الشمال) حيث كتب فى صفحة ١٧٦ قائلا :

(إن الدكتور البيضانى .. الذى كان يرى قبل الثورة أن مشكلة اليمن تتلخص فى أن الطبقة الهاشمية الحاكمة فى اليمن لا تريد الإصلاح ، عاد بعد قيام الثورة وبعد إنتهاء الحكم الهاشمى إلى القول بأن المشكلة تحددت الآن بضرورة إنهاء تحكم الزيود فى الشوافع .. وبالفعل أعيد ترتيب كل شىء من جديد على قاعدة المساواة الطائفية فى توزيع المناصب حيث أعلن البيضانى فى مطلع نوفمبر ١٩٦٢ نائبا لرئيس الجمهورية فى جميع مناصبه .. كما شكل فى نفس الوقت مجلسا لقيادة الثورة من ١٠ زيود و ٨ شوافع ، أما الحكومة فقد كونت بالتساوى حيث ضمت ١١ من الزيود مقابل ١١ من الشوافع .)

---

(١) انظر الفصل ١٧ جزء ٥ من هذا الكتاب .

وبدلا من أن يشهد الدكتور الشهارى أننى طبقت بذلك المساواة الفعلية فى اليمن ، التى هى أهم الأهداف المعلنة منذ اليوم الأول للثورة ، إذا به يتهمنى بالتعصب الطائفى ، لأننى شكلت مجلس قيادة الثورة من عشر أعضاء من الزيود وثمانية أعضاء من الشوافع ، وشكلت مجلس الوزراء من أحد عشر عضوا من الزيود وأحد عشر عضوا من الشوافع ، وقد كان السبب المباشر فى إختيارهم هو دور كل منهم فى الإعداد للثورة ، ولا أدرى ماذا كنت أفعل أكثر من المساواة حتى لا أكون متعصبا طائفيا شافعيا .

فات على الدكتور الشهارى وعلى الذين أرادوا التخلص من مبدأ المساواة بإتهامى بالطائفية الشافعية ، كما جاء فى قرار سحب جنسيتى اليمنية ، أن يدركوا مدى خطأهم فى فهم شروط المذهب الزيدى التى سقطت من الناحية السياسية عند قيام الثورة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، تلك الثورة التى اسقطت النظام الإمامى فى اليمن واقتلعته من جذوره السياسية .

لقد كان ذلك النظام يعتمد على النظرية السياسية للمذهب الزيدى الذى له هدف رئيسى مقصود وصفه الزعيم اليمنى الزيدى القاضى محمد محمود الزبيرى فى كتابه (الإمامة وخطرها على وحدة اليمن) صفحة ١٦ فقال أنه يستهدف (إسترداد حق العلويين فى الخلافة ، هذا الهدف هو الذى فتح باب الإجتهاد أولا وخلق نظرية الخروج على الظلمة ثم نظرية الهدف نفسه وهى اختصاص العلويين بحق الخلافة) إلى أن قال فى صفحة ٢٠ (رأينا أن الإمامة قصمت ظهر الشعب وجعلت منه قسمين إثنين أحدهما القسم الزيدى والآخر القسم الشافعى) وفى صفحة ٢٢ نقل الزبيرى عن العلامة المجتهد الشوكانى نقده لنظرية المذهب الزيدى السياسية ونزعته المتعصبة فقال (إن هذه النزعة المتعصبة ليست دينية بل دنيوية) .

عند قيام الثورة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ سقطت النظرية السياسية للمذهب الزيدى فلم يرأس الدولة علوى من أبناء فاطمة تتوفر فيه بقية شروط الإمامة ، لأن الثورة قد قامت ضد هذا النظام ، واسقطت شروطه السياسية ، وتركت لأبناء هذا المذهب أن يعبدوا الله بالطريقة التى رسمها المذهب من الناحية الدينية ، شأنهم فى ذلك شأن بقية أتباع المذاهب الإسلامية التى لا تحتكر السلطة الدنيوية ، ولا تميز بين أى مسلم وأى مسلم من أبناء الوطن الواحد فضلا عن بقية المسلمين فى العالمين .

فات على هؤلاء ، ومن بينهم بعض قادة الجمهورية أنفسهم ، أن يدركوا حقيقة الموقف المذهبى بعد قيام الثورة ، ولم يتبينوا أنه لم يعد بعد قيامها أى تمييز فى الحقوق السياسية بين الزيود والشوافع ، لأن المذهب الشافعى لا يشترط شروطا سياسية فى الحكم ، وقد أسقطت الثورة شروط المذهب الزيدى السياسية من الحكم ، وأصبح جميع أبناء الشعب اليمنى سواء بسواء فى جميع الحقوق والواجبات ، فأصبح السلال رئيسا للشعب اليمنى وجاء من بعده رؤساء وطنيون للجمهورية لا تتوفر فيهم شروط المذهب الإمامى الزيدى السياسة .

إن أية حكومة جمهورية لا تدرك هذه الحقيقة البديهية تعترف بنفسها على نفسها بأنها حكومة غير شرعية عندما تتمسك بالنظرية السياسية الزيدية ، لأنها حينئذ تحكم بغير إمام تتوفر فيه شروط المذهب الزيدى .

وأى رئيس للجمهورية يتمسك بأنه زيدى من الناحية السياسية يجب عليه ، حتى يستمر فى السلطة بصفة شرعية ، أن يعلن نفسه إماما إذا كان مستوفيا لشروط الإمامة التى هى صلب المذهب الزيدى ، وبالتالى يعلن سقوط الجمهورية وفشل الثورة اليمنية .

كل زيدى يتعصب سياسيا لزيديته يجب أن يعرف أنه ليس جمهوريا ، لأنه يناقض مبادىء الجمهورية ، وليس إماميا لأنه لا يتمسك بعودة الإمامة .

وكل شافعى يتعصب شافعيا لمنطقته يجب أن يعرف أنه أيضا ليس جمهوريا ، لأنه يناقض مبدأ الوحدة الوطنية وليس شافعيا لأنه يخترع عصبية إقليمية مناقضة للشافعية ، كما أنه ليس إماميا لأنه ليس زيديا . يبقى بعد ذلك عدد قليل من الهاشميين الساخطين على الجمهورية مهما تقلدوا فيها مناصب قيادية ، لأنهم يتطلعون إلى سابق إمتيازاتهم العنصرية ، ولذلك لا بد أن تتوقع أن يستمر بعضهم فى إثارة الحساسيات بين الزيود والشوافع أملا فى تقويض النظام الجمهورى وإعادة النظام الإمامى . ويجب أن نتوقع أن يستمر هذا التطلع أيام هذا الجيل . وبعد ذلك ستشعر الأجيال الهاشمية القادمة بمزايا الجمهورية والنهضة العصرية والوحدة الوطنية التى تحقق الحضارة الحديثة ، التى لا تتعارض مع شرف انتسابهم إلى الهاشمية .

عندما يعرف الهاشميون والزيود والشوافع هذه الحقيقة الصريحة والواضحة فإنهم يقيمون صرح الوحدة الوطنية التى هى الدرة الغالية فى تاج الجمهورية والثمرة الحقيقية من قيام الثورة اليمنية .

إما إختيار المسئولين ، فى مناصب الجمهورية القيادية ، فإنه ينبغى أن يتم بحسب الكفاءة الشخصية التى تحقق أهداف الجمهورية ، بصرف النظر عن المذهب الدينى الذى ينتمى إليه والمنطقة التى ولد فيها . وأما تعداد سكان المدن والقرى والجبال والوديان فإنه يراعى فقط عند انتخاب المجالس الشعبية التى تتولى مراقبة السلطات التنفيذية .

عندئذ فقط يمكن أن نفخر بقيام الثورة التى أقامت هذه الجمهورية فوحدت شعب اليمن وقادت حضارته العصرية .

لم أكن فى يوم من الأيام متعصبا للشافعية التى أنتسب إليها من الناحية الجغرافية ، شأنى فى ذلك شأن جميع الشوافع وجميع الزيود ، الذين لم يكن لأحدهم فضل فى اختيار مذهبه .

لكننى كنت ، ولا زلت أدرك ، أن العامل الإقتصادى وليس العامل الدينى هو الذى ساعد النظام الإمامى على تعميق التفرقة السياسية بين الزيود والشوافع ، فقد تصادف أن كانت أغلبية المناطق الزيدية فى شمال اليمن من الأراضى الجبلية الجدباء القاسية ،

فاحترف أهلها الجندية لخدمة النظام الإمامي ، وتصادف أن كانت أغلبية المناطق الشافعية فى جنوب وشرق وغرب اليمن من الأراضى السهلة الخصبة الصالحة للزراعة ، فاحترف أهلها الزراعة ، واصبحوا مصدرا متيسرا لإطعام الإمام وجنوده .

فات على معظم اليمنيين إدراك المغزى من النص فى البند العاشر من المادة الأولى فى أول دستور للثورة الذى ينص على (خلق أوجه للنشاط الإقتصادى فى المناطق الجدباء الآهلة بالسكان) .

قصدت (بالمناطق الجدباء) المناطق الزيدية الشمالية التى فرضت قسوتها على أهلها أن يحترفوا الجندية والتسلط على أهالى المناطق الزاعية ، فإذا ما أبقينا هذه المناطق على قسوتها استحال علينا أن نستميل أهلها إلى تحقيق العدالة والمساواة في اليمن ، وبذلك لا ننجح إلا فى رفع الشعارات وإذاعات التصريحات .

وجدت أننا حتى نحقق فعلا مبدأ العدالة والمساواة فى اليمن يجب علينا أن نبدأ فى أقرب وقت ممكن بخلق أوجه للنشاط الإقتصادى فى هذه المناطق الجدباء ، حتى يرتبط بها أهلها ويجدوا فوقها مصادر للحياة أكثر رخاء من مجرد استنزاف غيرها .

وكان من أعظم أحلامى أن أعمل على تحقيق الرخاء فى المناطق الزيدية ، حتى تتعادل كل المناطق اليمنية من الناحية الإقتصادية ، فتتكافأ من الناحية السياسية ، وعندئذ نتمكن من تحقيق النهضة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية فى جميع أنحاء اليمن بالقدر الذى يحقق المساواة بعد معالجة الحاجة التى فرضت التفرقة ، ولكن كما قال الشاعر :

أريد حياته ويريد قتلى   عذيرك من خليلك من مراد



سمعت من إذاعة لندن يوم الأربعاء ٤ سبتمبر ١٩٦٣ أن زوجتي في طريقها إلى عدن على طائرة شركة مصر للطيران فذهبت لإستقبالها في المطار مستغربا وصولها دون طلب مني . وقد سرني أن وجدت عددا كثيرا من سيدات عدن في انتظارها بعد أن سمعن ذلك الخبر من رجالهن الذين أصروا على استقبالها معي .

حملت زوجتي اليّ رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر ينصحني فيها بالعودة فورا إلى القاهرة ، متعهدا بحمايتي والتغاضي عن أي نشاط أقوم به في مصر حتى ولو كان مخالفا لسياسته . وقالت زوجتي أن أنور السادات قد حذرها من استمرار وجودي في عدن مؤكدا لها أن صوت العرب قد أعد التمثليات والبرامج الإذاعية التي سوف تتولى التشهير بي ، واتهامي بالعمل لحساب الحكومتين البريطانية والأمريكية ، شأني في ذلك شأن الملك سعود والملك حسين والأمير فيصل وبقية من وصفتهم الرسالة بعملاء الاستعمار في العالم العربي .

كان جمال عبد الناصر والسادات يتصوران أن زوجتي سوف تعود بي إلى مصر بمجرد أن تسمعني حماية عبد الناصر وإنذار السادات . ولا يعرفان أنني مهما عشت في مصر وتعلمت في ألمانيا فإن التقاليد القبلية لا تزال تجري في عروقي ، وتحكم سلوكي ، وتصوغ مشاعري ، فكرهت أن تقوم زوجتي بمهمة سحبي من عدن كطفل تلتقطه أمه من مدرسة الحضانة .

أمرت زوجتي بأن تعود إلى مصر على نفس الطائرة التي جاءت بها ، والتي كان من المقرر أن تعود من عدن في اليوم التالي لوصولها إليها ، وأذاعت وكالات الأنباء أن (قرينة الدكتور عبد الرحمن البيضاني عادت إلى القاهرة بعد أن قضت في عدن أقل من أربع وعشرين ساعة) وإنني أنقل هذه العبارة من نشرة الإستماع الإذاعي في الإذاعة المصرية .

حملت زوجتي ردي على عبد الناصر وأنور السادات الذي قلت فيه أنني (لا أستطيع أن أترك عدن إلا بعد أن أقوم بتسجيل البنك الذي جئت إليها من أجل إنشائه ، وأظهرت لهما مدى حزني على تقديرهما لصديق يعرفان ولاءه الوطني وانتماءه القومي واستحالة خيانته لوطنه اليمن وغدره بأمه مصر) .

جاءنى رجال وشباب الحرس الوطنى الذين تطوعوا للقتال دفاعا عن الجمهورية ، ثم تركوا صنعاء وعادوا إلى عدن عندما تأكدوا من أن قائد الحرس الوطنى المقدم هادى عيسى وبعض ضباطه ينصبون لهم الكمائن ويقتلونهم من خلف ظهورهم ، وهم فى طريقهم إلى ساحات القتال .

كنت أعرفهم جميعا لأنهم قاتلوا معى فى معظم المعارك التى اشتركت فيها عندما كان مصير الجمهورية معلقا على خيط من خيوط العنكبوت ، وكانت صنعاء على وشك السقوط .

كانت نظراتهم حزينة عندما كانوا ينظرون إلى وجهى ، وكان قلبى أكثر حزنا عندما كنت أتسلل إلى صدورهم ، لم أجد ما أقوله لهم رثاء وعزاء سوى ما قاله شوقى عندما نفوه فى الأندلس :

يانائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أو نأسى لوادينا
ما تقصى علينا غير أن يدا قصت جناحك جالت فى حواشينا

عندما لاح لى أننى أكملت الإجراءات الأساسية مع أصدقائى من رجال الأعمال اليمنيين لتأسيس البنك اليمني أعلنت أن (مهمتى فى عدن لإنشاء البنك اليمنى قد انتهت وأننى أنتظر أن أعود إلى القاهرة خلال أسبوع واحد) (الأهرام ٩ سبتمبر ١٩٦٣) .

وبعد أن أعلنت ذلك جاءنى عشرات من شيوخ ورؤساء القبائل اليمنية فى المناطق الشافعية الذين ساءهم اتهام الحكومة اليمنية بأننى أفسدت الوحدة الوطنية ، فأصروا على الذهاب معى إلى جمال عبد الناصر ، فأذاع راديو لندن ما أنقله الآن من نشرة الإستماع الإذاعى فى الإذاعة المصرية يوم الإثنين ١٦ سبتمبر ١٩٦٣ ونصه ما يلى :

(يغادر الدكتور عبد الرحمن البيضانى عدن اليوم متوجها إلى القاهرة ، وسيرافق الدكتور البيضانى ٨٦ شيخا من شيوخ وزعماء اليمن من القسم الشافعى ، الذين يقولون أنهم سيذهبون مع الدكتور البيضانى ليشرحوا للرئيس عبد الناصر كيف تقوم الحكومة اليمنية فى صنعاء بالتفرقة الطائفية ، وأنهم سيطلبون من الرئيس إرسال بعثة للتحقيق فى هذا الأمر ، وكرر الدكتور البيضانى دعوته إلى إجراء إنتخابات عامة فى اليمن تحقيقا للإستقرار الوطنى فى ربوعها . هذا وقد قامت مظاهرات التأييد لدعوة الدكتور البيضانى إلى إجراء إنتخابات حرة فى اليمن) .

مرة أخرى أعيد التأكيد بأن دعوتى إلى إجراء هذه الإنتخابات لم تكن إلا تنفيذا للقرار الذى سبق أن أصدره السلال بإجراء إنتخابات عامة فى اليمن لإختيار مجلس شيوخ القبائل ثم امتنع عن تنفيذه . كما أن دعوتى إلى إجراء هذه الإنتخابات فى اليمن (تحقيقا للإستقرار الوطنى فى ربوعها) يؤكد حرصى على إستقرار الجمهورية وولائى للوحدة الوطنية .

عندما أصر هؤلاء الزعماء والشيوخ على السفر معى إلى القاهرة أرسلت برقية إلى أنور السادات أخبره بذلك ، كى يستأذن جمال عبد الناصر فى وصولهم ، فرد عبد الناصر بلسان السادات بأنه يحسن أن أعود إلى القاهرة بمفردى .

أرسلت برقية ثانية ألفت نظر السادات بأنه ليس من التقاليد القبلية العربية أن يبدى شيوخ القبائل زيارة مصر فترفض مبدأ وصولهم إليها ، لا سيما أن القوات المصرية تعيش فى مناطقهم وفى حمايتهم وتحت رعايتهم ، فهم زعماء المناطق المؤيدة للجمهورية والثورة اليمنية ورؤساء القبائل الذين يقدمون لهذه القوات المصرية الرجال الأشداء والنصيحة الصادقة ، ولا يتقاضون فى نظير ذلك أى مقابل إلا تثبيت الثورة وإنتصار الجمهورية .

فجاء رد السادات مرة أخرى معبرا عن قرار عبد الناصر النهائى برفض وصولهم إلى مصر .

كان قرار عبد الناصر خروجا صريحا على تقاليد العرب ، وإعلانا واضحا عن أقصى درجات الغضب . ورفضا قاطعا للإستماع لنصائح شيوخ المناطق اليمنية المؤيدة للجمهورية ، وإستسلاما مطلقا لسياسة العناصر المصرية السوفيتية التى تسللت إلى إرادته وأخضعت سلطته لتوسيع ميدان القتال فى اليمن وتوريط الوجود العسكرى فيها لتعقيد إمكانية إنسحابه منها .

أجمع شيوخ القبائل على أن عبد الناصر يضمر لى شرا فصمموا على أن يعودوا بى معهم ، فأعيش بينهم فى إحدى المناطق الحصينة حتى يأتى عبد الناصر إليهم بعد أن رفض وصولهم إليه .

تبينت ، لأول مرة فى حياتى ، أننى فى مأزق .

هان علىّ الموت عندما كنت أرى الإمام أحمد يسعى إلى قتلى فى الحديدة .

ورحبت بالشهادة عندما كنت أقاتل دفاعا عن أمل الشعب فى صنعاء .

إما هذه المرة ..

فلم أكن أصارع الأعداء ..

وإنما وجدت نفسى ضائعا بين وفاء الأحباء وجفاء الأصدقاء .

أحبائى شيوخ اليمن يريدون حمايتى من أصدقائى فى مصر .

وبين وفاء الأحباء وجفاء الأصدقاء قررت السفر إلى القاهرة حتى يتجنب الأحباء غدر الأصدقاء ، وما دامت مصر ترحب باتساع القتال فى اليمن فليكن ذلك بعيدا عن المناطق المؤيدة للجمهورية ، التى قررت منذ تلك اللحظة أن تلوذ إلى السلبية تحت ضغط التصرفات العشوائية المصرية .

أشفقت على صديقى عبد الناصر الذى أمسكوا بيده يشدون بها حبل المشنقة على رقبة مصر .

وحزنت على مصر التى كانت تواصل زحفها فى إتجاه الكارثة .

أما اليمن فقد كنت أتوقع أن يحدث لها بعض ما حدث ، وكتبت فى مقدمة كتابى (إقتصاد اليمن) فى أغسطس ١٩٦١ أى قبل قيام الثورة بأكثر من عام فقلت أن :

(اليمن مقبلة على أحداث ستشابه إلى حد كبير أحداث الكونغو ، لأنه توجد تيارات عديدة تتنازع فيما بينها داخل اليمن وخارجها ، ولكل تيار أنصار وأتباع ، وليس من المحتمل أن يستقر الأمر بسرعة لفئة معينة عندما ينفجر البركان ، لذلك يجب على الإتحاد اليمنى أن يسعى إلى توحيد صفوف اليمنيين والقضاء على أسباب تشتت شملهم .. حتى تتوحد كلمة الشعب فيسد بذلك المنافذ أمام التيارات الأجنبية والأخرى التى لا تمثل قضية الشعب وبذلك تنجح قضية الإصلاح بأقل الخسائر) .

إذن كنت قبل الثورة أتوقع لليمن أن يحدث لها بعض ما حدث ، لأنه من الطبيعى ، بعد ظلام دام ألف ومائة عام ، أن تصطدم بالنور عندما تفاجئها حرارة الشمس ، على غفلة من الزمن ، وهى غارقة فى نوم عميق ، لا سيما إذا استيقظت فجأة فى غياب الزعامات الوطنية المتكاملة والمتضامنة ، التى تعرف ماذا تريد فتفهم ماذا تفعل .

أشهد أن الذى حدث فى اليمن كان أكثر مما توقعته لها ، فعندما أوضحت فى مقدمة (إقتصاد اليمن) ضرورة العمل على توحيد كلمة الشعب حتى نسد المنافذ أمام التيارات الأجنبية ، لم يخطر فى ذهنى أن منافذ هذه التيارات كانت مفرطة فى الاتساع بحيث يصعب على أحد من اليمنيين أن يسدها وحده ، مهما كان حريصا على ذلك ، وقد جربت بنفسى أننى كنت كلما أسد منفذا واسعا ظهرت أمامى منافذ أخرى أكثر منها إتساعا .

كذلك لم يخطر فى ذهنى حجم الإقبال اليمنى من الزملاء الجمهوريين على توسيع هذه المنافذ ، بإرادتهم الحرة وإختيارهم المطلق ، سعيا وراء ما كانوا يتصورونه من مصالح شخصية كانت مناقضة لشروط الإستقرار فى الجمهورية .

وكان أبعد ما يخطر على بالى أن تسهم المساعدات المصرية فى توسيع هذه المنافذ أمام التيارات الأجنبية ، ثم تضيف إليها شعارات الإشتراكية التى ليس لها معنى إقتصادى وإجتماعى محدد فى قاموس العرب حتى تضيع معها مصلحة اليمن .

لم يكن قاموس مأساة اليمن يعرف غير الإمامة ، فكان يكفيه جهدا أن نستبدلها بالجمهورية التى هى بالنسبة إلى اليمن قمة التقدمية . وبعد أن تستقر الجمهورية فى ظل جيلنا الذى قام بالثورة ، وكان لزاما عليه أن يثبت جذورها ، يأتى جيل آخر من بعدنا يدرس أعمالنا ويعيد صياغة منجزاتنا ، وعندئذ يكون فى وسعه أن يضيف فوقها الكماليات بعد أن نكون قد حققنا له الضروريات ، فيرفع ما يشاء من الشعارات ، فذلك شأنه ، وقدره ، وحياته ، ومستقبله .

ودعت أحبائى من شيوخ اليمن ورجالها وشبابها وعدت وحدى إلى القاهرة .

كان مشهد وداعهم فى المطار مشهدا لن أنساه .

لقد تجعدت جباهم من الغضب ، وأغرورقت عيونهم من الحزن ، وأشرأبت أعناقهم من القلق ، وكادوا ينزلوننى من الطائرة بعد أن صعدت إليها ، وكأنهم يودعوننى الوداع الأخير وأنا أواجه وحدى سوء المصير ، فى طريقى إلى إنقاذ أحبائى فى اليمن من غدر أصدقائى فى مصر .

كان شعورى يختلف عن شعورهم ، وإن كان يزيد عليه قدرا هائلا لا يحسون به ، وحملا ثقيلا لا يقدرون عليه ، ذلك لأننى كنت أتصور نفسى مسئولا عن ذهاب مصر إلى اليمن ، رغم أن مصر كانت قد نسيت ذلك كل النسيان ، واعتبرتنى مجرد دليل القافلة الذى ينتهى دوره عندما تبلغ القافلة غايتها .

فعندما بلغت قافلة مصر غايتها فى اليمن اعتبرت نفسها صاحبة أمرها ، ومالكة زمامها ، ولا يوجد فى الساحة أحد غيرها ، فلم تلتفت إلى قدر أعدائها .

ضلت القافلة طريقها ، بعد أن تركت دليلها وصديقها .

ساعدها على ذلك رئيس اليمن الذى فزع من مشاركة اليمنيين فرحب بإنفراد المصريين .

واستغلتها العبقرية السوفيتية التى تتطلع إلى بترول الجزيرة العربية تحت راية الزعامة الناصرية .

رغم ذلك ، وفوق كل ذلك ، كنت أتصور نفسى مسئولا عن حماية اليمن من مصر ، وحماية مصر من مصر . وإننى وإن لم أكون مسئولا أمام السلال فى صنعاء وعبد الناصر فى القاهرة فإننى مسئول أمام الله والتاريخ .

وأمام أبى الذى أورثنى عقل اليمن فجعلنى أحلم بأمجادها ، وأمام أمى التى أرضعتنى لبن مصر فجعلتنى أنسى به جفاء عبد الناصر ، وأى عبد الناصر يأتى من بعده .

٤

وصلت إلى القاهرة وأدهشني أن كان معى على نفس الطائرة ذلك الرجل الذى حدثنى فى عدن عن الإشتراكية وقال أنه من الأخوان المسلمين الهاربين ، لكنه لم يتحدث معى فى الطائرة ما دمنا فى طريقنا إلى القاهرة . وكان ذلك يوم السبت ٢١ سبتمبر ١٩٦٣ .

زارنى فى المساء الزميل محمد قائد سيف الذى كان لا يزال وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ، وقال أننى عندما كنت فى عدن طلب منه السادات أن يذهب إلى القاهرة لإحضار الزميل عبد الغنى مطهر الذى كان لا يزال وزيرا للتجارة للإجتماع بالسادات فى الإسكندرية ، حتى يبلغهما رغبة عبد الناصر فى سفرهما إلى عدن لإقناعى بأن أعود معهما إلى القاهرة . ولما وصل محمد قائد سيف وعبد الغنى مطهر إلى الأسكندرية قال لهما السادات أن عبد الناصر فضل أن تسافر زوجتى إلى عدن بدلا منهما .

وكان عبد الناصر يخشى من أن يقيما معى فى عدن فازداد إصرارا على البقاء هناك . غير أن السادات قد تملكته الدهشة عندما عادت زوجتى من عدن وأكدت له إصرارى على عدم البقاء فيها، وإننى سوف أعود إلى القاهرة عندما انتهى من إجراءات تسجيل البنك اليمنى .

اتفقت مع الزميل محمد قائد سيف على أن نزور السادات معا فى اليوم التالى ، وفى الموعد المحدد التقينا بالسادات فى مكتبه فى مجلس الأمة .

بدأت أحكى للسادات مراحل تسجيل البنك فى عدن واستياء شيوخ اليمن الذين رفض عبد الناصر وصولهم معى إلى القاهرة ، فإذا بالسادات يصيح قائلا إن عبد الناصر أصبح يعتبرنى كأكرم الحورانى وصلاح البيطار ، زعيمى حزب البعث السورى اللذين أوهماه بالوحدة مع سوريا ثم تآمرا عليه بالإنفصال عن مصر .

تأثرت من هذا التشبيه الذى يضعنى فى نظر مصر فى قفص المتآمرين عليها بصرف النظر عن أسباب الإنفصال السورى عنها .

قلت أننى إذا كنت قد وصلت إلى هذه الدرجة فى نظر مصر فإننى لا أستحق أن أعيش على أرضها وأشرب من نيلها إلى أن تتأكد القيادة المصرية أننى أستحق تقديرها عندما أردت مصلحتها فنصحتها بأن تتجنب ما يضرها . ثم وقفت متأهبا للخروج من مكتبه .

سألنى السادات هل سأعود مرة أخرى إلى عدن ؟

قلت أننى لن أعود إليها وإنما سأذهب إلى الصومال .

سألنى هل سأتحدى السلال من الصومال ؟

قلت أننى لا أتحدى احدا من عدن أو من الصومال ، وأننى سوف أعتزل السياسة إلى غير رجعة ، وسوف أخلع كل ملابسى الحضرية وأرتدى الزى البدوى وأحترف رعى الغنم فى الصومال ، حيث المراعى الواسعة والجالية اليمنية الكبيرة التى معظمها من أهالى البيضاء .

قلت للسادات أننى أريد أن أتخلص من ثقافتى وكل حضارتى وأحرق كل شهاداتى ومؤهلاتى ، وألتمس الجهل الذى يريحنى من عذاب المعرفة ، كما سبق أن كتبت للإمام أحمد عندما كنت فى قبضته أسيرا فى الحديدة قبل أن أهرب إلى مصر .

واتجهت إلى الخروج من الباب ، فأصر السادات على أن أتناول الشاى قبل أن أغادر مكتبه ، لكننى صممت على الإنصراف دون أن أتناول تحية الضيوف بعد أن أهاننى صاحبى ، فخرج معى الزميل محمد قائد سيف الذى سمعه الأستاذ فوزى عبد الحافظ مدير مكتب السادات يقول لى أثناء خروجنا أنه سيسافر معى إلى الصومال .

وصلت إلى بيتى واتصلت تليفونيا بسفير الصومال أطلب منه تأشيرة الدخول فقال أننى لا أحتاج إلى أية تأشيره ، وكان رجل الأعمال اليمنى البيضانى على مرجان المقيم فى الصومال ، صاحب الملايين التى أنفق معظمها على ثورة إستقلال الصومال ، قد أوصاه بأن يستجيب لكل ما أطلبه منه ، فقال السفير أنه سيكون فى وداعى فى مطار القاهرة عندما أخطره بموعد السفر الذى سوف يبلغه إلى حكومته فى الصومال حتى تخطر اليمنيين المقيمين هناك فيكونوا فى استقبالى مع ممثلى الحكومة .

اتصل بى مندوب وكالة رويتر يستفسر عن صحة خبر سفرى إلى الصومال بعد أن سمع ذلك من السفير ، فقلت أننى قد طلقت السياسة ، وضربت له موعدا أن يزورنى فى البيت فى صباح اليوم التالى ، وكان فى نيتى أن أجدد له تأييدى للحكومة اليمنية برئاسة السلال وولائى المطلق للجمهورية ، داعيا جميع أبناء اليمن إلى الإلتفاف حول الحكومة الشرعية فى صنعاء . وكان هدفى من ذلك أن أختم حياتى السياسية كآخر نداء أتوجه به إلى الشعب اليمنى الذى عشت أحلم بنهضته واشتركت فى إقامة جمهوريته ثم أصبحت عاجزا عن مواصلة خدمته .

بعد غروب الشمس لاحظت حركة غير عادية حول حديقة بيتى ، فقلت لزوجتى أننى أشم رائحة اعتقالى فلم تصدق أحساسى ، وقالت إن عبد الناصر أكد لها أنه سوف يوفر حمايتى حتى لو قمت فى مصر بنشاط يخالف سياسته ، فلماذا أفسر حركة السيارات التى تحيط بيتى ذلك التفسير بالرغم من أننى لم أقم بأى نشاط فى مصر ولا خارج مصر يسىء إلى عبد الناصر ؟ .

بعد قليل طرق بابى المقدم محيى شفيق وهو صديق من رجال المباحث العامة (لواء مدير أمن محافظة بورسعيد فيما بعد) والرائد محمد شعراوى (حاليا اللواء محمد شعراوى مدير التفتيش بوزارة الداخلية المصرية) وقالا أن السيد سامى شرف مدير

مكتب الرئيس جمال عبد الناصر يريد أن يقابلنى فى مكتبه ، فقلت لهما أنه صديق عزيز غير أنه مدير لمكتب وأنا نائب رئيس مجلس قيادة ثورة ، ومن اللائق أن يزورنى عندما يريد مقابلتى ، فانصرف المقدم محيى شفيق وزميله بعد أن تركا فى وجدانى أنه تقرر أعتقالى ، وربما تقرر قتلى ثم البحث عنى ، كما يحدث أحياناً فى مراحل مختلفة من التاريخ عندما يتقرر التخلص جسديا من شخصيات لا ينبغى تقديمها لمحاكمات[١]

استمر حصار البيت طوال الليل إلا من ناحية حديقة أحد الجيران التى كنت أستطيع أن أهرب من خلالها ، لكننى لم أقبل ذلك ، وقلت لزوجتى إننى لم أخطىء فى حق عبد الناصر ولا فى حق أحد غيره ، سوى أننى تمسكت بوجهات نظر سياسية وإقتصادية أعتقد من وجهة نظرى أنها تخدم اليمن وتحمى مصر من التورط الذى لا تطيقه ، والنزيف الذى لا تقدر عليه .

كنت أعتقد أن إختلاف الرأى لا يفسد للود قضيتة .

فى صباح اليوم التالى (الإثنين ٢٣ سبتمبر ١٩٦٣) جاءنى المقدم محيى شفيق وزميله مرة ثانية وقالا أن الرئيس جمال عبد الناصر يريد مقابلتى ، فقلت لصديقى محيى شفيق إننى أقدر موقفه كصديق ومسئول يقوم بأداء وظيفته ، غير أنه يعلم أننى وضعت رأسى على كفى فى كل مراحل حياتى ، وكانت حياتى معرضة للخطر فى كل لحظة عشتها فى اليمن قبل أن تقوم الثورة وبعد أن قامت ، ولذلك فإننى أعتبر حياتى بعد ذلك من قبيل الوقت الإضافى الذى أراده الله ، ولا يعرف أحد منا منتهاه ، ولا يدرك مغزاه ، ولا يضيرنى أن ينتهى فى أية لحظة بعد أن سجلت فى التاريخ نهاية الحكم الإمامى وقيام الجمهورية ، وانتهى دورى بقيامها وسجلت قصتى فى تاريخها .

قلت للمقدم محيى شفيق أننى أريده صديقا صريحا ، وأن يعاملنى على هذا الأساس ، وأن يحترم كبريائى ومشوار حياتى ، فإذا كان يريد إعتقالى فليقل ذلك صراحة ولسوف أذهب معه إلى حيث يشاء ، مع كفنى الذى كنت أحمله معى منذ أن بدأت العمل مع الإمام أحمد ، الذى تعود على مفاجأة إخوانه وخلصائه ومريديه بقطع رؤوسهم إذا لم يكتف بسجنهم .

كنت مرحبا بأن تكون هذه نهاية قصتى التى بدأها أبى ليختمها صديقى جمال عبد الناصر .

أما أن يستدرجني الصديق محيى شفيق ، كما يستدرجون االلصوص والخارجين على القانون ، فإننى لن أستسلم ولن أخرج من بيتى إلا قتيلا إذا لم أستطع أن أكون قاتلا .

قال محيى شفيق أنهم يريدون إستضافتى بضعة أيام ، فشكرت له صراحته وأسلوبه المهذب فى وصف السجن بأنه ضيافة .

صعدت إلى الطابق الثانى فى بيتى لإرتداء ملابسى ، فرويت قصتى لزوجتى وطلبت منها إعداد طعام الإفطار حتى أتناوله قبل أن أغادر بيتى فى طريقى إلى المصير المجهول .

---

(١) ثبت فيما بعد ان عناصر من المخابرات العامة المصرية اتبعت ذلك الأسلوب فعلا فى عهد الرئيس عبد الناصر .

إنهارت المسكينة لأول مرة فى حياتها ، وهى التى حملت شحنات أسلحة الثورة إلى مطار القاهرة ولم يظهر عليها أى قلق ، والتى سافرت إلى صنعاء لتدخل السكينة إلى قلوب أهلها عندما كان القتال على أبوابها ورائحة الدماء فى بيوتها ولم يساورها أى خوف .

انهارت هذه المرة أمام جفاء الأصدقاء فذكرتها بأنها ، عندما ودعتنى فى طريقى إلى صنعاء عند قيام الثورة ، طلبت منى أن أكون شجاعا ، وحين تدق ساعتى أن أموت مرفوع الرأس .

سألتها ما الفارق بين موتى شجاعا فى اليمن وموتى شجاعا فى مصر ، فكله موت ، فى سبيل الله والوطن .

قلت لها إذا قتلنى عبد الناصر فإننى لن أكون قتيلا من أجل اليمن ، وإنما شهيدا من أجل مصر ، لأننى نصحته بما يحمى مصر فقتلنى على هذه النصيحة .

وعندما وجدتها مستسلمة للبكاء ذكرتها بأننى مريض بالسكر ، ويلزمنى أن أتناول طعام الإفطار ليساعدنى على الحياة بضع ساعات ، حتى أواجه الموقف بالشجاعة التى تريدها منى ، حيث لا أدرى ماذا ينتظرنى خلال هذه السويعات الغامضة .

أثناء تناولى الطعام اتصل بى مندوب رويتر تليفونيا ليقول أنه فى طريقه إلى بيتى ليزورنى فى الموعد الذى سبق أن ضربته له ، فقلت له أنه لن يستطيع أن يدركنى لأن رجال الشرطة يحيطون ببيتى يطلبون سجنى ، وإننى أتأهب للذهاب معهم إلى حيث يريدون .

سألنى عن سبب سجنى قلت أننى فجرت الثورة اليمنية ، واشتركت فيها وآمنت بالقومية العربية وحاربت من أجلها ، وكل هذه أسباب كافية لسجنى فى القاهرة قلعة العروبة التى أصبحت زنزانتها .

سألنى عن أسم السجن الذى سيتم فيه أسرى قلت له السجون فى مصر كثيرة والمقابر فيها أكثر منها .

أردت بهذه الإجابة الصريحة على مندوب رويتر أن يعرف جميع أهل اليمن أننى لم أهرب من مصر ، ولم أختبىء فى مكان مجهول ، ولم أطلق الرصاص على نفسى ، وإنما نزلت ضيفا فى سجن من سجون عبد الناصر ، وأنه أصبح مسئولا جسديا عنى .

أدليت بهذه التصريحات مشفقا على صديقى عبد الناصر الذى ، كما سبق أن ذكرت ، أمسكوا بيده ليشدوا بها حبل المشنقة على رقبة مصر ، فبدأوا برقبتى تكريما لموقفى دفاعا عن مصر ، وتسجيلا لنصيحتى حماية لها ، وشهادة تاريخية بأننى أول ضحية .

ذهبت مع المقدم محيى شفيق وما إن جلست فى سيارته حتى أحاط بى جنوده من كل جانب ، وتقدمت سيارتنا عدة سيارات وتبعتها عدة سيارات أخرى ، وكأنهم اختطفوا فى مصر الإمام البدر الذى يطاردونه فى اليمن .

٥

وصلنا إلى السجن الحربى ووقعت عينى على لافتة كبيرة كتبوا عليها(السجن تأديب وتهذيب وإصلاح) .

فرحت كثيرا لأنهم أختاروا لى السجن الحربى تكريما للمعارك التى توليت قيادتها دفاعا عن الثورة اليمنية ، لا سيما معركة رأس الوتدة التى كدت استشهد فيها دفاعا عن الرائد عبد المنعم سند ضابط الصاعقة المصرية .

فرحت كثيرا لأننى شعرت فعلا بأننى فى حاجة إلى شيء من الأدب ، وكثير من التهذيب ، وأما الإصلاح الذى كنت أذعى أننى من رجاله ودعاته ومنظريه فقد اتضح لى أننى كنت أجهل الكثير من معانيه ، فكانت فرصة السجن الحربى فرصة عظيمة تجعلنى أعرف بقية معانى الإصلاح التى يعرفها غيرى من المصلحين ، ويستخدمونها عند إحتضان الزعماء الأصدقاء ، ويعبرون بها عن مشاعر الوفاء ، وحرارة اللقاء .

استقبلنى مدير السجن الحربى العميد حمزة البسيونى وأفسح طريقى إلى غرفة وسط السجن يقال أنها غرفة طعام الضباط (الميس) وهى غرفة شبه مستديرة بها حمام ، وتحيط بها نوافذ عليها قضبان غليظة من حديد أسود يريح الأعصاب ، يدور حولها رجال مسلحون ، قلت ياليت قومى يعلمون ، بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ، انشرح صدرى وتيسر أمرى فى هذه الجنة فعليها ملائكة غلاظ شداد يفعلون ما يؤمرون فلا أضيع فيها ولا يقدر أن يخطفنى منها أحد .

نعمت بالإستقرار الذى عجزت عن تحقيقه فى اليمن فتحقق لى فى مصر .

حمل إلىّ حمزة البسيونى تحيات الرئيس عبد الناصر فرددت عليه التحية بأحسن منها .

ثم أبلغنى أنه تلقى من الرئيس تعليمات شخصية بأن يستجيب لأى طلب أطلبه منه ، فأدرت له ظهرى ولم أرد عليه ، واستلقيت على أريكة النوم الخشبية ذات الوسادة والفراش الجاف والبطانية العسكرية .

كرر حمزة البسيونى سؤاله عن أى شيء أطلبه فشغلت نفسى بترتيب فراشى حتى اهتديت إلى إجابة سؤاله ، فقلت أننى أرجو أن يزورنى صاحب الجلالة أمير المؤمنين المنصور بالله الإمام محمد البدر ، وغطيت وجهى بالبطانية وبدأت أستغرق فى النوم حتى يزورنى صاحب الجلالة .

شعرت أن حمزة البسيونى قد تجمد فى مكانه ولم يخرج من الغرفة ، وجلس على أحد مقاعدها ، وكأنه كان يخشى على أنفاسى من أن تهرب من تلك الجنة التى يقف على بابها ، فأخذ يحصيها ويصعد بها شهيقا ويهبط بها زفيرا ، حتى لا يخفى عليه واحد منها فيحاسبه عليه الرئيس حسابا عسيرا ، لا يطيقه ولا يأمن جانبه ، رغم أنه كان كثيرا ما يقول لغيرى أنه يتسلم ضيوف السجن الحربى بالعدد وليس بالأسماء وأنه يحرص دائما على أن يكون عدد الضيوف المسجلين أقل من عدد الضيوف المأسورين ، حتى لا يحاسبه أحد إذا ما قتل بعضهم خطأ أثناء توجيه السؤال إليه ، أو دفنه عمدا إذا ما رفض الجواب عليه ، أو ضاق بأحد فسلمه قضاءً وقدرا للكلاب الجائعة ليكون عبرة لأولى الألباب حتى يعترف كل منهم بما يريده البسيونى عند الجواب .

فإذا ما كان حمزة البسيونى حريصا على أن يحصى أنفاسى فتلك قمة الإهتمام ، وفائق التقدير والإحترام ، وكانت نعمة أحمد عليها الله الذى لا يحمد على مكروه سواه .

مرت فترة صمت مطبق ، تذكرت فيها أننى أستوى على فراشى بحلتى ، فنهضت من نومى وطلبت من حمزة البسيونى أن يأذن لى بالإتصال بزوجتى حتى ترسل إلىّ ثيابى الضرورية لنومى وضيافتى ، فقال أنهم قد أعدوا كل الثياب اللازمة لى وأن زوجتى يجب ألا تعرف أننى فى مصر . فسألته عن تفسيرها لغيابى عن البيت فقال أن أحد المسئولين سوف يقول لها أننى سافرت فى مهمة طارئة ، وعندما يتقرر إطلاق سراحى أعود إليها من هذه المهمة .

ابتسمت له قائلا أنه فى وسعه أن يسمع تفاصيل القصة من جميع الإذاعات العالمية ، وكان الوقت قد اقترب من موعد إذاعة نشرة الأخبار من لندن ، فأشرت إلى المذياع الذى كان فى الغرفة فضبطه على محطة لندن حيث استمعنا سويا إلى تفاصيل الحوار الذى دار بينى وبين مندوب وكالة رويتر ، الذى أستكمل من زوجتى قصة إعتقالى عندما اتصل بها تليفونيا إثر خروجى مع المقدم محيى شفيق ، وسألها عن مهمتها إلتى كلفها بها الرئيس جمال عبد الناصر فشرحتها كما سبق إيضاحها فى هذا الكتاب .

أذاعت محطة لندن تعليقات زوجتى التى صرحت بها بمشاعر أنفعال الزوجة المخلصة ، التى عاصرت نضال زوجها من أجل نهضة اليمن ، وعاشت صراعه من أجل سلامة مصر ، ثم تصورت أنها أستخدمت للغدر به .

سمعت مع حمزة البسيونى إذاعة لندن ومن بعدها بقية إذاعات العالم ، وفى آخر الليل سمعت زوجتى تصرح بأنها عرفت بأننى نزيل السجن الحربى فى القاهرة ، وكان أحد الذين رافقوا موكبى المهيب عند خروجى من البيت ، وهو يعرف كغيره من المسئولين المصريين ، حقيقة ولائى لليمن ووفائى لمصر ، فأرضى ضميره وأبلغها عن مكانى ، كمجرد تعبير عن شعور مصرى لا يرضيه أن يحدث ما حدث .

نشأت صداقة شخصية مع العميد حمزة البسيونى الذى كان يقضى وقت فراغه فى تسليتى بمباريات فى الشطرنج ، وكان يأخذنى معه إلى حديقة السجن للإشتراك مع الضباط فى التمرينات الرياضية ، كما كان حريصا على إعطائى الصحف اليومية والسهر معى لمشاهدة البرامج التليفزيونية ، كما كان مهتما بإحضار طعامى من أحد الفنادق السياحية على حساب رئاسة الجمهورية .

أشعرنى حمزة البسيونى بأنه ، على غير طبيعته ، يريد فعلا إدخال السرور إلى قلبى وتخفيف الصدمة عن صدرى . وكان يقول لى أن غرفتى غرفة خاصة لم يدخلها إلا من سبقنى إليها ممن يحملون رتبة نائب رئيس جمهورية !! وكان يقسم بالله على ذلك . كما كان يقسم بالله على أن الرئيس عبد الناصر يسأل عنى كل يوم ليطمئن على صحتى ويتأكد من راحتى .

كنت لا أعلق على إيمانه رغم أننى كنت قد بدأت أصدقه ، غير أننى كنت لا أشعر بحاجتى إلى راحة إجبارية بين قضبان حديدية .

بعد ثلاثة أيام حضر الملازم أول محمد حافظ (حاليا اللواء محمد حافظ مدير الشئون العربية بمباحث أمن الدولة) وصحبنى إلى مبنى المخابرات العامة بعد أن جهزوا لى غرفة لنومى فى جناح السيد صلاح نصر ، وكان تبرير ذلك أن الصحفيين الأجانب قد شغلوا إدارة السجن الحربى بالإستفسار عنى ومتابعة أخبارى بعد أن أعلنت زوجتى عن مكانى ، علاوة على أن ذلك الجناح فى المخابرات العامة كان أكثر لياقة من غرفتى بالسجن الحربى .

سألت صلاح نصر هل جاءوا بى من السجن الحربى حتى أكون سجينا فى غرفة تجاور مكتب عزت سليمان ليبدأ فى تصفية الحساب ؟ فقال أننى لن ألتقى به ولن أراه وأن الرئيس جمال عبد الناصر قد اختار وكيل المخابرات العامة اللواء محمد فريد طولان (محافظ بورسعيد فيما بعد) ليكون همزة الوصل بينى وبينه .

كان اللواء طولان كريم الخلق مرهف الحس يقظ الضمير ، لم يترك فرصة دون أن ينتهزها للتعبير عن الجهد الذى بذلته من أجل الثورة اليمنية وسياستى اليمنية التى حرصت على سلوكها أملا فى تحقيق الإستقرار فى اليمن . أدركت من أحاديثه أنه ينتمى إلى نفس المدرسة الفكرية التى تنادى فى مجال السياسة المصرية بترشيد الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، حتى يأخذ الشعب اليمنى دوره الضرورى فى الدفاع عن جمهوريته ، وبذلك يخفف العبء المالى والإقتصادى والعسكرى الملقى على أكتاف مصر ، فلا يضيق الشعب المصرى بعروبته ويهرب من قوميته .

أدركت أنه كان خيرا لى أن أنتقل من السجن الحربى ، حيث كنت أقتل وقتى فى الشطرنج والتمرينات الرياضية ، إلى مبنى المخابرات العامة حيث أعود إلى الأحاديث السياسية ، وأثلج صدرى أن استمتعت بالحديث مع اللواء طولان بأفقه الواسع وخلقه الكريم .

تمنيت من الله أن يوفقنى إلى ترويج متطلعاتى الفكرية مع غيره من رجال المخابرات المسئولين عن الشئون السياسية ، لأننى لو نجحت فى ذلك فإننى أكون قد أديت خدمة جليلة لليمن عندما نوقظها من مخدر اللذة السلبية ، حتى تنهض بمسئوليتها التاريخية ، وتحمل بيدها راية الدفاع عن الجمهورية ، كما أكون قد أديت خدمة جليلة لمصر عندما نوقظها من مخدر العناصر الأجنبية التى تسعى إلى تبديد إمكانياتها الإقتصادية والعسكرية تمهيدا لذبح قيادتها السياسية وسلخ زعامتها العربية .

إذا ما نجحت فى ذلك فلا يهمنى أن أكون طليقا أو سجينا ما دمت ناصحا أمينا ، ولن يضيرنى جفاء الأصدقاء ، حيث لهم فى عنقى حق الوفاء .

لم ينقطع الحوار مع اللواء طولان وغيره من الرجال ، الذين اكتسبت صداقتهم من زملائه ، وفى اليوم الخامس والعشرين طلب منى اللواء طولان أن أذهب إلى بيتى لأطمئن زوجتى حتى تكف عن مهاجمة الرئيس عبد الناصر أمام الصحفيين العرب والأجانب ، ثم أعود إلى غرفة نومى التى تكاد تلاصق مكتبه حتى تنتهى إقامتى هناك بمقابلة شخصية مع جمال عبد الناصر .

ذهبت إلى بيتى فى منتصف الليل وعلمت أن زوجتى قد خلعت بنفسها سلك التليفون بناء على نصيحة السادات حتى يتوقف إتصال المراسلين الأجانب بها ، ففوجئت بوجودى أمامها ولم تكن تصدق قبل ذلك أننى كنت على قيد الحياة ، حيث لم تعد تصدق ما يقوله عنى عبد الناصر و يطمأنها به السادات .

كان كل همها أن تنفى عن نفسها إشتراكها فى الغدر بى ، وكان ذلك إحساسها الذى عمقه فى صدرها رجال اليمن الذين لاموها على سفرها إلى عدن ، وكأنهم لا يعرفون إننى كنت سأعود إلى مصر ، سواء سافرت إلى عدن تحمل رسالة عبد الناصر أو لم تسافر إليها ، حيث لم يخطر على بالى فى لحظة من اللحظات أننى سأقيم فى عدن أو أزحف إلى اليمن .

شعرت المسكينة بأنها ضحية عبد الناصر والسادات فأسرفت فى مهاجمتهما علنا أمام المراسلين ، وأفرطت فى التهكم على عهدهما ووفائهما أمام اليمنيين والمصريين ، بعد أن تأثرت بنظرات اليمنيين إليها وتساؤلات المصريين عنها ، وكانت صادقة فى موقفها منى كل الصدق ، وكنت أصدقها دون أن يساورنى فيها أدنى شك ، فقد كنت أعرف طبيعتها التى لا تكذب ، وقلبها الذى لا يخاف ، وشجاعتها التى لا تخون .

فوجئت بوجودى أمامها ، وأزعجنى أن أراها وقد انهارت قوتها لضعف حيلتها وهوانها على الناس .

شرحت لها ما حدث ، وكنت لا أعرف لماذا حدث سوى أنه حدث .

قلت لها أننا ما دمنا على قيد الحياة نعيش بين البشر ، فعلينا أن نتعامل مع البشر على أنهم بشر . فجمال عبد الناصر صديق لكنه بشر ، يخضع لطباع البشر ، ومن يدرينا لعلهم أثاروه بخبر أو أخافوه من إشاعة ، فدفعوه إلى أن يفعل بى ما فعل ، لكننا لأننا

أصحاب قضية وطنية فعلينا أن نعيش ظروفها ونتحمل عذابها ، وإلا فما هو معنى النضال وما هى قيمة التضحية ؟ . إن القضية الوطنية إذا خلت من النضال وتجردت من التضحية لا تكون قضية ولا وطنية .

حتى الأديان السماوية تعلو بالنضال وتسمو بالتضحية إلى أن يبلغ الله أمره . لقد ألقوا بإبراهيم فى النار ليحرقوه وينصروا أصنامهم حتى قال الله يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم . وجعلوا يوسف فى غيابه الجب حتى التقطه وارد السيارة ثم سجنوه حتى كان المكين الأمين . وألقت أم موسى إبنها فى اليم حتى رده الله إليها وجعله من المرسلين . وحاولوا قتل المسيح وصلبه حتى شبه لهم ورفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما . أما الرسول ﷺ فقد ذاق طعم الهوان والخوف ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى إثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه .

فماذا حدث بى ؟

لا شىء يقارن بما امتحن الله به عباده الصالحين .

قلت لزوجتى مازحا أنهم حبسونى فى السجن الحربى فى غرفة مخصصة لنواب رئيس الجمهورية ، لأنهم فى السجن يحترمون قدر المسجونين ، ولم تكن لديهم غرفة أرفع درجة من تلك الغرفة ، ولا أدرى أين يستضيفون السلال وهو رئيس الجمهورية عندما يأتى موعده ، وكل آت قريب .

فما دام السلال والمسئولون فى اليمن لم يغضبوا لسجنى فى مصر فقد أقروا جميعا بشرعية إعتقال القيادات اليمنية فى السجون المصرية . وسوف يشربون من نفس هذا الكأس التى فرح بعضهم بأننى أول من شرب منه .

لقد وضعوا القاعدة التى سوف تطبق على الجميع .

٦

عدت إلى غرفتى فى مبنى المخابرات العامة وبعد يومين أطلقوا سراحى ثم أخذنى أنور السادات إلى بيت الرئيس عبد الناصر ، فوجدته يبتسم ويضمنى إلى صدره وكأنه كان يعصر مشاعر الحزن حتى أنسى ذكريات السجن .

وأشهد أننى نسيتها كلها فى نفس تلك اللحظة ، ولم أعد أذكر منها سوى عذاب زوجتى والأعاصير التى عصفت بمشاعرها وهزت وجدانها .

قال الرئيس عبد الناصر أنه لم يتطرق إليه الشك لحظة واحدة فى ولائى لليمن ووفائى لمصر فسألته عن سبب سجنى . قال أنه خشى من سفرى إلى الصومال فأراد أن يمنعنى من السفر . قلت أننى لم أفكر فى السفر إلى الصومال بناء على خطة سياسية وإنما تحت ضغط إنفعال عاطفى ، عندما قال السادات أن الرئيس يعتبرنى كأكرم الحورانى وصلاح البيطار اللذين أوهماه بالوحدة ثم تآمرا عليه بالإنفصال .

قلت للرئيس جمال أنه إذا كان يريد أن يمنعنى من السفر إلى الصومال فكان من السهل عليه أن يخفف عنى هذه الصدمة العاطفية بأن ينفى عنى هذا التشبيه ، ولو عن طريق مدير مكتبه فيطمئن قلبى وينشرح صدرى ، ولا أفكر فى ترك أولادى فى القاهرة لأرعى الأغنام فى الصومال .

فوجئت بالرئيس ينفى أنه قال عنى ذلك ، وصاح فى أنور السادات يسأله لماذا يعبر عن وجهة نظره الشخصية فينسبها إلى الرئيس مباشرة وبغير حق ؟ ثم قال الرئيس أنه علم أننى جئت من عدن غاضبا عليه لأنه رفض وصول شيوخ اليمن لزيارته فى مصر ورفضت أن أشرب الشاى فى مكتب السادات وتحديت مصر بالسفر إلى الصومال فأصدر قرار الإعتقال .

رويت له ما حدث تفصيلا واستشهدت بالسادات ومحمد قائد سيف . وأكد السادات روايتى .

ولا أدرى ، حتى الآن ، هل أراد السادات أن يتخلص من مسئولية صداقتى فنقل إلى عبد الناصر الرواية الأولى ، التى أحرجه فيها الرئيس بنفيه لها دون أن يتوقع ذلك فالتزم الصمت المطبق ، أو أنه كانت فى مكتبه أجهزة تسجيل نقلت ذلك الحوار مزيفا

وصاغت به الرواية الأولى كما سبق أن نقلت عنى من اليمن أننى طلبت من السلطان حسين الرصاص أمير البيضاء أن ينفصل عن الجمهورية اليمنية ثم ثبت كذب هذه الرواية .

والله أعلم .

سألنى الرئيس عبد الناصر عن حديثى مع السير هنرى ترافاسكس المندوب السامى البريطانى فى عدن ، والذى دار بيننا وحدنا فى غرفة نوم السلطان صالح حسين العوذلى سلطان إمارة العواذل ، بعد حفل العشاء الذى أقامه السلطان فى بيته تكريما لى وحضرها سلاطين وأمراء ووزراء أتحاد الجنوب اليمنى (العربى) وممثلو الدول الأجنبية فى عدن .

سكتت .. فكرر الرئيس نفس هذا السؤال .

قلت أنه ما دام الحديث قد بلغ إلى الرئيس فلا حاجة به إلى السؤال عنه ، فكرر السؤال مؤكدا أنه يريد أن يسمعه منى شخصيا .

وكانت لهذا الحديث قصة .

عندما أعلنت حكومة صنعاء قرار سحب جنسيتى لأننى تحمست للعدالة والمساواة وأفسدت الوحدة الوطنية تألم لذلك سكان اليمن الشوافع الذين هم كل أهالى شرق وغرب وجنوب الجمهورية اليمنية ، لأنهم أعتبروا ذلك بمثابة قرار طائفى موجه ضدهم جميعا وبغير استثناء . كما أعتبروا أن جمهورية السلال الثانية لم تسحب منى الجنسية فحسب وإنما ألغت أهم أهداف الثورة وهى العدالة والمساواة والوحدة الوطنية .

كانت هذه المناطق ، وبغير استثناء ، مؤيدة للثورة ومؤمنة بالجمهورية ، وهى فى نفس الوقت ملاصقة لجنوب اليمن المحتل الذى جميع سكانه من الشوافع أيضا ، وكانت بريطانيا تتأهب للجلاء عن عدن والجنوب اليمنى لأسباب إقتصادية ومتغيرات إستراتيجية ، وتعلم مقدما أن أهل هذا الجنوب يؤيدون العودة إلى وطنهم اليمن الأم ، كما كانت تأمل فى تسليم السلطة سلميا إلى حكومة ذات سياسة دولية معتدلة ولا شأن لبريطانيا فى اختيار هذه الحكومة للنظام الملكى أو الجمهورى أو تأكيد إنتمائها القومى العربى .

كان المندوب السامى البريطانى فى عدن يعرف أن سلاطين وأمراء ووزراء الجنوب اليمنى المحتل ، وإن اختلفوا فيما بينهم فإنهم يتفقون على أننى متجرد من المصالح الشخصية ، متطلع إلى تحقيق المصلحة الوطنية اليمنية الحقيقية ، بغير مزايدات أو مناقصات فى سوق الشعارات . وقد ازداد لديهم عمق هذا الشعور عندما فكرت فى إنشاء بنك يمنى فى عدن لتطوير إقتصاد الجنوب اليمنى ، والبدء فى بناء صرح نهضة يمنية تنطلق من الجنوب لتمتد إلى الشمال ، ثم جاء قرار سحب الجنسية فاعتبروا أنفسهم مسئولين عن الضحية .

قبل لقائي بالسير هنري ترافاسكس في بيت السلطان كان قد حاول أكثر من مرة أن يزورني في بيت عبد الرحمن جرجرة وكنت أجهد نفسي ، في كل مرة ، عند اختيار أرق كلمات الإعتذار لأنني لا أحب أن تفسر هذه الزيارة بأنها ذات أبعاد سياسية بينما حصرت كل همي في عدن في الأمور الإقتصادية الوطنية .

ثم فوجئت بلقائه في بيت السلطان صالح مع جميع السلاطين والأمراء والوزراء ، وكأنهم كانوا يعرفون مضمون الحديث الذي سبق إيضاحه ، والذي دار بيننا بعد أن طلب أن يتحدث معي على إنفراد عند أنصراف المدعويين ، فاخترت بنفسي غرفة نوم السلطان حيث تأخر الوقت وكان بعض المدعويين لا يزالون في قاعة العشاء .

قلت للمندوب السامي البريطاني أنني لا أستطيع أن أتحدث معه عن مستقبل المنطقة السياسي إلا عن طريق الرئيس عبد الناصر ، لأنه علاوة على كونه الزعيم العربي الذي يسعى إلى تحقيق الوحدة العربية ، فإنه قد أصبح في ظل جمهورية السلال الثانية مسئولا شخصيا عن السياسة اليمنية إبتداء من شئونها الداخلية وإنتهاء بسياستها الخارجية .

وحتى لا يخطيء المندوب السامي فهم كلماتي أوضحت له أنني مؤمن بزعامة عبد الناصر للأمة العربية ؛ وأنني لم أجد في ذلك ما يمنعني من معارضة بعض وجهات نظره عندما أرى أنها لا تتفق مع مصلحة اليمن وسلامة مصر .

وعدت المندوب السامي أنني سوف أنقل تفاصيل هذا الحديث إلى الرئيس عبد الناصر عندما أعود إلى القاهرة ، وأنني سوف أستأذن الرئيس في نقل وجهات نظره إلى المندوب السامي عن طريق السفير البريطاني في القاهرة .

كانت هذه التفاصيل قد سبقتني إلى الرئيس قبل أن أعود إلى القاهرة فأستغرب عدم إبلاغها إليه عن طريق السادات عندما التقيت به مع محمد قائد سيف على إثر وصولي من عدن .

قلت أن السادات لم يمهلني حتى أبدأ الحديث وإنما بادرني بأن الرئيس يتهمني بما يتهمون به أكرم الحوراني وصلاح البيطار ، فلم أعد بعد ذلك صديقا يتحدث بلغة الأصدقاء .

قال الرئيس لقد أخطأ السادات لأنه ، أي الرئيس ، لم يتهمني بهذه التهمة ولم ينقل إليه السادات أنه اتهمني بها ، وأعاد الرئيس قوله أنه كان يعرف تفاصيل حديثي مع المندوب السامي البريطاني ، ولذلك فلا يعقل أن يفكر في إتهامي بشيء مما بلغني على لسان السادات . ثم سألني الرئيس عن سبب عدم ذكري شيء من ذلك الحديث مع العميد حمزة البسيوني أو مع اللواء محمد فريد طولان ، وكان يتابع أحاديثي معهما فقلت أنني رفضت أن أذكر لهما شيئا من ذلك لأنني أرفض أن أتحدث في مصر بلغة السجناء ، بعد أن نسيت في السجن الحربي لغة الأصدقاء ، الذين اشتركت معهم في التطلع إلى مصلحة الأمة العربية .

نصحنى الرئيس بأن أسافر إلى ألمانيا الغربية لقضاء فترة إستجمام على حساب السفارة المصرية هناك ، فشكرت له ذلك وأوضحت أن حالة زوجتى النفسية والصحية التى تأثرت خلال الخمسة والعشرين يوما الماضية لا تسمح بأن أتركها قبل أن أطمئن عليها ، وأننى لا أستطيع السفر إلى ألمانيا قبل شهر أو شهرين على الأقل ، فازداد الرئيس أسفا على ما أصاب زوجتى .

عدت مع السادات إلى بيته بعد مقابلة عبد الناصر وكنت حائرا فى فهم ما حدث ، فقد كانت نبرات صوت الرئيس وملامح وجهه وحركات يديه تؤكدان أنه صادق فيما قال كل الصدق ، يعجب من كل ما حدث كل العجب ، وكأنه قد تورط فيما فعله بى تحت تأثير العناصر المحيطة به ، والتى كانت ترفض الحل السلمى الذى تفكر فيه بريطانيا حتى تنسحب بهدوء من عدن والجنوب اليمنى المحتل ، حيث كانت هذه العناصر تصر على الحل العسكرى تنفيذا لعملية صلاح الدين .

قال السادات أننى عندما كنت فى ألمانيا الغربية لعقد المؤتمر الإقتصادى فى طريقى إلى عدن وصله تقرير من الملحق العسكرى المصرى فى بون ، اللواء محمد صادق (الفريق أول الذى تولى منصب نائب رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة فيما بعد) وقد فزع السادات من ذلك التقرير الذى كتبه اللواء صادق نقلا عن طالب مصرى ، كان يجلس خلفى عندما كنت أتناول طعام العشاء فى مطعم أحد الفنادق فى بون مع الزميل محمد مهيوب ثابت عضو مجلس قيادة الثورة ووزير شئون المغتربين ، الذى وصل من عدن ، فسمع هذا الطالب زميلى محمد مهيوب يقول إن الشعب فى عدن والجنوب اليمنى المحتل يتأهب لإستقبالى هناك ، وإنه يتوقع أن يزحف يمنيون كثيرون من الجمهورية اليمنية لزيارتى فى عدن .

لكن التقرير لم يذكر ماذا كان تعليقى على حديث محمد مهيوب معى ، فاستنتج السادات أننى أنوى عمل شىء من الجنوب ضد حكومة السلال ، وأن عبد الناصر عندما قرأ تقرير محمد صادق واستنتاج السادات أرسل إلى اليمن لوائين مدرعين لمواجهة نشاط البيضانى المحتمل .

لم أعجب من تقرير اللواء صادق ، لأنه تقرير صادق . لكننى عجبت من تفسير السادات لصمتى أثناء حديث محمد مهيوب ، ذلك الصمت الذى فسره السادات بأنه مؤامرة على السلال وعلى القوات المصرية التى تحميه . ولا أدرى ماذا كان ينتظر السادات أن أعلق به على حديث محمد مهيوب كى أنفى شبهة المؤامرة عن نفسى ، هل كان ينتظر منى أن اؤكد محبة الشعب اليمنى فأعترف بالغرور ، أو أنفى هذه المحبة فأعترف بالنفور ؟ .

شكى لى السادات أنه عندما ذهب مع السيدة زوجته لزيارة زوجتى بعد ساعتين إثنتين من خروجى من البيت فى طريقى إلى السجن الحربى حتى تطمئنى على حالى ، وتتأكد من ثقة الرئيس جمال عبد الناصر فى ولائى لليمن ووفائى لمصر ، تصرفت معهما تصرفا عنيفا إضطرهما إلى مغادرة بيتى قبل أن ينطق أحدهما بكلمة واحدة . وقال أنه مع

كل ذلك قدرا ظروفها والتمسا لها العذر فزاراها فى اليوم التالى (هو والسيدة زوجته) غير أنها تصرفت معهما بنفس ما فعلته فى اليوم الأول ، مما لا يتفق ، كما قال السادات ، مع حجم الثقة التى بيننا . ثم قال أنه انتظر بضعة أيام حتى عرف أنها بدأت تهدأ فذهب مرة ثالثة لزيارتها مع السيدة زوجته وقال لها ما أراد أن يقوله ليثبت فؤادها .

فلم أستغرب تصرف زوجتى وكتمت جراحى فى صدرى إذ لا ينفعنى أن أسيل دماء هذه الجراح فى وجدانى فأشوه بها مشاعرى وأفقد السادات الصديق رفيق الطريق ، الذى ولد الشعب اليمنى ثورته على يديه ، ورويت له ذكرياتى فى غرفة نواب رئيس الجمهورية فى السجن الحربى ، التى أكد لى العميد حمزة البسيونى أنها سبق أن تشرفت باستضافة بعض القادة المصريين ، الذين يحملون هذه الرتبة ، فضحك السادات ونفى ما قاله البسيونى .

عندما شفيت زوجتى بعد ثلاثة أشهر سافرت إلى ألمانيا كرغبة الرئيس عبد الناصر الذى أمر بأن ينشر خبر سفرى فى الصفحات الأولى من الصحف المصرية وكان ذلك يوم الجمعة ١٤ فبراير ١٩٦٤ حيث نشرت الأهرام تحت عنوان عريض يقول (سفر البيضانى من القاهرة إلى ألمانيا) ثم شرحت الخبر فقالت (غادر القاهرة إلى فرانكفورت أمس ، الدكتور عبد الرحمن البيضانى النائب السابق لرئيس جمهورية اليمن لعلاج إبنه خالد الذى أصيب بمرض فى أذنه) .

السلال يزور موسكو
.. فى الشهر القادم

صنعاء فى ١٣ – ١.ش.١ – صرح الرئيس عبد الله السلال بانه سيسافر الى موسكو فى الشهر القادم ، تلبية للدعوة التى وجهها اليه الرئيس السوفيتى منذ بضعة اشهر .

سفر البيضانى
من القاهرة الى المانيا

غادر القاهرة الى فرانكفورت امس ، الدكتور عبد الرحمن البيضانى ، النائب السابق لرئيس اليمن ، لعلاج نجله خالد الذى اصيب بمرض [illegible] .

الأهرام ١٤ فبراير ١٩٦٤ (الصفحة الأولى)

سافرت إلى ألمانيا بجواز سفر دبلوماسي يمني يحمل صفتي كنائب سابق لرئيس الجمهورية اليمنية ، وكانت السفارة اليمنية في بون قد تلقت التعليمات بأن تسهل إقامتي في ألمانيا الغربية ، أما تكاليف الإقامة فقد دفعها الملحق العسكري المصري اللواء محمد صادق.

جاءني عدد من الأخوة اليمنيين إلى ألمانيا ليتأكدوا من خبر وصولي إليها ، ويطمئنوا على حالتي ونفسيتي ، فاستحسنت أن أنصحهم بإتباع المثل الشعبي اليمني الذي يقول (المتفرج لبيب) أي أنه في وقت الفتنة لا يظهر الأبيض من الأسود وعندئذ تقتضي الحكمة أن يتأنى المرء ويراقب مسارها حتى يستوعب درسها .

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (كن في يوم الفتنة كإبن اللبون لا ظهرا يركب ولا ضرعا يحلب .) .

قلت للأخوة اليمنيين أنني لا أدري لماذا يخطر على قلبي شعر أبي العلاء المعري حين قال :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا
وما نهنهت عن طلب ولكن هي الأيام لا تعطى قيادا

ولم تكن عنقاء اليمن محصورة في رئاسة السلال الشكلية ولا في العناصر التي تستغل زعامة عبد الناصر العربية وإنما كانت تشمل أيضا الظروف اليمنية الموضوعية التي كانت ترحب بكل الصراعات الدولية .



أخذت جمهورية السلال الثانية طريقها إلى الإنهيار .

وقد أشار الدكتور الشهارى فى كتابه (اليمن .. الثورة فى الجنوب والإنتكاسة فى الشمال) صفحة ١٨١ إلى أحد مظاهر الإنهيار هذه الجمهورية الثانية فقال أن :

(الأستاذ أحمد محمد نعمان رئيس مجلس الشورى خطب فى ميدان الشهداء فى تعز ، عاصمة البلاد الثانية منددا بالظلم الواقع على الشوافع ، ومركزا هجومه على العمرى ملصقا به تهمة الطعن فى الشوافع ، وجرح كبريائهم والتقليل من شأنهم ، بتصوير أنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال بعد ، وأنهم لا يعدون أن يكونوا مكالف أى نساء) .

وكان الشهارى قد أشار فى صفحة ١٧٩ إلى بيان الجبهة القومية لحماية الوحدة الوطنية باليمن الذى صدر فى شكل كتيب صغير فى ١٠ أكتوبر ١٩٦٤ وقال أنه قد :

(وافقت عليه عناصر بارزة فى المنطقة الشافعية وعلى رأسهم أحمد محمد نعمان زعيم هذا التكتل الطائفى ، وواضع عناصر تفكيره فى الصيغة التى ظهر بها ، إشارة واضحة إلى أن مشكلة اليمن عبر التاريخ وفى الحاضر والمستقبل طائفية بحتة ، ذلك لأن تركيز السلطة فى صنعاء داخلها يوحى للمواطنين أن نظام الإمامة لا يزال قائما .. كما جزم البيان بقوة بأنه لا حل لمعضلة اليمن إلا بوضع حد للحساسيات الموروثة من عهود الظلام ، وإلا بتوزيع المناصب الرئيسية فى الجيش بالتساوى ، وتوزيع السلطات بطريقة عادلة تجعل المواطنين يشعرون بالمساواة ، ويطمئنون إلى عدالة الحكم ونزاهته ، وإنهم فى عهد جمهورى يحكم فيه ممثلو الجماهير كلها وليس أبناء فئة أو طائفة معينة) .

ثم أشار الدكتور الشهارى إلى مطالب هذا البيان التى بدأت (بإقتسام الرئاستين بحسب المناطق على أن يكون لرئيس الجمهورية نائب واحد من غير منطقته ولرئيس الوزراء نائب واحد أيضا من غير منطقته) حتى انتهت إلى إقتسام الوزارات بحسب أهميتها .

لا شك فى أننى لا أقر هذا البيان جملة وتفصيلا لأنه يكرس الطائفية ولا يحقق الوحدة الوطنية التى لا تهم الدكتور الشهارى كثيرا أو قليلا ، لأنه يعلن انتماءه المطلق للماركسية التى تسعى إلى تعميق التناقض الإجتماعى وإشعال الصراع الطائفى فى طريقها إلى تمزيق وحدة المجتمع وهى تتأهب للإنقضاض عليه .

لم يتحمس الشهارى لحسن العمرى لأنه أهان الشوافع ، كما لم ينتقد أحمد نعمان لأنه تظلم من الزيود ، لكنه أراد التشهير بالإثنين معا لما يرمزان إليه من عناصر الوحدة الوطنية التى يسعى إلى القضاء عليها ما دامت ترفض الماركسية ، فعمد إلى التشهير بهما معا لتوسيع وتعميق الصراعات الطائفية .

إننى لا زلت وسأظل أعتقد أن قيام الجمهورية قد أسقط الطائفية وجعل اليمنيين جميعا سواء من حيث الحقوق والواجبات ، وأن تقلد المناصب القيادية يجب أن يتم وفقا للكفاءات الشخصية التى تخدم كل اليمن ، وتنهض بكل الشعب سواء كانت هذه الكفاءات الشخصية من المناطق التى تعتبر من الناحية الجغرافية زيدية أو شافعية ، لأن مناصب الدولة ليست غنائم توزع بين فئات متصارعة ذات مصالح متعارضة ، وإنما هى مواهب وهبها الله لبعض الأشخاص لينتفع بها كل الناس ، فإذا ما ظهرت فى اليمن هذه الكفاءات الشخصية التى تحقق الإستقرار وتقيم العدل وتحمى المساواة وتقود النهضة فليكن كلها أو أكثرها من أى شبر من أراضى اليمن ، لأنها تخدم كل اليمن .

أما أن تعيش اليمن موزعة الإنتماء مبعثرة الأشلاء فإن ذلك لا يفيد الجمهورية ولا يعيد الإمامة ، وإنما يفتح أبواب اليمن للصراعات الدولية ويقودها إلى مصيدة الماركسية كبديل متاح أمام العناصر الوطنية التى تيأس نهائيا من إمكانية الإصلاح وتحقيق المساواة والعدالة الإجتماعية الإسلامية فى ظل الدولة غير الماركسية ، فتستجير من الظلم بما هو أشد ظلما وأنكى جرحا وأمر عذابا .

لذلك لن أكف عن إدانة كل تصرف يمس الوحدة الوطنية ، التى هى القاعدة الصلبة التى تحمى أية جمهورية وأية ملكية ، وتحقق النهضة الحضارية ، وتقطع الطريق على الماركسية . من أجل هذا لا أقر بيان تعز الذى استغله الشهارى كما يستغله كل شهارى يعمل لحساب الشيوعية الدولية ، كما فعل الشهارى عندما جسم فى كتابه المذكور هذا البيان واستخدم فى تجسيمه المصطلحات الشيوعية ووصف الجانب الشافعى فى صفحة ١٨٠ فقال (تمكن المحور البورجوازى الإقطاعى الطائفى بزعامة النعمان ممثل البورجوازية الكومبرادورية والشيخ محمد على عثمان ممثل الإقطاع الزراعى من تشكيل حركة سرية فى تعز) ثم وصف الجانب الزيدى فقال فى صفحة ١٨١ إن هؤلاء البورجوازيين الإقطاعيين الكومبرادوريين (وضعوا أيديهم فى يد الإقطاع القبلى فى شمال اليمن (الزيدى) وكونوا معه حلفا طبقيا موجها ضد البورجوازية الوسطى والصغيرة شافعية كانت أو زيدية) .

هكذا أعترف الشهارى بأنه لا يبكى على الوحدة الوطنية بل يصرخ من إلتئام شمل الطائفية عندما اتفق زعماء الشوافع (البورجوازيون الكومبرادوريون) مع زعماء

الزيود (الإقطاعيين القبليين) كما يحلو للشيوعيين توصيف عناصر أى مجتمع تمهيدا للقضاء على وحدته الوطنية ، كمقدمة ضرورية ومدخل لا بد منه فى طريق السيطرة الماركسية ، والخضوع النهائى لأطماع الشيوعية الدولية ، التى تتستر تحت الشعارات التقدمية كما استغلت فى اليمن راية الزعامة الناصرية .

غير أننى وإن كنت لا أقر بيان تعز فإننى فى نفس الوقت لا أقر الأسباب التى دعت إلى إصداره ، ولقد سبق أن لفتت نظر الرئيس السلال إلى خطورة التغاضى عن التصرفات الشاذة التى كان يقوم بها بعض المسئولين المحسوبين على الجمهورية ، والتى من شأنها أن تسيء إلى إستقرارها ووحدتها الوطنية ، لكنه كان يعتبر مثل هذه النصيحة من قبيل التعصب للطائفية التى لا أحس نحوها بأى تعاطف أكثر من الرغبة فى تفادى آثارها القاتلة للثورة ، المدمرة لإستقرار الجمهورية .

فتفاقمت الأحداث حتى صدر ذلك البيان بإسم (الجبهة القومية لحماية الوحدة الوطنية فى اليمن) الذى مهما رفضناه شكلا وموضوعا وجملة وتفصيلا فإنه يؤكد أن خللا ما قد أصاب الجمهورية وأفسد الوحدة الوطنية .

وبعد أن كان التخلص من عبد الرحمن البيضانى يتم تحت شعار (إفساد الوحدة الوطنية) هاهم قد أفسدوها فى صنعاء حتى ضاقت بهم تعز . هاهو الدكتور محمد على الشهارى يضع على أكتاف الأستاذ أحمد محمد نعمان رئيس مجلس الشورى فى ذلك الوقت مسئولية صياغة ذلك البيان فى تعز رغم أن الدكتور الشهارى قد عمل بعد ذلك مديرا لمكتب الأستاذ نعمان عندما تولى رئاسة الوزارة بعد صدور بيان تعز ، ونسى الشهارى أن نعمان كان زعيم الطائفية البرجوازية الإقطاعية الكومبرادورية على حد تعبيره .

وأهمل الشهارى ذكر ما جاء فى صدر ذلك البيان الذى بدأ بقوله (لقد قامت شرزمة من الضباط بتدبير مؤامرة ضد وحدتنا الوطنية فى يوم ٢٧ أغسطس ١٩٦٣ يوم حوصر محافظ تعز وتطورات القضية بتقديم مطالب الشعب الستة إلى الرئيس السلال) .

ثم أشار البيان إلى تعديل هذه المطالب بقوله (وتدخل الجانب العربى ، الذى يحمى اليمن منذ أن قامت ثورتها المباركة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ولكن المتآمرين رموا عرض الحائط بالوساطة العربية ، واتهموا أبناء اليمن الأحرار فى تعز بأنهم إنفصاليون ، وإن مطالبهم تخص لواء تعز ، وردا لهذه التهمة تدارس مشائخ ألوية اليمن جميعا المطالب الستة فعدلوها)

ووقع عليها عن لواء تعز الشافعى عدد من الوزراء كان على رأسهم أحمد محمد نعمان ، محمد على عثمان ، إبراهيم حاميم ، عبد الغنى مطهر ، عبد القوى حاميم ، محمد على الأسودى ، محمد قائد سيف ، على محمد سعيد ، قاسم غالب ، أحمد سيف الشرجبى ، شائف محمد سعيد ، أحمد عبده سعيد مع خمسة وعشرين آخرين من زعماء تعز .

ووقع عن لواء اب الشافعي الزعماء على بن محسن باشا ، يحيى منصور ، عبد الله حسن محمد الدعيس ، حسن أحمد الدعيسى ، أحمد بن حسن على باشا ، وأحمد ناجى العدينى مع سبعة آخرين من شيوخ القبائل .

ووقع عن لواء الحديدة الشافعى محمد الأهنومى ، محمد يحيى منصر وعن لواء البيضاء الشافعى عبد الرب عبد القوى الحميقانى وعن لواء نمار الشافعى على ناصر العبسى .

ووقع عن لواء حجة الزيدى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وعن لواء صنعاء الزيدى القاضى عبد السلام صبره والشيوخ صالح ناجي الرويشان ، نعمان قايد بن راجح ، على بن الرويشان والأساتذه ، محمد أحمد جبارى ، محمد عكارس ، والشيوخ أحمد على المطرى ، على شويط ، وعبد الله حزام الصعر .

هؤلاء هم شيوخ ورؤساءقبائل اليمن وأعيانها وبعض وزرائها ولم يكن الأستاذ أحمد محمد نعمان مسئولا وحده عن الشكوى من سلوك بعض المسئولين الجمهوريين المناقض للوحدة الوطنية .

لقد اشترك في التوقيع على ذلك البيان زعماء من المناطق الزيدية وعلى رأسهم المجاهد الوطنى أسطورة تاريخ اليمن الحديث الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر .

أشهد أننى تألمت أشد الألم عندما وصلنى ذلك البيان لأنه كان يعبر عن أخطر درجات الغليان الشعبى والإنقسام الجمهورى ، فخشيت أن يتحول بعض هؤلاء الزعماء والكثيرون ممن أتبعوهم إلى معسكر أعداء الجمهورية ، كرد فعل غير إرادى لإنهيار أملهم فى جمهورية السلال الثانية ، وإضطراب إدارتها ، وإهدار كرامة المدافعين عنها ، وإنغماس حفنة من المنتفعين بها والمتسلطين عليها فى نزواتها الشخصية ، التى تقتلع جذور الإنتماء إلى الوحدة الوطنية .

فى هذه المناسبة أذيع سرا لم يعلن من قبل ..

عندما بدأت تصل أخبار هذه الأحداث إلى مسامعى فى القاهرة ، أدركت أن أعداء الجمهورية قد نجحوا فى إستدراج زعمائها كى يضرب بعضهم بعضا تحت شعار الطائفية ، التى هى أهم ركائز الإمامة ولا يدركون أنهم يعملون بذلك من أجل عودتها عندما تتسع ساحات القتال فتشمل مناطق الجنوب بعد أن كانت قاصرة على جبال الشمال .

كنت ولا زلت وسوف أظل أعتبر ميلاد الجمهورية اليمنية أغلى أمنية حققتها فى حياتى وأغلى ذكرى أتركها بعد مماتى .

خشيت أن يساق رجال الجمهورية الذين اشتركوا فى ميلادها إلى الإشتراك فى قتلها ثم دفنها وهم يتصارعون على أوهام طائفية لم يعد لها مكان فى الجمهورية ، ولا يدرك غلاة المتعصبين لها وهم يتشبثون برواسب الماضى أنها لم تعد أبدا من مقومات المستقبل .

لم استطع أن أقف مكتوف اليدين فى مصر بينما ينهار صرح الجمهورية فى اليمن ، فقررت أن أكتب رسالة إلى زعماء المناطق الشافعية ، أحذرهم من نتائج الخدعة الإمامية التى استغلت الرواسب الطائفية ، وأطالبهم بإلحاح بأن يتنازلوا ويقبلوا كل ما يطلبه زملاؤهم الزيود حرصا على وحدة الصف الجمهورى حتى لا يعود النظام الإمامى ، مؤكدا لهم أنه عندما تستقر الجمهورية ستتلاشى الرواسب الطائفية وتتحقق العدالة والمساواة .

أخترت أن أكتب هذه الرسالة إلى الشيخ محمد على عثمان لأنه أبرز زعماء تعز ، وأقوى شخصية فى المناطق الشافعية ، وكان أول رئيس لمجلس السيادة فى الجمهورية فى اليوم الأول لقيامها .

ترددت فى الكتابة اليه لأننى سبق أن أسأت أليه بعد شهر من قيام الثورة عندما أخطأت فوافقت على إبعاده عن اليمن وتعيينه وزيرا مفوضا فى السودان إرضاء لبعض الشخصيات الشافعية التى أشتركت فى الثورة ، كما أخطأت حين وافقت على تعيين العميد حمود الجائفى رئيسا للوفد اليمنى بالقيادة العسكرية المشتركة فى القاهرة إرضاء للسلال ، بعد أن كان الجائفى أول وزير للدفاع فى حكومة الثورة وأول مرشح لرئاسة الجمهورية قبل قيامها .

غير أننى كنت ، من جانبى ، أعرف فى الشيخ محمد على عثمان وطنيته التى صاغت شخصيته وأبرزت رجولته ، كما كان يعرف من جانبه أننى عندما لنت لغيره من الشخصيات الشافعية لم أهمل صداقته ولم اغفل قدرته .

وعندما عاد الى اليمن بعد خروجى منها كان أصدق إخلاصا لى من كثير من الشخصيات التى لنت لها وأبعدته عن القيادة من أجلها .

هذه طبيعة الشيخ محمد على عثمان الذى تقلد بعد ذلك العديد من المناصب حتى كان ثانى ثلاثة أعضاء للمجلس الجمهورى الذى اطاح بجمهورية السلال حسبما سوف يأتى شرحه عندما يأتى دوره التاريخى فى هذا الكتاب .

أرسلت اليه أطالبه بأن يتحمل المسئولية التاريخية فى حماية الجمهوريةوألا يستمع إلى غلاة الشوافع الذين يستعجلون مصالحهم الشخصية ، وأن يلين لغلاة الزيود الذى يشفع لهم دفاعهم المجيد عن الجمهورية .

أوصيته بأن يتعاون مع الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر شيخ مشايخ القبائل الزيدية الذى لا يستطيع أى مؤرخ منصف أن ينكردوره التاريخى فى الدفاع عن العدالة والمساواة التى أفتقدتهما الأمامة ونادت بهما الجمهورية .

شرحت للشيخ محمد على عثمان أن المحصلة النهائية للصراع الطائفى ، فى ظل النظام الجمهورى ، لن تكون سوى عودة النظام الإمامى ، تحت سمع وبصر السلال المستسلم للعناصر التى التفت حوله ، سواء كانت عناصر جمهوريه تسعى إلى كرسى الرئاسة أو كانت إماميه تسعى إلى عودة الإمامة .

حقيقة أن عقارب الزمن لا تعود إلى الوراء .

لكن هذه الحقيقة كبعض الحقائق الأخرى قد لا تكون فى بعض الظروف حقيقة .. فقد تعود عقارب الزمن إلى الوراء فى ظروف معينة .

وقد تقفز نفس هذه العقارب إلى الأمام متسترة فى ثياب تتفق مع ما حدث من تغيير فى أذواق الجماهير .

لكنها تكون هى بعينها نفس العقارب .

سنة ١٦٤٩ أعدم الإنجليز الملك شارل الأول وقام أوليفر كروموبل بدور حامى الجمهورية البريطانية وفى سنة ١٦٦٠ أى بعد عشر سنوات عاد شارل الثانى وجلس على عرش أبيه وعادت عقارب الزمن إلى الوراء .

وسنة ١٧٨٩دمر الفرنسيون سجن الباستيل وأقاموا الجمهورية وبعد حوالى خمسة وعشرين عاما عادت أسرة البوربون إلى عرش فرنسا وأستردت أملاكها .

وعادت عقارب الزمن الى الوراء .

وفتح العرب الأندلس .. وخرج العرب من الأندلس .

فالزمن زمن ..

حر فى سلوكة لانعتمد على حكمته .

ولا نعلق مصيرنا على غيبياته .

يفعل بعقاربه ما يشاء .. يعيدها أو يقتلها .

ما علينا .

وإنما علينا أن نحمى أنفسنا من غدره ومن سم عقاربه .

وفى رسالة ثانية طلبت من الشيخ محمد على عثمان أن ينقل عنى إلى كل رجال الجمهورية من الزيود والشوافع ، أنه يجب علينا ألا نترك الزمن يكتب عنا(إن الذين أقاموا الجمهورية هم بأنفسهم الذين هدموها عندما تصارعوا فيما بينهم فصرعوها ، وأنهم بعد أن ولدوها قتلوها) .

أستجاب الشيخ محمد على عثان لندائى وكتب ردا على ذلك رسالة بخطه ونصها :

(٦٤/١١/١

المجاهد العظيم الدكتور عبد الرحمن البيضانى حياه الله بعد التحية .تناولت الرسالة الأولى والثانية وأننى لأشكر فيكم هذه الروح الوثابة .وما أحوج البلاد إلى وجودكم فيها فى هذا الظرف الحرج والمرحلة الخطرة والمفاجآت المحيرة للعقول ، والتى لن تقف عند حد كما يبدو . وكل ما أشرتم إليه ضرورى .وبغير وجودكم لن يكون الإنجاز كاملا .فدبروا ما ترون وأفيدوا بما يلزم اتخاذه من قبلنا والكل فى أشتياق وتقبلوا فائق الأحترام

محمد على عثمان

٦٤/١١/١

المجاهد العظيم الدكتور عبد الرحمن البيضانى حياه الله
بعد التحية تناولت الرسالة الأولى والثانية وإننى لأشكر فيكم هذه الروح الوثابة وما أحوج
البلاد إلى وجودكم فيها فى هذا الظرف الحرج والمرحلة الخطرة والمفاجئات المحيرة
للعقول والتى لن تقف عند حد كما يبدو وكل ما أشرتم إليه ضرورى وبغير وجودكم
لن يكون الإنجاز كاملا فدبروا ما ترون وأفيدوا بما يلزم اتخاذه من قبلنا والكل
فى اشتياق وتقبلوا فائق الاحترام

محمد على عثمان

أصل الرسالة بخط الشهيد محمد على عثمان

رحم ا لله البطل الشهيد الشيخ محمد على عثمان الذى إغتالته عناصر ماركسية سنة ١٩٧٢ أى بعد ثمان سنوات من كتابة هذه الرسالة ، التى عندما استلمتها حمدت الله على أننى أديت ما أستطيع أن أؤديه من أجل الوحدة الوطنية ، التى هى الركيزة الأساسية فى حماية الجمهورية .

لم أحاول أن أذيع هذه الرسالة فى وقتها حتى لا يقال عنى أننى استغل الموقف لأثبت أننى كنت على . حق بعد أن اقتنع الرئيس عبد الناصر بوجهة نظرى حتى أنه أول ما وصل إلى صنعاء لزيارة اليمن يوم ٢٣ إبريل ١٩٦٤ قال فى أول خطاب له فى مؤتمر شعبى أن (رسالة محمد هى الحرية والمساواة .. لقد انتهت أيام التفرقة وبدأت أيام المساواة وكان هذا نتيجة العمل الكبير ، عمل الثورة ، عمل الثوار بعد الثورة) (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الرابع صفحة ٥٦٣) .

غير أن بيان تعز قد أثبت أن أحدا لم يستمع إلى كلمات عبد الناصرر ولعل غلاة الطائفية قد اتهموه أيضا بالطائفية لمجرد أنه نادى بالمساواة .

كان بيان تعز ، بتوقيع زعماء الزيود والشوافع ، أول مظهر رسمى لإنهيار جمهورية السلال الثانية بعد أن سبقه إنعقاد مؤتمر عمران فى شمال صنعاء خلال شهر سبتمبر ١٩٦٣ وكان العديد من قرارات ذلك المؤتمر يندد بجمهورية السلال ويتهمها بـ (فقدان الديمقراطية والفساد الحكومى) ويطالب برفع القيادات العسكرية من المناطق التى لا تحتاج إلى عمليات عسكرية .

ثم تفاقم إنهيار جمهورية السلال عندما قدم الأستاذ أحمد محمد نعمان رئيس مجلس الشورى والقاضى عبد الرحمن الاريانى والقاضى محمد محمود الزبيرى نائبا رئيس الوزراء إستقالتهم الجماعية من مناصبهم فى ٢ ديسمبر ١٩٦٤ وسجلوا فى هذه الإستقالة أنه (بعد تجربة عامين كاملين وأشهر ثلاثة لم نحقق للشعب آماله ولم نكسب للثورة الجمهورية التأييد والدعم الشعبيين) وأنه بعد تجربة العامين (تراكمت الأخطاء وتفاقمت المشاكل وانتشر الفساد ولا تزال الحرب مستمرة) . ثم وصفت الإستقالة الجماعية مظاهر الفساد الداخلى فقالت عن وضع جمهورية السلال الثانية أنه (وضع إنعدمت فيه المقاييس وفقد فيه النظام وامتهنت القوانين وشاعت الإختصاصات) .

ولعل أخطر ما جاء فى تلك الإستقالة الجماعية إشارتها إلى تزايد السخط الشعبى على دور المصريين فى اليمن ، حيث أشارت إلى أن الأعداء يحاولون تشويه دورهم (ليس فقط فى مناطق العصيان فحسب ، بل وفى المناطق التى كانت تعطى هذا الدور قيمته الوطنية والقومية والإنسانية الكاملة .. وهكذا أصبح هؤلاء الأخوة الأحرار والأبرار .. يتعرضون معنا لقدر كبير من السخط الشعبى ، والتذمر الجماهيرى ، إذ صورهم الأعداء والرجعيون حماة لفساد الوضع) .

كانت هذه الإستقالة مقدمة شكلا إلى الرئيس السلال ومقدمة حقيقة وموضوعا إلى الرئيس جمال ، وكانت صريحة فى تحميله مسئولية حماية الفساد فى الجمهورية الذى تجسد فى حماية أسلوب إدارة الجمهورية الثانية التى تميزت برئاسة السلال الشكلية تحت وصاية العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية .

ولا أدرى ، عندما كنت فى الحكم ، ماذا قلت للسلال ولجمال عبد الناصر أكثر من أننى حذرتهما من نتائج السياسة الخطيرة التى طابت نفس السلال بها ، واستدرج الرئيس عبد الناصر إليها ، مسلما زمام أمرها لعناصره المصرية فى صنعاء ، ثم ظهرت نتائجها بعد عامين فى صورة حرب مستمرة وفساد منتشر فى اليمن ، وغضب متزايد على مصر فى المناطق المؤمنة بالثورة ، والتى كانت تقاتل دفاعا عن الجمهورية ثم لانت إلى السلبية ، وتركت القوات المصرية تحارب وحدها كيف تشاء وتحمى نفسها بمن تشاء .

كان رئيس الوزراء فى ذلك الوقت اللواء حمود الجائفى وبعد أن أعلنت تلك الإستقالة الجماعية استقال الجائفى وتولى رئاسة الوزراء اللواء حسن العمرى نائب رئيس الجمهورية فى ٦ يناير ١٩٦٥ .

وفى أول أبريل ١٩٦٥ اغتيل شهيد اليمن المجاهد الكبير شاعر اليمن الأصيل القاضى محمد محمود الزبيرى ، الذى كانت حياته كلها وقفا على إصلاح اليمن ، وكشف ، وهو الزعيم الزيدى خطر الإمامة الزيدية على الوحدة الوطنية ، وكان إغتياله فى برط بشمال شرق اليمن ، وأتهم السلال الملكيين بإغتياله ، وأعلن القبض على إثنين من المتهمين اللذين هربا بعد ذلك من السجن ، بينما اتهم الملكيون السلال باغتيال الزبيرى قلب اليمن النابض ولسان حالها الفصيح لإتجاهاته السياسية التى عارض بها إسلوب السلال فى الحكم ، ثم إشتراكه فى الإستقالة الجماعية التى نددت بقيادة السلال الشكلية واتهمت مصر بحماية الفساد فى اليمن . (الوثيقة رقم ٤٢)

على إثر ذلك الإغتيال استقال العمرى من رئاسة الوزراء فى ١٧ إبريل ١٩٦٥ .

فأعلن السلال فى ٢٠ إبريل ١٩٦٥ تشكيل مجلس جديد للرئاسة يتولى تخطيط سياسة الدولة والإشراف عليها وتوجيهها برئاسته وعضوية اللواء حسن العمرى نائب رئيس الجمهورية ، والقاضى عبد الرحمن الاريانى ، والشيخ محمد على عثمان رئيس مجلس الشورى ، والشيخ نعمان قائد بن راجح من زعماء القبائل الشمالية . كما كلف الأستاذ أحمد محمد نعمان بتشكيل الوزارة خلفا للعمرى فأعلن تشكيلها يوم ٢٤ إبريل ١٩٦٥ فى ظل السخط الشعبى العام على إغتيال الشهيد الزبيرى ، وجاء فى بيان وزارة الأستاذ نعمان أنها تنوى العمل على بناء جيش وطنى قادر على الدفاع عن البلاد بالإستعانة بالخبراء العرب ، وقد كانت هذه إشارة من الحكومة إلى رغبتها فى تقليل الإعتماد على القوات المصرية لإستعادة الشخصية اليمنية ، الأمر الذى أكدته مرة أخرى إشارة البيان فى مجال العلاقات مع مصر إلى (تنظيم التعاون معها) .

وفى ٢ مايو ١٩٦٥ عقد مؤتمر وطنى فى خمر شمال صنعاء حيث انتخب القاضى عبد الرحمن الاريانى رئيسا للمؤتمر بالإجماع ، وقد اتخذ المؤتمر قرارات كان أهمها (العمل بمختلف السبل والوسائل لإنهاء حالة الحرب وإقرار السلام) .

وهذا ما كنت أسعى إليه مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وهو ما تقرر إبعادى عن منصبى للحيلولة دون تحقيقه . وهكذا وبعد مرور ثلاثين شهرا ، دفنت خلالها عشرات الألوف من الضحايا ، إنعقد مؤتمر خمر ليعلن فى صدر قراراته نفس سياستى

الخارجية التى كانت تستهدف إقرار السلام ، والتى إنقلب عليها السلال عندما أعلن جمهوريته الثانية ، فأى نصر تاريخى أحصل على شرفه أكثر من ذلك ؟ لولا أنه جاء بعد أن خسرنا عشرات الألوف من الضحايا اليمنيين والمصريين والملايين من الريالات اليمنية والجنيهات المصرية ، التى لا أتصور تمويلها كلها من الخزانة السوفيتية .

ومع ذلك كانت قرارات مؤتمر خمر قرارات على ورق ، لا تستطيع أن تأخذ طريقها إلى أرض الواقع ، لأنه فى مجال السياسة الخارجية كان لا بد من إتباع السياسة المصرية المتأثرة بالنصائح السوفيتية .

أما فى المجال الداخلى فقد قرر المؤتمر (العمل على تصحيح الأوضاع فى جميع الأجهزة والدوائر الحكومية بإختيار ألأكفاءالمخلصين ذوى النزاهة والإستقامة) .

ولم ينس المؤتمر تقديم الشكر بإسم الشعب اليمنى لمصر (على ما قدمته من عون للثورة اليمنية والشعب اليمنى) ولو أنه نص فى قراره الثالث على مطالبة رئيس الوزراء بالإهتمام (بتنظيم يحدد العلاقات مع الشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة على هدى قرارات المؤتمر وروحه) و (السعى لإيقاف حالة التوتر فى العلاقات مع الجيران) وكان ذلك إشارة صريحة إلى ضرورة المصالحة مع المملكة العربية السعودية .

وتنفيذا لقرارات المؤتمر أعلن السلال فى ٨ مايو ١٩٦٥ دستورا مؤقتا ثالثا يجعل من سلطات رئيس الجمهورية سلطات شكلية بحكم نصوصه البرلمانية ، علاوة على النص على تشكيل مجلس جمهورى يمارس إختصاصات رئاسة الدولة على أن يختاره مجلس الشورى .

غير أن السلال أعلن بإرادته المنفرده فى ٢٨ يونية ١٩٦٥ تشكيل المجلس الأعلى للقوات المسلحة مخالفا بذلك نص الدستور الثالث المؤقت ، الذى يقضى بأن يتم تشكيل مجلس الدفاع الوطنى بقرار من المجلس الجمهورى وإقتراح مجلس الوزراء ، فأعلن الأستاذ أحمد نعمان إستقالة وزارته فى أول يولية ١٩٦٥ إحتجاجا على خروج السلال على قرارات مؤتمر خمر ، فتولى اللواء حسن العمرى فى ١٤ يولية ١٩٦٥ تشكيل الوزارة مرة أخرى وازدادت حدة الصراع بين رجال اليمن الممثلين للشعب فى مؤتمر خمر ، وبين السلال الذى اتهمه هؤلاء الرجال بأنه ألعوبة فى يد العناصر المصرية فى صنعاء التى أملت عليه ذلك القرار.فسافر إلى إمارة بيحان ، إحدى إمارات جنوب اليمن المحتل ، يوم ٢١ يولية ١٩٦٥ عدد من رجال اليمن البارزين من أعضاء مؤتمر خمر قدرتهم وكالات الأنباء بأنهم سبعة وثلاثون شيخا مع أتباعهم الذين قدرتهم بمائتى رجل .

إنقسم هؤلاء إلى قسمين ، أحدهم وصل إلى بيروت حيث عقد رجال هذا القسم مؤتمرا صحفيا وصفوا فيه أنفسهم بأنهم ممثلو الشعب اليمنى وقالوا (إن اليمنيين لا يحاربون اليوم من أجل الملكيين أو الجمهوريين وإنما يحاربون فى سبيل تطهير أرض اليمن من الجنود المصريين) (صحيفة الحياة البيروتية ٢٧ يولية ١٩٦٥)

بينما ذهب القسم الثانى منهم إلى السعودية حيث أذاع رجاله فى نفس ذلك اليوم بيانا أدانوا فيه تصرفات السلال ، وأعلنوا التمسك بقرارات مؤتمر خمر وبحكومة الأستاذ أحمد محمد نعمان بإعتبارها الحكومة الشرعية فى اليمن ، واعترفوا بما قدمته مصر من عون لدعم النظام الجمهورى ، وأشاروا إلى تقديس الضحايا من شهدائها الأبطال فى اليمن ، وقالوا أنه على الرغم من ذلك (فإن الحقيقة تفرض نفسها علينا جميعا . الحقيقة أن سياسة الرئيس جمال عبد الناصر التى نفذها فى اليمن بوعى أو بغير وعى لم تتجرد من روح التسلط الإقليمى والغرور الشخصى) (كتاب الدور المصرى فى اليمن صفحة ٢٦٧ للأستاذ أحمد يوسف أحمد مدرس العلوم السياسية كلية الإقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة) .

٨

عندما انهارت جمهورية السلال الثانية تأكدت الولايات المتحدة الأمريكية أن مصالحها لم تعد فى خطر نتيجة للتدخل العسكرى المصرى فى اليمن ، بعد أن عجز الإتحاد السوفيتى عن تطويره لصالحه إنطلاقا من قلب اليمن فى إتجاه الشمال ثم الشرق . أما فى إتجاه الجنوب فقد كانت بريطانيا تريد أن ترحل عنه كما كانت تراقب مسار الإستيلاء السوفيتى المنقض على حركة تحرير الجنوب اليمنى ، وإنتزاعها المستمر من يد المخابرات المصرية ، وكانت بريطانيا ترحب بهذا المسار الذى ينتهى بعد رحيلها من جنوب اليمن إلى قيام حكم فوضوى ماركسى يتحدى زعامة عبد الناصر ، ويبرر دور جديد لبريطانيا فى صورة رجل شرطة مهذب يحمى دول الخليج من إنتشار الفوضى من اليمن الجنوبية إلى منابع بترولها الغنية ، ومواقعها الإستراتيجية .

وبذلك تتخلص بريطانيا داهية السياسة العالمية من تكاليف إحتلالها وحكمها فى عدن وجنوب اليمن ، لتقبض عائدات حمايتها المظهرية التى تمنحها لدول الخليج .

تلك الحماية المظهرية التى يرتفع ثمنها فى سوق الإستعراضات العسكرية ، مع إرتفاع الشعارات الماركسية فى جنوب اليمن ، والشعارات الناصرية فى شمال اليمن ، إلى جانب حرارة تهديدات السلال بالحرب على الرجعية فى الجزيرة العربية .

كانت سياسة بريطانيا تمثل آخر ما توصلت إليه تكنولوجيا السياسة العصرية .

وبزوال الخطر عن مصالح أمريكا فى العالم العربى ، وعثور بريطانيا على الكنز الناصرى فى اليمن ، الذى يملأ خزائنها من الخليج ، اتفق الرأى الأمريكى البريطانى على الترحيب بإستمرار الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، حتى يستمر المارد المصرى محبوسا فى تلك المصيدة المحكمة القضبان ، التى لا يستطيع أن يخرج منها ولا يطيق أن يبقى فيها .

أما الإتحاد السوفيتى فقد كان حريصا كل الحرص على إستمرار توريط الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، حتى يخلق كوادر يمنية شيوعية ، كما يخلق المجال لقيام قوة عسكرية مصرية ضاغطة على زعامة عبد الناصر السياسية ، فتتمكن العناصر المصرية ذات العلاقات السوفيتية من الإستيلاء على الزعامة المصرية فى الوقت الذى تنتظره روسيا ويساق إليه عبد الناصر .

لقد تأكد لأمريكا وبريطانيا أن عبد الناصر لا يستطيع أن يرهن قواته فى اليمن إنتظارا لنصر حاسم مستحيل ، ولا يستطيع أن يسحبها من اليمن فيتعرض لهزيمة سياسية أمام السعودية . فظهرت النظرية الأنجلوأمريكية التى تقول (تحمل نتائج عملك) التى شرحها بادو فى كتابه (التوجه الأمريكى للعالم العربى) صفحة ١٤٧ .

واكتفت أمريكا بالإستمرار فى حرمان مصر مما قيمته مائة مليون دولارا أمريكيا كمعونة فقررت الإستمرار في إيقافها كقضيب إقتصادى ، ضمن قضبان النزيف المالى والعسكرى وبقية القضبان الفولاذية ، التى أحكمت جدران المصيدة العسكرية السوفيتية للزعامة الناصرية من الخليج إلى المحيط .

كانت الولايات المتحدة فى ذلك الوقت تعيد حساباتها السياسية عندما تبينت أنها أخطأت فى الإعتراف بالجمهورية اليمنية فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ أملا فى تحقيق الإستقرار فى الجزيرة العربية ، بينما نجح السوفييت فى الإطاحة بسياسة السلام فى هذه المنطقة عندما نجحوا فى إخراج البيضانى من الحكم فى ١٩ يناير ١٩٦٣ أى بعد شهر واحد من هذا الإعتراف الأمريكى وقبل أسبوع واحد من مشروع الإعتراف البريطانى . ثم وقع إغتيال الرئيس الأمريكى جون كنيدى فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ الذى تسرع فى الإعتراف بالجمهورية اليمنية . أى بعد أقل من عام من ذلك الإعتراف الذى أعلن السلال فى أعقابه مباشرة الحرب على حكام الجزيرة العربية ، وأوقف عب الناصر خلاله عودة قواته من اليمن بناء على وعود خروشوف ، الذى زار بعد ذلك مصر فى ٩ مايو ١٩٦٤ وأكد تأييده لمصر فى دورها الكبير (فى تقديم المساعدات الأخوية للشعب اليمنى لرد الإعتداءات الإستعمارية) ثم اتبع خروشوف هذه الزيارة بتعليقات سوفيتية تؤيد إشتراكية عبد الناصر التى (أصبحت مقبولة من أصحاب المنهج الماركسى اللينينى) (الدور المصرى فى اليمن لأحمد يوسف أحمد صفحة ٣٢٧) .

وكان موقف مصر فى ذلك الوقت متناقضا فى ذهن الولايات المتحدة الأمريكية ، إذ أنه فى الوقت الذى كانت جحافل النفوذ السوفيتى تعتلى فيه ظهر السفينة العسكرية المصرية لتحتل مواقعها الأمامية فى الجزيرة العربية ، كان عبد الناصر إنطلاقا من قناعاته الوطنية والقومية ينادى بتصفية القواعد العسكرية الأمريكية ، والبريطانية ، ليس فقط من العالم العربى ، عندما كان يطالب بتحرير ليبيا فى ٢٢ فبراير ١٩٦٤ ، وإنما من القارة الإفريقية كلها عندما هاجم فى ٢٤ نوفمبر ١٩٦٤ التدخل الأمريكى فى الكنغو ، مما أدى إلى إحراق المكتبة الأمريكية فى القاهرة ورفض الحكومة المصرية الإعتذار عن هذا الحادث ، حتى قال الرئيس الأمريكى جونسون للسفير المصرى فى واشنطن (كيف يمكننى أن أطلب القمح لكم من الكونجرس بينما تحرقون مكتبتنا فى القاهرة) وكان الكونجرس يدرس فى تلك الأيام طلب الحكومة الأمريكية تجديد معونة القمح لمصر .

ثم بلغت ذروة المأساة فى العلاقات المصرية الأمريكية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٤ عندما أسقطت القوات الجوية المصرية طائرة رجل أعمال أمريكى بسبب دخولها المجال الجوى المصرى بطريق الخطأ ، فطلب الرئيس جونسون من الرئيس عبد الناصر التحقيق فى

الحادث ، وكان من سوء الطالع أن ذهب فى اليوم التالى وزير التموين المصرى السيد كمال رمزى استينو لسؤال السفير الأمريكى عن معونة القمح ، وكان السفير عائدا لتوه من معاينة حطام الطائرة وجثة قائدها الصديق الشخصى لجونسون ، فقال السفير إن الوقت غير مناسب لمفاتحة الرئيس الأمريكي بشأن معونة القمح . وأجمعت المصادر على أن هذه الرواية نقلها رئيس الوزراء على صبرى إلى جمال عبد الناصر بعد أن حرفها وزعم أن السفير الأمريكى رد على وزير التموين بقوله (إننا لا نستطيع بحث موضوع القمح لأننا لا نستسيغ سلوككم) .

أبلغ على صبرى هذه الرواية المحرفة إلى الرئيس عبد الناصر وهو فى طريقة إلى بورسعيد لإلقاء خطابه بمناسبة عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٤ فرد فى ذلك الخطاب على السفير الأمريكي بقوله (أنا باقوله إللى سلوكنا مش عاجبه يشرب من البحر وإللى ما يكفهوش البحر الأبيض بنديله الأحمر يشربه كمان .. إللى يكلمنا أية كلمة بنقطع له لسانه) (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر – القسم الخامس صفحة ١٠٤ – ١٠٥) .

وكان رد الفعل الأمريكى المباشر على خطاب الرئيس هو تأجيل إرسال الجزء الباقى من شحنات الأغذية الأمريكية وقيمته سبعة وثلاثون مليون دولارا ، كان قد تم الإتفاق بشأنه قبل بلوغ العلاقات المصرية الأمريكية إلى ذروة المأساة .

ومع انهيار العلاقات المصرية الأمريكية فى نهاية ١٩٦٤ ، وإستحالة إحراز القوات المصرية فى اليمن نصراً حاسما ، نتيجة للأسباب السابق شرحها فى هذا الكتاب ، عاد الرئيس عبد الناصر إلى الإقتناع بأنه لا مفر من البحث عن حل سياسى للخروج من المصيدة العسكرية فى اليمن ، رغم أن القيادة العسكرية فى اليمن كانت ترى غير ذلك .

فقد كانت فى مطلع ١٩٦٥ تطالب بالسماح لها بحرية العمل العسكرى داخل الأراضى السعودية ، متصورة أن ذلك هو الحل الوحيد والسعيد لإحراز النصر الحاسم ، وكان ذلك غاية ما تحلم به السياسة السوفيتية التى ظهرت بصماتها فى هذه المطالبة ، التى لا تتفق مع أبسط بديهيات الظروف الموضوعية التى تحيط بها .

ويقول محمد حسنين هيكل فى (شهادة الوثائق من التاريخ القريب والحى) (إن عدد القوات المصرية مع بداية أغسطس ١٩٦٥ قد بلغ سبعين ألف جنديا وإن القيادة العسكرية المصرية قد حددت يوم ٧ سبتمبر ١٩٦٥ للعمل داخل الأراضى السعودية وأن عبد الناصر قد وافقها على ذلك مع إحتفاظه لنفسه بالحق فى إيقاف هذه العملية قبل موعد تنفيذها بثمان وأربعين ساعة .) .

أراد عبد الناصر أن يرضى القيادة العسكرية المصرية فلا يصطدم معها ، كما أراد أن يستخدم التصعيد العسكرى الذى ينوى أن يتبعه بتصعيد إعلامى للضغط على السعودية ، حتى يصل معها إلى حل سياسى ومخرج مشرف من المأزق العسكرى .

التقى عبد الناصر بالأمير فهد الذى وصل إلى القاهرة فى ٣٠ مايو ١٩٦٥ على رأس الوفد السعودى للإشتراك فى مؤتمر رؤساء الحكومات العربية ، وأثناء ذلك اللقاء نوقشت فكرة لقاء الرئيس عبد الناصر والملك فيصل عندما يتوقف يوما للإجتماع به فى القاهرة فى طريقه إلى الجزائر لحضور المؤتمر الأفريقى الأسيوى ، غير أن المؤتمر لم ينعقد .

ثم التقى الرئيس عبد الناصر بالسيد عمر السقاف وكيل الخارجية السعودية يوم ٢٠ يولية ١٩٦٥ لبحث مشكلة اليمن ، وبعد ذلك اللقاء بيومين إثنين أعلن عبد الناصر فى ٢٢ يولية ١٩٦٥ فى خطابه بمناسبة الإحتفال بعيد الثورة المصرية أن (الوضع الطبيعى بعد ضبط النفس لمدة طويلة لا بد أن يتطور إلى صدام مع السعودية لتصفية قواعد العدوان ذاتها) .

وسافر إلى السعودية الدكتور حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس عبد الناصر يوم ٢٩ يولية ١٩٦٥ فى مهمة تتعلق بنفس هذا الموضوع ، ثم عاد إلى القاهرة سفير السعودية فى ٨ أغسطس ١٩٦٥ يحمل رد الملك فيصل حيث استقبله الرئيس عبد الناصر فى ١١ أغسطس ١٩٦٥ وبعد مراسلات مع الملك قرر الرئيس السفر إلى جدة .

وتدل سياق هذه المقابلات وتدفق هذه الأحداث على أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد وصل إلى ذروة الشوق إلى الحل السياسى ، الذى سبق أن كنت قد توصلت إليه عن طريق تنمية العلاقات الودية مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كوسيطين صاحبى مصلحة حقيقية فى إستمالة السعودية نحو الإعتراف بالجمهورية اليمنية ، وعودة القسم الأكبر من القوات المصرية مع أكاليل الغار والفخار والإنتصار ، وترك القوات المدرعة والطيران المصرى فى اليمن ، مع بناء جيش يمنى من المتطوعين اليمنيين لحماية الجمهورية اليمنية وحدها ، ولا شأن لهذا الجيش اليمنى بجيرانها ، فأبعدونى عن الحكم عندما رفضوا ما وصفوه وقتئذ بأنه (الحل السياسى الإنهزامى) واختاروا (الحل العسكرى العنترى) ، وأبعدونى مع (الحل الممكن) وانتحروا على صخرة (الحل المستحيل) .

وعلى صخرة الحل المستحيل اجتمع الرئيس عبد الناصر يوم ١٩ أغسطس ١٩٦٥ مع السلال والعمرى والاريانى ونعمان وغيرهم من قيادات الجمهورية اليمنية ليطلعهم على أسباب قرار سفره إلى جدة للإتفاق مع الملك فيصل على حل المشكلة اليمنية .

لم يكن أمام الرئيس عبد الناصر حل آخر غير الاتفاق مع الملك فيصل ، لأنه تحت راية جمهورية السلال الثانية وجدت مصر أنها تحارب وحدها فى اليمن ، وإن قادة الجمهورية اليمنية مشغولون فى الصراع فيما بينهم على السلطة ، مشدودون من قمة رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم إلى مخلفات عصر الإمامة ، غير مبالين بدماء المصريين ولا مقدرين صمود السعوديين .

وأغلب الظن أن الرئيس عبد الناصر لم يجتمع بقادة الجمهورية ليطلعهم على نيته ، وإنما ليتخذ منهم ورقة فى حواره مع الملك فيصل ، من أجل الحفاظ على كرامة مصر أكثر من الحفاظ على جمهورية اليمن .

تلك الجمهورية التى عجزت صنعاء أن تقرر مصيرها فى اليمن ، فانتقل هذا القرار إلى أولياء الأمر فى كل من القاهرة والرياض .

٩

وصل الرئيس عبد الناصر إلى جدة فى ٢٢ أغسطس ١٩٦٥ وبصحبته عدد من المسئولين المصريين والأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، الذى كان قد أفرط فى إهانة المملكة العربية السعودية والملك فيصل بألفاظ لم تتعودها الخلافات العربية ، بينما كان هيكل الناطق بإسم الرئيس عبد الناصر والمتحكم فى وسائل الإعلام المصرية . ولما لاحظ الرئيس عبد الناصر أن الملك فيصل لم يصافح هيكل قال الرئيس للملك (أقدم لجلالتك الأستاذ محمد حسنين هيكل وهو سوف يكف عن مهاجمة السعودية) فقال الملك (إننى لم أسمع عنه ولم أقرأ له) . وبعد حوار استمر ثلاثة أيام اتفق الرئيس عبد الناصر مع الملك فيصل على إتفاقية عرفت بإسم إتفاقية جدة ، جردت الجمهورية اليمنية من ثوبها الجمهورى ، وحطمت كيانها الدستورى ، حيث نصت على إجراء استفتاء شعبى ليختار الشعب نوع الحكم الذى يرتضيه لنفسه ، فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ واعتبرت الفترة الباقية حتى ذلك التاريخ فترة إنتقالية ، بحكم ما نصت عليه المادة الأولى من هذه الإتفاقية .

ونصت المادة الثالثة على أن يجتمع مؤتمر فى مدينة حرض يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ يتكون من خمسين عضوا يمثلون جميع القوى الوطنية (الجمهورية والإمامية) من أهل الحل والعقد ، لتقرير طريقة الحكم فى فترة الإنتقال وحتى إجراء الإستفتاء الشعبى .

كما نصت الإتفاقية على أن تقوم المملكة العربية السعودية على الفور بإيقاف عمليات المساعدة العسكرية بجميع أنواعها واستخدام الأراضى السعودية للعمل ضد اليمن ، وأن تقوم الجمهورية العربية المتحدة بسحب كافة قواتها العسكرية من اليمن فى ظرف عشرة أشهر إبتداء من يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ (أى موعد أقصاه ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦) وهذا بيت القصيد والهدف الرئيسى الذى سعى إليه عبد الناصر كحل مشرف .

فإذا ما أرادت القيادات اليمنية الجمهورية أن تثبت وجودها خلال تلك الفترة وحتى يوم الإستفتاء فإنها تصبح جديرة بالقيادة الجمهورية ، ويكون ذلك ميلادا جديدا لها ، ونصرا سياسيا لمصر لأنه تحقق بفضلها . أما إذا فشلت وسقطت الجمهورية فإن سقوطها لا يكون هزيمة عسكرية لمصر لأنه يحدث فى غيابها .

كان رهان عبد الناصر إما أن تبقى الجمهورية فيظفر بالنصر السياسى ، وهو أمل عظيم يتطلع إليه ، وإما أن تسقط الجمهورية بغير هزيمته العسكرية وهذا أمر واقع يرضى به ، فى ظل المعطيات اليمنية المتاحة والصراعات الدولية التى بالغ بعض أصحابه فى التقليل من حجمها ، بينما سعى البعض الآخر إلى تصعيدها فى اليمن للقفز على زعامته فى مصر .

تحرك الجمهوريون وتشكل فى ٤ سبتمبر ١٩٦٥ مجلس جمهورى جديد برئاسة السلال وعضوية حسن العمرى وعبد الرحمن الاريانى ومحمد على عثمان وأحمد محمد نعمان وحمود الجائفى وتحدثوا عن تشكيل جيش شعبى من خمسين ألف مقاتل .

انعقد مؤتمر شعبى فى منطقة الجند بالقرب من تعز فى يومى ٢٠ و ٢١ أكتوبر ١٩٦٥ أعلن التمسك بالوحدة الوطنية والنظام الجمهورى واستبعاد أسرة الإمام المخلوع من حضور مؤتمر حرض .

وتأكيدا لإصرار الرئيس عبد الناصر على نجاح مؤتمر حرض ، فى الوصول إلى حل يعطى مصر الفرصة فى إعادة قواتها من اليمن ، استدعى الرئيس عبد الناصر الرئيس السلال قبل شهر من إنعقاد المؤتمر وحجزه فى مصر ومنعه من العودة إلى اليمن ، حتى لا يكون وجوده فيها أثناء إنعقاد المؤتمر عاملا مخيبا لعزيمة الجمهوريين ، الذين يبحثون عن نموذج للجمهورية ، ولا دافعا مثيرا لحفيظة الملكيين الذين يبحثون عن مخرج من الإمامة .

وطبقا لاتفاقية جدة انعقد مؤتمر حرض فى موعده يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ ، وتبادل الجمهوريون والملكيون التحفظات على عضوية المؤتمر . فبينما تحفظ الجمهوريون على المساواة بين الجانبين (خمسة وعشرون من كل جانب) ثم على وجود أحد أفراد أسرة الإمام المخلوع ، تحفظ الملكيون على عدم وجود ثلاثة من الجمهوريين المنشقين داخل الوفد الجمهورى ، ووجود أغلبية شافعية داخل هذا الوفد الجمهورى ، لأنه ضم أربعة عشر شافعيا من مجموع أعضاء هذا الوفد البالغ عددهم خمسة وعشرين .

وكان هدف الملكيين من إعتراضهم على الأغلبية الشافعية فى الوفد الجمهورى أن يثبتوا ولاء أغلبية القسم الزيدى للنظام الإمامى ، مستدلين على ذلك بأن الحكومة الجمهورية لم تطمئن إلى ولاء عدد كاف من أهل الحل والعقد من الزيود ، لتستكمل بهم نصف أعضاء الوفد الجمهورى . ولو كان الأمر لى لاخترت معظم أعضاء الوفد الجمهورى من الزيود لأن القتال كان يدور فى مناطقهم بينما كانت أغلبيتهم الساحقة مؤيدة للنظام الجمهورى . ولذلك أعتقد أن الذين اختاروا أغلبية أعضاء الوفد الجمهورى من الشوافع قد أخطأوا خطأ تاريخيا فاحشا .

اختلف أعضاء المؤتمر على معظم الأمور وفشل المؤتمر لسبب آخر يخفى عليهم بينما كان أهم كثيرا من الأسباب التى اختلف عليها الجمهوريون والملكيون ، ذلك لأن الرئيس عبد الناصر بعد أن وقع على إتفاقية جدة ذهب إلى الإتحاد السوفيتى بناءً على دعوة وجهت إليه . وفى أثناء هذه الزيارة التى تمت قبل إنعقاد مؤتمر حرض تعهد

الإتحاد السوفيتى للرئيس عبد الناصر بتقديم العون المالى لأى مزيد من الإلتزامات العسكرية فى اليمن . وقد أعلن الرئيس فى خطاب ألقاه فى إفتتاح دور الإنعقاد الثالث لمجلس الأمة يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥ أن زيارته لموسكو (أسفرت .. عن تفاهم يوفر على الشعب المصرى ما لا يقل عن مائتى مليون جنيها) .

وإذا كان بعض الماركسيين يحاولون استبعاد اتفاق الرئيس عبد الناصر مع الإتحاد السوفيتى بعد توقيعه على إتفاقية جدة من بين عناصر فشل مؤتمر حرض فإنه من أمانة البحث العلمى أن يتذكر الباحث سياق الأحداث ، ويعود بالذاكرة إلى وقت أن بدأت أفواج القوات المصرية تعود من اليمن فى يونية ١٩٦٣ ولاذ معها السلال إلى مصر ، فذهب على أثر ذلك المشير عامر إلى موسكو بناءً على دعوة من خروشوف تلقاها على يد على صبرى ، وعندما عاد من موسكو توجه إلى اليمن مع السلال الذى لم يطمئن إلا بالعودة معه ، وعندما وصل صنعاء أعلن الحرب على الرجعية وحكام الجزيرة العربية ، بعد أن أشعل المشير عامر نار التصعيد العسكرى المصرى فى اليمن وأعاد القوات المصرية إليها . كل ذلك يشير إلى أنه كلما فكرت مصر فى الخروج من اليمن تحركت موسكو إما بدعوة المشير عامر أو بدعوة الرئيس عبد الناصر لإعادة مصر إلى اليمن مرة أخرى

وإذا كان المشير عامر قد حصل من موسكو سنة ١٩٦٣ على عشرين مليون جنيها فقط ، فقد حصل عبد الناصر على مائتى مليون جنيها سنة ١٩٦٥ . لا سيما أن هذه المساعدات أو القروض ليست سوى القرارات أو البيانات المعلنة ، أما الإتفاقيات السرية فإنها قد تبلغ أضعاف تلك القيمة ، وقد تنصب على ما هو أكثر من القيم المالية عندما تتطرق إلى الإستراتيجية الدولية ، أو تمس الإتفاقات الثنائية فى مجالات معينة يعطيها كل طرف من الأطراف أهمية خاصة فى جدول إهتماماته الأساسية .

على أى حال إن ظاهرة قيام موسكو بتوجيه دعوة عاجلة إلى القيادات المؤثرة فى مصر لزيارة موسكو كلما اتجهت مصر إلى إعادة قواتها من اليمن ، ثم عدول مصر عن إعادة قواتها من اليمن فى أعقاب زيارات القيادات المصرية لموسكو أمر يستحق التأمل .

أغلب الظن عندى أن فشل إتفاقية جدة يرجع فى المقام الأول إلى رغبة الإتحاد السوفيتى فى بقاء القوات المصرية فى المصيدة السوفيتية فى اليمن .

وهذا لا يعنى أننى كنت أتمنى نجاح مؤتمر حرض ، بل أحمد الله على فشله لأن نجاحه قبل أن يشتد عود القيادة الجمهورية فى صنعاء كان يمكن أن يؤدى إلى إنهيار النظام الجمهورى ، فتغرق اليمن فى حرب أهلية شاملة حتى ينبثق النظام الذى يفرضه توازن التيارات الأجنبية فى غياب القيادة الجمهورية الصلبة .

ولا شك عندى فى أن الحل السعيد فى اليمن كان يقتضى من قادة الجمهورية أن يعتمدوا على أنفسهم ، بعد أن يوحدوا صفوفهم ويستفيدوا من الوجود العسكرى المصرى بعد ترشيد حجمه وتحديد سلطانه ، ولأمانة العرض التاريخى يجب القول أن هذا الحل السعيد لم يكن متوقفا على الاختيارات اليمنية فحسب بل كان فى حاجة إلى تغيير شامل فى أسلوب العناصر المصرية التى كانت قد انفردت بمسئولية الحكم فى اليمن .

في مناخ النزيف المالي في اليمن تولى السيد زكريا محيي الدين رئاسة الحكومة المصرية في سبتمبر ١٩٦٥ فاضطر إلى رفع أسعار بعض السلع لمواجهة تكاليف السياسة الخارجية المصرية ، وكان في رأيه (أن الاستنزاف المستمر لموارد مصر يعتبر في النهاية وسيلة لتحقيق أهداف أعداء النظام المصري في أضعافه) كما كان يقول (إن عينه في ذلك الوقت كانت على فيتنام حيث تعرضت القوات الأمريكية لظروف تشبه الظروف التي تعرضت لها القوات المصرية ، ولذلك طالب بتخفيض القوات المصرية إلى أقل عدد ممكن على أن تحتل فقط مثلث تعز صنعاء الحديدة لتخفيض الأعباء ، طالما أنه ليس هناك نهاية محدودة للقتال في اليمن) (أحمد حمروش في قصة ثورة ٢٣ يولية . عبد الناصر والعرب صفحة ٢٦٢) .

مع فشل مؤتمر حرض في نوفمبر ١٩٦٥ بدأ الملك فيصل يدعو إلى التضامن الإسلامي ، فقام مع بداية ديسمبر ١٩٦٥ بسلسلة من الزيارات للدول الإسلامية ، مما أثار حفيظة الرئيس عبد الناصر لأنه هدد زعامته السياسية ، فرد عليه الملك في حديث صحفي حول الدعوة الإسلامية في ٢٠ نوفمبر ١٩٦٦ وقال أن :

(هذه الدعوة ليست موجهة ضد أحد وليست موجهه ضد عبد الناصر ، بل أن عبد الناصر من كبار زعماء المسلمين ، ومن ثم فلا يمكن لدعوة من أجل التضامن الإسلامي أن تكون موجهه ضده ، وإذا كان يعتبرها كذلك فهو على خطأ .. أما إذا كانت التيارات الإلحادية العالمية ومن يسير وراءها تريد أن تتخذ من هذه الدعوة وسيلة للحد من نشاطنا في مجال الدعوة الإسلامية العقائدية فقد خاب فألها ، لأننا بإذن الله قادرون على مجابهة هذه التيارات الهدامة) (الوثائق العربية سنة ١٩٦٦ صفحة ٩٥) .

وكان الملك فيصل يرد في ذلك الحديث الصحفي على حديث الرئيس عبد الناصر الذي أجراه يوم ٧ فبراير ١٩٦٦ مع صحيفة أزفستيا السوفيتية يهاجم فيها الدعوة إلى التضامن الإسلامي (المرجع السابق صفحة ٤٨٨) .

كان تقدير عبد الناصر لهذه الدعوة الإسلامية أنها مجرد امتداد لمحاولات الدول الإستعمارية لإقامة أحلاف عسكرية تابعة لها ، وقد شرح الرئيس علاقة الدعوة السعودية إلى التضامن الإسلامي بمشروعات هذه الأحلاف في خطابه الذي ألقاه يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٦ الذي كاد يقتصر على مهاجمة دعوة الملك فيصل الإسلامية ، التي وصفها الرئيس بأنها (ترمي إلى تطويق حركة القومية العربية المعادية للاستعمار) (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الخامس صفحة ٥٠٤) .

تزايدت شكوك الرئيس عبد الناصر من تحركات الملك فيصل التي اقترنت بتعاقده على صفقات أسلحة بريطانية وأمريكية . وبالرغم من عدم نجاح دعوة الملك فيصل فإن الرئيس عبد الناصر أخذ يعيد حساباته في اليمن ليضيف إليها عاملا جديدا ، هو التصدي لما وصفه بالتحركات الإستعمارية على المستوى الدولي والإقليمي ، وبذلك تراجع الإهتمام بحماية حكومة الجمهورية اليمنية إلى المرتبة الثانية من الاهتمامات المصرية .

ومما زاد حماس الرئيس عبد الناصر لتوسيع ساحته العسكرية الخارجية الطعم البريطانى الذى قدمته إليه بريطانيا للاستفادة من استراتيجية حجزه فى المصيدة السوفيتية فى اليمن ، وذلك حين أعلنت فى ٢٢ فبراير ١٩٦٦ أنها لاتنوى الاحتفاظ بقاعدة عدن فى أعقاب استقلال جنوب اليمن الذى كان مقررا له حداً أقصى عام ١٩٦٨ فأعلن عبد الناصر فى نفس ذلك اليوم أن القوات المصرية سوف تبقى فى اليمن إلى ما بعد عام ١٩٦٨ . وقد أعلن عبد الناصر ذلك فى نفس الخطاب الذى هاجم فيه دعوة الملك فيصل الإسلامية . (المرجع السابق) مما أعطى الدليل على أن الوجود المصرى فى اليمن لم يعد يرتبط بتثبيت الجمهورية اليمنية ، وإنما يستهدف محاولة وضع الجزيرة العربية تحت السيادة المصرية لحساب الإستراتيجية السوفيتية وهذا ما كانت تتطلع بريطانيا إلى إثباته . وعندما أدرك الرئيس عبد الناصر أنه قد تورط عندما تبرع بتقديم هذا الدليل إضطر إلى محاولة نفيه فى حديث لاحق مع مندوب صحيفة الجارديان البريطانية حيث نفى أن تكون لديه نية فى (أن تنزل القوات المصرية إلى عدن والجنوب اليمنى ثم تتجه يسارا إلى الخليج وتستولى على البترول وتضعه تحت النفوذ الروسى) (الأهرام ٢٠ يولية ١٩٦٦) .

أغلب الظن أن هذا النفى من جانب الرئيس لم يصادف إقتناعا لدى الدول الغربية ، التى كانت تستدرج عبد الناصر حتى تقضى على ما كان يمثله من نفوذ سوفيتى يسعى إلى السيطرة على الجزيرة العربية ، فقد جاء ذلك النفى بعد أن صرح الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر صحفى عقده فى الإسكندرية يوم ٧ مايو ١٩٦٦ بحضور الرئيس اليوغسلافى تيتو قائلا بكل وضوح (إن السؤال الآن ليس هو اليمن وإنما مستقبل الجزيرة العربية كلها . إن السعودية بمعونة الدول الإستعمارية تريد أن تخضع الجزيرة كلها لنظام إقطاعى) (الأهرام ٨ مايو ١٩٦٦) .

أعلن الرئيس بذلك التصريح أنه قد قرر فك الإرتباط بين الوجود العسكرى المصرى فى اليمن وبين تثبيت الحكومة الجمهورية فى صنعاء ، وجعله يشمل التصدى المصرى للدول الإستعمارية فى كل الجزيرة العربية .

فى تقديرى أن العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية التى كان يهمها توريط عبد الناصر فى اليمن للإنقضاض على زعامته فى مصر كانت قد استخلصت من تحليلها لشخصيته أن كان مفرطا فى الثقة بقدرته الذاتية ، سريع الإستجابة للإنفعالات العاطفية بغير حساب للعوامل الدولية وظروفه الموضوعية ، فصورت له أن حماية زعامته من الحصار البريطانى الأمريكى السعودى الأردنى وبقية دول الجزيرة العربية تقتضى الإحتفاظ على مواقعه العسكرية الأمامية فى اليمن ، لكسر هذا الحصار والتصدى لكل أولئك وهؤلاء فى عقر دارهم ، فى الساحة العربية ، خوفا من إنتقال ساحة هذا التصدى إلى عقر داره هو ، فى الساحة المصرية .

هكذا أقنعوا عبد الناصر ..

وهكذا أصبح مبدأ عودة القوات المصرية من اليمن لا يرتبط بإستقرار النظام الجمهورى فى صنعاء ، كما لا يرتبط بوقف المساعدات السعودية لأعداء هذا النظام وإنما (ببساطة أصبح منطق وجود القوات المصرية لا ينبع من اليمن فحسب ولكن من خارجها أيضا) (الدور المصرى فى اليمن - مرجع سابق صفحة ٤١٩) .

١٠

فوجىء الرئيس عبد الناصر خلال شهرى يونية ويولية ١٩٦٦ بوثائق يمنية وقع عليها عشرات الألوف من رجالات اليمن ، وسلموها إلى السفارة المصرية فى صنعاء ، تطالب بعودة عبد الرحمن البيضانى إلى اليمن ولم تذكر شيئا عن عودة السلال ، الذى كان قد حجزه عبد الناصر فى مصر قبل ذلك بعشرة أشهر منذ أكتوبر ١٩٦٥ ، ولم يحقق من حجزه فى مصر أى هدف فى اليمن فى مجال مواجهة التحديات الإمامية ، التى تساندها التحديات الدولية ، لا حبا فى الإمامة ولا بغضا للجمهورية ، وإنما دفاعاً عن مواقع إستراتيجية ، ومنعا من سقوط الجزيرة فى قبضة الإستراتيجية السوفيتية .

عثرت بين أوراقى الخاصة على صور من بعض هذه الوثائق (الوثيقة رقم ٣٦) ويبلغ عدد الموقعين عليها ١١٧٥ رجلا من رجالات اليمن الغيورين على تثبيت أركان الجمهورية وتطوير أوضاعها الإقتصادية والإدارية ، المتطلعين إلى تحقيق السلام والاستقرار فى اليمن .

كتب الموقعون فى صدر هذه الوثائق نصا مشتركا فى ألفاظه ولا يختلف إلا فى إسم المنطقة التى ينتمى إليها الموقعون على تلك الوثائق المتعددة ، وجاء فيه مايلى :

(خطاب مفتوح إلى سيادة رائد القومية العربية سيادة الرئيس جمال عبد الناصر حرسكم البارى أمين .

نعم يا صاحب السعادة أنت تفهم تدهور الموقف فى اليمن ، وأنت المخاطب الأول والأخير ، ونحن الموقعين أسماءنا من (الحجرية) نطالب بإعادة الدكتور عبد الرحمن البيضانى ، الملايين من الشعب تطالب بعودة عبد الرحمن البيضانى . أن الكبير والصغير والذكر والأنثى يريدون الدكتور البيضانى والله على ما نقول وكيل) .

ثم توالت التوقيعات .

دعانى عبد الناصر لزيارته وسألنى بحضور المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات عن مدى إستعدادى للعودة إلى اليمن ، فقلت أنه إذا كان أحد فى اليمن يطالب بعودتى فلأنه قد ضاق ذرعا بالأوضاع القائمة فيها ، وينتظر منى أن أعيد المسار الجمهورى إلى

فلكه اليمنى الوطنى العربى ، الذى كنت قد بدأته عندما كنت فى السلطة عقب قيام الثورة ، والذى انقلب عليه السلال وأسس على أنقاضه جمهوريته الثانية ، بكل متناقضاتها وسلبياتها ونتائجها المدمرة ، التى أهلكت اليمن وأساءت إلى مصر .

فإذا كان المطلوب منى أن أعود إلى اليمن ، تحقيقا لأمانى من طالبوا بعودتى ، فإن ذلك يلزمنى أن أقوم بتغيرات جذرية فى السياسة الداخلية والخارجية والعسكرية ، بالقدر الذى يعيد الأوضاع اليمنية إلى مقومات الجمهورية اليمنية الأولى قبل أن ينقلب عليها السلال ، وإلا فأننى لن أكون عند حسن ظن أحد فى اليمن ولا فى منزلة الناصح الأمين فى مصر .

قلت للرئيس أننى أتبادل الزيارات ، بصفة تكاد تكون يومية ، مع السلال الذى أدرك خطأه عندما إنقلب على صديقه ونائبه ، الذى يمنحه كل الحب والإخلاص ، حتى وصف السلال ما فعله معى عندما استجاب لمن نصحوه بأنه قطع يده اليمنى بيده اليسرى .

أوضحت للرئيس عبد الناصر أنه ليس عندى أى مانع من العودة إلى اليمن ، وأن يعود السلال معى وفقا لخطة سياسية داخلية وخارجية وعسكرية ، نتفق عليها فى القاهرة قبل أن نعود إلى صنعاء .

سألنى الرئيس عن مضمون هذه الخطة قلت أننى أرى أن نعيد للجمهورية سيرتها الأولى بعد أن تلقف ما يأفكون .

سألنى الرئيس عن خطتى فى التصدى للاستعمار والرجعية قلت أنه بعد خروج الإنجليز بمحض إختيارهم وإرادتهم من عدن والجنوب اليمنى المحتل ، كما أعلنوا ذلك فى ٢٢ فبراير ١٩٦٦ وهو نفس ما أكدوه لى عندما كنت فى السلطة أيام الجمهورية اليمنية الأولى ، فلن يكون هنالك استعمار فى جنوب اليمن .

أما المصالح البريطانية والأمريكية فاننى شخصيا لا أفهم لماذا نضيع جهود وطاقات اليمن ومصر فى التصدى لها ، بعد أن أصبحت مجرد مصالح تجارية تتم وفقا لاتفاقيات ثنائية مع حكومات الدول المعنية .

لقد انتهى شعار الإستعمار بعد زوال الإحتلال العسكرى الذى يقوم بفرض الكيانات السياسية بقصد إعتصار مواردها الاقتصادية ، كما كانت بريطانيا تفعل أثناء أحتلالها العسكرى لمصر عندما كانت تشترى القطن المصرى بأبخس الأثمان وتبيع لها المنسوجات البريطانية بأغلاها ، وتحتكر قناة السويس وتتحكم فى الملاحة البحرية فى المياه المصرية ، وتفرض عليها الظروف الإقتصادية التى تجعلها سوقا للمنتجات البريطانية .

هذه الصورة القديمة قد أكل عليها الدهر وشرب ، وأصبح إحتلال بريطانيا لعدن يكلفها أكثر من عشرين مليون جنيها إسترلينيا سنويا لمجرد حماية موقع إستراتيجى يخدم المصالح البحرية التى يمكن تحقيقها بوسائل أخرى أكثر قبولا وبغير تكلفة .

قلت للرئيس إننا لن نحرم بريطانيا من حرية الملاحة فى عدن كما لم تحرمها مصر من حرية الملاحة فى قناة السويس .

سألنى الرئيس عن الرجعيين اليمنيين من رجال بريطانيا فى عدن والجنوب اليمنى ، الذين تسعى بريطانيا إلى تسليمهم الاستقلال وضرب ثورة العناصر التقدمية اليمنية فى الجنوب .

قلت إن المهم عندى هو حصول الجنوب اليمنى على الاستقلال ، لأنه بعد ذلك يستطيع أن يقرر مصيره وفقا لإرادته الحرة ، وله أن يحتفظ بهذا الاستقلال أو ينضم إلى اليمن الأم ، كما يستطيع بعد الاستقلال أن يختار نظامه السياسي ومنهاجه الاقتصادى ، وفى وسع هذه العناصر التقدمية أن تؤثر فى هذا الاختيار دون أن أرهق إمكانيات اليمن الشمالية وطاقاتها المجهده فى فرض شعارات معينة فى الجنوب غير مقبولة فى الشمال .

سألنى عن السعودية فذكرته بوعود الولايات المتحدة الأمريكية التى قطعتها على نفسها ، عندما اتفقت معها على الاعتراف بالجمهورية اليمنية ، ووعدتنى بالسعى لدى المملكة العربية السعودية لوقف مساعداتها لأعداء الجمهورية ، فى مقابل الإنسحاب التدريجى للقوات المصرية ، وكنا قد اتجهنا فعلا نحو بلوغ هذا الهدف لولا قذائف التصريحات النارية التى أطلقها رئيس المجلس التنفيذى المصرى السيد على صبرى بعد هذا الاعتراف الأمريكى بنحو أسبوعين اثنين فقط ، فقلده السلال فى اليوم التالى وأعلن التعبئة اليمنية العامة والحرب الشاملة على السعودية وحكام الجزيرة العربية .

قلت للرئيس عبد الناصر أن السلام له طريق ، والحرب لها طريق .

وأننى كرجل اقتصاد أعرف أن الاقتصاد لا يزدهر إلا فى مناخ السلام ، ولذلك جاهدت من أجله وتحملت ما تحملت فى سبيله ، وأننى إذا كنت قد توليت ذات يوم قيادة المعارك العسكرية فقد كان ذلك بقصد الدفاع عن الجمهورية ، وما دامت قد لاحت فى الأفق وسائل سلمية للدفاع عنها فيجب أن نمسك السلاح ، ونتمسك بهذه الوسائل السلمية ، لأن الحرب لم تكن أبدا هى الغاية السعيدة ، وإنما كانت الوسيلة الكريهة التى كتبت علينا ، ولهذا رفضت رتبة الفريق أول الذى أراد السلال أن أحملها لأننى كنت أتطلع بفارغ الصبر إلى إلقاء السلاح للبدء فى الإصلاح .

سألنى عن التعاون مع المسئولين اليمنيين ، قلت أنهم يجب أولا أن يكونوا مسئولين حتى يكونوا يمنيين ، الأمر الذى لا يتحقق إلا إذا مارس كل منهم مسئوليته إنطلاقا من إحساسه بيمنيته ، وليس إستنادا على تبعيته .

قلت للرئيس أن اليمنيين فى حاجة إلى نصائح مصرية أكثر وتوجيهات عسكرية أقل .

ذكرت للرئيس أننى أخطأت حين قبلت أن أكون النائب الوحيد لرئيس الجمهورية ، فهمس الأعداء فى أذن السلال زاعمين أننى كنت صاحب مصلحة شخصية فى الإنقضاض عليه ، كما صرخوا فى أذن الزيود أنه إذا ، لا قدر الله ، ذهب السلال الزيدى قام البيضانى الشافعى ليحكم اليمن ، كل اليمن .

وهذا ما لم يخطر على بالى ولم أسمع عنه إلا بعد أن تمكن منى الدب الروسى وغدر بى السلال اليمنى .

ولذلك فإننى أقترح إختيار أحد الزيود ليكون النائب الأول لرئيس الجمهورية ، وأن يكون ذلك الرجل هو القاضى عبد الرحمن الاريانى حتى نرضى تطلعه إلى الرئاسة تحت راية الثورة ، ونتفادى نشاطه ضدها تحت شعار السلام ، وهو على كل حال من أصدق المتمسكين بالنظام الجمهورى المستميتين فى الدفاع عنه ، وإن كان عيبه الرئيسى أنه يتطلع إلى الرئاسة . ولا يهتم بغيرها .

وأكملت سرد ما كان يجول فى خاطرى من أفكار تستهدف توحيد الصف الجمهورى فى نظام يرأسه السلال ، ويكون فيه نائبه الأول القاضى الاريانى ويختص بشئون القبائل ، وأكون نائبه الثانى واختص بالشئون السياسية والإقتصادية ، ويتولى الفريق حسن العمرى منصب نائب رئيس الجمهورية لشئون الأمن الداخلى ، واللواء حمود الجائفى نائب لرئيس الجمهورية للشئون العسكرية ، والأستاذ أحمد محمد نعمان منصب نائب الرئيس لشئون مجلس الشورى والإدارة المحلية . ولننسى الماضى ونبدأ صفحة المستقبل .

اعترض المشير عامر على الفريق العمرى ووصفه بأنه سريع الغضب متوتر الأعصاب ، واعترض السادات على الأستاذ نعمان ووصفه بأنه يميل إلى استبدال الجمهورية بدولة إسلامية ، وهو ما كانت تدعو إليه السعودية . وقالا أنهما يعرفان رأى السلال فى العمرى ونعمان كما يعرفان مدى استحالة التفاهم فيما بينه وبين الاريانى والجائفى .

قلت أن الموقف لا يحتمل مجاملة زيد أو ملاطفة عمرو ، فاليمن قد تمزقت أوصالها وتوترت أعصابها وتفرقت فيها أيدى سبأ ، بعد أن تركت القوات المصرية تحارب وحدها بغير أمل ممكن ، وتضرب الرأس فى جبل هدف مستحيل ، فى ظروف إقليمية ملتهبة ، تقترب فيها أعواد الثقاب الدولية من براميل البارود العربية .

فى مثل هذه الظروف المهيئة للاشتعال الشامل فى كل لحظة تمر بها ينبغى علينا أن نعمل فورا على تفادى الحريق ، وإزالة كل العقبات من هذا الطريق .

طال الحوار الذى لم يضق به صدر الرئيس ، وانتهى تناول طعام الغذاء على مائدته فى استراحته الصيفية بشاطىء المعمورة بالإسكندرية ، وتحمل المشير عامر مسئولية التفكير فى إيجاد الصيغة المناسبة لعودة السلال والبيضانى إلى اليمن ، فى إطار الاستفادة الممكنة من الاريانى والعمرى ونعمان مع التسليم بأهمية عودة اللواء حمود الجائفى إلى اليمن .

وبينما كنت أتأهب للعودة إلى اليمن زارنى أنور السادات ، وقال أن الرئيس عبد الناصر استخلص من التقارير التى وصلت إليه أخيرا من اليمن أن المجموعة الحاكمة فى صنعاء تعارض فى عودة السلال إليها ، وتنذر بإسقاط طائرته إن هى حلقت فوق مطار

صنعاء لتدفنه تحت أرضها وكان على رأس هذه المجموعة الحاكمة الفريق حسن العمرى عضو مجلس الرئاسة ورئيس مجلس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ، الذى كان يسانده فى هذه المعارضة القاضى عبد الرحمن الاريانى عضو مجلس الرئاسة ، والأستاذ أحمد محمد نعمان العضو الثالث فى ذلك المجلس ، وكان من خلف هؤلاء معظم أعضاء مجلس الوزراء وعدد من قادة أسلحة الجيش اليمنى .

استحسن الرئيس عبد الناصر أن أتأخر فى القاهرة حتى يعود السلال إلى اليمن ويواجه خصومه الشخصيين بمساعدة القوات المصرية حيث ينبغى ألا أظهر على مسرح صراع شخصى لم أكن طرفا فيه .

لم يزعجنى رأى عبد الناصر وإنما أزعجتنى التقارير التى وصلت إليه من صنعاء ، لأنها تدل على أن المسئولين المصريين لم يشرحوا للمجموعة الحاكمة فى صنعاء مدى خطورة الموقف الذى يحيط باليمن ومصر والأمة العربية ، ولم يوضحوا لها أن المتغيرات اليمنية والعربية والدولية تقتضى إعادة الحسابات السياسية لتوحيد الصفوف الجمهورية ، ولم يطلعوا هذه المجموعة على تفاصيل النظام الجديد الذى سوف تتوزع فيه المسئوليات على نواب رئيس الجمهورية توزيعا حقيقيا لا صوريا . قال السادات أن المشير عامر يؤيد السلال فى عدم التعاون مع العمرى والجائفى ولذلك لم يضغط عليه حتى يقبل النظام الجديد المقترح ، لا سيما أنه شخصيا ، أى السادات ، لا يرى فائدة من إسناد أى منصب إلى نعمان ، أما الاريانى فإنه لن يرضى بغير إزاحة السلال ، ولا يستطيع الجائفى أن يتواجد فى اليمن بينما لا تطمئن القيادة المصرية فى اليمن إلى شخص عسكرى يزاحم السلال ، وأضاف السادات بأنه ينصحنى شخصيا بالتريث فى مصر كما نصحنى عبد الناصر .

فهمت بكل وضوح أن المشير عامر ، الذى كان صاحب الأمر فى اليمن وضابط الأيقاع فى مصر ، يفضل أن يحرك الأحداث فى اليمن برجل واحد لا ينطق إلا بلسان المشير ، ولا يتحرك إلا بمشيئته بغير نائب يستعرض قدراته ولا رئيس وزراء يناقش قراراته .

أطلعنى السادات على أسرار التقارير التى وصلت من اليمن إلى الرئيس عبد الناصر ، وكانت خلاصتها أن المجموعة اليمنية الحاكمة فى صنعاء اتجهت إلى إحراج الوجود المصرى فى اليمن بالمطالبة العلنية والرسمية بإعادة القوات المصرية إلى مصر .

لم تفاجئنى هذه الأسرار لأنها كانت نتائج طبيعية وحتمية لسلوك بعض العناصر المصرية المتحكمة فى الشئون اليمنية خلال الأربع سنوات التى انقضت منذ قيام الثورة .

لقد أسهمت هذه العناصر ، عن عمد ، فى تفتيت صفوف الثوار اليمنيين ، وجعلتهم يشعرون بأنهم غرباء فى بلادهم متطفلون على إدارة شئونها ، فضاق صدرهم بالوصاية المصرية فلم يبالوا بسقوط الجمهورية ، بعد أن سقطت عنهم الشخصية اليمنية والوطنية .

١١

سافر السلال إلى صنعاء يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٦ وتحركت مدرعات الفريق العمرى إلى المطار لإسقاط الطائرة المصرية التى كانت تحمل السلال إلى اليمن .

وبناء على تعليمات المشير عامر تحركت القوات المصرية إلى نفس ذلك المطار بقيادة اللواء طلعت حسن قائد تلك القوات فى ذلك الوقت ، ووجهت إنذارا إلى الفريق العمرى بسحب مدرعاته من المطار ، فاضطر العمرى إلى الاستجابة لطلبات اللواء طلعت حسن الذى كان مكلفا بأن يحافظ على شكل الصف الجمهورى فى صنعاء تحت رئاسة السلال المنفردة ، والمستأنسة .

وفشلت جهود طلعت حسن وظهرت نوايا السلال الإنتقامية ، المستندة إلى العناصر المصرية المؤثرة واتجه السلال إلى الفتك بالفريق العمرى وبقية أعضاء مجلس الرئاسة ، الذين عارضوا عودته إلى اليمن وأضمر شرا للقيادات العسكرية اليمنية التى وقفت خلف العمرى وزملائه ، مما اضطرهم جميعا إلى مغادرة صنعاء والإلتجاء إلى مدينة تعز .

واصلوا فى تعز الليل بالنهار باحثين عن أفضل رد فعل من جانبهم تجاه القوات المصرية ، التى فرضت عودة السلال إلى اليمن حتى يعود إلى الإنفراد بالسلطة رغم أنفهم .

قال بعضهم أنهم ينبغى عليهم السفر إلى الأمم المتحدة لتقديم شكوى ضد الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، الذى أصبح يدير الشئون الداخلية للجمهورية علاوة على التحدث بإسمها فى مجال العلاقات الدولية ، والزج بها فى صراعات عالمية وعربية لا تتفق مع المصلحة اليمنية وظروفها الموضوعية .

ورأى أحدهم السفر إلى بيروت لعقد مؤتمر صحفى يشرحون فيه شكواهم من القيادة العسكرية المصرية .

واقترح آخرون الاكتفاء بالسفر إلى مدينة أسمرة بالصومال وترك اليمن للسلال .

وفى حديث خاص مع الأستاذ أحمد محمد نعمان قال لى أن (القاضى عبد الرحمن الاريانى أقترح السفر إلى مصر للتفاهم مع المشير عامر فإذا أقنعوه عادوا إلى صنعاء وإذا فشلوا فى إقناعه أقاموا فى القاهرة ، ولم يوافق الاريانى على التشهير بالوجود العسكرى فى اليمن إحتراما للشهداء المصريين ووفاءاً لجمال عبد الناصر) .

وإننى أصدق رواية نعمان لأن هذه فعلا طبيعة وذكاء الاريانى .

طلبوا من اللواء طلعت حسن طائرة مصرية تنقلهم إلى القاهرة ، حيث وصلوا إليها يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٦ ولم يجدوا مصريا رسميا واحدا ينتظرهم فى المطار ، وهم أعضاء المجلس الجمهورى ورئيس وزراء اليمن وقائد عام قواتها المسلحة ومحافظ تعز ونحو خمسين رجلا من الوزراء وقادة أسلحة الجيش اليمنى ، فذهب كل منهم إلى المكان الذى اختاره لإقامته .

ومضى أسبوع دون أن يلتقى بهم مسئول مصرى حتى جاءهم فى مساء يوم الجمعة ١٦ سبتمبر ١٩٦٦ رسول يقول لهم أن المشير عامر يريد مقابلتهم ، فذهبوا جميعا إليه إلا الأستاذ أحمد نعمان الذى أراد أن يطلق السياسة بغير رجعة ، حيث لا تتحمل أعصابه المغامرات العنيفة ولا يتسع صدره للمراهنات الخطيرة .

عندما وصلوا إلى حيث قادهم الرسول عرفوا أن الذى ينتظرهم هو السيد شمس بدران وزير الحربية وليس المشير عامر ، فرفض الفريق العمرى أن يدخل إلى مكتبه ، وعاد إلى بيته وكان بصحبته القاضى الاريانى ، أما الآخرون فكانوا قد سبقوا إلى مقاعدهم أمام مائدة شمس بدران التى وضع عليها إحدى الصحف اللبنانية التى كتبت مقالا بغير توقيع تعلن فيه قرب قيام إنفصال يمنى ضد الوجود المصرى على غرار الإنفصال السورى ضد الوحدة المصرية السورية ، ولنفس أسباب ذلك الإنفصال ، وهى قيام القيادة المصرية بتجريد اليمن من شخصيتها الوطنية ، كما سبق أن جردت سوريا من شخصيتها السورية مركزة كل غضبها على شخص المشير عامر .

وجه شمس بدران السؤال إلى الحاضرين عن إسم صاحب المقال ، ولما بدأ عضو مجلس قيادة الثورة العقيد على سيف الخولانى فى شرح الموقف أسكته شمس بدران بألفاظ عنيفة اضطرته إلى الخروج من القاعة ، فتبعه جميع الحاضرين وتوجهوا إلى مبنى السفارة اليمنية ، وذهب بعضهم إلى بيت الأستاذ أحمد محمد نعمان .

وبينما كانوا يفكرون فى مغادرة القاهرة جاءهم رسول آخر فى نفس تلك الليلة يدعوهم إلى مقابلة المشير ، فذهب معهم هذه المرة الأستاذ نعمان حيث وجدوا أنفسهم داخل السجن الحربى وجها لوجه أمام العميد حمزة البسيونى ، الذى قاد عددا منهم إلى زنزانات ضيقة لا يكاد طولها يتسع لأحدهم إن هو مد ساقه حتى آخرها .

وتفرق الخمسون الآخرون على بقية السجون ، التى لا تمتاز على السجن الحربى إلا بأنها تستضيف النشالين واللصوص والجواسيس وتجار المخدرات .

ولعل كلمات الاريانى قد شفعت له فاكتفى شمس بدران بحراسته فى بيته ومنعه من مغادرة القاهرة .

كان شمس بدران قد سيطر على السلطة فى مصر باسم المشير ثم استولى على المشير باسم المشير حتى أصبح صاحب القرار الأول والأخير .

كان الذين سجنهم شمس بدران فى مصر لا يزالون هم القيادات الرسمية فى اليمن ، فهم أعضاء مجلس الرئاسة الحاكم ورئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ، وعدد من الوزراء والقيادات العسكرية ، وعندما تبين شمس بدران هذه الحقيقة نفخ فى السلال من روحه حتى أصدر يوم ١٨ سبتمبر ١٩٦٦ قرارا بإلغاء مجلس الرئاسة وإقالة وزارة العمرى وتشكيل وزارة جديدة برئاسته شخصيا .

حزنت أشد الحزن عندما سمعت ذلك الخبر ، لأننى لا أوافق مصر على إعتقال قيادات اليمن مهما اختلفت مصر معهم فى الرأى .

لا شك فى أن هذه القيادات نفسها قد أخطأت خطأ وطنيا قاتلا حين أقرت إعتقالى فى مصر سنة ١٩٦٣ فأعطت لمصر شرعية إعتقالهم سنة ١٩٦٦ .

غير أننى لم أحمل عليهم ميلا إلى الانتقام والتشفى ، وإنما حملت لهم قمة الغضب من أجلهم ، وأخذت أطرق الأبواب سعيا إلى الإفراج عنهم ، ربما لم يكن ذلك حبا جارفا لهم ، وإنما كان دفاعا مستميتا عن شخصية اليمن ، وحفاظا أمينا على تاريخ مصر .

ذهبت فورا إلى السادات كى يذهب معى إلى عبد الناصر سعيا وراء إقناعه بالإفراج عنهم ، فقال السادات إن المشير عامر قد سبقنا إلى عبد الناصر وأبلغه بأن السلال أرسل إلى مصر يطلب تسليمهم إليه وأن المشير قد وافق على ذلك ، حتى يقوم السلال بإعدامهم فى صنعاء بتهمة الخيانة العظمى ، فرفض عبد الناصر واكتفى ببقائهم فى السجون إلى أن تعود القوات المصرية من اليمن ، عندما تستطيع أن تعود منها ، ونصحنى السادات بألا أفتح ذلك الموضوع مع عبد الناصر لأن الأسباب السياسية والمبررات الوطنية والقواعد القانونية التى استند إليها قد تضاعف من حيرة عبد الناصر ، فيوافق على رأى المشير عامر ويسلمهم إلى السلال .

وفى مؤتمر شعبى عقده السلال فى تعز يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٦٦ ألقى خطابا ناريا أعلن فيه (ثورة عارمة على كل من يحاول المساس بالثورة والجمهورية .. وأنه لا بد من إكتساح كل عميل) وكان ذلك إشارة واضحة إلى الفريق العمرى والأستاذ نعمان وزملائهما المسجونين فى القاهرة . (الأهرام ٣٠ سبتمبر ١٩٦٦) . كما أعلن فصل الأستاذ محسن العينى من منصبه كرئيس لوفد اليمن فى الأمم المتحدة وسفيرها فى واشنطن ، وإسماعيل الجرافى مندوب اليمن فى الجامعة العربية ، والدكتور محمد سعيد العطار رئيس مجلس إدارة البنك اليمنى للإنشاء والتعمير ، ومصطفى يعقوب سفير اليمن فى القاهرة ، ومحمد أحمد نعمان السفير اليمنى المتجول ، علاوة على فصل ٧٢ من موظفى الدولة المدنيين و ٤٢ من القيادات العسكرية كما اعتقل أكثر من ألفى معتقل حتى ضاقت بهم السجون اليمنية .

لم يكن مع السلال ولا المخابرات المصرية دليل واحد يدين القيادات الجمهورية بأنها تآمرت عليها ، وأخص بالذكر القاضى عبد الرحمن الاريانى والفريق حسن العمرى اللذين لا جدال فى أنهما من المدافعين عن الجمهورية ، وعن الشخصية اليمنية واعترف بأننى أؤيدهما فى ذلك وبغير أى تحفظ .

وفجأة أعلن السلال إعادة جنسيتى ثم تعيينى سفيرا فى لبنان .

أراد السلال أن يرضينى بهذا القرار ويسعد أصدقائى من أبناء الشعب اليمنى ، على أساس أن الفريق حسن العمرى الذى وقع على قرار سحب جنسيتى لاتهامى ظلما بالطائفية قد دخل السجن فى مصر ، ومطلوب إعدامه فى صنعاء لارتكابه جريمة الخيانة الوطنية ، وكثيرا ما كان السلال ينفى مسئوليته عن قرار سحب جنسيتى الذى اتخذه العمرى أثناء غيابه عن صنعاء ، وكثيرا ما كنت أقول للسلال أن ذلك القرار غير ذى أثر لأنه جاء مخالفا للنصوص الدستورية وصدر فى ظروف عصبية ، وكنا جميعا قد نسينا ذلك القرار وزارنى الفريق العمرى مع المشير السلال فى بيتى بالقاهرة عشرات المرات ، عندما كانا يزوران مصر فى زياراتهما التى لم تتوقف قبل أن يذهب كل منهما إلى طريق ، فلم يكن هناك أى داع لإصدار قرار بعودة هذه الجنسية التى لم تسحب فعلا ، فضلا عن ثقتى فى شعور العمرى نحوى (الوثيقة رقم ١) .

غير أن السلال الذى لم يحلم فى الإسكندرية بأن يصل ذات يوم إلى صنعاء قد وجد نفسه مفروضا على قلبها ، جاثما فوق صدرها ، فى حماية العناصر المصرية التى اصطدمت مع سياسة البيضانى فى اليمن ، ثم ضاقت ذرعا بالعمرى والاريانى ونعمان وبقية القيادات العسكرية والسياسية اليمنية ، فالتقت مع عودة السلال إلى الإنفراد بالسلطة الشكلية ، تاركا لها مقاليد الحكم الحقيقية ، واتفقت معه على إعلان عودة جنسيتى اليمنية إرضاء للذين طالبوا بعودتى إلى حكم اليمن ، ثم إعلان تعينى سفيرا فى لبنان إرضاء لعبد الناصر الذى كانت رياح الصداع – الذى لم يكن يفارق رأسه – تهب عليه من بيروت .

وأذكر أننى أسفت لسياسة السلال ، وأشفقت على مستقبل اليمن ، وأدركنى اليأس من قدرة عبد الناصر على الابتعاد بمصر عن مسار الكارثة ، التي كانت معالمها الواضحة لا تحتاج إلى برهان ، وكانت خطوطها المستقيمة تنتهى حتما إلى البركان .

أعتذرت للسادات عن عدم قبولى العمل سفيرا للسلال ، فأجهد نفسه فى إقناعى بأن ذلك عمل مؤقت حتى تمر الأزمة السياسية فى صنعاء ، ولا أكون مسئولا عن المعتقلين اليمنيين فى مصر . وعندما بلغ إلى علم السلال إعتذارى عن قبول ذلك المنصب أصدر قرارا بتعيينى رئيسا للوفد اليمنى فى الاحتفال بثورة الجزائر ، وطلب منى إقناع الرئيس هوارى بومدين بعدم مساعدة الجزائر للعناصر اليمنية التى انشقت عن الجمهورية ، وكان على رأسها سفير اليمن المتجول الأستاذ محمد أحمد نعمان ، بينما كانت زوجتى تعانى من مرض مفاجيء ألزمها الدخول إلى غرفة الإنعاش بمستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، وكان ذلك سببا وجيها للإعتذار عن السفر إلى الجزائر ، غير أن الدكتور حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس عبد الناصر أقنعنى برغبة الرئيس بضرورة سفرى إلى هوارى بومدين للقيام بهذه المهمة الوطنية العاجلة مؤكدا أن مصر ، بعد الله ، سوف تتولى العناية بزوجتى فى المستشفى .

سافرت على رأس الوفد اليمنى إلى الجزائر ونجحت مهمتى مع الرئيس هوارى بومدين وأرسلت عنها تقريرا إلى السلال وتوقفت فى القاهرة معتذرا عن السفر إلى لبنان فأرسل إلى السلال خطابا شخصيا ونصه :

صنعاء فى ١٩٦٦/١١/١٥

عزيزى الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضانى

تحية طيبة وتقديرا لكم ولعلكم بخير ، أما بعد فقد تلقيت بوافر السرور والشكر تقديركم عن مهمتكم الجليلة فى الجزائر . وقد تأملت التقرير ببالغ الاهتمام والتقدير ، وإنى لأشعر بأنك أديت لبلادك وشعبك خدمة عظيمة بإلقاء مزيد من الأضواء على قضيتنا ، وتبديد الظلمات التي يحاول المنحرفون أن يحبطوا بها مصالح ومستقبل البلاد .

وقد كنت واثقا من نجاحك فى هذه المهمة ، ومازلت واثقا من قدرتك الدائمة على مواجهة أى نوع من المهمات يسند إليك .

وختاما أتمنى لكم دوام التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله

رئيس الجمهورية

عبد الله السلال



رئيس الجمهورية

صنعاء في ١٩٦٦/١١/١٥

عزيزي الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضاني

تحية طيبة وتقديرا لكم ولعلكم بخير
أما بعد فقد تلقيت بوافر السرور والشكر
تقديركم عن مهمتكم الجليلة في الجزائر. وقد
تأملت التقرير ببالغ الاهتمام والتقدير،
وإني لأشعر بأنك قد أديت لبلادك
وشعبك خدمة عظيمة بإلقاء مزيد من
الأضواء على قضيتنا، وتبديد الظلمات
التي يحاول المنحرفون أن يحبطوا بها مصالح
ومستقبل البلاد. وقد كنت واثقا
من نجاحك في هذه المهمة، ومازلت
واثقا من قدرتك الدائمة على مواجهة
أي نوع من المهمات يسند إليك.
وختاما أتمنى لكم دوام التوفيق،
والسلام عليكم ورحمة الله

رئيس الجمهورية

عاد السادات يقنعنى بالسفر إلى لبنان تنفيذا لرغبة الرئيس عبد الناصر الذى طلب منى التصدى للتيارات المعادية لمصر واليمن ، والتى تنطلق من بيروت التى وصفها عبد الناصر بأنها (طنجة العربية) أى مركز المؤامرات الدولية ، فاقتنعت بذلك بعد أن أمر الرئيس عبد الناصر بأن أستخدم جميع إمكانيات السفارة المصرية فى بيروت ، واشترطت أن يكون عملى هناك عملا مؤقتا ينتهى بتحقيق أهدافه فى ذلك الموقع الأمامى من خطوط الدفاع العربية .

ابتعدت ، كما نصحنى عبد الناصر والسادات ، عن مسئولية ما كان يجرى فى اليمن على يد السلال وبإسمه من تدهور مستمر فى السياسة الاقتصادية الخارجية ، وتهور فى السياسة الداخلية من إعتقالات وتعذيب وتصفيات جسدية حيث طارد ، قبل أن ينتهى عام ١٩٦٦ ، معظم القيادات اليمنية الجمهورية ، إما فى السجون المصرية أو المعتقلات اليمنية ، وإما فى الجبال محاولا إرهابهم ثم قتلهم ، ولم يبق معه مؤيداً لهذه السياسة سوى عبد الله جزيلان الذى تولى مطاردة من بقى على قيد الحياة من الضباط الأحرار الذين اشتركوا فى القيام بالثورة ، حتى يصفى معهم حساباته الشخصية القديمة التى جعلتهم لا يشركونه فى الإعداد لها والإطلاع على أسرارها . فعندما لاحت له فرصة تصفية هذه الحسابات تصفية جسدية اتهمهم بخيانة الثورة وهم الذين قاموا بها ، ووصفهم بالتآمر على الجمهورية وهم الذين قاتلوا من أجلها ، واستغل عدم معرفة القيادة العسكرية المصرية شيئا عن أدوارهم الثورية الحقيقية فاستعدا ها عليهم ، واستخدم إمكانياتها لإزهاق أرواحهم ، وكان فى مقدمة المغضوب عليهم النقيب حمود بيدر والنقيب على الجائفى والنقيب عبد الكريم السكرى والنقيب عبد الله السكرى وغيرهم من الزعماء الثوريين الجمهوريين أمثال الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر والأستاذ على المطرى والشيخ محمد الغشمى ، وكانوا جميعا محتمين فى الجبال ، بينما تتولى قوات الأمن المركزى نهب بيوتهم وإهانة ذويهم وإهدار كرامتهم ، حتى أن الشيخ محمد الغشمى ذهب ينوب عنهم إلى العقيد أركان حرب صلاح المحرزى ، الذى كان المشير عام قد وافق على إرساله إلى اليمن قائدا لمنطقة ضوران ، التى على بعد أربعين كيلو مترا شمال صنعاء يبلغه بأن تلاميذه السابقين والضباط الثوار الحاليين والهاربين فى الجبال من غدر السلال وبطش القوات المصرية ، التى غرر بها جزيلان ، يريدون الإحتماء به والشكوى إليه والاستعانة بشهادته بأنهم ضباط الثورة وحماة الجمهورية وتلاميذ البعثة العسكرية المصرية .

حزن المحرزى عندما سمع ذلك الخبر واستدعى بعضهم ليعرف منهم تفاصيل قضيتهم ، وبينما كان مجتمعا بهم فى ضوران وصله أمر من القيادة المصرية فى صنعاء بالقبض عليهم تنفيذا لطلب صدر من نائب رئيس الوزراء عبد الله جزيلان ، فشرح المحرزى للقيادة المصرية حقيقة ما كان يحيط بهذا الموضوع من بواعث شخصية ، لا تتفق مع مصلحة الجمهورية والسياسة المصرية ، وسافر إلى صنعاء والتقى بالقائد العام اللواء طلعت حسن الذى اقتنع بما سمعه من صلاح المحرزى ، وكلفه بأن يزور عائلاتهم فى صنعاء لتقديم الضمانات اللازمة لحمايتهم وتعويضهم عما وقع عليهم . وتولت الشرطة العسكرية المصرية حماية بيوتهم .



المؤلف عند وصوله إلى لبنان سفيراً للجمهورية العربية اليمنية (نوفمبر ١٩٦٦) .

وعندما عاد العقيد صلاح المحرزى إلى منطقة قيادته فى ضوران جاءه النقيب على الجائفى ومعه رسالة من الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر والنقيب حمود بيدر تؤكد ولاءهما للثورة والجمهورية ، مما لا يحتاج إلى تأكيد بصرف النظر عن إنقلاب السلال وغدر جزيلان ، وقدم إليه ورقه بخط يد جزيلان يكلف فيها أحد المجرمين باغتيال النقيب حمود بيدر (سفير اليمن فى ألمانيا الشرقية حاليا) الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا لأركان حرب القوات الجمهورية المسلحة .

كانت هذه الورقة سببا فى هروب النقيب حمود بيدر إلى عدن ، ثم وصوله إلى سوريا ، وعندما بلغ ذلك إلى علم المشير عامر أرسل إلىّ خطابا فى بيروت يطلب منى البحث عن حمود بيدر وإبلاغه تحيات المشير ودعوته للإقامة فى القاهرة ضيفا عزيزا على الحكومة المصرية ، تقديرا لدوره البطولى فى قيام الثورة ودوره الشجاع فى الدفاع عنها .

وأحمد الله أننى عثرت بسهولة على حمود بيدر وأبلغته رسالة المشير عامر ، التى على أثرها وصل إلى القاهرة ضيفا عزيزا عليها ، غير أن برقية أخرى وصلتنى من بيروت تتضمن معلومات مفزعة عن وقوع عمليات تعذيب رهيبة راح ضحيتها عدد من شيوخ ورؤساء القبائل وعلماء اليمن ، ومن بينهم رفيق السلاح أحمد ناجى العدينى ، الذى حبسوه فى زنزانة مظلمة فى أحد السجون الموحشة وعلقوه من قدميه وألقوا عليه الماء المغلى بأوامر مشددة من عبد الله جزيلان نائب رئيس الوزراء ومساعدة بعض العناصر المصرية ، مما جعلنى أسرع بإرسال إستقالتى برقيا إلى المشير عبد الحكيم عامر الذى كان المسئول الفعلى عن حكم اليمن .

أرسلت هذه الإستقالة بواسطة السيد محمد كوثر المستشار السياسى بالسفارة المصرية فى بيروت وهو المسئول عن الإتصالات الرمزية مع الجهات العليا فى القاهرة (أمين برئاسة الجمهورية المصرية حاليا) . أوضحت فيها للمشيير عامر أننى سوف أقوم بتسليم مهام السفارة اليمنية فى لبنان إلى وزيرها المفوض الأستاذ على عبد الحق .

جاءنى الرد فى نفس اليوم بتوقيع الدكتور حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس عبد الناصر ، يبلغنى بأن المشير عامر ينتظرنى فى بيته فى اليوم التالى ، ويطلب منى التريث فى موضوع الإستقالة .

وصلت فى الموعد المحدد إلى بيت المشير عامر بصحبة الدكتور حسن صبرى الخولى وأطلعت المشير على ما وصلنى من اليمن ، وما جعلنى عاجزا عن تمثيل هذا النظام فى الخارج والقيام بأى عمل مفيد فى الداخل ، مما يفرض علىّ العودة إلى بيتى فى القاهرة .

قال المشير أنه سوف يأمر بالتحقيق فورا فى هذه الأعمال غير الإنسانية ، وطلب من الدكتور حسن صبرى الخولى أن يتولى ذلك التحقيق شخصيا ، لما عرف عنه من دقة فى إستخلاص الحقائق ونزاهة فى إبداء الرأى .

ومع بداية عام ١٩٦٧ إكتمل الإنهيار الذريع للوجود المصرى فى اليمن ، واتضح للعالم أن المصيدة السوفيتية قد أغلقت قضبانها على عنق الزعامة المصرية ، ولم يبق أمامها بعد ذلك سوى ضربة الرحمة الأخيرة التى ترحم رأسها المستلقى فى مصر .

وجاءت اللمسات الأخيرة بضربة الرحمة هذه فى صورة إجراءات وقرارات وخطب وبيانات ، روجت لها قوى الشرق التى كانت تحمل السيف ، فأقتربت برقبة الزعامة المصرية من قوى الغرب ، التى كانت تحرس المقصلة .

من دروس الأزمة

إن كثيرين لم يتكلموا حين كان
واجبهم يقضى عليهم أن يتكلموا
ومن هنا فلسوف يبقى أهم الضمانات
فى نظرى أن يكون فى الوطن دائمًا
ذلك الفرد المؤمن الذى يقول كل
ما يريد قوله، حتى إذا أعطى رأسه
ثمنًا لإيمانه

١٨ نوفمبر ١٩٦٨ جمال عبد الناصر

سيف الشرق ومقصلة الغرب

الفصل السادس عشر



تطور الموقف المصرى فى اليمن تطورا خطيرا حين أفصح الرئيس عبد الناصر عن نيته العسكرية فى الزحف على السعودية تحديا للولايات المتحدة الأمريكية ، فتبينت أمريكا أن سياسة (تحمل نتائج عملك) التى مارستها - بنفس طويل - مع عبد الناصر قد بدأت تتطور لصالح الإتحاد السوفيتى ، مما أعتبرته أمريكا خروجا على توازن اللعبة الدولية فى الجزيرة العربية .

اتضح لأمريكا أن سياسة النفس الطويل التى مارستها مع عبد الناصر فى اليمن قد أعطت نفسا أطول للإتحاد السوفيتى فى الجزيرة العربية ، فقررت أن تختصر الطريق الذى يعيد عبد الناصر إلى الحياد الإيجابى الذى كان أحد أقطابه ، فضاعفت من ضغوطها الإقتصادية على مصر ، وكانت تعلم علم اليقين أن الإتحاد السوفيتى لم يكن يمول سوى جزء يسير من نفقات الحملة المصرية فى اليمن وتطلعاتها فى الجزيرة العربية ، وأن شعب مصر من جماهير العمال والفلاحين هو الذى كان يدفع معظم ثمن هذه الحملة وتوسعاتها ، بينما كان فى حاجة إلى معونة القمح الأمريكى أكثر من حاجته إلى معونة السلاح الروسى ، الذى يستهدف أولا وأخيرا أن يسيطر على الساحة العربية ، تحت راية القضية الفلسطينية أحيانا ، وبإسم الثورة اليمنية أحيانا ، وفى ثياب التقدمية والإشتراكية والتصدى للإمبريالية فى كل الأحيان .

استثمرت أمريكا تفاقم المشكلة الإقتصادية فى مصر ، واشترطت لتقديم معونة القمح شروطا تعرف مقدما أن عبد الناصر لا يقبلها حتى أضطرته إلى أن يقول فى ٢٢ فبراير ١٩٦٧ أن (الإستجابة للشروط الأمريكية من أجل إمدادات القمح لا تعنى فى النهاية سوى الخضوع الكامل للأمريكيين) (مجموعة خطب الرئيس - القسم السادس صفحة ٦٣ - ٦٤) .

واستعرض الأستاذ محمد حسنين هيكل عبقريته الفذه ، وحكمته الملهمة ، فى مقال كتبه فى صحيفة الأهرام يوم ٢٤ فبراير ١٩٦٧ يشرح ما رد به على الفريد فريندلى رئيس تحرير واشنطن بوست الأمريكية ، حول أسباب تدهور العلاقات الأمريكية المصرية فقال :

(إنه تأييدكم الدائم للرجعيين العرب ، فبالفعل كنتم دائما وراءهم بالتأييد بل كنتم فى كثير من الأحيان قبلهم بالتمهيد ، وفى كل الأحوال كان التخطيط والأهداف النهائية أهدافكم ، وهم على أى حال أصدقاؤكم وأن كانوا فى النهاية يصبحون ضحاياكم ، وبكل ما تمثلونه فإن صداقتكم أصبحت نقمة على الأصدقاء كما أن عداوتكم أصبحت نعمة على الأعداء) . (ثم استطرد موجها كلامه إلى الأمريكيين قائلا) (أنها أسباب قديمة كانت وما زال وسوف تبقى فوقها مضاعفات طارئة لم تعد مجرد حماقة القوة الصادرة عن منطق الغبى ، وإنما تحولت إلى حماقة القوة بكثرة التهور والتورط إلى مركب شرير خطير) .

إستجابة لحكمة الأستاذ هيكل ، وتحت ضغط العناصر المصرية ذات العلاقات السوفيتية ، أعلن عبد الناصر فى مارس ١٩٦٧ سحب طلب مصر تجديد إتفاقية المعونة الأمريكية الذى كانت قد قدمته مصر فى يناير ١٩٦٦ لتزويدها بالقمح مدة ستة أشهر ، تنتهى فى يونية ١٩٦٦ وظل معلقا فى واشنطن طيلة ذلك الوقت ، حتى ألغاه الرئيس فى مارس ١٩٦٧ فى وقت معاصر لوقوع حوادث إنفجارات فى السعودية نسبها إتحاد شبه الجزيرة العربية إلى نفسه ، حين أعلن مسئوليته عن الإنفجارات التى أصابت أجزاء من أنابيب بترول التابلاين ، ومقر القيادة العسكرية الأمريكية فى الرياض ومبنى الأمن العام فى الدمام والقاعدة الجوية فى منطقة خميس مشيط بالسعودية ، مما جعل السلطات السعودية تقوم فى ١٧ مارس ١٩٦٧ بإعدام نحو عشرين من اليمنيين الذين اتهمتهم بإرتكاب هذه الأعمال بتحريض من السلطات المصرية .

وتحديا للولايات المتحدة الأمريكية سمح الرئيس عبد الناصر لضيفه الملك السابق سعود فوجه كلمة إلى الشعب السعودى فى ٢٠ مارس ٦٧ من إذاعة صوت العرب قال فيها أنه (لا يستطيع أن يلتزم الصمت إزاء وجود قوات أجنبية فى السعودية ، وأن واجبه الوطنى يحتم عليه العمل على علاج الأوضاع السعودية وإعادة البلاد للركب العربى الصحيح) (الأهرام ٢١ مارس ١٩٦٧) وكان يشير بذلك إلى القاعدة الأمريكية فى السعودية التى أراد عبد الناصر أن يضغط على الولايات المتحدة بالتصدى لها والتشهير بها ، بعد أن إنضم الملك السابق سعود إلى خندق الإشتراكية العلمية ، ونسى أنه كان أول من تصدى للثورة اليمنية الإسلامية .

ثم وصل الملك السابق سعود مع المشير عامر إلى صنعاء فى ٢٣ إبريل ١٩٦٧ حيث أعلن من إذاعة صنعاء (إعترافه بإسم الشعب السعودى بأكمله بالنظام الجمهورى فى اليمن) وياليته فعل ذلك عند قيام الجمهورية اليمنية ، لأنه لو فعل ذلك فى وقته المناسب فإنه يكون قد حقن الكثير من الدماء اليمنية والمصرية والسعودية وحافظ على كيان الشخصية العربية ، وربما أحتفظ بعرشه فى السعودية .

وعندما عقد المشير عامر مؤتمرا شعبيا فى صنعاء فى ٢٤ إبريل ١٩٦٧ حضره الملك السابق سعود خطب السيد عبد القوى مكاوى أمين عام جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل فقال :

(إننا اليوم نواجه مؤامرة لفيصل العميل الذى برهن أنه إنجليزى أكثر من الإنجليز أنفسهم ، ولذلك وجب علينا أن نحارب من أجل إزالته من الوجود .. إن بريطانيا وفيصل يعملان على تثبيت حكم السلاطين والإقطاعيين) .

أثارت كلمة مكاوى حماس الملك السابق سعود فوقف قائلا :

(إننى مصر على إستعادة عرشى مهما كان الثمن) وبعدئذ ختم المشير عامر وقائع المؤتمر الشعبى معلنا إنتقال الحرب الدفاعية فى اليمن إلى حرب هجومية على السعودية وقال (لا بد أن نعلم أن وضعنا ليس سلبيا للدفاع عن الثورة اليمنية ، تلك المرحلة انتهت ولا بد أن يتحول وضعنا إلى وضع هجومى ، وهناك تخطيط لهذه العملية من ناحية الوضع العام وإتصاله بفيصل .. وأعتقد أن سعود له ناس وكل هذه العوامل مقلقة لفيصل .. إلى أن تأخذ الأمور مداها ويجب أن ننقل سياستنا إلى وضع هجومى فى كل شىء وفى كل إتجاه) (الأهرام ٢٨ إبريل ١٩٦٧) .

هكذا أوضح المشير عامر ، باسم مصر ، إن الدفاع عن الجمهورية اليمنية لم يعد الغاية من إستمرار الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، وإنما أصبح الوسيلة التى من خلالها تنطلق الحرب الهجومية على المملكة العربية السعودية ، تأكيدا لما أوضحه الرئيس عبد الناصر يوم ٧ مايو ١٩٦٦ حين قال فى المؤتمر الصحفى الذى عقده مع الرئيس اليوغوسلافى تيتو (إن السؤال الآن ليس هو اليمن وإنما مستقبل الجزيرة العربية كلها . إن السعودية بمعونة الدول الإستعمارية تريد أن تخضع الجزيرة العربية كلها لنظام إقطاعى) (الأهرام ٨ مايو ١٩٦٦) .

بعد ذلك وجه الملك السابق سعود كلمة أخرى فى ٢٦ أبريل ١٩٦٧ من صوت العرب بالقاهرة أوضح فيها للشعب السعودى أنه فى طريقه إلى عرش السعودية ووعد (بإحترام الإتفاقيات الدولية التى هى لمصلحة بلادنا وشعبنا) (الأهرام ٢٧ أبريل ١٩٦٧) .

وتفاقمت الأزمة السياسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ، حين أعلنت الحكومة اليمنية فى ٢٧ إبريل ١٩٦٧ إن طلقات من مدفع بازوكا إنطلقت فى إتجاه مستودع ذخيره للجيش اليمنى ، فاستعانت السلطات اليمنية بضباط المظلات المصريين ، كما استخدمت الكلاب البوليسية التى قادتها إلى داخل معسكر تابع للنقطة الرابعة الأمريكية الملحقة بالسفارة الأمريكية فى تعز . اقتحمت السلطات اليمنية المعسكر وألقت القبض على إثنين من الأمريكيين يدعيان ستيفنسون اليابيس وهارولد هارتمان ، كما فتحت خزائن النقطة الرابعة واستولت على ما بها من وثائق ، فاحتجت الحكومة الأمريكية وطالبت بالأفراج عن المعتقلين الأمريكيين والتعويض عن الخسائر التى لحقت بمعسكر النقطة الرابعة وإستعادة الوثائق التى استولت عليها السلطات اليمنية .

سعود يعلن أنه مصر على استعادة عرشه مهما كان الثمن



المشير عامر يعلن فى المؤتمر الشعبى الذى اقيم فى صنعاء : ستنتصر ثورة الجنوب كما انتصرت ثورة اليمن . وعلى المنصة جلس : الملك سعود ثم الرئيس السلال والسيد عبد القوى مكاوى والسيد انور السادات . « تصوير محمد يوسف كبير مصورى الاهرام »

صنعاء — من رضا خليفة — شهدت العاصمة اليمنية أمس سلسلة من الاجتماعات السياسية والعسكرية الهامة ، اشترك فيها الملك سعود والرئيس عبد الله السلال والمشير عبد الحكيم عامر والسيد أنور السادات ، وشيوخ القبائل وعلماء اليمن .

وقد تتابعت هذه الاجتماعات فى صنعاء على الوجه التالى :

● عقد المشير عبد الحكيم عامر فى الصباح مؤتمرا عسكريا كبيرا فى مقر القيادة العربية ، حضره ضباط وجنود القوات العربية وشهده السيد أنور السادات والسيد شمس بدران والسيد حسن صبرى الخولى واللواء طلعت حسن قائد القوات العربية .

● عند الظهر اجتمع المشير عامر والسيد أنور السادات مع شيوخ القبائل والعلماء ، وحضر الاجتماع الرئيس اليمنى عبد الله السلال . وقد هنأ المشير عامر رجال القبائل بالاستقرار الذى يسود اليمن الآن ، ودعاهم الى المحافظة على هذا الاستقرار ودعمه تحت قيادة الرئيس السلال . والقى الرئيس اليمنى كلمة أكد فيها أن اليمنيين جميعا متمسكون بوحدتهم ماضون فى بناء بلادهم وتعميرها .

● ثم عقد الملك سعود والرئيس السلال اجتماعا آخر مع شيوخ القبائل ، أعلن فيه الملك سعود أنه مصر على استعادة عرشه مهما كان الثمن . وندد الرئيس السلال بمؤامرات فيصل وخياناته وارهابه اليمنيين المقيمين فى السعودية .

وفيما يلى تفاصيل ما دار فى هذه الاجتماعات :

تحدث المشير عبد الحكيم عامر فى اجتماعه مع شيوخ القبائل ، فنقل اليهم تحيات الرئيس جمال عبد الناصر وهنأهم بالاستقرار الذى يتمتع به الشعب اليمنى فى هذه المرحلة الامر الذى يعرفه العالم كله .. وقال ان هذا شىء يسعدنا .

ودعا المشير الشعب اليمنى الذى لاتنقصه القوة ولا الذكاء الى المحافظة على هذا الاستقرار وتدعيمه بقيادة الرئيس السلال والحكومة الوطنية .

والقى الرئيس السلال كلمة رحب فيها بالمشير عامر والسادات ورفاقهما وقال ان مشايخ البلاد وعلماءها قد وصلوا لتحية المشير عامر



فيصل انجليزى

أكثر من الانجليز

كما القى السيد عبد القوى مكاوى أمين عام جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل كلمة فى المؤتمر رحب فيها بالضيوف باسم ابنائه الشهداء وباسم شهداء الجنوب والمناضلين والفدائيين وقال نحيى فى شخصية القائد البطل المشير عامر انتفاضة ثورة ٢٣ يوليو التى اعادت للامة العربية مجدها واطاحت بالامبريالية

وقال مكاوى اننا اليوم نواجه مؤامرة لفيصل العميل الذى برهن على انه انجليزى أكثر من الانجليز انفسهم ولذلك وجب علينا أن نحارب من أجل ازالته من الوجود وقال ان بريطانيا وفيصل يعملان على تثبيت حكم السلاطين والاقطاعيين .

وأضاف مكاوى يجب علينا أن نشيد بموقف الجمهورية العربية المتحدة التى تقدم لنا كل المساعدات بدون حدود واضافولايسعنى الا أن اشيد بالمساعدات والاعمال البطولية التى تقوم بها الجمهورية العربية اليمنية بقيادة الرئيس البطل السلال وقال اننا نؤمن بوحدة اليمن الطبيعية والامة العربية جمعاء بقيادة الرئيس عبد الناصر واختتم قائلا هاتفا عاش الرئيس عبد الناصر والوحدة العربية والامة العربية والقومية العربية وعاش الرئيس السلال .

السلال يعلن ويده فى يد الملك سعود أن مؤامرات فيصل ان تبلغ اهدافها بأى حال .

الأهرام ٢٥ أبريل ١٩٦٧ (الصفحة الثالثة)

وبينما كانت أمريكا تتهم مصر بكسر خزائن السفارة الأمريكية للاستيلاء على وثائقها ، كانت حكومة اليمن تتهم أمريكا بالتآمر ضد أمن الجمهورية اليمنية فأحالت المتهمين الأمريكيين إلى محكمة أمن الدولة ، وأعلن السلال فى ٢٨ أبزيل ١٩٦٧ أنه (إذا كانت أمريكا قد تعودت أن تأمر وتنهى فى أجزاء من شبه الجزيرة العربية فهناك أجزاء أخرى لا تملك أمريكا فيها أمرا ولا نهيا) .

فى نفس ذلك اليوم أجتمع المستر نيس القائم بالأعمال الأمريكى فى القاهرة بمدير مكتب وزير الخارجية المصرية وطلب منه العمل على السماح بترحيل ١٥٠ من الرعايا الأمريكيين فى اليمن . وتم ترحيلهم فعلا من اليمن فى ٣٠ أبريل ١٩٦٧ على متن أربع طائرات وصلت منها ثلاث طائرات إلى تعز ووصلت الرابعة إلى صنعاء ، وتوجهوا جميعا إلى أسمرة .

غير أن السلال فى ١٣ مايو ١٩٦٧ أمر بمحاكمة الأمريكيين موظفى النقطة الرابعة المتهمين بـ (إحداث تخريب فى منشآت عسكرية والمساس بإستقلال البلاد والإضرار بأمن القوات المسلحة) بينما كانت الحكومة الأمريكية مهتمة بإستعادة الوثائق الأمريكية التى استولت عليها السلطات اليمنية وسلمتها للسلطات المصرية .

أثناء هجوم السلال على الحكومة الأمريكية من صنعاء ، كان الرئيس عبد الناصر يستقبل فى القاهرة فى نفس ذلك اليوم (١٣ مايو ١٩٦٧) الملك السابق سعود وانتشر فى ذلك اليوم أن غرض المقابلة كان التخطيط لقلب نظام الحكم فى السعودية ، وإعادة الملك السابق سعود إلى عرشه ، بعد أن اتفق مع عبد الناصر على تصفية القواعد الأمريكية فى السعودية والتصدى للمصالح الغربية فى الجزيرة العربية .

يقول الأستاذ أحمد يوسف أحمد مدرس العلوم السياسية بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة فى كتابه (الدور المصرى فى اليمن فى صفحة ٤٤٧) تعليقا على هذه المقابلة أنه (فى اليوم التالى مباشرة بدأت الأزمة التى انتهت إلى حرب يونية) . وإننى أتفق معه فى الرأى من حيث أن هذه الأزمة قد اتخذت شكلها المكتمل (فى اليوم التالى مباشرة) لكننى أراها قد بدأت تأخذ مسارها الطبيعى قبل ذلك اليوم بوقت طويل ، عندما التقت مصالح الشرق والغرب على التخلص من الزعامة العربية المتمثلة فى شخص جمال عبد الناصر .

وكما اختلفت معه فى الرأى حين قطع فى صفحة ٤٣٠ قائلا بأن السوفييت (لم يكونوا مسئولين عن التفكير الهجومى التابع للسياسة المصرية إعتبارا من بداية ١٩٦٧) إلى أن قال (وهكذا يمكن أن ننتهى إلى أن عبد الناصر فى قراراته التى اتخذها فى هذه المرحلة سواء بإبقاء قواته فى اليمن أو إتباع سياسة هجومية تجاه خصومه فى المنطقة لم يعمل وفقا لتحريض سوفيتى) . فاننى أختلف معه فى تبرئته للإتحاد السوفيتى من تحريضه لعبد الناصر إلى إتباع هذه السياسة الهجومية الإنتحارية ، لأن الغرب لم يكن وحده صاحب المصلحة الحقيقية فى التخلص من الزعامة الناصرية . فقد كانت للشرق مصلحة أكثر أهمية فى التخلص من هذه الزعامة ، التى عرقلت بروز الزعامات المصرية والعربية الأخرى الأكثر طاعة للكتلة الشرقية ، والأقل حماسا للعقيدة القومية .

فالأزمة التى (بدأت فى اليوم التالى مباشرة) أى فى يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ اشترك فيها السوفيت علنا عندما خدعوا عبد الناصر بخبر الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية . وأثاروا فيه نخوة الزعامة العربية والشهرة العالمية حتى يلتزم بإتفاقية الدفاع المشترك مع الحكومة السورية ، التى سبق أن وقع عليها فى نوفمبر ١٩٦٦ بعد أن استولى الجناح اليسارى لحزب البعث على الحكم فى دمشق ، على إثر الإنقلاب الذى أطاح بأمين الحافظ عدو جمال عبد الناصر اللدود ، وجاء بنور الدين الإتاسى وصلاح جديد وحافظ الأسد .

ففى نفس اليوم (اليوم التالى مباشرة) أى فى ١٤ مايو ١٩٦٧ اتخذت مصر (كل الإجراءات التى تقتضيها حالة الإستعداد لتنفيذ إتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا) وعقد المشير عامر عددا من الإجتماعات العسكرية ، التى أرسل على أثرها الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى دمشق ، لإبلاغ الحكومة السورية القرار المصرى بحشد القوات المصرية تضامنا معها فى مواجهة الحشود الإسرائيلية . واجتمع الفريق أول فوزى فى دمشق مع اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع واللواء أحمد سويدانى رئيس الأركان العامة .

وأعلنت مصر حالة الطوارىء فى القوات المسلحة فى ١٥ مايو ١٩٦٧ أبتداء من السادسة من صباح ذلك اليوم لخوض (المعركة ضد إسرائيل إذا تعرض الوطن السورى لأى عدوان يهدد أراضيه وسلامته) .

ووجه الفريق أول محمد فوزى رئيس الأركان المصرية فى ١٦ مايو ١٩٦٧ خطابا إلى قائد قوات الطوارىء الدولية ، يطلب رسميا سحب هذه القوات من نقطة المراقبة على الخطوط المصرية الإسرائيلية . وقال الفريق أول فوزى فى خطابه إلى الجنرال اريكى قائد قوات الطوارىء أنه (أصدر التعليمات لجميع القوات المصرية لتكون مستعدة للعمل ضد إسرائيل فور قيامها بأى عمل عدوانى) .

على إثر ذلك أخلت قوات الطوارىء فى ١٧ مايو ١٩٦٧ نقط المراقبة التى كانت تتمركز فيها من رفح حتى العقبة . وفى نفس اليوم استقبل الرئيس عبد الناصر الدكتور إبراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السورى الذى أكد للرئيس صلابة الموقف العسكرى فى الجبهة السورية .

فى نفس ذلك اليوم اجتمع مجلس الوزراء العراقى برئاسة الرئيس عبد الرحمن عارف رئيس الجمهورية ، ثم أعلن (تأييده للشعب السورى فى كفاحه ضد الصهيونية) . وكان فى بغداد إجتماع أخر فى مقر وزارة الدفاع حضره قائد القوات العراقية المسلحة برئاسة اللواء حمود المهدى رئيس الأركان لبحث التدابير العسكرية العراقية ، بعد أن تم وضع الجيش العراقى فى حالة تأهب (لمواجهة أى إشتباك على خطوط الهدنة فى فلسطين) .

فتدفقت الحشود الإسرائيلية فى ١٨ مايو ١٩٦٧ ، وبأقصى سرعة ، فى اتجاه الجبهة المصرية ، وكانت تقدر فى بداية تدفقها بتسعة ألوية متجهة إلى الجنوب ، كما انتقلت القوة الضاربة للطيران الإسرائيلى من مطارات المنطقة الشمالية إلى المطارات الأخرى فى النقب والمطارات الخالية فى المنطقة الجنوبية .

ابتهجت القيادة السياسية فى مصر بما وصفته رسميا بأنه (ذوبان) للحشد الأسرائيلى على الحدود السورية ، وأعلن المشير عامر أن (القوات الأساسية للقوات المسلحة المصرية تستطيع أن تنزل بالعدو ضربات قاصمة) ثم قال (إن الجيش المصرى العامل فى اليمن يستطيع أداء دوره البطولى فيها بقوى الثورة فى الجنوب العربى التى تمكنت من وضع الإستعمار البريطانى فى موقف الدفاع عن نفسه ، وبقوى المقاومة الوطنية داخل السعودية التى كان ملكها فى لندن هذا الأسبوع يستجدى عون ودعم الإستعمار لبقايا نظامه المنهار) (الأهرام ١٩ مايو ١٩٦٧) .

عندئذ تظاهر يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة فى ١٩ مايو ١٩٦٧ بأنه يتحدى ضغط الولايات المتحدة الأمريكية والحكومة البريطانية وكندا وإسرائيل ، فأصدر (رغم أنفهم) أمره إلى الجنرال اريكى قائد قوة الطوارىء الدولية بالإستجابة رسميا لطلب الحكومة المصرية سحب هذه القوات من خطوط الهدنة المصرية الإسرائيلية بما فى ذلك قطاع غزه .

وكانت القيادة السياسية المصرية تعتقد أن المخطط الإسرائيلى الذى تسنده أمريكا يستهدف مجرد التحرش بسوريا للتوصل إلى وضع قوات طوارىء دولية على خطوط الهدنة السورية الإسرائيلية ، وعلى وجه الخصوص مرتفعات الجولان الإستراتيجية ، فتصورت القيادة السياسية المصرية إن فى وسعها إفساد هذا المخطط الإسرائيلى الأمريكى عن طريق حشد القوات المصرية الضاربة فى سيناء ، وإبعاد قوات الطوارىء عن خطوط الهدنة المصرية الإسرائيلية ، وبذلك تسقط نظرية حماية السلام عن طريق قوات الطوارىء الدولية ، كما تخرج مصر من هذه المناورة بإستعادة السيادة على كل منطقة العقبة ، وإغلاق المضايق فى وجه الملاحة الإسرائيلية لإعادة الحال إلى ما كان عليه قبل عدوان سنة ١٩٥٦ الآمر الذى أعلنه الرئيس عبد الناصر فى ٢٢ مايو ١٩٦٧ بعد أن اجتمع بالسفير السوفيتى ديمترى بوجدابيف ، الذى سلمه رسالة تأييد من الحكومة السوفيتية ومن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، وكانت الرسالة موجهة إلى الرئيس عبد الناصر وإلى الشعب المصرى وشعوب الأمة العربية لتأييد (وقفتها دفاعا عن أوطانها ومبادئها ضد مؤامرات الإستعمار) .

إستكمالا لدور الولايات المتحدة الأمريكية فى إستدراج الزعامة الناصرية ، بالعزف على أوتار ثقتها المفرطة فى قدرتها الذاتية ، وزعامتها العربية ، قدمت الحكومة الأمريكية إلى وزير الخارجية المصرية فى يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ إقتراحات أمريكية لإنهاء التوتر المتفجر فى المنطقة نشرتها صحيفة الأهرام (فى ٢٦ مايو ١٩٦٧) وخلاصتها :

١ – إن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن تظل قوات الطوارىء فى غزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة .

٢ – ألا تتوجه أية قوات مسلحة إلى شرم الشيخ إلا بعد أن تصدر الحكومة المصرية إعلانا رسميا بتأكيد حرية الملاحة فى مضايق ثيران مدخل خليج العقبة بدون أية قيود ، مع ملاحظة أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أى قيد

على حرية الملاحة فى الخليج أمرا له عواقبه البعيدة وهو يشكل عملا عدوانيا .

٣ – ألا تدخل إلى قطاع غزة أية قوات مسلحة مصرية .

٤ – أن تظل الأمم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الإدارة فى قطاع غزة حتى تتم تسوية المشكلة .

٥ – إن الحشد العسكرى المصرى الذى يجرى فى سيناء الآن خطير ، وإن حل الموقف هو أن تعود القوات المصرية فى سيناء ، والقوات الإسرائيلية المحتشدة أمامها فى النقب إلى مواقعها الأصلية) .

بعد أن أدارت إسرائيل ظهرها للجبهة السورية ، وأرسلت كل حشودها إلى الجبهة المصرية ، كانت الإقتراحات الأمريكية إعلانا واضحا بأن الصراع العسكرى قد انحصر فى مواجهة مصر ، حيث لم تذكر هذه الإقتراحات شيئا عن سوريا .

فكان من الحكمة السياسية أن تظهر القيادة المصرية قدرا من المرونة الدبلوماسية فى مناقشة هذه الإقتراحات ، وربما كان فى وسعها أن تظفر منها بما يمكن أن يعتبر نجاحا مرحليا يساعدها على إلتقاط أنفاسها ، التى أنهكها تورطها العسكرى فى اليمن ، الذى كان جوهر الصراع المصرى الأمريكى الذى استغلته إسرائيل .

فإذا تبينت القيادة المصرية ، أثناء مناقشة هذه الإقتراحات ، أن أمريكا تريد فعلا إيجاد مخرج من الموقف المتوتر فى سيناء فإنها تتبين فى نفس الوقت أن أمريكا ترغب فى إعادة فتح باب الحوار لإيجاد مخرج مصرى مشرف من الموقف المتوتر فى اليمن ، بإعتبار أنه المشكلة الأكثر أهمية فى أمريكا ، وكان من الممكن أن يكون ذلك هو النصر الممكن والمشرف للقيادة المصرية ، الذى يزيده فخرا لمصر أن الحشود المصرية كانت العامل الحاسم فى إخلاء الجبهة السورية من القوات الإسرائيلية .

أما إذا تبينت القيادة المصرية أن أمريكا تسعى من وراء هذه الإقتراحات إلى كسب الوقت حتى تستكمل إسرائيل إستعداداتها الحربية وتهيئة المسرح الدولى لمعركة مصيرية فكان ذلك أدعى إلى مرونة القيادة المصرية ، لتكسب هى الأخرى الوقت الضرورى حتى تعيد تنظيم قواها الذاتية وترميم مواقعها العربية ، بما يتفق مع مثل هذه المعركة المصيرية التى لم يكن ذلك الوقت مناسبا لها على وجه الإطلاق ، لأننا إذا تحاشينا الحديث عن الجبهة الداخلية المصرية ، وأكتفينا بما سبق شرحه عن الجبهة اليمنية ، واقتصرنا فى الحديث عن غيرها مما كان سائدا فى الساحة العربية ، فإنه مما لا شك فيه أن مصر كانت فى معركة علنية مع الأردن والسعودية ، ومعركة خفية مع كل ملوك وأمراء الدول العربية ، وصداقة ظاهرية مع سودان الأزهرى الذى تنكر لها ، وتونس بورقيبة الذى سخرت منه ، وجزائر بومدين الذى أسقط لها بن بيلا ، وسوريا البعث الذى انقلب عليها ، وعراق عارف الذى لم يكن له فى بغداد سوى شخص عبد الناصر ، أما لبنان فقد كان مع كل أولئك وهؤلاء .

لم تكن الظروف العربية مؤهلة لمعركة مصيرية ، بل كانت مسرحا للمنافسات الدولية ، التى استغلت حاجة بعض القيادات العربية إلى النجاة من الزعامة الناصرية ، وحاجة البعض الآخر إلى الحماية من الأخطار السوفيتية .

فى مثل هذا المناخ العربى العام نستطيع أن نشجى بالتصريحات الحماسية ، ونطرب لإجتماعات القمم السياسية ، ثم نبتهج لبرقيات التأييد النارية ، لكننا مع كل ذلك لا نستطيع أن نتسلل إلى قلوب الزعامات العربية التى لها أولوياتها الأخرى فى ترتيب إهتماماتها الإقليمية .

لم يكن ذلك قصورا فى إدراك أهمية الوحدة العربية ، بل كان فتورا فى حماس جيلنا الذى عاصر سلبيات الوحدة فى سوريا والممارسة المصرية فى اليمن ، وصراع المذاهب الفكرية المناهضة للقيم الدينية ، مما فتح أبواب الساحة العربية للصهيونية العالمية ، التى اعتلت فوق ظهور كل الدول ذات الأحلام الإقتصادية .

كانت الساحة العربية ينقصها إتفاق قومى على مسار التطور القومى ، فلم يولد لديها إدراك قومى يتصدى للخطر القومى . وفى غيبة الإدراك القومى لا تولد الإرادة القومية .

ومع كل هذه البديهيات استندت القيادة المصرية على عمل عربى مشترك إنطلاقا من إختلاف عربى مشترك ، بينما كانت محصلة المعادلات السياسية على مستوى الساحة العربية والدولية ، الشرقية والغربية ، تلتقى كلها فى نقطة التخلص من الزعامة الناصرية .

كان من الحكمة السياسية أن تظهر القيادة المصرية قدرا من المرونة الدبلوماسية ولا تتسرع برفض الإقتراحات الأمريكية ، إلا إذا كانت قد وضعت فى حساباتها عوامل أخرى غير مرئية ، تستعصى على فهم المفكرين وإدراك المجتهدين .



كانت القيادة المصرية متأكدة من النصر كل التأكد ، واثقة فى سحق إسرائيل أعظم الثقة ، مستندة على ذراع الحكومة السوفيتية فى تهديد المصالح الغربية ، وثورة الشعوب العربية فى تهديد القيادات العرية الإقليمية ، كما أعلن الرئيس عبد الناصر ذلك ، فى وقت لاحق ، فى مؤتمره الصحفى العالمى يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ حيث قال (إن أى بلد عربى تتأخر حكومته فى أداء دورها فإن المسئولية تنتقل إلى الشعب ، وعندئذ تتصرف جماهيره بوحى من ضميرها القومى) .

على أساس هذه الحسابات العربية والدولية قررت القيادة لمصرية رفض الإقتراحات الأمريكية وفتحت صدرها للمعركة المصيرية .

ثمّ أننى لا أعتقد أن هذا الرفض السريع والقاطع الذى قررته القيادة المصرية فى نفس يوم إستلامها هذه المقترحات (٢٣ مايو ١٩٦٧) كان فى معزل عن البيان الساطع الذى أعلنته الحكومة السوفيتية فى نفس ذلك اليوم (٢٣ مايو ١٩٦٧) والذى أوضحت فيه أنها (سوف تؤيد الدول العربية ضد أى عدوان تتعرض له .. وأن من يفكر فى شن عدوان فى الشرق الأوسط لن يلقى مقاومة من الدول العربية وحدها ، بل سيلقى مقاومة شديدة من جانب الإتحاد السوفيتى وكل الدول المحبة للسلام) .

فى نفس ذلك اليوم (٢٣ مايو ١٩٦٧) اجتمع الرئيس عبد الناصر بالدكتور يوسف زعين رئيس وزراء سوريا الذى كان يصحبه اللواء أحمد سويدانى رئيس الأركان السورى ، وأجتمع الرئيس عبد الناصر بالفريق الطاهر يحيى نائب رئيس الوزراء العراقى ، كما أجتمع بالعقيد طاهر الزبيرى رئيس أركان حرب الجيش الجزائرى ، الذى سلم إلى الرئيس عبد الناصر رسالة من الرئيس هوارى بومدين يعرض فيها أرسال قوات جزائرية إلى مصر ، فرحب عبد الناصر بهذا العرض ، كما سبق أن أثنى على أمير الكويت الذى عرض إرسال قوات كويتية إلى الجبهة المصرية .

ومن منطلق الثقة المطلقة فى النفس ، ووقوف الإتحاد السوفيتى إلى جانب مصر فى صراعها مع إسرائيل ومن يقف معها من الدول الغربية ، وفى مناخ تحريض العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية صرح عبد الناصر فى ٢٦ مايو ١٩٦٧ بأنه (إذا هاجمتنا إسرائيل فى أى مكان فسوف نواجهها فى كل مكان .. ولن تكون الحرب إذا بدأتها إسرائيل حربا محدودة لأننا سوف نقوم بتدمير إسرائيل تدميرا كاملا) وأضاف قائلا أن (صورة العالم العربى وصورة إسرائيل قد اختلفت .. لقد انتظرنا إحدى عشر سنة وكنا نبنى قواتنا ونستعد ليوم نتكلم فيه ونستطيع أن نتحمل مسئولية ما نقول) .

وعندما كان الرئيس عبد الناصر يلقى بهذه التصريحات فى القاهرة يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ كان شمس بدران وزير الحربية المصرية مجتمعا فى موسكو مع كوسيجين الذى أكد (موقف الإتحاد السوفيتى من التضامن الكامل مع موقف مصر) وقال (إن بلاده ستقف موقفا صلبا ضد أى عدوان فى المنطقة) حتى أعلن جورج براون وزير خارجية بريطانيا الذى كان يزور موسكو فى ذلك اليوم قائلا أن (الإتحاد السوفيتى يؤيد تأييدا متينا ما يمكن أن نسميه بالخط الناصرى فى أزمة الشرق الأوسط) وأضاف ردا على سؤال صحفى أنه (مضطر للتسليم بهذه الحقيقة) . ولا شك فى أن بريطانيا كانت بذلك تشترك فى تجسيم الغرور فى قلب الزعامة الناصرية عملا بالحكمة اليونانية القديمة والحكيمة التى تقول (إذا أردت أن تحطم ملكا أدخل الغرور إلى قلبه) .

ذهبت إلى دمشق يوم السبت ٢٧ مايو ١٩٦٧ فى مهمة رسمية فالتقيت فى فندق أمية باللواء شاكر محمود شكرى وزير الدفاع العراقى ، الذى قال لى أنه وصل إلى دمشق منذ أسبوع للحصول على إذن الحكومة السورية بمرور القوات العراقية فى الأراضى السورية حتى تتخذ مواقعها فى مرتفعات الجولان ، كى تشترك فى صد الغزو الإسرائيلى الذى تتوقعه الحكومة السوفيتية ، وأنه أمضى فى الفندق طيلة ذلك الأسبوع ولم يسأل عنه أحد من الجانب السورى .

فلما التقيت بالرئيس السورى نور الدين الإتاسى بحضور السادة صلاح جديد وإبراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية وحافظ الأسد وزير الدفاع قلت لهم ما سمعته من وزير الدفاع العراقى ، وأوضحت أن الجيش العراقى يحتاج إلى سبعة أيام ، بعد حصوله على إذن الحكومة السورية ، حتى يصل إلى مرتفعات الجولان ويأخذ فيها مواقعه الدفاعية ، فإذا بإبراهيم ماخوس يقول أن سوريا لا تحتاج إلى مساعدة عسكرية من أحد ، وأن مرتفعات الجولان وهى فى حماية القوات السورية لا تستطيع إسرائيل مع الولايات المتحدة الأمريكية أن تأخذ منها شبرا واحدا .

عجبت من ذلك القول وقلت لهم أن سوريا فى هذه الحالة لم تكن فى حاجة إلى مساعدة عسكرية فى مصر ، ولم يكن هناك أى داع لقيام الرئيس عبد الناصر بحشد قواته فى سيناء للضغط على إسرائيل التى قال الإتحاد السوفيتى أنها سوف تهجم على دمشق ، فقال نائب رئيس وزراء سوريا ووزير خارجيتها أن سوريا ليست فى حاجة إلى مساعدة من أحد .

على مائدة العشاء سألنى إبراهيم ماخوس عن توقعاتى بالنسبة إلى الموقف العربى ، فقلت أننى أتوقع أن يذهب الملك حسين إلى مصر ويتفق مع الرئيس عبد الناصر ، فثار لهذا الإحتمال وهدد بقطيعة رسمية مع مصر إذا وافق عبد الناصر على مثل هذه المسرحية الأردنية ، فقلت أن هذه ليست معلومات وإنما مجرد توقعات .

سألنى عن الأسباب التى تجعلنى أتوقع هذا التحرك من جانب الملك حسين ، فقلت أنه رجل ذكى وبعيد النظر ويعرف الكثير عن أسرار السياسة الدولية ، ولا شك فى أنه يعرف مثلنا أن الحرب مع إسرائيل إما أن تكلل بالنصر أو تنتهى إلى الهزيمة ، فإذا ما تخلف عن المعركة وتحقق النصر فإنه يتعرض لهجوم عربى بسبب النصر الذى تحقق

فى غيابه ، وإذا حلت الهزيمة فإنه يتحمل مسئوليتها لأنها تقع بسبب هذا الغياب الذى يحرم الأمة العربية من المواقع الإستراتيجية فى الضفة الغربية .

ولذلك فإنه إذا تخلى عن المعركة فإنه يخسر فى حالة النصر كما يخسر فى حالة الهزيمة . ولذلك سوف يرى أن من مصلحته الشخصية ألا يترك عبد الناصر يقف وحده فى هذه المعركة العربية التى تتخذ من الدفاع عن سوريا شعارا لها .

وهو عندما يشترك فى المعركة فإنه يشترك فى ثمار النصر إذا تحقق ، أما إذا حلت الهزيمة فإنها تقع على أكتاف عبد الناصر وحده ، لأنه وحده الذى يرفع راية الزعامة العربية ، ويتصدر الدفاع عن الأراضى السورية والحقوق الفلسطينية .

عدت إلى فندق أمية ووجدت مندوب وكالة أنباء الشرق الأوسط ينتظر حديثا صحفيا معى ، فصرحت له بأن الأمة العربية سوف تتصدى بكل ثقلها للغزو الإسرائيلى المحتمل للأراضى العربية السورية ، وأن العرب من الخليج إلى المحيط لن يتركوا إسرائيل تنفرد بالحكومة السورية التى تدافع عن الحقوق الفلسطينية .

وما كدت أصل فى تصريحى إلى ذكر الزعيم جمال عبد الناصر الذى حشد قواته فى سيناء لنجدة الشعب السورى حتى وضع مندوب وكالة الشرق الأوسط فى دمشق قلمه فى جيبة ، وطوى الورقة التى كان يكتب عليها تصريحاتى وقال (يادكتور عبد الرحمن إذا اردت أن أنشر لك تصريحاتك فلا تذكر اسم جمال عبد الناصر لأننا لا نستسيغ ذكره فى سوريا).

قلت لمندوب الوكالة السورى الجنسية أننى لم أطلب منه أن ينتظرنى فى الفندق ، وأننى بعد ساعتين أثنتين سوف أكون فى مكتبى فى بيروت أنشر ماأشاء من تصريحات صحفية وأقول ما أعتقد أنه فى صالح الأمة العربية .

عندما وصلت إلى بيروت أرسلت تقريرا مفصلا إلى الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة السيد محمد كوثر المستشار السياسى فى السفارة المصرية (حاليا أمين رئاسة الجمهورية) شرحت فيه كل ما قاله وزيرالدفاع العراقى ومحادثاتى مع الحكومة السورية ، ولم أنس أن أذكر ملاحظة مندوب وكالة الشرق الأوسط حتى يعيش الرئيس عبد الناصر فى المناخ السياسى الذى كان سائدا فى دمشق ، التى حشد قواته فى سيناء دفاعا عنها ، وأعلن التعبئة المصرية العامة نجدة لها .

فى ٢٨ مايو ١٩٦٧ عقد الرئيس عبد الناصر مؤتمرا صحفيا جاء من ضمن ما قاله الرئيس

(إن الضجة التى تثار الآن حول سحب قوات الطوارىء وغلق خليج العقبة أمام إسرائيل ضجة مصطنعة تثيرها الولايات المتحدة الأمريكية ، تشجيعا وتدعيما للعدوان الإسرائيلى ، هذه كلها من آثار مؤامرة السويس فصححناها وأعدناها لوضعها السليم) وقال أن (العرب سوف يخوضون معركتهم بكل سلاح يملكونه ، ولسوف يكون البترول بغير شك ضمن أسلحة المعركة إذا اتسع نطاقها ودخلتها الولايات المتحدة الأمريكية أو أى دولة استعمارية أخرى) .



المؤلف مع الرئيس اللبنانى شارل حلو (٢٩ مايو ١٩٦٧)

وكما سبق أن توقعت وصل الملك حسين إلى القاهرة فى ٣٠ مايو ١٩٦٧ ، وكان فى إستقباله فى المطار الرئيس عبد الناصر والمشير عامر والسادة زكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى وصدقى سليمان .

وأثناء إجتماع الرئيس عبد الناصر والملك حسين اتصل بهم الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف ، وكانت نقطة البحث الأساسية دخول القوات العراقية الأراضى الأردنية التى تمتد خطوطها مع إسرائيل نحو ٥٥٠ كيلومترا ، وبعضها غائر فى قلب الأرض المحتلة ، ويكاد البحر يرى من بعض مواقعها عبر إسرائيل بالعين المجردة .

عاد الملك حسين فى نفس اليوم إلى الأردن ، بعد أن وقع مع مصر إتفاقية للدفاع المشترك ، وأخذ معه إلى عمان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الأستاذ أحمد الشقيرى .

وفى ٣١ مايو ١٩٦٧ عاد السيد زكريا محيى الدين إلى القاهرة ، بعد أن اطلع الرئيس عبد الرحمن عارف فى بغداد والدكتور نور الدين الإتاسى فى دمشق على التطورات السياسية والعسكرية التى أحاطت بتوقيع إتفاقية الدفاع المشترك مع الأردن ، وبحث معهما تنسيق العمليات العسكرية فى الجبهات الثلاث المصرية والسورية والأردنية . وقد تم الإتفاق فى بغداد بين زكريا محيى الدين والرئيس عارف على نقل القوات العراقية اللازمة إلى الأردن .



تلقيت يوم الخميس ١ يونية ١٩٦٧ دعوة من المشير عامر لمقابلته فى القاهرة التى وصلت إليها يوم الجمعة ٢ يونية ١٩٦٧ فصحبنى أنور السادات إلى بيت الرئيس عبد الناصر حيث كان ينتظرنى مع المشير عامر ، ورويت لهم تفاصيل انطباعى عن موقف الحكومة السورية ، وشرحت لهم أحساسى بأن مصر فى طريقها إلى كمين عالمى فى سيناء ، وقلت أنه ما دامت مصر لم تحدد بنفسها الوقت الذى يناسبها للحرب ، وأن هذا الوقت قد فرض عليها فرضا للدفاع عن الأراضى السورية بينما لا تشعر حكومتها بأى خطر عليها ، وما دامت الحشود الإسرائيلية قد أخلت الجبهة السورية وانتقلت القوة الضاربة الإسرائيلية إلى الجبهه المصريه ، فقد يكون من الأفضل أن تبحث مصر عن مخرج يتفادى الوقوع فى هذا الكمين ، لا سيما إننى عرفت أثناء هذه المناقشة إن الرئيس الأمريكى جونسون كان قد سلم إلى السفير المصرى فى واشنطن يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ رسالة عاجلة يطالب فيها مصر (بضبط النفس والا تكون البادئه باطلاق النار ، وإلا فأنها سوف تواجه نتائج خطيرة) كما علمت أنه فى الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف ليل ذلك اليوم أيقظ السفير السوفيتى الرئيس عبد الناصر وأبلغه إلحاح الحكومة السوفيتية بألا تكون مصر (البادئه بإطلاق النار ، وأن هناك إتفاقية سوفيتية أمريكية يتعهد فيها الطرفان بحفظ السلام فى المنطقة ، وإقناع الأطراف المعنية بضبط النفس) ، فاقترحت أن تسرع مصر بتخفيف حدة التوتر وتخفيض حالة الإستعداد القصوى التى أعلنتها يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ ، كما اقترحت أن يصاحب ذلك إعلان من جانب مصر بأنها – من حيث المبدأ – تقبل مناقشة المقترحات الأمريكية التى كانت الحكومة الأمريكية قد قدمتها إلى مصر يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ لا سيما أن الإعلان لا يلزم مصر بقبول هذه المقترحات ، وإنما يوفر لها الوقت الضرورى لإعادة حساباتها السياسية والعسكرية للبحث عن مخرج مشرف من ذلك الكمين قبل أن تسقط فيه(١)

لم يكن لحديثى صدى غير إحساسى بأننى قدمت نصيحة يمكن أن توصف بأنها إنهزامية ، حيث كان الرئيس عبد الناصر يضع فى حساباته أن القوات العراقية سوف يكتمل وصولها إلى الضفة الغربية بالأردن وتأخذ مواقعها القتالية يوم الأربعاء ٧ يونية ١٩٦٧ ، فإذا ما طلع فجر ذلك اليوم ولم تبدأ إسرائيل المعركة فإنها تكون فى خطر

---

(١) نشرت مجلة صباح الخير القاهرية فى عددها الصادر يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٨٣ صفحة ٨ نقلا عما دار فى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى القاهرة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ لوقف مذبحة الفلسطينين فى الأردن أن الرئيس عبد الناصر قال (إحنا تعلمنا الحساب من بعد سنة ١٩٦٧) .

محقق يفرض عليها أن تقبل ما يمليه عليها عبد الناصر . ورغم أن الرئيس عبد الناصر كان يقود معركة سياسية ودولية وإعلامية لتأخير المعركة العسكرية إلى ما بعد الأربعاء ٧ يونية ، إلا أنه استخدم نقيض الوسائل التى يمكن أن تؤدى إلى تأخير المعركة ، حيث استند على أقصى درجات التهديد بالحرب ، بدلا من الإستفادة بأى قدر من المرونة السياسية ، التى تقتضيها مثل هذه المآزق الدولية .

وربما اكتفى فى سبيل ذلك بموافقته على سفر نائبه زكريا محيى الدين إلى واشنطن لمقابلة الرئيس الأمريكى جونسون يوم الخميس ٨ يونية ، واعتبر أن هذه الموافقة هى الحد الأقصى للمرونة السياسية التى يحافظ بها على حياد الولايات المتحدة الأمريكية ، مع إحتفاظه فى نفس الوقت بالحد الأقصى للتهديدات العسكرية التى يحافظ بها على الشعبية العربية ، واعتبر هذا التوازن بين المرونة والتهديد كفيلا بإبعاد المعركة إلى ما بعد يوم الأربعاء ٧ يونية ، الذى يحقق له السيطرة العسكرية فى الصراع العربى الإسرائيلى ، إلى جانب طائرات التيبيلوف قاذفات القنابل الرهيبة بعيدة المدى التى قيل أنها تستطيع تدمير ثلثى إسرائيل ، والتى كان المشير عامر يهدد بها الأسطول السادس الأمريكى نفسه فى أعماق البحر المتوسط ، ولعل عبد الناصر كان يتطلع بشوق عظيم إلى الوصول إلى هذا الموقف العسكرى المتفوق فى يوم الأربعاء ٧ يونية ليكون من العناصر الحاسمة فى ضغوطه السياسية ، التى كان يعتقد أنها كفيلة بحصوله على نصر سياسى يغنيه عن حسم عسكرى .

أثناء عودتى مع السادات إلى بيته لامنى على إبداء وجهات نظرى التى لم تضع فى إعتبارها هيبة الرئيس عبد الناصر أمام العالم ، وأبلغنى أنه قبل يوم واحد من وصول الملك حسين إلى مصر استقبل الرئيس عبد الناصر السادة عبد اللطيف بغدادى وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين الذين كانوا فى غاية الذعر ، فطمأنهم الرئيس مؤكدا لهم أن إسرائيل لا تستطيع أن تبدأ المعركة قبل ستة أشهر على الأقل ، أما إذا اشتركت معها أمريكا فإن روسيا قد أكدت له أنها سوف تشترك مع العرب (فى هذه الحالة) إشتراكا فعليا فى الحرب ضد أمريكا وهذا ، على حد قول الرئيس عبد الناصر ، ما لا تريد أمريكا أن يتطور إليه الموقف العالمى الذى يؤدى إلى حرب عالمية ثالثة .

ولعل حسابات الرئيس عبد الناصر هذه كانت الأساس الذى جعله يحذر الفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية المصرية بأنه يتوقع قيام إسرائيل بالضربة الأولى يوم الإثنين ٥ يونية أو الثلاثاء ٦ يونيه . وبناء على تقدير الفريق صدقى أن هذه الضربة لن تجعله يخسر أكثر من عشرة فى المائة من قواته وافق عبد الناصر على قبول المجازفة بالإنتظار إلى الأربعاء ٧ يونية ، الذى يضعه فى موقف عسكرى متفوق رغم هذه الخسارة المحدودة بحسب تقدير قائد القوات الجوية ، عندئذ يصبح فى حل من تدمير إسرائيل بعد أن يكون قد استجاب لإلحاح روسيا بعدم البدء بالحرب فيتجنب لومها السياسى ، واستجاب لطلب أمريكا بضبط النفس فيتجنب تدخلها العسكرى .

٤

بدأت إسرائيل المعركة صباح الإثنين ٥ يونية ١٩٦٧ وفى الحال استقبل الرئيس عبد الناصر سفير الإتحاد السوفيتى ديمترى بوجاديف ، وأعلنت المصادر السوفيتية المطلعة فى موسكو أن (الإتحاد السوفيتى سيقف فى النزاع العربى الإسرائيلى موقفا عسكريا متناسبا مع موقف الولايات المتحدة الأمريكية أو أية دولة غربية كبرى أخرى ، وأن أى تدخل بأية درجة من الغرب إلى جانب إسرائيل سيؤدى إلى تدخل بنفس الدرجة من جانب الإتحاد السوفيتى إلى جانب الدول العربية) ، وفى بلجراد أعلن الرئيس اليوغسلافى تيتو (وقوفه إلى جانب مصر) .

ذهبت على الفور إلى رئاسة الجمهورية حيث أمضيت ذلك اليوم مع الدكتور حسن صبرى الخولى كى أقوم بأى عمل ، حيث لم أطق البقاء فى بيتى ، بينما كانت مصر ومن خلفها الأمة العربية تخرض المعركة المصيرية .

كنت مع الدكتور الخولى وزملائه فى رئاسة الجمهورية فى قمة النشوة عندما كنا نتابع أخبار الإنتصارات العربية التى كانت تزفها الإذاعات المصرية . وكنا لا نصدق ما عداها مما كان يصل إلينا من أخبار المصادر الأجنبية .

فى عصر ذلك اليوم (٥ يونية ١٩٦٧) وقع بصرى على برقية من الملك فيصل إلى الرئيس عبد الناصر قال فيها :

(إننا نقف إلى جانبكم بجميع قواتنا وطاقاتنا فى هذه المعركة المصيرية ، ونؤيدكم كل التأييد فى هذه المعركة الحاسمة فى تاريخ الأمة العربية ، وقد دخلت قواتنا الأردن لتعمل بجانب شقيقاتها العربيات ، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يؤيدنا جميعا بنصر من عنده) .

كما وقع بصرى فى نفس الوقت على برقية الرئيس عبد الناصر ردا على برقية الملك فيصل قال فيها :

(فى هذه المعركة الفاصلة التى يتحدد فيها مصير أمتنا العربية ، ويعرف كل منا مكانه إلى جانب أخيه ، نخوضها جميعا جنبا إلى جنب لنمحو من أرض فلسطين ظل الصهيونية ، ونعيدها عربية كما كانت وكما أراد الله أن تكون ، فليعلم أعداؤنا أنهم بعدوانهم علينا قد كتبوا على أنفسهم الهزيمة ، وفتحوا لنا طريق النصر ، وإذ أشكر لجلالتكم برقيتكم أسأل الله أن يدعم إنتصاراتنا ، وأن

يكون لنا رائدا فى كل خطواتنا ، والله معنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

عندما قرأت هاتين البرقيتين حمدت الله على التضامن العربى الذى أكدته برقية الملك فيصل ، والإنتصارات العربية التى أكدها رد الرئيس عبد الناصر .

وقبل أن أغادر مكتب الرئاسة عند الساعة التاسعة مساء بشرنى الدكتور الخولى واثقا مبتسما وهو يبلغنى بأن (عمك) سوف يضرب ضربته القاضية فى الدقيقة الأولى بعد الساعة الثانية عشر مساء نفس ذلك اليوم (٥ يونية ١٩٦٧) . ولما سألته عن (عمك) وضربته القاضية قال أنه المشير عامر ، وأن ضربته القاضية هى الغارة المصرية الساحقة التى سوف تقوم بها الطائرات التيبولوف المصرية لتمحو من الخريطة ثلثى إسرائيل .

وصلت إلى بيتى الساعة العاشرة مساء ذلك اليوم فوجدت زوجتى تبكى ما أصاب مصر والأزمة العربية ، فعاتبتها عتابا شديداً ، وأسفت لوقوعها فريسة للحرب النفسية التى روجتها الإذاعات الأجنبية .

أحضرت خريطة فلسطين ووضعتها على الأرض وأضأت شمعة حيث كانت التعليمات تقضى بإظلام القاهرة ومعظم المدن المصرية .

وعلى ضوء الشمعة أمسكت قلمى الأحمر ، وحذفت من الخريطة ، وبكل ثقة وإطمئنان ، ثلثى إسرائيل ونصحت زوجتى بأن تراقب أخبار ما بعد الساعة الثانية عشر من مساء ذلك اليوم .

سهرت معها حتى الصباح ولم نسمع شيئا يطمئن له القلب وينشرح به الصدر ، وعندما وصلت إلى رئاسة الجمهورية رأيت الدكتور الخولى حزينا مهموما ، وعندئذ عرفت تفاصيل ما حدث منذ صباح اليوم السابق (٥ يونية ١٩٦٧) الذى عشناه مبتهجين فى رئاسة الجمهورية لا نعرف حقيقة ما أصاب الجبهات المصرية والأمة العربية .

راجعت ما وقع عليه بصرى فى اليوم السابق (٥ يونية ١٩٦٧) وعلى وجه الخصوص برقية الملك فيصل ورد الرئيس عبد الناصر ، على ضوء أن الملك فيصل قد أرسل برقيته بعد أن قامت الحرب وعرف من مصادره العليمة أن الضربة الجوية الإسرائيلية قد أنهت المعركة فى الساعة الأولى من قيامها ، فأعدت قراءة هذه البرقية على أنها برقية أخوية لشد أزر الرئيس وإمتصاص مشاعر اليأس التى تخلقها الهزيمة الفورية .

كما أعدت قراءة رد عبد الناصر على أنه ربما قد صاغه ولم يكن قد عرف التفاصيل الكاملة عن حجم الكارثة التى لحقت بالجبهة المصرية .

لم يدرك الرئيس عبد الناصر أن إسرائيل كانت الأداة التنفيذية ، الشرقية والغربية ، كما أنها كانت تعرف جميع الظروف المحيطة بها ، وجميع العناصر المؤثرة فى دورها ،

وتعرف كل ما يدور في ذهن عبد الناصر وإذهان من حوله من القيادات السياسية والعسكرية ، علاوة على ما كان يصل إلى سمعها وبصرها من معلومات دقيقة عن تحركات وقدرات الوحدات العسكرية المصرية ، ومواقعها الإستراتيجية ومطاراتها السرية ، وما فوق هذه المطارات من طائرات تهدد الأساطيل الأمريكية والأراضى الإسرائيلية .

إذن .. كان تخطيط عبد الناصر مكشوفا فى إسرائيل ، معروفا فى الولايات المتحدة ، مرسوما فى الإتحاد السوفيتى ، الذى استخدم أو خدر شمس بدران فى موسكو ليسقط قيادة عبد الناصر فى القاهرة .

ولعل ظروف عبد الناصر الصحية كانت قد أضعفت قدرته الشخصية على دقة إختياره للقرارات السياسية على ضوء ما تراكم من الخلافات العربية وتبين من الصراعات الإستراتيجية الدولية .

لم تترك إسرائيل لعبد الناصر فرصة يوم الأربعاء ٧ يونية ، وبدأت فى الإجهاز على الزعامة الناصرية يوم الإثنين ٥ يونية ، وضربت القوات العراقية وهى منقولة على السيارات والمدرعات فى طريقها إلى مواقعها فى الضفة الغربية ، فى ذات الوقت الذى قامت فيه بتدمير الطائرات المصرية الواقفة على أرضها .

وكانت الكارثة العربية .

لم يكن لدى الرئيس عبد الناصر ، كما قال فى إحدى خطبه ، ما يدافع به عن بيته فى منشية البكرى ، بينما كان عدد القوات المصرية فى اليمن حوالى ثلاثين ألفا ، فكان لا مفر من سحب هذه القوات من اليمن ليدافع بها عن عاصمة مصر .

وتحقق ما أراده الشرق وانتظره الغرب .

تحققت للشرق سقوط الأنياب الناصرية ، وتقليم أظافرها ، وخلع قرونها ، وارتمائها الأكثر ترحيبا بالعناصر السوفيتية ، والأقل عداد للشيوعية .

وتحققت للغرب حتمية سحب القوات المصرية فى اليمن ، وزوال التهديد المصرى وما يمثله من نفوذ سوفيتى فى الجزيرة العربية ، وما يرفعه من شعارات تهاجم الدول العربية ذات العلاقات الودية مع الدول الغربية . وبعد ذلك لا يضير الغرب أن تبقى الزعامة الناصرية بغير قرونها السياسية وأنيابها الثورية ، طالما أنها لم تصل بعد إلى الإختيارات الشيوعية .

وما حصل عليه الشرق كان على حساب الغرب ، وما حصل عليه الغرب كان على حساب الشرق ، ولا غرابة فى ذلك ، فتلك طبيعة الأخذ والعطاء ، وعدالة توزيع الأرباح بين الشركاء ، وإن شئت قلت إنها شريعة الغاب عند إلتقاء الأقوياء على لحوم الضعفاء .

٥

أخذت أمعن الفكر فى مستقبل الجمهورية اليمنية ، على ضوء حتمية إنسحاب القوات المصرية التى كانت تحميها ، فقد كنت اعتقد أنه لم يعد هناك مفر من سحب هذه القوات كنتيجة حتمية للمتغيرات الشرقية والغربية ، التى حلت بالساحة العربية ، فأرسلت فى ٧ يونية ١٩٦٧ أى قبل الوقف النهائى لإطلاق النار رسالة إلى الرئيس السلال نصها :

(لا شك أنكم وقد تزعمتم ثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة تدركون تماما أبعاد التطورات التى ستخلفها عودة القوات العربية من اليمن خلال الأشهر القليلة القادمة ، الأمر الذى يقضى بتجنيد جميع الجهود الثورية ووضع مخطط عمل شامل يخفف – من الآن – الآثار الإقتصادية والسياسية والعسكرية التى ستترتب حتما عندما تتأكد الجماهير من حتمية عودة هذه القوات .

لذلك أضع نفسى رهن إشارتكم للعمل فى الداخل دون النظر إلى أى منصب أو أى هدف سوى النضال تحت قيادتكم من أجل الحفاظ على المكاسب الثورية الشعبية .

وإننى أدعو الله لكم بالتوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم عبد الرحمن البيضانى .

كنت أسعى إلى الإعتماد على أنفسنا فى الدفاع عن الجمهورية فى اليمن ، معتقدا أن الضمير الجمهورى فى صنعاء يجب أن يستيقظ على هول الكارثة التى أصابت القاهرة ، ومن جهة أخرى كنت واثقا فى أن الذين تخلوا عن الدفاع عن الجمهورية إحتجاجا على السياسة المصرية سوف ينتقلون من سلبية التعامل مع الوجود المصرى إلى إيجابية الدفاع عن الوجود الجمهورى .

لذلك استخدمت فى رسالتى إلى السلال أرق الألفاظ ، لكنه كان يعتقد أن القوات المصرية لن تنسحب من اليمن بالرغم من النكسة القومية التى أصابت مصر أكثر من غيرها من الدول العربية ، وكان يعتقد أن الحب العذرى قد بلغ بعبد الناصر إلى الدرجة التى عندها يفضل لذة الدفاع عن السلال فى اليمن على مرارة الهجوم على زعامته السياسية فى مصر .

أما التكاليف المالية والأعباء الإقتصادية التى يستلزمها بقاء هذه القوات فى اليمن فإنها لم تخطر للسلال على بال ، كما لم يدرك إبعاد الموقف العسكرى فيما وراء القتال .

طمأن السلال نفسه على إستمرار الوجود المصرى فى اليمن ، فلم يبذل أى جهد من أجل الوجود اليمنى فى اليمن ، ولم يشغل نفسه بالتفكير فى وضع مخطط يعمل على تخفيف الآثار الإقتصادية والسياسية والعسكرية التى تترتب على حتمية عودة القوات المصرية منها ، فضرب برسالتى عرض الحائط .



سفارة الجمهورية العربية اليمنية
بيروت

الرقم بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ

الأخ الرئيس عبد الله السلال حفظكم الله .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته :

لا شك أنكم وقد تزعمتم ثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة تدركون تماما أبعاد التطورات التى ستخلفها عودة القوات العربية من اليمن خلال الأشهر القليلة القادمة ، الأمر الذى يقضى بتجنيد جميع الجهود الثورية ووضع مخطط عملى شامل يخفف - من الآن - الآثار الاقتصادية والسياسية والعسكرية التى ستترتب حتما عند ما تتأكد الجماهير من حتمية عودة هذه القوات .

لذلك أضع نفسى رهن اشارتكم للعمل فى الداخل دون النظر الى أى منصب أو هدف سوى النضال تحت قيادتكم من أجل الحفاظ على المكاسب الثورية الشعبية .

وانى أدعو الله لكم بالتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

٧ يونيه ١٩٦٧ عبد الرحمن البيضانى

٦

استقبل الرئيس عبد الناصر سفير الإتحاد السوفيتى ديمترى بوجاديف فى ٨ يونية ١٩٦٧ وأثناء هذه المقابلة تأكد الرئيس من أن الإتحاد السوفيتى لن ينفذ تعهداته التى التزم بها ، لا سيما عندما اعتذرت روسيا عن عدم إستطاعتها إرسال طائرات إلى مصر زاعمة أن الرئيس اليوغوسلافى تيتو لم يسمح بهبوطها فى المطارات اليوغوسلافية للتزود بالوقود وهى فى طريقها إلى مصر ، مما دفع تيتو إلى مواجهة السفيرين السوفيتى والمصرى فى بلغراد معلنا أمامهما أنه لم يعارض أبدا فى هبوط الطائرات السوفيتية فى أراضيه وهى فى طريقها إلى مصر . وعندما إنكشفت خديعة الإتحاد السوفيتى نقل السفير السوفيتى إلى عبد الناصر ، فى تلك المقابلة ، أن موسكو قد وافقت على إرسال الطائرات بالبواخر إلى الجزائر حتى يتم تركيبها هناك ، مما أثار استياء الرئيس عبد الناصر فاستدعى على صبرى ثم عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وأعلن قبول مصر وقف القتال بدون قيد أو شرط .

ولا يجدر بى أن أتطرق إلى التفاصيل العسكرية التى ساهمت فى هذه النكسة فذلك ليس موضوعى .

لكننى فى صباح ٩ يونية ١٩٦٧ كنت مع أنور السادات فى بيته ، وكان يتأهب للخروج مرتديا ثياب الصيد الصفراء حاملا عددا من بنادق الصيد ، التى كان يحتفظ بها كواحد من هواة الصيد فى مصر .

سألته عن وجهته فقال أنه سوف يدعو كل من يستطيع حمل السلاح من أعضاء مجلس الأمة ، الذى كان رئيسا له ، إلى التصدى للتسلل الإسرائيلى بعد أن وصلت القوات الإسرائيلية إلى حافة الضفة الشرقية للقنال ، فى طريقها إلى غربها .

كانت تلك قمة المأساة التى لا تحتاج إلى أى إيضاح ، ولا تتسع لأى تعليق ، أكثر من التأمل فى حالة السادات النفسية التى جعلته يبحث عن عشرات من أعضاء مجلس الأمة ليدافع بهم عن مصر ببنادق صيد .

بعد خروجى من بيت السادات فى شارع الهرم طفت بشوارع القاهرة لا ألوى على شىء ،لا أعرف مكانا أقصده ، ولا زمانا أنتظره ، ولا عمرا أتمنى أن أعيشه . ولم تكن حسرتى على الأرض قدر حسرتى على الكرامة .

تقاذفتنى شوارع القاهرة كالطير الذبيح ، الذى يتهاوى من مكان إلى آخر ، فوق بركة من دمائه ، وكأنه يتشبث بأمل فى نجاة ، ويتعلق بحلم فى حياة ، ولا يريد أن يعترف بأنه قد ذبح ، وعروقه قد قطعت ، ودماءه قد سفكت ، ونهايته قد تأكدت .

وبالقرب من جامعة القاهرة التقيت بقافلة من سيارات هيئات تدريس الجامعات ، وعلمت أن الدكتور رفعت المحجوب المسئول عن تنظيم هيئات التدريس قد عقد إجتماعا فى قاعة إحتفالات الجامعة ، حيث وقف خطيبا بين الحاضرين ودعاهم إلى التوجه فى مسيرة إلى قصر القبة لتسجيل أسمائهم فى سجل التشريفات ، وإعلان تمسكهم بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر . وعرفت ، فيما بعد ، أنه بعد أن أدت المسيرة مهمتها فى قصر القبة وقف الدكتور رفعت المحجوب خطيبا مرة أخرى وطالب رجال الجامعة بالتجمع ، قبل تمام الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ، فى قاعة الإحتفالات بجامعة القاهرة ، حتى يستمعوا (إستماعا جماعيا) للخطاب الذى أعلنت صحيفة الأهرام أن الرئيس عبد الناصر سوف يلقيه على شعوب الأمة العربية .

وفى المساء أذاع الرئيس جمال عبد الناصر خطاب التنحى الحزين المؤثرمن محطات الإذاعة وعلى شاشات التليفزيون حيث قال فيه :

(برغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الازمة فإننى على أستعداد لتحمل المسئولية كلها . لقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدونى عليه ، لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى) ثم أعلن (أنه كلف السيد زكريا محيى الدين بأن يتولى رئاسة الجمهورية وفقا للمادة ١١٠ من الدستور).

فأبكى الشعب المصرى الذى لمح دموع الزعيم ، وشاهد رايته العالية تسقط من قمة الجبل الأشم ، إلى سفح القاع المظلم ، وتلقى به فى غياهب المستقبل المجهول ، فزحفت جموع الشعب إلى بيت الرئيس تطالبه بالبقاء فى منصبه وتتوعد نائبه زكريا محيى الدين الذى اختاره لخلافته . وفى قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة طلب الدكتور رفعت المحجوب من الحاضرين التوجه إلى بيت الرئيس لنفس الغرض .

بعد ساعة واحدة من اذاعة هذا البيان وصلت الى بيت الرئيس جمال عبد الناصر حيث إلتقيت بعدد من الشخصيات البارزة ، وأذكر منهم نواب الرئيس السادة زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وحسن إبراهيم وعلى صبرى وكذلك السادة عبد الحميد السراج وسامى شرف ومحمد أحمد ومحمد فائق والعقيد مصطفى كمال محمدى (اللواء رئيس هيئة ميناء القاهرة الدولى حاليا) الذى نشأت صداقتى معه منذ أن كان ملحقا عسكريا فى السفارة المصرية فى ألمانيا الغربية ثم كان قائدا للشرطة العسكرية يوم ٩ يونية ١٩٦٧ .

إحتشدنا فى صالون الرئيس الذى سبقنا إلى غرفة نومه وأغلقها على نفسه ، وكان بعضنا مشغولا فى التفكير فى أبعاد الهزيمة وقرار الرئيس ، بينما كان بعضنا الآخر منصرفا إلى إفاقة عبد الحميد السراج الذى وقع مغشيا عليه من هول الكارثة وتنحى الزعيم ، وجاءنى أحد مساعدى سامى شرف يعيد الىّ مسدسى الذى تركته لدى حراس

الباب كما كنت أفعل دائما عندما أذهب لزيارة الرئيس ، وقال إننى من أكثر الأصدقاء حرصا على حياة عبد الناصر ولا يليق بى أن أترك سلاحى على بابه .

كانت هذه اللفتة العاطفية وتلك الكلمات الأخوية من أشد العوامل النفسية التى ضغطت على مشاعرى ، غير أننى كنت فى ذلك الوقت أكثر إقتناعا بزكريا محيى الدين ، محملا جمال عبد الناصر كل المسئولية ، فقد عاصرت بنفسى أهم المراحل التى أدت إلى الكارثة القومية التى سميت فيما بعد بالنكسة العربية ، وشاهدت بعينى كيف حط السيل السوفيتى جلمود الزعامة الناصرية من علياء الأمة العربية إلى أيدى العناصر ذات العلاقة السوفيتية ، حتى تمكنت من الإستيلاء المطلق على شراع السفينة المصرية ، التى كانت تقود القافلة العربية فقذفت بها إلى ذروة النكسة .

كنت أكثر ميلا إلى زكريا محيى الدين ، فقد عاصرت بنفسى كيف ابتعد عبد الناصر عن مقتضى الزعامة ، واحتمى فيما تصور أنه مقتضى الحكم فضيع مقاليد الزعامة . ذلك لأنه ابتعد عن شركائه الثوار تخلصا من القيادة الجماعية ، وركز غيرهم تثبيتا للقيادة الفردية ، فخلق بنفسه مراكز القوى التى تصارعت على وراثته ، وتزاحمت على تركته .

أدى ذلك إلى ابتعاده عن أهل الخبره فتاه مع أهل الثقة ، لأن أكثرهم عندما يفتقدون الخبره لا يميزون بين ما ينفع الزعيم وما يضره ، فهم لا ينصحون إلا بما يسره ، ولا يضيرهم أن يصيب الزعيم ، ولا يؤذيهم أن يخطىء ، حتى إذا ما سقط فإنهم لا ينتصرون له ، لا يدافعون عنه ، لا يبكون معه ، لا يأسفون عليه . لأنهم يبحثون عن زعيم آخر يلتفون حوله .

هذا حال أهل الثقة عندما يفتقدون الخبره ، وهو حالهم فى كل مكان وكل زمان . لا تخلو صحف التاريخ من سيرتهم عندما تروى قصص الزعماء الذين يفاجأون بمالا يتوقعون .

وكنت ، ولا زلت ، كعربى من أبناء الأمة العربية اتطلع إلى زعيم قومى تتكامل به الزعامات الوطنية ، فتولد حوله القيادة الجماعية القومية حتى نستعيد مجدنا القومى ، ونحافظ على حقوقنا العربية .

ومع ذلك لم يكن الموقف النفسى يتسع فى ذلك الوقت للخيار بين جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين ، لأنه كان عزيزا على النفس أن تتقبل الهزيمة المهينة التى كان تنحى عبد الناصر بمثابة التسليم بها والتوقيع عليها .

فاشتركت فى إقناع عبد الناصر بالعدول عن قرار التنحى إشتراكا عاطفيا ، أكثر من كونه إختيارا عقليا ، ولم أكن أدرى فى ذلك الوقت هل كان يريد فعلا تنفيذ هذا القرار دون سواه ؟ أو كان يريده تطلعا إلى نقيضه ؟ أو كان يسعى إلى تحويل القلوب العربية من الشعور بمرارة فقدان الأرض إلى الشعور بمرارة فقدان الزعيم حتى يدفع الجماهير العربية إلى التماسك والصمود رغم الهزيمة والضياع ؟

سألت السيد زكريا محيي الدين لماذا لم يرفض رئاسة الجمهورية خلفا للرئيس عبد الناصر ؟ لا سيما بعد أن شاهد بنفسه كيف قام المتظاهرون حول بيت الرئيس بالإعتداء على وزير الإعلام السيد محمد فائق الذى تصوروا أنه زكريا محيى الدين .

أجابنى زكريا محيىٰ الدين بأنه أعد فعلا بيانا يرفض فيه رئاسة الجمهورية ويطالب الرئيس عبد الناصر بالإستمرار فى رئاستها ، غير أنه عندما أراد إذاعته رفض المسئولون فى الإذاعة أن يذيعوا كلمة منه .

اندفع العقيد مصطفى كمال محمدى قائلا أنه استلم صباح ذلك اليوم ذخيرة لأسلحة الشرطة العسكرية التى كان يقودها ، وأنه على إستعداد لأن يذهب بقواته مع السيد زكريا محيى الدين إلى محطة الإذاعة ، حتى يفرض عليها بالقوة إذاعة بيانه ، فتدخل السيد على صبرى مؤكدا أن مثل هذا الإجراء سوف يسيء إلى الرئيس عبد الناصر ، وأن الأفضل من ذلك أن نترك الرئيس يفكر بهدوء حتى يلهمه الله الرأى الصائب .

فى خضم الشعور بمرارة الهزيمة وبين أعاصير العاطفة الجارفة التى سيطرت على العقل المتأمل ، لم أفهم المعنى المستفاد من رفض الإذاعة المصرية بيان الرئيس زكريا محيى الدين الذى عينه جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية ، وسلمه كل المسئولية ، ثم ذهب يعتكف فى غرفة نومه بعد أن أعلن أنه يتحمل وحده مسئولية الهزيمة . لم أفهم كيف يرفض أحد من المسئولين بيان الرئيس زكريا محيي الدين ، وأن السيد على صبرى كان يقف من خلف الستار ، فاندفعت بمشاعرى العاطفية إلى الإلحاح على أنه ينبغى علينا ألا نترك الرئيس فى غرفة نومه المغلقة يعانى وحده صدمة الهزيمة ، لما قد يترتب على ذلك من مضاعفات نفسية خطيره ، فقال السيد على صبرى أن الرئيس قد أمر بألا يدخل عليه أحد ، وبعد نقاش طويل اقترح السيد محمد أحمد مدير مكتب الرئيس أن يحمل إليه رسالة تشرح له رجاءنا وإلحاحنا على أن يعيد النظر فى قراره ، وقد اشتركت فى إعداد إفكارها واختيار ألفاظها ، ودخل السيد محمد أحد إلى الرئيس عبد الناصر وعاد يحمل إلينا بشرى قبوله إعادة النظر فى قراره فى جلسة خاصة يعقدها مجلس الأمة اليوم فى التالى لهذا الغرض وحده دون سواه .

خرجت من منزل الرئيس عبد الناصر مع عضو مجلس قيادة الثورة المصرى السيد عبد المنعم أمين وتوجهنا معا إلى معسكر زهراء الحلمية ، حيث كان يقيم المشير عبد الحكيم عامر الذى افتقدناه فى بيت الرئيس فخشيت أن تفتك به الأزمة النفسية بعد الهزيمة العسكرية ، وكنت لا أعرف ما يدور فى كهوف الصراع السياسى .

لم نجد المشير عامر فى معسكر زهراء الحلمية وتوجهنا إلى بيته فى الجيزة ولم نجده ثم طفنا بالأماكن التى كنا نحتمل أن نجده فيها ، غير أننا لم نعثر منه على أثر ، وعندما اقترب الفجر توجه كل منا إلى بيته .



فزع الإتحاد السوفيتى من إعلان عبد الناصر قرار التنحى وتسليم الرئاسة لزكريا محيى الدين يوم ٩ يونية ١٩٦٧ ، فأرسل فى صباح اليوم التالى (١٠ يونية ١٩٦٧) رسالة إلى الرئيس بتوقيع زعماء الإتحاد السوفيتى الثلاثة بريجينيف وكوسيجين وبودجرنى ، كمظاهرة سياسية سوفيتية يناشدونه فيها أن يعدل عن قرار التنحى (من أجل دور الأمة العربية كلهافى العالم ، ومن أجل حركة الثورة الوطنية والسلام العالمى) كما أبلغوه تجاوب مؤتمر رؤساء الحكومات والأحزاب الإشتراكية الذى انعقد فى موسكو فى ٨ يونية ١٩٦٧ للإستجابة لطلبات الرئيس ، التى قدمها للسفير السوفيتى عندما استقبله فى نفس ذلك اليوم .

فى إعتقادى أنه بعد أن التقى الرئيس عبد الناصر بالسفير السوفيتى يوم ٨ يونية ١٩٦٧ ، وتأكد من ارتياح الإتحاد السوفيتى لفتح السماء المصرية للطائرات الإسرائيلية تنفيذا لأحد أدوار الخطة الشرقية والغربية ، اكتشف الرئيس هدف الإتحاد السوفيتى من الإشتراك فى خطة إسقاط الزعامة الناصرية ، فقرر أن يرد على الإتحاد السوفيتى بضربة مضادة قبل أن يستثمر نتائج الهزيمة العربية ، فقرر التنحى وتسليم رئاسة الجمهورية لزكريا محيى الدين ، المعروف برأيه المعلن بأن المصلحة المصرية الوطنية والعربية تقتضى عدم الدخول فى عداوة مع أمريكا وعدم الإرتماء بين أقدام روسيا . وكان معنى تنصيب زكريا محيى الدين هو البدء فى إقتلاع الجذور السوفيتية من مصر ، وإعتبار الإتحاد السوفيتى صديقا دوليا بقدر اهتمامه بالمصلحة المصرية والعربية .

أدرك الإتحاد السوفيتى خطورة قرار الرئيس عبد الناصر الذى كان الإتحاد السوفيتى يتطلع إلى إخراجه من الحكم مهزوما عسكريا ، مهانا دوليا ، مغضوبا عليه مصريا وعربيا ، حتى يمكن أن يكون البديل الجاهز فى غيبة القوة العسكرية المصرية المنهارة هو على صبرى ومجموعته ، التى يمكننا أن نقطع بأنها هى الأخرى ليست ماركسية ، غير أنها تمثل الواجهة التمهيدية التى تحمى الخطط السوفيتية ، ولا تعارض فى تركيز القيادات الماركسية . تلك القيادات التى لا تظهر فى مقدمة الصف الأول إلا بعد إستيلائها على مؤخرة الصف الأخير ، وعندئذ تسقط الواجهة السياسيةالتمهيدية بعد نجاح الغرض من التمهيد ، الأمر الذى كان مستحيلا فى ظل عبد الناصر ، وممكنا تحت مظلة على صبرى ، سواء كان على صبرى يعرف هذا التخطيط أو يجهله .

ثم كانت صدمة الاتحاد السوفيتى بقرار عبد الناصر ، وتشبث الجماهير المصرية والعربية بقيادته ، فأعاد الإتحاد السوفيتى حساباته وتمهل فى قطف ثمار مخططاته .

عندما استلم الرئيس عبد الناصر رسالة الزعماء السوفييت الثلاثة تقرر السماح بإذاعة بيان زكريا محيى الدين الذى أعلن فيه أنه (لا يقبل كمالا تقبل جماهيرنا العربية قيادة غير قيادة جمال عبد الناصر) إلى أن قال (لا تستطيع أية نكسة أن تعوق شعبنا عن مسيرته وراء قيادة جمال عبد الناصر) . وكان زكريا محيى الدين قد أصدر تعليماته إلى جميع اجهزة الأمن للحفاظ على أمن الدولة والجهاز الإدارى ، حتى لا تستغل العناصر المغرضه الفراغ السياسى بعد قرار عبد الناصر بالتنحى ، كما أصدر تعليماته بالحرص على أمن وسلامة الجماهير وهى تعبر عن تمسكها بقيادة عبد الناصر .

وبعد منتصف يوم ١٠ يونية ١٩٦٧ إنعقد مجلس الأمة وأعلن أنور السادات أنه تلقى رسالة من الرئيس عبد الناصر وافق فيها على البقاء فى منصبه نزولا على إرادة الشعب ، وأعتذر عن عدم إمكانية حضوره إلى المجلس ، بعد أن غصت شوارع القاهرة بمئات الألوف من الجماهير التى توافدت عليها من كل أنحاء الجمهورية .

فى ١١ يونية ١٩٦٧ أصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بتعيين الفريق أول محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة ، وقرارا بتعيين الفريق أول مدكور أبو العز قائدا للقوات الجوية ، وأعلن قبول إستقالات الفرقاء الأول سليمان عزت قائد القوات البحرية ، ومحمد صدقى محمود قائد القوات الجوية ، وأحمد حليم إمام ، وعبد المحسن كامل مرتجى ، وجمال عفيفى ، والفريق أنور القاضى . وأحال إلى المعاش اللواء عبد الرحمن فهمى ، واللواء عثمان نصار ، واللواء حمزة البسيونى ، واللواء طيار إسماعيل لبيب . وكانت هذه القرارات بمثابة إبعاد للمشير عامر عن القوات المسلحة مع بعض كبار الشخصيات العسكرية الموالية له ، كحلقة من حلقات الصراع على السلطة على ملعب القيادة السياسية فى مصر ، الأمر الذى أدى إلى تزايد قوة على صبرى التى يدعمها الإتحاد السوفيتى .



سافرت إلى الكويت يوم ١٦ يونية لأشترك مع الوفد اليمنى فى مؤتمر وزراء الخارجية العرب يوم ١٧ يونية ١٩٦٧ ، وعندما تقرر سفر الوفود العربية إلى نيويورك لحضور إجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة للنظر فى العدوان الإسرائيلى سافرت مع الوفد اليمنى إلى الولايات المتحدة .

وفى ٢١ يونية ١٩٦٧ وصل إلى القاهرة رئيس الدولة السوفيتى بودجورنى ومعه المارشال زاخاروف حيث إجتمعا مع الرئيس عبد الناصر ، وطلب المارشال زاخاروف من الرئيس عبد الناصر تشكيل هيئة إستشارية عسكرية سوفيتية مصرية ، وإعادة الضباط المصريين الذين تدربوا فى الإتحاد السوفيتى إلى الخدمة العسكرية ، بعد أن كان عبد الناصر قد أحالهم إلى وظائف مدنية . كان من بين هؤلاء ، على سبيل المثال ، اللواء حسن صنديد الذى كان يعمل فى ذلك الوقت رئيسا لهيئة الشحن والتفريغ فى ميناء الأسكندرية . وعلى أثر ذلك ارتدى على صبرى الزى العسكرى برتبة فريق أول ليرأس هذه الهيئة من الجانب المصرى .

عند عودة بودجورنى فى اليوم التالى صرح للرئيس عبد الناصر فى المطار قائلا (إن الإستعماريين وصنائعهم يتصورون أننا جئنا لنتبادل أحاديث عن الصداقة بيننا ، إننا سوف نثبت لهم جميعا أننا نعنى ما هو أكثر من هذا الحديث) .

ومما يجدر ذكره أن الرئيس عبد الناصر تبين هدف الإتحاد السوفيتى من وراء تشكيل هذه الهيئة وإعادة على صبرى إلى الخدمة العسكرية فقرر حلها ، ولم يمض على تشكيلها غير بضعة أسابيع . الأمر الذى يؤكد أثر النكسة على يقظة عبد الناصر فى مواجهة التخطيط السوفيتى لإحتواء مصر والمنطقة العربية .

وهذا ما تعلمه السادات عن عبد الناصر عندما تخلص نهائيا من هذه العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية بقراره الخطير الذى اتخذه فى مايو ١٩٧١ ، تلك العناصر التى وصفها الأستاذ محمد حسنين هيكل بأنها مراكز قوى وما ضل هيكل فى وصفهم وما غوى ، فهو أحدهم وليس كبيرهم .

اجتمع رئيس الوزراء السوفيتى مع الرئيس الأمريكى جونسون فى جلاسبور بولاية نيوجرسى الأمريكية فى ٢٣ يونية ١٩٦٧ ولم تصدر أية تصريحات من الجانبين ، ثم

ذهب كوسيجين مع ستين من أعضاء الوفد السوفيتى لمشاهدة شلالات نياجرا السياحية ، وعندما عاد منها اجتمع بالدكتور محمود فوزى رئيس الوفد المصرى قبل أن يجتمع للمرة الثانية والأخيرة بالرئيس الأمريكى يوم ٢٥ يونية ١٩٦٧ ، ثم عقد كوسيجين مؤتمرا صحفيا أعلن تأييده للعرب .

كنا نبدأ إجتماعاتنا فى الأمم المتحدة صباح كل يوم فى بيت سفير الكويت ، ثم نذهب إلى قاعة الجمعية العمومية ، وكان يمثل مصر إلى جانب الدكتور محمود فوزى عدد من الشخصيات المصرية التى كان من بينها دكتور حسن صبرى الخولى والسفير عوض القونى والسفير حلمى الثانى ، وكنا كثيرا ما نتوصل إلى مشروع قرار متوازن يحقق أقصى ما يستطيع العرب تحقيقه ويمكن ، فى نفس الوقت ، أن يحظى بموافقة أغلبية أعضاء الأمم المتحدة ، على أساس أن تمتنع دول أمريكا اللاتينية عن التصويت بناء على إتفاقها معنا على ذلك ، لكننا كنا نصطدم إما بعودة الدكتور إبراهيم ماخوس رئيس الوفد السورى إلى التشدد ، وإما بعدول دول أمريكا اللاتينة عن وعدها بالإمتناع عن التصويت .

سألت أحد مندوبى هذه الدول ، ذات يوم ، عن سبب العدول فقال أن جولد برج رئيس الوفد الأمريكى قال لهم أنه لا توجد فى قاموس اللغة الأمريكية عبارة (ممتنع عن التصويت) وأنه لا يوجد فى هذا القاموس سوى (أوافق) أو (لا أوافق) . فاعتبرت هذه الدول أن جولدبرج يقصد من ذلك أن يضعها أمام الخيار بين الصداقة الأمريكية التى تحمى حريتهم السياسية ، والصداقة العربية التى لا تحميهم من الإنقلابات العسكرية .

وعندما غلب علينا اليأس من منظمة الأمم المتحدة اقترحت على الوزراء العرب أن نحاول معرفة الشروط التى يطلبها الرئيس الأمريكى جونسون من الدول العربية ، حتى يسمح للأمم المتحدة بإصدار قرار منصف ، لا يلقى بإسرائيل فى البحر ولا يدفن حقوق العرب فى الأرض . وافق الوزراء على هذا الاقتراح لعلنا نهتدى إلى بداية موفقة لحل القضية العربية ، واخترنا أربعة منا يمثلون دولا عربية تتمتع بعلاقات أمريكية أفضل من غيرها .

وكان فى ذهنى أن هذه المبادرة العربية سوف تلقى ترحيبا لدى الرئيس الأمريكى جونسون ، لأنها تعتبر بمثابة إعتراف من جانب الدول العربية بالدور الأمريكى فى الشرق الأوسط ، الأمر الذى إذا أحسنت أمريكا استغلاله فإنها يكون فى وسعها أن تساند هذا التضامن العربى لإيقاف التوسع السوفيتى فى المنطقة العربية . وهو ما تسعى إليه الدول العربية المعتدلة ، وما أصبح عبد الناصر نفسه يتمنى أن يتجه إليه بعد أن تأكد من حقيقة الأطماع السوفيتية فى مصر والأمة العربية .

سافر الوزراء العرب الأربعة إلى واشنطون ..

وعاد الوزراء العرب الأربعة من واشنطون ..

وعندما اجتمعوا مع بقية الوزراء العرب المنتظرين فى نيويورك لم نظفر منهم بأى جديد ، سوى أنهم قالوا لنا (إن الرئيس جونسون لا يطلب من العرب أية شروط ، ولا يتدخل فى شئون الأمم المتحدة) .

وفى لقاء خاص مع واحد من مساعدى وزير من أولئك الوزراء الأربعة همس فى أذنى ، ويكاد يخنقه البكاء ، وتمزقه الحسرة ، وقال (إن الرئيس جونسون قال لهم أن العدو الأول والأخير للأمة العربية والإسلامية هو عبد الناصر ، وليس إسرائيل التى فى وسع أمريكا أن تأمرها بالعودة إلى حدودها بمجرد أن يطمئن « جونسون » إلى أن عبد الناصر لن يعود إلى عرش الزعامة العربية ، وأحلام الأمبراطورية المصرية التى يسعى إلى فرضها بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، من الخليج إلى المحيط .) .

ثم أبلغنى محدثى أن الرئيس جونسون لم يترك أية فرصة لأحد من الوزراء العرب الأربعة كى يرد عليه ويشرح له مخاوف الأمة العربية من الأطماع الصهيونية ، وأنه فى وسع العرب تحقيق الوحدة العربية التى تساعدهم على وقف انتشار المبادىء الشيوعية .

كان ذلك موقف الغرب الذى يمثله الرئيس الأمريكى جونسون سنة ١٩٦٧ .

واتفق الوزراء العرب على إخفاء ما صدم به جونسون مشاعرهم العربية حفاظا منهم على مشاعر عبد الناصر حتى يستمر فى العمل العربى من أجل إزالة آثار العدوان الصهيونى .

وعلى الجانب الشرقى كنا ننتظر نتائج إيجابية ، بعد إجتماع كوسيجين مع الرئيس الأمريكى جونسون ، فتصور بعضنا أن يلتقيا على أنصاف العرب فتخرج الأمم المتحدة من حيرتها ، عندما يتوازن الإنحياز السوفيتى المعلن لصالح العرب مع الإنحياز الأمريكى المعلن لصالح إسرائيل .

لكن كوسيجين اجتمع بجونسون ، ولم يتغير الموقف ولم يظهر من الإنصاف إلا أنهما قد استعرضا تفاصيل الغنيمة ونصيب كل منهما ، وإتفقا على الخطوات التى يخطوها أحدهما هنا والتى يخطوها الاخر هناك ، كما اتفقا على الذى تقوله موسكو للعرب ولا تفعله ، والذى تفعله واشنطن لإسرائيل ولا تقوله .

وسافر رئيس السوفيت وتركنا ننتظر ثم ننتظر فى بيت سفير الكويت ، حتى مللنا الإنتظار وعادت الوفود العربية إلى بلادها ، وكان البسطاء منا يتصورون أن المشكلة تنحصر فى الإنسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية ، ولا يدركون أن جوهر القضية هو المصالح الدولية ، وصراعها ثم إتفاقها على إقتسام الغنيمة العربية ، وأن الإحتلال الإسرائيلى ليس سوى الأغلال التى قيدت أعناق العرب والسياط التى ألهبت ظهورهم حتى يتم إفتراسهم .

وفى وداع إجتماعات الأمم المتحدة التى تقرر فيها تأجيل دورتها الخامسة الطارئة أعلن ارثر جولدبرج مندوب أمريكا أنه (لا بد من ربط الإنسحاب الإسرائيلى بإنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل) وهو ما كانت ترفضه سوريا على وجه الخصوص ، أما جروميكو رئيس الوفد السوفيتى فقد ألقى كلمة بليغة قال فيها (إن الشعب السوفيتى يكن إحتراما عميقا لشعوب دول أمريكا اللاتينية ، ومما أحزنه وأحزن الاخرين تلك الصورة التى حدثت أمام أعين الجميع ، صورة ضغط وقح ، مارسته الولايات المتحدة على دول أمريكا اللاتينية حيث استخدمت جميع وسائل القسر والإرغام) .

ازداد يقينى أن الشرق والغرب اللذين التقيا على هزيمة الزعامة المصرية قد اتفقا فى ذلك الإجتماع على أنه لم يكن فى الإمكان أبدع مما كان . وخلال الأيام الأربعين ، التى قضيتها مع الوفود العربية وأعضاء الجمعية العمومية ، عرفت مفهوما جديدا من مفاهيم عدم الإنحياز ، وتعلمت معنى حقيقيا من معانى الحياد الإيجابى .

وثمة حقيقة تاريخية أخرى يجب أن أعترف بها أمام الأجيال القادمة . تلك أننى تأكدت بيقين ، خلال هذه الأيام الأربعين أن الوفود العربية لم تكن تفكر قوميا فى الموضوع العربى الذى اجتمعت من أجله ، وكان لكل وفد منها شأن يغنيه عن صاحبته وبنيه . وكانت إسرائيل تعرف كل ذلك ، وكانت القوى الكبرى تعرف ما هو أكثر من كل ذلك .

وأخطر ما أخشاه أن يظل المناخ العربى الذى مهد للنكسة هو ذات المناخ الذى يحول دون إزالة اثارها .



الرئيس عبد الناصر يحمل على أكتافه هموم النكسة

اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا
صَالِحًا وَءاخَرَ سَيِّئًا

قرآن كريم

مراجعة النفس

الفصل السابع عشر

١

ثبت للعقلاء أنه من قبيل المراهقة الفكرية الإستمرار فى رهن العلاقات المصرية السعودية على مشنقة المشكلة اليمنية ، التى يلزم تركها لأهلها ، فى وقت تفرض فيه المتغيرات العربية والدولية ضرورة الإتفاق عل هدف عربى مشترك ، للتوصل إلى عمل عربى مشترك ، إنقاذا لمصير عربى مشترك .

لم يعد شكل النظام فى اليمن يمثل إهتماما عربيا عاما أمام الكارثة القومية العامة ، التى رمت بالأمة العربية فى أسفل القاع ورفعت إسرائيل إلى قمة الجبل .

كان من الضرورى أن يتفق العرب على الإرتفاع إلى مستوى الأحداث ، بصرف النظر عن بواعثها وأسبابها ، لأن الأهم من هذه البواعث وتلك الأسباب هى النتائج الشاملة التى دمرت كرامة العرب ، وأهانت كبرياءهم ، وأذلت أعناقهم على إمتداد ساحتهم العربية وأمجادهم القومية .

كان لا بد من إتفاق العرب على وقفة إستيعاب لمراجعة النفس ومحاسبة الضمير ، وبعث روح الجماعة ووحدة الصف إلتزاما بالمسئولية التاريخية عن مصير الأمة العربية ، الذى لا يضيره أن يبقى السلال أو يعود البدر ، ولا يرد إعتباره أن تكون اليمن دولة تقدمية مثل سوريا التى فقدت الجولان ، أو دولة محافظة كالأردن التى فقدت القدس والضفة الغربية ، أو دولة رائدة كمصر التى فقدت غزة وسيناء والقنال مع العتاد والمال والرجال .

لذلك عقد وزراء الخارجية العرب فى أول أغسطس ١٩٦٧ إجتماعا فى الخرطوم للتمهيد لإجتماع قمة عربى ، وتقدم فى هذا الإجتماع السيد محمود رياض وزير الخارجية المصرى بمبادرة مصرية لتسوية المشكلة اليمنية ، حتى لا يكون الخلاف المصرى السعودى حولها يمثل أية عقبة أمام فرصة العمل العربى المشترك لإنقاذ الحقوق العربية ، وتضمنت هذه المبادرة إقتراح العودة إلى إتفاقية جدة على ألا تشرف مصر والسعودية على تطبيقها ، وإنما تتولى ذلك ثلاث دول عربية أخرى ، تختار مصر إحداها وتختار السعودية الثانية ويجرى إختيار الثالثة بمعرفة مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، على أن يكون من الممكن أن تمثل مصر والسعودية فى لجنة السلام العربية المشتركة .

علق الوزير السعودى السيد عمر السقاف على المبادرة المصرية بأن السعودية على إستعداد لحل مشكلة اليمن على أساس مبدأين .



الاجتماع المغلق فى بيت الرئيس السودانى محمد أحمد محجوب
من اليمن : الأمير سلطان بن عبد العزيز فالسيد محمود رياض فالأستاذ محمد أحمد محجوب
فالرئيس جمال عبد الناصر فالملك فيصل (٢٩ أغسطس ١٩٦٧) .

أولهما : عدم التدخل فى شئون اليمن من قبل دولة عربية أو غير عربية ، وإنسحاب القوات المصرية من اليمن ووقف الدعم المالى من السعودية بعد أن يتم الإنسحاب .

وثانيهما : أن يقرر الشعب اليمنى بنفسه الحل الذى يقبله . وانتهى الإجتماع دون الوصول إلى اتفاق يرضى الطرفين .

فذهب الأستاذ محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان إلى جده فى ٢٠ أغسطس ١٩٦٧ حيث اجتمع بالملك فيصل ، ثم وصل فى ٢٣ أغسطس ١٩٦٧ إلى القاهرة واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر ، وفى ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ اجتمع الثلاثة فى بيت الأستاذ محجوب بالخرطوم وانضم إليهم وزير الدفاع السعودى الأمير سلطان ووزير الخارجية المصرى السيد محمود رياض ، واتفقوا نهائيا على التخلص من مشكلة اليمن بموجب الإتفاقية التى اصبحت تعرف بإسم « إتفاقية الخرطوم » .

وكان أهم ما نصت عليه هذه الإتفاقية ما يلى :

١ - تكوين لجنة ثلاثية تعهد إليها معالجة المشكلة .

٢ - تضع اللجنة الخطط لضمان إنسحاب القوات المصرية من اليمن ، ووقف المساعدات العسكرية المقدمة إلى اليمنيين بواسطة السعودية .

٣ - تقوم اللجنة بكل ما فى وسعها لتمكين اليمنيين من التحالف والتالف لتحقيق الإستقرار ، تمشيا مع رغبة أهل البلاد وتثبيتا لحق اليمن فى السيادة والإستقلال الكاملين .

٤ - تتشاور اللجنة مع السعودية ومصر فى كل المشكلات التى تعوق تقدمها بغية تذليلها .

اختارت مصر العراق لعضوية اللجنة ، واختارت السعودية المغرب ، واتفق الرئيس جمال والملك فيصل على أن تكون السودان ، هى العضو الثالث .

وعندما نوقشت هذه الاتفاقية فى مؤتمر القمة الذى كان منعقدا فى الخرطوم احتج السلال عليها وهاجم ما وصفها بالدول الرجعية ، واستخدم ألفاظا جارحة وهو ينسحب من الإجتماع ، مما دفع الرئيس عبد الناصر إلى الإعتذار للملك فيصل الذى كان يتظاهر بالإستغراق فى رسم أشكال هندسية على ورقة فوق منضدة الإجتماع ، فلما فرغ الرئيس عبد الناصر من الإعتذار أبدى الملك فيصل دهشته من إعتذار عبد الناصر قائلا (أنه لم يسمع شيئا من ألفاظ السلال ، حتى أنه لم يشعر بأنه إنسحب من القاعة) وطلب الملك مواصلة النظر فى جدول أعمال المؤتمر .

رسالة خاصة من الخرطوم

نائب الرئيس اليمني يدلي بأخطر حديث "للأنوار"

اللواء جزيلان: الشعب اليمني يرفض الاتفاق المصري - السعودي



● اللواء جزيلان يتحدث الى موفد « الانوار » احمد سعيد محمدية ●

ستبقى الثورة اليمنية ولو اضطررنا للاستعانة بالصين

الخرطوم ـ من موفد ((الانوار)) احمد سعيد محمدية :

ادلى اللواء عبد الله جزيلان نائب الرئيس اليمني عبد الله السلال ، بحديث خاص ((للانوار)) هاجم فيه الاتفاقية التي وقعها الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل لحل مشكلة اليمن . قال اللواء جزيلان الذي كان من اعضاء وفد الجمهورية اليمنية في مؤتمر القمة ، ان الشعب اليمني يرفض اية وصاية من اية قوة كانت ، ولن يسمح للجنة الثلاثية بدخول اليمن. ذكر ان الحكم الثوري في اليمن لن يسلم للرجعية حتى ولو اضطر لطلب المساعدة من الصين والدول الشرقية .

وصل الى القاهرة امس ، الرئيس اليمني عبدالله السلال لاجراء مباحثات مع الرئيس جمال عبد الناصر . ذكر في القاهرة ان الدوائر العربية اوضحت للرئيس السلال ان الاتفاقية تمت لتسوية خلافات بين مصر والسعودية كانت ارضها اليمن ، وهي تسوية لمشكلة اليمن ليس لثورتها .

صحيفة الأنوار اللبنانية فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٦٧

وفى مجال عتاب عبد الناصر للسلال قال له (لست على استعداد لأن أستمر فى هذه المأساة أكثر من ذلك) (الدور المصرى فى اليمن صفحة ٤٧٠ نقلا عن سيد الباز) .

وبعد إنسحاب السلال من مؤتمر الخرطوم وعودته إلى صنعاء أعلن (إن حكومته لا تقبل بأى حال كل ما من شأنه أن يمس إستقلال اليمن وسيادتها ، وأنها غير ملتزمة بإتفاقية الخرطوم لأنها ليست طرفا فيها) . ثم أعلن تمسك اليمن بإتفاقيتى الدفاع المشترك والتنسيق مع مصر ، على أمل أن يلزم مصر بالبقاء فى اليمن والدفاع عن صنعاء ، ولا شأن له بالدفاع عن القاهرة .

عندئذ تأكدت مصر أنها دفعت ثمنا باهظا لحماية السلال ، وأنها بعد أن دفعت الثمن أوشكت أن تفقد اليمن ، ورغبة فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه دعانى أنور السادات فى ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧ لمناقشة مستقبل النظام الجمهورى اليمنى ، فعدت الى القاهرة قادما من بيروت وذهبت معه إلى الرئيس عبد الناصر الذى شكى من عدم أستيعاب السلال للمتغيرات التى طرأت على الساحه العربيه ، وقال أنه :

(على استعداد أن يترك فى اليمن أسلحه تكفى لتسليح جيش جمهورى قوامه عشرة الأف جنديا بالإضافه إلى الأسلحة التى كانت فى متناول الجيش اليمنى الوطنى) وأضاف أنه (سوف يترك فى اليمن عددا من المدربين العسكريين للمساعدة على إعداد المقاتلين اليمنيين وتنظيمهم مع تكليف وسائل الإعلام المصريه بالتغطية الإعلامية للجمهورية اليمنية).

السفير البيضاني يغادر بيروت الى القاهرة وصنعاء

للتشاور مع حكومته حول مهمة اللجنة الثلاثية الخاصة باليمن

غادر بيروت صباح امس الى القاهرة الدكتور عبد الرحمن البيضاني سفير الجمهورية اليمنية فى لبنان لاجراء بعض المشاورات مع المسؤولين فيها والزعماء اليمنيين الموجودين فى القاهرة تتعلق بمهمة اللجنة الثلاثية العربية المكلفة بحل قضية اليمن بعد ان طلبت اللجنة الاستماع الى رأى الحكومة اليمنية فى الحلول المقترحة لحل قضية اليمن . كما سينتقل بعد ذلك الى صنعاء .

صحيفة المحرر اللبنانية فى ٢٣ سبتمبر ١٩٦٧

كنت أستمع إلى الرئيس عبد الناصر وهو يردد نفس الكلمات التى بح منها صوتى عندما كنت فى الحكم منذ خمس سنوات أنادى بإنشاء الجيش اليمنى ، الذى رفضة السلال إكتفاء بالجيش المصرى ، وغضب منها المشير عامر إبقاءً على عناصره المصرية التى انفردت بحكم اليمن .

وهاهو الرئيس عبد الناصر يكررنفس هذه الكلمات ، ويطلب منى السفر إلى صنعاء لإقناع السلال حتى يقبل إنشاء الجيش الذى يدافع عن النظام الجمهورى فى اليمن بعد عودة القوات المصرية إلى مصر .

عدت مع أنور السادات إلى مكتبة فى مجلس الأمه حيث أرسل برقيه بتوقيعه إلى السلال يطلب منه الموافقه على وصولى إليه فى صنعاء ، كى أشرح له موضوعات هامة ومضى يوم ولم يرد السلال .

فى اليوم التالى أرسل السادات برقية ثانية إلى السلال ولم يرد عليه ، فأرسلت إليه برقية بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٦٧ تحمل نفس المعنى فوصلنى الرد من وزير الخارجية الأستاذ محمد عبد العزيز سلام .

وفى يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٧ أرسلت إليه برقية رمزية من مكتب أنور السادات الذى أرسلها إلى السلال برموز القيادة العسكرية ونصها :

(تحياتى . أبرقت إليكم يوم ٢٣ الجارى أرجو الإذن بوصولى يوما أو يومين لأعرض عليكم ما يتعلق باللجنة الثلاثية وإحتمالات الموقف . وصل الرد من الأخ وزير الخارجية يطلب أن أبرق بهذه المعلومات . لا زلت أرجو الإذن بوصولى لعرض نتائج إتصالاتى الشخصية فى بيروت بأعضاء اللجنة واليمنيين . ومنهم محسن العينى ومحمد نعمان والمقدمى . ونتائج إتصالاتى فى القاهرة مع غيرهم ومنهم الأخ عبد الرحمن الاريانى وعبد السلام صبره وعدد من الضباط . لديهم وجهات نظر معظمها معقول ويلزم عرضها عليكم فورا ولا يمكن شرحها برقيا . الاريانى ينتظر عودتى من صنعاء لنناقش نتائج إتصالاتى بكم . الأمور تتطور بسرعة فيحسن عدم أضاعه الوقت كما يلزم وضع مخطط فورى للعمل على حماية المكاسب الشعبية تحت قيادتكم) .

لم يرد السلال على هذه البرقية فأرسل إليه السادات برقية تحمل نفس المعنى عن طريق اللواء طلعت حسن قائد القوات المصرية فى اليمن ، الذى كلفه السادات بألا يترك السلال حتى يرد على برقيته سواء بالإيجاب أو بالنفى .

ثم وصل رد السلال عن طريق القائد المصرى فى اليمن يخبر السادات بأنه يوافق على وصولى إلى اليمن ، بشرط أن أتوجه مباشرة من المطار إلى مقر القيادة العسكرية المصرية ، حيث كلف وزير الداخلية العميد محمد الأهنومى بمقابلتى فى مقر القيادة والإستماع إلى وجهات نظرى .

سألنى السادات عن تقييمى لرد السلال فقلت أن السلال لا يرى سوى كرسى الرئاسة ، ولا يرى شبرا أبعد من ذلك ، ولا يشعر بالزلزال الذى يحيط به ، ولا يرى الطوفان الذى يتجه إليه . بينما كان الأولى به أن يرحب بوصولى كى أجازف بحياتى عندما أشترك معه فى توحيد الصف الجمهورى وحفر خنادق الدفاع عن الجمهورية ، بعد رحيل القوات المصرية .

قلت للسادات أنه لا جدوى من التفكير فى إقناع السلال بعد أن انطوى على نفسه خلال خمس سنوات ، رسمت فيه العناصر المصرية صورته وأحاطتها بإطار الحماية العسكرية المصرية ، فأصبح لا يرى غير هذه الصورة داخل هذا الإطار ، فعندما يقول له عبد الناصر فى الخرطوم أنه سوف يسحب هذا الإطار فإنه يكون معذورا عندما يستنكر أية فائدة من ذهاب البيضانى إليه ، ليقنعه باستبدال هذا الإطار العسكرى المصرى بإطار سياسى يمنى من البيضانى والاريانى والعمرى ونعمان والعينى وعبد السلام صبره وبقية من يظن أنهم من الورثة .

أوضحت للسادات أن السلال الذى استغرق فى نوم الرئاسة خمس سنوات لن توقظه كلمات عبد الناصر ولا نصيحة البيضانى ، بعد أن أصبحت اليمن فى حاجة إلى بركان جمهورى جديد يتفق مع المتغيرات العربية التى تفرض المتغيرات اليمنية ، إذا أراد الله لليمن حماية الجمهورية .

وجال بخاطرى كيف إستجاب السلال ، للعناصر المصرية التى احكمت قبضتها عليه ، فنزل فى سوق المناقصات السياسية ، حتى رحب بفتح فرع لبنك مصر فى اليمن بمجرد إبعادى عن الحكم ، حتى تثبت هذه العناصر للرئيس عبد الناصر اننى كنت العقبة التى حالت دون امتداد بنك مصر إلى اليمن . ثم جال بخاطرى كيف خسر هذا الفرع عدة ملايين من الجنيهات كما سبق أن توقعت ، مما كان أحد أسباب اعتذارى للوفد الإقتصادى المصرى عن عدم موافقتى على فتح هذا الفرع فى اليمن ، على النحو السابق شرحه فى هذا الكتاب[1]

---

(١) المعروف أنه بعد أن أفلس فرع بنك مصر فى اليمن قررت للحكومة المصرية إغلاقه ، مستوعبة درسا غاليا سبق أن قدمته (دون مقابل) للعناصر المصرية التى كانت تحكم اليمن فرفضت أن تستفيد من الدروس المجانية .

٢

على طريق إتفاقية الخرطوم وصلت إلى القاهرة اللجنة الثلاثية فى يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٧ برئاسة الأستاذ محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان ووزير خارجيتها ، وعضوية الأستاذ إسماعيل خير الله وزير خارجية العراق ، والأستاذ أحمد بن سودة سفير المغرب فى بيروت ، فاجتمعت باللجنة وشرحت لأعضائها تفاصيل برقيات السادات وبرقياتى إلى السلال ورد السلال عليها ، وإنطباعاتى عن موقفه الذى يرفض اللجنة شكلا وموضوعا ، ويعتبر وصولها إلى صنعاء بمثابة وصول عزرائيل فى صورة بشرية ليقبض رئاسته للجمهورية .

نصحت اللجنة بعدم السفر إلى صنعاء حتى تتأكد من إستعداد السلال لمناقشة مهمتها .

السلال لم يرد على برقية لجنة اليمن الثلاثية

البيضاني : لا خوف على مكاسب الثورة اليمنية

القاهرة ـ ٢٨ ـ اشا ـ اجتمع اليوم السيد محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان ووزير الخارجية ورئيس اللجنة الثلاثية الخاصة بالاشراف على تنفيذ اتفاق الخرطوم لحل قضية اليمن بالدكتور عبدالرحمن البيضاني سفير الجمهورية العربية اليمنية فى لبنان .

وصرح السفير عقب المقابلة التى استمرت حوالى ساعة بانه قد ابلغ السيد محجوب بانه لم يتلق حتى الان ردا من الرئيس عبد الله السلال على البرقية التى كانت قد ارسلتها اللجنة الى سيادته عن طريق السفارة اليمنية فى بيروت خلال الاسبوع الماضى .

صحيفة المحرر اللبنانية فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٧

يقول الكتاب الماركسيون أن السلال كان على حق عندما رفض اللجنة الثلاثية إنطلاقا من مذهبهم الأيديولوجى ، وإننى أعترف بأننى كنت أؤيد وصول اللجنة الثلاثية إلى صنعاء إنطلاقا من مذهبى الوطنى ، الذى أنتمى إليه ، ولا أدافع عن سواه .

فحيث كان لابد من سحب القوات المصرية من اليمن كان لا مفر من تطوير حكم السلال ، الذى لم يكن يعتمد على سواها بعد أن أبعد عن صنعاء جميع قادة الجمهورية الأقوياء ، دون إستثناء ، على النحو السابق شرحه فى هذا الكتاب .

فإذا ما أردنا كجمهوريين مخلصين للجمهورية أن يستمر النظام الجمهورى فى اليمن كان علينا أن نرحب باللجنة الثلاثية ، التى يمكن إعتبارها مناسبة تاريخية يجتمع حولها شمل القوى الجمهورية حين تشعر بالخطر المحدق بها ، فيكون ذلك بمثابة ميلاد جديد لها .

رفض السلال وصول اللجنة الثلاثية إلى صنعاء ، وبعد إلحاح من رئيسها الأستاذ محمدأحمد محجوب ، وتكرار التوصية من جانب الرئيس عبد الناصر ، سافرت اللجنة إلى صنعاء يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٧ بدعوة من السلال على طائرة مصرية خاصة بصحبته الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة المصرية .

وفور وصول اللجنة إلى صنعاء طلبت مقابلة السلال الذى طالبها بالإنتظار فى مبنى القيادة العسكرية المصرية .

وبعد أربع ساعات خرجت من القصر الجمهورى مكبرات الصوت تهتف ضد اللجنة الثلاثية وتتهمها بالعمل على إسقاط الجمهورية ، فتجمع الناس حولها تحت قيادة العقيد على السلال إبن رئيس الجمهورية والدكتور محمد على الشهارى وغيرهما من رجال السلال ، الذين كانوا يدفعون الجماهير إلى التظاهر ضد اللجنة ، ويسوقون العناصر المسلحة المزودة بالبنادق والمدافع الرشاشة فى حراسة العقيد عبد القادر الخطرى قائد الأمن المركزى . وكان السلال ونائب رئيس الوزراء عبد الله جزيلان يستهدفان من وراء هذه الأعمال العدائية إعادة اللجنة الثلاثية إلى مصر ، بعد أن أرسلها جمال عبد الناصر إلى اليمن .

اتجهت المظاهرات نحو مقر القيادة العسكريةالمصرية حيث كانت اللجنة الثلاثية تنتظر مقابلة السلال ، وما أن وصلت إلى أسوار القيادة المصرية حتى بدأ المحرضون فى إطلاق النار والقنابل اليدوية على مبنى القيادة ، فأمر الفريق أول محمد فوزى بإغلاق باب القيادة وعدم الرد على المظاهرات .

طافت المظاهرات بشوارع صنعاء تتقدمها مكبرات الصوت وسيارات الحكومة ، وكان عدد من الجنود المصريين غير المسلحين منتشرين فى أسواق صنعاء لشراء هدايا العودة إلى مصر ، فانقض عليهم المتظاهرون المسلحون وقتلوا منهم أكثر من ثلاثين مصريا بحسب أقل تقدير للروايات التى نقلت هذا الحادث الأليم والوصمة التاريخية البشعة ، بينما ذهبت روايات أخرى إلى أن عدد القتلى قد تجاوز المائة شهيدا وفقا لتقدير الأستاذ أحمد حمروش فى كتابه (قصة ثورة ٢٣ يولية عبد الناصر والعرب) .

أصدر اللواء طلعت حسن قائد القوات المصرية أمرا إلى جميع أفرادها بعدم الرد على اليمنيين ، حتى لا تكون آخر تضحية تجود بها القوات المصرية فى اليمن هى الإشتباك المسلح مع أنصار الجمهورية ، بعد أن قاتلت خمس سنوات دفاعا عنهم .

لكنه عندما رأى القائد المصرى أن المظاهرات تتجه إلى اقتحام البيوت لقتل المزيد من الجنود المصريين غير المسلحين ، الذين احتموا فيها ، لم يجد اللواء طلعت حسن بدا من توجيه إنذار نهائى إلى السلال ونائبه جزيلان بأنهما (إذا لم يقوما بوقف هذه الأعمال الإجرامية خلال نصف ساعة فإنهما يتحملان شخصيا مسئولية ذلك) .

بعد أن تلقى السلال وجزيلان ذلك الإنذار الحاسم توقفت هذه الأعمال الدموية فى أقل من نصف الساعة المحدد فى الإنذار ، الأمر الذى يؤكد وقوفهما وراء هذه الأعمال التى وصفها القائد المصرى بأنها إجرامية ، ووصفها التاريخ اليمنى بأنها كللت وجه اليمن بالخزى والعار .

وكما أنكر الكتاب الماركسيون قيام الشرق بأى دور فى إبقاء الوجود العسكرى المصرى داخل المصيدة المحكمة القضبان فى اليمن ، ثم أنكروا قيامه بأى دور فى إعداد المذبح العربى الإسرائيلى للإجهاز على رقبة الزعامة المصرية فى سيناء ، كتب هؤلاء فى مؤلفاتهم ينفون عن السلال مسئولية إحداث الشغب فى صنعاء التى انطلقت من القصر الجمهورى وراحت ضحيتها عشرات الشهداء من الجنود المصريين ، تحت سمع وبصر السلال ، الذى إذا لم يستطع أن يحمى الجنود المصريين العزل من أى سلاح فقد كان فى وسعه أن يقتفى أثر القتلة اليمنيين المسلحين بالبنادق والمدافع الرشاشة ، فيمسك على الأقل بقميص واحد منهم حتى يوجه إليه كلمة عتاب ترضى عشرات الألوف من الجنود المصريين ، الذين فاتهم شرف الإشتراك فى حماية منارة الأمة العربية فى القاهرة لإنشغالهم بحماية كرسى الرئاسة فى صنعاء ، ثم فوجئوا ، فى صنعاء وليس خارجها ، بعشرات من زملائهم حماة ذلك الكرسى يقعون صرعى مدرجين بدمائهم وقد أزهقت أرواحهم ، لا يأخذ بثأرهم أحد من العسكريين المصريين بعد أن رضى الرئيس جمال بعدم الرد على القتلة ، ولا يبكى عليهم أحد من المسئولين اليمنيين بعد أن رضى السلال بما أغضب اللجنة .

وبدأ السلال يطارد وزراءه الذين أظهروا أسفا على الشهداء المصريين ، وأراد قتل وزير الداخلية العميد محمد الأهنومى الذى أفلت من يد السلال وهرب إلى مقر القيادة المصرية ، حيث تولى الأطباء المصريون تكفينه بلفائف الجبس من قمة رأسه حتى أصابع قدميه ، وأخرجوه من مبنى القيادة ضمن القتلى والجرحى المصريين ، فلم يتعرف عليه أحد من جنود السلال المكلفين بقتله ، والذين كانوا يفحصون جثث المصريين وجرحاهم ، وظل حبيسا فى لفائف الجبس التى كتمت أنفاسه وأحرقت أعصابه وشلت حركته حتى حملوه إلى الطائرة وأنزلوه فى القاهرة .

فكان العميد محمد الأهنومى عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية أول وزير يخرج من بلده بمثل هذه الملابس الرسمية .

وقد شرح الصحفى المصرى الأستاذ وجيه أبو ذكرى مسئولية السلال عن مذبحة الجنود المصريين فى صنعاء نقلا عن تصريح رسمى للرئيس إبراهيم الحمدى ، رئيس اليمن فى وقت لاحق ، فكتب فى صحيفة الأخبار بالقاهرة يوم ١٨ أكتوبر ١٩٨٣ صفحة ١٦ فقال أن (الرئيس السلال كان يريد عرقلة إنسحاب القوات المصرية من اليمن فحرض ابنه العقيد السلال على ليقود المظاهرات ضد المصريين حيث أطلق المتظاهرون النار على الجنود المصريين العزل فى أسواق صنعاء .. فسقط منهم ٣٧ شهيدا وأيديهم قابضة على هدايا العودة) .

هذا ما كتبه الأستاذ وجيه أبو ذكرى نقلا عن لسان الرئيس اليمنى السابق إبراهيم الحمدى الذى عاصر تلك المأساة فى صنعاء ، وكان ضابطا فى القوات المسلحة فى عهد السلال .

ثم ينفى الماركسيون ، بعد ذلك ، عن السلال وهو رئيس الجمهورية مسئوليتة عن هذه الأحداث المأساوية .

لايهم .. فلربما كان الإمام البدر المخلوع هو المسئول عنها . ..



كادت تكون تلك خاتمة المشهد الأخير عشية الإنسحاب المصرى من اليمن ، لولا ضمير اليمن الذى تمثل فى إبنها المجاهد الغيور على تاريخها والمدافع عن شهامتها الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ، فرفض أن تكون تلك خاتمة المشهد الاخير .

ففى نفس ذلك اليوم الدامى ذهب الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر إلى مقر القيادة المصرية ، وقدم إلى القائد المصرى استنكار الشعب اليمني لتلك الأحداث المؤسفة ، التى لا تعبر عن شهامته الحقيقية ، ولا أصالته التاريخية وتقاليده العربية ، التى تأبى الغدر بالإعداء فضلا عن تقديسها لحقوق الأصدقاء .

وضع الشيخ عبد الله عمامته بين يدى القائد المصرى إمعانا فى الإعتذار له على الطريقة القبلية ، وقدم إليه عزاء الشعب اليمنى فى مصرع الشهداء المصريين على يد الأصدقاء السلاليين .

كذلك أكد الشيخ عبد الله ، للجنة المحاصرة فى مبنى القيادة المصرية - إستعداد القبائل الجمهورية للحفاظ على النظام الجمهورى ، وإنشراح صدرها للوفاق الوطنى بين جميع أبناء الشعب اليمنى .

غادرت اللجنة الثلاثية صنعاء يوم ٤ أكتوبر ١٩٦٧ ، واجتمعت بها يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٧ فى القاهرة حيث شهد السيد محمد أحمد محجوب بأننى كنت على حق حين نصحت اللجنة بعدم السفر إلى اليمن . وكان شديد الحزن على الشهداء المصريين أكثر من حسرته على عدم إدراك السلال لطبيعة المتغيرات التى أحاطت به .

قلت لمحجوب أن هذه المتغيرات لا تعتبر متغيرات ، لأنها كانت نتائج حتمية لمقدمات عضوية لم تبدأ يوم ٥ يونية ١٩٦٧ وإنما ولدت قبل ذلك ببضع سنوات حين وافقت مصر على رفض السلال إقامة جيش يمنى لحماية الجمهورية ، إكتفاءً بالحماية المصرية ، ثم أنشبت هذه المقدمات أنيابها فى الساحة اليمنية حتى شملت الساحة العربية حين تاهت القيادة المصرية ، ولم تكتشف المصالح الواقعية للأمة العربية ، فلم تقف فى نقطة التوازن العربى بين الشرق والغرب ، ووقعت فى شراك العناصر العربية ذات الصلات السوفيتية التى أسهمت فى إشعال الحريق تطلعات إلى زعامة إطفائه .

كان محجوب من زعماء العرب القلائل الذين يعرفون الخريطة الجغرافية للمصالح العربية ، وكان فى قمة البلاغة السياسية التى تتجلى فى فن بلوغ الممكن ، ولا تقبل الإنتحار على صخرة المستحيل .

كان حريصا أعظم الحرص على بقاء النظام الجمهورى فى اليمن ، ومن هذا المنطلق دعا إلى توحيد صفوف الجمهوريين قبل أن ينصح بإتساع صدرهم لقبول الإماميين السابقين ، الذين يسعدهم أن يشتركوا فى حكم اليمن فى ظل النظام الجمهورى بعد أن ضاقوا ذرعا بكل مخلفات النظام الإمامى .

روى لى الأستاذ محجوب أن الملك فيصل قال للرئيس جمال عبد الناصرأثناء مباحثاتهما فى بيته فى الخرطوم أن اسرة حميد كانت عدوة للأسرة السعودية طوال أربعين سنة ولم تكن عدوة لمصر ولا للرئيس عبد الناصر . أراد الملك فيصل أن يطمئنه بهذه العبارة أن الحكومة السعودية لم تكن تسعى إلى إعادة أسرة حميد الدين إلى عرش اليمن . ثم أكد الأمير سلطان وزير الدفاع السعودى ذلك المعنى حين قال فى نفس ذلك الإجتماع أن أسرة حميد الدين لم يعد لها مكان فى اليمن ولم تبق لها أية فرصة فى العودة إلى العرش .

لم يخالجنى أدنى شك فى صحة ما رواه الأستاذ محجوب لأنه لم يكن يسىء إلى السعودية أن يبقى النظام الجمهورى اليمنى أو يعود النظام الإمامى ، بل كان الذى يهم الحكومة السعودية ومن خلفها الولايات المتحدة الأمريكية ألا يتسلل الإتحاد السوفيتى إلى أراضيها عبر الحدود اليمنية ، وعلى أكتاف العناصر المصرية واليمنية ، التى كانت تعمل لحسابه فى اليمن ، سواء كانت تعرف ذلك أو لم تعرف .

هذا هو جوهر الصراع ، وليس عمامة البدر ولا قبعة السلال أو أحلام البيضانى فى إستعادة المجد اليمنى .

وعلى مسيرة اللجنة الثلاثية للتوفيق الوطنى اليمنى التقت يوم ٦ أكتوبر ١٩٦٧ بالقاضى عبد الرحمن الاريانى ، وأذن الرئيس عبد الناصر بخروج الأستاذ أحمد محمد نعمان والفريق حسن العمرى من السجن لمقابلة اللجنة .

وكان السادات من أصدق المتحمسين لإطلاق سراحهم قدر ما كان معارضا فى إعتقالهم ، فذهبت معه إلى الرئيس عبد الناصر لنضم صوتينا إلى الأستاذ محجوب ، الذى استخدم بلاغته السياسية وقدرته العاطفية فى إقناع الرئيس . وعندما أدركت تردد عبد الناصر فى إطلاق سراحهم خوفا من إنتقامهم بينما لا تزال القوات المصرية على أرض اليمن ، أكدت للرئيس أن ولاءهم لليمن يعصمهم من الإنتقام من مصر فأطلق سراحهم ، بعد أن أمضوا فى السجون المصرية نحو أربعة عشر شهراً .

وعندما استعرضت الموقف الجمهورى مع القاضى عبد الرحمن الاريانى كان من الواضح أن السلال ليس الرجل الذى يستطيع الحفاظ على النظام الجمهورى بعد رحيل القوات المصرية من اليمن ، وأن إستمراره على رأس الجمهورية ليس له أى معنى سوى التسليم بحتمية سقوطها ، بعد أن حطم جسور الثقة مع رجالها وأشاع السلبية بين جميع القوى الجمهورية القادرة على الدفاع عنها ، ولم يعد معه فى كل أنحاء اليمن سوى عبد الله جزيلان الذى جمعت بينهما رابطة العداء للجمهوريين دون أن تخلق فى قلب أحدهما أى قدر من الوفاء نحو الاخر .

قلت للقاضى الاريانى أنه لا مفر من إنقلاب جمهورى يعيد صياغة النظام ليجمع شتات رجاله القادرين على الدفاع عنه ، وأنه فى مثل هذه المرحلة لا بد من قبول تنازلات سياسية تقتضيها المتغيرات العسكرية ، بالقدر الذى لا يؤثر على المقومات الأساسية للجمهورية .

سألنى القاضى الاريانى عن رئيس هذا الإنقلاب الذى اقترحته قلت أنه القاضى الاريانى نفسه ، وليس أحد سواه ، فهو الرجل الذى يجمع بين الولاء للنظام الجمهورى والثقة لدى معظم العناصر الجمهورية والإحترام لدى العديد من الذين حملوا السلاح ضدها .

سألنى عن دورى فى هذا الإنقلاب قلت أنه إعلان الولاء له ، من مقر عملى فى بيروت ، ووعدت بأننى سوف أكتب إلى أصحابى داخل اليمن أشرح لهم حتمية التغيير ، حتى يتأهبوا لتأييده عند حدوثه .

حاولت إقناع الفريق حسن العمرى بضرورة سفره إلى اليمن مع العائدين إليها ، إلا أنه كان شديد الحسرة على دوره الكبير الذى أداه دفاعا عن الجمهورية ثم كوفىء عليه فى زنزانة السجن الحربى أربعة عشر شهراً ، وكان يشير إلى قدميه اللتين تضخمتا من عدم الحركة وعدم العلاج .

البيضاني : الملكية لن تعود لليمن

غادر القاهرة مساء امس الى بيروت ، الدكتور عبد الرحمن البيضاني سفير اليمن في لبنان بعد ان امضى بضعة ايام في القاهرة .

وصرح السفير اليمني قبل سفره بان النظام الجمهوري باق وان الثورة حققت هدفها الرئيسي وهو القضاء على الملكية التي لن تعود ، واصبح المطلب الرئيسي للشعب اليمني هو المحافظة على السلام واقرار الامن الأمر الذي يستدعي تجميع الصفوف في الجمهورية وانكار الذات .

صحيفة الأنوار اللبنانية فى ٧ أكتوبر ١٩٦٧

فى ١٤ أكتوبر أعلن قائد القوات المصرية فى اليمن أن هذه القوات قد أخلت إقليم صنعاء وفقا للخطة الموضوعة دون إبطاء .

ثم غادر القاضى عبد الرحمن الاريانى فى ٢٦ أكتوبر ١٩٦٧ متوجها إلى اليمن ، ومعه نحو أربعين رجلا من القيادات السياسية والعسكرية الجمهورية التى خرجت من السجون المصرية ، وكنت فى وداعهم فى مطار القاهرة ولم أتركهم حتى باب الطائرة .

وعندما وصلوا إلى الحديدة إقترحوا على السلال تشكيل حكومة جديدة تضم كافة العناصر الوطنية ومجلس جمهورى ومجلس شورى ووضع ميثاق للعمل الوطنى ، لكنه كان يفكر فى مغادرة اليمن فانزعج الإتحاد السوفيتى إنزعاجا شديداً وأرسل إلى السلال مسئولا سوفيتيا اجتمع به فى الحديدة بحضور الأستاذ عبد الرحمن جابر أمين عام رئاسة الجمهورية ، حيث أطلعه المسئول السوفيتى على تفاصيل خطة الإطاحة به أثناء زيارته لموسكو ، التى لا يرى زعماء الكرملين ما يبررها فى ذلك الوقت ، وأخذ المسئول السوفيتى يلح على بقاء السلال فى اليمن مؤكدا له أن المساعدات السوفيتية فى طريقها إلى اليمن لحماية نظام حكمه التقدمى .

لكن السلال كان قد أدرك أخيرا أنه صديق مطلوب التخلص من صداقته على الصعيد الجمهورى ، وعدو مطلوب التخلص من حياته على الصعيد الإمامى ، فقرر الهروب من اليمن تحت ستار القيام بزيارة القاهرة ثم بغداد ، فى طريقه إلى موسكو .

٤

وصل السلال إلى القاهرة فى ٣١ أكتوبر ١٩٦٧ ومعه معظم وزرائه وجميع أفراد أسرته ، وما خف حمله من ممتلكاته ، بعد أن ترك رسالة للاريانى يطلب منه ، بالإشتراك مع الشيخ محمد على عثمان ، أن يحل محله أثناء غيابه .

وقال فى القاهرة (إن زيارته للإتحاد السوفيتى ستتخللها مباحثات ليست من قبل المباحثات التقليدية التى تجرى عند تبادل زيارات المسئولين لإحدى الدول ، لكنها مباحثات يمكن وصفها بأنها هامة وعلى مستوى كبير من الأهمية).

كان المفروض أن ينيب السلال نائبه عبد الله جزيلان الذى رقاه إلى لواء بعد أن اشترك معه فى تعذيب القيادات الجمهورية فى السجون اليمنية ، والمطالبة باستلام المعتقلين منهم فى السجون المصرية ، ثم طارد القيادات الثورية العسكرية فى السفوح والجبال ، ولاحقهم بحملات التشهير والاغتيال . تلك الحملات التى لم تسلم منها عائلاتهم فى صنعاء وغيرها من المدن والقرى اليمنية .

كان جزيلان منطقيا مع نفسه حين تأكد من أنه لا يستطيع البقاء فى اليمن مع رحيل القوات المصرية عنها ، فتشبث بذيل السلال الذى هرب منها وترك فيها الاريانى وبقية الرجال ، الذين اتهمهم السلال وجزيلان بالخيانة الوطنية ، ثم جاء دورهم للدفاع عن الجمهورية .

وفى يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ قام فى اليمن الإنقلاب الجمهورى المنتظر برئاسة الاريانى الذى عزل السلال ، وجرده من جميع رتبه ، ثم أسرع الاريانى بإرسال برقية لعبد الناصر يؤكد فيها تقدير القيادة الجمهورية الجديدة للدور الخالد الذى قامت به مصر دفاعا عن ثورة اليمن ، ويعتذر فيها رسميا بإسم الجمهورية اليمنية عن الأحداث المؤسفة التى وقعت فى صنعاء يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٧ عندما أراد السلال أن يعبر عن معارضته لأعمال اللجنة الثلاثية ، فأزهق العشرات من الأرواح المصرية ، وقال الاريانى فى هذه البرقية :

(بعد صبر طويل على عبث السلال الذى كان آخره أحداث الثالث من أكتوبر ، التى ذهب ضحيتها إخوان أعزاء ، وكللت وجه اليمن بالخزى والعار ، قرر الشعب اليمنى بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية ،

وتجريده من مناصبه الرسمية ، ورتبه العسكرية ، وقد قامت القوات المسلحة بالمهمة بكل هدوء وسلام ولم ترق قطرة دم ، وقد تجاوب الشعب اليمنى من أقصاه إلى أقصاه ، ويهمنى أن أؤكد لسيادتكم حرص الجمهورية العربية اليمنية ، حكومة وشعبا ، على الإحتفاظ بأقوى العلاقات مع شعب وحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على تأكيد أواصر الصداقة ، وسوف يظل الشعب اليمنى أبدا ودائما ذاكرا جميل ومساندة شعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومته الشقيقة بكل تقدير وإكبار . وأننى لأرجو أن تقبلوا منى ومن أعضاء المجلس الجمهورى وأبناء الشعب اليمنى عميق الشكر وأعز الأمانى لشخصكم الكريم ولشعب الجمهورية العربية المتحدة ودمتم) .

وبينما كانت هذه العبارة تمثل الأصالة اليمنية فإنها كانت بمثابة الحساب الختامى لمحصلة أعمال العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية ، التى انفردت بحكم الجمهورية اليمنية فأساءت إلى مصر واليمن ومهدت للكارثة العربية .

رد الرئيس عبد الناصر على برقية القاضى عبد الرحمن الاريانى رئيس المجلس الجمهورى اليمنى ببرقية قال فيها :

(تلقيت بإهتمام برقيتكم بشأن التطورات الأخيرة فى اليمن ، وإذ أبعث إليكم بشكرى على ما أبديتموه من مشاعر التقدير للدور الذى قام به الشعب المصرى وجيشه إسهاما فى الدفاع عن ثورة اليمن فإننى أود أن أؤكد لكم أن الباعث الأساسى لهذا الدور كان حق الأخوة العربية وشركة المصير الواحد ، وإننا لنشعر بأن التكريم الحقيقى لكل ما بذل من الجهود والتضحيات هو المحافظة على سلامة الثورة وفتح الطريق دائما أمام مسيرتها . وأننى لأرجو لكم وزملائكم كل توفيق ونجاح فى خدمة الجمهورية العربية اليمنية ، وتحقيق أهداف السادس والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٦٢ والتمكين لدور الشعب اليمنى فى خدمة القضية القومية الكبرى لأمته العربية . وتقبلوا أصدق التحية وأخلص أمانى التقدم والإزدهار للشعب اليمنى الشقيق) .

هكذا سقطت جمهورية المشير السلال ، وهرب اللواء عبد الله جزيلان ، بعد أن أثبت منذ قيام الثور أن الشهيد الملازم أول على عبد المغنى رائد التنظيم العسكرى للثورة وزملاءه الضباط الثوار كانوا على حق حين أصروا على إخفاء تنظيم الثورة عن مسامعه ، لأنهم كانوا يشكون فى إخلاصه ، قدر شكهم فى شجاعته ، وإقتناعهم بعداوته .

تلك العداوة التى لم يدفنها فى صدره عندما تخلص من الشهيد على عبد المغنى فى الكمين المدبر الذى استشهد فيه فى الأيام الأولى من الثورة ، وإنما بقيت مشتعلة فى قلبه كلما تحدث الناس عن بطولات الضباط الثوار من زملاء الشهيد . ولا أدرى لعل الشهيد

عل عبد المغنى كان يقرأ المستقبل حين كتب رسالته إلى جزيلان في وقت مبكر قبل قيام الثورة (الوثيقة رقم ٣٧) فقال فيها :

(حضرة الرئيس (النقيب) عبد الله جزيلان

بلغنى أنكم وزعتم الضباط المتخرجين من مدرسة الأسلحة ، وكان نصيبى كما قضت إرادتكم السامية .. من المغضوب عليهم لدى حضرتكم الكريمة .. ولم أعلم قبل اليوم منطقا من اللباقة كمنطقكم هذا .. أنكم اسقطمونى من حساب الآدمية .. وأن هذا الإجراء الذى بلغ من الحكمة منتهاه إنما يدل طبعا على إهتمامكم الكبير بالنهضة العسكرية ..

هذا وجزى الله الأيام خيرا فقد أبانت وكشفت لنا بوضوح حسن نواياكم ونبل مقاصدكم وعبقرية قيادتكم . على عبد المغنى) .



الشهيد الملازم على عبد المغنى قائد الذراع العسكرى للثورة

لكن .. وا أسفاه !!

لم يستفد الشهيد الملازم أول على عبد المغنى من دروس الأيام التى جزاها الله خيرا ، لأنه بعد أن كشفت له نوايا جزيلان الحسنة ، ومقاصده النبيلة وقيادته العبقرية ، صدقه وذهب إلى الكمين الذى رسمه له ، فكان الشهيد على عبد المغنى أغلى ضحية لهذه العبقرية .



أعلنت تأييدى للإنقلاب الجمهورى ، كما سبق أن أكدت للاريانى ، وأستأنفت عملى فى لبنان ، وكان السلال يقيم فى العراق حيث إستضافته الحكومة العراقية التى كان فى زيارتها وقت وقوع الإنقلاب .

عجبت أكثر العجب حين قرأت في الصحف غضب السلال من تأييدى للإنقلاب الذى أطاح به ، وكأنه كان لا يتوقعه ، وكأن السوفيت لم يحذروه من قبل وقوعه ، وكأننى لم أنصحه عشرات المرات بأن يفسح صدره للقيادات الجمهورية ، وأن يقبل إنشاء جيش يمنى يستطيع الدفاع عنها ، ولعله فى غمرة الحزن على الماضى نسى أننى أردت أن أصل إليه فى صنعاء لأرسم له الخطوات اللازمة لحماية المستقبل .

وبعد أن اتهمنى السلال بالخيانة فى صحيفة الحياة اللبنانية الصادرة بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ لأننى أيدت ذلك الإنقلاب قال :

(لن أقبل بوجود حكومة الإنقلاب فى صنعاء ، أنا زعيم الجمهورية العربية اليمنية الذى إنقلب على الإمام البدر . وجميع أولئك الأشخاص الذين خلعونى كانوا فى وقت من الأوقات أعوانى ، وسأبذل غاية جهدى للعودة إلى وطنى حيث ينتظرنى شعبى) وأضاف قائلا (إن جنوب اليمن المحتل جزء لا يتجزأ من الجمهورية العربية اليمنية ، ومن السهل جدا علىّ أن أتوجه إلى الجنوب ومن هناك أزحف على الشمال .. وأعود إلى صنعاء وسأكون هناك قريبا جدا) .[١]

ورغم إعلانه بأنه سوف يذهب إلى عدن ليزحف على الشمال لم يفكر أحد فى صنعاء فى سحب جنسيته ، لأنه لم يكن هناك من خلفه ما يخشى منه ، ولا أمامه ما يخشى عليه ، فقد أدى دوره الذى تناسب مع أحد الأدوار فى لعبة الأمم ، ثم استقر به المطاف فى بغداد بصفة طبيعية وحتمية ، خارج رقعة الشطرنج الدولية ، التى لم يعد له فيها مكان بين قطعها البيضاء ولا السوداء .

لم يسحب أحد جنسية السلال الذى لا تشهد له لعبة الأمم أنه من أقطاب الفكر أو عمالقة السيف ، فقد أدى دوره الذى لا يزيد ولا ينقص ، وليذهب بعد ذلك إلى عدن إذا أراد أن يذهب إليها ، وليزحف منها إلى صنعاء إذا شاء أن يزحف عليها ، والتى إذا استطاع أن يبقى فيها لما خرج منها ، مع بدء عودة القوات المصرية إلى القاهرة .

---

(١) انظر الصفحة التالية .

السلال يقول في اول حديث صحافي له:

"سأكون في صنعاء قريباً جداً"
"سأتوجه الى الجنوب وأزحف الى الشمال"

سخط السلال على البيضاني ووزيرين آخرين

قال رئيس اليمن الجمهوري السابق المشير عبد الله السلال : « لن اقبل بوجود تلك الحكومة الجديدة في صنعاء ، وساكافح حتى اخر رمق في حياتي لازالتها . « انا زعيم الجمهورية العربية اليمنية الذي انقلب على الامام البدر . وجميع اولئك الاشخاص الذين خلعوني ، كانوا في وقت من الاوقات اعواني . وقد خانوني اليوم . وسابذل غاية جهدي للعودة الى وطني حيث ينتظرني شعبي . ان غالبية الشعب اليمني معي . وسيعرف العالم ذلك قريبا جدا » .

صرح السلال بذلك ، وبتصريحات اخرى ، في حديث خاص ادلى به الى الصحافي اليوناني س. ٠ كوفريانوس في « القصر الابيض » قصر الضيافة حيث يقيم السلال ضيفا على الحكومة العراقية . وقد حصلت « الحياة » على نص هذا الحديث .

يعود عن طريق الجنوب

قال الصحافي اليوناني : سألت السيد السلال كيف يعتزم العودة الى اليمن ، فاجاب بقوله : « ان جنوب اليمن جزء لا يتجزأ من الجمهورية العربية اليمنية . ومن السهل جدا على ان اتوجه الى الجنوب ، ومن هناك "ازحف" على الشمال ، ففي اثناء رئاستي قدمت الى اخواننا في الجنوب كل المساعدة والتسهيلات والان استطيع ان اذهب الى هناك ، واعود الى صنعاء ، وساكون هناك قريبا جدا» .

امل في اتحاد الجنوب

واضاف السلال قوله : « ان جنوب اليمن المحتل جزء من الجمهورية العربية اليمنية . وقد قاتلنا البريطانيين طوال السنوات الخمس الماضية . ولا يساورني شك في ان الجبهة القومية وجبهة التحرير ستتفقان على وقف الحرب الاهلية . وهذا امر على اعظم جانب من الاهمية . ولي كل الثقة في الامين العام لجبهة التحرير السيد عبد الله مكاوي ، وفي قائد الجبهة القومية السيد قحطان الشعبي . انهما سيتركان جانبا اطماعهما الشخصية ، ويعملان على اقامة جنوب عربي متحد . ولهما ، اذا ارادا ، أن ينضما الى الجمهورية العربية اليمنية . فنحن عنصر واحد وشعب واحد. ولقد فرقونا ونحن اخوة . ولكنهم لن ينجحوا » .

لا عودة الى القاهرة

وساله الصحافي اليوناني عما اذا كان يعتزم العودة الى القاهرة فاجاب : « اود في الوقت الحاضر البقاء في بغداد مع اخي الرئيس عبد الرحمن عارف ومع الشعب العراقي حيث تربطني بالعراقيين روابط اخوية وثيقة منذ تلقيت تدريبي العسكري هنا . ولا احب العودة الى القاهرة في الوقت الحاضر ، لعدة اسباب . انني احب القاهرة والشعب المصري ، ولكن ليس في الوقت الحاضر . اني اتمنى الخير والرخاء للشعب المصري » .

امتنان للعراق

وقال السيد السلال : « لن انسى في حياتي ما لقيته في هذا الوقت العصيب ، من عون ومساعدة من الحكومة العراقية والرئيس عبد الرحمن عارف . اني في غاية الامتنان للشعب العراقي الذي غمرني بكرمه . وهذا يدل على الاخوة العربية والتضامن العربي . فبعد العدوان الاسرائيلي اصبح العالم العربي كله متحدا . ولقد صافحت الملك فيصل وتحادثت معه اذ كانت الحال تقضي بان نظهر للعالم ان العرب متحدون . اما قضيتي فقضية عربية داخلية ولا يحلها الا الشعب اليمني » .

يتهم البيضاني بالخيانة

وفيما يتعلق بالسيد عبد الرحمن البيضاني سفير اليمن الجمهوري في بيروت فقد حمل عليه الرئيس السابق السلال حملة شديدة متهما اياه بانه خانه وقال « لن اسامحه لا هو ولا السفير اليمني الجديد في القاهرة ، عن خيانتهما لي » .

صحيفة الحياة اللبنانية فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧



السلال آخر من يعلم !

قالت وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية ان السلال الموجود ببغداد لم يعلم بالانقلاب في بلاده الا بعد الظهر ..

عبدالله السلال

صحيفة نداء الوطن فى ٦ نوفمبر ١٩٦٧

هكذا فى يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ولدت الجمهورية اليمنية الثالثة برئاسة القاضى عبد الرحمن الاريانى ، والتى سبق أن وصفتها خطأ بأنها الجمهورية اليمنية الثانية فى محاضرة ألقيتها فى نادى رابطة طلاب اليمن بمصر يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٢ .

وعندما نسجل للتاريخ سوف نتبين أن الجمهورية اليمنية الأولى قامت يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ عند قيام الثورة التى تولى أمرها مجلس قيادة الثورة ، الذى أعلن دستورها المؤقت لينظم حكم البلاد خلال الخمس سنوات كفترة إنتقال (الوثيقة رقم ٢٧) . ثم انتهت هذه الجمهورية الأولى عندما انقلب السلال عليها وأعلن فى يوم ١٣ أبريل ١٩٦٣ إلغاء هذا الدستور وإلغاء مجلس قيادة الثورة وإستبدالهما بدستور مؤقت جديد ومجلس للرئاسة ، ولا يستند فى شرعيته الثورية على قياما لثورة يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وإنما على إنقلاب السلال عليها يوم ١٣ أبريل ١٩٦٣ .

وهذا التقسيم يسهل الدراسة التاريخية للأحداث اليمنية والتعرف المنطقى على علاقة السببية بين مقدماتها ونتائجها .

قامت الجمهورية الثالثة يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ فى ظروف العودة إلى النفس وحتمية الإعتماد عليها ، ظروف الحماس الغريزى التلقائى الذى يتولد عفويا عند الإحساس بالخطر ، ظروف الأسرة المبعثرة وهى تعود إلى نفسها لحظة الإحساس بالضياع ، ولقد أدرك رئيس هذه الجمهورية القاضى الاريانى أن الفرصة الوحيدة الممكنة لإستمرار حياة النظام الجمهورى فى اليمن ، بعد رحيل القوات المصرية عنها ، لا يمكن أن تتحقق إلا بجمع شتات القيادات الجمهورية التى سجنتها الجمهورية الثانية فى السجون المصرية واليمنية ، وشردت من هرب منها فى سفوح اليمن وجبالها وصحرائها .

فبعد أن أطلق الرئيس عبد الناصر سراح المسجونين اليمنيين من السجون المصرية فك الرئيس الاريانى أسر المسجونين من السجون اليمنية ، ودعا جميع القيادات الثورية المشردة فى متاهات اليمن كى تعود إلى صنعاء للدفاع عنها ، وبذلك نجح الاريانى فى تحويل الإتكالية والسلبية الجمهورية إلى سابق أيامها الثورية ، بعد أن رحلت القوات المصرية ولم يكن فى اليمن أكثر من سبعمائة جنديا يمنيا نظاميا .

وعاد الفريق حسن العمرى إلى صنعاء فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ واشترك فى عضوية المجلس الجمهورى بدلا من الأستاذ أحمد محمد نعمان ، الذى استقال من عضوية المجلس إحتجاجا على عدم دعوة الإماميين إلى المصالحة والإشتراك فى الحكم فى صنعاء ، وترك اليمن فزعا من مصيرها المجهول ، بعد أن اشتد أزر الرئيس الاريانى بالقيادات الجمهورية التى عندما سمعته يؤذن بالجمهورية أتته من كل فج عميق ، فاضطر الاريانى إلى الإعتذار للجنة الثلاثية عن عدم إستطاعته التعجل بإجراء المصالحة الفورية مع العناصر الإمامية ، مما أغضب الأستاذ نعمان الذى كان يتعجل المصالحة مع الإماميين حتى قبل أن يشتد ساعد الجمهوريين ، فاعتبر عدول الاريانى عن الإستجابة لذلك تحت ضغط الحماس المتزايد للدفاع عن الجمهورية خروجا من جانب الاريانى على مهمة اللجنة الثلاثية .

٦

اشتد غضب الإماميين على الارياني واستماتوا فى حصار صنعاء مدة سبعين يوما استطاع خلالها الفريق حسن العمرى رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة قيادة المجاهدين الجمهوريين حتى انتصر ، فى أروع صمود جمهورى يمنى أمام المتمردين المرتزقة ، الذين أرهقوا سبعينِ ألف جنديا مصريا .

وعندما انتصرت الجمهورية بسواعد يمنية سجل الشعب اليمنى فى صفحات التاريخ أنه هو الذى قام بالثورة ، وهو الذى أراد الجمهورية .

وأذكر أننى عندما ذهبت بعد ذلك لزيارة الرئيس عبد الناصر مع قائد النصر اليمنى الفريق حسن العمرى قال له الرئيس عبد الناصر (انت يا حسن لم تدافع عن صنعاء وإنما دافعت عن القاهرة) .

عبر عبد الناصر بهذه العبارة المختصرة عن سعادته بإنتصار الجمهورية اليمنية بعد رحيل القوات المصرية ، مما يقدم المبرر التاريخى لإرسال قواته إلى اليمن لمساعدة شعبها على تحقيق إرادته فى التخلص من نظام الحكم الإمامى ، الذى فرض عليه الإرهاب السياسى والتخلف الإقتصادى .

لا شك أن الرئيس عبد الناصر وهو يقول للفريق العمرى هذه العبارة قد عاد بخياله إلى خمس سنوات مضت ، عندما استجاب لضغط العناصر المصرية التى استخدمت السلال فى التخلص من كل الزملاء الذين كانوا يؤيدون إصرارى علي تكوين الجيش اليمنى من رجال الحرس الوطنى الأشداء الذين خضت بهم المعارك الأولى ، التى أرست جذور الثورة على نحو ما سبق شرحه فى هذا الكتاب ثم اجتهد السلال بمساعدة هذه العناسر على تشتيت شمل القيادات الجمهورية ، فوقعت الزعامة الناصرية بين أنياب الوحوش الدولية ، وعندما إضطر عبد الناصر إلى الرحيل من اليمن لم يترك وراءه سوى سبعمائة جنديا يمنيا نظاميا ، بعد خمس سنوات من الوجود العسكرى المصرى فوق أراضيها ، وكان ذلك من أبرز أسباب النكسة العربية ، وأضخم علامة من علامات الإستفهام التاريخية .

وعشية سفرى إلى طهران لتمثيل الجمهورية اليمنية فى مؤتمر حقوق الإنسان فى صيف ١٩٦٨ تلقيت برقية من رئيس الوزراء الفريق العمرى ، يطلب منى زيارة الرئيس عبد الرحمن عارف فى بغدادلطلب أسلحة وذخائر لليمن .

بعد أن التقيت بالرئيس عارف ألح على وزير الخارجية الأستاذ إسماعيل خير الله كى اجتمع بالسلال ، فقلت لوزير الخارجية العراقى إن مثل هذا الإجتماع قد يفسر فى صنعاء تفسيرا خاطئا أحرص كل الحرص على تجنبه ، لأننى مقتنع كل الإقتناع بأن الواجب الوطنى اليمنى يقتضى الولاء للقيادة الجمهورية التى اثبتت ما كنت أتمناه وهو الدفاع عن النظام الجمهورى .

أصر الأستاذ خير الله قائلا أنه يريد بهذه المقابلة أن يخفف الضغوط النفسية التى يعانيها السلال ، لا أكثر ولا أقل ، فأخذنى إلى مكان محاط بإحتياطات أمن كثيفة أظن أنه أحد مبانى المخابرات العراقية .

كان مشهدا مثيرا حين التقيت بالصديق عبد الله السلال ، ولعل وزير خارجية العراق ، الذى كان عضوا فى اللجنة الثلاثية ، أراد أن يفسح لنا مجال الإتفاق بعد أن أتاح لنا مجال العتاب ، فأظهر رغبته فى إنتظارنا فى الغرفة المجاورة ، غير أننى أقنعته بالبقاء معنا ليكون شاهدا علينا ، فنحن أصدقاء يربطنا ماضى قد انتهى ، ولم يعد بيننا مستقبل يمكن أن يبدأ سوى تأييد الحكومة التى جئت إلى بغداد ممثلا لها ومندوبا عنها ، تلك الحكومة التى حملت لها كل الولاء بعد أن استعادت شخصية اليمن ، وأثبتت قدرة الشعب على حماية مصيره ، الذى قرره يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وتشبث به يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ .

مثل ذلك الحديث ، الذى لم أكن لأقبل غيره ، كان لا يحتاج إلى سرية ولا يحتمل أى خفاء .

هزنى ما رأيت عليه السلال من آلام نفسية عندما كان يستعرض ذكرياته التاريخية فقلت له ، بحق ، أنه إذا لم يكن له الفضل فى قيام الثورة فقد كان له الفضل فى نجاحها ، فلولا أنه تشجع وانضم إليها بعد أن قامت ، وأمر بفتح قصر السلاح مستخدما سلطانه كرئيس لحرس البدر ، لما استطاع الثوار أن يواصلوا ضرب قصره وإستئناف مسيرتهم نحو إحكام السيطرة على العاصمة ومحطة الإذاعة .

ذكرت له أنه إذا كان قد أخطأ ، حين عارض فى بناء الجيش اليمنى الذى يحمى الجمهورية ، فلقد أصاب حين ترك اليمن للذين استطاعوا حمايتها ، وهى فى التحليل التاريخى سوف تظل الجمهورية التى قضت على نظام حكم الإمام بعد ألف ومائة عام ، وسوف يتولى المؤرخون تقييم الأدوار التى قام بها كل من اشترك فيها ، سواء من استشهد من أجلها يوم قيامها ، أو بقى فى قيادتها يوما أو بعض يوم ، ثم خرج منها بعد شهر أو سنة أو أكثر من ذلك أو أقل .

إننا ونحن بناة الجمهورية ، الذين أرضعناها من ثدينا عندما كانت وليدا بين أحضاننا ، علينا أن نصفق لكل من يجتهد من أجلها ، فى طريق بناء صرحها ، وأن نحمى كل من يضيىء لها شمعة فى طريقها .

قلت للسلال أننى عندما كنت فى قمة الأعاصير النفسية ، فى السجن الحربى المصرى سجينا بين قضبان الصديق جمال والزميل السلال ، كنت أذكر الجمهورية اليمنية وأتمنى

لها الحياة والنجاة وأتضرع إلى الله العلى القدير أن يوفق من يتولى حمايتها ، ويقوى ساعدها ويثبت أقدامها لأننى كلما أذكرها يطوف معها قول شوقى :

فإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان فى الدنيا هما الرحماء

وإذا غضبت فإنما هى غضبة فى الحق لا ضغن ولا بغضاء

قال السلال أنه استفاد من دروس الماضي ، وأنه لا يطلب من الله سوى إنتصار الجمهورية على أعدائها المتربصين بها ، وأنه لا يؤرق نومه سوى استمرار هؤلاء الأعداء في محاولات القضاء عليها ، ولذلك فإنه يتمنى أن يكون جنديا عاديا من المدافعين عنها . ثم أبدى رغبته في الإقامة فى مصر فوعدته بأن أحمل هذه الرغبة إلى الرئيس جمال عبد الناصر عندما أعود من طهران .

لم أبلغ القاضى الاريانى ولا الفريق العمرى شيئا عن أمر هذه المقابلة حتى لا يسيئان الظن بها أو يفسران موقفى منهما بأنه شي من النفاق لهما ، ولعلهما يعرفان تفاصيلها لأول مرة عندما يتصفحان هذا الكتاب ، بعد أن أصبحنا جميعا بعيدين عن السلطة مشاركين فى التاريخ .

أبلغت رغبة السلال إلى الرئيس عبد الناصر الذى كان عازفا عن استقباله واستضافته فى مصر ، تفاديا لأية حساسية مع النظام الجمهورى الذى انقلب عليه فى صنعاء ، وتحاشيا لمضاعفات تصريحاته غير المسئولة فى مناخ عربى لا يزال فى مرحلة التقاط الأنفاس . وفجأة وصل السلال إلى القاهرة على متن طائرة عراقية ، دون علم مسبق بوصوله ، فاضطرت مصر إلى قبوله ضيفا عليها .



أوراق الجريدة

نهاية مشير جديد

بانقلاب اليمن سقط مشير جديد من اللائحة .

لماذا سقط مشير اليمن ؟

اراد السلطة لنفسه فقط فانقلبت السلطة عليه .

نصحوه بالتعاون مع الاخرين فرفض .

ساعدوه على الارتقاء .. وضعوا له العكازات فارتفع . ولما ارتقى وذاق طعم الحكم اصبح مفتول الساعد وتصرف كالمشيرين .

قيل له ان باستطاعته البقاء في الكرسي ـ في الحكم في صنعاء نفسها ، ولكن بشروط .. شروط التعاون مع سائر اليمن فرفض وابى الا ان يكون وحده هو اليمن اولا واخرا .

يبقى ان نقول بان السلال كان مرحلة من اليمن . كان صورة من الصور اليمنية .. كان لوحة من لوحات الموزاييك اليمني احتلت لفترة معينة الواجهة الرئيسية .

نجح او فشل .. دخل مشير صنعاء تاريخ اليمن . .. وبسرعة كما اصبح مشيرا .. بسرعة انتهى رئيسا وحاكما .

عادل مالك

صحيفة الجريدة فى ٧ نوفمبر ١٩٦٧



لم يكن الإنتصار الأسطورى ، الذى حققه النظام الجمهورى بعد حصار صنعاء الذى استمر سبعين يوما ، يمكن أن يثبت أقدامه دون أن يتعرض لهزه عنيفة ، عندما بدأ الإستقرار يتحقق فى ربوع اليمن ، وبدأ معه زحف الأماميين السابقين إلى إقتسام السلطة الجمهورية تحت شعار المصالحة الوطنية ، فعثر فيهم الاريانى على سند شرعى يعتمد عليه فى تقويض مركز الفريق العمرى الذى اكتسب شهرة النصر التى أصبحت تغطى على مركز الاريانى ، الذى كان يكره ايضا شهرة الباقين من رجال الثورة لأنه لم يسجل مثلهم فى تاريخ الثورة اليمنية غير أزاحة السلال عن كرسى الجمهورية ، فأخذ يعمل على تفريق من بقى من رجال الثورة الذين اكتسبوا شرف القيام بها ثم أضافوا إليه فضل الدفاع عنها .

اتسعت الثغرة ، التى تمت من خلالها تنحية الكثيرين من الجمهوريين الأولين ، تحت شعار الترحيب بالإماميين من الجمهوريين اللاحقين ، فأرسلت إلى القاضى عبد الرحمن الاريانى استقالتى يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٦٨ قلت فيها :

(لا شك أن إقرار السلام أمنية عزيزة نتمناها جميعا حفاظا على الدماء الغالية وإنتفاعا بجهود أبناء اليمن جميعا للبناء والتعمير بما يحقق رفاهية الشعب .. كل الشعب .. دون أدنى تمييز .. لكننا وإن كنا نرحب من حيث المبدأ بأن تفتح الجمهورية صدرها لكل من يعود إليها من الملكيين عودة صادقة ، فإن الذى ندعوكم إليه أن يبقى فى الجمهورية متسع للجمهوريين ، إذ لا يجوز أن تكون عودة الملكيين إلى الجمهورية مشروطة بأبعاد الجمهوريين عنها) .

ختمت هذه الرسالة قائلا :

(إحتفاظا بالصراحة التى نتبادلها نصارحكم بأننا لم يعد فى وسعنا الآن القيام بأى عمل رسمى نافع ، نتحمل مسئوليته أمام الله والتاريخ والشعب ، وسوف نغادر بيروت إلى القاهرة ننتظر ما ترونه لعلكم ترجحون إعادة النظر ، فنتعاون على تهدئة الخواطر وتحقيق الإستقرار وإستتباب الأمن وحقن الدماء ، والله يحفظكم ويرعاكم ويسدد خطاكم) . (الوثيقة رقم ٣٨) .

عدت إلى القاهرة مواصلا إعلان تأييدى للجمهورية اليمنية التى يرأسها القاضى الاريانى اقتناعا منى بأن العمل ضدها لا ينفع إلا أعداءها .

وجدت أننى أديت دورى الوطنى على الساحة اليمنية .

ناديت بالثورة على النظام الإمامى فقامت وسقط النظام الإمامى .

رسمت قواعد الجمهورية وأسهمت فى إقامة صرحها فقامت الجمهورية .

وضعت مناهج النهضة الإقتصادية على مقاس الظروف اليمنية وتطورت الحضارة اليمنية على نهجها .

بقيت بعد ذلك مشاكل الإستقرار فى اليمن ، تلك المشاكل التى تستهلك معظم الطاقات الإقتصادية فى الساحة الجمهورية ، وهذا ليس شأنى من الناحية التاريخية ، بل شأن الجيل اليمنى الحاضر ، والأجيال اليمنية القادمة التى فتحنا لها أبواب الطريق إلى الحضارة .

أشهد أننى عندما كنت أركز معظم جهدى فى الساحة اليمنية لم أنس قط أن اليمن جزء لا يتجزأ من الساحة العربية . فكان جهدى داخل اليمن جهدا يمنيا عربيا ، كما كان جهدى خارج اليمن جهدا عربيا يمنيا .

ولا أنس قط أن التمزق العربى كان السبب الأول والرئيسى الذى أدى إلى تصعيد المشكلة اليمنية ، ثم أدى إلى الكارثة العربية التى حقت علينا يوم ٥ يونية ١٩٦٧ وأشهد أننا لا نزال مؤهلين لطوفان من الكوارث العربية الأخرى ، ما دمنا نحمى هذا التمزق ونتشبث به ، وندافع عنه .

لا نعترف بأننا صانعوه ، ولا نعرف أننا ضحاياه .



دولة رئيس الوزراء اللبنانى الأستاذ حسين العرينى يقلد المؤلف وسام الأرز الأعظم
بمناسبة استقالته من عمله سفيرا فى لبنان (ديسمبر ١٩٦٨)



إجتماع خاص

من اليمين الأستاذ قاسم غالب وزير التربية والتعليم اليمنى ثم الرئيس السادات فالمؤلف

وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً
وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ

قرآن كريم

المأساة العربية

الفصل الثامن عشر

١

أوجزت فى هذا الكتاب أن التمزق العربى بدأ (نتيجة) لصراعات سياسية مزقتنا بدعاوى دينية ، ثم أضحى التمزق (سببا) لعصبيات إقليمية خدرتنا بمزايدات قومية ، ثم أمسى التمزق (نتيجة) لشعارات حزبية خدعتنا بوصفها عصرية ، ثم أصبح التمزق (سببا) لإطماع أجنبية هزمتنا بنزعاتنا الفردية .

هكذا تطور التمزق العربى ، الذى بدأ نتيجة فاضحى سببا ، ثم أمسى نتيجة فاصبح سببا . واختلطت الأسباب بالنتائج وذابت النتائج فى الاسباب ، حتى كانت المحصلة المأساوية فقدان الشخصية العربية . ثم أصبح غيابها فى الساحة الدولية حقيقة عضوية من مقومات الأمة العربية .

وسيظل هذا التمزق سببا فى انهيار الشخصية العربية ، وما ترمز إليه من مصالح قومية ووطنية ، ما دمنا لا ندرك أن النار التى تشتعل فى أى أقليم عربى لا يمكن أن تطفئها حدوده السياسية ، ولا تخمدها حواجزه الجمركية ، بل تنطلق السنتها المشتعلة حتى تحرق بقية الأقاليم ، العربية ، التى لا بد أن تأخذ نصيبها العادل من هذا الحريق ، بشكل مباشر او غير مباشر ، بصفة كاملة أو جزئية ، وبصورة علنية أو خفية .

كانت الكارثة القومية التى حلت بالأمة العربية سنة ١٩٦٧ نتيجة طبيعية للتناقضات العربية والصراعات الأقليمية ، ثم أصبحت هذه الكارثة القومية مقدمة حتمية لسقوط العديد من الأقاليم العربية فى قبضة الغزاة المغتصبين على مرأى ومسمع من أبناء الأمة العربية المتصارعين .

من هذا المفهوم العلمى التاريخى لجذور المأساة العربية ينبغى على كل وطنى عربى يسعى إلى تحقيق المصلحة الوطنية الحقيقية أن يسهم فى نشر الوعى الجماعى على مستوى الأمة العربية . ذلك الوعى الذى لا يولد الا عن طريق نشر الحقائق الجماعية المرتبطة بمصلحةوأمن الأمة العربية ، التى من خلال حمايتها يمكن أن نحمى المصالح الوطنية ثم المصالح الشخصية .

والعكس غير صحيح .

لإن حماية المصلحة الشخصية من الأخطار الأجنبية لا تؤدى إلى حماية المصلحة الوطنية من هذه الأخطار . وعندما نعجز عن حماية المصلحة الوطنية لن نستطيع أن نحمى المصلحة العربية .

وما دامت مقاليد الأمة العربية قد أخذت تتساقط بين مخالب الأطماع الأجنبية فأن الحديث عن أحلام المصالح الشخصية وأوهام المصالح الوطنية يعتبر شهادة علنية على نجاح الأطماع الأجنبية فى أستغلال النعرات الأقليمية ، واستذلال القيادات المحلية ، واستثارة الغرائز الفردية حتى تنقل ثرواتها إلى البنوك والاستثمارات الخارجية لحمايتها من الهزات الداخلية والغزوات العدوانية فيتحقق المزيد من الأرباح الأجنبية على حساب المزيد من الخسائر العربية والوطنية والشخصية .

هزتنى كارثة ١٩٦٧ التى أشعلت الحريق ، وافزعتنى الكوارث الأخرى التى أراهاتهرول الينا فى الطريق ، فتبينت أن العرب فى حاجة إلى مفكرين يتفرغون لنشر الوعى القومى ، أكثر من حاجتها إلى سياسيين يتقاتلون فى كهوف الصراع الأقليمى .

وقديما ، تفرغ أفلاطون للكتابة عندما شعر بأنه أدى دوره السياسى ، وتبين أن شعب أثينا أصبح فى حاجة إلى عارفين أكثر من حاجتة إلى حاكمين ، فانصرف إلى الأكاديمية ، وتفرغ لإعداد جيل من أصحاب المعرفة .

وأننى عندما أشترك فى نشر الوعى القومى لإستعادة الشخصية العربية فإننى لا أتعصب لعقيدة قومية على حساب الدعوة الإسلامية ، لأن الدعوة إلى استعادة الوطن العربى الكبير فى دنيا الكيانات الإقتصادية الكبيرة لا تتعارض مع الدعوة الإسلامية على مستوى الساحة الدولية ، تلك الدعوة الآلهية التى تدعو إلى السلام وحماية الأديان والعدالة الاجتماعية التى تذوب فيها الرأسمالية والشيوعية ، فيتحقق الأمان فى حماية الأيمان .

وأننا حين نتفق على أن الألتزام الأسلامى لا يتعارض مع الإهتمام الوطنى والقومى ، ثم نتفق على أن مصالحنا القومية والوطنية والشخصية مرتبطة أرتباطا عضويا بضرورة أستعادة كياننا العربى الاقتصادى السياسى الكبير ، فاننا لابد أن نتفق على ضرورة البحث عن أسباب الكارثة القومية التى حلت علينا .

ونحن معشر العرب نعرف أننا نعانى من مأساة الكارثة القومية ، لكننا نرفض أن نعترف بأننا نحن الذين اشتركنا فى إشعال نار التهلكة التى القينا بأيدينا إليها ، قيدنا حركتنا ، وأهدرنا قدرتنا ، ومزقنا صدورنا شر ممزق .

وسواء علينا أن نعترف على أنفسنا أم لا نعترف عليها ،فإن المفكرين من قبلنا ، ومن سوف يأتون بعدنا ، يعرفون أنه عندما تتعرض إحدى الأمم لغزو أو اغتصاب ، فلابد من أن تكون الظروف الذاتية الموضوعية التى تسود هذه الأمة قد جعلت مثل هذا الغزو أو الإغتصاب أمراً ممكنا ومستمرا ، ما دامت الظروف التى أفضت إليه ، باقية ومستمرة .

ولاينال من ذلك ان يكون الغزاة المغتصبون أقلية ، ما دامت هذه الأقلية قادرة على استغلال الظروف التى جعلت الأغلبية مؤهلة للغزو والاغتصاب والإستعمار .

قاعدة عامة ، لا نعلم من التاريخ ما يناقضها .

والأمة العربية لا تفلت من هذه القاعدة العامة ، فعندما تراكمت الظروف المغرية لنهب خيراتهاواقتسام أراضيها ، لم يتردد الغزاة المغتصبون فى التهامها ، مستغلين الظروف الموضوعية التى بدأت تنفذ إلى جسدها منذ عدة قرون ، عندما انهارت الدولة العربية الإسلامية وانقسمت إلى دويلات ، ثم اندمجت فى إمبراطورية الدولة العثمانية التى بدأت بإمارة إسلامية تحولت إلى سلطنة ثم تطورت إلى خلافة أسلامية ، الأمر الذى أثار الذعر فى أوربا التى خشيت من عودة الدولة العربية إلى الامتداد مرة أخرى إلى بلادها ، فاستخدمت عناصر عثمانية غير مؤهلة للإجتهاد الإسلامى الذى يقدم الحلول الشرعية فيضبط حاجات المجتمع المتطورة .

اتخذت هذه العناصر من غيبة المجتهدين الإسلاميين المعاصرين ذريعة استندت عليها حتى الغت دار الفتوى الذى تجمد عند فتاوى السابقين ، واستصدرت قوانين غربية خارجة عن أطار الشريعة الإسلامية ، فتحولت الدول العثمانية إلى نظام لا يرتكز فى تطوره على مفهوم الدولة الإسلامية وقوانينها .

وبنجاح أعداء الدولة العربية فى إستدراج الخلافة العثمانية الإسلامية إلى التخلى عن أسس هذه الخلافة ، تمكنوا من الإسراع إلى تمزيق الروابط العضوية بين أجزاء الأمة العربية ، حتى أصبحت غنائم سائبة أغرت القوى المتربصة بها (بسهولة) احتلالها ، أمام سمع وبصر بقية الأجزاء الأخرى التى فقدت اهتمامها بالمصلحة العربية المشتركة ، ففقدت وعيها بالخطر المشترك ، فسقطت كلها فى قبضة الغزاة فى مراحل متعاقبة ، ولكن بصفة إجماعية وشاملة .

وكانت شهية الأستعمار قد تزايدت ، بعد أن برزت الأهمية الجغرافية للوطن العربى على أثر إستعمار بريطانيا للهند واستراليا وشرق آسيا ، وحرصها على تأمين طرق الملاحة إلى الشرق الأقصى ، خصوصا بعد أن أفزعتها الحملة الفرنسية على مصر ، وبعد أن لفتت أنظارها حملات محمد على فى سوريا والحجاز والسودان ، فأسرعت بريطانيا إلى التعاون مع السلطان العثمانى لإبعاد المصريين عن غرب آسيا ، وأرسلت أسطولها إلى بيروت ليقضى على الوحدة المصرية السورية فى مهدها .

وإمعانا فى الحيلولة دون إحياء الوحدة العربية ، كتب رئيس وزراء بريطانيا – المستر بالمرستن – إلى سفيره فى القسطنطينية فى ١١ أغسطس سنة ١٨٤٠ ، يأمره بأن يحرض السلطان العثمانى كى يقبل إسكان يهود جدد فى فلسطين قائلا: (سيكون الشعب اليهودى إذا عاد إلى فلسطين فى رضى السلطان وتحت حمايته سدا بوجه أية رغبات شريرة يفكر فيها محمد على أو خليفتة فى المستقبل). [١]

(١) Albert M. Myamson, the British Consulate in Jerusalem (London, 1939).

كما أرسل الكولونيل تشرشل قنصل بريطانيا فى بيروت – فى ذلك الوقت – إلى مجلس الممثلين اليهود فى بريطانيا يقترح تأسيس وطن قومى فى فلسطين ، ثم شرح فى كتابه سنة ١٨٥٣ عن لبنان (مخاوفه من أن يستعيد العرب إقامة دولة عربية موحدة فى غرب آسيا وشمال أفريقيا) [1] .

وكانت الدول الإستعمارية تتسابق على وراثة السلطة العثمانية المحتضرة ، واحتلال أجزاء الأمة العربية المتناثرة التى خلت من القيادات الإسلامية الوحدوية ، فسيطرت بريطانيا على عمان سنة ١٨٢٠ ، بعد أن كانت قد عقدت معاهدات بقوة السلاح مع إمارات الساحل الجنوبى للجزيرة العربية منذ معاهدة مسقط سنة ١٧٩٨ ثم احتلت عدن سنة ١٨٧٩ ، وتوسعت شرقاً إلى مقلا وشحر وسقطرة وبريم والبحرين سنة ١٨٥٨ ، ثم حولت المعاهدات إلى حماية ثم حصلت على تنازل الدولة العثمانية عن منطقة تمتد من عدن إلى الكويت .

وعند بدء الحفر فى قناة السويس كتب الكولونيل تشرشل قنصل بريطانيا المذكور ، يحذر حكومته من إغفال أمر سوريا بينما تعد العدة للسيطرة على القناة فى مصر).

وكان بذلك يردد الحقيقة التى تقول بأن أمن مصر مرتبط بأمن سوريا ، وأمن سوريا مرتبط بأمن مصر .

هذه الحقيقة التى حملت فراعنة مصر منذ العصور القديمة ، ومن بعدهم الحكام الأسلاميين من عرب وعثمانيين ، على تأمين حدود البلدين معا ، والتى رددها العالم البريطانى ، الذى ذاع اسمه خلال الحرب العالمية الأولى باسم اللورد كتشنر ، عندما ألح هو الآخر على حكومته حتى (تحتل فلسطين كى تحمى إحتلالها للسويس لأن خليج حيفا هو آخر خط دفاعى عن القناة) .

أنتظرت بريطانيا حتى نجحت فرنسا فى إتمام مشروع قناة السويس سنة ١٨٦٩ بينما كانت بريطانيا تعد للسيطرة عليها ، فأسرعت بشراء القسم الأكبر من أسهم الشركة بعد إفلاس الخديوى سنة ١٨٧٥ ، ثم افتعلت حادثة الأسكندرية حتى احتلت مصر والسودان .

وبسيطرتها على قناة السويس فى الشرق ومضيق جبل طارق فى الغرب أصبح البحر الأبيض بحيرة بريطانية ، وكان العكسريون قد توصلوا منذ زمن بعيد إلى حقيقة إستراتيجية ملخصها أن البحر الأبيض مفتاح أوروبا وأسيا وأفريقيا .

ولا يغير من هذه الحقيقة الجغرافية تقدم تكنولوجيا المواصلات والحروب ، لأن الجغرافيا ستظل هى الجغرافيا التى تؤثر فى معطيات الظروق الأخرى ، إقتصادية وإجتماعية وسياسية وعسكرية .

---

(١) **Col. Churchill, Mount Lebanon (London 1853), 3 Vol.**

وكانت أقاليم الوطن العربى تتساقط من جسد الأمة العربية إقليما من بعد إقليم ، فاستولت فرنسا على الجزائر بين سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٤٧ ، واستعمرت تونس سنتى ١٨٨١ و ١٨٨٣ ، واحتلت قسما من مراكش سنة ١٩٠٧ ، واغتصبت أسبانيا بقية مراكش سنتى ١٩٠٩ و ١٩١٢ ، وانتزعت إيطاليا ولايتى طرابلس وبنغازى سنتى ١٩١١ و ١٩١٢ .

أما إمام اليمن فقد تحصن فى جبالها ، كما احتمى سلطان نجد بين قبائل صحرائها ، فاتفقت بريطانيا مع خصمه أمير الحجاز الذى وعدته بتاج أمبراطورية عربية كبرى فى نظير أن يتزعم ثورة عربية مناهضة للخلافة العثمانية ، ومؤيدة للسياسة البريطانية .

وفى رسالة إلى المستر هنرى مكماهون المندوب السامى البريطانى فى مصر ، تنازل أمير الحجاز ، الموعود بتاج إمبراطورية عربية كبرى عن جزء من سوريا وعن جبل لبنان ، ثم ترك مصر والعراق – كما قال – لعدالة بريطانيا وحكمتها .

ثم قضت عدالة بريطانيا وحكمتها بأن تستغنى عن خدماته بعد أن حقق لها أغراضها . وكان آل سعود فى نجد قد بسطوا سلطانهم عليها مستندين على رجال البادية المتدينين ، وكانت سمعة الدولة السعودية الدينية قد سبقتها إلى الحجاز فساعدها أهلها على ضمها إلى عرشها .

وكان البترول قد دخل إلى حلقة الصراع منذ أن منح السلطان العثمانى إمتياز البحث عنه لوليم تكس الثرى الاسترالى ، فأسس شركة نفط العراق بالإشتراك مع أثرياء إنجليز وأمريكيين وفرنسيين ، قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى ، فازداد أهتمام بريطانيا بالمنطقة ..لا سيما بعد أن أبدل وزير بحريتها ونستون تشرشل سنة ١٩١٣ – لأول مرة فى التاريخ – الفحم بالبترول كوقود للبحرية ، وقال كلمنصو: (أن نقطة البترول تساوى نقطة الدم).

استغلت الصهيونية حصيلة هذه الظروف كلها ..

إمبراطورية عثمانية عجوز منهارة ، ومحتضرة ، أمة عربية ممزقة ، إستعمار أجنبى شرس يحتل معظم أجزائها ، ويعمل بكل طاقته على منع ميلاد أية بادرة وحدوية يمكن أن تنمو لتعيد إحياء الدولة العربية الوحدوية الكبرى .

حتى أن وايزمان ذكر فى كتابه (التجربة والخطأ) سنة ١٩٤٩ ، أنه عندما قدم مشروعه إلى الحكومة البريطانية سنة ١٩١٥ طالبا تأسيس دولة يهودية فى فلسطين ، أقنع الانجليز بقوله : (إن إقامة دولة يهودية قوية إلى جانب مصر تضع حاجزاً ضد أى خطر يستهدف مصر من الشمال) .. يقصد حماية الإحتلال البريطانى لمصر .

وكانت هذه الفكرة هى الأرضية التى مهدت لصدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، بعد أن كان زملاء تيدور هيرتزل حتى سنة ١٨٩٨ مقتنعين بإقامة دولتهم الصهيونية فى

الأرجنتين أو المكسيك أو البرازيل إلى أن تمكن هيرتزل من إقناعهم بالإستعانه ببريطانيا للاستيلاء على فلسطين تمهيدا لتحقيق الأطماع الصهيونية . [١]

وكان هيرتزل قد مهد لأستدراج بريطانيا حين اجتمع مع وزير المستعمرات البريطانية جوزيف تشمبرلين سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٣ ، مستغلا خوف بريطانيا من عودة الوحدة العربية إلى الظهور ، فعرض عليه فكرة أنشاء دولة يهودية فى سيناء تتمتع بالحكم الذاتي تحت إشراف بريطانيا ، فرحب الوزير بالفكرة لأنها (تضمن عزل مصر عن غرب أسيا ، وتضع شوكة فى قلب العالم العربى).

فالخطر الصهيونى ، وغير الصهيونى ، الأطماع الدولية المتجددة ، التيارات الفكرية الأجنبية المناهضة لمصلحة الأمة العربية ، كل ذلك يستغل تجزئة الوطن العربى ويستهدف كل جزء من أجزائه ، دون أستثناء .

وبعد أن كان النفوذ الأجنبى فى القرن الماضى يستغل الطائفية والعصبية الدينية فى الوطن العربى . انتقل ، قبيل منتصف القرن الحالى ، إلى إستغلال الأفكار الأجنبية وفى مقدمتها الشعارات الإشتراكية ذات العلاقةالعضوية بالماركسية ، مما أدى إلى ظهور صراعات فكرية عربية ذات أوصاف تقدمية واتهامات بالرجعية ، أصبحت الأداة الجديدة والعصرية للإستمرار فى تمزيق الأمة العربية . فسمعنا عن اليمين واليسار ، ثم سمعنا يمين اليمين ويسار اليمين ، وسمعنا عن يمين اليسار ويسار اليسار ، وكل مجموعة تجد المقاعد السياسية محجوزة تبتكر لنفسها مسميات جديدة ، تطرحها فى شعارات وتلقى بها فى سوق المزايدات ، وتتسلل الأطماع الأجنبية التى تحتضن كل منها تيارا عربيا يشترك فى تمزيق الأمة العربية .

ويستمر تمزيق العرب . وتستمر طاحونة الخلافات غير الواقعية وغير العلمية تطحن إمكانيات العرب ، وتسحق قدراتهم وتقطع أواصر القربى فيما بينهم ، فتعوق ميلاد الإرادة العربية .

حقائق تاريخية ، وبديهية : تتلخص فى أن الأمة العربية ستظل معرضة للخطر المشترك ، الخطر القومى ، حتى يتكون لديها الإدراك الحضارى بالمصلحة المشتركة ، وهذه مهمة المفكرين العرب الذين يعلمون على تكوين الإدراك العربى . فالإدراك لدى الإنسان لا ينجم عن طبيعته البيولوجية وحدها ، وإنما إلى جانب ذلك ، عن مجموع العلاقات الإجتماعية والقناعات الفكرية التى يطرحها المفكرون وينشرها المبشرون . فإدراك المصلحة العربية المشتركة ، القومية ، يمهد لإدراك الخطر الذى أطاح بها ، كما يمهد لإدراك حتمية العمل المشترك القومى لمواجهته . فإدراك الخطر الحاضر ، هو جنين حماية المستقبل القادم ، وعدم إدراك الخطر هو أقصى درجات الخطر .

---

(١) **Theodor Herzl, the Jewish State, translated by S. D'avigor (London 1934)**

ولا أدرى لماذا تنصارع فيما بيننا ونرفض أنفسنا ؟ بينما فى وسعنا أن نحتكم إلى عقولنا ونهتدى بالقرأن الكريم والسنة المؤكدة ونحن نستخلص الأحكام الشرعية للمتغيرات الإجتماعية والإقتصادية ، التى يطرحها أفضل ما وصل إليه العلم المتطور ، وأثبتته التجارب المستمرة ، حتى نتفق على منهاج إسلامى للتطور فى العالم العربى ، بحيث يحيط بالإطار العام الذى يتفق مع أحتياجات الأمة العربية من الناحية الكلية ، كما يتفق مع احتياجات أجزائها من الناحية التفصيلية .



لا يتفق العرب على هدف قومى لمواجهة الخطر القومى إلا إذا وحدت صفوفهم إرادة قومية .

ولا توحد صفوفهم إرادة قومية إلا إذا اهتدوا إلى فكر قومى يفرز هذه الإرادة القومية .

وهم يهتدون إلى هذا الفكر حين يتذكرون أن أجدادنا لم يستوردوا أفكارا أجنبية أفضل من الشريعة الإسلامية عندما اتفقوا ، مسلمين ومسيحيين ، فهزموا التتار وأجهزوا على الأطماع الأجنبية التى تسترت تحت الراية الصليبية .

فالفكر ، كقاعدة ، يسبق الإرادة ثم يصوغ شكلها ويحدد طاقتها ويتابع مسارها .

ولذلك فأن قومية الفكر تسبق قومية الإرادة التى تقود إلى قومية العمل . ولهذا أخطأ الرئيس عبد الناصر قبيل حرب ١٩٦٧ عندما تصور إمكانية الاعتماد على عمل عربى مشترك يتصدى لإسرائيل إنطلاقا من اختلاف عربى مشترك يتصدى للعرب ، ذلك الإختلاف الذى اشترك العرب فى صنعه وتعميقه واستمراره ، مما أدى إلى عجز الأغلبية العربية عن توحيد موقفها من أجل التصدى للخطر القومى المشترك ، الذى يستهدف القضاء على كل العرب المتفقين منهم والمختلفين ، ومعهم أصحاب النوايا الطيبة من المخلصين ، المسلمين والمسيحيين ، الذى يشفقون على حاضر الأمة العربية فوهبوا حياتهم ليصنعوا شيئا لمستقبلها .

معنى ذلك ، أن نتفق على إطار عام للتطور لكل الوطن العربى ، وانتباه خاص لظروف كل جزء من أجزائه .

وبذلك نضبط منهج التطور وأحكامه على ضوابط المتغيرات النافعة والإمكانيات المتاحة فى الوطن العربى وفى كل جزء من أجزائه .

فالتخلف لا يحدث فقط من مجرد إهمال الإمكانيات المتاحة ، وأنما يحدث أيضا من تجاوز حدود هذه الإمكانيات ، وتجاهل الحقائق الموضوعية المتنوعة فى أجزاء الوطن العربى ، والتى تتحرك بمعدل سرعة تطور يتفق مع طبيعة هذه الإمكانيات وطاقاتها . فالتطور .. تطور ..

أى انتقل من طور إلى طور ، ونجاح عملية التطور هو نجاح عملية الإنتقال من طور إلى طور ، وهو ما يحدث عندما تكون قيادة المجتمع واعية لظروفه وإمكانيا ته ومتهيئة للإنتقال بإيجابياته من (طوره القائم) إلى (طوره القادم). ثم تتبع ذلك النجاح بحلقات أنتقال متطور نحو الأفضل حتى لا يجهض التطور لحظة ميلاده ، أو يموت بامراض الطفولة ، بسبب المراهقة الفكرية .. سواء كانت مراهقة تخلف ، أو مراهقة تطرف .

فالتطور يقاس ويرسم وينظم من خلال ظروف موضوعية معينة وفى زمن معين . فإذا أردنا أن تكون أحكامنا صحيحة ومنطقية على الواقع المتحرك يجب أن تكون مفاهيمنا متحركة بقدر تحرك تجاربنا وتحرك الواقع الذى نريد أن نحكم تطوره . وهذه مرونة الأجتهاد الإسلامى كما سبق الإيضاح فى الجزء السادس من الفصل التاسع فى هذا الكتاب

فالإسلام يدعو إلى العلم وإلى المزيد من العلم ، فى مجتمع إنسانى متحرك لا يقف عند حد فى تطوره الأجتماعى وقفزاته العلمية التى يتيحها الله لمن يشاء من عباده ، فى كل عصر من العصور .

ولذلك أتى الإسلام بالمبادىء الكلية العامة ، فى مجال المعاملات ، وترك للمجتهدين فى كل عصر من العصور أن يهتدوا إلى الحلول والأحكام الإسلامية ، التى تتناسب مع احتياجات المجتمع المتطورة .

ثم جاءت الماركسية على نقيض الإسلام ففرضت جمود النظريات الإجتماعية ، غير مدركة أنه إذا كانت التجارب الهندسية منذ زمن أقليدس قد تطورت تدريجيا خلال عدد من القرن حتى أدت إلى خلق أحكام بديهية هندسية ، فى غير حاجة إلى براهين تجريبية ، فأن المتغيرات الإجتماعية لا تستطيع أن تؤدى إلى خلق أحكام بديهة اجتماعية مماثلة للبديهيات الهندسية .

ومجمل البديهيات المستخلصة من علم الاجتماع أن الحقائق الإجتماعية غير ثابتة ، بل متطورة ومستمرة فى التطور ، أى أن الحقائق والعلاقات الإجتماعية متحركة وبالتالى لا تخضع لأحكام هندسية ثابتة وبديهية .

ولذلك فإن اليمين المتزمت غير متطور ، واليسار الماركسى غير متنور .

اليمين المتزمت لم يتابع تطور المجتمع .

واليسار الماركسى لم يتابع تطور الفكر.

فوقع اليمين المتزمت فى محظور الجمود ، كما سقط اليسار الماركسى فى محظور التخلف .

لذلك فإن المشاكل العربية فى حاجة إلى إجتهاد أكثر ونقل أقل ، فبالاجتهاد يمكن تحديد موضوع هذه المشاكل . وإدراك الموضوع يستلزم العالم بتشخيصه وصولا إلى إدراك العلاج الذى يناسبه لمعرفة فاعليته الإيجابية وآثاره الجانبية .

والتشخيص والعلاج .. طب .

فى مجال الصحة والمرض طب بشرى ، وفى مجال التقدم والتخلف طب اجتماعى . لكنه كله طب ، تشخيص وعلاج ، كله علم ، دراسة وخبرة .

ومرضنا العربى يتلخص فى أننا لا ندرك أننا مرضى .

مرضى بطاعون الصراع السياسى الذى طفح بماعون التخلف الإقتصادى .

لأننا تجاهلنا الإجتهاد الإسلامى .

فانفصل العقل العربى عن الإرادة العربية .



غابت الإرادة العربية عن العقل العربى لأن الإرادة تعبير تنفيذى عن أمنية ، تتجسد بالمفاضلة العقلية والإختيار النهائى فى مضمون هدف ، وبذلك تتصل الإرادة بالهدف عن طريق الإختيار .

الإختيار عندما يكون إختيارا حرا تصبح الأرادة المختارة مرتبطة بالهدف أرتباطا عضويا ، وعندما يكون أختيارا مفروضا يصبح الهدف المفروض مجرد حالة قسر وإذعان ، لا دخل فيها لعقل المغلوب على أمره .

والشعوب كالأفراد ، لا تفلت من هذه القاعدة الأزالية .

ولقد فرض الغزاة المغتصبون على الأمة العربية اختيارات لا دخل فيها للعقل العربى . فرضوا على الأمة العربية أن تختار ما يريده الغزاة المغتصبون . ثم روضوها على أن تستصحب الأمر الواقع وتتعايش مع الأختيار المفروض .
وطاردوا مفكريها وشردوا عقلائها حتى لا يستيقظ العقل العربى فيوقظ الإرادة العربية .

وفى غيبة العقل العربى فات علينا انه فى وسعنا أن نعتمد على أنفسنا عندما نوحد صفوفنا ، فنحمى الإسلام والمسيحية ، نحمى الشيعة والكاثوليك ، السنة والأرثوذكس ، الموارنة والدروز .

نحمى كل أولئك وهؤلاء ، لأننا كل أولئك وهؤلاء نحمى الإيمان وحرية العقيدة فى بلادنا مهبط الأديان وموطن الرسل والأنبياء .

إذا عرفنا هذه الحقيقة العربية فاننا نتبين مدى حاجتنا الملحة إلى حماية أنفسنا من أنفسنا ، وحين نتبين ذلك فأننا نحمى بأنفسنا العقل العربى وهو يستقيظ بيننا فيوقظ فينا الإرادة العربية .

تلك الإرادة العربية التى فى وسعها أن تحقق لنا الهدف العربى عندما تنجح فى نشر قناعات عربية ترفض الشعارات والمفاهيم الأجنبية ، التى عمقت بيننا الإنعزالية الإقليمية ، وغرست فينا النزعات الفردية ، وفرضت علينا الحياة الإنهزامية . ويحتاج نشر هذه القناعات العربية إلى حملة شرح وإيضاح وتفسير ، ثم تكرار الشرح والإيضاح والتفسير ، ومناظرة فكرية مع أبناء أمتنا العربية الذين أنساهم الغزاة المغتصبون كيف استطاعت الإرادة العربية أن تنشىء الدولة العربية على مستوى كل الوطن العربى وما هو أبعد من جدود الوطن العربى ، عندما اعتصم أجدادنا بحبل الله جميعا بعد أن كانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا .

عندما يستيقظ بيننا العقل العربى فيوقظ فينا الإرادة العربية سوف تبدأ ، حينئذ ، حملة تبشير بالهدف العربى ، تكافح من أجل بعثه من رقدته وحمايته بعد ولادته .

هكذا بدأت الرسالات السماوية فخاض الرسول الكريم ومعه الوحى والصحابة معركة المعرفة وصولا إلى ميلاد الإرادة الدينية بلوغاً إلى الهدف الآلهى ، فأخذوا يرتلون ويشرحون ويناظرون . ثم يرتلون ويشرحون ويناظرون ، حتى استوعبت الجماهير دينها الجديد ، وأدركت أنه يمثل أمانيها فاتخذته عقيدة تحيا عليها أو تموت دونها .

والهدف العربى هو الهدف الذى يحقق أمانى كل العرب ، من الخليج إلى المحيط . غيران عبارة (كل العرب) لاتعنى بقواعد الحساب كل العرب . لأنه سيبقى فى كل الظروف عدد من العرب يتصورون ، أنانيا ، أن مصالحهم الخاصة والمؤقتة تتناقض مع مصالح مجموع العرب ، وهؤلاء سوف يواصلون الأنقضاض على مصلحة كل العرب ، وليس فى ذلك أى شذوذ فى بنيان العرب ، فذلك شأن كل المجتمعات فى كل العصور .

فعلينا أن ندرس طبيعة حاضرنا التى تمهد لمستقبلنا . ونحن نفعل ذلك أذا إتفقنا ولو على القليل الذى يمكن أن يكون محلا للإتفاق . فالقليل الذى يجمعنا أولى باهتمامنا من الكثير الذى يمزقنا ويباعد بيننا ، لا سيما أن القليل الذى نتفق علية اليوم يؤدى إلى مزيد نتفق عليه غدا ، ثم إلى مزيد نتفق عليه بعد غد ، فتبقى فرصة الإتفاق قائمة ومستمرة .

ولا ننسى إننا كغيرنا من سكان الأرض لا نتفق وحدنا ولا نختلف وحدنا ، وإنما نتعرض كغيرنا لتيارات عاتيه تهب علينا من كل اتجاه ، ولا نستطيع أن نتخلص منها أو نروضها لمصلحتنا إلا أذا كنا متفقين فيما بيننا داخل إطار الوحدة الوطنية ، ومتفقين أو على الأقل غير متصارعين داخل إطار المصلحة العربية . بذلك نخلق الظروف الأكثر صلاحية لمستقبلنا والأكثر ملائمة لمصير أجيالنا .

٤

علمتنا النكسة العربية أنه بدون الدفاع عن الأمن القومي يستحيل الحفاظ على الإستقلال الوطني ، فطفت في مصر وخارج مصر ألقى المحاضرات وأنشر الكتب والمقالات وأعقد الندوات من أجل الصحوة الإسلامية والدعوة القومية ، فدعاني الزميل عبد الله السلال إلى مقابلته في بيت الأستاذ أحمد فؤاد أبو العيون مستشار رئاسة الجمهورية المصرية ، الذى سبق أن عمل مع السلال عدة سنوات في صنعاء مديرا لشئون الخبراء المصريين في اليمن ، ثم تولى منصب نائب رئيس مجلس الدولة في مصر عندما عاد من اليمن .

التقيت هناك بالمشير السلال وكان معه اللواء عبد الله جزيلان والدكتور محمد على الشهاري وآخرون .
وبدلا من أن يناقشوا الموضوعات التى تناولتها دعوتى القومية فوجئت بأنهم ، جميعا ، يلومونني على نشرها ، فسرني أن يكون الأستاذ أبو العيون شاهدا على الحوار الذى يجرى في بيته .

كان السلال يعتقد أن شد الإنتباه القومي يؤدى إلى إهمال المصير اليمني ، وأن إستمرارى في الدعوة إلى التضامن العربي للتصدى للغزوة الصهيونية سوف ينسى العرب قضيتنا اليمنية ، وكان يرى أن رئيس المجلس الجمهوري في اليمن القاضي عبد الرحمن الارياني ورئيس وزرائه الفريق حسن العمري قد أستغلا غياب مصر عن الساحة اليمنية فاستسلما للعناصر الإمامية ، وارتميا بين أحضان السعودية ، ثم لخص عتابه في أن دعوتى إلى التضامن العربي تؤدى إلى تثبيت الأوضاع القائمة في البلاد العربية ومن ضمنها الوضع (الرجعي)القائم في اليمن ، بينما كان يتوقع منى أن يطول نفسى ولا أستسلم للأمر الواقع ، فانتظر حتى تعود مصر إلى الاهتمام بشئون اليمن بعد أن تسترد أراضيها من اسرائيل ، وعندئذ يسقط حكم الأرياني ويعود السلال والبيضاني .

قلت أن الارياني والعمري هما من دعائم الثورة اليمنية ، ومن أعضاء مجلس قيادتها منذ ولادتها ، وأنني لو كنت مكانهما لما فعلت غير ما فعلاه للحفاظ على النظام الجمهوري ، فلقد أحسنا صنعا باستعادة الصداقة اليمنية السعودية على أساس إستمرار الجمهورية ، أما إذا كانت لنا ملاحظات شخصية على سلوك الارياني والعمري مع الإماميين السابقين فإنه في وسعنا أن نقدم إليهما النصيحة الوطنية ، التى ترحب بالإماميين وتحتفظ بالجمهوريين ، لأن الهدف النهائي من الثورة الجمهورية ليس إبعاد الإماميين عن اليمن ليبحثوا لهم عن وطن آخر خارج حدودها ، وإنما أقناعهم بمستقبل يمني أفضل في ظل الجمهورية حتى يكونوا من ركائزها القوية وسواعدها الفتية .

أما فيما يتعلق بمصر والسعودية فإنهما بعد أن استعادتا علاقاتهما الطبيعية الإستراتيجية لإنقاذ الأمة العربية فإننى لا أتوقع أن تختلفا بعد ذلك من أجل اليمن .

وأضفت أنه إذا ما تحقق النصر العربى على إسرائيل فأننى لا أتصور أن تعود مصر والسعودية إلى ماضى الخلاف حول النزاع اليمنى وهما تتطلعان إلى مستقبل التعاون لاستثمار الإنحسار الإسرائيلى . أما إذا ، لاقدر الله ، لم يتحقق ذلك النصر فإنه لن يكون هناك مجال فى القاهرة ولا فى الرياض لغير الحديث عن كارثة المصير العربى .

معنى ذلك أنه بعد أن تضامنت مصر والسعودية فى مواجهة إسرائيل ، سواء تحقق النصر أو حلت الهزيمة ، فإننى لا أتوقع أن تختلفا بعد ذلك لحساب النزاع اليمنى ، ذلك النزاع الذى لايبرر القتال من أجل الاريانى أو السلال .

اقترحت على الحاضرين أن نكتب رسالة مشتركة إلى الاريانى تتضمن ملاحظاتنا التى تستهدف تقوية الجمهورية ، وأن نكتب رسالة أخرى إلى حكومة المملكة العربية السعودية نشكرها على أعترافها بالنظام الجمهورى فى اليمن وتقديمها المساعدات المالية ، التى تساعده على الأستقرار السياسى والتطور الحضارى .

قلت أننى لم أكن أنتظر من السعودية أكثر من اعترافها بالجمهورية اليمنية ، ثم جاءت مساعداتها المالية للجمهورية فوق ما كنت أتوقع ، وبقى أن نحلم جميعا بمستقبل أفضل للأمة العربية ، ذلك المستقبل الذى يعتمد (أولا) على التضامن العربى ، ويعتمد (أخيرا) على عدم العودة إلى الخلافات العربية ، التى لا تحقق سوى المصالح الذاتية للقوى الأجنبية .

أيدني الأستاذ أحمد فؤاد أبو العيون (الوثيقة رقم ٣٩) ، وعارضنى السلال وجزيلان أما الشهارى فقد اتهمنى بالرجعية والعمالة للسعودية إنطلاقا من عقيدته الماركسية .

افترقنا وانصرف كل منا إلى طريق ، فبينما أستأنف السلال وأصحابه النقش على الهواء ، يرسمون مخططات العودة إلى حكم صنعاء ، استأنفت الدعوة إلى التضامن العربى مؤيدا الاريانى والعمرى . وحتى ذلك الوقت لم تكن بينى وبين السعودية أية صلة شخصية ، وعندما كان السفير السعودى بالقاهرة يرانى فى إحدى المناسبات العامة أو الخاصة كان يدير لى ظهره ، بينما كنت أرحب بأن أبدأ معه حوارا حول المصير العربى .

وذات يوم علمت أن السلال وأصحابه شكونى إلى المخابرات المصرية زاعمين أننى أصبحت من عملاء الحكومة اليمنية الخاضعة لنفوذ السعودية ، وإن كتبى ومحاضراتى وندواتى وكتاباتى فى الصحف المصرية تستهدف إحباط العزائم الوطنية ، والقضاء على الروح الثورية ، فذهبت لمقابلة اللواء (المشير فيما بعد) أحمد إسماعيل رئيس المخابرات المصرية ، الذى التقيت به لأول مرة وشرحت له مفهومى عن الإستراتيجية القومية ، على ضوء الصراعات الدولية وتجربتى اليمنية ومعاصرتى لأسباب النكسة

العربية ، واسهبت فى شرح حتمية ووسائل الاستفادة من دروس الماضى ما دمنا صادقين في بناء المستقبل ، الأمر الذى يفرض علينا البحث عن الوسائل المنطقية التى تحقق الأهداف الوطنية والقومية .

قلت للمشير أحمد إسماعيل خلال أربع ساعات متصلة كلاماً كثيراً يستطيع القارىء أن يجده فى صفحات هذا الكتاب ضمن شرحى لأحداثه ، فأبدى المشير إسماعيل تأييده المطلق لتفاصيل حديثى معه ثم أمر وكيله اللواء صلاح المحرزى الذى حضر ذلك اللقاء بأن يعتبر هذا الحديث من مراجع جهاز المخابرات المصرية ، وشجعنى على المضى فى سبيلى مرحبا بأن أزوره ويزورنى كلما وجدت جديدا فى الاستراتيجية العربية والدولية يفيد القضية القومية . (الوثيقة رقم ٨) .

وعندما تأهبت للخروج سألنى عن آخر نصيحة أقدمها إليه قلت (توطيد العلاقات المصرية السعودية) فرحب بهذه النصيحة فى ذلك الوقت المبكر فى عمر الاستراتيجية المصرية السعودية بعد النكسة العربية .

٥

فوجئت فى شتاء ١٩٧١ بوصول الصديق الفريق حسن العمرى إلى القاهرة ، بعد أن استقال من جميع مناصبه فى صنعاء ، بسبب إثارة عصبية أدت به إلى قتل مواطن يمنى كان قد أفرط فى إثارته حتى قتله .

ورغم أننى أشهد للفريق ببسالته وشجاعته واشتراكه فى معظم المعارك الكبرى لتثبيت الجمهورية فإننى لا أقره على قتل أى مواطن ، مهما كان حجم الإثارة العصبية التى ساقته إلى قتله . لكننى فى نفس الوقت لا أقر اولئك الذين كانوا يزاحمون الفريق على السلطة فدفعوا بذلك المواطن إلى تعمد إثارته ، وهم يعرفون أعصاب الفريق التى سرعان ماتتحول إلى حريق .

كان العمرى معروفا برفضه المعلن للماركسية ، ونشاطه الدؤوب فى التصدى للعناصر الحزبية . فوجدت هذه العناصر فى الاريانى عصفورا جمهوريا مقبولا على المستوى القبلى ، مرموقا على المستوى الدينى ، ينتهى أمله على مقعد الرئاسة ، مسترخيا فى قاع القفص الجمهورى . يسره أن تنشط العناصر الحزبية والماركسية ، ويفرحه أن تتصدى لها العناصر الدينية والقبلية ، معتقدا أن جميع المتصارعين فى حاجة اليه ، ولعبة بين يديه .

أعتقد الاريانى أنه يحمى مقعد الرئاسة داخل القفص الجمهورى فى نقطة التوازن بين نشاط اليسار وتصدى اليمين ، واثقا فى أنه لم يكن فى حاجة إلى الإهتمام بما كان يجرى خارج ذلك القفص .

خلال هذا الصراع لم تلتفت قيادة الاريانى السياسية إلى تحقيق المصلحة الوطنية الحقيقية ، التى هى التطور نحو المستقبل الأفضل الذى قامت الثورة من أجله . فكان الاريانى عصفور الرئاسة لا يسعى إلى أكثر من الجلوس فى القفص ، وكان العمرى نغماً شاذاً فى اللحن الحزبى اليسارى المتطرف ، الذى كان يتأهب لتحطيم ذلك القفص والإنقضاض على السلطة السياسية والقيادة العسكرية .

تجمعت كل هذه العناصر من خلف الاريانى حتى تخلصت من الفريق العمرى فاستقر إلى جوار المشير السلال فى القاهرة ، وانفردت العناصر الحزبية بالقاضى الاريانى فى صنعاء مما أثار العناصر الدينية والقبلية فى حلقة من حلقات الصراع على السلطة .

ثم حملت الأنباء فى ربيع ١٩٧٢ أن القاضى عبد الرحمن الاريانى رئيس المجلس الجمهورى اليمنى غادر صنعاء واستقر فى مدينة صلنفة السورية ، على شاطىء البحر

الأبيض المتوسط ، بعد أن قدم إستقالته إلى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر بصفته رئيسا لمجلس الشورى . وعلمت أن الاريانى الذى كان يقف فى نقطة التوازن ، بين نشاط العناصر الحزبية والماركسية وصمود العناصر الدينية والقبلية التى تتصدى لها ، قد شعر باختلال هذا التوازن لصالح العناصر الدينية والقبلية التى ضاعفت من نشاطها لتعويض ما خسرته بخروج العمرى ، فأراد الاريانى أن يهددها بالإستقالة حتى يستعيد التوازن .

كان الاريانى يعرف جيدا أن مجلس الشورى لا يستطيع أن يستغنى عنه ، حيث لم يكن له بديل مقبول لدى العناصر الحزبية والعناصر المعارضة لها فى نفس الوقت ، فذهب عدد من أعضاء المجلس إلى سوريا يناشدون الاريانى أن يعود إلى اليمن ، وجاءنى إلى القاهرة رئيس مجلس الشورى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر وروى لى قصة خلاف المجلس مع الاريانى ، وكنت من الذين يعتقدون أن المرحلة التى كانت تمر بها اليمن فى ذلك الوقت تحتاج إلى شخصية على غرار شخصية الاريانى ، بعد إقناعها بأهمية تشجيع مبدأ الشورى الذى يمكن أن يؤدى ، بمرور الوقت ، إلى ظهور أفكار بناءه وقيادات شعبية تشترك فى القيادة الجماعية .

طلب منى الشيخ عبد الله أن أسافر إلى سوريا حتى اشترك فى إقناع الاريانى بذلك ، فسافرت فى مارس ١٩٧٢ وتناقشت مع الاريانى فى جميع التفاصيل ، وتحدثنا على وجه الخصوص فى ضرورة إعداد منهج شامل للتطور فى اليمن ، لأن وظيفة السلطة السياسية لا تنحصر فى مجرد حماية الأمن ، وإنما تلتزم بقيادة التطور ، واتفقنا على أن يعود إلى صنعاء لاستئناف عمله رئيسا للمجلس الجمهورى ، وأبلغنى بأنه سوف يزور القاهرة فى طريقه إلى صنعاء حتى نلتقى ونستكمل الحديث فأعود إلى اليمن للإشتراك فى إعداد ذلك المنهج . رحبت بهذا العرض طالما أننى سأذهب إلى اليمن لمدة مؤقتة أعود بعدها إلى القاهرة لإستئناف الدعوة الفكرية القومية .

وكنت مخلصا أصدق الإخلاص فى تأييده وتزويده بالنصائح البناءة ، التى تؤكد زعامته وتوطد قيادته ، ولا حاجة إلى إعادة القول بأن نجاحه هو نجاح للجمهورية وأوسمة تاريخية على صدور الذين اشتركوا فى ولادتها أو فى حضانتها .

بعد أيام عاد القاضى الاريانى إلى صنعاء مباشرة ولم يهبط فى القاهرة ، تحاشيا لمقابلتى حتى لا يتورط فى الوفاء باتفاقه معى ، واعتبرت ذلك تصرفا بشريا من جانبه لا يستحق العتاب عليه من جانبى ، فلم يتزعزع إيمانى بأهمية وجوده على رأس السلطة فى صنعاء ، وأخذت أكتب إليه وجهات نظرى فى خطورة الإعتماد على نقطة التوازن بين القوى المتصارعة فى اليمن ، وضرورة بروز شخصية القيادة السياسية ودورها الرائد الذى يجب عليها أن تضطلع به فى ميدان التقدم الإقتصادى والاجتماعى الذى هو الغاية الأساسية من إقامة الجمهورية اليمنية ، مع ضروة إخضاع القيادة فى جميع قراراتها وتصرفاتها للمراجعة المستمرة وصولا إلى النتائج الأكثر تحقيقا للمصلحة العامة ، لأنه لا يتحقق تقدم إقتصادى أو إجتماعى بغير قيادة واعية ومرنة تقود التقدم وتدفع تياره .

قيادة فى جوهرها جهد سياسى منظم ومنضبط ، ينطلق من آمال واسعة كى يحقق أهدافا محددة .

جهد سياسى .. أى علم سياسى .

علم لا ينطوى على نفس المضمون الذى تقوم عليه العلوم الأخرى ، التى تستمد فرضياتها من تجارب نمطية مؤكدة ، وأرقام ثابتة محددة ، ونتائج نهائية مطلقة ، يمكن الإستدلال بها والإستناد عليها ، ويجوز نقلها بذاتها ورمتها لتعطى نفس النهايات ، وتحقق ذات النتائج .

علم سياسى يختلف عن هذه العلوم فى أنه يعتمد على إجتهادات وتقديرات وفرضيات محلية وخارجية ، متداخلة ومتحركة ، وعوامل بشرية حية متقلبة ومتغيرة ، بعضها يدخل تحت حصر ، وأكثرها يستعصى على الحساب ، أو يختفى بعيدا عن دائرة الإحتمالات المرئية والمقدرة ، لأن القرارات التى تستهدف معالجة هذه الفرضيات المتحركة تتضمن قدرا راجحا من الصواب ، وقدرا آخرا من الإحتمال الذى يفترض استمرار النظر فيها وهى فى عجلة التنفيذ الفعلى .

أى يفترض اعتبارها تجربة مستمرة ، كى تتولى الممارسة العملية إثبات صحتها وملائمة استمرار الأخذ بها ، أو اظهار حتمية صرف النظر عنها والبحث عن بديلها .

وأثناء ذلك ، لا مفر من الحوار الطبيعى حول أكتشاف مستقبل القرار السياسى ، فهذا قدر القيادات الديمقراطية التى تسعى إلى إقناع الجماهير بها .

هذا الحوار يكتسب موضوعية كلما كان المشتركون فيه ملمين بعناصره الأساسية ، مترفعين عن مصالحهم الشخصية ، متحررين من العصبيات الحزبية ، متابعين التطورات المحلية والعالمية ، يسندهم (إلمام عام) يحيط بأرضية الحوار مع (أدراك خاص) يمسك بتفاصيله ، ثم تدفعهم إلى ذلك غيرة وطنية تشدهم إلى موضوعية الحوار ، حتى لا يتوهوا أثناء الإنفعال بين أعاصير التعصب .

كان الاريانى لا يسمح بمثل هذا الحوار الذى تحتاجه القيادة الرشيدة ، وإنما كان يرحب بجميع ألوان الصراع الذى يحفظ له نقطة التوازن التى يجلس فوقها ، دون أن يشعر بأية حاجة إلى حوار موضوعى يبحث معه عن مصلحة اليمن ووسائل تحقيقها .

كانت اليمن تعانى من ظاهرة الإبتعاد عن موضوعية الحوار ، كظاهرة عامة تشمل معظم المجتمعات النامية بسبب طبيعة تركيبها الاجتماعى ومستواها الثقافى ، وحداثة عهدها بالموازنة بين الصالح الخاص والصالح العام ، وتأثير الصراعات الأجنبية التى تجرى على ساحتها الوطنية .

غاب عن ذهن الاريانى الذى انفرد بقيادة اليمن أن القيادات السياسية الأعظم ثقافة والأعرق تجربة فى المجتمعات المتحضرة ليست مثله مطلقه اليدين فى اختيار الحلول التى تريدها ، وأنها لا تعمل فى فراغ ، ولا تبدأ فى كل الأمور من الصفر ، ولا تصنع نهضة شعوبها من قماش خام تفصل منه ما تشاء من ثياب المستقبل .

كان الاريانى يعتذر عن بطء التطور اليمنى بدعوى عدم قدرته على الإصطدام بالعوامل اليمنية القديمة ، فوقف جامدا امام الظروف اليمنية الجديدة . وغاب عن ذهنه أنه إذا كانت القيادة السياسية ليست مطلقة اليدين فى اختيار الحلول النموذجية المطلقة ، فأنها ليست مكتوفة اليدين أمام اختيار الحلول النموذجية النسبية ، أى أنها ليست مكتوفة اليدين أمام العوامل المستجدة التى تلقى بنفسها فى طريق المجتمع ، وأمام العوامل الجامدة الموروثة من الماضى .

فمن واجب القيادة : أن تعمل على (تطويع العوامل المستجدة) كى تبنى مواقع الدفع إلى المستقبل ، وأن تعمل على (تطوير العوامل القديمة) كى تهدم عوامل الجذب إلى الماضى .

اكتفى الاريانى بقدرته على الإحتفاظ بتوازن القوى بين العناصر الحزبية المتطرفة والعناصر القبلية المتدينة ، ولم يكتشف أية حاجة إلى الإنتفاع بخبرة المتخصصين ، ولم يدرك أنه لايعيب القائد السياسى أن يستشير أهل الخبرة العارفين بشتى المجالات ، التى لا يمكن أن ينجح أبدا إذا ما أستغنى عنهم وأكتفى بمؤهلاته الشخصية وقدراته الجماهيرية ، التى يمكن أن تصفق لها الجماهير ثم تنام على الطوى خاوية البطون فارغة العقول ، وحناجرها مذبوحة من كثرة الهتاف والصياح ، وأكفها ملتهبة من شدة التلويح والتصفيق ، مما يؤدى إلى إنتشار حركات الإثارة الشعبية التى تتصدى لهذه القيادة الجامدة ، فتتفاقم الصراعات الداخلية التى تزيد من أسباب التخلف .

لم يدرك الاريانى أن القيادات الرشيدة تعرف أن الجماهير تنفعل بالأمانى المحتملة ، بينما ينفعل التاريخ بالنتائج المؤكدة .

وأن القائد السياسى الحكيم ، لا يلزم أن يكون فيلسوفا إقتصاديا أو إجتماعيا حكيما .

وإن الإستعانة بعلم العلماء ، وخبرة الخبراء ، شرط أساسى لنجاح القيادة السياسية .

والقيادة التى تدرك ذلك او بعض ذلك ، تبلغ قمة الحكمة .

لم يأخذ القاضى الاريانى بأية نصيحة من النصائح التى شرحتها له فى صلنفه ثم أرسلتها إليه من القاهرة .

كان هدفى من ذلك أن أستميل الاريانى إلى تطوير النموذج الحضارى فى اليمن ، حتى يكون النموذج المتطور فى صنعاء قادرا على إستقطاب النموذج المتطرف فى عدن . فقد كانت الساحة اليمنية الشمالية والجنوبية – ولا تزال – نموذجا فريدا لصراع الإسلام والماركسية . فشعب اليمن شماله وجنوبه شعب واحد ، تجمعه روابط العائله الواحدة وظروف البيئة المتقاربة ، بينما يشطره نظامان متناقضان ، إسلامى فى الشمال وماركسى فى الجنوب . وكان المفروض أن تكون القفزات الإسلامية السياسية والإقتصادية والإجتماعية فى اليمن الشمالية كفيلة باحتواء ما يناقضها فى اليمن الجنوبية .

٦

تفاقمت عناصر الصراع المسلح بين شطرى اليمن فى صيف ١٩٧٢ حتى اشتبكت القوات المسلحة الشمالية والجنوبية فى قتال مرير ، امتد خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر ١٩٧٢ ثم توقف ظاهريا بفضل المساعى الحميدة التى بذلتها جامعة الدول العربية ، التى رأس الدكتور سليم اليافى أمينها العام المساعد أول إجتماع للمفاوضات بين الشطرين فى ٢١ اكتوبر ١٩٧٢ بحضور مندوبى مصر والجزائر وسوريا والكويت .

بدأت بذور الصراع بين صنعاء وعدن منذ ان قمنا بالثورة فى صنعاء يوم ٢٦سبتمبر ١٩٦٢ وأكدت للوزير البريطانى فى صنعاء أنه لا مفر ، أن آجلا أو عاجلا ، من تسليم بريطانيا بإعطاء حق تقرير المصير لأهلنا فى عدن وبقية جنوب اليمن المحتل . وكانت بريطانيا تدرك هذه الحقيقة أثناء مفاوضاتى مع حكومتها بشأن اعترافها بنظامنا الجمهورى فى صنعاء .

وتأكيدا لتمسكنا بوحدة الأراضى اليمنية (كما سبق شرحة فى هذا الكتاب) عينت قحطان الشعبى ، وهو من أبناء الجنوب ، مستشارا للزراعة برتبة وزير له حق حضور إجتماعات مجلس الوزراء ، إقتناعا منى بولائه للوحدة اليمنية لا سيما أنه كان قد أصدر فى مايو سنة ١٩٦٢ اى قبل قيام الثورة اليمنية بثلاثة أشهر كتابا بعنوان (الأستعمار البريطانى ومعركتنا العربية فى جنوب اليمن) أوضح فيه إيمانه بوحدة اليمن ودعا فى صفحة ٢٤١ إلى (تكوين جبهه قومية تضم كل الفئات المخلصة فى الحقل الوطنى التى تؤمن إيمانا حقيقيا بقضيتها ومسئوليتها القومية فى اقليم اليمن جميعه). وفى صفحة ٢٤٣ حدد أهداف هذه الجبهه بأنها (أهداف أساسية تتمثل فى إعتبار أقليم اليمن جزء لا يتجزأ من الوطن العربى الواحد الممتد من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى واعتبار الشعب العربى فى اليمن جزأ لا يتجزأ من الشعب العربى الساكن فى هذا الوطن ككل) واشترط فى صفحة ٢٤٢ أن تستبعد هذه الجبهة (العناصر الشيوعية والعناصر العميلة ودعاة الانفصال المكشوفين والمستورين) .

من هذا المنطلق أذنت لقحطان الشعبى وزملائه من أعضاء حركة القوميين العرب باستلام ألف جنيه استرلينى من خزينة الحكومة اليمنية ، كأول ميزانية لإنشاء تنظيم الجبهة القومية ، لتشترك فى تأكيد اختيار الوحدة اليمنية أثناء ممارسة حق المصير .إلا أن عملية صلاح الدين التى استهدفت طرد بريطانيا بالقوة من الجنوب استقطبت نشاط الجبهة القومية فدفعت بها إلى أنياب الإستراتيجية السوفيتية ، فقامت تنظيمات جنوبية

اخرى لذات الغرض ، يحتاج شرح بواعثها إلى كتاب خاص بها . ولما تطورت الحركات المسلحة فى الجنوب وتصادمت الجبهات النضالية على أرض المعركة .

رأت الجامعة العربية ومعها كل من صنعاء والقاهرة أن تصلح فيما بين هذه الجبهات ، وتشكل من بينها جبهه نضالية موحدة فتشكلت فى يناير سنة ١٩٦٦ (جبهة تحرير الجنوب اليمنى المحتل) واختير عبد القوى مكارى أمينا عاما لها ، لكن عناصر من الجبهة القومية ومن بينها قحطان الشعبى فضلت عدم الإنضمام إلى هذه الجبهة الموحدة ، فأصبح فى ساحة المعركة تنظيمان متحاربان رغم أنهما يسعيان إلى هدف وطنى مشترك ، هو تحرير المنطقة من الإستعمار من أجل إستعادة وحدة الأراضى اليمنية .

ثم بدأت فى مايو ١٩٦٧ محاولة أخرى لتحقيق الوحدة الوطنية بين جبهة التحرير والجبهة القومية لكنها فشلت كسابقتها ، ولما اشتد الإقتتال بين الجبهتين تدخلت الجامعة العربية مرة أخرى ، ونجحت فى استصدار بيان مشترك وقعه عبد القوى مكاوى عن جبهة التحرير وفيصل عبد اللطيف عن الجبهة القومية فى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٧ ناشدا فيه المقاتلين من أعضاء الجبهتين (وقف الإقتتال فوراً والتآخى والحذر خاصة وأن الاستعمار يريد أن يعمق روح الخلاف وينشر بذور الحرب الأهلية قبل رحيله الذى أصبح محتما) .

غير أنه رغم إعتراف الجبهتين بأن الإستعمار يريد أن ينشر بذور الحرب الأهلية قبل رحيلة فأنهما لم يستطيعا تحقيق الوحدة الوطنية بينهما ، وتركا بذور الخلافات الحزبية لتنبت حربا أهلية .

وانفردت الجبهة القومية باستلام الإستقلال من بريطانيا ، وأستمرت المعارك الطاحنة بينها وبين جبهة التحرير ، التى اضطرت قواتها فى النهاية إلى الالتجاء إلى الشطر الشمالى .

وعلى صعيد الجبهة القومية نفسها أخذ الصراع على السلطة يتفاقم بين أجنحتها ، فتم أولا القضاء على الجناح الذى وصفوه بأنه الجناح اليمينى باعتقال قطحان الشعبى رئيس الجمهورية ورئيس وزرائه فيصل عبد اللطيف فى ٢٢ يونية سنة ١٩٦٩ ثم قتلهما الواحد بعد الآخر ، وكان العقيد عبد الله صالح سبعة مدير أمن الجبهة القومية قد التجأ إلى الشطر الشمالى مع مجموعة من ضباطه وجنوده بسياراتهم واسلحتهم ، ثم لحق بهم العقيد حسين عثمان عشال قائد القوات المسلحة فى جمهورية الجبهة القوميه .

وبدأ ما وصفوه باليسار المعتدل بقيادة محمد على هيثم يفكر فى تطوير الأوضاع الإقتصادية فى الشطر الجنوبى ، فأعلن عن الخطة الإقتصادية الثلاثية ، غير أن اليسار المتطرف أطاح بهذا اليسار المعتدل فى يوليو سنة ١٩٧١ وأعلن إبعاد محمد على هيثم رئيس الوزراء ، واتخذ إجراءات وقرارات متطرفة قضت على الخطة الثلاثية من ناحية ، ونفرت قطاعات شعبية هامة من إمكانية التعاون الإيجابى فى تطوير البلاد من ناحية أخرى ، وكان من بين هذه القطاعات الشعبية قطاع التجار المقيمين وقطاع اليمنيين

المهاجرين ، الذين عادوا بأموالهم وخبراتهم من الخارج ، ثم تمادت هذه القرارات المتطرفة إلى حد أسفر عن التجاء آلاف العائلات إلى الشطر الشمالى بغير عمل ولا أمل .

ويبدو أن بعض المتطرفين فى الشطر الجنوبى قد آمنوا بنظرية جيفارا التى شرحها للرئيس الراحل جمال عبد الناصر أثناء زيارته للقاهرة حين سأل الرئيس قائلا (كم عدد اللاجئين المصريين الذين اجبروا على مغادرة البلاد ؟) وعندما رد عليه عبد الناصر بان (عددهم لم يكن كبيرا وأنهم كانوا فى معظمهم من المصريين البيض ، أى من فئة أصحاب الجنسيات الأجنبية الذين تمصروا بحكم إقامتهم فى مصر)فصرخ قائلا: (هذا يعنى أنه لم يحدث شيء كثير فى ثورتكم . أننى أقيس عمق التحول الإجتماعى بعدد الأشخاص الذين يمسهم ويؤثر فيهم ، بحيث يبدأون فى الإحساس بأنهم لم يعدلهم مكان فى المجتمع الجديد).

فالذين اضطروا إلى الإحساس من اليمنيين الجنوبيين بأنهم لم يعد لهم مكان فى المجتمع الجديد فى الشطر الجنوبى قد بلغ عددهم مئات الألوف ، فالتجأوا إلى الشطر الشمالى عاطلين بغير عمل ، مقطوعين من كل رزق ، بينما تواجه حكومة الشطر الشمالى مصاعبها الإقتصادية الخاصة فضلا عن صعوبة توفير نعمة الأمن أمام هذه المشاكل المتزايدة .

ولا يستطيع منصف إنكار حق هؤلاء فى العودة إلى ديارهم واستعادة حقوقهم المشروعة ، وهم أمام الطرق السلمية المسدودة لجأوا ، فى ذلك الوقت ، إلى تنظيم أنفسهم فى تجمعات عسكرية انتهت بقيام الجبهة الوطنية المتحدة التى تشكلت بقيادة عبد القوى مكاوى واندمجت فيها جبهة التحرير والتجمعات العسكرية الأخرى ، فضلا عن قيام العقيد حسين عثمان عشال والعقيد عبد الله صلح سبعة بتنظيم أتباعهما من أجنحة الجبهة القومية المنشقة وغير هم ، تحت شعار وحدة وطنية من بين هؤلاء اللاجئين والمشردين الذين عصف بهم تطرف جيفارا .

هكذا اختلف النظام الإقتصادى والإجتماعى فى الشطر اليمنى الجنوبى عن النظام الإقتصادى والإجتماعى فى الشطر اليمنى الشمالى ، فبينما يتصف الأول باليسار الماركسى ، يستمد الآخر أصوله من الفكر الإسلامى .

ثم ولدت المشاكل الفرعية والمباشرة التى تصاعدت بالاشتباكات المسلحة فى سبتمبر وأكتوبر ١٩٧٢ إلى جانب ما أعلنه بعض المتطرفين فى الجنوب من أنهم يتحملون المسئولية التاريخية لتحرير شطر اليمن الشمالى ، وبقية البلاد العربية الأخرى المجاورة ممن وصفوهم بالرجعيين والعملاء ليقيموا مكانهم مسارح أخرى لليسار الماركسى ، الذى يدعمه الإتحاد السوفيتى سياسيا وإعلاميا وعسكريا .

وفى تصريح للعقيد حسين المسورى رئيس أركان حرب الجيش فى اليمن الشمالية ، فى تلك الأيام ، والمنشور فى مجلة الحوادث بتاريخ ٢ فبراير ١٩٧٣ صفحة ٢٩ قال :

(لقد سألت بودجورنى شخصيا سنة ١٩٧١ : متى سيصلنا السلاح فقال الزعيم السوفيتى : فى الربع الأول من عام ١٩٧٢ . وها قد انتهت الأرباع الأربعة للعام الموعود ، ولم يصلنا شيء .. بل بلغنا أن هناك باخرة كانت متجهة إلى الحديدة وعليها شحنة أسلحة وحولت إلى عدن .. والحكم فى عدن يؤمن بزعامة الإتحاد السوفيتى .. والحكم فى صنعاء يؤمن باليمن ولك أن تقدر لمن سيذهب السلاح ؟).

ومن الحقائق التاريخية التى تجدر الإشارة اليها أن الشخصيات الوطنية من ابناء اليمن الجنوبية التى كانت بعض عناصرالمخابرات المصرية تصفها بأنها رجعية ، واصرت على تصفيتها اثناء طرد البريطانيين من جنوب اليمن من خلال عمليات عسكرية وثورة شعبية اطلقت عليها اسم (عملية صلاح الدين)، أصبحت الآن وبذاتها هى العناصر الوطنية التى تحتضنها كل الدول المعتدلة بما فيها مصر ، التى سمحت لها بمقر فى القاهرة لمقاومة عناصر الجبهة القومية الحاكمة الآن فى اليمن الجنوبية ، والتى سبق أن احتضنتها عناصر من المخابرات المصرية ثم سقطت من بين احضانها واعتنقت الماركسية واصبحت تعمل لحساب الشيوعية الدولية ضد امن الدول العربية .

فهل كنت على حق حين أردت حقن دماء اليمنيين والمصريين وتمكين الجنوبيين من حق تقرير المصير عند رحيل البريطانيين ، الذين كانوا مضطرين لأسباب اقتصادية إلى الرحيل عن عدن وجنوب اليمن ، بغير حاجة إلى عملية صلاح الدين ، التى جنى ثمارها نفر من الشيوعيين ، على مرأى ومسمع وأكتاف بعض عناصر المخابرات المصرية؟
سؤال أترك الإجابة عليه للتاريخ .

كان الإتحاد السوفيتى يساعد هذه العناصر المصرية ويركب معها فى عربة صلاح الدين التى رسم لها الإتجاه وحدد لها قوة الدفع ، وسرعة الوصول إلى الهدف . وعندما وصل إليه طرد المصريين أبطال صلاح الدين ، وقتل معظم من كانوا معهم من اليمنيين الأعوان ، ثم قذف الثوار اليمنيين برجال المخابرات المصريين ليعودوا إلى القاهرة ، فى حركة استعراضية رشيقة من حركات المصارعة الحرة .

وعندما تصاعد القتال بين شطرى اليمن وتوسطت الجامعة العربية لإقرار وقف اطلاق النار ظهرت إتجاهات وحدوية ، تنادى بالوحدة اليمنية فاتفق الوفدان الشمالى والجنوبى فى ٢٨ اكتوبر ١٩٧٢ على توقيع إتفاقية سميت فيما بعد باتفاقية القاهرة ، التى تضمنت الإتفاق على مبدأ الوحدة اليمنية ، فكان ذلك بمثابة المخرج المشرف لكل منهما من مأزق الحرب ، التى تأكد كل منهما من عدم قدرته على حسمها لصالحه .

أثرت الصمت وعدم إبداء وجهات نظرى فى ذلك الصراع ، حتى اضطرتنى مجلة الحوادث اللبنانية إلى الخروج عن صمتى فنشرت حديثى معها فى عددها الصادر يوم ٣ نوفمبر ١٩٧٢ والذى شرحت فيه ، بوضوح ، سر الخلاف العقائدى بين النظامين اليمنيين ، وناديت بتطوير النموذج الحضارى فى اليمن قائلا (إن مكافحة الشيوعية لا تكون بالإجراءت البوليسية ، وإنما عن طريق إيجاد النظام الإقتصادى والسياسى والإجتماعى الذى يكفل لكل مواطن الأمل فى حياة أفضل).

أشرت بذلك إلى أن المشكلة اليمنية لا تخرج عن كونها نموذج من النماذج السياسية السائدة في معظم الدول النامية ، ومن بينها عدد من الدول العربية التى تعتبر اليمن بشطريها أولها وليست آخرها .

نموذج متكرر يحتم الإسراع إلى البحث عن الوظائف الأساسية للقيادات السياسية سواء فى المجال الخارجى أو الداخلى بما يكفل لكل مواطن الأمل فى حياة افضل ، اذ لا يمكن الفصل بين سياسة الدولة الخارجية وسياستها الداخلية وانظمتها الإقتصادية وتنميتها الحضارية . لأن الدولة لا تعيش وحدها على كوكب خاص بها ، وإنما تعيش وسط غيرها من الدول ذات الأنظمة المختلفة والأهداف المتداخلة ، مما يعطى أهمية خاصة لمجال السياسة الخارجية التى هى فن تحقيق اهداف الدولة من خلال الظروف الخارجية المساعدة ، والمضادة لهذه الأهداف .

فن ، اى موهبة مصقولة بالعلم ، أو علم مصقول بالإلهام .

فالسياسة ليست علما مجردا يكتفى بالقاعدة والحساب ، وما إلى ذلك من بديهيات (نفاذ البصر). وإنما -إلى جانب ذلك – يحتاج إلى سعة افق ، وعمق ادراك ، وغير ذلك من مقتضيات (نفاذالبصيرة).

ارتمت اليمن الجنوبية بين أنياب الماركسية ، لمجرد أن تسللت إليها عناصر ذات علاقة سوفيتية ،اثناء تحريرها من الإستعمار البريطانى ، الذى اكتشف هو الآخر أن مصلحته الخاصة تتحقق أكثر من وراء تسليم السلطة لزعماء التحرير غير المؤهلين لقيادة التطوير ، فتاهت هذه العناصر وضلت طريق الوصول إلى تحقيق أهداف الدولة المستقلة الجديدة التى سعت إلى أقامتها ، فاستغرقت فى الإستسلام بين أحضان الغول الماركسى الذى ساعدها على الوصول إلى السلطة .

ضلت الطريق إلى الهدف لأنها لم تستخلصه من الواقع اليمنى ضمن الإطار العربى .

وهذا ما دفعنى إلى إسداء نصيحتى إلى زميلى قحطان الشعبى أول رئيس لجمهورية اليمن الجنوبية اذكره فيها ، فى أول يوم لرئاسته ، بأنه أحد أبناء اليمن الطبيعية وأن أهلنا فى شطر اليمن الجنوبى هم أهلنا فى شطر اليمن الشمالى ، وأن اليمن بشطريها جزء لا ينفصل عن أمتنا العربية .

فأنبأنى فى رده على نصيحى بأنه يسير فى طريقه الذى انزلق إليه ، ولايستطيع أن يحيد عنه وذلك فى برقية (الوثيقة رقم ٤٠) قال فيها :

(أشكركم على تهنئتكم لإخوانكم بمولد الجمهورية الجنوبية الشعبية وفقنا الله إلى ما فيه خير بلادنا وأمتنا – قحطان الشعبى رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية) .

فكانت كلمة (الشعبية) التى أضافها إلى اسم الجمهورية إعلانا عن انتماء دولته الجديدة إلى الكتلة الشرقية ، بالرغم من أنه كان شخصيا من أشد معارضى الماركسية ، فدفع حياته ثمنا لإعلانه عن نظام لا يؤمن به ولا ينتمى اليه .

كنت ولا زلت أتمني لليمن الجنوبية أن تستعيد ذاكرتها اليمنية ، وتنسى ظروف تحريرهاالتى رمتها فى أحضان الماركسية ، على نقيض ظروفها الموضوعية وقدراتها على تحقيق النهضة الحضارية ، وسط الأسرة العربية والروابط التاريخية العضوية ، الإسلامية والقومية .

وهذا لا يمنع من احتفاظها بأوثق الروابط مع الاتحاد السوفييتى ، دون الإلتزام بمناهجه الماركسية ، وتنفيذ أهدافه ا ستراتيجية ضد المصلحة اليمنية والمصالح العربية .

لأن واقع اليمن الجنوبية واحتياجها المصيرى للأمة العربية لا يتفقان مع إنسلاخها عن الجسد العربى ، ولا يحققان هدفها الحقيقى المنبثق من واقعها الفعلى ، الذى يصوغ أهدافها فيحدد نظامها الإقتصادى وسياستها الخارجية التى ينبغى عليها أن تسعى إلى تحقيق أهدافها وسط مجتمع يتكون من دول عديدة لكل منها أهداف تسعى إلى تحقيقها .

فلا ينبغى أن تعتقد اليمن الجنوبية ، او اية دولة من الدول ، انها مرتبطة بطريق سياسى مسدود ، لا تستطيع أن تحيد عنه إذا تبينت ما هو خير منه ، فالسياسة لا تسلم بأنه يمكن أن نكون كل الطرق السياسية الممكنة مسدودة فى كل الأوقات .

فذلك ما لا يستقيم مع المفهوم العلمى للسياسة .

فالسياسة هى خلق طرق جديدة وعدم الوقوف أمام أية مشكلة (بأيد مكتوفة) و (لسان معقود) وسط (دائرة مفرغة).

غير أنه عند فتح الطرق السياسية الجديدة يشترط أن تصحبها أساليب جديدة ، ومعالجات جديدة ،يسبقها فهم جديد لطبيعة المخاطب القديم ، وطبيعة المخاطب الجديد .

أو تنتهى الطرق الجديدة إلى نفس البدايات القديمة .



على ساحة الجمهورية العربية اليمنية حذرت القاضى الاريانى فى محاضرة القيتها فى نادى رابطة طلاب اليمن شمالا وجنوبا فى جمهورية مصر العربية يوم ٢٤ديسمبر ١٩٧٢ من حتمية سقوط جمهوريتة أن هو استمر فى استهلاك رصيدها الشعبى ، الذى استند عليه عندما قام بإنقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ . لأن قيام هذا الإنقلاب فى شمال اليمن عاصر قيام جمهورية أخرى فى جنوبها عقب استقلاله عن بريطانيا أعلنت مناهج الماركسية لابد من أن تقوم جمهورية الاريانى فى الشمال بطرح فلسفتها الإقتصادية والاجتماعية التى تنبثق فى ظروف الموضوعية وعقيدتها الإسلامية حتى تملأ الفراغ الفكرى فى الساحة اليمنية ، فتغلق الأبواب على الشعارات الماركسية التى رفعت السلاح على شمال اليمن ،إنطلاقا من جنوبها ، حتى قامت الحرب بين شطرى اليمن .

لقد كان الإنجاز التاريخى للجمهورية الثالثة برئاسة الاريانى الذى منحها فرصة الميلاد ، ثم اعطاها فرصة الإستمرار ، هو تحويل الاتكالية والسلبية اليمنية إلى يقظة ايجابية للدفاع عن النفس وحماية الأمل الذى تجسد فى أهداف الجمهورية .

غير ان هذه الجمهورية الثالثة قد نسيت هى الأخرى فى ظل ظروفها الذهبية الخاصة أهمية طرح فلسفتها الإقتصادية والإجتماعية المنبثقة من إجتهادها الإسلامى ، ولم تحدد وجهات نظرها فى علاج مشاكل الفقر والتخلف ، وخطوات ومراحل تطوير المجتمع اليمنى نحو حياة أفضل ، مكتفية بشعار العدالة الإجتماعية العام ، تكرارا لما سبق أن أعلنته الثورة عند قيام الجمهورية الأولى سنة ١٩٦٢ بعد أن جردوه من قدرة التطور المستمر ، الذى كنت أسهر على الإرتقاء به إلى مستوى الحضارة العصرية ، بما يشبع خيال المواطن اليمنى ويجعله يعيش فى الأمل الأفضل عن طريق العمل الأكثر.

لم يشعر الاريانى بالحاجة إلى البحث عن الكوادر والقيادات فى مختلف المستويات التنظيمية والإدارية ، بينما كان ذلك أكثر ضرورة وأشد إلحاحا أمام ضغط التيارات الغازية المتطرفة ورياح المواجهة المسلحة ، التى تستهدف كل شعب اليمن ،وما حول شعب اليمن من شعوب عربية أخرى ، بما تحمله هذه التيارات الغازية من أحلام براقة غير ذات مفاهيم منطقية التطور ، ولا إنسانية التحليل ، بهدف تضليل جموع الشعوب المتطلعة إلى التطور ، والباحثة عن بداية الخروج من دائرة الواقع المؤلم .

هذه الظروف الجديدة فى الشطر الجنوبى جعلت الجمهورية الثالثة فى الشطر الشمالى تكاد تستهلك معظم رصيدها الإيجابى الذى حققته يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، مما كان يفرض عليها ضرورة تجديد هذا الرصيد .

ومع إعتقادى بأن نظام الجمهورية الثالثة بقيادة الاريانى كان فى تلك الظروف يحوز إعجاب أغلبية الشعب اليمنى المتطلعه إلى الإحتفاظ بالقيم الدينية ، فقد كان الشعب اليمنى فى حاجة إلى الأمل فى حياة أفضل . وفى غياب الأمل لا ينتظم الإعجاب غير المنظم ، كأى إعجاب غير منظم ، لا يمكن ان يكون إعجابا مستمراً مولداً لقدرة الحفاظ على أمن الجمهورية .

الإعجاب غير المنظم كالبخار غير المنظم .

لا يولد طاقة دفع .

ولا قدرة تحرك .

الإعجاب غير المنظم يتجلى مع المناسبات العابرة ، ويتبخر مع البخار المنطلق ، لا يدفع طاقة شعبية ، ولا يحرك قدرات المجتمع فى إتجاه التطور الإجتماعى والإستقرار السياسى ، لأنه لا يحدد ملامح القدوة المستمرة التى تستحق هذا الإعجاب ، ولا يفصل إبعاد النموذج الباقى الذى يتجسد فيه ، حتى تلتقى اصداؤه فتلتئم فتبعث نبضات تدق فى شرايين المجتمع كى ينشأ الإرتباط العضوى المتجدد بينه وبين قياداته التى تستحق تأييده ، ودفاعه عنها ، وصموده حولها .

كان الاريانى فى حاجة إلى الإهتداء إلى تحديد مشاكل الشعب اليمنى ، واختيار الحلول التى تتناسب معها ، والإقتراب من آماله الطموحه والممكنه ، بالسير فى خطوات ومراحل تنفيذها ، حتى ينتظم الإعجاب بجمهوريته ، فيستمر نظامة وتستقر رئاسته .

وعندما لم يدرك الاريانى هذه الحقيقة البديهية أصبحت جمهوريتة (الثالثة) فى وضع يشبه الظروف التى سبقتها وأدت إلى قيامها ، ثم أخذت تمهد إلى سقوطها .

واكتفى بلعبة توازن القوى فى اليمن التى شرحها الصحفى الأستاذ جلال كشك فى حديثه مع الاريانى المنشور فى مجلة الحوادث اللبنانية يوم ١٩ يناير ١٩٧٣ صفحة ٢٨ حيث قال للاريانى (يقال أنه كما جئت بالعينى « محسن العينى » برصيده اليسارى ليصطلح مع الملكيين والسعودية ، جئت بالقاضى الحجرى « عبد الله الحجرى » برصيده اليمينى ليتحد مع الماركسيين فى عدن) فابتسم الاريانى قائلا (الظروف هى التى جاءت بالأول كما جاءت بالثانى).



في زيارتى للصديق رشيد كرامى رئيس وزراء لبنان السابق فى ٩ يونية ١٩٧٣ أبدى عدم رضائه عن سياسة مصر تجاه القضية العربية ووصفها بعدم الوضوح .

وخلص بحديثه مشيرا إلى ضرورة إستئناف القتال مع إسرائيل ، على أساس أن عبد الناصر لم يكن يقصد من وقف إطلاق النار استجابة لمشروع روجرز الا مدة قصيرة جدا ، يستطيع خلالها تقديم قواعد الصواريخ إلى حافة القناة .

وأضاف أن استمرار وقف إطلاق النار أضعف التيار الوطنى والقومى فى الساحة العربية ، وضرب لذلك مثلا ما يجرى فى لبنان واستئساد التيار المعادى - كما قال - للخط العربى ، وقال أنه كان على القاهرة أن تمارس نوعا من الضغط على السلطة الحاكمة فى لبنان لأجبارها على البقاء فى الخط الوطنى ، كما تعودت القاهرة أيام عبد الناصر .

قلت لزميل الدراسة رشيد كرامى الذى واصل حكم لبنان أكثر من عشر سنوات:

١ - أن الخط الشهابى الذى كان يتزعمه كان قد انهزم فعلا فى حياة عبد الناصر .

فى انتخابات الرئاسة سنة ١٩٧٠التى فاز بها الرئيس سليمان فرنجية ، وكان أول ظهور رسمى لصائب سلام كرئيس لوزراء لبنان هو حضوره إلى القاهرة لتشييع جنازة الرئيس عبد الناصر .

وبالتالى لا دخل لعهد السادات فيما حدث للتيار الوطنى فى لبنان .

٢ - إن عبد الناصر نفسه استحسن تغيير ممارسته العربية بعد نكسة ٥ يونية ١٩٦٧ على أمل أن ينجح فى تهيئة مناخ أفضل لمعالجة القضية العربية ، التى ينبغى أن تكون القضية القومية الهامة بصرف النظر عن حسابات الأرباح والخسائر المحلية .

٣ - إننى لوكنت صاحب القرار السياسى فى القاهرة فإننى لا أعطى قرار الحرب لمجرد التأثير محليا فى أى إقليم عربى ، حتى يفوز هذا أو ذاك من أصدقائى ، وإنما أعطى قرار الحرب فقط عندما تكتمل حساباتى السياسية والعسكرية ، ويلوح أمامى إحتمال النصر فى القضية الأساسية ، وإذا فاز هذا أو ذاك من اصدقائى هنا أو هناك فى الأقاليم العربية فإن ذلك يظل ضمن النتائج الفرعية المستحسنة .

وأضفت قائلا أن تاريخ السادات يفرض الإعتقاد بأنه لايتأخر عن إصدار قرار الحرب بمجرد أن يحين وقته المناسب ، وأنه أذا كان لا يزال صابرا فهو من الكاظمين الغيظ ، الذين يعدون لحظات الإنتظار على دقات قلوبهم .

ثم دعاني سماحة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان إلى تناول الشاى ، وخرجت بنفس الانطباع ، بالإضافة إلى أنه تحدث أكثر عن حقوق الطائفة السنية وكيف اهدرها الرئيس سليمان فرنجية على يد الدكتورأمين الحافظ وانه ، أى المفتى ، جمع بين رشيد كرامى وصائب سلام وزعماء الطائفة السنية لاتخاذ موقف موحد .

ثم التقيت بالزعيم الدرزى اليسارى كمال جنبلاط الذى كان كثيرا ما يتخذ مواقف ملفتة للنظر . فبينما كان يعذر القاهرة على تريثها فى اتخاذ قرار الحرب ، كان يعتب عليها لأنها تأخرت عن أتخاذه .

أما الجمهور اللبنانى فقد لاحظت أنه ، كسائر جماهير الأمة العربية ، يعيش فى قلق من أنتظار المجهول ، والتردد بين الحل العسكرى الذى لم تكتمل مقوماته ، والحل السلمى الذى لم تظهر بوادره . وكانت كتابات الأستاذ هيكل فى الأهرام مدعاة (لليأس من السلام ، والعجز عن الحرب).

وعندما عدت إلى القاهرة التقيت بالسادات يوم ١٩ يونية ١٩٧٣ ورويت له ما رويت . وكان الدكتور حسن صبرى الخولى قد سبقنى إليه بحديث الرئيس اللبنانى سليمان فرنجية الذى طلب الإستعانة بمصر لحل ما وصفه فرنجية بـ (ازدواجيةالسيادة) القائمة فى لبنان ، حيث كان يعانى من خروج الفلسطينيين على الشرعية اللبنانية ، وكان يصف التجمعات الفلسطينية المقيمة فى لبنان بأنها دولة ذات سيادة إسمها (الكفاح المسلح) .

خرجت من زيارة السادات مقتنعا بابتسامته التى رأيت فيها ابتسامة الصابر الواثق المعتمد على ا لله .

فى ٨ اغسطس ١٩٧٣ دعانى الصديق الأستاذ سليم اللوزى صاحب ورئيس تحرير مجلة الحوادث اللبنانية على طعام الغذاء فى فندق شيراتون القاهرة مع نحو عشرة من الأصدقاء العرب ، وكانت تنتظره فى المطار طائرة خاصة لتنقله إلى السعودية لزيارة الملك فيصل .

كان حديث اللوزى لا يزيد ولا ينقص عن حديث رشيد كرامى والمفتى اللبنانى . فقد كان يعتب على السادات تأخره عن مواجهة إسرائيل مواجهة عسكرية مما ادى إلى فقدان العرب الروح الحماسية .

وكعادتى عندما أتأهب لإلقاء محاضرة أو لقاء صديق على مستوى اللوزى أن أستعيد ، قدر الإمكان ، قراءة ما يمكن أن تتطرق إلية المحاضرة أو يتناوله الحديث . فذكرت الصديق سليم اللوزى بما كتبه فى مجلة الحوادث يوم ٨ يونية ١٩٧٣ صفحة ١٦ على لسان محمد المصمودى وزير خارجية تونس ووالترشل وزير خارجية ألمانيا الغربية ،

اللذين أجمعا على أن جروميكو وزير خارجية الإتحاد السوفيتى صرح لكل منهما بأنه (ليس أمام الإتحاد السوفيتى سوى أن يتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن بقية المشاكل كالمشكلة العربية الإسرائيلية مشاكل ثانوية ، وأنه ليس أمام العرب سوى الإتصال المباشر بإسرائيل بواسطة طرف ثالث للتوصل إلى حل سلمى على أساس قرار مجلس الأمن).

معنى ذلك أنه كان على العرب الذين يرفضون هذا الأسلوب السلمى ، فى رأى الإتحاد السوفيتى ، أن يعتمدوا على أنفسهم وحدها ، دون سواها وأن يغامروا بالإنتحار فى حرب مع إسرائيل بأسلحتها الأوروبية والأمريكية المتفوقة ، وأجهزتها الإعلامية وتقدمها فى الحرب النفسية والوسائل الخداعية فى ظروف الإنقسامات العربية .

ثم أعدت على الصديق اللوزى ما كتبه فى مجلة الحوادث يوم ١٥ يونية ١٩٧٣ صفحة (٢٥) قائلا أن مشكلتنا العربية هى (عجزنا عن كسب أنفسنا أولا ، وعجزنا عن معرفة ماذا نريد ثانيا ، وعجزنا عن توظيف امكانياتنا لتغيير مواقف الدول ثالثا . أن هذا العجز هو الصفة الأساسية للعالم العربى اليوم).

قلت للصديق سليم اللوزى أنه بهذه العبارات الواضحة يسلم معى بأن العرب عجزوا عن كسب أنفسهم ، وعجزوا عن معرفة ما يريدون ، فعجزوا عن توظيف إمكانياتهم . وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يتحمس معى لدعوة قومية تعيد العرب إلى أنفسهم ، حتى يعرفوا ما يريدون ؟ لعلهم يوظفون امكانياتهم من أجل أنفسهم ، ويحمون بها مصالحهم الوطنية والقومية ، وهو ما يجب أن يتحمس له الصديق اللوزى وجميع الكتاب العظام العرب الذين على مستواه .

شرحت له ما كان يعرفه مثلى عن الحرب . فالحرب إمكانيات ذهنية وتكنولوجية والأموال العربية محبوسة لدى البنوك الأجنبية فى متناول أيدى الصهيونية العالمية ، بينما الديون العسكرية قد أرهقت كاهل مصر التى وصل إقتصادها فى ذلك الوقت إلى حد الصفر .

واذا كانت مصر هى فارس الدول العربية ، فلا أقل من أن تقوم هذه الدول بتزويد الفارس بالحصان والسيف والدرع ، ولا جناح عليها أن هى أهملت طعام الفارس وحصانه ، وتركته يأكل من حشائش الأرض ، بعد أن تسلحه بالسيف والدرع ، اللذين لا يجدهما بين هذه الحشائش .

قلت لسليم اللوزى أننى اعتقد رغم كل ذلك أن مصر لن تتخلى عن إستعادة كرامتها وأرضها التى هى كرامة العرب وأرض العرب . وليس لنا أن نستعجل الأمر قبل أوانه ، لأنه يعتمد على حسابات إقتصادية وسياسية محلية وعربية ودولية قبل إشارة البدء بالمعركة العسكرية .

قلت لسليم اللوزى إننى أشم رائحة شجرة الأرز اللبنانية وهو يستعجل المعركة العسكرية ، وأشرت إلى ما كتبه يوم ١٣ يولية ١٩٧٣ فى مجلة الحوادث صفحة ٩ أى قبل حديثنا بأقل من شهر حيث قال :

(اذا كنا نريد مواجهة الحقائق ، لا التخفى وراء الأوهام ، فعلينا أن نعترف بأن حالة اللاسلم واللاحراب – وهى التسمية التى يفتخر الأستاذ محمد حسنين هيكل باختراعها – هى فى الواقع حالة من (السلم العسكرى) تفرضه إسرائيل على المنطقة . والذى تحمية أمريكا بواسطة إسرائيل لا يمكن أن يكون إستقرار لبنان وسيادته).

ضحك الصديق سليم اللوزى ودفع قيمة الغذاء التى بلغت خمسمائة وخمسين جنيها . وعندما كنا على باب الفندق همست فى أذن اللوزى قائلا:

(ياأخى سليم أنت صديق السادات ، وأنتما تتفقان على حتمية المعركة . والخلافات بينكما ينحصر فى أنك تتكلم من جيب الرجل الذى يدفع خمسمائة وخمسين جنيها تكاليف غذاء لعشرة أصدقاء ، والسادات يتكلم من جيب رئيس الدولة التى يقف مواطنوها فى الصفوف ساعات وأيام ، حتى يحصل أحدهم على علبة سردين بربع جنيه ، فكيف تستعجل مثل هذا الرئيس كى يعتصر من بطون مواطنيه الخاوية ما يشترى به السلاح الذى يستعيد به كرامة وأرض العرب ، بينما يسخر الأخوة العرب من طوابير الشعب من المصريين أمام مجمعات التموين بعد أن أرهقتهم تكاليف الحرب من أجل الفلسطينيين والعرب أجمعين ؟) ..

وعدنى سليم اللوزى بالإلحاح على ملوك ورؤساء الدول العربية حتى ينهضوا بمسئولياتهم تجاه الإقتصاد المصرى نتيجة للحروب المستمرة مع إسرائيل .



من اليمين المؤلف ثم سماحة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان

فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ
حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا

قرآن كريم

شعــاع الفجــر

الفصل التاسع عشر



١

حققت الأمة العربية فى ١٠ رمضان ٦ أكتوبر ١٩٧٣ نصراً عسكرياً على إسرائيل وحمدت الله على بسالة الجيش المصرى الذى اخترق خط برليف واحتل شرق القناة فى أقل من ست ساعات ، كما أكبرت صبر السادات وشجاعته ، والتعاون العربى الذى ظهر فى بداية عهده على الساحة العربية حيث أشترك العرب دون استثناء فى القتال الفعلى حتى أحرزوا النصر العسكرى لأول مرة فى تاريخهم الحديث .

فى هذا المجال تحضرنى ذكريات جديرة بالتسجيل .

فى أواخر يونية ١٩٧٠ قام الرئيس عبد الناصر بزيارة الأتحاد السوفيتى ، ولما فشل فى الحصول على ما يريد لتدعيم الجبهة المصرية بالأسلحة الحديثة التى تحتاج إليها مصر أعلن موافقته على قبول مبادرة روجرز الأمريكية ، بينما كان نائبه أنور السادات فى مصر مجتمعا باللجنة التنفيذية العليا للإتحاد الاشتراكى يعلن فى القاهرة عدم موافقة مصر على قبول هذه المبادرة .

عاد الرئيس عبد الناصر إلى مصر يوم ١٧ يولية ١٩٧٠ بعد أن وضعه الأطباء السوفيت فى غرفة الأوكسجين الخاصة برجال الفضاء لتجديد خلايا جسمه كله .

وبعد أن وصل الرئيس عبد الناصر بأربعة أيام أعلن أن السادات سوف يعتكف أسبوعا على الأقل بناء على تقرير الأطباء الذين قرروا عدم السماح له باستقبال الزائرين أو التحدث فى التليفون .

وكان الرأى الراجح فى ذلك الوقت أن بعض الذين كانوا مع الرئيس عبد الناصر فى موسكو قد أثاروه ضد السادات الذى أعلن رفض المبادرة الأمريكية فى مصر ، بينما كان الرئيس عبد الناصر يعلن قبولهافى روسيا .

ولا شك عندى فى أنه لم يكن هناك خلاف فى الرأى ، لأن الرأى فى تلك الأيام كان رأى الرئيس عبد الناصر وحده دون سواه ، فكان رفض السادات للمبادرة بتعليمات مسبقه من عبد الناصر ، قبل أن يغضب فجأة أثناء المفاوضات فى ورسيا .

بدأ الرئيس عبد الناصر يدافع عن مبررات قبوله مبادرة روجرز فأعلن فى خطابه فى الإحتفال السنوى يوم ٢٣ يولية ١٩٧٠ قائلا (أننا نوافق على المقترحات الأمريكية وهدفنا واضح محدد . الإنسحاب الكامل من جميع الأراضى المحتلة .. وحين يتعرض العمل السياسى إلى الفشل ليس امامنا الاالعمل العسكرى).

وفى خطاب آخر يوم ٢٥ يولية ١٩٧٠ قال :

(فى إعتقادى أن أسرائيل لم ترد على المبادرة الأمريكية حتى الآن ظنا منها أننا كنا سنرفض هذه المبادرة فتستغل الرفض لتحصل على المزيد من السلاح والمال بحجة حماية نفسها من العرب الذين يريدون إلقاءها فى البحر) .

ثم قبلت إسرائيل المبادرة الأمريكية في أول أغسطس ١٩٧٠ وكانت المبادرة تقضى بوقف إطلاق النار على الجبهة المصرية مدة ٩٠ يوما .

وفعلا بدأ وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية الإسرائيلية فى تمام الساعة الواحدة من صباح يوم الخميس ٨ أغسطس ١٩٧٠ .

فى نفس ذلك اليوم علمت أن الرئيس السادات معتكف (أو محددة إقامته) فى بيته الريفى فى ميت أبو الكوم فذهبت لزيارته ، غير أننى أمضيت طيلة النهار مع مدير مكتبه الأستاذ فوزى عبد الحافظ ولم أتمكن ، على خلاف العادة ، من رؤية السادات مما رجح عندى شدة التعليمات بعدم السماح له بمقابلة أحد .

وبدأ الفلسطينيون وغيرهم من العرب يسيئون فهم الظروف العسكرية والسياسية والاقتصادية التى أملت على الرئيس عبد الناصر قبول المبادرة الأمريكية ، كخطوة تكتيكية يلتقط فيها أنفاسه المصرية ، ويعيد فيها حساباته السياسية العربية والدولية .

استغل الإنتهازيون العرب والغزاة الأجانب بوادر الإحباط العربى ، الذى نتج عن هذه المبادرة ، فقادوا حملات التشهير بمصر والرئيس عبد الناصر حتى وصل الملك حسين إلى القاهرة فى يوم ٢١ أغسطس ١٩٧٠ ليستفسر بنفسه عن أبعاد هذه المبادرة .

وفي يوم الأحد ٢٣ أغسطس ١٩٧٠ غادر القاهرة الملك حسين وكانت الصحف قد أعلنت أن السادات سوف يستأنف عمله فى أول سبتمبر ١٩٧٠ وعلمت أنه انتقل إلى بيته الصيفى فى الأسكندرية فذهبت لزيارته ظهر ذلك اليوم . وعندما هممنا بتناول الغذاء معا اتصل الرئيس عبد الناصر تليفونيا من استراحته بالمعمورة داعيا السادات إلى زيارته وتناول الغذاء معه ، فأخبره بأننى كنت معه وأستأذنه فى أن يتوجه إليه بعد الغذاء ، فقال الرئيس (هذه فرصة نرى فيها الأخ عبد الرحمن بعد غيبة طويلة ، ادعه لنتغذى معا نحن الثلاثة) . وكنت لم أزر الرئيس عبد الناصر قبل ذلك بنحو أكثر من عام بعد آخر زيارة رسمية قمت بها فى بيروت ، وكانت وجهات نظرى فى الموقف العربى لا تعجب الرئيس فى ذلك الوقت ، لأنها كانت قاطعة باستحالة القيام بمعركة عربية مشتركة اعتمادا على خلاف عربى مشترك . ولم تكن فى الأفق ، فى تلك الأيام ، أية بارقة أمل فى إحياء التضامن العربى الذى لا يكتفى بمؤتمرات القمة ، وإنما يستلزم صفاء النوايا لاتحاد الهمة .

وعندما يستحيل القيام بمعركة عربية (يشترك فيها كل القادرين فى البلاد العربية) فإنه يستحيل النجاح فى استعادة (كل) الحقوق والأراضى العربية .

وحيث لم يعد أمام مصر أى بديل سوى الإعتماد على قدراتها الذاتية ، فلم يكن أمامها سوى التركيز على استعادة الحقوق والأراضى المصرية ، مع الحفاظ على فتح أوسع الأبواب لاستعادة بقية الحقوق والأراضى العربية ، عندما يتهيأ المسرح العربى لإستعادتها .

سواء فى هذا الجيل أو فى الأجيال القادمة .

كانت هذه وجهات نظرى التى أرسلتها ، قبل عام من مبادرة روجرز ،إلى الرئيس عبد الناصر من بيروت برموز السفارة المصرية هناك ، والتى تولى إرسالها مستشار السفارة المختص العميد محمد كوثر (أمين عام برئاسة الجمهورية حاليا) فغضب الرئيس عبد الناصر من هذه الأراء أعظم الغضب ، لكننى أرسلتها مخلصا لمصر ، مشفقا عليها ، وعلى الأمة العربية متمنيا أن تسعيد ، ذات يوم ، إحساسها بالخطر المشترك فيولد عندها الإدراك الغريزى بالحاجة إلى اتفاق مشترك من أجل التصدى له والتغلب عليه .

أثناء الحديث على مائدة الرئيس فى المعمورة شكى من عدم تقدير بعض العرب للموقف السياسى الدولى وظروف المعركة العسكرية ، ومدى عمق آلامه الشخصية من قيام إسرائيل بالسيطرة على العمق المصرى حتى ضربت مصنع أبو زعبل ومدرسة بحر البقر فى يناير فى نفس ذلك العام (١٩٧٠) فاضطر إلى طلب أطقم عسكرية سوفيتية ، تتولى بنفسها الدفاع الجوى عن مصر بقوات سوفيتية تستخدم صواريخ سام ٣ مما أدخل مصر تحت الحماية السوفيتية ، وحقق للإتحاد السوفيتى قفزة كبرى نحو بلوغ أهدافه فلم يرسل الطائرات التى كان المفروض أن تصل إلى مصر فى إبريل ١٩٧٠ حتى لا تستطيع مصر أن تلوح بتهديد إسرائيل .

كان ذلك هو الوضع العسكرى المصرى الذى نال من كبرياء الرئيس عبد الناصر وأثر على حالته النفسية والصحية ، بينما كان بعض القادة العرب يكتفون بإطلاق التصريحات الحماسية والمزايدات السياسية ، ويكرر الإتحاد السوفيتى بيانات تأييده المطلق للقضية العربية .

أضاف الرئيس عبد الناصر أنه مع ثقته فى أن أمريكا لا تستطيع تنفيذ مبادرتها ، فإن هذه المبادرة تعطى لمصر فرصة ٩٠ يوما تعيد فيها حساباتها العسكرية وتجهيزاتها الحربية ، على أمل أن تستعيد ولو كيلومترا واحدا شرق القناة ، تقلب به موازين القوى فى الشرق الأوسط .

علق السادات على ذلك بقوله أنه يكفى مصر شبر واحد شرق القناة تضرب به نظرية الأمن الإسرائيلية .

لم أحاول أن أتدخل فى الحديث لأن آرائى معروفة جيدا لدى الرئيس عبد الناصر فخشيت أن أكررها بعد أن بدأ يتجه إليها فيفسر كلامى على محمل اخر ، إلا أن الرئيس عبد الناصر استغرب صمتى وطلب أن أبدى رأيى .

(قلت أن مصر لا تختار الحل النموذجى من بين حلول أخرى نموذجية ممكنة ، لأن المواقف العربية المعروفة لها و المؤكدة عندها ، لم تدع أمامها سوى حل وحيد ممكن . قد لا يكون هذا الحل الوحيد الممكن هو الحل النموذجى ، لكنه بصفته الحل الوحيد الممكن فإنه يصبح الحل النموذجى ، لمجرد كونه الحل الوحيد الممكن .

الحل الوحيد الممكن هو أن تبذل مصر قصارى جهودها الذاتية للعمل على استرداد حقوقها ، وعلى وجه الخصوص والسرعة ، قناة السويس وآبار البترول المصرية وثرواتها الطبيعية فى سيناء المصرية مع ترشيد ميزانيتها لحل أزمتها الإقتصادية حتى لا تظل رقبة مصر معلقة – إلى وقت غير محدود – على مشنقة الدعم العربى الذى لا يعوض خسائر غارة جوية إسرائيلية واحدة على إحدى القرى المصرية ، ناهيك عن حرب الاستنزاف واحتياجاتها المنبثقة من كونها استنزافا .

ولا يعتبر هذا الحل الوحيد الممكن حلا مصيريا ، وإنما حلا مرحليا ، إلى أن تتضامن القوى العربية مع مصر فتفرض على إسرائيل حلا شاملا ونهائيا ، يسترجع بقية الحقوق العربية التى اعترفت بها المنظمات الدولية) .

ثم تصاعدت تصفية رجال المقاومة الفلسطينية بمذبحة جسدية فى الأردن ، حيث بلغت ذروتها فى شهر سبتمبر ١٩٧٠ مما حفز الرئيس عبد الناصر إلى الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى فى القاهرة ، انتهى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ باستشهاد الرئيس نفسه بـ (مذبحة قلبية) بعد أن وافق على المبادرة الأمريكية فجدد الروس خلايا جسمه كله فى غرفة الأكسجين قبل استشهاده بنحو شهرين .

تولى السادات رئاسة الجمهورية المصرية بكل أثقال تركتها الداخلية والعربية والدولية ، وأخذ يرقع الثوب العربى الممزق ، حتى اشترك العرب بقيادة مصر فى تحقيق أول نصر عربى على إسرائيل فى حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣ .

والذى تجدر الإشارة إليه فى هذا المجال أن الرئيس السادات أبلغ االسفير السوفيتى يوم ٣ أكتوبر ١٩٧٣ بأن مصر وسوريا قد اتفقتا على بدء عمليات عسكرية ضد إسرائيل . ثم استدعى الرئيس السورى حافظ الأسد السفير السوفيتى فى دمشق يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣ وأبلغه بموعد المعركة بالضبط وهو الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

والتساؤل هنا . لماذا كتم الإتحاد السوفيتى هذا السر ولم ينقله إلى إسرائيل أو أمريكا لإجهاض المحاولة المصرية أثناء ولادتها حتى يسقط عهد السادات ويعود الإتحاد السوفيتى إلى سابق وضعه الإستراتيجى فى مصر.؟

لا يختلف أحد على أن علاقة الرئيس السادات بالإتحاد السوفيتى كانت علاقة سيئة للغاية ، ليس فقط بسبب طرد الخبراء السوفيت من مصر ووقوفه ضد الإنقلاب الشيوعى فى السودان يوم ١٩ يولية ١٩٧١ وإنما أيضا بسبب عزله معظم العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية وإيداعهم السجن منذ ١٥ مايو ١٩٧١ .

وكان السادات معروفا بعقيدته الدينية المناهضة للشيوعية ، ومعروفا أيضا باتجاهاته الإقتصادية المتحررة التى يريد أن يرفع بها المعاناة اليومية عن جماهير الشعب المصرية ، الأمر الذى لا يتم إلا من خلال إنشاء علاقات سياسية واقتصادية أوثق مع الدول العربية والغربية ، وتعديل المسار الإقتصادى المنغلق وترشيد الأنظمة الإدارية والسياسية والإقتصادية .

وهذا مالا يطيقه الإتحاد السوفيتى الذى كان يتطلع إلى احتواء مصر عن طريق أزمتها الإقتصادية والإجتماعية ، ومذلتها العربية والدولية ، فى طريقه إلى ابتلاع الأمة العربية .

فلماذا كتم الإتحاد السوفيتى سر المعركة على إسرائيل ؟ .

الرد على هذا التساؤل مجرد استنتاج شخصى من واقع خبرتى السياسية خلال الخمسة والثلاثين عاما التى قضيتها فى العمل العربى حتى الآن . وأننى أطرح هذا الاستنتاج الشخصى للدراسة والتأمل .

أعتقد أن الإتحاد السوفيتى كان متأكدا من أنه إذا قامت مصر وسوريا بمغامرة حربية ضد إسرائيل ، فإن إسرائيل كعادتها فى جميع حروبها مع العرب سوف تبدأ أولا بتصفية الجبهة المصرية ، ثم بعد ذلك تلتفت إلى بقية الدول العربية الأخرى المحيطة بها .

معنى ذلك أنه خلال الثمان والأربعين ساعة الأولى من بدء القتال سوف تتفرغ إسرائيل لتصفية الجبهة المصرية ، غير عابئة بما يجرى عل الجبهة السورية التى كانت على علاقة أفضل مع القيادة السوفيتية .

وكان الإتحاد السوفيتى يعتقد أن المانع المائى المتمثل فى قناة السويس وما يحيطه من استعدادات إسرائيلية لحرق الجيش المصرى أثناء عبوره ، ثم المانع الترابى ومن بعده خط بارليف ، كل ذلك من شأنه أن يحرق نصف الجيش المصرى وسط القناة ، ثم يدفن ما يتبقى منه تحت رمال خط بارليف . وبعد ذلك تنتقل إسرائيل إلى احتلال بورسعيد والإسماعيلية والسويس وما يحلو لها من الأراضى المصرية قبل انتهاء الثمان والأربعين ساعة الأولى من المعركة .

وعندئذ ، أى خلال الثمان والأربعين ساعة يتبنى الإتحاد السوفيتى استصدار قرار بوقف إطلاق النار فتضطر مصر إلى قبوله ، فتسقط قيادتها السياسية والعسكرية ، وتخرج العناصر المصرية ذات العلاقة السوفيتية لاستلام الحكم لحسابه .

أما علي الجانب السورى فقد كان الإتحاد السوفيتي يتوقع انتصارا سوريا ساحقا خلال الثمان والأربعين ساعة الأولى بسبب غياب الجيش الإسرائيلي عن الجبهة الشرقية ، وهو يتصدى لتصفية الجبهة المصرية .

غير أن الذى حدث كان خلاف ذلك تماما .

لأن .. الله أكبر .

فى لحظة الصفر من بدء القتال عبرت القناة ٢٢٢ طائرة نفاثة مصرية تفوق سرعتها سرعة الصوت أجهزت على جميع الأهداف الإسرائيلية فى ثلث ساعة ولم تخسر مصر سوى خمس طائرات فقط ، وأعقبت هذه الضربة القاتلة قذائف أكثر من ألفى مدفع فى مواجهة خط بارليف بينما كان سلاح المهندسين قد أغرق الساتر الترابى فى مياه القناة .

وفى أقل من ست ساعات رفعت مصر علم النصر فوق سيناء وبدأت إسرائيل تنادى بأعلى صوت (انقذوا إسرائيل) .

وقبيل انتهاء الست ساعات الأولى طلب السفير السوفيتي من الرئيس السادات أن يقبل وقف إطلاق النار ، مدعيا أن الرئيس السورى حافظ الأسد والإتحاد السوفيتي كانا قد اتفقا مع بدء المعركة على وقف إطلاق النار بعد ثمان وأربعين ساعة فقط .

ومع أن الرئيس الأسد أنكر اتفاقه مع الإتحاد السوفيتي على ذلك فإن الاتحاد السوفيتي أخذ يلح على وقف إطلاق النار ، مؤكدا أنه يفعل ذلك بناء على طلب الرئيس السورى نفسه .

بعدئذ هبت النجدة الأمريكية لأسرائيل فى اليوم الرابع من القتال واستخدمت مطار العريش ثم مطار المليز والصواريخ الأمريكية الجديدة التى تحمل القنبلة التلفزيونية كما استخدمت القنابل الجديدة (مافريك) .

وتحت إلحاح الإتحاد السوفيتي أخطأ الرئيس السادات بالموافقة على نقل الفرقة ٢١ المدرعة المصرية من الضفة الغربية للقناة إلى الضفة الشرقية ، بدعوى تخفيف الضغط على سوريا التى بدأت الجيوش الإسرائيلية تتجه إليها بعد أن عجزت عن اختراق الجبهة المصرية .

وبانتقال هذه الفرقة احدثت ثغرة استغلتها إسرائيل بمساعدة أمريكا على النحو المعروف والمنشور فى العديد من المؤلفات .

لذلك تأصل عندى الإنطباع الشخصى بأن الإتحاد السوفيتي كتم سر المعركة على إسرائيل لأنه كان يتوقع عكس ما حدث تماما .

على كل حال انتصرت الأمة العربية فى معركة رمضان أكتوبر ١٩٧٣ غير أن انتصارها فى معركة عسكرية لا يعفيها من الإستمرار فى معركتها الحضارية .

فالحرب العسكرية وسيلة استثنائية تتخذها الشعوب لتفرض مصالحها على غيرها من الشعوب الأخرى .

فالحرب فى جوهرها (صراع مصالح) .

وللصراع وسائل كثيرة ليست الحرب وسيلتها الوحيدة .

وبعد أن انتصر العرب فى جولتهم العسكرية الأخيرة مع إسرائيل سنة ١٩٧٣ فإن بقية الأراضى العربية لا تزال مغتصبة كما أن صراع المصالح الذى كانت الحرب إحدى وسائله لن يتوقف .

فإسرائيل ، ومن خلفها ومن حولها الصهيونية العالمية ، أو الصهيونية العالمية وفى ذراعها قبضة الصدام إسرائيل ، تستهدف أولا وأخيرا الهيمنة على الإمكانيات العربية ، جغرافية وطبيعية وبشرية لتعتصر هذه الإمكانيات فى طواحين مصالحها الإقتصادية .

فلا الغزوة الصهيونية (غزوة دينية) تستهدف العودة إلى ما يزعمون أنه أرض الميعاد ، ولا هى (غزوة عسكرية) تستهدف الإنتقام من انتصارات أجدادنا منذ قرون سحيقة ، وإنما هى (غزوة إقتصادية) تسترت فى الدين ، وتنكرت فى التاريخ ، لتبرر معاركها العسكرية التى تستهدف فى النهاية غرس الكيان الصهيونى بين ضلوع الأمة العربية ليستنزف خيراتها ويتولى الوصاية على طاقاتها ، ومقدراتها ، من الخليج إلى المحيط .

والشعوب العربية التى أدركت أهمية التضامن العربى فى مواجهة المعركة العسكرية ينبغى عليها أن تدرك أهمية هذا التضامن فى مواجهة المعركة الحضارية .

فالمعركة الأصلية والأساسية معركة حضارية بدأت بمعركة عسكرية .

معركة حضارية بين الصهيونية العالمية والأمة العربية .

وهو ما كان يستلزم البدء السريع بإقامة اقتصاد قومى يكفل استثمار جميع رؤوس الأموال العربية ، وجميع الخبرات الفنية العربية ، وجميع الموارد الطبيعية العربية ، من الخليج العربى إلى المحيط .

فإن دولة عربية واحدة ، مهما بلغت حضارتها وتطورها الإقتصادى ، لا تستطيع وحدها أن تتصدى للغزو الصهيونى الحضارى ، الذى يستولى حاليا وبنسب متفاوته على مقاليد الإقتصاد فى العالم ، والذى لن تعوزه فى كل وقت أية ذريعة فيعود إلى استخدام وسيلة الحرب العسكرية ، فى أية مرحلة لاحقة ، يظن فيها أن مصالحه الإقتصادية سوف تتحقق أكثر باستخدام هذه الوسيلة .

وعلى ذلك ، فليس أكثر ملائمة لإسرائيل من قيام اقتصاديات عربية إقليمية ، متنازعة ومتنافسه ، حتى يتمكن الإقتصاد الصهيونى من التسلل بين هذه الكيانات الإقتصادية العربية وينفذ إلى عظامها فيقضى على الواحد منها تلو الآخر ، حتى تصبح الساحة العربية مرتبطة به ، معتمدة عليه ، خاضعة له ، بشكل أو بآخر ، مباشر أو غير مباشر .

وهذا ما يدعو مرة أخرى ، وباستمرار ، إلى التركيز على إيضاح أهمية استمرار التضامن العربى الذى انطلق من خلال المعركة العسكرية ، والذى ينبغى أن يتبلور فى كيان اقتصادى عربى فى مواجهة المعركة الحضارية .

وهذا ما كان يستدعى استمرار العناق العربى ، ومنع قيام أية خلافات عربية على وجه الإطلاق ، ذلك لأنه إذا كانت فى الماضى ثمة صراعات عربية ، عقائدية أو سياسية ، فإن المعركة العسكرية ينبغى أن تكون قد دفنتها حتى تفسح المجال للعمل الإيجابى والتفكير العربى فى المستقبل العربى .



اتفاقية القمة العربية لوقف المذبحة الفلسطينية
أخر توقيع للرئيس عبد الناصر قبيل استشهاده بساعات (٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)



زارنى فى بيتى بالقاهرة رئيس مجلس الشورى اليمنى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ودعانى إلى زيارته فى صنعاء والإقامة فى بيته ضيفا عليه ، وكان معه فى هذه الزيارة كثيرون من أعضاء مجلس الشورى الذين أبدوا رغبتهم فى عودتى إلى اليمن ، بعد أن رشحونى عضوا فى المجلس الجمهورى الذى كان يتكون من ثلاثة أعضاء فقط ، بينما كان يتسع لخمسة أعضاء بحكم الدستور الذى صدر فى عهد الاريانى رئيس هذا المجلس . وكان المرشح الآخر لتكملة نصاب المجلس هو الفريق حسن العمرى .

كان مجلس الشورى يرغب فى تكملة نصاب المجلس الجمهورى إلى خمسة أعضاء بعد أن لمس من رئيس المجلس القاضى الاريانى سيطرته المطلقة على العضوين الآخرين القاضى عبد الله الحجرى والأستاذ أحمد محمد نعمان ، مما نزع عن المجلس صفة القيادة الجماعية فضلا عن سلبية الاريانى أمام الضغوط اليسارية .

كان عدد أعضاء مجلس الشورى الذين زارونى مع رئيسهم الشيخ عبد الله الأحمر فى بيتى بالقاهرة نحو أربعين عضوا من مجموع أعضاء المجلس الذى يقل عن المائة .

وأثناء حديثهم معى وإقناعهم لى ، قالوا أن المتطرف الوحيد الذى يتصدى لترشيحى لعضوية المجلس الجمهورى هو الأستاذ أحمد جابر عفيف وزير التربية والتعليم الذى يرشح نفسه منافسا لى ، وقالوا عنه أنه يتهمنى بأننى سفاح مصاص دماء ، وأن هوايتى المفضلة رؤية جثث القتلى من الأبرياء .

استغرقت فى الضحك وانتقلت إلى موضوع آخر ، فسألونى عن سبب عدم مبالاتى بما يقوله عنى أحمد جابر عفيف . ولما ألحوا فى السؤال رويت لهم قصة هذا الصديق الوفى . وخلاصتها أن السلال فى يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ أى بعد قيام الثورة بأربعة أيام قرر إعدام هذا الرجل متهما أياه بأنه كان على علاقة خاصة بالإمام البدر المخلوع عندما كان وليا للعهد ، وكنت قد أعلنت فى ذلك اليوم فى مؤتمر شعبى فى صنعاء وحضره ممثلو الصحافة العالمية وقف عمليات الإعدام الظالمة ، التى كانت قد بدأت وتمت بدون محاكمة على إثر قيام الثورة وقبل وصولى إلى صنعاء ، وقد سجل المؤرخ البريطانى هارولد انجرامز وقائع هذا المؤتمر وإعلانى وقف عمليات الإعدام فى كتابه (اليمن – الحكام الأئمة والثورات) صفحة ١٣٢[١]

---

(١) The Yemen (Imams Rulers and Revolutions) Harold Ingrams London 1963 Page 132

There were twenty executions on the first two days: many more were announced later and the Republican régime offered a £1,500 reward for every member of the Royal Family killed or captured. Beidhani stated later that no more heads were being chopped off and that 'the executioner's sword was broken':

عارضت فى إعدام أحمد جابر عفيف فالح السلال على محاكمته ، لكننى صممت على رفض محاكمته لمجرد هذه التهمة وفسرت موقف السلال بأنه نتيجة منافسه شخصية سابقة بينهما ، عندما كان أحمد جابر سكرتيرا للبدر والسلال قائداً لحرسه ، وأطلقت سراح أحمد جابر عفيف رغم معارضة السلال ، ولم تكن تربطنى به إية صداقة سابقة .

وعندما كنت فى طريقى لتجهيز حملة عسكرية إلى إحدى المناطق المجاورة لصنعاء فى يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٢ (أى بعد خمسة أيام) سمعت صياحا فى مبنى القيادة فتوقفت ودخلت ثكنات الجيش فوجدت أحمد جابر عفيفى وقد قيدوه واستعدوا لإعدامه . هاجت مشاعرى وانتزعته من بين أيدى الجنود وأخذته معى إلى المطار لإرساله إلى القاهرة لإبعاده عن أيدى السلال التى يمكن أن تمتد إلى عنقه من وراء ظهرى ، ولم يصدق أحمد جابر عفيفى أنه قد نجا من الموت المحقق . وعلى باب الطائرة قال أنه يخشى من بطش السلال بعائلته فقلت أن عائلته فى ذمتى وعنقى .

وعندما وصل إلى القاهرة كتب إلىّ رسالة لا أدرى لماذا احتفظت بها ، بينما تعودت على تمزيق رسائل الأصدقاء التى من هذا النوع بمجرد قراءتها حتى أحفظ أسرارهم ، ولا أضعف أمام إغراء استخدامها ضد أحدهم عندما ينقلب علىّ خصما لدودا . وما أكثر الأصدقاء الذين ينقلبون خصوما الداء .

قلت لأعضاء مجلس الشورى أننى ربما احتفظت بهذه الرسالة بالذات لأنه من النادر فى صفحات التاريخ أن ينقذ أحد الحكام حياة مواطن بعد أن ربطه الجنود وصوبوا مدافعهم نحو صدره ، ثم يرسله إلى خارج نطاق سيطرته فيكتب هذا المواطن إلى الحاكم من هذا المكان البعيد رسالة بخط يده يشكره فيها على إنقاذ حياته .

تملكت الدهشة الشيخ عبد الله الأحمر وبقية الزملاء أعضاء مجلس الشورى وطلبوا الاطلاع على هذه الرسالة ، فأحضرتها لهم ونصها ما يلى :

سيادة نائب رئيس الوزراء ونائب القائد العام

الدكتور عبد الرحمن البيضانى حياك الله

تحياتى وتقديرى ، لا أدرى كيف أصف لك شعورى وقد انقلب الأمر عاليه سافله وأعجز من أن أصف لك أيضا مدى تقديرى وإعجابى لروحك الأبية وتفكيرك الثاقب وسوف تعلمون الحقائق وسوف تعرفون كل شىء .

عائلتى وأولادى فى ذمتك وعنقك . أما مصيرى فهو منك وإليك وسأتذكر تلك الكلمة (بالشرف) وسوف أحيا وأموت مترنما بك وذاكرا جميلك . أننى

أبغض الفراغ فى حياتى فانظر لى أى عمل بالقاهرة أو إحدى المفوضيات بالخارج . عزيزى ، سوف أعيش وأموت فى سبيل ثورتنا المجيدة التى أسست مجدها وقمت بأساسها ودفعت بها إلى الأمام وثق أننى رسولك الأمين .

ودم للمخلص
أحمد جابر
٥ أكتوبر

ســـــيادة نائب رئيس الوزراء ونائب القائد العام

الدكتور عبد الرحمن البيضاني حياك الله

تحياتي وتقديري ، لا أدري كيف أصف لك شعوري وقد انقلب الأمر عاليه سافله وأعجز
من أن أصف لك أيضاً مدى تقديري وإعجابي لروحك الأبية وتفكيرك الثاقب
وسوف تعلمون الحقائق وسوف تعرفون كل شئ
عائلتي وأولادي في دمشق وعندك . أما مصيري فهو منك والله وسأذكر
تلك الكلمة (بالشرف) وسوف أحيا وأموت مترنماً بك وذاكراً جميلك
أنني أبغض الفراغ في حياتي فانظر لي أي عمل بالقاهرة أو إحدى المفوضيات في الخارج
عزيزي ، سوف أعيش وأموت في سبيل ثورتنا المجيدة التي أسست مجدها وقمت
بأساسها ودفعت بها إلى الأمام . وثق أنني رسولك الأمين

ودم للمخلص
جابر
٥ أكتوبر

أصل الرسالة بخط الأستاذ أحمد جابر عفيف

استغرق الشيخ عبد الله والزملاء فى الدهشة ، وعجبوا من أمر ذلك الصديق الذى أنقذت حياته من موت محقق ، والأعمار بيد الله ، وبعد عشر سنوات طابت نفس هذا الصديق ، الذى أصبح وزيرا للتربية والتعليم ، باتهامى بأننى مصاص دماء من هواة قتل الأبرياء ، لمجرد أنه كان يتطلع إلى منصب لم يكن أهلا له

لا عجب .. فقد سبق أن حاول غيره وصفى بشتى الأوصاف ، مرة بأننى متعصب شافعى . ومرة بأننى عميل زيدى ، ومرة بأننى شيوعى ، ومرة بأننى رأسمالى ، ومرة بأننى ناصرى ، ومرة بأننى ساداتى ، ومرة بأننى ضد عبد الناصر والسادات ، ومرة بأننى سعودى ، ومرة بأننى أمريكى .

وما دمت فى حقل العمل السياسى والفكرى فينبغى علىّ أن أتأهب للاستماع إلى العديد من الأوصاف التى يطلقها المنافسون العاجزون ، الذين لايفهمون معنى الوطنية ، ولا يتصورون قيمة التضحية ، من أجل المبادىء الإنسانية والمواقف التاريخية .

لا يعرفون أن الإنسان موقف ، وذكرى ، وتاريخ .

وليس منصبا زائلا أو مالا فانيا أو شعبية سطحية لا تلبث أن تصبح ، فى حياة صاحبها أو بعد موته ، سخرية مسجلة فى صفحات التاريخ القاسى فى عدالته ، العادل فى قسوته .

نسى وزير التربية والتعليم أحمد جابر عفيف أننى أنقذت حياته فأعطانى وسام سفاح مصاص دماء .

وهذا هو قدرى ما دمت صاحب رسالة وطنية وقومية . وتلك هى مسيرتى بين الصخور والأشواك التى يزرعها الأصدقاء أكثر من الأعداء .

طلب منى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر رئيس مجلس الشورى وبقية الزملاء مائة صورة من هذه الرسالة حتى يعلقوها على جدران مجلس الشور ووزارة التربية والتعليم وشوارع صنعاء . فأعطيت لهم مائتى صورة . واحتفظت بالأصل لأنه التركة الثمينة الغالية التى أتركها لأولادى وأحفادى وكل أبناء اليمن والأمة العربية كنموذج لشخصية حاكم وسلوك محكوم .



رحبت بدعوة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر التى زاد عليها إلحاح المقدم إبراهيم الحمدى نائب القائد العام للقوات المسلحة اليمنية الذى كان ، بعد سفر الشيخ عبد الله ، ضيفا عزيزا فى بيتى فى العجمى بالاسكندرية .

حددت موعد وصولى إلى صنعاء بالاتفاق مع الشيخ عبد الله وبموافقة القاضى عبد الرحمن الاريانى الذى لم يخف إعجابه بكتبى ومؤلفاتى ، وإن لم يكن يتجاوب معها بأكثر من إصدار أوامره إلى قيادة الجيش اليمنى بتوزيعها على الوحدات العسكرية والمكتبات والوزارات .

فكان القاضى الاريانى رئيس المجلس الجمهورى يروج أفكارى ولا يأخذ بها رغم إشرافه على توزيعها ، ولا يسعنى سوى أن أسجل له شكرى على ترويجها .

وقبل يومين من سفرى إلى اليمن أبلغنى السيد عزت سليمان ، الذى أصبح فى ذلك الوقت وكيلا لوزارة الخارجية بعد أن نقله السادات من المخابرات العامة ، وقال أنه تلقى برقية من السفير المصرى فى صنعاء الأستاذ محمد فؤاد عبد المبدى تفيد بأن القاضى الاريانى يحذرنى من الوصول إلى اليمن خوفا على حياتى من المتطرفين الهاشميين والإماميين السابقين ، ونصحنى عزت سليمان بعدم السفر إلى اليمن .

شكرت له نصيحته وطلبت منه أن يبلغ القاضى الاريانى عن طريق السفير المصرى فى صنعاء بأننى سوف أصل إلى صنعاء فى الموعد المحدد تحت مسئوليتى الشخصية ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت .

فى اليوم التالى اتصل بى عزت سليمان يحمل تحذيرا ثانيا من الاريانى فكررت عليه نفس الرد.الذى أضفت إليه خالص شكرى للاريانى الذى أظهر حرصه الشديد على حياتى مما جعلنى أزداد اطمئنانا إليه .. وثقة فيه .

اتصلت تليفونيا بالشيخ عبد الله بن حسين الأحمر فى صنعاء ورويت له ما قاله السيد عزت سليمان نقلا عن لسان الاريانى فأكد الشيخ عبد الله أنه سوف يكون فى انتظارى فى مطار صنعاء فى الموعد الذى سبق الاتفاق عليه .

كان السيد ممدوح سالم وزيرا للداخلية المصرية فأبدى انزعاجه الشديد من المغامرة التى فشل عزت سليمان فى إقناعى بالعدول عنها ، مما أظهرنى وكأننى ألقى بيدى إلى التهلكة . وكلف نائبه اللواء السيد فهمى مدير مباحث أمن الدولة الذى كان يسهر على حمايتى فى مصر بأن يقنعنى بعدم الذهاب إلى حتفى فى اليمن .

قلت أننى منذ أن خرجت من اليمن لا أعرف ما إذا كنت حيا أو ميتا ، فإذا كنت حيا فإننى بغير شهادة حياة ، وإذا كنت ميتا فليس مع أسرتى شهادة وفاة .

قلت أننى سوف أذهب إلى صنعاء لأحصل على إحدى الشهادتين .

وسافرت إلى جدة التى كانت طريق الوحيد إلى صنعاء حسب خطوط الطيران المتاحة في ذلك الوقت ، ولم أجد من ينتظرنى فى جدة سوى أصدقائى اليمنيين الجنوبيين وعلى رأسهم الشيخ محمد فريد الذى كان يعرف موعد وصولى فاستضافنى فى فندق العطاس .

أمسيت ليلتى فى جدة وكانت زوجتى تعرف مكانى لدى الشيخ محمد فريد ، وعندما اتصل بها عزت سليمان يسألها عن مكانى في جدة ليحذرنى مرة ثالثة من السفر إلى اليمن مؤكدا لها أنه تلقى معلومات مؤكدة تقطع بأننى سوف ألقى مصرعى فى صنعاء لحظة وصولى إليها ، قالت له أنها تعرف فقط أننى سوف أقيم فى بيت الشيخ عبد الله فى صنعاء ثم شكرت له حرصه على حياتى ، وأكدت له أننى إذا قتلت فى صنعاء فإننى سوف أكون أحد الشهداء الذين لم أكن أولهم ولن أكون آخرهم . ورفضت إبلاغه عن مكانى فى جدة واستسلمت لمشيئة الله الذى تعلم أننى أخشاه فى قيامى ولا أنساه فى منامى .

وصلت إلى مطار صنعاء ولم أجد الشيخ عبد الله ولا غيره فى انتظارى ، وبعد أن انتهيت من الإجراءات الجمركية العادية عرفنى عدد من الرجال الذين كانوا فى المطار يودعون الحجاج المسافرين إلى بيت الله الحرام ، فتجمعوا حولى وأخذونى معهم فى سيارة تبعتها عدة سيارات إلى بيت الشيخ عبد الله الذى لم أجده فى بيته وقيل لى أنه قد دعى إلى حفل غذاء لدى شيخ منطقة سنحان ، التى تبعد عن صنعاء بنحو خمسة وعشرين كيلومترا ، وقال أهل بيته أنهم كانوا يعرفون مجيئى إلى صنعاء فأعدوا فى بيتهم الجناح الذى سوف أقيم فيه ولا يعرفون لماذا لم يستقبلنى الشيخ عبد لله فى المطار .

تركت أمتعتى فى بيت الشيخ عبد الله واستحسنت الذهاب إلى سنحان لمقابلته هناك والتعرف على حقيقة الموقف حتى لا أكون سببا فى إحراجه ، واتصلت تليفونيا بالقاضى الاريانى أخبره بوصولى واتفقنا على أن أقوم بزيارته فى القصر الجمهورى فى اليوم التالى .

كانت منطقة سنحان من المناطق التى تمردت على الجمهورية عند قيام الثورة فقمت بإخضاعها بالقوة مماألحق بها الكثير من الخسائر التى لم يكن أمامى مفر منها . ومع ذلك لم أتراجع عن الذهاب إليها واثقا فى أننى لم أسع إلى إيذاء أحد لذاته ، وإنما كنت أقاتل من أجل الدفاع عن إرادة الشعب التى تمثلت فى قيام الجمهورية ، كطريق وحيد إلى تحقيق نهضته الحضارية .

يمر الطريق الذى يصل إلى سنحان بوسط المدينة صنعاء ، وعندما لاحظ بعض الأهالى عددا من السيارات وعرفوا أننى فى إحداها لحقوا بها ، وبينما كنا فى منتصف الطريق إلى سنحان وصلت سيارة من رئاسة الجمهورية وسيارة أخرى للحراسة كان القاضى الاريانى قد أرسلهما عندما بلغه أننى اتجهت إلى سنحان ، غير أننى فضلت البقاء فى سيارة الصديق الذى شرفنى بمرافقتى من أول الطريق .

عندما وصلنا إلى سنحان كان عدد السيارات التى رافقتنى نحو عشرين سيارة ، ولما رآنى الشيخ عبد الله اغرورقت عيناه من الأسف ، وأقسم أنه لم يذهب لاستقبالى فى المطار لأن القاضى الاريانى أكد له أنه تلقى رسالة منى عن طريق السفير المصرى فى صنعاء تؤكد أننى قد عدلت عن الوصول إلى اليمن ، وأخذ الشيخ عبد الله يشرح للحاضرين كيف خدعه الاريانى .

أما شيخ سنحان صاحب الضيافة فقد رفض أن أنضم إلى تناول الغذاء مع الشيخ عبد الله وأصحابه وأصر على ذبح كباش أخرى تكريما لوصولى ورفاقى الذين أصروا على صحبتى .

أثناء الضيافة تبارى الشعراء والخطباء فى الثناء على قادة الثورة اليمنية ورجال الجمهورية الذين تحملوا مشقة حملها وهنا على وهن ، ثم قاتلوا دفاعا عنها ، وقال شيخ سنحان أنه عندما حمل السلاح ضد الجمهورية لم يكن يعرف أنها تهدف إلى إقامة المدارس والمستشفيات وبناء الطرق والمزارع والمصانع ، وأنها تستهدف فوق ذلك خلق الشعور بين اليمنيين بأنهم سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بينهم إلا بالعمل الوطنى الصالح .

ثم أبدى أسفه على عدم إدراك اليمنيين لدور المصريين الذين جاءوا إلى اليمن لمساعدة أهلها من أجل بناء مجدها ، وكانت هذه العبارة بمثابة الشرارة التى أشعلت خيال الشعراء والخطباء الذين أسهبوا فى الإشادة ببطولة المصريين الذين عبروا القنال فلقنوا العالم درسا تاريخيا من دروس القتال .

وقالوا أن أعداداًهائلة من اليمنيين ذهبت إلى السفارة المصرية فى صنعاء تطلب السفر إلى مصر للقتال مع جيشها اعترافا بفضله وتضحياته التى بذلها فى اليمن ، غير أن السفير المصرى أبلغهم عدم ضرورة ذلك عقب وقف إطلاق النار وتعهد الولايات المتحدة بسحب الإسرائيليين من الثغرة التى استعرضوا فيها عضلاتهم التليفزيونية فى السويس مما جعل اليمنيين يكتفون بتقديم المساهمات المالية إلى السفارة المصرية .

٤

ذهبت لزيارة القاضى الاريانى فى القصر الجمهورى فى اليوم التالى فتجمع حولى فى ساحة القصر ضباط وجنود حرس الرئاسة لمصافحتى ومعانقتى ، فقد كنت أعرف الكثيرين منهم عندما كانوا من رجال حراستى .

كان ينتظرنى مع الاريانى العضوان الآخران فى المجلس الجمهورى وهما القاضى عبد الله الحجرى والأستاذ أحمد محمد نعمان ، وبعد أن تحدثنا عن الشئون العربية لم يسألنى أحدهم عن الشئون اليمنية ، ثم سألنى الأستاذ نعمان عن موعد عودتى إلى مصر فأجابه القاضى الاريانى بأننى سوف أؤدى فريضة الحج التى لم يبق على موعدها سوى أقل من عشرة أيام ، فقلت أننى أتمنى أن أؤدى فريضة الحج لكننى أشعر بأننى رجل غير مرغوب فيه لدى الحكومة السعودية ، فقال الاريانى أنه سوف يتصل رسميا بالسفارة السعودية فى صنعاء ويتولى إعداد جميع الترتيبات اللازمة لسفرى إلى هناك ، بما فى ذلك إصدار تعليماته إلى القاضى إسماعيل الجرافى السفير اليمنى فى جدة حتى يسهر على راحتى أثناء إقامتى .

لم يكن لسلوك الاريانى غير معنى واحد هو الإسراع بمغادرتى صنعاء ، ولم يكن عندى أى هدف لمضايقته أو إحراجه ، وكان يكفينى أننى قد عدت إلى وطنى وشعرت بأننى لا زلت على قيد الحياة .

وأثناء خروجى من القصر الجمهورى وجدت المقدم إبراهيم الحمدى نائب القائد العام ينتظرنى فأخذنى معه لزيارة القيادة العامة للقوات المسلحة ، حيث أقام حفل شاى تكريما لى حضرها العقيد حسين المسورى رئيس الأركان وسلمنى الحمدى هدية رمزية باسم القيادة العامة إعترافا منها بدورى فى إنشاء الجيش اليمنى .

ثم توجهت إلى بيت الشيخ عبد الله حيث كان ينتظرنى الكثيرون من أعضاء مجلس الشورى والمواطنين الذين لم ينقطعوا عن مصاحبتى طوال فترة إقامتى ، التى أمضيتها مع الشيخ عبد الله فى ضيافات يومية لدى العديد من رجال القبائل والشخصيات اليمنية ، وكان المقدم إبراهيم الحمدى يحلو له السهر فى غرفتى مع الشيخ عبد الله .

وذات يوم لاحظت ارتباكا مرسوما على وجه الشيخ عبد الله وهو يتردد فى تسليمى ظرفا قال بعد فترة طويلة من الصمت والحيرة أننى لا ينبغى أن أعيره شيئا من القلق الذى لا مبرر له ، فأخرجت من جيبى ورقة أعطيتها له قائلا أننى أعتقد أن الظرف الذى تردد فى تسليمه لى ليس بداخله سوى صورة مما هو مكتوب على تلك الورقة .

وصدق ظنى ، لقد كانت الورقة صورة مما كان فى داخل الظرف ، وهى تتضمن تهديدا بقتلى والتمثيل بجثتى وكانت بتوقيع (المنظمة الهاشمية) .

أظهر الشيخ عبد الله دهشته من حصولى على صورة ما كان فى الظرف الذى استلمه بنفسه من أحد حراسه بعد أن القى بها أحد المارة ، ولم يتركه الشيخ عبد الله لأحد ، وكان مترددا فى إطلاعى عليه حتى لا يثير عندى أدنى قلق .

قلت للشيخ عبد الله أننى حصلت على صورة ذلك التهديد منذ ثلاثة أيام ولم أشأ أن أطلعه عليه حتى لا يخشى شيئا على حياتى .

سألنى عن الشخص الذى سلمنى ذلك التهديد ، قلت أنه أحد الهاشميين الوطنيين ، وهو الذى تولى كتابته على الالة الكاتبة بأمر من الاريانى ليلقى بالخوف فى قلبى حتى أفزع فأسرع بمغادرة اليمن . وقد نفذ المواطن الهاشمى أمر الاريانى فكتب التهديد والتزم بالوازع الوطنى فسلمنى إياه ، وأطلعنى على خباياه ، وقال أنه لا توجد فى اليمن منظمة هاشمية وأن سلوكى فى الحكم بعد قيام الثورة أكد للهاشميين التزامى المطلق بالوحدة الوطنية ، وأن الاريانى هو الذى يمارس التفرقة العنصرية ضد العناصر الهاشمية .

كان تردد الشيخ عبد الله فى إعطائى ذلك الظرف إشفاقا على شعورى مما كان فى داخله ، وكان حرصى على إخفاء ذلك التهديد عن الشيخ عبد الله قمة الوفاء فيما بيننا ، فقد كان كل منا حريصا على عدم إثارة القلق فى قلب الآخر . وكان موضوع القلق منصبا على حياتى التى كان الصديق الوفى الشيخ عبدالله أكثر منى حرصا عليها .

وعند مغادرتى صنعاء فى طريقى إلى أداء فريضة الحج كان فى وداعى فى المطار الشيخ عبد الله ومعه المئات من شيوخ القبائل وأعضاء مجلس الشورى والشخصيات اليمنية التى كانت فى ذلك الوقت فى صنعاء ، وفوجئت فى غرفة كبار الزوار فى المطار بالقائم بالأعمال السعودى الذى جاء للإشتراك فى وداعى .



وجدت بجوار الطائرة فى مطار جدة القاضي إسماعيل الجرافى السفير اليمنى ينتظرنى مع سيارة السفارة ، وكان يقف إلى جواره أحد السعوديين وعندما بدأت أتجه إلى سيارة السفارة قال أنه ممثل جلالة الملك فيصل ، واستأذن من السفير اليمنى ليأخذنى معه فى السيارة الملكية ضيفا على جلالة الملك أثناء موسم الحج .

زرت الملك فيصل فى اليوم التالى وتطرق الحديث إلى اليمن فقلت أننى علمت أن جلالته ينوى أداء فريضة الحج فى ذلك العام ، ولذلك فإننا سوف نلتقى فى عدة مناسبات خلال مناسك الحج ، واقترحت أن نتحدث عن اليمن بعد الانتهاء من هذه المناسك .

كنت مع ضيوف الملك أثناء غسيل الكعبة ثم فى منى بعد عرفة . وعندما عدنا إلى جدة وعاد معظم ضيوف الملك إلى بلادهم ذهبت لزيارته فسألنى عن وجهة نظرى فى تأجيل الحديث عن اليمن إلى ما بعد الحج ، قلت أننى فضلت أن نتحدث بعد الحج عن مستقبل اليمن عندما نكون قد رمينا ماضيها مع جمرات الشيطان فى منى .

استطردت قائلا أننى كنت من أقرب رجال الإمام أحمد إلى صدره ، وحضرت الإجتماع الذى رفض فيه الإمام المساعدة السعودية لإنشاء مدارس فى اليمن ، وعاصرت وصول السلاح السعودى لمساعدة اليمن دفاعا عن أراضيها ضد الاعتداءات البريطانية ، وشاهدت بعينى الإمام وهو يبيع السلاح السعودى متاجرا بالنزاع البريطانى .

قلت للملك فيصل أننى كنت أعرف جيدا أنه لم يكن يقر التخلف الرهيب الذى كان سائدا فى اليمن ، فقد طاف الملك بأنحاء العالم ولم يجد تخلفا شبيها بالتخلف اليمنى ، بينما كان الإمام يدعى أنه يطبق شريعة الإسلام .

أضفت أننى كنت متفقا مع البدر على الثورة ضد والده الإمام أحمد ، ولم أترك البدر إلا بعد أن أثبت لى أنه لا يستطيع أن يكون من رجال الصف الأول ، وطلبت من الملك أن يجمعنى بالبدر لأحكى أمامه قصة إتفاقى معه ثم سبب إنفضاضى من حوله ، غير أن البدر كان فى ذلك الوقت فى لندن ، ولم تكن من طبيعة الملك فيصل أن يوافق على مثل هذه المواجهة التى كنت أتمناها لأهميتها التاريخية .

ذكرت للملك أننى عندما اضطررت إلى إعلان الدعوة إلى الثورة الجذرية فى اليمن لم يكن فى وسعى إطلاع المملكة السعودية على ذلك بعد أن أعاد الملك سعود إلى الإمام أحمد شيوخ القبائل الذين لجأوا إليه ، فقتلهم الإمام رغم تعهده للملك سعود بالعفو عنهم . غير أننى بعد أن قامت الثورة اتفقت مع الرئيس جمال عبد الناصر على أن تتجنب الثورة

اليمنية محظور الدخول فى ساحة الصراع المصرى السعودى ، وقد أعلنت ذلك فى صنعاء وأوضحته فى رسالتى إلى الملك سعود ، التى حملها إليه القائم بالأعمال السعودى فى صنعاء الشيخ إسماعيل المعنى عقب قيام الثورة .

ختمت قولى أننا في اليمن اختلفنا مع السعودية ثم تصافينا وتصادقنا ، وبصرف النظر عن من هو المصيب أو المخطىء فإنه مع فداحة الأخطار المحدقة بالأمة العربية أعتقد أن حكمة الملك فيصل تجعلنا نستفيد من الماضى ، ونأخذ منه درسا مستفادا ينير الطريق إلى المستقبل .

المعروف عن الملك فيصل أنه قليل الكلام ، ولكنه إذا تكلم أقنع وإذا سكت أسمع ، فأسمعنى سكوته بأنه يتفق معى فيما قلت . وعندما بدأ يتكلم لم يذكر اليمن وإنما حصر كلامه فى أخطار الشيوعية وارتباطها بالصهيونية .

أوضحت للملك فيصل أنه لا توجد فى اليمن طبقة متوسطة ، وهى عادة ما تكون الطبقة الرائدة والقائدة التى تحرك المجتمع ، وهى طبقة الإداريين والفنيين ورجال الأعمال المتوسطين . هؤلاء هم الذين يصنعون الحضارة ويقودون الجماهير ويتصدرون التغيرات الجذرية .

أما الطبقة العليا فإنها عادة ما تحتفظ بمعظم أموالها خارج حدود مجتمعاتها النامية حتى تهرب منها عند أول هزة شعبية . ولذلك لا يمكن الإعتماد على أفراد هذه الطبقة فى محاربة الشيوعية ، لأن كل همها ينحصر فى جمع الثروة والإحتفاظ بها فى الخارج ، الأمر الذى يعتبر سببا جوهريا من أسباب انتشار الشيوعية .

أما الطبقة الدنيا وهى الأغلبية الساحقة فى اليمن فإنها عادة ما تكون ، فى اليمن وفى غير اليمن ، مستغرقة فى البحث عن قوت يومها ، مستسلمة لليأس ، حاقدة على حاضرها ، كارهة لمستقبلها . والمواطن الذى يبلغ مرحلة اليأس لا يرضى عن أى شىء ، بل يرى أن الوضع كله ، والتراث كله ، مسئول عن استمرار فقره وتخلفه وظلمه وقلقه وحيرته .

هذه هى التربة الخصبة التى تنمو فيها بذور الماركسية ، لأن المواطن الحائر .. القلق .. المظلوم .. لا يفكر فى علمية الماركسية وعدم علميتها ، لا يفكر فى مدى صلاحيتها وعدم صلاحيتها ، فذلك كله لا يهمه كثيرا ولا قليلا .. وإنما يهمه فقط أن ما يسمع عنها ويسميه الناس بالماركسية سوف ينسف له كل شىء لأنه يشكو من كل شىء .

باختصار وبغير فلسفة .

فالذين اعتنقوا الماركسية من الطبقات المظلومة فى البلاد المتخلفة لم يقرأوا الماركسية ، وإن كان بعضهم قد قرأها فإنه لم يفهمها . وإن كان قد فهم منها شيئا فإنه لا يهمه ما فهمه منها . بل يكفيه أن يفهم منها ، أولا وأخيرا ، أنها ستحطم له النظم التى أجبرته الظروف على عبادتها والخضوع لها والامتثال لأوامرها ، تلك الأوامر التى تتلخص فى إستمرار فقره وتخلفه ، وبقاء ظلمه وحرمانه .

وفى عصر تتناقل فيه الأخبار بأسرع من سرعة البرق ، وتتعرف فيه الشعوب على ما قفزت إليه الشعوب الأخرى ، أصبح الشعب (المتلكىء) فى مشيته قادرا على التعرف على مقادير الفوارق الهائلة التى تفصل بينه وبين غيره من الشعوب التى تقفز - باندفاع ورشاقة وكفاءة - قفزات حضارية فى عصر الذرة والفضاء .

مثل هذا الشعب (المتلكىء) يستسلم عاطفيا لأية إثارة تثير مواجعه وتهيج أحزانه ، فينتفض ، يحطم .. يكسر .. يقتل .. يسحل .. ثم يرتمى فى أى اتجاه .. لا يقصد (العلاج) بقدر ما يقصد (الإحتجاج) .

وتصفق الإذاعات الحمراء وتخلع عليه رداء الماركسية ، وتزف الشعب الهائج إلى أحضان الغول .

وعندما يفيق الشعب من الهياج يجد نفسه وقد فقد كل شىء ولم يعد معه أى شىء ، إن كان حريصا على عصمته .

قلت للملك فيصل أن السبيل إلى التصدى للتيار الشيوعى المنتشر فى اليمن هو العمل على إيجاد طبقة متوسطة ، عن طريق إقامة مشروعات عمرانية حضارية فى معظم أنحاء اليمن ، لأن هذه المشروعات تنشىء الكوادر التنظيمية الإدارية والفنية إلى جانب زيادة الدخل القومى وخلق الظروف الملائمة لإرتقاء مستوى المعيشة الثقافى والإجتماعى ، وعندئذ يصل المجتمع اليمنى إلى الحد الأدنى للمستوى الحضارى الذى تسنده القيم الدينية فيتصدى تلقائيا للماركسية .

ناشدت الملك فيصل المبشر الإسلامى ورائد التصدى للخطر الشيوعى الصهيونى فى العالم العربى أن يخصص أكبر قدر من الإعتمادات المالية السعودية لهذه المشروعات العمرانية ، حيث تحتاج اليمن إلى مشروعات حضارية أكثر ومخصصات قبلية ودفاعية أقل .

لم يخف الملك ثناءه على حديثى مع جلالته وتحدثنا طويلا عن الإستراتيجية العربية التى يلزم الإتفاق عليها لمواجهة الشيوعية والصهيونية ، مما يحتم العمل على تجميع الطاقات والإمكانيات العربية .

لم يدر فى خيالى أن أسمع كلاما أفضل مما سمعت ، لقد كان الملك يقول ما كان يسبح فى عقلى ويطوف مع أغلى أحلامى .

وعندما كنت اهم بالعودة إلى القاهرة كان الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران السعودى يقنعنى بإطالة ضيافتى فى جدة ، حتى أمضيت هناك نحو ثلاثة أشهر متحدثا مع الصحفيين والإذاعيين ورجال الفكر والسياسة .



عدت إلى القاهرة وأرسلت فى ١٢ مارس ١٩٧٤ رسالة إلى القاضى الاريانى أشرح فيها أهم ما لاحظته فى السعودية مما ينفع اليمن ، وكان أهم ما نصحت به الاريانى هو الإستفادة من الكفاءات اليمنية والعربية لإعداد دراسات لمشروعات التطور الحضارى فى اليمن للحصول على المزيد من المساعدات المالية السعودية حفاظا على أمن الجزيرة العربية .

لكن الاريانى ، بحكم طبيعته الشخصية كان مستغرقا فى المعادلات القبلية والحزبية ، متفرغا لطحن الشخصية الوطنية فى دوامة الصراعات الشخصية ، معتمدا على بقاء المتناقضات الفكرية والعقائدية والحزبية ، مستغنيا عن المشروعات الحضارية .

ولم يكن يدرك مدى استفادة العناصر الشيوعية من غياب الدولة السياسى عن مسرح صراعها الاجتماعى وسلطانها الأمنى ، مما أقنع أهل الحل والعقد بأن الاريانى لم يعد الرجل الذى يستطيع أن يتصدى للتيارات الأجنبية والأطماع الدولية والخلايا الشيوعية فسقطت جمهورية الاريانى فى ١٣ يونية ١٩٧٤ كما سبقت أن توقعت لها فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٢ فى المحاضرة التى القيتها فى القاهرة ووزعها الاريانى فى اليمن .

وقامت الجمهورية الرابعة برئاسة المقدم إبراهيم الحمدى الذى أقام احتفالا بإبعاد الاريانى عن اليمن ليقيم فى سوريا بعد أن سلمه الحمدى علم الجمهورية الثالثة الذى أنزلوه قبيل قيام الطائرة متجهة به إلى دمشق .

كانت تجمعنى مع الحمدى صداقة قوية ومخلصة ، واقتناع مشترك بوجهات نظر واحدة ، وكان يتولى توزيع ألوف النسخ من مؤلفاتى على وحدات الجيش عندما كان نائبا للقائد العام فى عهد الاريانى .

وقد يعجب القارىء حين يطلع على سر يذاع . لأول مرة ، عن ميلاد الجمهورية اليمنية الرابعة التى لم يبذل رئيسها المقدم إبراهيم الحمدى جهدا فى ميلادها ، بل فوجىء بها تسعى إليه ، وترتمى بين يديه ، فأحكم قبضته عليها ، حتى سقطت منه ، وقتل فيها .

كان مشهودا عن القاضى عبد الرحمن الاريانى رئيس المجلس الجمهورى أنه كثيرا ما يهدد مجلس الشورى بالإستقالة ، فيسعى إليه رئيس مجلس الشورى الشيخ عبد الله ابن حسين الأحمر ومعه مظاهرة من أغلبية أعضاء المجلس يناشدونه العدول عنها ، فيستجيب القاضى الاريانى لإلحاح الشيخ عبد الله وزملائه بعد أن يقبلوا كل شروطه التى

غالبا ما كانت في صالح العناصر اليسارية المتطرفة التى كان يضغط بها الاريانى على القوى الوطنية الدينية والقبلية والعناصر المثقفة المعتدلة .

وأثناء حديث عن مستقبل اليمن ،كنت أحد أطرافه ، وكان بعض شهوده الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر والشيخ أحمد المطرى والمقدم إبراهيم الحمدى نائب القائد العام ، استقر الرأى على ضرورة حماية المستقبل اليمنى من السقوط فى أيدى العناصر اليسارية المتطرفة ، وأن مسئولية هذه الحماية تقع على عاتق مجلس الشورى الذى انتخبه الشعب ، والذى يجب عليه أن يتمسك بمواقفه الدستورية الوطنية ، حتى إذا ما أدى ذلك إلى إستقالة القاضى عبد الرحمن الاريانى من رئاسة المجلس الجمهورى فإن الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر يتلقاها بصفته رئيساً لمجلس الشورى ويعرضها على المجلس الذى يقبلها وينتخب مجلسا جمهوريا جديدا من خمسة أعضاء معروفين بصلابة مواقفهم ضد الأنشطة اليسارية المتطرفة .

لم يختلف أحد على ذلك فنصحت لهم أن يكتموه على محافظ الحديدة الشيخ سنان أبو لحوم حتى لا يشير عليهم ، عن قصد أو عن غير قصد ، بما قد يفسد لهم طريقهم .

غير أن الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر أطلع الشيخ سنان أبو لحوم على ما تحدثنا عنه ، وعندما قدم القاضى عبد الرحمن الاريانى استقالته اقترح الشيخ سنان أن يستقيل هو أيضا من محافظة الحديدة ، وأن يستقيل كذلك الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر من رئاسة مجلس الشورى ، وأن يتولى الشيخ عبد الله (بنفسه) تقديم الإستقالات الثلاث إلى قيادة القوات المسلحة ، بدعوى أن الموقف الداخلى المتوتر فى حاجة إلى قيادة عسكرية حازمة تتصدى للتيارات اليسارية المتطرفة ، على أن ينتهى عمل هذه القيادة بعد ثلاثة أشهر يجرى بعد انتخاب شعبى عام لمجلس شورى جديد يتولى إنتخاب مجلس جمهورى جديد من خمسة أعضاء .

اقتنع الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر برأى الشيخ سنان وذهب بنفسه إلى المقدم إبراهيم الحمدى نائب القائد العام وسلمه الإستقالات الثلاث فأصدر الحمدى قرارا بتشكيل مجلس قيادة برئاسته ، وقرارا آخر بحل مجلس الشورى الذى استقال رئيسه وسلم السلطة للجيش وكان قائد الجيش المقدم محمد الاريانى فى مهمة رسمية خارج اليمن حيث استمر فى أدائها حتى تقرر تعيينه سفيرا فى وقت لاحق .

عندما هبطت رئاسة الدولة بين يدى المقدم إبراهيم الحمدى (الذى تعهد للشيخ عبد الله ابن حسين الأحمر بإجراء إنتخاب شعبى لمجلس شورى جديد بعد ثلاثة أشهر لا تزيد) أخذ يطوف بالبلاد العربية كرئيس دولة دائم فنسى تعهده للشيخ عبد الله كرئيس قيادة مؤقت .

وهذا سلوك بشرى طبيعى لا غرابة فيه ، ليس ذلك دفاعا عنه ، ولا انتقادا له . أنه حقيقة معروفة ومألوفةفى دول العالم الثالث .

وعندما تولى رئاسة الدولة طلب منى أن أختار لنفسى المنصب الذى أرى القيام به لخدمة الجمهورية اليمنية ، فاخترت أن أظل صديقه المخلص وناصحه الأمين ، وكنت فى عهده كثير التردد على صنعاء لمناقشة ما يرى مناقشته لصالح اليمن .

كنت أدعوه إلى تحقيق المزيد من الخطوات الإيجابية نحو الحضارة العصرية لأنه مع قفزات الشعب اليمنى نحو الحضارة الحديثة سوف تذوب الرواسب المتخلفة فى نفوس بعض اليمنيين من أصحاب الامتيازات الهاشمية التى ألغتها الجمهورية ، لأنهم عندما يستمتعون بالنهضة الحضارية لا يأسفون على الامتيازات العنصرية .

وأذكر من هذه الرواسب المتخلفة نموذجا على سبيل المثال الذى يدعونا إلى تعميق الوعى الحضارى فى اليمن حتى يمكن تحقيق الوحدة الوطنية :

فى ديسمبر ١٩٧٥ دعتنى الأكاديمية الدولية للعلوم الإقتصادية لإلقاء محاضرة إقتصادية فى مدينة طوكيو فى اليابان عن علاقة التنمية الإقتصادية بالتصدى للشيوعية .



المؤلف يلقى محاضرته فى مؤتمر الأكاديمية الدولية للعلوم الاقتصادية فى طوكيو

وبعد إلقاء محاضرتى دعانى أحد المحاضرين الآخرين الدكتور بيرسون رئيس جمعية العلوم السياسية الاقتصادية فى الولايات المتحدة الأمريكية لزيارة واشنطن لإلقاء محاضرة على العلاقات الإقتصادية العربية الأمريكية .

قبلت الدعوة وسبقنى الدكتور بيرسون إلى واشنطن لتوجيه الدعوة إلى الشخصيات الأمريكية التى يهمها الإستماع إلى هذه المحاضرة فى قاعة تلك الجمعية ، وتركنى فى طوكيو لإجراء فحوص طبية .

وصلت إلى واشنطن فى الموعد المحدد حيث استقبلنى الدكتور بيرسون وأعطانى صورة من بطاقات الدعوة التى طبعها ووزعها على رجال الكونجرس ووزارة الخارجية والسفراء العرب لحضور المحاضرة ثم حفل التكريم الذى سيعقبها .

فى صباح اليوم المحدد لإلقاء المحاضرة جاءنى الدكتور بيرسون منزعجا أشد الانزعاج حيث أبلغنى بأن السيد إبراهيم الكبسى القائم بأعمال السفارة اليمنية فى واشنطن (وهو هاشمى من الإماميين السابقين والجمهوريين اللاحقين) قد أرسل مذكرة رسمية إلى وزارة الخارجية الأمريكية يعلن فيها أن الحكومة اليمنية تطلب القبض علىّ لإعدامى ، وإننى أحمل جواز سفر دبلوماسى مزور ، وختم مذكرة السفارة مطالبا وزارة الخارجية الأمريكية بطردى من الأراضى الأمريكية وإلغاء المحاضرة وحفل التكريم .

كما أبلغنى الدكتور بيرسون أن القائم بالأعمال اليمنى وزع صورا من هذه المذكرة على جميع السفارات العربية .

قلت للدكتور بيرسون أنه فى وسع الخارجية الأمريكية أن تتأكد تليفونيا من عدم صحة هذه المعلومات من سفارتها فى صنعاء ، وهى تعرف جيدا أن الحكومة اليمنية قد رشحتنى رسميا قبل ذلك بأسبوعين لمنصب الأمين العام المساعد للجامعة العربية للشئون الإقتصادية . وأن جواز سفرى الدبلوماسى صادر من وزارة الخارجية اليمنية .

قال الدكتور بيرسون أن الذى أزعجه هو إحتمال عدول الكثيرين من الأمريكيين عن حضور المحاضرة وحفل التكريم . قلت أننى أتوقع غير ذلك لأن الأمريكيين يتميزون بملكة حب الاستطلاع ، ولذلك فإننى اعتقد أن كثيرا منهم سوف يحضرون لرؤية رجل اشترك بدور رئيسى فى تغيير نظام الحكم فى بلده بعد ألف ومائة عام ، ثم أصبح محكوما عليه بالإعدام ، على مشنقة النظام الجديد الذى وهب حياته من أجله .

قلت للدكتور بيرسون أن مذكرة القائم بالأعمال سوف تأتينا بعدد من المستمعين لم يخطر لنا على بال .

فى المساء احتشدت القاعة حتى امتلأت الطرقات المؤدية إليها ، وألقيت محاضرتى التى كانت خلاصتها أننا ، معشر العرب لا نطلب من أمريكا أن تتخلى عن إسرائيل أو تتبنى العرب ، وإنما نتوقع منها أن تضبط سياستها الخارجية على حجم مصالحها الإقتصادية سواء مع إسرائيل أو مع الدول العربية .

فالمصالح الإقتصادية تعتمد على رصيد الأرباح والخسائر بعد الجمع والطرح والضرب والقسمة ، ثم يأتى بعد ذلك ، وليس قبل ذلك ، رصيد المواقع الاستراتيجية والصداقات السياسية التى تحمى رصيد المصالح الإقتصادية .

ونحن كغيرنا من المتحضرين نعرف أنه لا يوجد فى العلاقات الدولية الطرف الذى يأخذ ولا يعطى ، ولا الطرف الذى يعطى ولا يأخذ .

وإذا كان فى دنيا العرب من أساء ، ذات يوم ، فهم طبيعة العلاقات الدولية فأراد أن يأخذ من أمريكا ولا يعطيها ، فإننا بالمقابل وبالاستفادة من دروس الماضى نتوقع ألا يكون فى دنيا أمريكا من يسىء فهم طبيعة العلاقات الدولية فيريد أن يأخذ من العرب ولا يعطيهم .

لإن مثل هذه الحالات الشاذة التى يشوبها سوء التقدير لا يمكن أن تستمر ، ولا يمكن أن تعمق صداقة أو تثبت علاقة ، ولا تلبث أن تنقلب إلى نقيضها فتظهر حركات الرفض الشعبية وتبدأ المنازعات الدولية .

عندما انتهيت من إلقاء محاضرتى بدأ حفل التكريم وتبادلنا كلمات التحية ثم قام رئيس الجمعية بمنحى وسام أبناء الثورة الأمريكية .

وصلت إلى القاهرة وأرسلت تقرير مفصلا إلى الأستاذ عبد الله الاصنج وزير الخارجية اليمنية الذى رد فى رسالته مؤكدا أنه (سوف يتم التحقيق مع القائم بالأعمال اليمنى فى واشنطن السيد إبراهيم الكبسى حول تجاوزه وإعلانه بأننى مطلوب للإعدام وأننى أحمل جوازا مزورا .. وأن هذه البيانات ملفقة وغير لائقة بأن تصدر عن مسئول يمنى) (الوثيقة رقم ٤١) .

وأذكر أننى عندما ذهب على إثر ذلك إلى صنعاء طلبت من وزارة الخارجية ألا تعاقب القائم بالأعمال واكتفيت بزيارة السفير الأمريكى فى صنعاء .

ونسيت إساءة إبراهيم الكبسى العنصرية فى أمريكا لأننى أتطلع إلى مستقبل الوحدة الوطنية فى اليمن .

أشاد المقدم إبراهيم الحمدى بموقفى المتسامح الذى يتطلع إلى مستقبل يمنى أفضل ، وأخذ يستجيب للتصدى للتيارات اليسارية المتطرفة ، لكن استقالة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر من رئاسة مجلس الشورى ، والتى كانت عاملا هاما مصاحبا لإسقاط الاريانى ، أطلقت يد الحمدى حتى استحسن أن ينفرد بالسلطة مما حرمه من الإستناد على التيار الدينى والقبلى فى مواجهة التيار اليسارى المتطرف ، فبدأ الخلاف ينشب أظافره بين الحمدى والشيخ عبد الله الأحمر ، مما دفعنى إلى إقناع الحمدى لإعادته إلى جادة الصواب ، وعدم الإنزلاق مع التيارات اليسارية تحت شعار التقدمية إذا أراد أن يبقى رئيسا للجمهورية .

أذكر أن الحمدى كان فى بداية عهده يستمع إلى النصيحة ويقتنع بما ينفع ويبتعد عما يضر ، وأحمد الله أننى استطعت فى ذلك الوقت أن أعيد قلب إبراهيم الحمدى إلى صدر الشيخ عبد الله الأحمر . وربما تشرح ذلك رسالة الشيخ عبد الله بن حسين ونصها :

(الأخ الجليل والأستاذ الكبير الدكتور عبد الرحمن البيضانى حفظكم الله وتولاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعيد مبارك وكل عام وأنتم بخير أمين . رسالتكم الكريمة وصلت مع صورة الرسالة التى للأخ إبراهيم وقد قرأت كل الرسائل وفهمت ما احتوت عليه وأشكركم كثيرا على مشاعركم الأخوية النبيلة ، وعلى ملاحظتكم التى كان لها الأثر الكبير ولعلكم سمعتم ما تم فى هذا الأسبوع وهذه خطوة لا بأس بها وسيكون بعدها خطوات . هذا ويمكنكم الاجتماع بالأخ إبراهيم والتحدث معه ولو فى الطائرة وهذه الرسالة صحبة الأخ أحمد محمد الرحبى والله يرعاكم والسلام عليكم .

أخوكم

عبد الله بن حسين الأحمر

الجمهورية العربية اليمنية — بسم الله الرحمن الرحيم — الرقم ....

الشيخ عبدالله بن حسين الاحمر — التاريخ ......

الرفقات

الموضوع

أصل الرسالة بخط الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر

كان فى وسع المقدم إبراهيم الحمدى أن يستعين بالشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ، أقوى شخصية قبلية ، استشهد والده وأخوه من أجل أهداف الشعب اليمنى واسترداد كرامته وفتح أبوابه للنهضة الحضارية ، ثم أمضى فى سجن الإمام ثلاثة وثلاثين شهرا بعد أن ذبح الإمام والده وأخاه ، وظل سجيناً مقيداً بالأغلال حتى قامت الثورة فتولى قيادة عشرات الألوف من رجاله الأشداء دفاعا عن الجمهورية وإستماتة من أجل حمايتها (الوثيقة رقم ٤٢) .

ولكن بمرور الوقت أخذ المقدم إبراهيم الحمدى يستجيب أكثر للعناصر التى أحكمت حصارها حوله ، وتسللت إلى قرارة نفسه ، فزينت له العمل على تحدى عقلاء اليمن ، تحت شعار السباق مع الزمن .

ربما كان مخلصا فى اتباع سياسته التى اقتنع بها ، لكنه لم يكن مدركا للأخطار التى وقع فيها .

فكان ما كان ..

ثم توالت الأحداث .

قتل المقدم إبراهيم الحمدى وقام من بعده المقدم أحمد الغشمى ، ثم قتل المقدم أحمد الغشمى وقام من بعده العقيد على عبد الله صالح .

ولعل أهم إنجاز حققه الرئيس على عبد الله صالح هو إصدار وثيقة وطنية تحسم بصفة نهائية الصراعات الطائفية والعنصرية والقبلية التى عرقلت مسيرة الثورة اليمنية ، حيث سجل فى (الميثاق القومى) صفحة (٥٢)

(إن المعيار الثالث من معايير الولاء الوطنى يتمثل فى الحفاظ على الوحدة الوطنية ، والإبتعاد عن التعصب الطائفى ، أو السلالى ، أو القبلى ، أو الحزبى .. وغيرها من التعصبات التى تمزق الوحدة الوطنية وتضر بمصلحة المواطن والوطن .

وحين ننطلق جميعا من هذا المنطلق ، فإن الممارسات الخاطئة ستزول ، وستختفى السلبيات على مستوى القاعدة والقمة فى ظل الثقة والتلاحم بين الدولة ، ومؤسساتها الدستورية والشعب ، فى الوقت التى تعجز فيه كل المحاولات الخارجية عن جر الحاكم ، أو جر المواطن إلى أى شكل من أشكال التبعية ، كما تعجز كل النزعات الشريرة عن إثارة الولاءات والتعصبات الضيقة ، التى تضر بمصالح الوطن والمواطن . ففى المناخ الديمقراطى تموت هذه الولاءات والتعصبات الضيقة ، وتبقى الوحدة الوطنية قوة الشعب والدولة ، لحماية البلاد وسيادتها واستقلالها) .

هذا ما سجله الرئيس على عبد الله صالح فى هذا الميثاق القومى . ثم نادى بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله حيث سجل فى نفس هذا الميثاق فى صفحة (٣٨) :

(إننا نرفض أية نظرية فى الحكم ، أو الإقتصاد ، أو السياسة أو الإجتماع ، تتناقض مع عقيدتنا وشريعتنا الإسلامية . ولكننا نعتقد أن من حق أى فرد أو جماعة إمتلاك الحرية فى إعلان الآراء والأفكار ، وانتهاج العمل الديمقراطى السليم لتحقيقه ، بشرط ألا يخرج عن الإطار الإسلامى . فالاجتهاد فى هذا الإطار قاعدة من قواعد الإسلام .

وإنطلاقا من إيماننا بشمول المنهج الإسلامى ، نرى أن أهم المرتكزات التى تقوم عليها حياتنا العملية ، هى العودة إلى المنابع الصافية للعقيدة ، كتاب الله وسنة رسوله) .

وهذا التزام صريح بحتمية العمل على تصحيح المفاهيم والتشريعات والقواعد والأنظمة والعادات والتقاليد ، حتى تتفق مع ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا جوهر الإجتهاد الإسلامى فى إيجاد الحلول والقواعد الشرعية للقضايا العصرية التى لم يرد فيها نص قطعى الورود ، قطعى الدلالة فى القرآن والسنة .

ولا شك عندى فى أن الرئيس على عبد الله صالح سوف يتعرض للكثر من العقبات الكأداء والعصبيات العمياء ، وأنه قد لا يستطيع تنفيذ الكثير مما جاء فى هذا الميثاق ، لكنه يكفيه فخرا تاريخيا أنه سجل هذه المبادىء الوطنية فى وثيقة قومية اشترك فى صياغتها كثيرون من اليمنيين الوطنيين الصادقين .

وتبقى بعد ذلك مسئولية تنفيذ مبادىء هذا الميثاق للشعب اليمنى جيلا من بعد جيل ، حتى تعود اليمن إلى سابق عهدها الحضارى عندما كانت الحضارة اليمنية أعظم الحضارات التى خلدها القرآن ، وتغنت بها كتب التاريخ .

هكذا ، فى ظل الجمهورية ، أخذ الشعب اليمنى العملاق يواصل مسيرته العصرية ويقفز قفزاته الحضارية التى تسهم فى تمويلها مئات الملايين من الدولارات والريالات السعودية ودول الخليج العربى والدول الأخرى الأجنبية ، التى تساعد الجمهورية اليمنية على تحقيق خطتها الإقتصادية .

وبعد أن كان عشرات الألوف من الجنود المصريين يحاربون وحدهم فى اليمن أصبح الآن فى اليمن عشرات الألوف من المصريين المهندسين والمدرسين والأطباء وغيرهم من الخبراء ، يعملون مع الشعب اليمنى فى بناء حضارته . وبعد أن كانت مصر قد تورطت فى محاولة استخدام اليمن للإنقضاض على السعودية أصبحت الدولتان تتعاونان على النهوض بالجمهورية اليمنية .

وهذا ما يثبت تاريخيا أن الصراع المصرى السعودى فى اليمن لم يكن صراعا على عمامة البدر التى تخفى جثة النظام الإمامى ، ولا قبعة السلال التى تعلن شكل النظام الجمهورى ، ولا أحلام البيضانى فى استعادة المجد اليمنى والعربى . بل كان جوهر الصراع متمثلا فى قلق السعودية من الأطماع السوفيتية ، التى تسللت إلى اليمن فى شرايين بعض العناصر المصرية التى انفردت بحكم اليمن . وعندما زال هذا القلق تعاونت مصر والسعودية على الإرتقاء بمستوى الحياة فى اليمن .



اليمن الحديثة

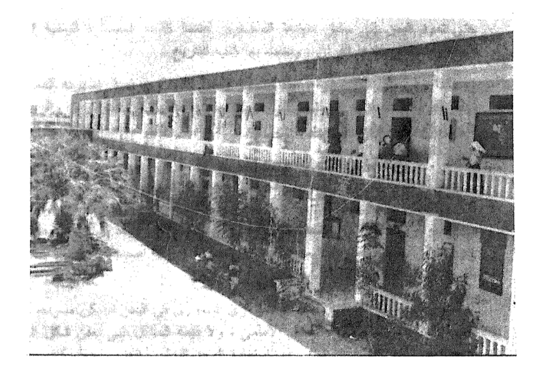
من اجل المستقبل الافضل ناديت بالثورة الجذرية

وحتى آخر نفس في حياتي . .
أدعو الله أن يوفق . .
كل من يقود شعب اليمن . .
الى مستقبل افضل . .

وادعو الله . .
أن يبارك شعب مصر . .
الذى ضحى . .
من أجل اليمن . .



مدرسة جمال عبد الناصر الثانوية



مدرسة إعدادية ثانوية بالحديدة



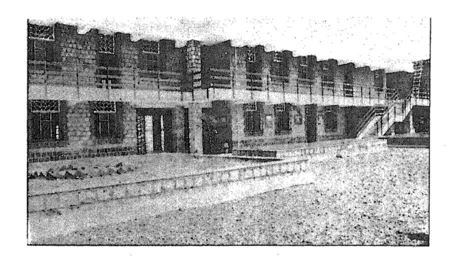
محطة الحافلات بمدينة الحديدة



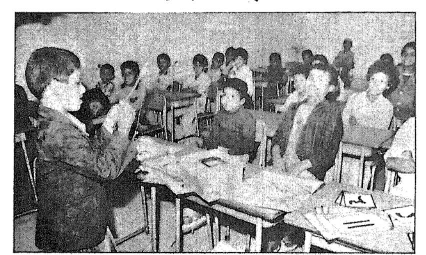
المدرسة الفنية



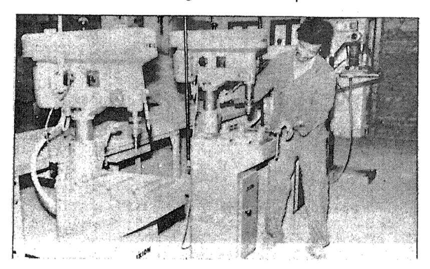
إحدى عمارات المدرسة الفنية



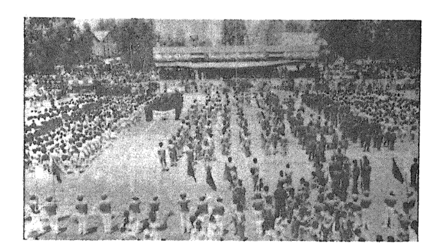
معهد المعلمات بالحديدة

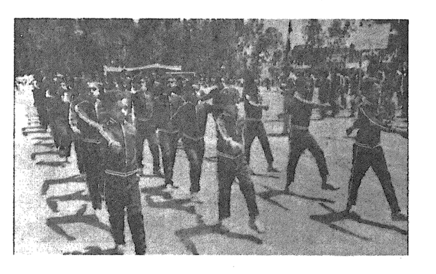


استخدام الوسائل التعليمية فى المرحلة الابتدائية



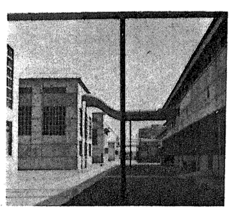
التعليم الفنى



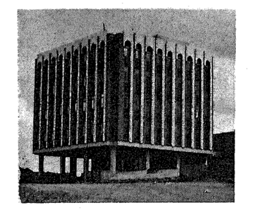




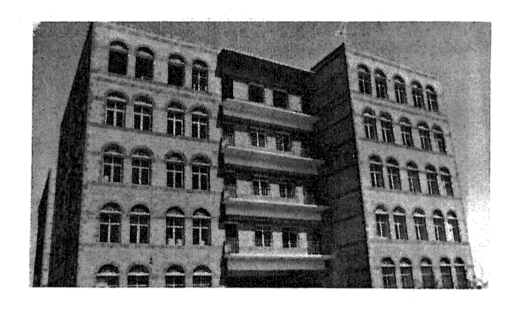
بعض الصور من المهرجان الرياضى



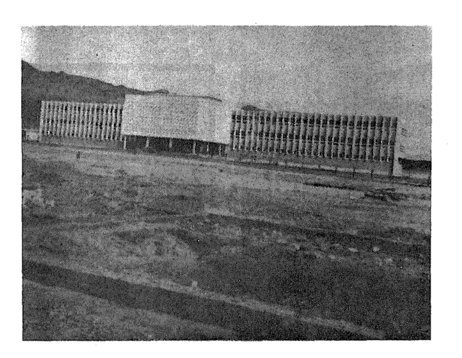
مبانى الأشغال



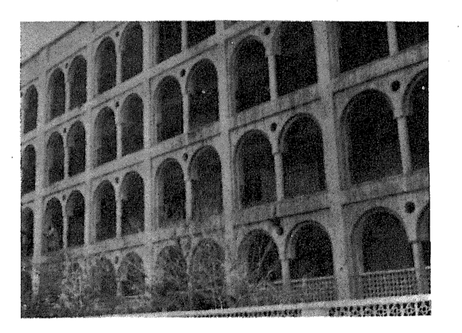
مصنع الزيوت بالحديدة



مبان الأشغال



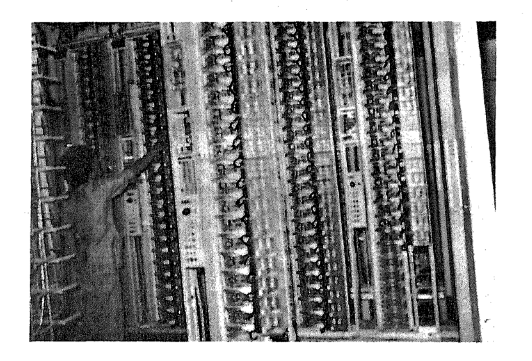
مستشفى الثورة بصنعاء



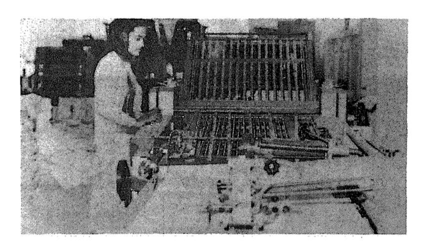
مستشفى العلف - الحديدة



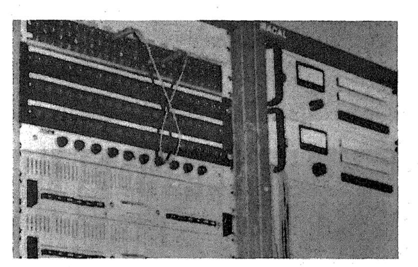
وزارة المواصلات بصنعاء



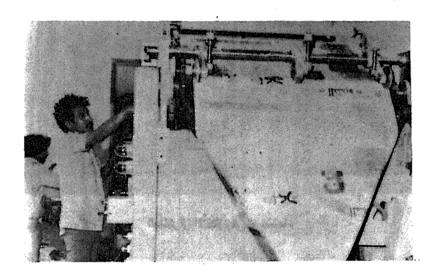
السنترال الألكترونى - صنعاء



العمل بواسطة آلة التعطيف



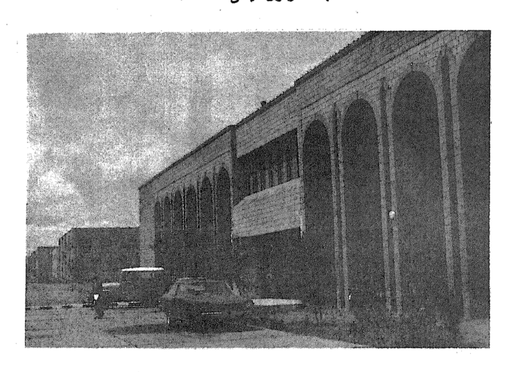
صورة لجهاز الإرسال الداخلى



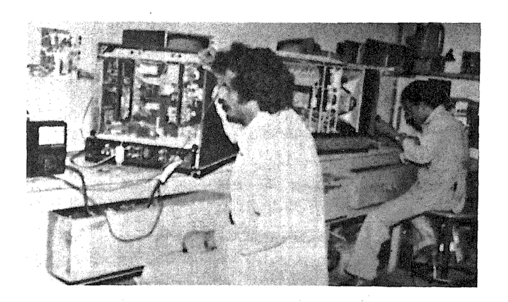
وحدة طبع الصحف

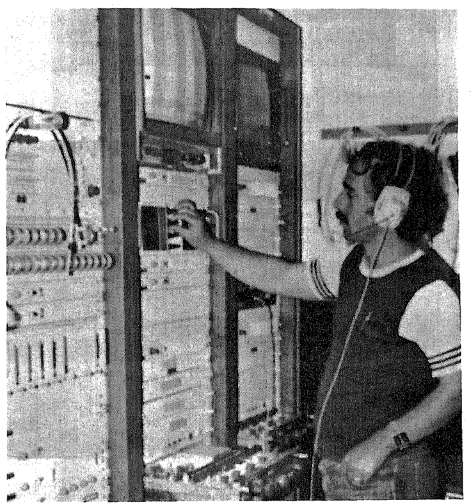


البنك المركزى اليمنى - صنعاء

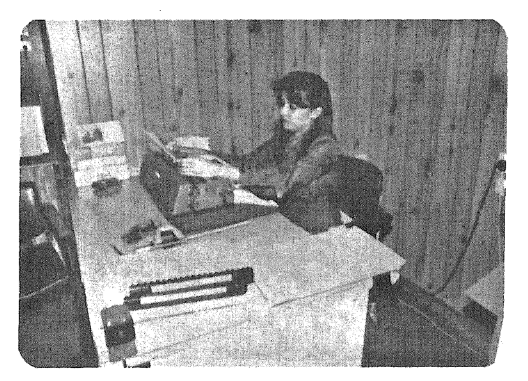


مبنى إحدى كليات جامعة صنعاء





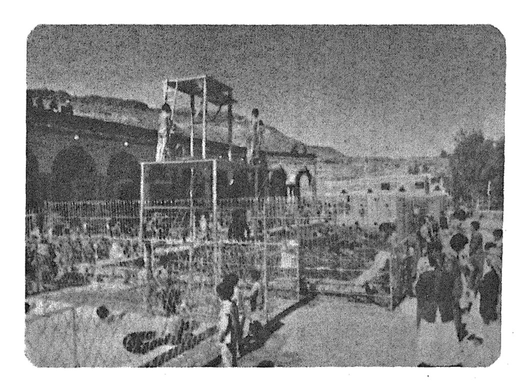
الإذاعة والتليفزيون



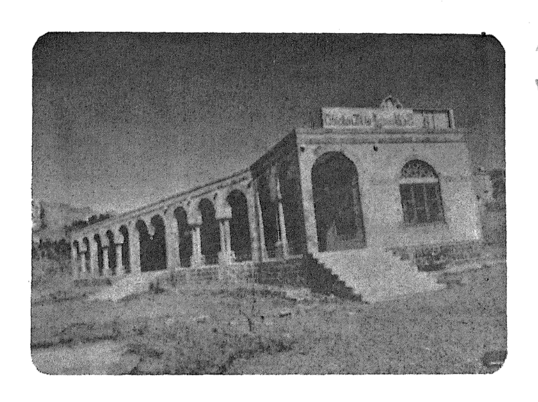
السكرتارية الحديثة رمز الإدارة المتطورة بالمؤسسة العامة للموانى والشئون البحرية



السواعد اليمنية تثبت قدرتها على تشغيل القطع البحرية الحديثة

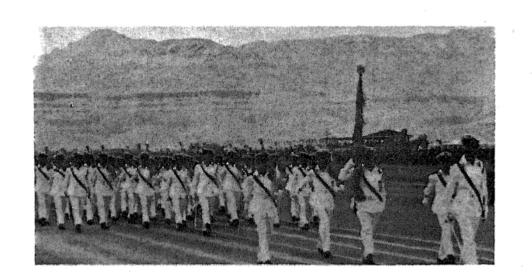


مبنى منتزه عصر

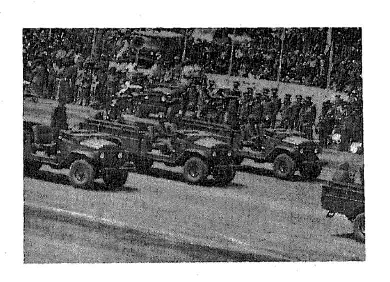


مبنى منتزه حده

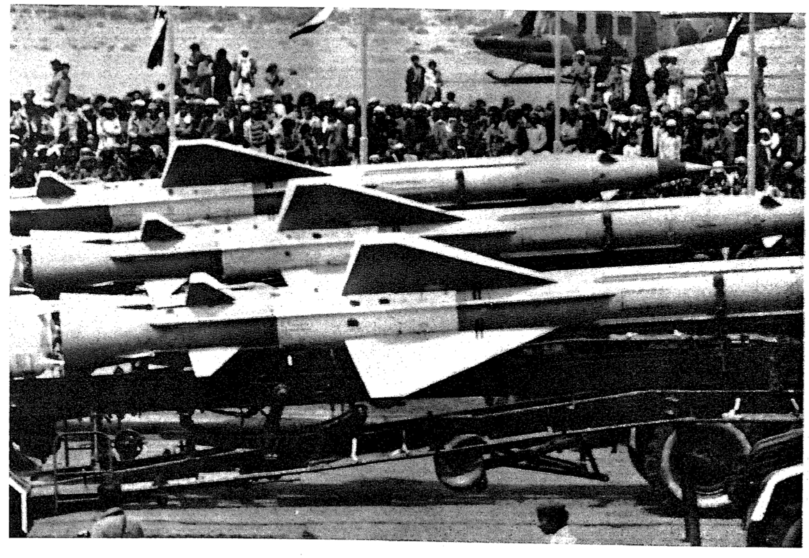
المنتزه (تعز)



رجال البحرية اليمنية فى أحد الاستعراضات العسكرية



سلاح الإشارة عصب القوات المسلحة



جيش اليمن يمتلك السلاح الحديث

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟
وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

قرآن كريم

المستقبل العـــربي

الفصل العشرون

١

نحن العرب لن نبلغ مرتبة التطور الإجتماعى إلا بعد أن نخلق السلوك الجماعى عندما نجتمع على مصلحة جماعية بعد أن نشعر بالقلق تجاه الظروف التى ورثناها ولا نزال نحياها مهددين بعدم اللحاق بركب الحضارة العصرية .

عندما نشعر بهذا القلق سنرفض الإقتناع بالواقع المخزى الذى نحياه ، كما نرفض إهدار طاقتنا الخلاقة فى خصومات عقيمة ، ونمتنع عن إغراق قواربنا فى بحور مشاكلنا الإقليمية والجزئية ، التى تلهينا ظواهرها الشكلية عن جذورها الحقيقية ، فتنسينا أهدافنا الكلية القومية التى من شأنها أن تعالج هذه المشاكل وتمنع استمرارها وتحول دون تكرار نشوئها .

فنحن العرب نحتاج إلى استعادة وطننا الكبير ليصبح كل منا كبيرا فى دنيا الأوطان الكبيرة ، فالكبير منا فى محيطه كبير بين قومه وعشيرته ، لكنه عندما يطل برأسه خارجهم فإنه يشعر بشىء يختلف عن ذلك تماما ، وسط التقدم الحضارى الهائل ، الذى أحرزه غيرنا فى محيط القفزات العصرية التى لا تتوقف لحظة واحدة عند أى حد .

وعندما يبلغ العرب نقطة البداية فإنهم يبدأون فى صنع دورهم الحضارى فى العالم ، لا يتأثرون بنفوذ أجنبى وإنما يؤثرون بنفوذ عربى ، وتصبح علاقاتهم الدولية علاقات مشاركة فى صنع الأحداث وليست مجرد نقاط التقاء فى صراع الأحداث .

إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تصبح العملاق الإقتصادى العالمى إلا بمساحتها الشاسعة ومنتجاتها المتنوعة المتكاملة ، والملايين من سكانها الذين خلقوا لها السوق الكبير للعرض والطلب .

وعندما تبينت دول أوروبا أنها لا تستطيع البقاء فى السباق الإقتصادى العالمى إلا بارتباطها السياسى وتكاملها الإقتصادى أنشأت السوق الأوربية المشتركة .

والاتحاد السوفيتى لم يصبح الاتحاد السوفيتى إلا بشعوبه وملايينه ومساحاته الهائلة ، وكل مقوماته التى صاغت وحدة الإرادة السوفيتية ، وكذلك الصين بكل ما تمثله من بشر وأرض وإمكانيات بدأت تلهث وراء المارد اليابانى الذى انشقت عنه الأرض .

وأما البانيا فإنها بأقصى يسارها لا تزال هى ألبانيا بغير فعالية دولية ، مجرد صوت دولى كبقية أصوات هايتى ونيكاراجوا وترنداد ، لا يتجاوز تأثيرها أى أثر يمكن أن تمارسه إمارة موناكو بأقصى يمينها .

والسبب واحد ، حجم الكيان ، الذى يحدد حجم الفعالية ، التى يتوقف عليها حجم التأثير النهائى . فالكيان يحدد المصلحة ، والمصلحة تفرض الصراع من أجل تحقيقها ثم الحفاظ عليها ، لذلك يوجد صراع بين الشرق والشرق ، بين الصين والاتحاد السوفيتى أى بين البروليتاريا والبروليتاريا ، كما يوجد صراع بين الغرب والغرب ، بين أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ، أى بين البورجوازية والبورجوازية ، أو بين الرأسمالية والرأسمالية ، حسب درجات التصنيف التى يحلو للبعض استعراضها . وسيبقى الصراع يختفى ويظهر ، يتستر أحيانا ويسفر أحيانا أخرى ، ما دامت فى الكون مصالح .

والصراع لا يحتاج إلى مجرد رغبة صراع ، وإنما فعالية صراع لأن الصراع بدون فعالية يصبح مجرد شعارات ، وخيال مراهقة ، وفقدان للذات ، وتكسير للرأس على صخور جبل .

إننا إذا أردنا أن نستيقظ من بين رماد الكارثة العربية فليس أمامنا سوى أن نسعى فورا إلى تحقيق التكامل الإقتصادى العربى ، حتى نتمكن من إقامة الكيان العربى الكبير على الساحة العربية الأكبر من مساحة أوروبا ، والأكثر منها أهمية ، من حيث الإستراتيجية العالمية ، فهى ذات طبيعة مليئة بالكنوز المعدنية التى لا يزال أكثرها بغير استغلال ، وظروف مناخية متكاملة ومساحات زراعية تستطيع أن تكفى أضعاف المائة والأربعين مليونا الحاليين لو أنها استغلت إستغلالا علميا عصريا .

فالرقعة الزراعية العربية المزروعة الآن فعلا لا تمثل سوى نسبة ضئيلة جدا من مساحة الأراضى القابلة للاستصلاح والزراعة في العالم العربى ، والتى تبلغ حاليا حوالى ٢٥٠ مليون فدانا لم تستصلح ولم تزرع حتى الآن ، علاوة على انتاجية الفدان المزروع فعلا فإنها تقل عن رقم يتراوح بين ٢٠ ، ٢٥٪ بالنسبة إلى إنتاجية الفدان فى الدول المتقدمة ، الأمر الذى يصرخ بحتمية الاستفادة من الأساليب الزراعية العصرية .

معنى ذلك أنه فى الوقت الذى تشكو فيه الأمة العربية ، بشكل عام ، من أزمات حادة فى المواد الغذائية التى تستهلك قدرا كبيرا من العملات الأجنبية فتعوق خططها الإنمائية فإنها تنام فوق ثروة طائلة مهملة ، إذا استثمرتها استثمارا اقتصاديا فإنها تستطيع أن تحل مشاكلها الغذائية ، وتصدر الفائض من إنتاجها الزراعى ، وتحصل على دخل يفوق دخل البترول العربى كله .

وإما التقدم العلمى الذى بلغه غير العرب فإنه ليس معجزة أتى بها أنبياء ولا ثورة طاشت بها طبيعة ، كما أنه ليس وقفا على أحد . فالعلم مشاع بين الناس وفى وسع العرب أن يصلوا إلى ما وصل إليه غيرهم عندما يبدأون السير فى الطريق العلمى وتوفير ظروفه وإمكانياته صعودا إلى المستقبل الأفضل ، من خلال التطور العلمى المستمر .

٢

نحن العرب لا نختلف على (ضرورة اللحاق) بشعوب الأرض التى حققت إنجازاتها الإقتصادية الكبرى فصنعت معجزات العصر .

لكننا نختلف على (أسلوب اللحاق) بهذه الشعوب .

وليس على أعدائنا سوى أن يضربونا بأيدينا . ويطمسوا عقولنا بأقلاما . تلك الأقلام التى جعلت من بعضنا (عوائق طريق) بدلا من أن يكونوا (مشاعله المضيئة) .

وكلما اشتعل الإختلاف تصاعد الحماس وتمزقت المواقف وبقيت التجزئة العربية واستمر التخلف العربى ، وتزايد النهب المنظم الغربى والشرقى لإمكانيات الأمة العربية المبعثرة فى كيانات منفصلة .

فالتكامل الإقتصادى العربى ليس إحساسا عاطفيا تثيره ذكريات الماضى وأمجاده بقدر ما هو مصلحة قومية ووطنية وفردية يثيرها الطموح والتطلع إلى مستقبل أفضل .

والنظرة إلى مستقبل أفضل نظرة إقتصادية ، لأن الإقتصاد لغة الحياة ، حياة الحاضر وحياة المستقبل ، والإقتصاد يعتمد على لغة الأرقام ، أى لغة الحقائق .

ولغة الحقائق تختلف عن لغة العواطف ، وعن لغة الشعارات ، وعن لغة الشعر بأوزانه وقوافيه .

والحقائق تنطق بأن الوطن العربى متكامل إقتصاديا . حيث توجد فيه أقاليم ذات موارد مالية بغير مجالات تستوعب استثمار هذه الموارد إقليميا ، وأقاليم ثانية تتمتع بموارد طبيعية بغير طاقة لإستثمار هذه الموارد ذاتيا ، وأقاليم ثالثة تفيض بالموارد البشرية الفنية ذهنيا ويدويا لكنها تفتقر إلى الموارد المالية والظروف الطبيعية التى تستثمر عمالة كل هذه الموار البشرية .

الأقاليم الأولى تملك طاقة التحرك الإقتصادى ، بينما تملك الأقاليم الثانية موضوع هذا التحرك ، وتملك الثالثة القدرة على إحداثه .

وحتى تدور العجلة الإقتصادية الوطنية والقومية بالمعدل المناسب لحجم هذه العناصر الهائلة ينبغى علينا الإسراع بالتخطيط الذى ينظم ارتباط هذه العناصر المتكاملة ، بأسلوب خلاق يحقق الاستفادة الكاملة والقصوى من هذه العناصر ، حتى يمكن بناء إقتصاديات وطنية فى كل إقليم عربى بشكل متكامل ومتساند داخل الإطار الإقتصادى القومى .

وبغير ذلك سيستمر كل إقليم عربى يعاني من مشاكل الإنفراد بأحد العناصر وغياب العناصر الأخرى ، التى بغيرها لا يمكن أن ينمو إقتصاده الوطنى بالكيفية القياسية العصرية ، وبالتالى سنظل نسمع هنا وهناك عن مشاكل هجرة الأموال وهجرة الخبراء والفنيين إلى خارج الوطن العربى .



إذا اتفقنا على إقامة الكيان الإقتصادى العربى الكبير فى دنيا الكيانات الإقتصادية الكبيرة فعلينا أن نزيل من طريقنا جميع العقبات والشعارات التى تعوق مسيرتنا العربية نحو بلوغ هذا الهدف الكبير ، الذى بدونه سوف نستمر نحلم بالمستقبل السعيد ولا نهرب من الواقع الحزين .

من أجل ذلك ناشدت مصر ، قلب العروبة النابض ولسانها الفصيح ورائدها الحضارى أن تسرع بإعادة النظر فى الفلسفة والشعارات والمفاهيم التى مزقت شمل العرب ، وحالت دون تكاملهم الإقتصادى ، الذى هو الأساس الأول فى بناء صرحهم الحضارى ، وذلك فى محاضرة ألقيتها بمجلس الشعب المصرى يوم ١١ مارس ١٩٧٥ حضرها الزميل الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس وزراء مصر وعدد من الوزراء ، ووزراء المال والإقتصاد السابقين ورؤساء البنوك وأساتذة الجامعات وخبراء الإقتصاد العرب والأجانب .

ناديت فى هذه المحاضرة بإعادة النظر فى الفلسفة السياسية والنظم الإقتصادية المصرية .

فالفلسفة والشعارات التى تختارها الدولة فى ظروف معينة ليست قرآنا نزل من السماء لا يجوز نسخ آياته فى غياب جبريل ، وإنما هى إجتهادات خاصة ، فى ظروف محددة ، وبعقول معينة لا تفترض ثبات الظروف ، ولا تقطع بجمود المتغيرات ، ولا تستبعد ظهور عقول أخرى فى أوقات لاحقة تكون أكثر إتصالا وأكثر معرفة بأحوال الشعوب التى تتطور فى إسلوب (ميكانيكى) متحرك وبصفة (ديناميكية) مستمرة .

وهذا ما ينفى عن فلسفات التطور صفة النظرية المطلقة ، ويحصرها فى إطارها المرحلى . والقول بغير ذلك معناه تجهيل للعلم باسم العلم ، وتجميد للتقدم باسم التقدم .

ناديت فى هذه المحاضرة بضرورة اسراع مصر إلى إعادة النظر فى ميثاقها القومى وتصحيح مسارها الإقتصادى ، حتى تستعيد الظروف الملائمة فكريا وتنفيذيا وإعلاميا ، لوضع حجر الأساس فى صرح التكامل الإقتصادى العربى ، الذى هو الركيزه الأساسية للتطور الحضارى القومى ، والسلاح الأعظم فى المعركة الحضارية التى تدافع فيها الأمة العربية عن مصالحها الحيوية ، وتثبت منها حقها المشروع فى النهضة والتطور ، وتمارس عليها قدرتها المتكاملة القادرة على الإشتراك المؤثر فى صنع الحضارة الحديثة .

ولا يتحقق التكامل الإقتصادى العربى عن طريق الإكتفاء بمنح القروض العربية للإقتصاديات الإقليمية ، وإنما يتحقق عن طريق الإتفاق على تخطيط إقتصادى قومى ، تنبثق عنه مشروعات استثمارية مشتركة سواء على مستوى كل البلاد العربية (إذا أمكن) أو على مستوى بعض هذه البلاد التى تربطها روابط خاصة ، لأن الارتباط (الممكن اليوم) بين البعض يؤدى إلى الارتباط (الممكن غدا) بين الكل . وبالتالى يتحقق الارتباط السياسى الذى ينشأ بالضرورة للحفاظ على الارتباط الاقتصادى .

كما لا تتحقق النتائج الإقتصادية الكاملة إذا انحصر التعاون الإقتصادى بين الحكومات العربية ، لأن مثل هذا التعاون يعتبر بمثابة (تعاون قمة) معلقة فى الهواء على غير قاعدة أرضية ثابتة .

ولهذا يلزم تشجيع المواطنين فى البلاد العربية التى تشترك فى هذا التخطيط على القيام بمشروعات مشتركة حتى تنشأ فيما بينهم ارتباطات إقتصادية خاصة ، فتوجد القاعدة الأرضية الجماهيرية التى تحمى (تعاون القمة) وتدفعه إلى المزيد من الإرتباط والإندماج ، وتمنعه من التأثر بأى طارىء مشئوم . وهذا هو سلوك الدول الناهضة .

فالدول الناهضة تجعل أبناءها يعيشون فى الأمل ، يبتسمون للمستقبل .

والدول أفراد جمعتهم روابط مشتركة فى مصالح مشتركة . مصالح يحققها الفرد بنفسه ، ومصالح تحققها الجماعة ممثلة فى قدرة الدولة ، التى ينبغى أن تستخدم قدرتها فى استمالة كل مواطن كى يبذل أقصى جهد اقتصادى يستطيع أن يقوم به ، ذلك الجهد الذى لا يتوقف على إرادته وحده ، وإنما يتوقف أيضا على مدى الفرص الإقتصادية التى تستدرج أنظمة الدولة انتباهه إليها . هذه الفرص هى التى تشجع الطموح وبذل الجهد الخلاق إذا لم تقتله الدولة حين تقع فى مفاهيم غير علمية ، فتكبت الغرائز البشرية الطموحة ، مما يؤدى إلى تراخى المنتجين وتزايد المستهلكين فتدخل الدولة فى طاحونة المشاكل الإقتصادية المعروفة .

الدول الناهضة تخلق الروابط العضوية بين العمل والفائدة التى ترجى منه ، حتى ينشأ الباعث على العمل وبذل الجهد وتحمل مخاطر الإبداع والابتكار والنشاط الدائب .

والدولة لا تستطيع أن تخلق الباعث على العمل الخلاق إلا إذا مهدت بفلسفتها وتشريعاتها وأجهزتها الإدارية والإعلامية لخلق الرغبة فى التطور الشخصى والترقى الحضارى .

والدولة لا تمهد لخلق القناعة العامة بالرغبة فى التطور والترقى إلا عن طريق إتاحة فرص الإنتفاع من عائد العمل ، فى النطاق الذى يغرى الفرد على العمل وعلى زيادة العمل ، فيزداد دخله ، ويرتفع مستواه ، ويشترك فى صنع الحضارة المتطورة .

ثم يشترك فى (الإستمتاع) بنصيب فى ثمارها كما اشترك فى (الإبداع) بنصيب فى صنعها .

أما حين تمزق الدولة هذه السلسلة من أية حلقة من حلقاتها الإقتصادية فإنها تقتل النهضة الحضارية من أولها إلى آخرها .

يلزم تشجيع المواطنين الطموحين المبدعين الذين هم بناة الحضارات فى كل عصور التاريخ ، والكف عن وصفهم بأنهم فئة من الجشعين المستغلين الذين يجب سحقهم أو تضييق الخناق عليهم ، على زعم إمكانية قيام الدولة بواسطة كوادرها الوظيفية بمهمة المبدعين والملهمين من المنتجين .

ذلك الزعم الذى يتجاهل الحقيقة الأزلية ، حقيقة أن الإبداع العقلى لا يمكن أن يتحقق بالإرغام والأوامر الحكومية ، وإنما يتحقق بالإلهام والدوافع الذاتية .

فزيادة العدل الإجتماعى (عمليا) لا تتحقق إلا من خلال زيادة الإنتاج القومى (ماديا) وإذا لم تتحقق زيادة الإنتاج القومى فإن (إفقار الأغنياء) لا يؤدى إلى (إغناء الفقراء) ، إنما يؤدى فقط إلى تناقص الإنتاج النسبى وضم القادرين السابقين إلى العاجزين اللاحقين ، الذين يعتمدون على مرتبات الدولة ومعاشاتها إذا كان صدرها يتسع لذلك ، فتزداد تكلفة الإنتاج وتذوب (حلاوة) الإستمتاع بالقوانين الحماسية وسط (حرارة) الإرتفاع فى أسعار المواد والخدمات الأساسية .

ولا شك فى أن رفض سلبيات الماضى أمر مطلوب ، وهو عنصر من عناصر التطور الحضارى ومظهر من مظاهره الصحية ، كما أنه أمر سهل وميسور يكتفى بإصدار قانون على الورق فيتحقق على الفور (فك الإرتباط بالماضى .) أما(وصل الإرتباط بالمستقبل) فإنه لا يكتفى بمجرد إصدار أمر رسمى بالتطور ثم تنام الدولة ، وإنما يستلزم التوفيق فى وضع الأهداف الحضارية فى تخطيط شامل يستلزم السهر ليلا ونهارا لمتابعة نتائج هذا التخطيط التطبيقية لمعالجة ما يظهر فيها من مشاكل جانبية بعقلية متطورة ، تمارس حقها العلمى فى الحذف والإضافة حتى يتلائم التخطيط مع مسار التطبيق .

أما منع إستغلال الإنسان فإنه لا يتحقق من تسليمه وسيلة إنتاج قد لا يكون مؤهلا لإستثمارها بمقاييس العصر فيؤدى ذلك إلى إنخفاض الإنتاج الكلى للدولة .

إنما يتحقق منع استغلال الإنسان عن طريق الإحترام الكامل لمبدأ تكافؤ الفرص حتى يثبت كل إنسان مواهبه وقدراته ، مع مساعدته على ذلك ، ومن لا يستفيد من تكافؤ الفرص ولا يصقل مواهبه ولا ينمى طاقاته ولا يتقن عمله ليصعد فى سلم الرفاهية فحسابه على نفسه لأنه هو الذى يتمسك بممارسة (حقه الشرعى فى الكسل) .

والقول بغير ذلك معناه تشجيع للكسل والاستهتار والإهمال وعدم الإنضباط ، فتختل ضوابط العمل ، وتقل إنتاجيته الإقتصادية ، وينصرف المستثمرون ، ويتعذر نمو الإنتاج الوطنى ، وتزداد أعباء الدولة .

٤

نحن العرب فى حاجة إلى قيادات علمية عصرية تقود التطور الحضارى العربى فى دنيا القفزات العصرية الهائلة .

وبعد أن جربنا أهل الثقة فتمزقنا وتفرقنا وفشلنا وذهبت ريحنا فلنبدأ عصر الخبرة ، التى يقودها أولئك الذين يعرفون قيادة التطور الحضارى الذى هو مفتاح الباب المغلق الذى يحول بيننا وبين سكان العصر .

فالحكم الناجح فن ، يستخدم العلوم اللازمة وفى مقدمتها علم الإقتصاد الذى يقوم بالدور الرئيسى فى تقدم المجتمع ، ثم يضيف إليها الإلهام والإخلاص والتجرد من الذات ، مع الصدق فى تقدير ظروف المجتمع والدقة فى متابعة ما يتحقق من متغيرات فى طبيعة الفرضيات السياسية والإقتصادية والإجتماعية المتحركة ، وما يتصل بها من آثار متبادلة مع تفاعل العوامل البشرية الحية والنامية ، فى عالم تلاشت فيه أبعاد المسافات الجغرافية فتعرفت الشعوب على المسافات الحضارية التى يسودها ويقودها التغيير المستمر ، الذى لا يعبد الماضى فيركع للحاضر وإنما يصلى ويعمل من أجل مستقبل أفضل ، لا يكاد يصل إليه حتى يعتبره ماضيا متخلفا ، مهما تحقق فيه من نجاح فيبحث عن مستقبل جديد أفضل منه .

وهكذا يسير المجتمع فى طريق الحضارة ، فلا يقف عند إنجاز معين ويعتبره آخر المطاف ومنتهى الأمل ، إذ ليس للعلم آخر ، ولا للعقل منتهى ، وكلما توالت المنجزات نسخت ما قبلها من معجزات ، وكلما تقدم العلم تجاوز ما سبقه من علم ، وهكذا يذكر العقلاء دائما وفى كل العصور قوله تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم) .

فالتغيير إلى الأفضل صفة أساسية ملازمة للقرارات والمواقف السياسية والإقتصادية والإجتماعية التى يراد لها أن تظل ملائمة للظروف المتغيرة التى تتعامل معها .

لكنه ..

من بقايا التخلف فى بعض المجتمعات ألا يسلم الجميع بحتمية التغيير الذى يصحح أخطاء التجربة . وعادة ما يظل عدد من الناس يدافعون عنها . إما لأنهم من خلال هذه الأخطاء يستثمرون مواقع شخصية ثمينة تفرض عليهم الحفاظ عليهم . وإما لأنهم لا يعرفون غير الأساليب المتخلفة فى العمل ، ولا يشعرون بالقدرة على ممارسة أساليب أخرى يقتضيها تصحيح مسار التجربة .

وفى الحالتين تفرض عليهم مصالحهم الشخصية الذاتية أن يستمروا فى المزايدة على القميص الدموى للشعارات التى ضللت الجماهير الطيبة بالبيانات الكاذبة والوعود المستحيلة فعمقت فى وعيها غريزة الرفض الهدام .

الرفض الهدام الذى يرفض أى بديل للواقع مهما كان هذا الواقع قبيحا .

وليس الرفض البناء الذى يرفض الواقع القبيح من أجل أن يفرض البديل الجميل .

وهذا ما يضيف على أعباء القيادة العصرية أعباء أخرى إضافية ، حين ترفض الإنزلاق وراء شعبية رخيصة ومؤقتة تضحى فى سبيلها بالمصالح الحقيقية للجماهير التى ظلمها الماضى بشعاراته ، ثم أرهقها الحاضر بسلبياته .

وهذا قدر القيادة الوطنية العصرية ، التى تسعيد للجماهير مجدها ، قبل أن تسعيد هذه الجماهير رشدها .

والقيادة الوطنية العصرية هى التى لا تجد حرجا فى الإستفادة من أهل الخبرة فى جميع المجالات التخصصية .

فأهل الخبرة هم الذين يقع عليهم الدور الرئيسى فى عملية التقدم فى جميع العصور ، لا سيما فى عصرنا التكنولوجى السيبرناطيقى ، فهم الذين إذا أتيحت لهم الظروف الملائمة فإنهم فى وسعهم أن يحولوا العلم والثقافة إلى قوة إنتاجية مباشرة ، الأمر الذى لم يعد ضروريا فقط بالنسبة إلى الأمم المتقدمة حضاريا ، وإنما أصبح أكثر لزوما بالنسبة إلى الدول النامية ، التى ينبغى عليها أن تستفيد وفى أسرع وقت ممكن من إقتصاد الوقت ، الذى ظهر كواحد من الفروع العلمية التى تدرس فى الأكاديميات المتقدمة فى صور علوم عديدة ، فى مقدمتها علم الإقتصاد السياسى وعلم الإدارة وعلم النفس الفردى والعام وعلم التربية وعلم الفلسفة .

من هذا المنطلق الوطنى والقومى والعصرى .. ناشدت الأساتذة أعضاء هيئة تدريس جامعة الإسكندرية فى محاضرة ألقيتها على حضراتهم فى ناديهم يوم ٢٧ مايو ١٩٧٥ بأن يكون شعارنا الجديد هو :

(العمل العقلى المشترك من أجل الصالح العملى المشترك .

وبذلك ، ندفن ما عداه من شعارات دمرت مقومات النجاح الممكن أثناء قيامها بفرض الخيال المستحيل .

وطريقنا إلى دفن هذه الشعارات هو عدم الإصغاء إلى الكهنة المتاجرين بها ، الذين إما أن يكونوا مشدودين إليها (غير مستفيدين) من دروسها ، وإما أن يكونوا مستفيدين منها (غير مبالين) بفشلها ، ولذلك فإنهم يعارضون فى مناقشتها .

وهذه ظاهرة وبائية سائدة فى البلاد النامية ولنقل بصراحة (البلاد المتخلفة) لأن التخلف وليس النمو هو الذى يسوق إلى التقليد الأكثر والإجتهاد الأقل .

فالتعصب الأعمى أسهل على الكسالى من التفكير البصير . ولهذا لا نجد فى البلاد المتقدمة أية شعارات مقدسة ولا زعامات اسطورية خالده .

الزعيم الوحيد هناك هو العقل . العقل الذى يهذب العاطفة ولا ينساق وراءها ..

أما نحن العرب بصفة عامة فنكاد نكون تائهين بين العاطفة والعقل ، تشدنا العاطفة دائما إلى الماضى ، ولم نترك العقل يدفعنا أبدا إلى المستقبل .

ولذلك فإنه على كل مجتهد يتطلع إلى مصلحة قومية للأمة العربية أن يعمل على تهيئة مناخ الموازنة المنطقية والعلمية والإيجابية بين العاطفة العربية والعقل العربئ ، حتى تتخلص الجماهير العربية من عاداتها السلبية التى يستهويها التقليد ويفزعها التجديد ، مما جعلها تخشى المستقبل ، فعاشت مثقلة بمخلفات ورواسب الماضى .

علينا أن نفكر بعقلية مرنة ومتجددة حتى نستطيع أن نبنى المستقبل المتجدد .

والذى نتفق عليه اليوم يجب أن نجعله قابلا للتغيير غدا ، حتى لا نقف جامدين إذا ما تبينا غدا ماهو أفضل منه .

والإدراك الذى نفكر به فى وقت من الأوقات ربما نفكر بغيره فى وقت لاحق ، لأننا نكتسب من التجارب والمناقشات والأبحاث معلومات جديدة .

فالإدراك متطور ، والحصيلة الذهنية متزايدة ، والنتائج التجريبية مستمرة ومتغيرة ، وهى تتغير بتغير ظروف الموضوع الذى تتعامل معه .

إذن ..

الموضوع الذى نحكم عليه الآن ليس موضوعا جامدا (ستاتيك) وإنما هو موضوع متحرك (ديناميك) وعقولنا ليست هى الأخرى جامدة متحجرة ، وإنما مرنة متحركة تنبثق كل يوم عن أفكار جديدة أكثر إبداعا .

ولذلك علينا فى كل وقت ، أن نبحث عن المتغير الموضوعى الذى يطرأ على المسلمات التى نتفق عليها فى أى وقت ، حتى يمكننا بإدراكنا المتغير أن نهتدى إلى الأحكام الأكثر ملاءمة فى وقت لاحق .

ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس أن تعدل عنه غدا إذا تبينت خيرا منه ، هذا هو تراث الإسلام) . (الوثيقة رقم ٤٣)

٥

حاولت فى هذا الكتاب أن أوجز شرح الأسباب التى مزقت الأمة العربية ، واسقطت هيبتها ، وأذلت كرامتها ، واعتصرت ثروتها ، ثم كيف انتصر العرب عندما التأم شملهم فاجتمعت كلمتهم ، مسلمين ومسيحيين ، حتى هزموا جحافل التتاريين ، وطردوا جيوش المستعمرين الأوربيين الذين تستروا فى راية الصليبيين .

ولعل أقرب مثال لقدرة العرب العملاقة التى تنطلق عندما تتوحد كلمتهم هو انتصارهم فى معركة رمضان أكتوبر سنة ١٩٧٣ بعد أن بذل السادات ، منذ اليوم الأول لإستلامه السلطة فى مصر ، جهودا مضنية وهو يرقع الثوب العربى الممزق ، حتى استعاد ثقة أشقائه من قادة الدول العربية ، الذين كانوا من جانبهم يتطلعون مثله إلى إنقاذ المصير العربى من المستقبل المظلم ، فتعاونوا معه على إيقاظ الإرادة العربية التى أفرزت العمل العربى المشترك من أجل مواجهة الخطر العربى المشترك .

بدأت معركة رمضان أكتوبر ١٩٧٣ بقوات مصرية وسورية ، ثم اكتملت باشتراك قوات من جميع الدول العربية .

وإذا كانت هذه الدول لم تشترك كلها فى التخطيط والتوقيت للحرب ، وانحصرت أسرارها بين القاهرة ودمشق ، لدواعى السرية المطلقة ، فقد كان فى تقدير القيادتين المصرية والسورية أن بقية الدول العربية سوف تتسابق إلى الإشتراك فى القتال بمجرد أن تبدأ المعركة .

وتحقق ذلك فعلا ، لأول مرة فى تاريخ العرب المعاصر .

فعلى الجبهة المصرية اشترك لواء مشاه من المغرب ، ولواءان مدرعان من الجزائر ، وسافر الرئيس هوارى بومدين إلى موسكو حيث أبطل حجة الروس فى المماطلة بإرسال الأسلحة والذخيرة التى كانت مصر قد تعاقدت عليها قبل المعركة ، فدفع لهم مائتى مليون دولارا للإفراج عن الدبابات والصواريخ وذخيرة المدفعية التى كانت مباعة لمصر ، ومرهونة فى روسيا .

كما اشترك فى الجبهة المصرية فوجان ميكانيكيان من تونس ، وكتيبتان من الكويت ، ولواءان مشاة من السودان ، وكتيبتان مشاة من اليمن الشمالية التى تعاونت مع القوات البحرية المصرية على إغلاق بوغاز باب المندب فى وجه الملاحة الإسرائيلية .

أما ليبيا فكانت ، قبل المعركة ، قد أرسلت إلى مصر كل ما لديها من طائرات ميج ، وجميع ما عندها من وحدات مدرعة ووحدات مدفعية ، إلى جانب بقية ما كان فى حوزتها من أسلحة أخرى تولت القوات المصرية استخدامها بنفسها . كما أرسلت العراق إلى مصر عدة أسراب من طائرات هوك هانتر القاذفة المقاتلة .

وعلى الجبهة السورية اشترك لواءان مدرعان من السعودية ، التى أرسلت أيضا إلى دمشق كل ما كان لديها من طائرات لايتنج القاذفة المقاتلة وطائرات النقل العملاقة وصواريخ أرض أرض ، كما اشتركت فى هذه الجبهة ثلاثة ألوية مدرعة من الأردن ، وفرقتان مدرعتان من العراق .

وهكذا ، فى المراحل التالية من المعركة ، أصبحت جميع الدول العربية مشتركة فى القتال ، الذى توقف مرحليا بعد أن أرسلت أمريكا إلى إسرائيل نجدات عسكرية وأسلحة حديثة لم تستخدم من قبل ، أنزلتها فى مطار العريش الذى يبعد ١٨٠ كيلو مترا عن القناة ثم مطار المليز الذى لا يبعد عن القناة بأكثر من ٨٥ كيلو مترا على إثر صياح إسرائيل منادية (إنقذوا إسرائيل) .

وبالرغم من توقف القتال فإن التضامن العربى قد أثار الذعر فى قلب الصهيونية العالمية ، فأسرع الدكتور هنرى كسينجر إلى مصر حيث أنذر السادات إنذارا صريحا ونهائيا بأن أمريكا لن تسمح بهزيمة إسرائيل ، وإنه إذا استأنفت مصر القتال فأن أمريكا لن تتردد فى القيام بتدمير جميع المنشآت العسكرية والمدنية فى سائر أعماق الأراضى المصرية .

ولم يكن ليغيب عن ذاكرة السادات ، أو غير السادات ممن يتابعون أحداث التاريخ ، ما فعلته أمريكا فى فيتنام عندما توقفت المفاوضات الأمريكية الفيتنامية فى باريس ، حيث قامت القوات الجوية الأمريكية ، فى عشرة أيام ، بتدمير عشرة أمثال ما دمرته خلال سنوات الحرب الفيتنامية كلها ، ولم تترك أى هدف عسكرى أو مدنى إلا دكته بقنابلها وبأحدث ما توصلت إليه الإختراعات الأمريكية العسكرية ، فاضطر المفاوض الفيتنامى إلى العودة إلى مائدة المفاوضات مع أمريكا .

لم يتهور السادات ويقامر بالدخول فى معركة سافرة مع أمريكا التى وعد مندوبها كسينجر بفض الإشتباك العربى الإسرائيلى وسحب قوات الثغرة الإسرائيلية ، على طريق الحل الشامل للقضية العربية .

ولم ينس كيسنجر ، قبل أن يغادر مصر ، أن يستثمر التهديد الأمريكى الذى حرمها من حرية إختيار الحل الذى تفضله أكثر من غيره ، فأعاد غرس بذور الخلافات العربية بعد أن توحدت الأمة العربية من الخليج إلى المحيط ، ودخل سلاح البترول فى المعركة العربية الصهيونية ، ووقف العالم الإسلامى كله مؤيدا الحقوق العربية المشروعة وفى مقدمتها استعادة القدس العربية . مما وضع الصهيونية العالمية فى موقف حرج لأول مرة منذ أن غرست الكيان الإسرائيلى الصهيونى فى قلب الأمة العربية .

ورغم بذور الفتنة العربية ، التى أعاد كسينجر غرسها وبعثها من مرقدها ، استمرت أغلبية الدول العربية متماسكة مترابطة تعالج أمراض الفتنة بالكياسة والحكمة . واستمرت السعودية ودول الخليج فى تمويل جميع المشتريات المصرية من الأسلحة منذ سنة ١٩٧٤ حتى نهاية سنة ١٩٧٦ حيث كانت الصهيونية العالمية مع نهاية تلك السنة ، قد استكملت مخططها فى اختلاق الأسباب التى انتهت إلى الوقيعة بين مصر من جانب والسعودية ودول الخليج من الجانب الآخر ، وهى الدول النواة التى تستقطب التكتل العربى .

ولم يقتصر دهاء كسينجر على استثمار التهديد الأمريكى فى حياة السادات ، بل تعدى كل ذلك إلى استثمار موت السادات نفسه ، فقاد كسينجر حملة صهيونية إعلامية ونفسية ، كان هدفها الأخير هو ذات هدفها الأول ، وهو العمل المستمر والمتجدد الذى يستهدف تمزيق الصفوف العربية . فنشر فى مذكراته بعد موت السادات زاعما أنه كان فى وسع مصر ، أثناء مفاوضات فك الإشتباك المدعمة بالتهديد الأمريكى ، أن تحصل على أكثر مما أعطته أمريكا بعد أن سمحت به إسرائيل .

فكانت هذه المذكرات منطلقا لعدد من الكتاب والسياسيين العرب الذين أسهموا ، عن قصد أو غير قصد ، فى تنفيذ المخطط الصهيونى الذى يستهدف إجهاض الإنتصار العربى وإضافته إلى رصيد التفوق الإسرائيلى .

ولا أدرى كيف يصدق أحد العرب ما يزعمه كيسنجر ، حين يدعى أن السادات كان فى وسعه أن يظفر بأكثر مما جادت به الولايات المتحدة ، بعد أن حمل إليه كسينجر بنفسه التهديد الأمريكى بتدمير المنشآت العسكرية والمدنية فى سائر أنحاء الأراضى المصرية ؟

لكن كسينجر يذكر النصر العربى وينسى التهديد الأمريكى .

على كل حال ، فإن كيسنجر (الصهيونى أولا والأمريكى أخيرا) رجل عظيم الدهاء وواسع الحيلة ولذلك استحق ، عن جدارة ، لقب « نبى إسرائيل » الذى منحته إياه جولدا مائير ، عندما أنقذ إسرائيل من الهزيمة الشاملة المحققة عند بداية المعركة ، ثم أخذ يعيد تمزيق الصفوف العربية بعدها ، مستغلا منصبه كوزير للخارجية الأمريكية ، فاستخدم جميع ما توصل إليه ذكاؤه المفرط من أساليب الضغوط العسكرية والإقتصادية والنفسية ، مستعينا بالأقلام الصهيونية وبعض العقول العربية ، ومستندا على المناخ العربى الذى استمر عدة قرون لا يكاد يشعر بأخطاره الإنعزالية الإقليمية وغياب الشخصية القومية ، حتى توارث العرب سهولة العودة إلى الفرقة العربية وصعوبة التمسك بالوحدة القومية .

فبعد أن تضامنا فانتصرنا فى معركة رمضان أكتوبر ١٩٧٣ عدنا سيرتنا الأولى فتفرقنا واختلفنا من بعد ما جاءتنا البينات ، وبدلا من أن تظهر بيننا أمة من المفلحين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ظهرت بيننا أمم تدعو إلى المنكر. وهى تروج بيننا ما يشتت شملنا ويمزق صفنا ويقضى على وحدتنا الوطنية والقومية .

فأصبحنا الآن ، نحن معشر العرب ، على مقربة من كارثة قومية كبرى ، أراها تهرول فى الطريق إلينا .

إلينا كلنا .. دون إستثناء لأحد منا .

كارثة كبرى يهون معها كل ما نعانيه الآن ، وقبل الآن ، من كوارث إقتصادية وإجتماعية وسياسية .

وإذا كانت الشيوعية الدولية تتطلع إلى إحتوائنا بالعقيدة الماركسية لأهداف استراتيجية ، وهذا خطر تتصدى له عقيدتنا الدينية (وثيقة رقم ٤٤) فإن الصهيونية العالمية تتطلع إلى إخضاعنا بالقوة العسكرية لأهداف إقتصادية ، تساندها فى إخضاعنا مصالح دولية . وألسنة عربية تتحدث بضمائر أجنبية وتكتب بأقلام صهيونية . وهذا خطر تتسع له فرقتنا العربية وعزلتنا الإقليمية وغيبتنا الدولية أمام قفزات الشعوب الأخرى التى سبقتنا إلى الحضارة العصرية ، وهداها منطق العصر إلى الإنفاق فيما بينها على اعتصار خيراتنا .

وأصبحنا نسلى أنفسنا بمتابعة قفزاتها من بعيد ، ثم نستمتع بالاسترخاء فى أحلامنا السعيدة ، وترديد شعاراتنا المجيدة وإطلاق تصريحاتنا العديدة ، مع السير البطىء على مستوى الساحة العربية ، نحو الحد الأدنى للحضارة العربية العصرية الضرورية ، ذلك السير البطىء الذى لن يجعلنا نستطيع التقريب بين المسافات الحضارية الشاسعة التى تفصل بيننا وبين غيرنا من الشعوب التى عرفت طريقها إلى الحضارة الجديدة ، ولم تقتصر مثلنا على الاسترخاء فى أحلامها السعيدة .

ولم يعد سراً على من يتابع مستقبل التطور الإقتصادى العالمى ، أن أبحاث الأقمار الصناعية أثبتت أن الجزائر ومصر هما من بين أغنى ست دول فى العالم بأسره من حيث الموارد الطبيعية والكنوز المعدنية . وتأتى القارة الأمريكية فى المرتبة الأولى ثم يليها الاتحاد السوفيتى ، ثم فرنسا فالجزائر ، ثم الصين فمصر .

وقد توصل العلماء ، من خلال هذه الابحاث ، إلى ان مصر لا تعرف حتى الان سوى النزر اليسير من كنوزها المعدنية ، لذلك فإنها لا تزال مجهدة فى مجالات ضيقة ومحدودة من مجالات التعدين ، وتحصر كل همها فى مناجم الذهب القديمة التى استنفذها فراعنة قدماء المصريين منذ الاف السنين ، وتحشر نفسها حول وادى النيل وفروعه وقنواته .

كذلك نفس الحال فى الجزائر والمملكة العربية السعودية والجمهورية العربية اليمنية ، التى ترقد جميعها فوق كنوز هائلة من الثروة المعدنية .

هذه بعض مناطق الأمة العربية التى يتأهب الغزاة المغتصبون لاحتوائها ، قبل أن يستيقظ شعب من شعوبها ، عندما يطلع على سر من أسرارها .

إلى جانب مواقع الأمة العربية الأخرى الاستراتيجية ، وحقول المواد البترولية التى تراجعت إلى المرتبة الثانية من حيث الأهمية النسبية فى جدول الترتيب الزمنى للاستراتيجية الإقتصادية العالمية ، التى رسمتها الصهيونية وجهلتها الأمة العربية .

الأمة العربية التى أهملت التفكير فى هموم الحاضر بينما تفرغ الغزاة المغتصبون للتفكير فى هجوم المستقبل .

هذه أزمتنا العربية ..

وان شئت قلت هذه الكارثة القومية ..

الكارثة القومية التى رغم اشتعال نارها وهى تشوى جلدنا ، وتسفك دمنا ، فإننا لا زلنا نتصارع فيما بيننا ، ونفتح صدرنا لكل من يمزق صفنا ، و ينهب حقنا ، ويهدم مجدنا .

واحترف بعضنا فن الإستمتاع بالكارثة ، والدفاع عن وطنية صفوفنا الممزقة ، ورحابة صدورنا المطعونة ، وتدفق خيراتنا المنهوبة ، واستقلال حدودنا المخترقة ، وعزة كرامتنا المستباحة .

وعلى نقيض سلوكنا مع أنفسنا احترفت الصهيونية العالمية فن تنظيم صفوفها ، وتوزيع أدوارها من أجل تفريق الجماعات ، وتمكين الأقليات من السيطرة على رقاب الأغلبيات فى معظم الدول وجميع القارات ، ويشهد على ذلك عالم الإجتماع اليهودى الفرنسى جورج فريدمان فى كتابه (نهاية الشعب اليهودى) الصادر سنة ١٩٦٧ والذى لخص أسباب عظمة اليهود فى أنها :

(تتوقف على سيطرة الأقليات اليهودية فى ١٠٢ دولة على مراكز اتخاذ القرار ، حتى تتمكن هذه الأقليات من توجيه طاقات هذه الدول لمساندة إسرائيل ، التى تمثل الفرقة العسكرية الصهيونية المتقدمة ، والمكلفة بالسيطرة على مقدرات الأمة العربية الإقتصادية لحساب الصهيونية العالمية المتحكمة فى إقتصاد هذه الدول) .

تطورت أساليب العمل على تمزيق الأمة العربية والإسلامية مع تطور أهميتها الجغرافية واكتشاف ثرواتها الطبيعية ، كما تطورت أساليب التنسيق بين الأطماع الدولية حتى تبلورت فى توافق دولى على زرع أمبراطورية صهيونية فى الجزيرة العربية ، تقوم بتنظيم تدفق الثروات العربية إلى الإقتصاديات العالمية ، التى تتولى الصهيونية إدارتها وتوجيه سياستها .

فلم تنطلق فكرة إنشاء إسرائيل فى قلب العالم العربى ، كما سبق الإيضاح ، من مجرد الرغبة فى تجميع اليهود فى وطن قومى ، وإنما انطلقت من إدراك الصهيونية العالمية لمدى أهمية الموقع الجغرافى للأمة العربية ، وحجم ثرواتها الطبيعية واتساع أسواقها التجارية ، وتطلع أبنائها إلى استعادة أمجادها التاريخية ، التى تصر الصهيونية على دفنها والحيلولة دون بعثها .

تشهد على ذلك الوثيقة الصهيونية المعروفة باسم (الإخوان فى الدين) الصادرة فى سنة ١٧٩٨ حيث تشير إلى الأرض العربية مؤكدة (إن الموقع المتفوق على ما عداه والمتميز عن سائر المواقع فى العالم سوف يجعلنا أسياد تجارة الهند والجزيرة العربية) .

كانت الصهيونية من وراء الحملات الأجنبية التى أجهضت المحاولات العربية التى استهدفت إحياء التضامن العربى والتكامل الإقتصادى على امتداد الساحة العربية ، التى تملك جميع المقومات البشرية والموارد الطبيعية القادرة على خلق الكيان الإقتصادى العربى ، الذى يضارع الكيانات الإقتصادية العالمية .

ومن أجل القضاء على اجتماع شمل العرب اتقنت الصهيونية ترويج الشعارات العربية التى تغوص أحيانا بالصراع العربى إلى أعماق الرواسب القديمة ، وتطفو أحيانا أخرى إلى سطح المسميات الجديدة وتقف الصهيونية من خلف ستار توزع الأدوار على ألسنة المتصارعين العرب وألسنة ركائزها من الملقنين الدوليين فمنهم من يتحدث إلى العرب من الشرق فيلوى لسانه على اليسار ، ومنهم من يتحدث إلى العرب من الغرب فيلوى لسانه على اليمين ، ويستمر الصراع بين الأخوة العرب ، وتعتصر الصهيونية دماءهم جميعا ، دون استثناء لأحد منهم .

هيأت الصهيونية مناخ التمزق العربى حتى نجحت سنة ١٩٦٧ فى إغماد خنجرها المسموم فى جسد الأمة العربية ، ثم نجحت فى إعادة تمزيق الأمة العربية التى تضامنت فى معركة الإنتصار فى رمضان أكتوبر ١٩٧٣ ، فأصبحت إسرائيل القوة الضاربة فى المنطقة العربية والسلطة المتحكمة في مسارها ، كما أصبحت على مقربة من هدفها الأساسى وهو السيطرة على ثروات الأمة العربية .

وبتزايد التمزق العربى ، تضاعفت المشاكل الإقتصادية في دول المواجهة وفى مقدمتها مصر حيث تصدت لها الصهيونية بكل ركائزها الدولية ، حتى أحكمت الحصار الإقتصادى الدولى حولها كى تعجز على حل معضلاتها الإقتصادية التى تراكمت عليها خلال سنوات الحرب ، ثم تزايدت فوقها خلال سنوات الإنتصار .

حيث كان لحرب رمضان أثران متناقضان .

الأثر الأول : ارتفاع الروح المعنوية العربية .

الأثر الثانى : تزايد الأزمات الإقتصادية لدى دول المواجهة العربية وفى مقدمتها مصر ، لأن استخدام سلاح البترول وما صاحبه من مضاعفات إقتصادية دولية أدى إلى ارتفاع سعره العالمى ، فلجأت الدول الصناعية إلى تعويض هذه الزيادة برفع أسعار صادراتها ، ودفعت دول المواجهة العربية وفى مقدمتها مصر . كل الثمن ، لأنها لم تستفد من زيادة سعر البترول وتحملت زيادة أسعار وارداتها الصناعية والغذائية ، إلى جانب تكاليف مرافقها العامة التى أهملتها أثناء قيامها باعتصار قوت شعبها فى حرب مستمرة مع إسرائيل ، ومن خلفها الصهيونية العالمية .

هكذا تناقض الأثران .

فبينما أدى ارتفاع الروح المعنوية العربية إلى مزيد من حماس بعض المتطرفين فى دول المساندة ، أدت الأزمات الإقتصادية إلى مزيد من معاناة جميع المرابطين فى دول المواجهة .

وعزفت الصهيونية على أوتار هذا التناقض .

روجت شعارات التطرف لتحقيق المزيد من حماس البعض فى دول المساندة لتحول دون السلام ، وعمقت (بواسطة ركائزها العالمية والمحلية) أسباب المعاناة الإقتصادية فى دول المواجهة لتحول دون الحرب .

فنجحت الصهيونية فى إبعاد مصر عن العرب بسبب (اللاحرب واللامساعدة) ، ونجحت فى إبعاد العرب عن مصر بسبب (اللاسلام واللا اتفاق) .

وبدلا من أن يعيد العرب النظر فى أسباب التمزق العربى والنجاح الصهيونى انشغلوا فى معارك السياسة العربية التقليدية التى تغذيها الصهيونية ، وتحولت اللاءات الثلاث التى اتفق عليها العرب فى الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) إلى لاءات ثلاث جديدة هى : لا اتفاق على الحرب ، لا اتفاق على السلام ، لا اتفاق على إنقاذ الأمة العربية من السقوط فى الهاوية الصهيونية .

وانتقلت الصهيونية إلى الخطوة التالية فى مشوارها الطويل الذى لا يتوقف عند منابع البترول فى الخليج ، وإنما يتطلع إلى جبال الذهب والمعادن الغالية فى الحجاز ، ومن بعدها اليمن ، ومن قبلها لبنان وبقية الشام ، ومن النيل إلى الفرات .

شغلت العرب بحرب أيران والعراق التى نسفت لها مفاعلها فى وضح النهار لتنسف معه شعار الصمود والتصدى الذى تزعمته العراق فى مؤتمر بغداد ، ومع ذلك وقفت مصر إلى جانبها لحماية أراضيها العربية لأسباب قومية .

زينت الصهيونية لسوريا الإنضمام إلى إيران لإخراج العراق من ساحة التأثير العسكرى العربى ، وتأصيل جذور العداوة بين القيادتين الحاكمتين فى كل من بغداد ودمشق ، رغم انتسابهما إلى أبيهما الشرعى حزب البعث العربى الإشتراكى .

وتولت الصهيونية مساغدة إيران لتهديد واستنزاف دول الخليج ، ومكافأة الدول الصناعية التى ارتفع عليها سعر البترول ، والتى يسعدها تدمير المنشئات العسكرية والمدنية فى إيران وفى أية دولة من الدول العربية ، كى تستمر الدول الصناعية فى إعادة التسليح والتشييد ، فتتمكن من اجتياز أزماتها الإقتصادية ، بالإضافة إلى حصولها على المساعدات المالية التى تدفعها لها الدول العربية ، ليس أملا فى معونة الدول الصناعية المستحيلة ، وإنما سعيا وراء حيادها الممكن الذى ليس حيادا بين الشرق والغرب ، أو بين الدول العربية والصهيونية العالمية ، وإنما بين العرب والعرب .

ثم احتلت الصهيونية لبنان وتصدت للأنياب السورية ، وطردت القوات الفلسطينية ، وتوسعت فى بناء المستوطنات الصهيونية ، وغدا يأتى الدور على الأردن كما جاء فى رسالة الملك حسين التى سلمها بيده للرئيس الأمريكى فى إحدى زياراته لواشنطن سنة ١٩٨٣ فكشف تفاصيلها المعلقان الأمريكيان رولاند إيفانز وروبرت نوفاك فى صحيفة واشنطن بوست الأمريكية . وسبق أن علق موسى شاريت على استقلال الأردن الذى ورد

فى خطاب بيفن فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ١٧ يناير ١٩٤٦ فقال شاريت (إننا لم نسقط الأردن من مشاريعنا قط) .

ومع ذلك يتصور بعض العرب إمكانية التماس الحل السعيد الذى يمكن أن تعرضه أوروبا فى سوق استقلالها السياسى والإقتصادى عن أمريكا ، ونسى هذا البعض أن مصلحة أوروبا تتحقق أكثر فأكثر كلما ضغطت الصهيونية على العرب ، فتجعلهم يتزاحمون على العواصم الأوربية ، فتبتسم أوروبا ويدفع العرب ، وتواصل الصهيونية ضغطها وزحفها ، ويواصل العرب السفر من عاصمة إلى أخرى .

هذه هى إحدى الحقائق المرة التى يتجاهلها معظم العرب ، وتعترف بها إسرائيل التى لم يتردد وزيرها ايرييل شارون فى إعلانها من الإذاعة البريطانية يوم ٨ ديسمبر ١٩٨٣ فقال :

(إن قتل ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية فى مصلحة الجميع بما فيهم أوروبا لأنه سيكون إنجازا هاما وخطوة كبرى للأمام) .

هذا ما قاله بالأمس ايرييل شارون ، أما الذى يسعى إلى أن يقوله غدا ، أو بعد غد ، بعد شهر أو سنة ، أو أكثر من ذلك أو أقل [إن قتل جميع الزعماء والمفكرين والمثقفين العرب فى مصلحة الجميع بما فيهم أوروبا وأمريكا وروسيا لأنه سيكون إنجازاً هاماً وخطوة كبرى للأمام] .

لقد درست الصهيونية أبعاد السلوكيات العربية التى توارثت سهولة الانبهار بالكلمات المعسولة ، والخلود إلى حلاوة اليوم دون إرهاق الذهن فى التفكير فى مرارة الغد ، فصاغت الصهيونية كل ذلك فى إسرائيليات جديدة ، لا تستهدف بها الافتراء على الرسول الكريم وإنما تتوجه بها ، وبصفة مباشرة ، إلى الفتك بأمته .

ولا أدرى هل قرأ العرب ما كتبه المؤرخ الصهيونى والترلودرميلك سنة ١٩٤٤ وهو يعلل طرد العرب وقيام الأمبراطورية الصهيونية حيث قال أن ذلك سوف يتحقق بسبب (نشاط اليهود وكسل العرب) .[١]

وهل قرأ العرب أيضا ما كتبه الصحفى اليهودى أشرز فى جنسبرج فى أبريل سنة ١٨٩١ حين سجل للتاريخ قائلا (إن العرب يرون ويفهمون ما نفعله وما نبتغيه فى فلسطين ، لكنهم لا يقابلون هذا العمل بأى عمل مضاد ، ويتظاهرون بأنهم لا يلاحظون شيئا) .[٢]

والذى نبتغيه الصهيونية الآن بعد نجاحها فى طرح نموذج الرائد سعد حداد فى لبنان أن تفرض هذا النموذج فى بقية ما تسعى إليه من البلدان ، لأنها لا تكتفى باستثمار الأموال العربية المودعة فى البنوك العالمية ، الخاضعة للسيطرة الصهيونية ، وإنما

(١) Walter Clay, Lowdermilk, Palestine, Land of Promise London 1944

(٢) مجموعة أبحاث جنسبرج عن (الصهيونية) لندن ١٩٢٢

تسعى إلى السيطرة على مصادر هذه الأموال بصفة مباشرة ومن المنبع ، دون أن يكون للعرب أى حق عليها سوى مجرد العمل لديها . وليست مأساة الهنود الحمر ببعيدة عن ذاكرة التاريخ الحديث ، حيث بدأت بوصول قارب واحد إلى شاطىء أمريكا الشرقى ، وبعد ذلك تفوقت البنادق والمدافع لأنها كانت أبعد مدى من السهام والرماح .

هذه سنة الحياة ..

والحياة أولا وأخيرا صراع . صراع بين البقاء والفناء . بين القديم والجديد . بين الطبيعة والإنسان . وبين الإنسان والإنسان . وعندما ينتظم الصراع يأخذ صورة التعاون . والتعاون فى جوهرة تبادل سلمى بين المصالح المتنازع عليها . لكن الأقوى لا يرضى عادة بالتعاون وإنما يفرض نفوذه ليحصل على نصيب الأسد . ونصيب الأسد ليس ظاهرة قاصرة على الغابة . وإنما هو حقيقة سائدة فى المجتمع الإنسانى . تستحى من القانون . والقانون فى المجتمع الدولى قانون الأقوى . والأقوى دوليا لا يتقيد إلا بتوازن القوى .

ونحن لن نتوازن مع قوة الصهيونية العالمية إلا بالإقتصاد العربى القومى الذى يتوازن مع مستوى قوتها الحضارية ، ويحجز للعرب مقعدا حول مائدة المؤثرين فى السياسة الدولية .

وإلا فإن الأمبراطورية الصهيونية فى طريقها إلى فرض سيطرتها على الأمة العربية .

هذه خطة الصهيونية منذ وعد بلفور ، الذى أكد الهدف من إنشاء دولة يهودية فى فلسطين فظهرت أصوات صهيونية تعارض الإكتفاء بفلسطين ما دامت الأمة العربية (فطيرة سهلة الهضم) . بينما رأى صهاينة آخرون أن الحكمة تقتضى من اليهود التأنى وابتلاع الأمة العربية (لقمة .. لقمة) كما أكد السير لورى همند أحد أعضاء لجنة بيل فى اجتماع عام سنة ١٩٣٨ حين قال (ستجدون أن الوطن القومى فى فلسطين سيكون الخطوة الأولى .. سيأخذ ذلك العمل سنوات ، ولكنه سيتحقق)[١]

ولقد فطن الأستاذ الدكتور طه حسين إلى هذه الحقيقة العربية المرة فسجلها فى كتابة (مرآة الإسلام) الصادر سنة ١٩٥٩ فى صفحة ٣٠٦ حيث قال :

(وما أحب أن أثبط الهمم ، ولا أن أفل العزائم ، ولا أن أشيع اليأس ، ولكنى أقول ما أقول تقوية للأمل ، وتمضية للعزم وإلحاحا مع الملحين فى أن يثوب الناس إلى أنفسهم ، ويتمثلوا هذه الآماد البعيدة أشد البعد بينهم وبين قدمائهم من جهة ، وبينهم وبين الأمم الحديثة المتحضرة المسيطرة على العالم الحديث من جهة أخرى . ليعلموا أن الطريق بينهم وبين الرقي الصحيح طويلة شديدة الطول ، شاقة عظيمة المشقة ، وأنهم قد أتيح لهم الآن شىء من يقظة تمكنهم من أن يختاروا إثنتين : إحداهما أن يظلوا كما هم الآن أيقاظا كالنيام . ونياما كالأيقاظ . فيتعرضوا لخطوب أشد هولا وأعظم أثرا من الخطوب التى تتابعت عليهم . والثانية أن يستيقظوا حقا ويستدركوا ما فاتهم حيث وقفوا ومشى الناس ، ليصبحوا أكفاء لقدمائهم من جهة ، وأندادا للذين يحاولون أن يستذلوهم

(١) Jweish Chronicle 13 May, 1938

من جهة أخرى . ويجب عليهم أن يذكروا أن حكامهم من الأجانب في العصور الماضية كانوا جهالا ففرضوا عليهم الجهل ، وأن الطامعين فيهم الآن بعيدون كل البعد عن الجهل ، فسيكون ظلمهم لهم أقوى وأعنف من ظلم حكامهم الأجانب فيما مضى) .

وتأكيدا لما سبق أن رآه الدكتور طه حسين بنافذ بصيرته فإن الحكام الأجانب أو الغزاة الجدد قد أثبتوا أنهم بعيدون كل البعد عن الجهل ، فقد درسوا نفسية الأمة العربي ، حكاما ومحكومين ، وعرفوا ردود فعلهم أمام كل المواقف دون استثناء . فاتقن الغزاة قدرتهم على تزويد العرب بالمقدمات التى تجعلهم يزودون الغزاة بالنتائج التى يطلبونها .

فإذا وجدوا أن اتفاقنا فى مصلحتهم قدموا لنا مروجات الإتفاق . وإذا لقوا أن اختلافنا ينفعهم هيأوا لنا مبررات الإختلاف .

وأصبحنا أداة فى أيدى الغزاة .

حين نتفق فإننا نتفق ضد أنفسنا .. وحين نختلف فأننا نختلف ضد مصلحتنا .

ولا ندرى لماذا أتفقنا .. أو لماذا اختلفنا..

لأننا لم نفهم أنفسنا فلم نعرف مصلحتنا .

واندفعنا مع التيار..

لا ندرى أين القرار..

القرار الذى أرادته الصهيونية فاندفعت إليه الأمة العربية ، حين تمكنت الصهيونية من إقناع بعض العرب بمروجات الارتماء بين مخالب الشرق باسم التصدى للإمبريالية ، وخداع البعض الآخر بمبررات الاحتماء بين مطارق الغرب باسم التصدى للشيوعية .

ثم استمالت موسكو إلى التوسع السوفيتى حتى استعانت بأمريكا وهى تفرض التوسع الصهيونى .

وبين مخالب الشيوعية ، ومطارق الامبريالية ، وغياب الشخصية العربية ، برزت أنياب الامبراطورية الصهيونية .

شهد على ذلك بريجينسكى مستشار الأمن القومى السابق للرئيس الأمريكى حين علق على الإتفاق الإستراتيجى الأمريكى الإسرائيلى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٨٣ فوصفه بأنه (يجعل من القوة الأمريكية أداة لتنفيذ السياسية الإسرائيلية) .

ويعرف المفكرون المتأملون فى حركة التاريخ أن الأطماع الصهيونية إذا كانت تستعين بالأمريكيين اليوم فإنها ، فى نفس هذا اليوم ، تعرف أنها سوف تعلن تحالفها مع الروس غدا .

فبعد أن تحقق هدفها لن تقبل أن يشاركها فى سلطانها أحد ، سواء كان أمريكيا أو روسيا .

وهى تعرف كيف تستغل مروجات الذعر النووى ، ومبررات الحفاظ على التوازن الدولى ، فتقنع الشرق والغرب بمساعدتها وهى تقف وحدها فى (أورشليم القدس) تحكم مسار الأمة العربية لخدمة المصالح الدولية . فتمد يدها اليسرى إلى الشرق ، وتطلق يدها اليمنى فى الغرب ، وتدوس بأقدامها على ظهور الجمال الصحراوية . التى اتقنت الحرب النفسية تصويرها على أنها هى بعينها ، وبذاتها ، لا تزال الرموز الحضارية للأمة العربية فى عصر الاستراتيجية الدولية والتكتلات الإقتصادية العلمية والعقول الالكترونية .

ولايفيد الصهيونية وهى تدوس على ظهر أحد من العرب أن يكون مسلما أو مسيحيا ، ولا يؤذيها أن يكون شيعيا أو مارونيا ، ولايزعجها أن يكون درزيا أو علويا ، ولا يؤلمها أن يكون سنيا أو قبطيا ، كما لايمنعها أن يكون حليفا لروسيا أو صديقا لأمريكا .

فكلهم وجميعهم فى نظر الصهيونية هنود حمر ، سقطت دولتهم ، وتمزقت صفحتهم ، وانتهت قصتهم .

فلم تعد الكارثة العربية مجرد احتلال فلسطين .. على مرارة إحتلال فلسطين وتشريد أهلها فى العالمين .

وإنما قمة الكارثة أننا لا نعرف أنها كارثة ..

لا نعرف ..

لأن بعضنا لايعرف ..

وبعضنا لا يستطيع أن يعترف بأنه يعرف ..

وأكثرنا لا يبالى سواء أيعرف أو لا يعرف ..

وأصبحنا فطيرة سهلة الهضم يبتلعها الغزاة لقمة من بعد لقمة .

قد تأخذ هذه الكارثة سنوات لكنها كما قال لورى همند سوف تتحقق ، لأننا لانقف فى طريقها بل نندفع إليها .

هذه أزمة الأمة العربية ..

هى الكارثة القومية التى نعانى من آثارها بالرغم من جهود عدد من القيادات العربية الوطنية ، والحكام العرب الفاهمين ، والمفكرين العرب المنذرين والكتاب العرب المبشرين .

لقد ضاعت جهودهم سدى حيث لم تتكاتف معهم كل الجهود العربية المخلصة ، ولم تشد من ازرهم كل الأيادى القومية الفتية ،فأخذت الكارثة تتفاقم يوما بعد يوم ، وكأننا فى مجموعنا نصر على توريثها لاولادنا والأجيال القادمة من بعدنا ، ونرفض أن نأخذ منها دروسا مستفادة مكتفين بأن نرقص على طعناتها كالطيور الذبيحة ، التى كدت أشك فى أنها مثلنا لا تحس بألم .
هذه ازمة الأمة العربية ..

بل هى الكارثة القومية ، التى كلما ظهر لها فجر مشرق دفنه ظلام دامس ، وأقلام عربية ، ذات عقول أجنبية ، قادرة على إقناع بعض قطاعات من شعوبنا العربية بأنه لا مفر من قبول الأمر الواقع ، وإقناع جيلنا بالا ننبش قبورنا حتى لا نخرج من حماية جدرانها .

وكأن عيوننا قد تعودت على ظلام القبور فأصبحت لا تطيق النور .

إلهـــى ..

أين منا أمة من المفلحين يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؟ حتى تكتمل الأجابة على الأسئلة الحائرة ..

فنعرف :

لماذا نقطع رؤوسنا بسيوفنا .

ونشترى مشانقنامن عرقنا .

ونبيع كنوزنا بأكفاننا ؟ .

لماذا نعيش المجد المدفون .

ونفخر بالكرامة المهدرة .

ثم نرضى بالمستقبل المظلم ، .

لماذا ننتحر ولا نعرف أننا ننتحر .

لماذا نحفر بأيدينا قبرنا .

وقبر من سوف يأتى بعدنا ، .

إلهـــى ..

تفرقنا واختلفنا ..

فحق علينا عذاب عظيم ..

إلهـــى ..

إننا الجلادون ..

والضحايا ..

(اللهم أنى أعوذ بك من علم لا ينفع)
صدق رسول الله

الوثائـق

وثيقة رقم ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ العزيز الدكتور عبد الرحمن البيضاني الأكرم

بعد التحية

بلغني انك مهتم بالكتابة مذكراتك عن الثورة اليمنية التي قامت في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وعن الشرفاء الذين اشتركوا في التجهيز والقيام بها منذ نكسة ١٩٥٥ التي اعدم فيها الشهيد احمد يحيى الثلايا وغيره .

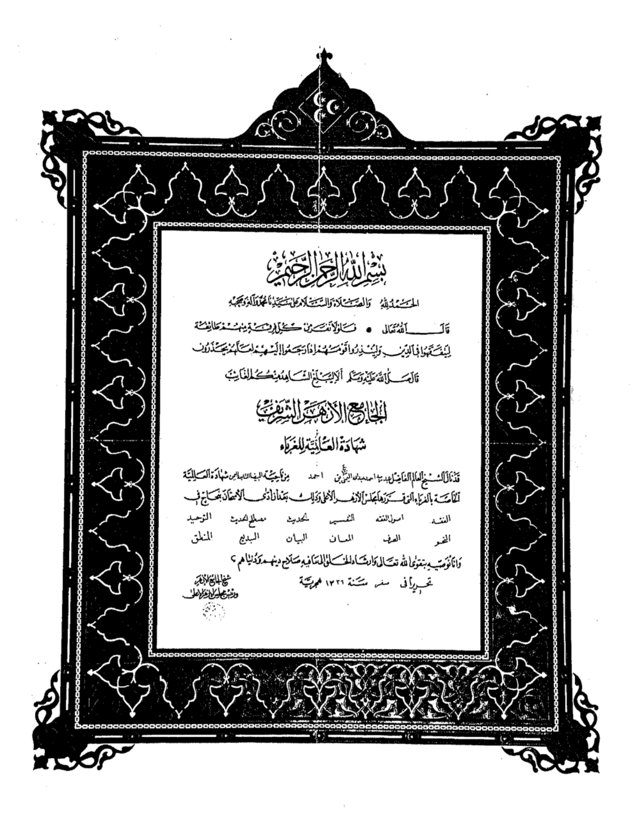
ولهذا اريد ان اذكرك بلقائي بك سنة ١٩٦٠ في القاهرة بعد عودتي من مؤتمر المواصلات السلكية واللاسلكية الذي انعقد في ليبيا حيث تم الاتفاق بيننا سريا على ضرورة القيام بالثورة في اليمن وبذل اقصى الجهود لانشاء الجمهورية اليمنية كما اتفقنا على الرموز التي تستخدم للاتصال فيما بيننا حتى تقوم الثورة .

وقبل قيام الثورة بثلاثة ايام ارسلت لكم بالبرقية التي اساسها الى فتح الاعتماد بالتاريخ والساعة وكانت عبارة فتح الاعتماد رمزا لقيام الثورة فلا تنسوا من ادراجها في المذكرات التي ستحررونها [illegible] واخيرا اتمنى لك التوفيق والنجاح لتكونوا اتماما لجهودك السابقة والتي بذلت فيها روحك لخدمة الشعب الذي عبدته دائما بعد الله وتقبل تحياتي وشكري

الفريق حسن العمري

الامضاء

١٨ ابريل ١٩٨٢



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال الله تعالى • فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون

قال صلى الله عليه وسلم ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب

الجامع الأزهر الشريف

شهادة العالمية للغرباء

قد نال الشيخ العالم الفاضل عبد ربه احمد عبدالله اليمني بن احمد من ناحية البيضاء التابعة لليمن شهادة العالمية الخاصة بالغرباء التي قررها مجلس الأزهر الأعلى وذلك بعد أن أدى الامتحان بنجاح في

التوحيد	مصطلح الحديث	الحديث	التفسير	اصول الفقه	الفقه
المنطق	البديع	البيان	المعاني	الصرف	النحو

وإنا نوصيه بتقوى الله تعالى وإرشاد الخلق إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ؟

تحريراً في صفر سنة ١٣٢٦ هجرية

شيخ الجامع الأزهر
ورئيس مجلس الأزهر الأعلى

وثيقة رقم ٣

٢٤/٢/١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأستاذ عبد الرحمن البيضاني حياكم الله

بعد التحية

أرجو أن تكونوا وجميع الإخوان بخير، أحب أفيدكم بأن الأخ أنور السادات، زار تعز وكان يرافقه سكرتيره العسكري الأخ النقيب حسن تاكل وكنت ضمن الوفد الذي أرسله الإمام لاستقباله في مطار تعز، ولقد كان لزيارة الأخ السادات تأثير كبير في الأوساط الشعبية، لا سيما وهم يعتبرونه أحد أقطاب الثورة المصرية والذي سمعوا صوته وهو يعلن قيام ثورة ٢٣ يوليو المباركة على العموم، لقد وطدت علاقتي به وشرحت له عن كل ما يقاسيه شعبنا العظيم من الإمام وأعوانه الفاسدين، كما قمت بكتابة تقرير شامل عن الوضع في اليمن، وكيف أن الحكام يحاولون إبادة هذا الشعب العربي وتشريده من وطنه بكل وسيلة، وقد قدمت له التقرير بخطي وتحت توقيعي، كما قدمت له بجانب تقريري، تقريراً آخر سلمه لي الأستاذ نعمان بدون توقيع، وطلب مني بأن أقدمه للأخ أنور السادات وقد طلبت من الأخ السادات بأن يطلعكم على التقريرين.

أما بالنسبة للأخ النقيب حسن تاكل فقد أخذته إلى سطح دار الضيافة وشرحت له كل ما تراه العين من بؤس وشقاء ودمار، ولقد شعرت بأنه تأثر كثيراً، ووعد بأنه سيقدم تقرير شامل للأخ السادات عن كل ما رآه في المدينة وعن كل ما سمعه من شرحي له. أخي عبد الرحمن، لا زلت عند رأي السابق، والذي سبق وأن شرحته لكم عدة مرات، وهو بأنه لا جدوى من الاستمرار في تأييد الإمام أو البدر أو عبد الله، ولا بد من قيام ثورة جذرية بقيادة الجيش، لذلك أرجو أن تقرأ التقرير الذي سلمته للأخ السادات وتحاول تقنعه بما جاء فيه وتقابلون سيادة الرئيس جمال عبد الناصر لكي نكسب تأييده والوقوف معنا عند قيام الثورة إن شاء الله.

ختاماً أرجو أن تتقبل تحياتي وتحيات الأخ المقدم أحمد الثلايا وجميع الإخوان

والله يرعاكم ويوفقكم

أخوكم

محمد قائد سيف

١٢/٤/١٩٥٥ بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الأستاذ عبد الرحمن البيضاني المحترم

تحية طيبة وبعد

أخي أفيدكم بأني وصلت عدن يوم ٩ أبريل بعد أن فشلت الثورة بسبب [illegible]
المقدم الثلايا بعدم قتل الإمام أحمد. ولقد سبق أن بعثت لك برسالة مع الأخ أنور
السادات أرجو أن تكونوا قد استلمتم ذلك، كما أرجو بأنك قد اطلعت على التقرير
أما بالنسبة للاستعجال لقيام الثورة، فلم يكن هناك خيار إما قيام الثورة أو
سيقضي علينا الإمام أحمد جميعاً، ولذلك لم نستطع الانتظار حتى نستكمل بقية المهام
والظروف المواتية للثورة، ولكننا على أي حال وضعنا بذرة الأساسية، ورحم
الله الشهداء المقدم أحمد يحيى الثلايا ومن كانوا معنا من الثوار، وعلى العموم فأنا
أعتبر هذه الثورة هي القنبلة الزمنية التي ستدمر الإمام وإخوته، مما يسهل على الأحرار
مواصلة مسيرة الثورة ولو بعد حين، أخي عبد الرحمن ربما تقول كيف لم يكن هناك تنسيق
بين الأحرار في الداخل والخارج وكيف لم نشعرك بقيام الثورة بواسطة الأخ
حسن شعيب القائم بأعمال المفوضية المصرية بصنعاء، والذي سبق وأن أرسلت
لي رسالة بواسطته، ولكن أخي لم أتمكن من إرسال الرد على رسالتك في حينه
ولكن أطمئنك أخي فقد كان هناك تنسيق بين الأحرار بعدن والضباط بصنعاء، فقد
أخبرنا الأخ الثلايا بأن الأستاذ نعمان والذي كان يقيم في غرفتي الخاصة
بدار الضيافة بعد خروجه من سجن حجة — فيما إذا كان الأحرار في الخارج يؤيدون
البدر — فقال الأستاذ نعمان، بأنه استلم رسالة من الأخ عبد الله عبد الوهاب صاحب
جريدة الفضول بعدن يقول فيها بأنه لا يمكن الاستمرار بالمراهنة على جواد خاسر
وقال بأنه يقصد البدر، ثم سأل الأستاذ نعمان فيما إذا كان الجيش يؤيد عبد الله
فقلت له بأنه سبق وأن دار حديث بيني وبين المقدم الثلايا وأخبرنا بأن جميع
ضباط الجيش لا يؤيدون البدر ولا عبد الله ولا الحسن، وعلى العموم أنا متأكد
بأن المستقبل سيكشف عن عناصر جديدة، فكلية الشرطة الذي بدأناها سنة أولى
سوف يتخرج منها بعد ثلاث سنوات ستون ضابطاً وسوف يكونون قادة للثورة
القادمة إن شاء الله، وقد حاولت أن أبعدهم صباح يوم الثورة من الاشتراك معنا
خوفاً على مستقبلهم، وقلت لهم عودوا إلى كليتكم حتى صدور أوامر أخرى، وقلت لنفسي
إذا نجحت الثورة فهم قادتها، وإذا لم تنجح فهم قادة المستقبل، أرجو أخي أن تستمر
بالاتصال بالأخ السادات وسيادة الرئيس جمال حتى تتحقق الآمال،
وتقبل تحياتي وتقديري وإلى اللقاء قريباً إن شاء الله

أخوكم
محمد قائد سيف



العدد التاسع

السنة الاولى

الاحد : ٢٠ جمادثاني سنة ١٣٧٩

الموافق : ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٩

الطليعة

اقرأ

في الاسبوع القادم

مؤامرة على الشعب

بقلم :

علي باذيب

حديث مع وزير اليمن في السودان

- الاصلاح الاقتصادي تفكير علمي وتخطيط فني وإرادة ومعرفة ورأس مال
- دول كثيرة استخرجت الشركات الاجنبية معادنها ولم تتقدم اقتصاديا !!

أجرى مندوب الطليعة في الحديدة الزميل عبدالله الصيقل حديثاً صحفياً قيما مع الاستاذ عبد الرحمن البيضاني وزير اليمن في السودان، وقد لمس في حديثه القيم نقطا هامة تدعو الى التفكير وتثير البحث والأهتمام وفيما يلي هذا الحديث الصحفي القيم :

اولا ــ نريد ان تشرحوا لنا من حياتكم الدراسية وعن المناصب التي شغلتموها كي تنقل للمواطن صورة عن ذلك .

الجواب ــ قضيت سبعة وعشرين عاما في الدراسة من عمري البالغ اربعة وثلاثين وتفصيل ذلك اني قضيت ثلاثة اعوام في الدراسة الاولية واربعة اعوام في الدراسة الابتدائية وخمسة اعوام في الدراسة ...

التقدم معناه التطور اي الانتقال من طور الى طور . . ومعنى ذلك ان المعرفة الموجودة عند بداية التقدم تكون كافية فقط لمجرد ادراك حاجة المجتمع الى التقدم وليست

الطليعة القوة منذ صدورها ولا اخفي عليك ان النقاش الحديث علنا هذه الأيام حول الاصلاح الأقتصادي في اليمن يسجل مرحلة كبيرة في التطور اليمني نحو مجتمع افضل وحياة اسعد وكان لابد من بلوغ هذه المرحلة قبل البدء في الاصلاح مادمنا نريد تطوراً طبيعياً تدريجياً ديمقراطياً يعتمد على اقبال المجتمع عليه اقبالاً تلقائياً ذاتياً لاعنف فيه ولا ضغط . والاقتصاديون يحسبون الف حساب لحالة المجتمع النفسية والأجتماعية والفكرية بصفة عامه ليتعرفوا على مدى استيعاب المجتمع لفكرة الأصلاح والتغيير وهل هناك قوى تعارضه او تقاليد تعوق تحويه او عادات تكره استبدال المألوف بما هو خير منه . ولاشك ان في بعض البلدان تقاليد سيئه ادت الى التخلف وتعصبا يفضي الى الجمود ولذلك يفرح كل مصلح (وهو بالضرورة مخلص) بما سجلته الطليعة الغراء من تقدم الوعي لان ذلك يدل على امكانية الأصلاح وبصفتي موظفاً في الحكومة لااستطيع ان اتحدث اليك عن الأصلاح الأقتصادي في اليمن حتى لا اقول ما قد يمكن اعتباره خروجاً على تقاليد العمل او افشاء لاسراره ولكنني اجيب على سؤالك بصفة عامة اي عن الأصلاح الأقتصادي في ذاته في اية دولة معينة بالذات على ان اقول ما اقول بصفة شخصية بحته .

ان التقدم الأقتصادي يعتمد على عناصر اساسية كثيرة أدمجها في ثلاثة عناصر رئيسية .

١ ـ ارادة التقدم الأقتصادي

٢ ـ زيادة المعرفة

٣ ـ زيادة رأس المال

ارادة التقدم الاقتصادي :

ارادة التقدم الاقتصادي معناها الرغبة في الرقي بمعيشة الانسان فيقتصد المجتمع في اساليب حياته يعني انه يرغب في حسن الاستفادة من جميع العناصر المتوفره لديه فيحسن استخدام وسائل الانتاج وطرق الاستهلاك ليكون ثروات تنتج ثروات اخرى يستفاد بها في زيادة النمو الاقتصادي وانني اقصد بالارادة معناها الواسع فيشترط ان يؤيد المجتمع هذا التقدم الاقتصادي وبغير هذه الارادة قد يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض رضي بذلك ام أبي وتحول دون هذه الاراده أسباب كثيرة منها الجهل بلهو احسن والتعصب لما هو مألوف ومنها استماتة اصحاب المصالح في الاحتفاظ بمصالحهم ومنها النفوذ الاجنبي الذى يستهدف بقاء الجمود لاغراض سياسية . ولكن التطور التاريخي اثبت ان ارادة التقدم لاتلبث ان تظهر وتفرض نفسها على الوجود فرضا ، وتساعدها على الظهور عوامل كثيرة منها نمو الوعي لدي المجتمع ومنها ادراك ذوى المصالح انه يجب عليهم ان يعطوا شيئا ليستمروا في اخذ بعض الاشياء ، ومنها ايضا بلوغ التدهور درجة تدفع المتعصب الى نبذ ارائه وقبول الافكار المنتجة المفيدة مثل الغريق الذي يأبي مساعدة غيره معتزا بقوته معتمدا على اسلوبه الخاص في ضرب الماء باطرافه بما يسميه سباحة وماهو من السباحة في شيء حتي اذا اشرف على الغرق تماما فانه لايجد مانعا من قبول اي عون وقد يتشبث باهداب حيوان مفترس املا في النجاة .

فعند ماتتوفر ارادة الاصلاح تكون قد ظهرت نقطة البداية للعمل الجدى المثمر . والأرادة هنا ارادة المجتمع وتعبر عنها السلطات المسئولة عنه المتجاوبة معه ، ولايشترط ان تتوفر الارادة لدى جميع افراد المجتمع بل يكفى ان تكون لدى الاغلبية اولدي فئة قادره على قيادة المجتمع وهي غالبا ماتكون الحكومه

زيادة المعرفة :

حاجة المجتمع الى التقدم ولست كافية لأحداث التقدم ذاته فيلزم ان تنتقل هذه المعرفة من طور الى طور ليتقدم المجتمع وينمو . من ذلك المعرفة الاداريه لتنظيم الادارة بما يكفل تخلص المجتمع من اوجه النقص والخلل في ارادته حتى لاتكون الارادة عقبة في سبيل نموه كذلك زيادة المعرفة الانتاجيه بمعنى تحسين جميع اساليب الانتاج في الزراعة والصناعة والتجارة والنقل وما الى ذلك ؛ وهذا معناه ايجاد سياسة جديدة للتعليم تتفق مع حاجات المجتمع بحيث تقدم للمجتمع الأيدي العاملة الفنية التي تحسن استخدام اساليب الانتاج للانتاج اقصى مايمكن من ثمرة بأقل مايمكن من نفقة ؛ والانتاج هنا لفظ عام يشمل جميع مرافق الحياة فالزارع منتج والصانع منتج والتاجر منتج والموظف منتج ؛ والمنتج الاكبر هو الحكومة لانها هي التي تحرك كل وسائل الانتاج . والعمل على زيادة المعرفه يجب حصر جميع الكفايات الموجوده عند بداية التقدم الأقتصادي لمعرفة اوجه الاستفادة منها واوجه النقص فيها وتوزيع الاختصاصات بحسب الكفاءات ثم تحديد الانواع المطلوبة من الثقافة من حيث الكيفية والمقدار لوضع مناهج التعليم الجديدة . ولاشك ان الكفايات الموجودة والمعرفة المتوفرة عند بداية الاصلاح تستطيع ان تقدم بدور عظيم لنجاح الاصلاح الاقتصادي بالتعاون مع الوان المعرفة الجديدة التي يتطلبها الاصلاح ؛ والعقل والحكمة : لايدعان مجالا للتنافس غير المشروع بين القديم والجديد ؛ لاسيما ان المجتمع بجميع افراده سيستفيد من ثمار الاصلاح الاقتصادي سواء في ذلك اصحاب المعرفة القديمة الذين سيفيدون المجتمع بتجاربهم واصحاب المعرفة الجديدة الذين سينفذون الجوانب الفنية من الاصلاح بخبرتهم على ضوء ماتوصل اليه العلم الحديث

البقية على ص ٧

وثيقة رقم ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة المربي العظيم والقائد المحنك الكبير والأب العطوف الكريم   الرائد صلاح المحرزي حياك الله
وحييته بتحية ملؤها التقدير والاحترام تحمل اليك ما تكنه قلوبنا من الحب والتقدير لسيادتكم
وبعد يا قائدنا ومثلنا الأعلى وقدوتنا الحسنة والضابط القدير الذي [illegible] أن يأتينا بمثلكم
ونشكو [illegible] أن تمنحنا مربيا فذا مثلكم أو معلما يشابهكم وغضبت علينا الأقدار فأرحلتكم
من شعبنا اليمني وانتم بحاجة ماسة وتركتنا هنا كالأيتام على مأدبة اللئام نتمنى قطرة من ينبوع علمكم المتدفق
أو جرعة من عطفكم وارشاداتكم المتدفقة أو كلمة من قاموس تربيتكم العسكرية الصحيحة .
لقد رحلت عن بلدنا العزيز المكبل بسلاسل الظلم والطغيان والنائم على شفا الهاوية وتركت في
قلوبنا حسرة على فراقك ولوعة ولهيبا واشتعالا لذكرياتك وتعطشا وافتقارا لمياه معلوماتك الصافية
التي تبني الأبدان وتنعش الأرواح وتهذب الأفكار وتنشئ الشباب نشأة عسكرية بحتة يعتز بها
في مستقبله ويفتخر بها مدى الحياة .
انك تعيش في قلوبنا وتحتل مكانة سامية في أفئدتنا كيف ننساك وقد عشت معنا مدة طويلة تهذب أرواحنا
وتصقل أفكارنا بعد أن [illegible] من أعقاب المدارس المدنية ونحن لا نعرف حرفا واحدا من الدروس العسكرية
وبأسلوبك الساحر وقدرتك الفذة وجهدك الليل والنهار استطعت أن تحيل الحياة العسكرية الى أفكارنا كأجمل حياة
وبأعذب أسلوب وأسهل عبارات وجعلت هذه الحياة القاسية الصعبة [illegible] الى أفكارنا حتى أصبحت
هذه الحياة حبيبة الى نفوسنا كيف لا نحترمك ونحن بها فخرنا واعتزازنا بك .
إننا سنذكرك الى الأبد وستبقى في أفئدتنا ما بقيت معلوماتك الغزيرة وما بقيت هذه المبادئ
وما دامت الأسلحة في أيدينا سنذكرك كلما سمعنا صوت انفجار قنبلة وكلما دوى في آذاننا صوت المدفع
والرشاش ودوي القنابل وسنتذكرك في استخدام الرشاش في [illegible] في المدفع وفي كل شيء .
وعندما نذهب الى ميدان الرمي سنسمع صوتك [illegible] يدوي في آذاننا وقلوبنا ونذكر ارشاداتك [illegible]
بالإرشادات ونتقدم الى أن ندخل المعركة الفاصلة بين الحياة والموت بين الحرية والاستعباد بين الجوع
والنعيم المنشود سنذكرك كلما قبضنا على أسلحتنا وكلما أطلقنا النار من فوهاتها .
[illegible] لدينا إننا نعيش معك وتعيش معنا لا في هذه الفترة فحسب ولكن ما بقيت الدماء تجري في شراييننا
وما بقيت الحياة تدب في أعماقنا .
إننا نشتاق شوق الظمآن لارتشاف المياه العذبة وشوق الطفل لرؤية أمه وشوق الأرض الجدباء
لسقوط الأمطار وشوق المظلوم المكبوت المكبل بقيود الظلم والعبودية الى رؤية طلوع فجر الحرية
نشتاق أن نسمع لك أخبارا [illegible] سواء كان في القاهرة أو في اليمن أو على ربوع أي جزء من أجزاء وطننا العزيز
الكبير فليت شعري هل ستمن علينا السماء وتحقق هذه الأمنية الغالية على نفوسنا أم ستشح
ولكن الأمل كبير ونسأل ربنا أن يجمعنا في يوم من الأيام في المعركة الخالدة معركة القومية العربية الخالدة
سنذكر أنها معركة الحياة وما أسعدنا إذا أمسينا شهداء في سبيل هذا الوطن الغالي الكبير .
قدوتي ومثلي الأعلى كم أكون سعيد لو تبعث لي بصورتك لأستمتع برؤياها وتذكرني بك دائما وكلما
نظرت اليها عادت الى ذكرى تلك المعلومات التي صببتها الى ذكري وتلك الإرشادات التي أفدتها عقلي
وسأجعلها [illegible] أحترمه وأقدسه ونبراسا يضيء أرجاء حياتي المظلمة ويحفزني للعمل لتحقيق الآمال والغايات
وسأحتفظ بها كما أحتفظ بحياتي .
أرجو أن تتقبل هذه الرسالة وأنت بخير ترفل بالصحة والسلام والسعادة والخير وقد أطلت في رسالتي هذه فاعذرني
[illegible] ولو [illegible] أن الكتابة العسكرية تتصف بالاختصار فاعذرني وداعا وسلامي عليكم

ولدكم البار
علي [illegible]   الكليب الكريم

القاهرة ٥/٤/٦٠ م

بسمه

سيادة الرائد صالح الحرزي المحترم

تحية عربية مكللة بأسمى آيات الولاء والتقدير ابعثها في الأثير إلى ربوعك الطاهرة العزيزة علينا التي تحمل في طياتها الوفاء والأخلاص وبعد :-

فأبعث هذه الرسالة من صنعاء من الكلية الحربية متمنياً لكم دوام التقدم والتوفيق في جميع اعمالكم حقاً فعندما لم تعودوا الى اليمن في المرة الأخيرة بعد [illegible] تركتم في قلوبنا جرحاً لم يندمل هذا الجرح الا عندما نراكم غداً في اليمن الجديد يمن القومية العربية والوحدة العربية.

اما عن احوالنا نحن ابناؤكم الطلبة اليوم الضباط في الغد فلا تسألوا عن احوالنا وحياتنا الباسمة فسيتضح لكم عند النجاح لكل شيء من حياة نادرة وعبور الشباب.

سيادة العزيز غاية ما نرجوه منكم ان تمدونا بمذكرات الدراسة العسكرية وبعض المراجع التي تساعدنا في حياتنا. فنحن حب الجذور الثابتة التي تحمي الدروس التي استقيناها من منابعكم من الشذرات في الاوقات التي ترعرعنا. لقد ترعرعنا وانه جميع طلبة الكلية الحربية يهدونكم ابلغ [illegible] سلام ودمتم لمن لا ينساكم ابد الدهر وانه يوفقكم والسلام عليكم

المعترف بفضلكم المخلص [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما اتحدث عن الدكتور عبد الرحمن البيضاني اجد نفسي دائما امام اكثر من سؤال .

هل ابدأ كلماتي عن هذا الجيل الذي ينتمي اليه وهو بمثابة الزهور البرية التي تنبت من بين الصخور ؟

أم ابدأ كلماتي عن الدكتور عبد الرحمن البيضاني رجل الاقتصاد واحد مشاهير الادب السياسي في جيلنا المعاصر ، الذي تتميز كتاباته بحلاوة التعبير والبساطة مع قوة التأثير والاثارة والتحليل الهادف الذي ينتقل بالقارئ الى صميم الاحداث الماضية والجارية والمستقبلة ؟

أم ابدأ كلماتي عن هذا العاشق الذي يمتد هواه من المحيط الى الخليج ويذوب عقلا وقلبا في تراب اليمن ومصر ؟

لقد عايشت احداث ما قبل الثورة عندما كنت اعمل كبيرا لمعلمي البعثة العسكرية المصرية التي قامت بأنشاء الكلية الحربية اليمنية ومدارس ومراكز تدريب الجيش اليمني ، كما عايشت احداث ما بعد قيامها قائدا لاكثر من تشكيل قتالي في اليمن الى ان توليت الاستطلاع وشئون القبائل حتى يوم ٥ يونية عام ١٩٦٧ حيث غادرت ارض اليمن لاتولى قيادة احد التشكيلات القتالية في منطقة القنطرة غرب وكان لها شرف الطلقة الاولى في يوم ١ ، ٢ يوليو ١٩٦٧ حيث بدأت معركة الاستنزاف ورفض الهزيمة .

لقد اعادتني قراءة هذا الكتاب عشرات السنين الى الوراء فاذا بالذاكرة تستعيد الماضي باحداثه وشخصياته ، واذا بي امام تسجيل امين للاحداث وضع فيها الدكتور عبد الرحمن البيضاني عصارة فكره ونبضات وعيه وادراكه .

اعادني هذا الكتاب عشرات السنين الى الوراء وذكرني بأول لقاء مع المؤلف في دار الضيافة بالحديدة واصراره على ضرورة التمسك بالصبر والاستمرار بعد ان ضاق بنا



— ٢ —

الحال من البقاء فى الحديدة دون عمل ولا سؤال من اى مسئول • وما زلت اذكر كلماته وهو يقول لنا " ان استمرار البعثة العسكرية المصرية واصرارها على الصبر وتحمل قسوة الحياة واهمال المسئولين هو واجب قومى ليس من اجل تدريب حفنه من الضباط والجنود على استخدام السلاح وضرب النار ، انما من اجل نشر الوعى وروح الوحدة الوطنية والتفانى فى الارتقاء بمستوى حياة الشعب اليمنى •• وهذا ما لن ينساه لكم شعب اليمن • "

لقد قام هذا الرجل بالكثير من اجل توفير فرص العمل والتلاحم بين اعضاء البعثه العسكرية المصرية وشعب اليمن وكان فى قمة السعادة عندما زار البعثة العسكرية المصرية ليقدم لها التهنئة على الجهد الذى بذلته فى الكلية الحربية اليمنية ومدارس ومراكز تدريب الجيش ، واذكر انى قلت له " لابد وانك اعجبت بمستوى الطلبه والجنود فى استخدام الاسلحة الحديثة ودقة الرمى " • فقال : لا •

قلت : اذن ما سبب اعجابك ؟

قال والدموع فى عينيه : "روح الالفة التى تمكنتم من خلقها بين ابناء الشعب اليمنى من الزيود والشوافع والقحطانيين والهاشميين مما يبشر بنجاح العمل على ازالة التناقض بين ابناء الشعب الواحد تمهيدا لتحقيق الوحدة الوطنية • "

لقد قاد الدكتور البيضانى المعجزة التى تفجرت فى اليمن يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وهو فى هذا الكتاب لايسرد لنا اسرار ثورة اليمن فحسب ، وانما يسجل للتاريخ ولاجيالنا العربية فى مرارة مكتومه وثورة صامته قصة الازمة ••

ازمة الامة العربية التى تكرر نفسها مع كل صحوة عربية •• مع كل ثورة عربية •• مع كل صرخة عربية ••

من اجل ان تعود شمس الحضارة العربية التى احتوتها ومازالت تحتويها اعاصير التخلف والاستعمار سواء من الشرق او الغرب ••



— ٣ —

تلك القصة التى تكرر نفسها وسماها المؤلف بأزمة الامة العربية
وكأنه يكتب بمداد من دماء شهدائنا العرب ..

اوكأنه يسجل انين امة تشكو ابنائها لابنائها ..

صلاح المحرزى

اللواء صلاح المحرزى وكيل المخابرات العامة المصرية سابقا – وكان كبير المعلمين بالبعثة العسكرية المصرية التى دربت القوات اليمنية قبل الثورة – ثم اشترك فى الجيش المصرى دفاعا عنها .



Waffenschein Nr. [illegible]

Gültig auf drei Jahre

für Herrn Abdelrahman A. Albaydany

wohnhaft in Bonn, Mondorferstrasse 7o

geboren am 9.8.1926 in Kairo

wird hierdurch die Erlaubnis zum Führen eines (1) Revolvers S.&W. G 47 24 36 - 38 Spez.

innerhalb der Bundesrepublik Deutschland

erteilt.

Bonn (Ort), den 20. Okt. 1960

(Stempel)

Der Polizeipräsident
Im Auftrage:
(Dienststelle)

Eigenhändige Unterschrift d. Inhabers

Polizei Nordrh.-Westf.
Verwaltungsgebühr
DM

Vordr. 12/51. Anlage II zu § 24 der DV. zum Waffengesetz v. 19. 3. 1938 (RGBl. I S. 270)
Vordruckverlag L. Schwann Düsseldorf

رخصة حمل السلاح الألمانية بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٦٠

لقد كان الأستاذ البيضانى اشد حذرا ويقظـة ، وكان اذكى من ان يستبد به التفاؤل بعد ان اصطبغت

ارض بلاده بدم الشاب الثائر حميد بن حسين الاحمر ووالده الشيخ حسين بن ناصر الاحمر وزميلهم البطل الشيخ عبد اللطيف بن راجح .

واننى لاذكر جيدا بالغ تفاؤلى عام ١٩٥٥ وقد وقع الامام فى الحصار ، وانقذته الصدفة من الموت المحقق .. اريد ان اقول انقذته الصدفة ولن اقول البلاهة والغفلة والجهل ، او التفاؤل ممن حاصروه وامطروا قصره بوابل من الرصاص .

ومن غريب الصدفة ان يعلن الاستاذ البيضانى صيحة الحرية عالية مدوية فى المانيا الغربية ، وينطلق فى فضاء الله الرحب حرا طليقا .. فى نفس الوقت الذى يقع صالح محسن شرف الدين السكرتير الخاص لجلالة الامام ، والخادم اللصيق به الذى قضى عمره كله فى خدمته يقع فى السجن ، ويشاع خبر اعدامه .

لقد كان الأستاذ البيضانى اشد حذرا ويقظـة ، وكان اذكى من ان يستبد به التفاؤل بعد ان اصطبغت

ارض بلاده بدم الشاب الثائر حميد بن حسين الاحمر ووالده الشيخ حسين بن ناصر الاحمر وزميلهم البطل الشيخ عبد اللطيف بن راجح .

واننى لاذكر جيدا بالغ تفاؤلى عام ١٩٥٥ وقد وقع الامام فى الحصار ، وانقذته الصدفة من الموت المحقق .. اريد ان اقول انقذته الصدفة ولن اقول البلاهة والغفلة والجهل ، او التفاؤل ممن حاصروه وامطروا قصره بوابل من الرصاص .

وفى هذه الفترة نفسها التقيت بالاستاذ عبدالرحمن البيضانى وتعرفت عليه لاول مرة ، ووجدته اشد منى حماسا واكثر تفاؤلا وعنده عدة مشاريع اقتصادية بحكم اختصاصه ودراساته ، وقد شجعه على تقديم مقترحاته ما اعلنه الامام صراحة من عزمه على تغيير الوضع فى اليمن وانه لم يبق امامه سبيل غير الاصلاح الشامل .

ولكن لسوء حظ هذه المشاريع والمقترحات والنصائح والتفاؤل انها اقترنت بقدوم شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن . وكان فى قدومه الفرصة التى لم يفلتها الامام فان الواجب على المسلمين فى شهر الله المبارك هو الاعتكاف فى المساجد والتجرد للعبادة ولقراءة القرآن والصيام والامساك عن الشراب والكلام والابتهال الى الله بطول عمر الامام .

وقد انقضى شهر الصوم وانتهت بنهايته كل المشاريع وتبددت الاحلام فقد زهد الامام فى الحياة

الدنيا وزينتها ومتاعها ورأى انه لاخير لليمن واهلها فى هذه الدنيا الفانية وان الدنيا الى زوال وما عند الله خير وابقى . فعلى اليمنيين ان يتحملوا الشقاء والبؤس والفقر والمرض فى هذه الحياة الدنيا ليعوضهم الله عنها فى الاخرة بما لاعين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقد توعد بسيفه كل من يحاول تعكير صفو الحياة الحاضرة او يدعو للتغيير ، او يفكر باى تفكير غير عبادة الله والصلاة والصيام وطاعة الامام طاعة عمياء .. وكان فى مجلسه ولى عهده ووجوه دولته وانا من الشاهدين ..وقد اعلنت توبتى من الدنيا ومتاعها وزخرفها وتطامنت ولزمت الصمت الى يوم اسعدنى القدر بالخروج فى قصة طويلة .

اما اخى الاستاذ البيضانى فقد استبد به التفاؤل بالرغم من مصارع الاولين ولعل حبه لبلاه ضاعف من تفاؤله ، ومضى فى التفاؤل الى ان اعلن صيحته المدوية ورمى المنصب الرفيع ، والمرتب الضخم ليعيش فى صفوف اخوانه الاحرار حتى تنتصر قضية الشعب التى لابد ان تنتصر ولو كره الظالمون .

احمد محمد نعمان

وثيقة رقم ١١

VNIVERSITATIS FRIDERICIAE GVILELMIAE RHENANAE

RECTORE MAGNIFICO

CAROLO TROLL

PHILOSOPHIAE DOCTORE
GEOGRAPHIAE PROFESSORE PVBLICO ORDINARIO

EGO

GVILELMVS KRELLE

RERVM POLITICARVM DOCTOR
ET RERVM POLITICARVM PROFESSOR ORDINARIVS

FACVLTATIS IVRIS ET RERVM POLITICARVM
H. T. DECANVS ET PROMOTOR LEGITIME CONSTITVTVS
IVVENEM PROBVM ET PRVDENTEM

ABD EL RAHMAN ALBAYDANY

DE KAIRO

POSTQVAM DISSERTATIONEM EXHIBVIT CVI TITVLVS EST
„DIE WÄHRUNGSREFORM IM YEMEN"

ET EXAMINA RITE SVPERAVIT

EX DECRETO FACVLTATIS IVRIS ET RERVM POLITICARVM
AD GRADVM DOCTORIS RERVM POLITICARVM PROMOVI
EIQVE SVMMOS IN HAC FACVLTATE HONORES
DOCTORISQVE NOMEN IVRA PRIVILEGIA COLLATA ESSE TESTOR
IN CVIVS REI FIDEM HAS LITTERAS SIGILLO FACVLTATIS SANCITAS
AVTOGRAPHO MEO MVNIVI

DATVM BONNAE DIE I. MENSIS SEPTEMBRIS MCMLXI

W. Krelle

عزيزي وصديقي الأستاذ محمد علي باشراحيل المحترم

[نشر في عدد ١٠ يونيو ١٩٦١]

تحية وتقديرًا

استأت أشد الاستياء لما نشر في مقتطف الصحف إني لا أنتمي، ولو كنت أريد الكتابة لكتبت باسمي الصريح ولا سيما في مثل هذا الموضوع.

أريد بهذه المناسبة أن أؤكد أن الجزء الأخير الخاص بإعادة التنظيم للاتحاد اليمني بالقاهرة، والحديث عن أعضاء هذا التنظيم لا يمثل وجهة نظري على الإطلاق. فقد أعلنت لهم أنني وإن كنت لا أشترك معهم في العمل الآن إلا أنني أتمنى لهم كل خير بل إن موقفي سيكون موقف المترقب لنتيجة هذا التنظيم.

أرجو أن تنشروا هذا التعقيب، وأرجو أن يكون معروفًا معلومًا للجميع أنني لا أزال الصديق للدكتور عبد الرحمن البيضاني الذي أكن له التقدير، وأنني [illegible] بوطنيته وإخلاصه، وكذلك الصديق الأستاذ القاسم طالب، والصديق الزميل محمد علي الأكوع.

واقبلوا جميعًا تحياتي وسلامي عليكم

المخلص

محسن العيني

القاهرة في ١٢/٣/١٩٦١

M. A. ASWADI
DANA BAZAR
CRATER - ADEN
P. O. No. 330
Tel 3539

محمد علي الاسودي
عدن، سوق الطعام
ص . ب . ٣٣٠
تلفون ٣٥٣٩

٦/٩/[illegible]

سيدي الدكتور عبد الرحمن البيضاني المحترم

اهدي اليكم ارق تحياتي

وبعد فقد كان من بواعث سروري ان اتلقى من سيادتكم أول رسالة من مواطن مثلكم له ثقافته الواسعة وشهرته في المجالات الدولية وانه لكسب كبير وفخر عظيم للوطن والمواطنين ولاسيما الذين يعملون في الحقل الوطني ان تصبح شخصيتكم العالمية سنداً لهم ومرجعاً.

سيدي لقد اطلعت على كتيبكم (الدول العربية متوكلية) ولا اعرف الحقيقة ان قلت انه [illegible] وانه احسن ما ألف في القضية بعد [illegible] ومؤامرات ولا [illegible] في [illegible] انت قد عرفت اكثر من غيرك مجمل دخائل اولئك الناس وكذا الاقتصاد اليمني يحوي من الكفاءات ما لا يدرك كثير من الناس واعتقد ان هذه القضية [illegible] مناسبة جداً [illegible] ارسلوا حوالي الفي نسخة واعتقد انها ستروج واذا لزم الامر لطبع اعداد اخرى سنشعركم. [illegible] غايب عن عدن ومنذ عودتي [illegible] سلامي للاستاذ [illegible] والاستاذ [illegible] والاكوع وغيره من المجموعة التي [illegible] لقاءهم

محمد علي [illegible]

ارجو المعذرة عما في نقص او اغلاط لكثرة مشاغلنا

وثيقة رقم ١/١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

نتشرف يا سيادة الرئيس بان نتقدم الى سيادتكم اسمى ايات الاحترام الذى يستمد حرارته من اخلص معانى التأييد لسيادتكم القومية الصامدة الخالدة التى اصبحت لحنا يشدو على كل لسان صادق وأملا ينبعث من كل قلب عامر بالايمان .

واننا لننتهز مناسبة تأهب سيف الاسلام البدر لزيارة سيادتكم بعد تلك الغيبة الطويلة فنرجو أن نحيطكم علما بوجهة نظرنا فى الموقف الحالى فى اليمن وما نتوقع ان تتطور اليه الاحداث فى المستقبل القريب غير مدعين اننا نمسك بخيوط الموقف فى البلاد او نحيط بتفاصيل البواعث على زيارة البدر لسيادتكم او بحقيقة ما يدور فى نفسه من نوايا او ما يعده من خطط . غير اننا من خلال الافق المتاح لنا ننظر الان بعين الاعتبار الى العوامل السياسية التالية .

١ ـ الامام مريض جدا ويستعد للسفر الى اوربا للعلاج ومعنى ذلك ان البدر سيكون الحاكم اثناء غياب والده .

٢ ـ المؤكد المعروف هو أن الامام يكره الجمهورية العربية بينما يقف البدر منها موقفا مائعا ، فهو يؤيدها امام انصارها من الوطنيين المصلحين اليمنيين كما يلعنها امام أعدائها الرجعيين المفسدين . وكما يقال انه يتخذ هذه السياسة ليأمن جانب الرجعيين حتى يستتب له الامر فانه يمكن القول ايضا انه متردد مذبذب لا يؤمن جانبه .

٣ ـ لا يقر النظام الامامى فى اليمن (الذى يعتمد على التفرقة العنصرية) اى تغيير اساسى فى نظام الحكم ، ولا يقبل أية مساواة بين المواطنين ولذلك فانه طليعة حرب على القومية العربية ومبادئها التى تستلزم المساواة بين ابناء الشعب .

٤ ـ انصار سيف الاسلام الحسن وهم أعداء البدر قد بذلوا نشاطا بارزا فى الوقت الحاضر ، بينما ا نفرط أنصار البدر وانفضوا من حوله بعد ان شتت الامام شملهم على مسمع من البدر مما قضى على الثقة به والاعتماد عليه .

٥ ـ كما لا يخفى على سيادتكم قد يسعى البدر الى زيارتكم محاولا اثبات حسن نيته متفقا فى ذلك مع الملك سعود وغيره من الحكام الرجعيين أملا منهم فى تمييع معركة القومية العربية التى حددت موقفها من الرجعيين والعروش ، وأملا منهم فى أن يكون وجود البدر فى معسكر القومية العربية نقطة ضعف تعرقل انطلاق ثوريتها الصريحة . واذا كان من المسلم به ان سعود لا يثق بالبدر فان هذا لا يمنعه من استخدامه فى المهمة المذكورة .

عبد الرحمن البيضانى [توقيع] [توقيع]

(٢)

٦ ـ عندما يقدر البدر موقفه الحالى يجد نفسه لا يستطيع الاعتماد على بريطانيا التى تكره الجمهورية وتعمل لحسابها الخاص فى المنطقة ولا يستطيع الاعتماد على امريكا والسعودية لتأييدهما للحسن ولا ينتظر ان تنفعه جديا الكتلة الشرقية ، وبذلك لا يبقى امامه سوى الجمهورية التى تؤمن بها جماهير الشعب اليمنى ويقف معها الاحرار . غير ان البدر قد أكد للعيان ضعفه وتنكره نحو الجمهورية بصمته المطبق على تصرفات والده وبتجنبه المرور بالقاهرة طوال الفترة الماضية مما جعل الشعب يفقد الثقة به ، تلك الثقة التى كان قد كسبها باسم ارتباطه بالجمهورية .

على هذا النحو يجد البدر نفسه عائدا الى اليمن دون سند شعبى يقيه شر الانقلاب عليه ولذلك فكر فى زيارتكم ليلتمس منكم البركة وليمحو ما تقدم من ذنوب بمجرد أن يجلس امامكم على كرسى الاعتراف ثم يتلقى من سيادتكم صك الغفران .

ياسيادة الرئيس

لذلك نعتقد انه يجدر بالجمهورية الا تمنحه صك الغفران وقبلة البركة دون مقابل ودون ضمان .

اما المقابل فلا يقل عن تنفيذ مبادئ القومية العربية وأخصها اعلان المساواة بين عناصر الامة وطوائفها والبداية الحقيقية للاصلاح الاقتصادى والاتفاق على تطوير الاتحاد القائم بما يحقق الوحدة الشاملة فى المستقبل على أن يكون فى الاعتبار احتمال عودة الامام من اوربا بعد معالجته هناك فيحطم مرة ثانية بالاحرار الذين يمكنهم أن يتعاونوا مع البدر اذا ظفروا على اثر زيارته لسيادتكم انه قد عزم على الاصلاح الجدى المستمر .

وأما الضمان فلا يقل عن اشتراط احاطة البدر باشخاص أكفاء مؤمنين بالمبادئ المذكورة ليقوموا بتنفيذها حتى لا يرتد البدر بعد أن يستتب له الامر فيفكر فى تمثيل شخصية الملك حسين أو سعود ويرتمى بين احضان الاستعمار الذى سيرحب حتما بالبدر عندما يستقر فى الحكم .

هذا ما نراه ، ونعتقد أنه ليس معنى تساهل الجمهورية فى منح بركتها للبدر دون مقابل ودون ضمان سوى تأييد الجمهورية الشعبى والدولى للبدر حتى يشتد ساعده فيرميها ، أو حتى يعود الامام فيقضى على من يظهر من أنصار الاصلاح فى اليمن .

وتفضلوا ياسيادة الرئيس بقبول عظيم التحية وخالص الاحترام .

القاهرة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٦١

عبدالرحمن البيضانى

وثيقة رقم ١٥

عدن في ٢٧ نوفمبر ١٩٦١م

حضرة الأخ العزيز الدكتور عبد الرحمن البيضاني الأفخم

تحية خالصة.

أكتب لكم أيها الأخ الكريم هذه الرسالة وأنا أحمل لكم من المشاعر أسماها
ومن الود والتقدير والإعجاب ما لا أستطيع التعبير عنه. [illegible] أشعر
بالفخر والأمل بمجرد أن أمثالكم لا يزالون [illegible] - وأدركت أن حركتنا قد أصبحت
تملك طوداً من الأطواد وعملاقاً من عمالقة الفكر، ومخططاً اقتصادياً ثورياً لا يمكن لأي
حركة اجتماعية واقتصادية وسياسية أن تنجح بدونه - ومع ذلك فلم أحاول إظهار إعجابي
أو الإفصاح عن مشاعري نحوكم لأنني لست أنانياً حقاً، أريد أن لا يشاركني في ودي
وارتياحي بكم أحداً حتى أنتم بصفتكم ذلك بالذات. واليوم أجد نفسي وأنا المعروف
في أنني المتردد الأكبر في الكتابة - أخط لكم هذه الرسالة - بالرغم من الأخ [illegible] سبق
يقول أنكم قد تفضلتم بالكتابة إلي - وحاولت التنصل من ذلك - لأنني بالفعل لم أستلم
أي رسالة منكم - وكم ستكون سروري بها - لأنني على الدوام أشعر بحرقة شاملة
جميعاً بالقاهرة - وأنتم بالذات - ودائماً أستمع للإخوان هنا يتحدثون عن كسب الحركة
بوجودكم - وضرورة الاستفادة من جهدكم - حتى يبلغ بي الحماس في دعوتهم إلى الانتقال
إذا كانت لهم فرص في القاهرة أي فرص مهمة زيارة الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضاني
والتعرف إليه - ولم يحاول أصدقائي محاولتي - لأنهم مسبقاً قد عرفوا مني ما أعني وما
أعرفه عنكم من تقدير الإعجاب -

عزيزي الدكتور

أطلعت بمزيد من الاهتمام على كتابكم الممتاز "اقتصاديات اليمن" الذي كنت أترقب صدوره
[illegible] من الصبر [illegible] إذا قلت أنكم قد وضعتم أدق الحلول لأعقد المشاكل وحللتم بدقة وفهم
جميع مشاكل [illegible] مبسط واضح للقارئ العادي مشاكل لم يكن له علم بها من قبل حلولها
أتيتم ولقنتموه وأفهمتموه وضع بلاده ومشاكلها الاقتصادية الخ. وبهذا الكتاب يا
عزيزي بدأتم في وضع معالم جديدة واضحة للاقتصاد اليمني في المستقبل وحبذا لو
استمريتم في المزيد من هذا الزاد الفكري الذي لا يستطيعه إلا من له فهم
ودراية بالاقتصاد - ولديه أيضاً منطق وعقلية الاقتصاديين الدارسين.

إنكم بالفعل تساهمون في تحريرنا وتحرير بلادنا بأسلوب هو أسلوب العصر [illegible]
أسلوب الأرقام والإحصاءات والتخطيط - فشكراً للمجهود العظيم الذي بذلتموه في هذا [illegible]

كذلك أرجو أن تعتبروا في نفسكم جنوداً مجهولين لقضية عادلة لم يعرف
العالم الخارجي المعرفة الكاملة الحقيقية - وأن تتحملوا في سبيل ذلك كل [illegible]
عنت سواء صدر لكم من الخصوم أو من الأنصار والرفاق. ولا يمكن أن [illegible]
من تأدية رسالتكم أي كائنة ما كان أو ما يكون - بل أن تستمروا في العمل [illegible]
النضال - وثقوا بأننا ومشاعرنا كلها معكم - تحوطكم بالحب والرعاية [illegible]
وفقكم الله وحقق بكم الآمال - الأخ [illegible] أزكى التحيات والاحترام
تحياتي إلى أهلكم وأولادكم جميعاً وأحبائكم والمعجبين بكم
ودمتم لأخيكم المخلص والسلام عليكم ورحمة الله

العنوان

Ali Mohamed Al-Ahmadi
House No. 109/31,
Massawa Road,
Maalla — ADEN

بسم الله الرحمن الرحيم

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

House No ....
Sirret No ....

رقم المنزل ....
شارع رقم ....

نادى شباب ابناء العدين

عدن

Nady Shabab Ab-Na El-oden

ADEN

Date .... التاريخ ١٨/ رمضان ١٣٨١ه‍

الى الدكتور عبد الرحمن البيضاني المحترم

نحييكم تحية العروبة والاسلام ونحيي فيكم [illegible] ان ابعث

الى حضرتكم [illegible] بما تكتبه في جريدة الوطن اليومية من الدفاع عن [illegible]

[illegible] من صميم قلوبنا على كشفكم على الظلام والظالمين في اليمن ونرجو

لن نتقابل [illegible] لن نتقابل بالا الارواح وارجوا

المزيد من جهادكم يا مدرسة اليمنيين [illegible]

[illegible]

[illegible] ودمتم يا بطل اليمن والسلام

[illegible] قام [illegible] عضو من اعضاء النادي [illegible] الاستاذ [illegible]

[illegible]

عبده فرحان

[illegible signature]

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلوب

اولا ـ تقرير عن نتائج الاتصال ومواصلة ذلك . ـ موجه وموعد للتجربة قبلها باسبوع .

ثانيا ـ قائمة بالمطلوب ـ بحسب الاهم فالمهم .

ثالثا ـ افهام الجماعة بتفاصيل المباحثات ثم افادتهم بما يلي .

١ ـ تخصص ٥٠٠٠ ريال لمنطقة الجنوب بنظر محمد قائد لعملية الاتصال و ٥٠٠٠ ريال لمنطقة الشمال بنظر الجماعة في صنعاء لعملية الاتصال . واذا لزم اثناء فترة التجهيز شيء اخر فبحسب التقارير . وتخصص الباقي لتعز باعتبارها نقطة البداية ويكون بنظر الاخ والقاضي .

٢ ـ ستتولى . . صرف معاشات مدى الحياة لكل من يصيبه ضرر له او لاسرته وذلك سواء في حالة النجاح او الفشل .

٣ ـ يلزم قطع الاتصالات مع كل شخص ليس داخلا في القوائم لضمان السرية ويمكن الانتفاع بكل شخص اخر بعد النجاح . كذلك تنحصر المعلومات في اضيق نطاق حتى بالنسبة للاشخاص المذكورين في القوائم ولا تعطى المعلومات لاى منهم الا بحسب الحاجة .

٤ ـ اعداد نحو مائة برقية تأييد توقع باسماء مختلفة من الاشخاص المهمين لتذاع بمجرد قيام العمل وتعنون باسم " مجلس قيادة الثورة " .

٥ ـ اذا لاحت فرصة اثناء فترة التجهيز فيلزم انتهازها بعد الاتصال فيما بين المراكز الرئيسية . اما اذا امكن تحديد الموعد فيكون ارسال البرقية المتفق عليها بواسطة محمد قائد ثم تعاد في اليوم التالي ونصها " سنقدم الاعتماد خلال كذا " ويحسن في هذه الحالة ادخال محمد قائد قبل الموعد بنصف يوم ليشترك في التنفيذ والقيادة .

٦ ـ في حالة وفاة الامام او قيام انقلاب اخر فعلى افراد تنظيمنا الاتصال فيما بينهم لاسلكيا والسيطرة على الموقف وضرب الانقلاب الاخر والقضاء على . . واذاعة البلاغات المتفق عليها .

٧ ـ في حالة قيام العمل وعدم السيطرة على الموقف لاى سبب فتستمر المقاومة باستماتة وسأضل حسب الخطة وتتبعني المساعدات المتفق عليها ويجب ان نسيطر على اية بقعة ونعلن قيام الحكومة وتستمر المعركة حتى النهاية وسيكون معنا . .

٨ ـ بمجرد قيام العمل يتوجه [illegible] الى تعز بعد التأكد من سيطرة . . على الحديدة ويتولى كل شخص غير عسكري الاتصال على القبائل المتفاهمة معه والسفر اليها اذا لزم الامر . وواجبات القبائل هي السيطرة على مناطقها هي وعدم السماح بمرور اية قبيلة اخرى من اراضيها او اية قوات مهما كانت الا باذن من مجلس القيادة . ويلزم عدم دخول القبائل المدن الا اذا لزم الامر وبدعوة من الحاكم العسكري المشرف على المدينة

- ٢ -

٩ - يلزم تعيين المناطق التي للحسنيين سيطرتعليها كصعده وغيرها ثم الاتفاق مع القبائل المجاورة بضرورة اقتحامها لهذه المناطق بمجرد اول بلاغ من الاذاعة او اشارة من افراد التنظيم المختصين بذلك على ان تبقى هذه القبائل داخل هذه المناطق والسيطرة عليها الى حين صدور اوامر اخرى من مجلس القيادة .

١٠ - يلزم الاستحكام في الحدود في الشمال والجنوب وستصل مع .. الالغام وخبراء بثها لاحكام اغلاق الحدود والسيطرة عليها .

١١ - موضوع العدوان الخارجي ومعالجة الموقف الدولي تترك للبيضاني وقد وضع الخطط المناسبة لجميع الاحتمالات مع ..

١٢ - بمجرد العطل يستمر الاتصال بين المراكز الرئيسية لاسلكيا واذا استجد ما يلزم معه اصدار بلاغات ثورية جديدة فيمكن الاتفاق عليها لاسلكيا واذاعتها .

١٣ - يلزم السيطرة تماما على الاذاعة وبيوت السلك واللاسلكي والمطارات وميناء الحديدة والمخا واعداد الطائرات في حالة ذهب ليصل اليها الفارون مع ..

١٤ - اشارة نزول .. هي ..

١٥ - الاتصال بواسطة محمد قائد . ورأسا في حالة الاستعجال .

الزعيم المنتظر !

أقول أن أنباء اليمن لم يكن لها ذكر كثير في صحفنا . الى أن جاء يوم في الشهور الأولى من عام ١٩٦٢ طالعتنا فيه احدى المجلات الأسبوعية (روز اليوسف) بسلسلة من المقالات بتوقيع الدكتور عبد الرحمن البيضانى . يشرح فيها نظام الحكم في بلده اليمن . وينقده . ويحاول أن يلقى الضوء على هذا القطر الشقيق وعن سير الأمور فيه .

ولم يكن لهذه المقالات في حقيقة الأمر أثر في الرأى العام المصرى رغم اعادة اذاعتها من صوت العرب» . فقد كان المواطنون وقتئذ مشغولين بمشاكل وطنهم الداخلية مستسلمين لقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . ويعلمون أن الاقتراب من مثل هذه الموضوعات . أو حتى مجرد ابداء الرأى فيها يعتبر خروجا عن الطريق الذى رسمه الزعيم لمواطنيه . ومع ذلك فلا شك أن ما كتبه الدكتور البيضانى . قد سلط بعض الأضواء على وطنه . كما أضاف بعض المعلومات العامة عن هذا القطر الذى لم يكن يسمع عنه الكثير . كما نجحت هذه المقالات في ازالة ما كنا نتخيله عن بقايا حضارة هذه المنطقة . بسد مأربها العظيم وملكتها الفاتنة بلقيس .

ويبدو أن الدكتور البيضانى كان على صلة بكبار المسئولين في مصر في هذه الفترة حتى أن مقالاته لم تمسها الرقابة التى كانت مفروضة على الصحافة رغم أنها كانت تهاجم نظام حكم في دولة منضمة رسميا الى جامعة الدول العربية في ذلك الوقت ولم يكن قد ظهر في الجو شبه جديد يعكر العلاقات الثنائية بين الدولتين ـ ودليل آخر على وجود هذه الصلة أن المرحوم المشير عبد الحكيم عامر قد قدم الدكتور البيضانى في صيف عام ١٩٦٢ الى احد الأجهزة المسئولة بمصر . مصرا اليه أنه سيكون على رأس الحكم في اليمن عند اشتعال الثورة فيه والاطاحة بالامام أحمد ومعاونيه . وطلب من هذا الجهاز تقديم كل التسهيلات للدكتور البيضانى فيما يطلبه من عون أو مساعدة . هذا وقد أوضح الدكتور البيضانى موقفه بكل صدق وبلا أى تحفظ . فهو على رأس تنظيم سرى يضم عددا من اليمنيين الاحرار الكارهين لحكم الامام . معظمهم يعيش خارج وطنهم . وهذا التنظيم على صلة وثيقة بتنظيمات أخرى تضم بعض الشخصيات الهامة داخل الوطن من زعماء القبائل وضباط الجيش وعلى رأسهم العميد حمود الجائفى . وأنه يتوقع قيام الثورة بعد أن رتـ ـ ـا . بعد وفاة الامام أحمد . وحينئذ يتوجه هو ورفاقه الى هناك للمشاركة في الثورة وتوجيه الأمور . وأن كل ما يطلبه يتلخص في تدريبه ومجموعته على استخدام السلاح مع اجادة الرمى به . وارسال بعض الاسلحة الى معاونيه في صنعاء وتجهيز كمية محدودة منها لترافقهم عند انتقالهم الى اليمن طائرين عقب اندلاع الثورة .

ومن الطبيعى أن توضع طلبات الدكتور البيضانى كما حددها محل التنفيذ . اضافة الى الاطمئنان لحسن الاتصال اللاسلكى بينه وبين البعض في صنعاء . مع نصيحة قدمت له بالتمسك بكتمان مشروعاته وأفكاره وابتعاده عن المجاهرة بها أو الفخر باعلانها .

روز اليوسف فى ٢٦ مايو ١٩٨٠ صحفة ٣٠

(من مقال بقلم الفريق صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية المصرية السابق)

بسم الله الرحمان الرحيم

مجلس قيادة الثوره

القاضي عبد الرحمن الارياني رئيس .

الدكتور عبد الرحمن البيضاني

عبد السلام صبره

عبد الغني مطهر

عبد القوي ابراهيم حاميم

محمد مهيوب

محمد قائد سيف

محمد علي عثمان

الزعيم عبد الله السلال

العقيد عبد الله الضبي

حسن العمري

المقدم عبد الله جزيلان

الطيار عبد الرحيم عبد الله

الملازم محمد الرحومي

الملازم محمد مفرح

الملازم سعد الاشول

علي محمد سعيد انعم

عبد اللطيف ضيف الله

مجلس الوزرا

الدكتور عبد الرحمن البيضاني	رئيس مجلس الوزرا ٔ
عبد الغني علي احمد ناجي	وزيرا للخارجيه -
عبد السلام صبره	〃 للارشاد القومي
عبد الغني مطهر	〃 للاقتصاد
محمد قائد سيف	〃 للداخليه
الزعيم عبد الله السلال	القائد العام للقوات المسلحه
محمد علي عثمان	وزيرا للصحه
العقيد عبد الله الضبي	〃 للدفاع
المقدم عبد الله جزيلان	رئيس اركان حرب القوات المسلحه
حسن العمري	وزيرا للمواصلات
الطيار عبد الرحيم عبد الله	〃 للطيران
محمد محمود الزبيري	〃 للمعارف
علي محمد سعيد	〃 للصناعه
القاضي عبد الله الارياني	〃 للعدل
علي محمد عبده	〃 للزراعه
محمد مهيوب ثابت	〃 لشئون المهاجرين
احمد قائد بركات	〃 للشئون المعدنيه
احمد المروني	〃 للاوقاف
عبد الله الكرشمي	〃 للاشغال

نواب مجلس الوزرا ٔ

============

عبد القوي ابراهيم حاميم	نائبا لوزير الدفاع
هاشم طالب .	〃 〃 الداخليه
احمد محمد ثابت	〃 〃 الزراعه
علي محمد	〃 〃 شئون المهاجرين
القاضي علي الجرافي	〃 〃 الخارجيه
علي المطري	مدير علاقات وزارة الدفاع
احمد القعطري	〃 وزارة الخارجيه
الشيخ سنان ابو لحوم	〃 ادرة شئون القبائل
الدكتور حسن مكي	نائبا لوزير الاقتصاد للشئون الماليه
محمد عبد الله عبده	〃 〃 〃 〃 التجاريه
شائف محمد سعيد	〃 〃 المواصلات
محمد عبد الواسع حميد	〃 〃 الاشغال
محمد انعم غالب	〃 〃 للشئون البلديه
الدكتور علي عبده سيف	〃 〃 الصحه
حسين المقدمي	مديرا عاما للمستشفيات
عبد الرحمن الحكيمي	〃 〃 لمطابع الجمهوريه
حسين الحبيشي	نائبا لوزير المعارف
القاضي عبد الله الشماحي	〃 〃 الارشاد القومي
محمد سلام	〃 〃 الثروه المعدنيه
السيد محمد المطاع .	〃 〃 العدل
القاضي محمد الرباعي	〃 〃 الاوقاف
قاسم غالب	مدير علاقات وزارة الارشاد القومي
احمد طاهر	نائبا لوزير الصناعه
احمد عبده سعيد	رئيس وفد الجمهوريه اليمنيه لدى الامم المتحده
محمد مفرح	امين عام وزارة الداخليه

مجلس الحكام العسكريين للمناطق

صنعا ٔ . . . . . . ا	الزعيم عبد الله السلال
تعز	سعد الاشول
الحديده . . .	احمد الجرموزي
حجه	علي لطف الثور
صعده	علي . . . علي بن عبد الله متاع
البيضا . . .	الشيخ سالم الرماح
الحدود الجنوبيه	الشيخ عبد القوي ابراهيم حاميم
الامن العام	محمد عبد الواسع . . . .
الشرطه	المقدم غالب الشرعي لصنعا
عبد الله الحيمي	لشرطة تعز . . .
محمد الرعيني	لشرطة الحديده

السيد محمد هاشم . . . . قائد الحرس الوطني

وثيقة رقم ٢٠

من عبد الرحمن البيضاني إلى الأخ [illegible] [illegible] [illegible] وصلت إلى رسالتك أرجو
الاتصال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عبد الغني مطهر [illegible] [illegible] [illegible] وأخبرونا
بالمتجدد
من عبد الرحمن البيضاني إلى عبد المغني [illegible] [illegible] على عبد المغني في [illegible] [illegible]
ما عنده [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وأخبرونا [illegible] [illegible]

برقيتان أرسلتهما من مكتب السيد أنور السادات برموز (شفرة) رئاسة الجمهورية المصرية إلى السفارة المصرية فى صنعاء لتسليم أحداهما إلى الملازم على عبد المغنى ، وتسلم الأخرى للأستاذ عبد الغنى مطهر

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم الاخ حسن العمرى المحترم

بعد التحية :-

اخى كنا قد افدناكم بان الاخ عبدالله بايصلكم يوم الاربعاء ولكن مع الاسف تاخر عزمه اليكم وذلك لسبب كثرة الاشغال معه وانشاالله يكون وصوله اليكم يوم الاحد بدون تاخير هذا .

واخيرالكم اطيب تحياتى ....

المخلص

عبدالغنى مطهر

فى ٨/ ٦/ ١٩٦٢م

قرار مجلس قيادة الثورة لسنة ١٩٦٢ م
بتشكيل مجلس الـوزراء

بعد الديباجة

مادة ١ – يشكل مجلس الوزراء على النحو التالى :

١ – العميد/ عبد الله السلال	رئيساً لمجلس الوزراء
٢ – الدكتور /عبد الرحمن البيضاني	نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للاقتصاد والثروة المعدنية .
٣ – محسن أحمد العينى	وزيراً للخارجية (*)
٤ – القاضى /محمد محمود الزبيرى	وزيراً للمعارف
٥ – النقيب/عبد اللطيف ضيف الله	وزيراً للداخلية
٦ – العميد/حمود الجائفى	وزيراً للحربية
٧ – عبد الغنى مطهر	وزيراً للتجارة
٨ – يحي منصور بن نصر	وزيراً للزراعة
٩ – على محمد سعيد	وزيراً للصحة
١٠ – الدكتور /عبد الغنى على أحمد	وزيراً للخزانة
١١ – القاضى /عبد الرحمن الارياني	وزيراً للعدل
١٢ – الملازم الأول/محمد الأهنومى	وزيراً لشئون البلديات
١٣ – أحمد حسين المروني	وزيراً للارشاد القومى
١٤ – المهندس/عبد الله حسين الكرشمى	وزيراً للأشغال
١٥ – القاضى /عبد السلام محمد صبرة	وزيراً للأوقاف والشئون الاجتماعية
١٦ – محمد سعد القباطى	وزيراً للدولة لشئون المهاجرين
١٧ – الشيخ أمين عبد الواسع نعمان	وزيراً للدولة لشئون التاريخ والآثار
١٨ – العقيد/حسن بن حسين العمرى	وزيراً للمواصلات
١٩ – الطيار /عبد الرحيم عبد الله	وزيراً للطيران
٢٠ – على محمد الأحمدى	وزيراً للإعلام

مادة ٢ – يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره وينشر في الجريدة الرسمية .

صدر بمجلس القيادة بتاريخ ١٩٦٢/٩/٢٧ م

عبـــد الله السلال

رئيس مجلس قيادة الثورة

(*) أصبح بعدها الممثل الدائم لدى الأمم المتحدة في ١٩٦٢/٩/٢٩ م وحل محله الدكتور/ عبد الرحمن البيضاني .

وقد أوضح لى د . البيضانى أنه كان على علم بتغيير العميد حمود الجائفى واستبداله بالعميد عبد الله السلال ، وأنه أخطر المشير عبد الحكيم عامر بهذا التغيير حينذاك .

وعلى الفور اعترفت مصر بالنظام الجديد في اليمن وتبعتها سوريا رغم خلافاتهما الجذرية ، وأعلنت مصر في ٢٧ سبتمبر بيانا حذرت فيه من تدخل أية قوى أجنبية ضد الحكم الجديد في اليمن . وكانت تقصد بهذا التحذير المملكة العربية السعودية أساسا والقوات البريطانية في عدن ضمنا

رحلة في منتصف الليل !

بدأت الاستعدادات لنقل الدكتور البيضانى ورفاقه الى صنعاء يوم ٢٩ / ٩ / ٦٢ على طائرة ركاب عسكرية تحمل معها فريقا صغيرا من الضباط المصريين ومعهم أجهزة اتصال بالقاهرة .

كان المنظر مثيرا في مطار ألماظة الحربى وقد خلا ليلا الا من أقل عدد من الفنيين الضروريين لادارته ، وحوالى عشرة رجال بين مسافر ومودع يرتدون مختلف أنواع الملابس وبألوان صارخة متباينة ، يحمل المسافر منهم رشاشه وذخيرته ، وحاجياته الشخصية ولم ينس البعض منهم خنجره وعمامته ، ويتشبث كل منهم بصندوق يحوى بضع قنابل يدوية ، أصر معظمهم أن يحملوها لتكون في متناول أيديهم عند نزولهم من الطيارة في صنعاء وكأنها طوق النجاة من تصاريف الزمن المجهولة وكان عجيبا منهم هذا الحب لصندوق القنابل اليدوية ، والاصرار على أن يكون في حوزتهم ، ذلك الاصرار المبنى على توقع القتال بمجرد لمس أرجلهم لأرض وطنهم ، الأمر الذى أشفقت معه على مجموعة ضباطنا المرافقين لهم بالاضافة الى الطائرة نفسها وطاقم قيادتها وكم سعدنا عندما تلقينا اول برقية بوصولهم الى صنعاء وصولا طبعيا .

روز اليوسف فى ٢٦ مايو ١٩٨٠ صفحة ٣٢

(من مقال بقلم الفريق صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية المصرية السابق)



وفجاة ارتفع صوت « محمد الفسيل » سفير اليمن في المانيا الشرقية حاليا ، يعلن : هنا صنعاء .. هنا اذاعة الجمهورية اليمنية ..

وكانت القاهرة في انتظار على احر من الجمر !.

قبل حوالي ٨ شهور من هذا التاريخ ، جاء الضابط اليمني « علي عبد المغني » الى السفارة المصرية حيث كان يشغل « محمد عبد الواحد » (القنصل حاليا في بيروت) منصب القائم بالاعمال والذي اشتهر بانه صديق شخصي للامير البدر ولي العهد وقتها ..

واجتمع الضابط اليمني بالقائم بالاعمال المصري وطلب ابلاغ رسالة شخصية للرئيس عبد الناصر ، على شرط واحد ، هو عدم ابلاغها لليمنيين خارج او داخل اليمن !..

كانت الرسالة تتحدث عن تشكيل الضباط الاحرار في اليمن ، وتسال عن موقف مصر في حالة قيام التشكيل بالثورة .

ووصلت الرسالة الى الرئيس عبد الناصر ، الذي كلف « انور السادات » بمتابعة القضية اليمنية ..

وبعد ايام تلقى الضابط اليمني « علي عبد المغني » رد رسالته من عبد الرحمن البيضاني .. المع اليمنيين — وقتها — خارج اليمن .. وابعدهم عن الانتماءات السياسية السابقة بحساسياتها وانقساماتها ..

كانت رسالة البيضاني تقول : « وصلت رسالتكم وقد اجتمعت بالرئيس عبد الناصر الذي كلفني أن ابلغكم ان مصر ستقف بكل امكانياتها الادبية والمادية معكم » .

ثم جاءت رسالة اخرى من البيضاني تطلب من الضباط عدم الاتصال باي مدني يمني ..

وبدا البيضاني سلسلة مقالاته المشهورة ضد الوضع في اليمن ، والتي نشرها في مجلة « روز اليوسف » اثناء اشراف احسان عبد القدوس عليها ..

ويروي « محمد الفسيل » سفير اليمن في المانيا الشرقية: « كنا في منزل عبد السلام صبره ... وكنا نعرف ان كل ذخيرة الجيش هي ٢٢ طلقة وبدانا العد حتى وصلنا الى الرقم ١٨ ... وادركنا ان « الثورة » في خطر . فقمت واتصلت تليفونيا « بعبد الله جزيلان » وسالت : « هل احتللتم قصر السلاح ؟ » . فرد غاضبا : « من أنت ؟ » قلت : « انا يمني باقولك انتم معكم ٢٢ طلقة ... ضربتم ١٨ منها ... فاحتلوا قصر السلاح والا ضعتم ...

وبدات عملية تشكيل حكومة ...

قبل الثورة بثلاثة شهور أرسل البيضاني من القاهرة قائمة بالحكومة المنتظرة ... البيضاني رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية وحمود الجائفي للدفاع (باعتباره الزعيم) والارياني للعدل ونعمان للتربية ... وبالطبع اعترض على بقية الاسماء لانها لم تكن معروفة في اليمن ، ولكن احدا لم يهتم باعتبار ان ذلك سابق لاوانه ... فلما قامت الثورة اتصل الفسيل في اليوم التالي بالسلال ، وقال له : لا بد من حكومة والا لن يعترف احد بنا فقال السلال « اجتمع انت وصبره واحمد المروني وحسن العمري وشكلوا حكومة ... » « واجتمعنا فعلا ... واذا بالعمري — الذي كان في وزارة المواصلات واشرف على الاتصالات اللاسلكية مع المخابرات المصرية للاعداد للثورة — يخرج من جيبه وزارة مشكلة فعلا ... وهي القائمة التي كان البيضاني قد ارسلها من القاهرة ... اعترضنا ... غاضر وقال هذا اتفاق عقدناه مع القاهرة ... ولا يمكن نقضه ثم غادر الاجتماع غاضبا ... اتفقنا كلنا على أن البيضاني لن يكون رئيسا للوزراء ولا وزيرا للخارجية ... عيناه وزيرا للاقتصاد ... ووضعنا الزبيري بدلا من النعمان ... لان النعمان كان قد ابرق للبدر مهنئا ... ادخلنا محسن العيني وزيرا للخارجية ومحمد سعيد قباطي وزيرا للمغتربين والارياني رئيسا للوزراء ... والسلال قائدا عاما ووزيرا للحربية ... وشكلنا مجلس سيادة من ٣ مدنيين محمد علي عثمان وعلي احمد الاحمدي ومحمد بن محمد المنصور ... اخذنا التشكيل للسلال الذي ما ان قرا اسم الارياني على راس التشكيل رئيسا للوزراء ، حتى احتج ، وقال : انتم ورطوني في الثورة ... اعملوني رئيس وزراء على الاقل... واستجبنا لطلبه وعملناه رئيس وزراء ، والارياني وزيرا للعدل ... فوقع التشكيل دون ان يقراه ! حصلنا على التشكيل الساعة التاسعة صباحا ... واعددناه للاذاعة في موعد نشرة الاخبار ... الساعة ١٢ جاء « علي المطري » الى الاذاعة يحمل تشكيلا جديدا لحكومة اخرى موقعا من السلال ايضا ... واتصل الفسيل بالسلال يساله تفسيرا فقال له « اعتمد التشكيل الاول ... الثاني هدره » ! أي هزار !...

مجلة الحوادث اللبنانية فى ٩ فبراير ١٩٧٣

البــديل عن الصراع الدمــوى فى اليمــن

تاليف : د. عبد الرحمن البيضانى

الناشر : المطبعة العالمية ــ القاهرة ــ ١٩٧٤

عرض : د. بطرس بطرس غالى

الدكتور عبد الرحمن البيضانى احد افذاذ اليمن علما ، واحد ساستها المرموقين ، وقادتها المعدودين ، اتخذ من مصر وطنا ثانيا له ولكن جهده السياسى انصرف لليمن خاصة ، وللعروبة عامة .

ومن خصائص الدكتور البيضانى ، الاطلاع الواسع ، والثقافة العريضة ، والمعلومات الغزيرة ، واحدى ثمرات هذه الخصائص ، كتابه الذى نعرض له اليوم ، ويقع فى ٢٧٠ صفحة من القطع الصغير .

وكتاب الدكتور البيضانى الذى نعرض له هنا ، هو فى واقعه محاضرة القاها بدعوة من رابطة طلبة اليمن ، ثم اصدرها مع ما تلاها من حوار مع حاضرى الندوة فى هذا الكتاب الذى سماه « البديل للصراع الدموى فى اليمن » وقال فى ذيل العنوان انه « برنامج وطنى مرحلى » .

وحين تصفحنا الكتاب تجلى لنا مبلغ ما بذل فيه المؤلف من جهد ، ولم يعد مستغربا عندنا ، ان يقول فى اول سطر من سطور الكتاب ، استندت فى هذه المحاضرة الى اكثر من الف مرجع علمى من مختلف الاتجاهات ، ويبرر هذا الجهد المضنى بان المحاضرة اذا كانت قد انصبت على اليمن بشطريها ، باعتبار انها المثال المحدد لموضوع البحث ، من حيث التفاصيل ، فانها المثال المكرر من حيث الاطار الفكرى العام ، الذى يحكم مسار التطور والتنمية والعدالة الاجتماعية فى اليمن وغير اليمن ، ويستشهد فى هذا بقول الرئيس السادات فى حفل تكريم ابطال النصر « لقد عرفنا ماذا يستطيع العرب ان يفعلوا باتحاد كلمتهم ، وكيف ان الخلاف والصراع بين العرب ، كان هو دائما طريقهم الى الهزيمة والبوار ، ثم اشار الى القلة الذين لا يرضيهم اتحاد كلمة العرب ، لكونهم مشدودين للماضى ، لم يستفيدوا من دروسه أو لكونهم مستفيدين من هذا الماضى ، غير مبالين بدروسه . وبافاعيل هؤلاء واولئك وغيرهم ، تمزقت الاغلبية العربية بين الشعارات والصراعات ، ولم تستيقظ الا على صراخ حقيقة الشقاق التى برزت بهزيمة العرب فى يونية سنة ١٩٦٧ ، وحقيقة الاتحاد التى تجلت بانتصارهم فى معركة رمضان ــ اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

وقد قام بتقديم المحاضر لاعضاء رابطة الطلاب ، السيد محمد سعيد ظافر رئيس الرابطة ، بكلمة قيمة بين

من مقال بقلم الاستاذ بطرس بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية المصرية الاهرام الإقتصادى فى ١٥ اغسطس ١٩٧٤ صفحة ٣٦

عزيزي الأخ عبد الرحمن

تحية مباركة طيبة ،

لعلك في احسن صحة ولعل الاحوال طيبة .

من جهتنا نحن فاننا نسير بحمد الله كما عهدتنا ونحن نقدر تمام التقدير جهودك الى جانب الزعيم واخي لا انتهز هذه الفرصة لابلغك تقدير الرئيس الخاص وتحياته .

اما بخصوص اوضاع اليمنيين هنا فلا زالت كما هي الطلبة والمبعدين ولا زالت حملاتهم عليك طبعا ولكن كل ذلك لا يهم وسأرسل لك آخر تقارير عن نشاطهم لكي تكون على علم علما بأنني لم استطع ان اجد الوقت الكافي لكي احل مشكلة الطلبة هنا بالنسبة لانشغالنا في امورنا الداخلية .

المشايخ كان لابد أن ارسلهم لكم لانهم بعد الأكل والراحة بدءوا يبحثون عن النساء وحصلت من بعضهم في اسوان اعمال منافية كذلك في اللوكاندة لدرجة ان اللوكاندة صرفت على الموظفات المتواجدات الذين يشغلونه هنا فضلا عن انهم عرضه هنا للطلبة وغيرهم .

بخصوص سنان ابو لحوم فالرجل زارني وطلب مني مساعدته وأنا أرى أن تتركوه الآن في القاهرة ولا داعي لسفره بسرعة الى الصين وسأراقبه وسيتصل بك اولا بأول

كلمني المشير في التليفون اليوم بشأن بن الاحمر شيخ حاشد وطلب مني ان ابلغك ان من المناسب أن يعين في منصب وزير باعتبار أنه وقف ويقف بقبيلته منذ اول الثورة وقفة قوية ولكي يكون مثلا لبقية المشايخ الذين يخلصون هذا فضلا عن أننا لا نريد أن تنقلب قبيلته في يوم من الأيام كما يحدث للأخريين فأرجو دراسة هذا الموضوع والتصرف فيه

لا زالت لي ملاحظة هي أنك لا تفسح المجال في مجلس الوزراء للوزراء لكي يقولوا ما في نفوسهم ايا كان ويقولون انك تفرض رأيك فأرجو ان تصلح ذلك كما ارجو أن تعلم أن الشعب اليمني لم يتربى بعد ديمقراطية خاصة يجب أن تكسبه برحب صدرك فقد كنا هنا اول الثورة نستقبل طوال الايام وفود الفلاحين ونستمع الى شكاواهم لصبر اليوم؟

بخصوص مسألة العفش فانه بمجرد أن ينتهي المجهود الحربي سأرسل لك عفشا أنت والسلال ولا يهمك ما يقوله الناس فالسلال وأنت لا تمتلكون هذا العفش ولا الاملاك الخاصة وانما هي ملك للدولة .

ختاما تقبل خالص تحياتي وتحيات العائلة وتمنياتنا انا وجيهان لك انت وليلى بالسعادة والهناء .

المخلص

انور السادات

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

إعلان دستوري

من مجلس قيادة الثورة الجمهورية العربية اليمنية

إن مهمتنا في تحقيق أهداف الثورة أثناء فترة الانتقال وتنظيم الحكم وأنواع إجراءات لجمع القوى الوطنية وذلك تنعم البلاد باستقرار شامل يتيح لها إمكانيات التقدم والنهوض بها إلى المستوى الذي ترجوه الثورة للشعب.

يعلن مجلس قيادة الثورة ويصدر باسم الشعب أن حكم البلاد في فترة الانتقال والبت فيه من مهام، سيكون وفقاً للأحكام الآتية:

أولاً – مبادئ عامة

المادة الأولى

أهداف الثورة كما يلي:-

أولاً – العودة إلى شريعة الإسلام الحق بعد أن أهدرها الأئمة السابقون خلال الألف والمائتي عام الماضية.

ثانياً – إلغاء التفرقة العنصرية بين أبناء اليمنيين جميعاً سواء أمام القانون.

ثالثاً – إزالة الأحقاد بين الزيدية والشوافع.

رابعاً – إصدار قانون يوضح حقوق المواطنين وحريتهم الشخصية وألا يتعرض للعقوبة إلا بعد محاكمة عادلة تتم على أسس قانونية تستمد من الشريعة الإسلامية الغراء، وينظم الإجراءات الجنائية ويكفل حرية الدفاع.

خامساً – إقامة الجمهورية اليمنية والتمهيد لإجراء انتخابات حرة في جميع أنحاء البلاد لانتخاب المجلس النيابي، الذي يختار رئيس الجمهورية.

أ – تحقيق أهداف القومية العربية ومنها أن تحتشد الأمة العربية جميعاً تنظيماً وتستعيد مركزها اللائق في طليعة الأمم الناهضة.

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

سابعاً - تحقيق العدالة الاجتماعية.
ثامناً - إقامة جيش وطني قوي يكون درعاً لليمن وللأمة العربية.
تاسعاً - إلغاء جميع الضرائب التي يتأذى منها الشعب.
عاشراً - رفع مستوى معيشة الشعب بالعمل فوراً بوضع وتنفيذ خطط اقتصادية لاستثمار كافة موارد الدولة البشرية والطبيعية مع خلق أكبر المشاريع الاقتصادية ومن المناجم [illegible] الأهلية بالكامل، وتشجيع الزراعة والصناعة والتجارة والأعمال الأخرى المنتجة.

المادة الثانية

جميع السلطات مصدرها الشعب اليمني العريق.

المادة الثالثة

الحرية الشخصية وحرية الرأي مكفولتان في حدود القانون، والملكية والمنازل محرمة وفق أحكام القانون.

المادة الرابعة

تسليم اللاجئين السياسيين محظور.

المادة الخامسة

جميع القوانين تستمد من الشريعة الإسلامية التي هي دين الدولة الرسمي.

المادة السادسة

القضاء مستقل لا سلطان عليه لغير القانون، وتصدر أحكامه وتنفذ وفق القانون باسم الشعب.

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

ثانياً - نظام الحكم

المادة السابعة

يتولى مجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا، وبصفة خاصة، التدابير التي يراها ضرورية لحماية هذه الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهداف الشعب، وحق تعيين الوزراء وعزلهم.

المادة الثامنة

يتولى مجلس الوزراء، والوزراء كل فيما يخصه، أعمال السلطة التنفيذية.

المادة التاسعة

يتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر وطني يبحث في السياسة العامة للدولة، وما يتصل بها من موضوعات، ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير في وزارته.

المادة العاشرة

يتألف من شيوخ اليمن مجلس أعلى للدفاع يبحث في شؤون أمن الدولة، ويتكون كل شيخ من شيوخ الضمان [illegible] للدولة، وفي أثناء انعقاد المجلس، ويتولى كل شيخ مهمة المحافظة على منطقته، بصفته ممثلاً أمنياً قبل مجلس قيادة الثورة.

المادة الحادية عشرة

يقرر مجلس قيادة الثورة انتخاب قائد الثورة الزعيم عبدالله السلال، رئيساً للجمهورية ورئيساً لمجلس الوزراء وقائداً أعلى للقوات المسلحة أثناء فترة الانتقال، وانتخاب الدكتور عبدالرحمن البيضاني نائباً للرئيس في هذه الاختصاصات على أن يتم خلال فترة الانتقال، وضع قانون للانتخاب كي تجري الانتخابات

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

الحرة في جميع أنحاء الجمهورية العربية اليمنية، للتصويت على الدستور النهائي، الذي ستقدمه الحكومة، وانتخاب المجلس النيابي، الذي سينتخب رئيس الجمهورية.

أيها المواطنون

إن مجلس قيادة الثورة، إذ يعلن لكم هذه المبادئ والأحكام الأساسية، لا يسعه إلا أن تعلن أيضاً عن إيمانها المطلق بضرورة قيام نظام دستوري ديمقراطي كامل الأركان، أو توفر الاستقلال، كما تعلن المجلس أيضاً عن إيمانه المطلق بضرورة توفير حياة حرة كريمة، ومستقبل مشرق باسم، لجميع أبناء الشعب، والعاملين الوطنيين

مجلس قيادة الثورة
توقيع
رئيس مجلس قيادة الثورة
الزعيم عبدالله السلال

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

التشكيل الوزاري

١- الزعيم عبدالله السلال — رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء وقائداً عاماً للقوات المسلحة

٢- الدكتور عبدالرحمن البيضاني — نائباً للرئيس ووزيراً للخارجية

٣- العقيد عبدالله جزيلان — وزيراً للدفاع

٤- الرئيس عبداللطيف ضيف الله — وزيراً للداخلية

٥- " محمد قائد سيف — وزيراً للدولة لشئون رئاسة الجمهورية والإعلام

٦- الطيار عبدالرحيم عبدالله الحاج — وزيراً للطيران

٧- السيد عبدالرحمن الإرياني — وزيراً للعدل

٨- السيد عبدالسلام صبرة — " للأوقاف وشئون القبائل و[illegible]

٩- " العقيد حسن العمري — " للمواصلات

١٠- " عبدالقوي حاميم — " لشئون البلدية والقروية

١١- " عبدالغني مطهر — " للتجارة

١٢- " محمد مهيوب ثابت — " لشئون المغتربين

١٣- " علي محمد سعيد — " للصحة

١٤- " الرئيس محمد الأهنومي — " للتموين

وثيقة رقم ٦/٢٧

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

١٥- السيد الرئيس حسين الدفعي — وزيراً للعمل ~~والشؤون الاجتماعية~~ X

١٦- " " محمد الرعيني — " للزراعة

١٧- " " عبد الله الكرشمي — " للاشغال

١٨- " " عبد الغني احمد — " للمالية

١٩- " " حسين مكي — " للاقتصاد

٢٠- " " محمد محمود الزبيري — " للمعارف

٢١- " " احمد عبد الواسع — " للارشاد القومي

٢٢- الرئيس علي سيف الخولاني — " للشئون القبائلية X

توشيح

الزعيم عبد الله السلال
رئيس مجلس قيادة الثورة

الجمهورية العربية اليمنية
وزارة الداخلية

تعيينات السلك السياسي الخارجي

١- الزعيم حمود الجائفي — رئيساً للوفد اليمني بالقيادة العسكرية المشتركة بالقاهرة

٢- الرئيس عبد الله الضبي — عضواً في وفد اليمن بالقيادة العسكرية المشتركة بالقاهرة

٣- السيد محسن العيني — رئيساً للوفد اليمني الدائم في الأمم المتحدة

٤- السيد محمد السروري — نائباً للوفد اليمني الدائم في الأمم المتحدة

٥- السيد أحمد محمد نعمان — مندوباً دائماً لليمن في الجامعة العربية

٦- السيد يحيى منصور — نائباً لمندوب اليمن في الجامعة العربية

٧- السيد [illegible] — وزيراً مفوضاً في سفارة الجمهورية العربية اليمنية بالقاهرة

السيد أحمد محمد باشا — وزيراً مفوضاً في سفارة الجمهورية العربية [illegible]

٨- السيد محمد علي عثمان — وزيراً مفوضاً في السودان

وزيراً مفوضاً في ألمانيا الغربية

٨- السيد علي الأسودي — مستشاراً في مفوضية اليمن في ألمانيا الغربية

٩- السيد حاكم الحوثي — وزيراً مفوضاً في الصومال

١٠- السيد محمد سعيد قباطي — مستشاراً في المفوضية اليمنية بالقاهرة

السيد محمد عبد الله الفسيل

توقيع
الزعيم عبد الله السلال
رئيس مجلس قيادة الثورة

هذا ويستثنى من هذا البيان ترقيات ضباط الثورة وتعيين مناصبهم بالجيش الباسل وكذلك تعيينات نواب الوزراء وغيرهم من الجهاز الحكومي الجديد



الأخ الدكتور عبد الرحمن البيضاني

بعد التحية ارجو ان تضيفوا اسم العقيد الحاج محمد الحرموزي معكم ليرافقكم فعنده من الحقائق والتجارب ومعرفة موجودات الجيش اليمني ونظامه ما لا يوجد عند احد ومرافقته لكم مهم جداً وقد بلغته بهذا احتياطا تقبلوا تحياتي

أخوكم [illegible]

رئيس الجمهورية

السلال

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية المحترم

~~والاخوان اعضاء مجلس قيادة الثورة المحترمين~~

تحية طيبة وبعد . لقد كانت ثورة شعبنا اليمني العظيم هي الأمل الكبير الذي تناقلته الاجيال جيلا من بعد جيل ثم تحقق بإرادة جيلنا الحاضر فأصبح الأمل الكبير حقيقة كبيرة دخلت الى صفحات التاريخ من اوسع أبوابه .

ولما كان اخطاري بإبعادي في القاهرة على أثر وصولي اليها في مهمة رسمية مستعجلة فلم أعد بعد ذلك قادرا على قيامي بواجبي كنائب لرئيس الجمهورية الامر الذي كلفني به مجلس قيادة الثورة في المادة الحادية عشرة من الدستور المؤقت الذي أعلنه المجلس الموقر لتثبيت قواعد الحكم اثناء فترة الانتقال

ولما كنت حريصا على وحدة الصف التي هي دعامة الثورة الاساسية فانني اقدم اليكم استقالتي من هذا المنصب أملا في تسهيل مهمتكم التاريخية التي لا أشك أبدا في انكم عاملون عليها مخلصون لا تتوانون في سبيلها

وفقكم الله وثبت خطاكم وحفظ شعبنا الخالد ووحد أمتنا العربية المجيدة

وتقبلوا عظيم احترامي وتقديري

امضاء

سيادة الأخ الكبير السيد أنور السادات ..

تحية أخوية صادقة .. وبعد ..

بلغني أنه أشيع لديكم أن حزب الشعب الاشتراكي أرسل إلى الوزراء الشوافع كي يستقيلوا من مناصبهم الوزارية بناء على طلب الأخ الدكتور عبدالرحمن البيضاني .. وإني أرجو أن أؤكد لسيادتكم أن هذه الإشاعة لا أساس لها من الصحة ، فلم يطلب مني الأخ الدكتور عبدالرحمن تبليغ مثل هذه الرغبة إلى الحزب في عدن ..

ويهمني أن أؤكد لكم أنه لو كان هذا السعي رأينا لما أخفيناه الآن ، بل كنا سنواصل المطالبة به ، لكنه لا يمثل إطلاقاً وجهة نظرنا ، كما لا أعتقد أنه يمثل وجهة نظر الدكتور عبدالرحمن البيضاني حيث أنني لم أسمع أنه صرح بمثل هذا ..

لذلك أرجو العمل على تشكيل لجنة تحقيق للتأكد من كذب هذه الإشاعة ومن ثم معرفة مصدرها والتي تستفيد منها .. وإني على استعداد للحضور إلى صنعاء في أي وقت تشاؤون .

وأرجو منكم إبلاغ هذا إلى السيد الرئيس المشير عبدالله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية ..

ولكم جزيل الشكر ..

المخلص

(محمد سالم باسندوه)

ممثل حزب الشعب الاشتراكي

في البلاد العربية

٨ مارس ١٩٦٣ .

الجمهورية العربية اليمنية

القيادة العليا

التاريخ ....

الرقم ....

الموضوع ....

المرفقات ....

بالشفرة من المفوضية للجمهورية الجزائرية

سيادة الأخ الرئيس جمال عبد الناصر

تحية عروبية صادقة وبعد: بلغتني من المخابرات العربية

معلومات خطيرة ما كنت أتصورها هي

ان البيضاني يتصل بالرجعيين أعداء [illegible]

ويدفع للانفصال بالسلطات الأجنبية وتحرضه

على الانفصال وتمنيه بأنه سيكون كما في

الوطن الجنوبي حتى احتفظ الرئاسة بأيديكم

كما من أجل هذا الجمهورية [illegible] والتي له الى

بيته بصورة ، وقد كنت [illegible] ان البيضاني

يتصل ببعض الوزراء ويحاول خلق المشاكل

ونشر فكرة الانفصال ولكني لم أصدق حتى تلقيت تقريراً من المخابرات

العربية بذلك وهذا [illegible]

لتكونوا على علم [illegible] من عمل الخائن ولو على

حساب وطنه وتقبلوا صادق حبي وتقديري اخوكم

[illegible]

رئيس الجمهورية اليمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدول العربية
جمهورية العربية المتحدة
مقر الوزير النائب
اليمن

سري للغاية

((٢))

(ب) تزوير أوامر صرف الذخيره للحصول على كميات منها من مخازن الحكومه ، حيث كان من المتعذر حصولهم عليها عن غير هذا الطريق ..

(جـ) اتصال بمشايخ القبائل عن طريق ابنائهم الذين كانوا يتلقون العلم سواء في المدارس المدنيه أو العسكريه حيث تمكنوا من الحصول على تأييد عدد كبير من هؤلاء المشايخ ..

(٣) بذلت محاوله جديه صادقه في نفس هذه الفتره التي بدأ يتبلور فيها تنظيم الضباط الشبان من أجل توحيد الجهود لكافه العناصر التي تعمل في ميدان الحركه الوطنيه وذلك لحسم المعركه مع نظام الحكم الرجعي الامامي . وكان صاحب هذه الدعوه والمشرف على تنفيذها هو الدكتور عبد الرحمن البيضاني اللاجئ السياسي اليمني في القاهره ، وبعد أن استطاع استطلاع الموقف بالاتصال الشخصي مع عناصر الاحرار في الداخل تم وضع مخطط مقترح للعمل الثوري ، وتم عرض هذا المخطط للحصول على موافقه الاحرار في الداخل ، وبالفعل تمت اتصالات من أجل تحقيق ذلك ، هذا بالاضافه الى قيام الدكتور عبد الرحمن البيضاني بالمسانده المعنويه للعناصر الوطنيه في الداخل وذلك باذاعه أحاديث في راديو القاهره ونشر مقالات لفضح نظام الحكم في اليمن ..

(٤) حدث بعد ذلك اتصال بين تنظيم الضباط الاحرار ونواه التشكيل الذي بدأ يمسك بخيوطه الدكتور البيضاني ، وتم خلق محور

سري للغاية

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة العربية للدول العربية

الجمهورية العربية المتحدة

مقر الوزير النائب اليمن

تقرير الاستاذ بالاعمال

سري للغاية

وتأكد من الثورة اليمنية - تنفرد النضال بنشرها الأول مرة

((تقرير))

أتشرف بالاحاطة بأن الحالة الداخلية في اليمن لا تبعث على الارتياح ، وأن الثوار توشك أن تندلع ..

الضباط الاحرار الصغار :

ظهر لي نشاط الضباط الاحرار الصغار الذين تخرجوا من الكلية الحربية بصنعاء على أيدي السادة الضباط المصريين بصورة واضحة وكان اتجاه أفضل الاتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن جعلهم يتصرفون الى القيام بثورة اصلاحية شاملة ..

وبدأت اجتماعاتهم وهم على اتصال دائم ببعضهم بعضا في تعز والحديدة وصنعاء وحجة ومع الفضائل ، وهم يرشحون القاضي محمد عبدالله الشامي نائب صنعاء رئيسا للوزراء بصفة مؤقتة لانهم يحترمونه أنظف شخصيته ولما يتمتع به من محبة بين الكبار والصغار ، وستصدر الاوامر باسمه عند قيام الحركة للتهدئة أما الاوامر التنفيذية فستكون لمجلس قيادة الثورة ..

وقد حدثني زعيم هؤلاء الضباط " على عبدالمغني " بأن لهم قوة موجودة بالمخنة مستعدة للتحرك الى الحديدة ، كما يوجد بين هؤلاء الضباط ستة ضباط بالحديدة يقومون بتشكيل خلايا منظمة

سري للغاية

اتحاد الدول العربية
الجمهورية العربية المتحدة
مقر الوزير النائب
اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

سري للغاية

النضال العدد ٢٥
وثائقه

((١٦))

قد يفكر في التخلص من الزعيم حمود الجائفي بطريقة أو أخرى وقد ظهرت بوادر هذا الاتجاه منذ اليوم الاول لوصول الجائفي من الحديدة الى صنعاء بعد قيام الثورة ، حيث ردد السلال بأنه يخشى أن يقوم الجائفي باغتياله ، وهناك تفكير لنفي الجائفي خارج البلاد وذلك بتعيينه كملحق عسكري في احدى الدول ..

(٣) يجدر التركيز على شخصية المقدم عبدالله جزيلان ، والذى يحصل الزعيم السلال على احتقاضه ، فمن المعروف أن جزيلان كان الذراع الايمن للزعيم حمود الجائفي أثناء قيادته للكلية الحربية ، وكان أمين سره وكان هذا أمرا معروفا للجميع ، ثم بعد أن تمكن الجائفي الفرار من سجنه الى عدن في أواخر عام ١٩٦١ بدأ جزيلان يتقرب الى حاشية البدر بغرض تعيينه مديرا للكلية الحربية خلفا للجائفي ، وقد نجح في هذا المسعى ورقي من رتبة رئيس الى رتبة مقدم ، وأصبح الضباط الاحرار ينظرون اليه نظرة شك وريبة ، وبعد أن ظهر المخطط الذى كان يدعو له الدكتور البيضاني وأسند اليه دور قيادي فيه بدأ يمارس نشاطا محدودا تركز بصفة خاصة في الناحية الدعائية وبعد أن تمت عملية الربط بين تشكيل الضباط الاحرار والتشكيل الذى كان يدعو له البيضاني ، فبالتالي تم اتصال جزيلان بتشكيل الضباط ومن هنا كان دوره في المشاركة في الاعداد للثورة وكذا التنفيذ ، وبتحليل شخصية جزيلان يمكن القول بأنه شخصية مهزوزة — وصولي — سهل الانقياد — يدعي العلم عن جهل مغرور — يكره البيضاني كذا عبداللطيف ضيف الله لانه

ما موقف عبدالله جزيلان الآن

سري للغاية

تعليـــــق

١٩- يمكن القول أنه نتيجة للاتصالات الشخصية المباشرة مع قطاع كبير من الضباط ثبت بما لا يتسرب منه الشك أن الضباط مازالوا بخير وأن ايمانهم بأهدافهم الثورية مازال قويا لم يتزعزع نتيجة لحملات الحقد والتشكيك التي استهدفت اثارة الفرقة في صفوفهم خلال الازمات التي تلاحقت على المسرح السياسي في اليمن .

٢٠- من المناسب أن تصدر تعليمات للقيادة العربية هنا للعمل على ازالة الحساسيات التي نشبت في الماضي بين الضباط والجانب العربي وحسم كافة المشاكل التي مازالت لها رواسب من الماضي والتي قد تجد على أساس من المصارحة الاخوية وتجنب اظهار أى نوع من التصلب قد يعقد الامور ويتصادم بجسر الثقة الذى نريد بناءه من جديد بين الطرفين .

٢١- ان الاجابة الشافية لما عرضه الضباط من خواطر لتنظيم العلاقات بينهم وبين الجمهورية العربية المتحدة في المستقبل ستكون عاملا مفيدا في حسم معركة الصراع السياسي في داخل اليمـــــن .

٢٢- يبرز بوضوح ولاء الضباط وثقتهم وحبهم للواء حمود الجائفي الذى يؤمنون بمقدرته على قيادة دفة الحكم اذا اعطى الصلاحيات الكاملة والحرية المطلقة في تصريف الامور بدون أى تدخل من السلطات العليا وهم يعتقدون أن الجائفي أصلح رجل يمني يمكن أن تتفق عليه جميع فئات الشعب اليمني .

٢٣- أثار الضباط موضوع الرئيس السلال وضرورة معارضتهم لمبدأ تركيزه في السلطة وأكدوا أن الامور في اليمن لا يمكن أن تنصلح مادام رأس الدولة فاسدا وأدانوا بأن العمليات الحربية في اليمن وتعقيدات الموقف السياسي سوف تستمر مادام السلال يحكم وبيده جميع السلطات التي يستغلها لصالح الاسرة وتؤدى بطريقة غير مباشرة الى تخريب مؤثر في الوجود العربي في اليمـــــن

سري للغاية

HOTEL NITOCRISSE

ANGLE RUE MOH. BEY FARID & 26 JUILLET

TÉL. 83651 - 74181 — R.C. 88664

LE CAIRE

ADR. TÉLÉG. (NITOCRISSE) LE CAIRE



فندق نيتوكريس

ناصية محمد بك فريد و٢٦ يوليو بالقاهرة

تليفون ٥٣٦٥١ - ٧٤١٨١ ـ س.ت ٨٨٦٦٤

القاهرة .

عنوان تلغراف : « نيتوكريس » مصر

اخي عبد رحمان حولت ان اتصل بك

فلم اقدر ودون ان التقي بك ~~احزن~~ على كل

انا متوجه انجلترا بعد ان زرت اليمن

وبلاسف ~~اررر~~ ارجو ان تكتب لي على العن

21 CORNWALLIS SQ.

SOUTH SHIELDS

ENGLAND

محبك محمد راجح

غبت عن اليمن ٢٧ عام عدت اليها الان

فلم اجد شئ غير السم البيضاني ..

~~وياجمل~~ ويا سفر

بسم الله الرحمن الرحيم .

خطاب مفتوح إلى سيادة رائد القومية العربية سيادة الرئيس جمال عبد الناصر حرسكم البارئ آمين نعم يا صاحب السعادة انت تفهم تدهور الموقف في اليمن وانت الخاطب الأولى والأخير ونحن الموقعين أسمائنا من الجرية نطالب بإعادة الدكتور عبد الرحمن البيضاني المليين من الشعب تطالب بعودة عبد الرحمن البيضاني . إن الكبير والصغير والذكر والأنثاير دون الدكتور البيضاني والله على ما نقول وكيل .

محمد عبد الله — غالب — محمد ناشر — محمد غالب — ناجي محمد — سعيد — منصور — عبد الله — محمد علي — محمود عبده — سعيد علي — عبده علي — احمد — محمد علي علوان — عبد الوارث — ناصر محمد — سعيد عبده — علي احمد قاسم — السيد محمد — علي محمد — محمد احمد — عبد الكريم

احمد عبد الرب — محمد عبد الله — علي عبد الوهاب — مرشد علي — عبده سعيد — محمد قاسم — صالح سلام — محمد علي — عبده — محمد — عبد الله — احمد سعيد — سالم عبد الوهاب — محمد عبد الله — شمسان — احمد صالح — قائد عبد الغني — ناجي — محمد عبد العزيز — عبد الصمد — عبده قاسم — محمد — سعيد صالح

عبد الوهاب — احمد علي — سعيد محمد — عبد محمد — سعيد محمد — سالم علي محمد — محمد — السيد صالح — ناصر — سعيد — السيد علي — غانم علي — عبد الوارث — الحاج محمد — احمد غالب — صالح ناجي — حميد ناجي — سعيد — محمد سعيد — منصور علي — علوان محمد — رشيد محمد طالب — السيد سعيد — غانم سعيد — عبد الله محمد — علي قاسم — عبد الله احمد — عبد الرب احمد — احمد عبد الواحد — عبد الملك — قاسم — عبد الغني — محمد رشيد — السيد علوان — سعيد علي — ناجي قائد — عمر محمد — محمد — علي عبد الرزاق

الحاضرين — احمد عبيد صالح

عبد الله عبيد صالح

حسن شيخ — شيخ عبيد سالم — عبد الله احمد عبد الله

الحاج سعيد — محمد عبد الكريم — عمر احمد عبد الله

عبد الرحمان الحارجي — حسين محمد عبد الكريم — صالح احمد عبد الله

حسين علي — سالم محمد عبد الكريم — الخضر احمد عبد الله

... — عبد ربه محمد سالم — محمد احمد عبد الله

عبد الله ... — عبد الله صالح ... — محسن احمد عبد الله

... الحسين عبد الله — شيخ سالم — علي احمد عبد الله

احمد عبد ربه صالح — صالح شيخ سالم — احمد عباد سالم

عبد الله عثمان — احمد شيخ سالم — محمد عباد سالم

عبد القادر عبد الله — احمد صالح شيخ — عمر احمد احمد

محمد عبد الله — علي صالح شيخ — صالح احمد احمد

... — محمد صالح شيخ — عبد الله احمد عبد الله

محمد صالح حسين — احمد عبد الله ... — حسين علي عبد الله

سالم عبد ربه — عمر عبد الله ... — سالم علي عبد الله

... — علي عبد الله ... — ...

محسن احمد — الخضر حسين عبد الله — ...

عبد الله حسين — علي احمد مرشد — صالح ...

احمد احمد — محسن محمد مرشد — علي صالح سالم

علي احمد — حسين عمر — علوي احمد عبد الله

سالم احمد — — احمد ...

صالح احسن — حسين علي —

علي احمد احسن — احمد احمد — عبد الله ... سالم

عبد الله احمد احسن — علي عبد الله — عبد القادر ...

حسين سالم — محمد عباد — ...

عبد الله حسين سالم — عبد ربه سالم — ... عبد الله ...

احمد عبد ربه — محمد سالم امريع

محمد صالح سالم — عبد الله سالم امريع — ...

عبد الله صالح سالم — سالم صالح امريع — الحاج عبد الله ...

صالح محمد صالح — احمد محمد سالم — محمد ...

علي محمد صالح — الشيخ محمد ... — ...

ابو بكر سالم

... عبد الله ...

ابو بكر شيخ

عبد الله شيخ

جمال عبد الناصر بن جوع عبد الرحمن البيضاني عبد الله وكيل و...

احمد طارش
علي فارع
محمد فارع
عبده ناشر
خالد محمد
سعيد يحيى
سالم شيبة
راشد علي
صالح مطهر
علي محمد
عثمان ناجي
عبده ردمان
علي عثمان
ناجي شخ
عبده سيار

عبد الله صالح
سالم علي عبده
اسعد احمد
هايل عبده
مرشد عبده
محمد حسان
علي فرحان
علي سعد
احمد سعد
عبده سعد
احمد ابن احمد
احمد ناصر
عبد الملك

احمد شاهر
محمد شاهر
عبد لطيف
احمد عبد المعطي
سعيد هادي
علي عبد الوهاب
محمد بادي
سعيد بادي
علوان بادي
سعيد علي
صالح سيف
علي سيف

حسن حاتم
محمد حاجب
علي شاكر
حميد محمد
سعيد محمد
محمود ...
سعيد سيف
خالد رشيد
... مرشد
عبد الله طاهر
احمد طاهر
عبد الغني احمد
صالح عبده

الحاج مرشد
شبير ...
محمد سعيد
علي سعيد
ذا ايل عبده
سعيد هايل
احمد صالح
عبد الجبار صالح
سليمان ...
محمد عثمان
احمد فرحان
محمد فرحان
داود عبد الله
مطهر عبد الغني
احمد مرشد

عبده قارع
سعيد قارع
راجح سلال
ياسين سلال
احمد صالح
حسن علي
احمد طاهر
عبده طاهر
سعيد علي
ردمان عبده
عبده مقبل
سعيد مقبل
ناشر مقبل
عبد الله مقبل
عبده عبد الله

عبده حيدر
احمد حيدر
عبده حيدر
رشيد ناجي
حسين ناجي
عبد الله فرحان
محمد ناجي
فيصل قايد
سعيد قايد
محمد عبد العزيز
علي عزيز
طاهر عبده
منصور عبده
علي ... طاهر
سيف عبد الغني

صالح ناصر
احمد عوض
عبده عوض
سالم عوض
الحاج قاسم سعيد
عبده عوض ...
السيد حسن علي
محمد دحان
محمد مريم
احمد عبا
علي قحطان
سعيد قحطان
الحاج دماك

صالح حسين
عبدالله مسعود
احمد النخعي
ناصر احمد
محمد شملي
محمد عبدالله
ناصر الحسني
حسين مسعود
محمد امويشي
علوي احمد
احمد محمد
عبدالله احمد
حسين عبدالله
زيد عبدالله
سالم جعفر
محمد ناصر
علي درويش
سالم درويش
حسين محمد
صالح محمد
عبدالله عبدالقوي
علي محمد
محمد عبدالكريم
احمد علي
صالح

فيصل عبدالله سليمان
عمر احمد
عبدالله ردمان
عبدالقوي عثيمي
محمد عبدالله
احمد عبدالقوي منصر
عبدالقوي صالح
محمد ناشد
احمد صالح
محمد صالح معوض
جابر صالح
احمد امويشي
عمر احمد
عبدالله بوسكر
سالم جعفر
علي احمد
عبدالله
احمد صالح
حسين احمد
علي سالم الحوشبي
صالح حسين

صالح عبدالله
علي احمد
صالح محمد
علي عبدالله حسين
صالح حسين عبدالله
صالح علي
عبدالقوي
احمد صالح
صالح عبدالله
علي صالح عبدالشيخ
صالح ناصر الصالحي
صالح عمر احمد صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب مفتوح الى رائد القومية العربية الرئيس
جمال عبد الناصر المسئول الاول عن هذا الموقف فليحث
حكومة شعبنا الموقعين ادناه نطالب باعادة الدكتور عبد الرحمن
البيضاني نحن شعب اليمن بصلابة بينه كبير وصغير وذكر وانثى
يطالبون برجوع البيضاني ويطالبون جمال عبد الناصر والله على
ما نقول شهيد

محمد عبيدان	مشاري [illegible]	حمدان خالد	الحاج عبدالله
		سالم صالح	احمد لطف
احمد عساكر	احمد عشيش	محمد بشير عيدة	سعيد لطف
احمد علوان	سليمان ناصر	علي راشد	شاوي سلام
عبدالحميد علوان	علي مكرد	احمد خالد	عبده سلام
انعم سلام	سعيد مجاهد	علي مالك	احمد مكرد
مهدي علي	عبدالله ناصر	عبدالله محبوب	عبده مكرد
غانم علي	ياسين سعيد	احمد محبوب	هزاع عبده
احمد قحطان	ناجي سعيد	محمد مهيوب	احمد هزاع
ناجي علوان	عبدالخالق احمد	احمد الحاج	علي هزاع
سعيد قاسم	محمد راجح	علي مختار	سالم حفص
احمد ناشر	علي راجح	غانم عطا	عبدالله [illegible]
عبده ناشر	عبدالله راجح	سالم مهيوب	عبدالقادر [illegible]
خالد علي	شمسان [illegible]	محمد مهيوب	
	عبده صلاح		

عبدالجليل احمد	احمد عبداللطيف	احمد بشير	احمد [illegible]
صلاح احمد	سعيد حاجب	محمد هزاع ناجي	سالم فرحان
نعمان عبدالله	علوان مرشد	محمد ناجي	عبده فرحان
ردمان محمد	سعيد منصر		
عثمان عبدالجليل	احمد منشاد	الحاج سالم	احمد حيدر
احمد عبداللطيف	علي مسعد	قايد عبده	قاسم حميد
عبداللطيف عبدالغني	احمد راشد	محمد مرعي	علي عبدالمجيد
عبدالرحمن عبدالغني	خليل احمد	عبدالجليل	عبدالله خليل
نعمان راشد	عبده [illegible]	عبده حيدر	
علي عبدالرحمن	سعيد قاسم	محمد حسين	لطف عبدالعزيز
عبدالولي خليل	ديل عبدالغني	احمد صالح	محمد عبدالعزيز
محمد خليل	عبدالوهاب سعيد	علي عبدالصمد	عبدالملك [illegible]
عبده عبدالحميد	عبدالله سعيد	احمد عبده	بشير احمد
	عبدالله بشير	علي يوسف	
	علي احمد		

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاباً مفتوح إلى رائد القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله
بما أنك المسؤول الأول والأخير لشعب اليمن وتشعر بكل ما يجري فليعلم
فكل يمني كبير وصغير وذكر وأنثى يطالبوك برجوع الدكتور عبد الرحمن
البيضاني والله على ما نقول وكيل

الشيخ عبد الرب الحاج شيخ الحيمتين عن كل حيمتين في داخل وخارج
والحيمتين يشهد له التاريخ وتشهد له القوات المسلحة المصرية
المناضلة في جبال اليمن

حسين عبد الرب

صالح عبده الله عامر — محمود عبد الوهاب — هشام عبد الله — أحمد حسن

[illegible] — عبد الله [illegible] — محمد عوض — جعفر محمد

صالح ناجي — نجيب عبده — محمد [illegible] — حسن علي

عبد الله سقاف — منصور محمد — محمد [illegible] — [illegible]

[illegible] — صالح سعيد — محمود [illegible] — محمود عبد الوهاب

[illegible] — عبد الله عبده — محمد [illegible] — [illegible]

[illegible] — علي [illegible]

[illegible] صالح

محمد [illegible] — [illegible] ثابت — [illegible] — [illegible]

صالح [illegible] — محمد صالح — احمد [illegible] — [illegible]

صالح احمد [illegible] — علي احمد — احمد عبد الله — عبد الرحمن علي

عبد الله احمد [illegible] — عبد الله علي — احمد حسان — احمد ناصر

[illegible] — عمر محمد — ابراهيم [illegible] — محفوظ ثابت

[illegible] عبد الله — [illegible] — [illegible] — عادل سعيد

[illegible] — احمد [illegible] — [illegible] — محمد عبد الله احمد

علي محمد — عبد الرب [illegible] — [illegible] — علي [illegible]

إبراهيم [illegible] — محمد حسين — [illegible] — محمد [illegible]

إبراهيم علي — محسن عبد الله — [illegible] — [illegible]

[illegible] عبد الحميد حسين — [illegible] — [illegible]

أحمد [illegible] — عبد الله [illegible] — [illegible] — محمد [illegible]

[illegible] عبد الله — [illegible] — [illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible] — [illegible]

أحمد [illegible] — علي عبده [illegible] — [illegible] — أحمد محمد [illegible]

حسين أحمد — محمد سالم — انيس [illegible] — عبد [illegible] علي

جمال عبد الله — علي محمد — [illegible] عبد الرزاق — [illegible] سعيد

أحمد محمد — محمد حسان — انيس ابو بكر — [illegible] سعيد

حسن علي — [illegible] حسين — جابر غانم — محمد صالح

حسن عبده — محمد علي عبد الحاج — [illegible] احمد — عبده محمد عبد الله

بجاش علي ... عبد العزيز علوان

... المسعود عبده

محمد ناصر ... احمد ناجي

محمد صالح علي

مقبل سلام ... علي عبيد ... عبد الوهاب

محمد عبد المجيد ... احمد علي قائد

عبد الغفور محمد ... عبده ثابت

عبده احمد ... احمد عبده

سالم احمد ... المهدي علي ... احمد منصور

عبد القادر علوان ... عبد الرزاق احمد

منصور علي ... الحاج ...

احمد محمد ... عبد الحليم عبده

محمد سيف

عبده قائد ... علي عبده ... عبده ناجي ... محمد سعيد

احمد سعيد علوي ... محمد فضل ... محمد مهيوب ... عبد الله

عبد الجبار محمد ... فضل ناجي ... محمد عبد الله ... علي صالح

هايل سعيد عبده ... عبد الرزاق ... احمد محمد ... احمد مسعد

سعيد انعم ... عبد الودود فضل

عبده النهاري ... عبد الجليل احمد ... عبد الرب ناجي ... عبد الله صالح

عبد الاله احمد ... احمد دايل ... دايل فضل

جعفر صلاح ... علي سيف ... محمد عاشور

مثنى عاطف ... عبده مسعود ... سيف احمد ... عبد الملك عبد الرزاق

منصور محمد ... احمد ... محمد عبد الملك

سليمان احمد ... عبده شعلان

احمد علي ... سعيد عبد الخالق ... عبد الرحمن حميد ... سعيد هاشم

عبده سعيد ... محمد حسن

عبد المجيد محمد ... محمد ... درهم

سعيد عبد العزيز ... علي عبده ... عبد السلام صالح

والد عبد الملك ... احمد ... احمد مسعد

... طاهر ناجي

[illegible]

الدكتور عبد الرحمن البيضاني حيا الله على ما تقولو ... ...

عبد المنان — عبد الوارث احمد — سعيد مرزوق — عبد السلام ...
محمد عبده — عبد الحميد سعيد — احمد عبده — ... عبد الله
مهيوب ناصر — ناصر مهدي — علي عبد النور — حسين محمد
عبد الحفيظ — عبيد سالم — عبد الله ... — حسين عبد ...
عبده ستار — منصور محمد — بسر قاسم — سعيد ناجي
السيد عبد العزيز — عبده الولي خالد — احمد قاسم — عبد علوان
عبد الواسع محمد — عبد الرزاق محمد ... — مهدي ... — منصور محمد ...
احمد محمد غانم — محمد فوزي — عبد القادر احمد — صالح ... عبد ...
سعد عبده — عبده فوزي — سالم عبد القادر — علي ...
علي عبده — سعيد صالح — احمد عبد الواسع — عبد الرحمن ...
حاجب ... — عبد الله سيف — خالد محمد — الحاج علوان ...
علي عبد الله — احمد دبل — علي مالك — عبد الرزاق محسن
محمد سيف ناجي — عبد القادر مهيوب — ... — حسن علي سعيد ...
عبده سيف احمد — عبد الله محمد ناجي — منير علي
علي صالح — سعيد ناصر — الحاج عبد الواسع — احمد ...
مسعد علي — عبده العزيز علي — احمد عبد المجيد — عبد ...
سالم عبيد — ناجي مسعد — محمد غانم — محمود علوان
محمد مسعد — علي منصور

محمد ذيبان — حامد ... — احمد سعيد — محمد ...
محمد ناصر — سعيد عابد — محمد خالد
سيف النقيب — عامر ناجي — علي ... — عبده ...
عبيد حداد — مهيوب صالح — عبد صالح — ... علي
مرشد ناجي — احمد عبيد — بسر احمد — عبد الحميد ...
علي عبد الواسع — علي عبيد — محمد ابراهيم — علي علوان
عبد اللطيف صالح — عبد الرشيد — احمد عبد الوهاب
احمد سالم — السيد محمد خالد — دوح سيحان — قائد ...
احمد خالد — الحاج احمد علي — احمد محمد ... — ...
علي عباد — الحاج ناجي علي — احمد ...
اسعد مرشد — حسن مرشد — احمد ... — عبد الفتاح علوان
محمد عبد ناجي — شعلان ناجي — سعيد هادي — احمد ...
احمد صالح محمد — السيد عبد الستار — عبد ...
عبد الحميد عبد الودود — احمد سالم — ... — علي ...
عبده مرشد — سعيد علوان — نايف محمد — سعيد ... القادر
محمد ... — محمد محمد — ... سعيد — السيد صالح ...
علي مرشد — عبده ... غالب — ... — احمد ...
محمد ... — السيد سعيد ... — عبد سالم
علي عبد ... — محمد ... — عبده صالح
علي محمد ... — حمود علي — عبده ... — ابو بكر ...
محمد سلام

الحاج عبد الولي

قاسم عبيد
علي حمادي
عبد الحميد صالح
علي منصور
عبد الحميد سليمان
عبده سليمان
فارع عائض
مشرف علي
سيف علي
مهدي علي
الحاج عبيد عثمان
عثمان ناجي
ناجي شايف
حسين عامر
عبد الله احمد

احمد عبد الله
محمد انور
سعيد محمد
عبد الله عمر
عائض مرشد
احمد سعيد
محمد عبد الله
سعيد عبد الله
سعيد مهيوب علي
احمد عبد الهادي
محمد عبد الهادي
فتحي الحاج
علي احمد سعيد
عبده صالح
قاسم صالح
ثابت حامد عبده

مرشد احمد
راشد محمد
مطهر علي
عبد الرحمن ثابت
عبد الرب سعيد
عبد الحميد سعيد
السيد علي عبده
مهيوب الحمادي
سعيد علي مهدي
عبده علي صالح
ناصر محمد
سعيد محمد
الحاج سلام محمد
سليمان صالح
علوان صالح

محمد ياسين
ظاهر ناجي
احمد ناصر
غالب سعيد
مهدي سلام
سعيد شدام
عبده سلام
صالح حسن
علي حسن
عبده حسن
طاهر صالح
عبده عاكر
علي غالب
احمد غالب

احمد ...
سعيد سالم
عبده ابراهيم
سعيد ابراهيم
عبد الحميد سعيد
عبده سعيد
البار سالم
مثنى طالب
عبده طاهر
شمسان قاسم
احمد سالم ناجي
مرشد محمد
ناشر سعيد
علي سعيد
محمد سعيد

مرشد صالح
عبده سلمان
السيد سليمان
علي محمد
احمد عبد الوارث
عبد الوهاب نعمان
السيد نعمان
محمد نعمان
احمد ابو بكر
احمد ديوان
سالم علوان
عبد الله مرشد
محمد مرشد
حسن ظافر
علي طاهر
سبوعه

محمد الخضر
علي الكبسي
احمد عبد الكريم
صالح صالح
احمد مسعود
علي مسعود
راشد احمد
غالب سعيد
محمد شرف
قاسم احمد
محمد غانم
محمد قاسم
سعيد فارع
عبد الجبار علي
طاهر احمد

ديل سعيد
علي عبد الولي
محمد عبد الولي
سعيد صالح
علي صالح
الحاج راشد
احمد منصور
عبده عبد الغفور
علي عبد الغفور
السيد صالح سعيد
عبد الولي سعيد
حميد هاشم
سعيد هاشم
علي حاجب

حضرة الرئيس عبد الله جزيلان حفظكم الله

تحية وبعد: فلقد بلغني أنكم ودعتم الضباط
المتخرجين من مدرسة الكلية.. وكان من نصيبي كما قضت
إرادتكم السامية والأوامر من غيري من المغضوب
عليهم لدى حضرتكم بكرمهم في الجيش الوطني وبلغني
أيضاً أنكم علمتم أن هذا عارية فقط ولم أتحمل
لمعهم منطقتكم فيه من الباقي كما نطقتم هذا صحيح لقد كنا
أن تم شراء كنزة عادية عكس أعارتي أما ضباط
يستعار فربما أنها لم تسمع به أبداً. ولكنه لربما يكون
في نظركم شيء من هذا القبيل. أي أنكم
تسطيرون من جانب آخر دعه. وأن هذا الإجراء
الذي بلغ من الكلمة منتزاه إنما يدل طبعاً على
اهتمامكم الكبير بالنهضة العسكرية وتقدير المصالح
والعاملين ومنتدام بالكفاءات والأقدمية. وليس هذا
بجديد عليكم فقد عرفنا فيكم هذه الصفة المثالية التي
تقدمتم بها منذ توليكم منصب أركان حرب الجيش.

هذا وجزى الله القائم خيراً فقد أبانت وكشفت لنا
عن نوع حسن نواياكم ونبل مقاصدكم. وعبقرية
قيادتكم.

أما نصيحتكم الغالية التي أسديتموها علي كثيراً وهي سرعة
وصولي قبل أن يعتبر في غياب فلكي أطمئنكم
تطمئنوا بيوم أن بقائي في تعز بأمر القائد العام
حفظه الله وأبقاه.

ودمتم ذخراً رعاكم الله ووفقكم والسلام عليكم

المخلص ملازم
علي المغني

رسالة الشهيد الملازم علي المغني إلى عبد الله جزيلان *

البيضاني يقدم استقالته للارياني محذراً من المؤامرات ضد النظام الجمهوري

بعث سفير اليمن في بيروت دكتور عبد الرحمن البيضاني ى رئيس المجلس الجمهوري قاضي عبد الرحمن الارياني لبرقية الاتية :

سيادة الاخ القاضي عبد رحمن الارياني رئيس المجلس جمهوري صنعاء ·

شعورا بالمسؤولية التاريخية لتي تحملناها معا يوم ٢٦ سبتمبر (ايلول) عندما اعلنا يام الجمهورية باسم الشعب ، وفاء لارواح الشهداء الابرار لذين جادوا بارواحهم دفاعا عن الجمهورية ، فاننا نلفت نظركم الى حقائق خطيرة طلتنا فاكدت ان احداثا رهيبة تعصف الان بالجمهورية التي بعدما عجز اعداؤها عن اسقاطها عسكريا عن طريق الحرب لجأوا الى اجهاضها من الداخل عن طريق فتنة مزقت الصف الجمهوري تحت تاثيرات واستفزازات باطلة اصطنعت الحزبية تارة والطائفية تارة اخرى بينما كان القصد الوحيد من هذه الفتنة هو القضاء على جميع الجمهوريين ·ومن ذلك ما حدث في مارس (اذار) الماضي وادى الى تصفية المقاومة الشعبية ثم تكرر في اغسطس (اب) وانتهى الي تمزيق من الجمهوريين بايد جمهورية القوات المسلحة واستشهاد المئات ومنا تبع ذلك من ابعاد واعتقالات وتصفيات شملت مئات الجمهوريين عسكريين ومدنيين بينما ترحب الحكومة بعودة الملكيين بدعوى ايمانهم المفاجيء بالنظام الجمهوري·

ولا شك ان اقرار السلام هو امنية عزيزة نتمناها جميعا حفاظا على الدماء الغالية وانتفاعا بجهود ابناء اليمن جميعا للبناء والتعمير بما يحقق رفاهية الشعب كل الشعب دون ادنى تمييز ، لكننا وان كنا نرحب من حيث المبدأ بان تفتح الجمهورية صدرها لكل من يعود من الملكيين عودة صادقة فان الذي ندعوكم اليه ان يبقى في الجمهورية متسع للجمهوريين اذ لا يجوز ان تكون عودة الملكيين الى الجمهورية مشروطا بابعاد الجمهوريين عنها الامر الذي لو استمر على هذا النحو لكان اثره القاتل هو تمكين الملكيين مع خلع جذور الجمهورية من اعماقها مستغلين مواقع السلطة فيها مما لا يقتصر خطره على الجمهورية وحدها وانما يهدد معها جمهورية اليمن الجنوبية الشقيقة ·علاوة على ان السلام لا يمكن ان يتحقق من مجرد احلال الملكيين مكان الجمهوريين بل ان ذلك من شانه ان يؤدي الى المزيد من سفك الدماء بدلا من العمل على حقنها ، كما يؤدي الى تمزيق الوطن بدلا من الحفاظ على وحدته ·

لذلك فاننا نقترح عليكم بصفة كونكم المسؤول الاول في الجمهورية ان تبنوا الدعوة الى عقد مؤتمر جمهوري داخل اليمن يحضره جميع الجمهوريين من اهل الحل والعقد الذين منهم في السلطة والذين هم مبعدون عنها سواء المؤيد منهم والمعارض وذلك حتى تنبثق من المؤتمر قيادة جمهورية جماعية تحقق الوحدة الوطنية وتقرر مصير الشعب كما سبق ان اتفقنا جميعا قبل استلامكم السلطة ، وعندئذ فقط يمكن ان ينطلق الصف الجمهوري الموحد الى المفاوضة مع الملكيين حسب المبادىء التي ترتضيها الاغلبية وهذا ما يؤيد رايكم القائل بان المجلس الجمهوري الحالي ان هو الا سلطة موقتة لفترة انتقالية محدودة ولذلك فانكم توافقون معنا على ان هذا المجلس بهذه الصفة الموقتة لا يستطيع الانفراد بتقرير مصير البلاد بما قد يغير نظام الحكم فيها قبل الرجوع الى الشعب صاحب الحق الشرعي في ذلك ·

واخيرا ،واحتفاظا بالصراحة التي نتبادلها ، نصارحكم باننا لم يعد في وسعنا الان القيام باي عمل رسمي نافع نتحمل مسؤوليته امام الله والتاريخ والشعب وسوف نغادر بيروت الى القاهرة ننتظر ما ترونه لعلكم ترجحون اعادة النظر فنتعاون على تهدئة الخواطر وتحقيق الاستقرار واستتباب الامن وحقن الدماء والله يحفظكم ويرعاكم ويسدد خطاكم ·

اخوكم

الدكتور عبد الرحمن البيضاني

صحيفة المحرر اللبنانية فى ٢٦ نوفمبر ١٩٦٨ (الصفحة الأولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

فى شهر يناير من عام ١٩٦٢ وقع بصرى لاول مرة على اسم الدكتور عبد الرحمن البيضانى على صفحات مجلة "روزاليوسف" تحت مقال بعنوان "جذور المأساه"

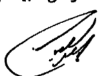
اثار العنوان فضولى وما ان شرعت فى قراءة السطور الاولى منه حتى هز مشاعرى واعتصر قلبى الما لحال شعب بأكمله لم اكن اعلم من اموره شيئا سوى انه يعيش معتكفا داخل حدود قطر عربى اشتهر وقتئذ بأسم "اليمن السعيد"!!

وفى الاسبوع التالى وقع بصرى على مقال آخر للكاتب نفسه فى المجلة ذاتها بعنوان "المورفين يحكم اليمن" فتلقفته مطالعا فى شغف سطوره التى كشفت عن وجيعة ذلك الشعب المنكوب وفجيعته فى نظام حكمه الامامى .

نجح الدكتور البيضانى فى ان يشد اهتمامى شدا نحو متابعة سرده وتحليله لاسباب مأساة ذلك الشعب العربى الشقيق فوجدتنى ارقب فى لهفه مقالاته التى توالى نشرها بانتظام تلهب ظهر النظام الامامى بسياط من نار وتحمل فى الوقت ذاته الى مسامع الامة العربية بأسرها انات ذلك الشعب وصرخاته المكتومة التى مست منى شغاف القلب حتى وددت حقا ان اكون يمنيا اشارك بكل ما اوتيت من قوة من اجل خلاص ذلك الشعب من محنته .

لم تمض سوى ساعات قليلة على قيام الدكتور البيضانى باذاعة آخر نداءاته للثورة اليمنية من اذاعة صوت العرب بالقاهرة حتى وقعت المعجزة وتفجرت فى ليلة السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٢ الثورة التى كان الرجل يدعو اليها بكل نبضة من نبضات قلبه .

ولم اكن اعلم وقتئذ ان وراء تلك الثورة التى فوجئ بها العالم العربى والمعسكران الشرقى والغربى ووراء اسراع مصر الى مساندتها قصة مثيرة جرت احداثها متزامنة على ارض اليمن وأرض مصر وكان فى مقدمة ابطالها الدكتور عبد الرحمن البيضانى .



ـ ٢ ـ

نعم لم اكن اعلم شيئا عن احداث تلك القصة ، وان شئت فقل تلك الملحمة التاريخية ـ حتى شاء القدر ان اصل الى ارض اليمن في السادس من مارس سنة ١٩٦٣ مبعوثا من القاهرة لاباشر مهمتي مستشارا للجمهورية اليمنية ومشرفا على المعونة الفنية المصرية لليمن ، وكان لزاما على حتى استطيع مباشرة مهمتي بأكبر قدر ممكن من الفاعلية والنجاح ان ادرس بعناية كل كبيرة وصغيرة عن تلك الثورة واعضاء مجلس قيادتها عسكريين ومدنيين والوزراء ونوابهم والعديد من رجالات اليمن الاحرار على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية ، وكذلك اعضاء السفارة المصرية وضباط القيادة العامة للقوات المصرية ورجال المخابرات العامة .

من خلال تلك القنوات الزاخرة العديدة تلقفت كل ماكنت اصبو الى معرفته من معلومات واضعا نصب عيني دراسة كل معلومة . منها وتمحيصها على ضوء عوامل عدة تنتهي بي اما الى استبعادها او الاطمئنان الى صحتها .

وقد تكشف لى من جماع تلك المعلومات العديد من الحقائق ، كان في موقع القمة منها ان ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ لم تكن سوى النبته الطيبة التي ما كان يمكن ان توجد لولا جذورها العميقة التي غذتها وشكلتها ثم حملتها ودفعت بها الى ما فوق سطح الارض لتأخذ مكانها تحت الشمس .

وكان بديهيا وانا بصدد دراستي للثورة اليمنية الا اكتفي بمظهر الامور دون مخبرها فسعيت بحثا وراء جذورها ، للوقوف على حقيقة ما كان يجرى في الخفاء او العلن من تحركات الوطنيين من احرار اليمن داخلها وخارجها في السنوات التي سبقت ليلة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ تلك التحركات التي اتسم الكثير منها بالجرأة والفدائية وجعلت من صانعيها الذين حملوا رؤوسهم على اكفهم ، رجالا اشتروا حرية شعبهم العريق بدمائهم وعرقهم واموالهم والعديد من ايام عمرهم ، وكان الدكتور البيضاني على رأس قائمة هؤلاء الرجال الذين كنت اتوق الى معرفة دورهم في ملحمة الكفاح العريض من اجل تحرير شعبهم لا سيما وانه الرجل الذي تأثرت بدعوته الملحة الى الثورة والذى

— ٣ —

قرأت مقالاته الصحفية بالقاهرة وكأنها المعاول تنهال على اركان النظام الامامى وسمعت صوته على موجات الاثير يحمل صرخات شعبه واناته الى كل مكان فى العالم العربى .

انسابت المعلومات من عشرات المصادر المصرية واليمنية الموثوق بها سواء تلــــك التى كانت تكن للرجل كل الحب والتقدير وتلك التى ناصبته العداء لسبب او لا خبــر . وكانت خلاصتها قصة كفاح وطنى تأخذ بالالباب وتثير فى النفس كل مشاعــر التقديــــر والاعجاب برجل نذر حياته لقضية بلاده واحب وطنه حبا ملاء عليه حياته .
لم ينبع هذا الحب من فراغ ولا كان وليد صدفه عمياء اوانفعال طارىء وانما تسلل هذا الحب الى قلبه منذ كان صبيا يتلقى عن ابيه واصحاب ابيه تاريخ ارض آبائه واجـداده فظل على مر الايام والليالى ينهل من تلك الينابيع الزاخرة حتى امتلاء فؤاده بحـب بلاده وتمكنت محبتهــا من قلبه ثم انصهرت فيه وذابت فى دماءه فامسى فتانا عليـلا بحب وطنه يعانى ما يعانيه هذا الوطن ويشقى بما يشقيه فكانت مأساة شعبه هى عين علتـه ودائــــه .
ولكن كيف السبيل الى الشفاء والقضاء على العلة والداء ؟
تلك كانت المشكلة التى هيمنت على حياة الدكتور البيضانى منذ فجر صباه .
وقر فى نفس الفتى ان الجهل الذى فرضه النظام الامامى جيلا بعد جيل على ابناء شعبه فاورثهم الفقر والمرض كان هو اصل العلة وبيت الداء .
ومن هنا ومن اجل وطنه المغلوب على امره انطلق الفتى يلتهم العلم وينهل من ينابيــــع المعرفة حتى حصل على ارفع الدرجات العلمية ، دبلوم فى المحاسبة والتجارة وليسانـــس الحقوق ودبلوم الدراسات العليا فى الاقتصاد السياسى ودبلـوم الدراسـات العليــــا فى الشريعة الاسلامية من جامعة القاهرة وبكالوريوس العلوم المالية والاقتصاديـة ودكتـوراه فى الاقتصاد السياسى من جامعة بون بالمانيا الغربيــــة .

ومن اجل اليمن اتخذ الشاب من علمه وثقافته العالية مدخلا نجح من خلالـــــــه فى اكتساب ثقة الامام احمد على امل اصلاح اليمن عن طريقه باعتباره وقتئـذ القـــــوة الوحيدة على ارض اليمن التى يمكن اذا ما نجح فى علاجها وتطويعها وترشيدهـا فـــى

— ٤ —

هواده ان تكون اداة الاصلاح الذي كان الشاب ينشده لبلاده . ولم يفت الشاب وهو يسير على هذا الدرب ان يتفحص بعين ذكية من توسم انهم من الكاظمين الغيظ الثائرين الصامتين من ابناء شعبه على همومهم وطنهم وعمل على توثيق صلاته بهم واكتساب ثقتهم .

تكشف للشاب من خلال محاولاته المضنية مع الامام ان الاصلاح المنشود لن يتحقق في ظل النظام الامامي فانتهى به تفكيره الى اليقين بأن الامر اصبح يقتضي تغييرا جذريا يطيح بالنظام الامامي ذاته على يد قوة عسكرية وطنية مدربه ومزوده بالسلاح الثقيل .

ولكن كيف السبيل الى تحقيق هذا الحلم ؟

كيف السبيل الى خلق تلك القوة العسكرية النظامية المدربة والامام احمد لا يقبل بديلا في حمايته وتوطيد نظامه عن قواته المسلحة بالبنادق والرشاشات والمشكله اساسا من رجال القبائل الموالية له ؟

وحتى اذا ما تحقق ذلك في البال والخيال فكيف السبيل الى جلب السلاح الثقيل الى داخل اليمن الذي احكم اغلاقه الا من ميناءين صغيرين لا يصلحان بحال لاستقبال مثل ذلك العتاد ؟

كيف السبيل الى كل ذلك ؟ ومع من ؟ مع الامام احمد الذي يرفع راية عزلة اليمن ومن حوله حشد من عتاة الرجعية يباركون ذلك الشعار ويسبحون بحمده ليل نهار ؟

كان التفكير في كل تلك العقبات كفيلا باغراق اشد الناس تفاؤلا في لجة من اليأس المرير . ولكن اليأس لم يجد منفذا الى قلب الشاب الذي فاض بالتصميم والاصرار على بلوغ هدفه .

كيف استطاع الدكتور البيضاني ان ينجح في تحقيق الخطوات التي ادت الى اقامة ميناء حديث في الحديدة وبناء طريق عصري من الحديدة الى صنعاء وكيف نجح في تدبير

ـ ٥ ـ

جلب الاسلحة الحربية الثقيلة الى اليمن وتدريب عدد من ضباط وصف ضباط الجيش اليمنى عليها على يد المدربين المصريين ؟

استطاع الدكتور البيضانى ان يسبح ضد التيار الجارف وان يتخطى هذا الكم الرهيب من العقبات وينجح فى وضع المقدمات الضرورية والمقومات الاساسية للتغيير الجذرى فى اليمن فتحقق الامل وقامت الثورة التى نذر حياته من اجلها يوم ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ فشغل اهم مواقعها حيث تقلد مناصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ووزير الاقتصاد ثم الخارجية •

وانطلق الدكتور البيضانى متحملا قيادة مسيرة الامانة الغالية والمسئولية التاريخية فى حماس وطنى ونشاط مدروس واع يعمل فى غير كلل او ملل على تصحيح وتنظيم اوضاع القيادات العسكرية والسياسية وتحديد مساراتها بما يكفل امن الثورة الوليدة مع تكثيف جهوده السياسية والاقتصادية فى حنكة ومهارة ليصل بوطنه الى بر الاستقرار العسكرى والسياسى والنهوض ببلاده اقتصاديا وعمرانيا •

واخيرا لا اود ان اسهب فى بسط انطباعاتى الشخصية عن الدكتور البيضانى واكتفى هنا بذكر حقيقة واحدة لا يمارى فيها احد ممن صادقوا الرجل او ممن ناصبوه العداء وهى انه يتمتع بشخصية قوية وعقلية فذة تتوهج بذور العلم والمعرفة والفكر المستنير الواعى الذى خلق منه سياسيا محنكا يضع لكل خطوة حساباتها الدقيقة وكأن عقله قد امتلأ باجهزة حساسه تتحكم فى معدلات سرعة تحركاته بالتوافق مع الامكانيات المتاحه والرؤيه الموضوعية لما يواجهه من مشاكل •

وعندما ترك السلطه فى اليمن للاسباب الموثقة فى هذا الكتاب كان قلبه معلقا بما يجرى على ارض اليمن يوما بعد اخر فيبادر كلما اقتضى الامر ببذل نصائحه السياسيه والاقتصادية الى القائمين على شئون الحكم فى وطنه • كما ظل قلبه فى الوقت ذاته معلقا بأزمة وطنه العربى الكبير فهو لم ينس قط ان اليمن جزء لا يتجزأ من امته العربية يصيبه ما يصيبها من شر او خير •

ومن هنا بدأت دعوته الى التضامن العربى والانطلاقة القومية فى مقالات رائعة افردت لها جريدة " اخبار اليوم " المصرية صدر صفحاتها تناول فيها بالشرح والتحليل قومية الخطر وقومية الفكر وقومية الارادة وقومية الهدف • فكان لدعوته صداها العميق فى كل مكان وخاصة لدى الاوساط العلمية والثقافية التى دعته الى القاء المحاضرات واجراء الحوار السياسى مع المهتمين بشئون الوطن العربى المتطلعين فى لهفه الى يوم الخلاص من ازمته الراهنة •

ولعل الدكتور عبدالرحمن البيضانى قد ارتأى ايضا وهو يحس بكل جوارحه ما تعانيه امته العربية وهى تمر باشد ما مر بها من ازمات فى تاريخها ان يضع ـ من خلال تجاربه وسيرته الذاتية ـ تحت انظار اخوته من ابناء وطنه اليمنى خاصة وابناء امته العربية عامة العديد من الحقائق التاريخية الموثقة غير مستهدف بذلك توثيق حقائق احداث الماضى فحسب وانما ايضا تمهيد وانارة الطريق الى المستقبل •

حقائق تكشف عن موسوعة هائلة من اسرار ثورة اليمن وخباياها ومسيرة احداثها السياسية والعسكرية وتحدد موقعها من الصراعات السياسية العربية الدولية •

حقائق تكشف عن جذور ازمة الامة العربية وما يواجهها من تحديات مصيرية خططها فريق متكامل من اعدائها لاستنزاف ثرواتها وامتصاص خيراتها وتركها تنحدر الى الهاوية • حقائق مقرونة بعرض الحلول العلمية العملية التى تكفل اجتياز تلك الازمة ووضع حدا لها والنجاة من مضاعفاتها •

حقائق تلقف ما يأفكون •

فكان هذا المؤلف النفيس (ازمة الامة العربية وثورة اليمن) يضع بين ايدينا هذه الموسوعة العظيمة من الحقائق الموثقة مصحوبة بتحليل سياسى علمى يغوص الى اعماق كل مشكلة فيخرج الينا بوجه الحقيقة فيها ، كل ذلك فى اسلوب ممتع شيق اخاذ •

جازى الله الدكتور عبد الرحمن البيضانى خيرا عما افناه من سنى عمره مجاهدا فى سبيل تحرير وطنه ووفقه الله فى دعوته الخالصة الصادقة الى ما فيه خير وطنه وامته العربية •

احمد فؤاد [illegible]

نائب رئيس مجلس الدولة المصرى ومستشار رئاسة الجمهورية المصرية سابقا .

الجمهورية اللبنانية — وزارة البريد والبرق والهاتف

طريق راديو اوريان

النمرة	المصدر	كلمات	التاريخ	الساعة
الى ١٣ ٢٧ ٢٠ ١٩	1967 XII 16	XXXXXX	٢١/٢٧ ١٦	١١٥٠

العنوان

حكومي الدكتور عبدالرحمن البيضاني بيروت

راديو اوريان

بيروت - دار البريد والبرق والهاتف

برقية لاسلكية

اشكركم على تهنئتكم لاخوانكم بمولد جمهوريه الجنوبيه الشعبيه ونسال الله الى مافيه خير بلادنا وامتنا =

قحطان الشعبي

رئيس جمهوريه اليمن الجنوبيه الشعبيه •

الجمهوريـــة العربيـــة اليمنيـــة
وزارة الخـارجيـة
مكتب الوزير

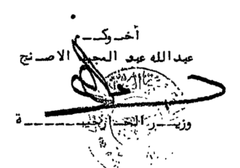
الرقـم/ ٦٠٠
التاريخ /٧/٢/١٩٧٦م
ملـف/

الاخ الدكتور عبد الرحمن البيضانـى المحـــترم
القـــاهرة

تحيـة أخويـة وبعـد :

تسلمت بتقدير بالغ رسالتكم مؤرخة ٢ فبراير ١٩٧٦م.
وقد كتبت اليوم للاخ محمد شكرى بسرعة تأكيد ترشيحكم لمنصب الامين العام المساعد للجامعة.. والتحرك داخل مجموعة الدول الاعضاء لاقناع الامين العـام بالتخلى عن قـراره بتجميـد المركـز.
كما أخذت علما بوجهة نظركم بخصوص بعض تصرفات الاخ ابراهيم الكبسى. والحقيقة أن تعليمات الاخ الرئيس وتوجيهاته للجميع أن يرتفعوا فوق الخلافـات والاحقاد وأن يتعاونوا على بناء دولة النظام والقانون فى ظل اليمن الجديـد الذى هو ملك كل أبنـاء اليمن.
وسوف يتم التحقيق مع القائم بالاعمال فى واشنطن حول تجاوزه لاعلانه بأنكم مطلوبـون للاعدام وأن جوازكم مزور.. وهذه بيانات ملفقـة وغير لائقة بأن تصدر عن مسؤول يمنى.
واننى أرحب بكم فى وطنكم عند العزم للزيارة كما أشرتم فى خطابكـم وربما تجدون فرصة مبكرة لزيارة الرئيس خلال زيارتـه القـادمة للقـاهرة.
وحتى نراكم.. تقبلوا خالص الشكر والتقدير،،،

أخـوكـم
عبدالله عبد المجيد الاصـنج



وزيـر الخـارجيـة

صفحة من مذكرات بخط الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر

وبقيت أنا أراجع (أتشفع) على الوالد والأخ حميد لأنه قد تم القبض على حميد فى الجوف وأوصلوه على طائرة ومعه الشريف على الضمين ومشايخ الجوف الذى سلم نفسه فى وجههم ولكن المراجعة والعقاير (القرابين) لم تجد نفعا فقد كانت جوابات الإمام على سافرة بأنه لن يبقى على رأس ولن يبقى على بيت من بيوتنا ولن يبقى على شجرة بن من مزارعنا . وجواب اخر خطى قال فيه (ما من مقدر حذر ولا من مقسوم حيلة) واستنجدت حينها بالبدر واقنعنى بأنه لا يستطيع أن يعمل شيئاً . وفى وقتها أخبرنى الدكتور البيضانى بأن البدر أقنعه بأنه لا يستطيع أن يراجع (يتشفع) على أحد مهما كانت صداقته . واقترح الأخ البيصانى علىّ أن أهرب معه إلى الخارج فرفضت ذلك ، ولكنه هرب حينها إلى مصر ، وبعد ذلك ألقى الإمام القبض علىّ وأرسلنى إلى سجن القلعة بالحديدة الذى كان فيه الأخ حميد ووصلت القلعة وقد نقلوا الأخ حميد إلى حجة حيث تم إعدامه بعد وصوله حجة بساعات مع الشهيد عبد اللطيف بن قائد راجح ، وبعد مضى أسبوعين من إعدام الأخ حميد تم إعدام الوالد فى نفس المكان فى قاهرة حجة . أما أنا فقد نقلونى من سجن الحديدة إلى حبس المحابشة حيث قضيت فيها ثلاثة وثلاثين شهرا حتى قامت الثورة وخرجت من السجن صباح يوم الجمعة تانى يوم الثورة ، ودخلنا فيما دخلنا فيه من النضال للدفاع عن الثورة والجمهورية .

وتليها وثيقة بخط الشهيد الأستاذ محمد محمود الزبيرى موجهة إلى الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر فى مارس ١٩٦٥ يناشده فيها إنقاذ النظام الجمهورى . وفى أعلاها تعليق بخط الأستاذ أحمد محمد نعمان من جبل برط شمال نزه اليمن قبيل أيام من اغتيال الشهيد الزبيرى .

هذه رسالة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي الحبيب الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر

أحييك وأقبلك وأبعث إليك بلهفة المشتاق من أعماق القلب

لك هذه التحية الحارة التي أبعث بها مع الإخوة الأبناء القادمين إليك

وعندهم كل شيء من أخبارنا وأفكارنا مما لا تتسع له هذه الرسالة

يا بني الكريم

إنك الآن تحمل أثقال جبال اليمن وسهولها ووديانها وإن هيكلك النحيل امتحنه

القدر بحمل الأمانة الكبرى نحو شعب وبلاد وسواحل عظيم. إنك تحمل ما حملت وتؤدي

ما فرض الله عليك أداءه

إنك الذي ترجح كفة النجاة لوطنك كله وليس هذا مبالغة ولا إشادة وإنما هو

مسؤولية توجه فطرتك إليها

وإننا معك يا بني ... أتمنى أن أمزق روحي لكي تكون فداءاً أو عوناً. وإنني والله لأفزع

أحياناً عندما أتصور البلاد خالية منك ومن نفر قليل من زملائك المشائخ الأحرار

ولكن فزعي أعظم لو تصورت أن تتلكأ أو تتردد

إن المطلوب منك أن تقول: نعم وأن تقول: لا بكل قوتك وبكل حولك

وستغير حينئذ مجرى التاريخ ... إذا كنت لا تعرف قوتك فنحن نعرفها وترتفع

رؤوسنا إلى السماء والأعداء يعرفونها وترتعد فرائصهم. لا تصدق تواضعك وهدوء نفسك

الوديعة المسالمة. إن البلاد مشحونة بالأحقاد والشرور والتربص والنوايا الشريرة

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم. والسلام يا ابني عليك من والدك

محمد محمود الزبيري

بسم الله الرحمن الرحيم



نادى أعضاء هيئة التدريس
١٥ شارع لطفى السيد بالشاطبى
تليفون ٧٣٥٣٦

الاسكندرية فى ٦/١ سنة ١٩٧٥

السيد الدكتور عبد الرحمن البيضانى
نائب رئيس الجمهوريه ورئيس الوزراء اليمنى السابق

تحية طيبة وبعد

يسر مجلس الادارة أن يتقدم لسيادتكم بالنيابه عن أسرة النادى بخالص الشكر والتقدير لتلبيتكم دعوتنا مساء الثلاثاء ٢٧/٥/٧٥ .

كما يسرنا أن نبلغ سيادتكم فخر أعضاء النادى وامتنانهم لما استمتعوا به فى هذا اللقاء من احاديث شيقه ومفيده .

وانى اذ أكرر لسيادتكم وافر الشكر وأرجو لشخصكم الكريم موفور الصحة والسعادة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . ...

رئيس مجلس الادارة

(أ . د . محمد بدر الدين الصاوى)

الأزهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

بسم اللـه الرحمن الرحيم

السيد الاستاذ الفاضل الدكتور عبد الرحمن البيضانـــي

سـلام الله عليكم ورحمته وبركاتـه

وبعـــد

فان كتابكم " لماذا نرفض الماركسية " يعتبر عملا مجيدا رائعا ... وموقفا اسلاميا ناصعا ... ومجهـودا صادقا فى رحاب الفكر والمعرفة ... لما فيه من إبراز لعظمة الاسلام ... واعتزاز بالقومية العربية ... وتركـيز على ترسيخ العقيدة الدينية السامية ... التى تقوم على الحق والعدل والخير والاخاء والمساواة ... والتى جاء بها نبينا صلوات الله وسلامه عليه لينقذ البشرية من وهدة الجهل والفوضى والباطل والضلال ... ويرتقى بهـا الى ذروة العلم والنور وآفاق اليقين والايمان ... وليضع الأسس القويمة التى تضمن للناس سعادتهم وكرامتهـم فى الدنيا والآخرة ... بعد تحصينهم من آفات الكفر والالحاد ... وحمايتهم من التخبط والتردى فى متاهـات الزيغ والانحراف ... وحفظهم من تيارات الأفكار الفاسدة التى تقوم على المادية الجرداء الخالية من روح الايمـان ... والتى تفصل الانسان عن ربه ليتمرد على خالقه تحت شعارات زائفة ... ظاهرها فيه الرحمة ... وباطنها فيه الهلاك والخسران ... عن طريق التشكيك والعبث بالعقول والقلوب ... وذلك كما فى المذهب الماركسى الذى يستهدف تقويض العقيدة الدينية المقدسة ... واذابة حضارة الأمة العربية التى تميزها عن غيرهـا ... حيث اعتبر النظم التى لا تقوم على الصراع الطبقى ... والقضاء على الخصائص الفردية الروحية والقوميـة والروابط الدينية والاجتماعية نظما رجعية ... الى غير ذلك من المفاهيم السقيمة الفاسدة ...

من أجل هذا جاء كتاب " لماذا نرفض الماركسية " بحثا قيما ... حافلا باليقين ... زاخرا بالمنطق السليم والقول السديد ... والفكر الوضئ ... والتوجيه الرشيد ... بعد اظهار طاغوت الشيوعية الشرسة التى تحاول نشر انيابها فى جسد مجتمعنا الطاهر ... وكشف نواياها الخبيثة التى ترمى الى اطفاء جذوة الايمان ...

وفضلا عما يتميز به الكتاب من سلامة الاسلوب .. وجمال التعبير .. وروعة التصوير .. فانه يقوم على الحجج الدامغة .. والبراهين القاطعة .. والأدلة الساطعة .. التى تمكنت من تقويض المزاعم والأباطيل .. وهـدم مرتكزات الادعاءات والأضاليل ...

وهذه طبيعة عرفت فى مؤلف الكتاب من توهج العقل .. وتوقد الذهن .. وبعد النظر .. واتساع الافـق ورحابة الفكر .. فجزاه الله خير الجزاء .. وأطيب العطاء .. بقدر مابذل وضحى فى سبيل الدين والحـق والخير ... ولايسعنا الا أن نشكركم من أعماقنا على عملكم الموفق .. وجهدكم الباسل .. واخلاصكم لديننـا الحنيف .. وتضحيتكم الجليلة فى سبيل مقاومة الكفر والالحاد .. وتبديد غيوم الباطل والضلال .. واللـه لايضيع أجر من أحسن عملا ..

الأزهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

ـ ٢ ـ

كما يطيب لنا أن نبلغكم امتنان فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبدالرحمن بيصار شيخ الأزهــــــر تقديره لموقفكم النبيل ٠٠ وقصدكم الشريف ٠٠ وهدفكم الكريم ٠٠٠ وشكره لسيادتكم على ماقدمتمـــــوه لأساتذة وطلاب الأزهر من الأعداد الهائلة من كتابكم الوارف النافع هدية خالصة ٠٠٠ .

حفظكم الله ورعاكم ٠٠ وثبت على دروب النور خطاكم ٠٠٠ انه سميع مجيب ٠٠ وهو نعم المولى ونعـــم النصـــــــير ....!

المدير العام للاعـــلام بالأزهر

" جــابر حمـــــزه "

١١ رجب ١٤٠٢
٧ / ١٢ / ١٦٨١

فهرس المحتويات

صفحة

الـوثـائـق

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الثمن :
ستة جنيهات مصرية داخل جمهورية مصر العربية
وخمسون ريالا يمنياً (أو ما يعادل ذلك) فى بقية دول العالم

أســـرار.. ووثائق

كيف توقف الاجتهاد الإسلامي فاجتهدت الماركسية والبعثية والناصرية.

كيف اشتركت مصر في التمهيد لثورة اليمن تسع سنوات قبل قيامها.

كيف اتفق الشرق والغرب على استغلال الخلافات العربية.

كيف خططوا لنكسة ١٩٦٧.. التي تستهدف كل العرب.

كيف اتحد العرب فقادت مصر معجزة ١٩٧٣ وماذا أصابنا بعدها.

كيف أصبحنا نتفق إذا أراد الغزاة.. ونختلف إذا أمروا.

كيف لا نعرف أننا نحفر بأيدينا قبرنا.

وقبر من سوف يأتي بعدنا.

كيف أصبح حاضرنا مأساة ومستقبلنا كارثة

حقائق أضعها أمام التاريخ..

وحلول أطرحها على المفكرين..

لعلنا نهتدي إلى أمل ضائع..

إلى الآن..

تفرقنا واختلفنا

حق علينا عذاب عظيم

إلى الآن

إننا الجلادون والضحايا